

الفراغ

وأثره على الفرد والمجتمع في ضوء الفكر الإسلامي

أطروحة نيلت بها درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية

الدكتور محمد ياسر محمد الحسين



www.iqra.ahlamontada.com

دار اقرأ

لتحميل أنواع الكتب راجع: (مُنْتَدى إِقْرَأ الثَقافِي)

براي دانلود كتابهاى مختلف مراجعه: (منتدى اقرأ الثقافى)

بۆدابەزاندنی جۆرەها کتێب:سەردانی: (مُنْتَدى إِقْرَأ الثَقافِي)

www. iqra.ahlamontada.com



للكتب (كوردى ,عربي ,فارسي)

www.iqra.ahlamontada.com

الفـــــراغ

وأثـرة على الفرد والمجتمع

في ضوء الفكر الإسلامي

www.iqra.ahlamontada.com

بسم الله الرحمن الرحيم

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

اسم الكتاب: الفراغ وأثرة على الفرد والمجتمع في ضوء الفكر الإسلامي

المؤلف: الدكتور محمد ياسر محمد الحسين

إشراف: الأستاذ الدكتور محمد منير سعد الدين

عدد الصفحات: ٧٣٦

قياس الصفحة: ١٧×٢٥

عدد النسخ: ١٠٠٠

رقم الطبعة: الأولى

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة إلا بإذن خطي من الناشر.

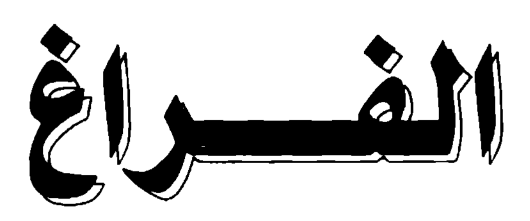
دار اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع

سورية ـ دمشق ـ ص.ب: ٥٩٥٧

تلفاكس: ٢٢٣٩٠٣١-١١- ٩٦٣++

لبنان ـ بيروت ـ هاتف: ٧٠٥٩٢٠-١-٩٦١++

www.iqra.ahlamontada.com



الفراغ

وأثره على الفرد والمجتمع في ضوء الفكر الإسلامي

أطروحة نيل بها درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية

الدكتور: محمد ياسر محمد الحسين

www.iqra.ahlamontada.com



www.iqra.ahlamontada.com

مُقَدِّمَة

من هذا المنطلق نفسه نرفض التصورات التي ينسبها بعض الناس للإسلام وهي عند التأكد والتأمل حالات مرضى إذ من المعلوم أن الفرد والجماعة ـ العربية والإسلامية ـ مازالا يعانيان من حالة التخلف التي نزلت بهما، وأنهما يسعيان جاهدين للتخلص منها، والانعتاق من أسرها، ومع ذلك فكثيراً ما نجدهما يتعثران في انطلاقة رخوة مما يجعل سيرهما بطيئاً وتقدمهما قليلاً فإذا أضفنا إلى ذلك أننا في عصر سمته السرعة في كل شيء بدا لنا أن مثل هذا التقدم يكاد يفقد أهميته واعتباره.

إن حالة الفراغ الديني والفكري والثقافي التي تلقي بظلالها على المجتمع العربي والإسلامي تكاد تكون أحد الأسباب الرئيسية في هذه الحالة المرضية، ولقد نشأت هذه الحالة نتيجة تفاعل بين موروثات وعادات محلية ومقتبسات غربية، الأولى تعود إلى الذات والأخرى تعود إلى الواقع وكما أن الموروثات لم تكن لأحسن ما يورث ويعتاد فكذلك المقتبسات لم تكن لأحسن ما يُقتبس منه.

هناك فراغ حقيقي في النفس الإسلامية المعاصرة لأن تصورها الإسلامي طفولي، وسطحي، يستقي من عهود الاضمحلال العقلي من تاريخنا وكأن بينه وبين عهود الازدهار ترة، مما يدفعنا إلى رفض التبعية النفسية للآخرين ولكننا وقاصرين ومفسدين.

لأن الإسلام يظلم باسم المسلمين، يظلمه بعض اتباعه وشباب عديمو المعرفة والفقه، وغوغاء حيارى، لذلك لابد من إنذار إلى أن أوضاعنا الإسلامية تواجه واقعاً ومستقبلاً كالحاً، وقد يقع المسلمون في كوارث جديدة، ولن يحمينا شيء منها إلا عودة حقيقية ومعرفة في إسلامنا.

وبما أن التوجيه والإرشاد والدعوة: هو العملية التي تتم فيها مساعدة الفرد على أن يؤدي دوره – في المعالجة والعلاج – على الوجه الأكمل في مجتمعه كما أنه وسيلة

www.iqra.ahlamontada.com

مهمة لمساعدة الفرد على تكوين ذاتيته، وبنائها بحيث يستطيع فيها التوافق مع نفسه وروحه ومع البيئة المحيطة به.

ومما أحس به قلقاً بالغاً على مستقبل الأمة وأوطانها وأبنائها، فإن القوى المخاصمة لها تطمح في استئصال حقيقتها واستباحة بيضتها، وهي ترى أن الظروف ملائمة لبلوغ هذه الغاية الهائلة. وعندما أنظر إلى الواقع الكئيب أجد أعداءنا يتقدمون بخطى وئيدة، وخطى صريحة حيناً، ماكرة حيناً آخر. ولكنها خطط مدروسة على كل حال محسوبة البدايات والنهايات لامكان فيها للدعاوي والمغالطات ولا للإرتجال والمجازفات، وأما نحن المسلمين على العكس من ذلك كله، وعندما أشعر أن حلقات الحصار تضيق حول الإسلام وأهله وأن مكاسب عُداته تزداد وتزدهر أتساءل:

هل وعى تاريخنا الطويل أحوالاً في مثل هذه القساوة والخبث... ؟

وأتردد في الجواب قليلاً.. ؟!

وأقول لنفسي لعل !!

ثم أدرك أنني أغالط لأسباب ينبغي شرحها إن أردنا مواجهة الحقيقة والنجاة من عواقب الخداع والمكر..

فلابد من أن تغلب روح الجد روح اللهو، وفاقد الإيمان لا يقاوم من يتحركون بعقيدة راسخة، مع أن مطارق البطالة والغفلة والفراغ التي تحز أعناقنا تكون كفيلة لإيقاظنا وعودتنا إلى إسلامنا.

أبرزت الحضارة المعاصرة في مسيرتها، بفضل مصادر تطورها الداخلية والخارجية، ظاهرة تدعى " الفراغ " التي سرعان ما وسمت هذه الحضارة بطابعها، وجعلتها تعبيراً عنها، بحيث باتت اليوم حضارة " الفراغ " وتشير الوقائع إلى أن ظاهرة الفراغ تلازم وجود الثقافة في المجتمع سواء كانت الثقافة قديمة أم حديثة إلا أنها هي السمة التي تميز الحضارة المعاصرة، المتمثلة في ضعف الإيمان والتخلي عن العقائد، وانتشار

www.iqra.ahlamontada.com

الانحلال والإباحية، التي انتجت مزيداً من القلق والاضطراب عند أفراد المجتمع، وقد أعطت هذه الظاهرة بعدها وانتشارها في المجتمع المعاصر، ويعتقد بعض الباحثين أن ظاهرة الفراغ تتجلى في صورة الفراغ الفردي بالتقابل مع الناتج السلوكي، ولا يمكن فهمها إلا ضمن هذا التقابل، بحيث أصبح أمراً لابد من معالجته لنمو المجتمع الحديث الصحيح وتطوره.

فمن خلاله يتم تهذيب الفرد الذي يجري سلوكه على نحو دائم ومتزايد في الانضباط والانقياد، وتبين الأدلة أن ليس ثمة فراغ واحد نسبياً من الالتزام المعياري، فما هو فراغ بالنسبة للبعض قد لا يكون فراغاً عند الآخرين. وهذا بدوره يجعل من الفراغ مفهوماً يتسم بالنسبية إلى حد كبير، وربما كان ذلك سبباً يدعونا إلى تدعيم تصورنا للفراغ بوصفه مفهوماً أكثر من مجرد الوقت نسبياً من الالتزام بالعمل والعقيدة والفكر.

فالفراغ مفهوم نفسي اجتماعي يمكن أن يستخدم للإشارة إلى الاتجاهات والعقائد والأفكار، والالتزامات، والتفضيلات، وأنماط التفكير، والاهتمامات ذات الأنواع المتعددة لدى الأفراد والجماعات، خلال فترات من حياتهم اليومية لهم في استثمارها على نحو يشبع حاجاتهم الشخصية ويحقق أهدافهم الخاصة.

ونظراً لأهمية هذه الظاهرة الاجتماعية والنفسية، ذات الجوانب الإيجابية والسلبية، كل ذلك كان حافزاً للخروج بهذه القضية من حيزها المغيب إلى العالم الخارجي بلبوس شفاف وصريح.

www.iqra.ahlamontada.com

مشكلة الدراسة وأهميتها

إذا كان الفرد ـ الإنسان ـ يتألف من مادة وروح ونظام فطري يوافق بينهما، وتتجلى أهمية الفراغ في أنه منطلق التكوين الذاتي، وإعادة إنتاج الحياة الذاتية، من خلال ممارسة أفراد المجتمع نشاطات تسهم في بناء شخصياتهم وتنميتها، فمن خلال معرفة نشاطات الفراغ يمكن الحكم على شخصيات الأفراد.

ويمكن أن تكشف أعمال الفراغ عن مستويات الناس وفراغاتهم ، فإن أنشطة الفراغ تجدد طاقات الفرد الإنتاجية، وتلبي حاجة الفرد والجماعة العقدية والنفسية والاجتماعية، كما تعمل على استعادة القوى التي خسرها الفرد أثناء عمله السابق، مما يعني أن الفراغ مرحلة من مراحل التهيؤ للعمل والإبداع، ولابد من الإشارة إلى أن إساءة استثمار الفراغ، قد يؤدي إلى تصرفات غير سوية، مثل اندفاع الشباب وملل الكبار ويأس الشيوخ إضافة إلى الحوادث المختلفة من سرقة واعتداء، وعدم استقرار عاطفي، وعدم اطمئنان عقدي، وضعف المستوى الثقافي والصحي، وجهل وغفلة وبطالة وإدمان على المسكرات والمخدرات، وهذه كلها سلوكيات تبدد الطاقات الإنسانية وتعرقل تحقيق طموحات تنمية المجتمع.

وتزداد أهمية استثمار الفراغ عندما يتعلق الأمر بالشباب عموماً، هذا الشباب الذي يشكل فئة مميزة في أي مجتمع بشري، لأسباب ذاتية وموضوعية، تتلخص في وجودهم في طبقات المجتمع وفئاته كلها، وهم أكثر فئات المجتمع حركة ونشاطاً، يعدونهم مصدراً من مصادر التغير الاجتماعي، وحالة نفسية اجتماعية انفعالية تتقبل التغيير، وسرعة التوافق مع المتغيرات والتكيف معها بكل جرأة، كما تتصف هذه الفئة بالإنتاج والعطاء والإبداع في المجالات كافة. إنهم المؤهلون قوة وعملاً وثقافة وسلوكاً، للنهوض بمسؤوليات بناء المجتمع، لأن خصائصهم المتميزة تختصر الزمن وتدفع عملية التنمية إلى الأمام.

www.iqra.ahlamontada.com

إن كثرة الفراغ، إضافة إلى الوسائل المتطورة التي انتجها التقدم العلمي والتقني، وعدم التحكم في آليتها وكيفية استثمارها، وقدرتها على جذب الأفراد إليها، تتطلب التخطيط لاستثمار الفراغ، تفهم حاجات الفرد والجماعة ورغباتهم، وإيجاد الوعي بأهمية الفراغ، وتدريب الفرد على حسن استثمار الفراغ، بوضع برامج تحقق له التوازن الانفعالي عقلياً وفكرياً وعقديةً وصحياً واجتماعياً، بحيث يغدو الفراغ منفذاً تعبيرياً عن حاجاته ورغباته. وبذلك يكسب الأفراد أنماطاً من السلوك تفرز صفات إيجابية: مثل التعاون والمحبة والصداقة والأخوة والشعور بالولاء والانتماء، والمنافسة الشريفة، والمبادرة، والعطاء.

ويمكن الفرد والجماعة من التكيف الاجتماعي الذي يتفق مع المعايير الدينية والاجتماعية، وقد يؤدي عدم استثمار الفراغ ايجابياً إلى وقوع الأفراد في مشكلات منها، القلق والتوتر والخوف من الذات والضجر والملل والضياع والسقوط والانهيار الأخلاقي وتناول المسكرات وتعاطي المخدرات والسهر في أماكن منحرفة. وهذه كلها سلوكيات تحط من قيمة الفرد، وزيادة احتمال حدوث مظاهر الضعف والجمود والسلبية والانحراف لديه، وإضعاف شخصيته الإنسانية والإسلامية والاجتماعية.

فالتخطيط في مجال الفراغ عمل وقائي تنموي، يندرج في إطار خطط التنمية الشاملة، التي تحمي المجتمع حاضراً ومستقبلاً، وتصون إمكاناته، وتبعده عن الوقوع في المشكلات التي تمنع تطوره بشكل متوازن

ومن الممكن أن يساعد هذا البحث الدعاة الإسلاميين والمنظمات الشبابية ووسائل الإعلام وكل فرد أو جماعة على وضع برنامج وأطر تلبي حاجات الفرد والجماعة المتصاعدة، من خلال الاهتمام بالإنسان والمجتمع من خلال نشاطهم ودوافعهم وحاجاتهم، ومختلف الظروف والعوامل التي تشبع هذه الحاجات واعتبار الفراغ ظاهرة سلوكية اجتماعية ذات صلة وثيقة بالحياة والبناء وعلم النفس وعلم الاجتماع

www.iqra.ahlamontada.com

.ى تحقيقه، وهو الإسهام في دراسة الطاعة والعمل الصالح والإنتاج بوصفهم يمثلون
ْهم عناصر التنمية الفكرية والاجتماعية الاقتصادية.

ويعدُّ الفراغ، في نظر الكثيرين من المحللين الاجتماعيين وخبراء علم النفس من أهم العوامل المنضوية إلى ممارسة صور متعددة من الضياع والتسيب الأخلاقي، وهذا وحده كاف لإعطاء البحث نسبة هامة من المصداقية، وهو يقدم الحلول الناجعة ـ بعون الله ـ والبدائل الشرعية لاحتواء هذه الأزمة، ويفتح المجال على مصراعيه للتصور الإسلامي، ليدلي بمنهجه في توظيف الزمن والعمر الإنساني ويبدي رأيه ويطرح تعاليمه السامية وموقفه الحازم من الفراغ. **ورحم الله القائل:**

لقد هاج الفراغ عليك شغلاً وأسباب البلاء من الفراغ[1]

إنه الخطأ الخطير والأزمة المروعة، وباتساعه الخطير الذي أبرزته ـ وتفرز من وجوده وتوسع من حدوده وتكثر من أنواعه وألوانه ـ حضارتنا المعاصرة، حتى أصبح خطراً كبيراً وعبئاً ثقيلاً على حركة المجتمع، ومنفذاً لإهدار الكثير من المجهودات البنائية لنهضة الأمة، مهما كانت جدية مشروعها الحضاري الذي تبني نفسها على أساسه. بل إن غياب الضبط والتحليل والترشيد للظاهرة الحضارية الجديدة، وتفصل عنها قضية هامة أساسية لازالت لم تحط بالبحث والتحليل العميق والمعالجة العلمية الرزينة القادرة على إيجاد الحلول الناجعة لامتداد الصحوة الإسلامية، مع أن قضايا المجتمع الإسلامي طرحت بجميع أصنافها وألوانها، أجد الفراغ من أعتى الإشكاليات المسببة لتعقيد الحياة وظروفها، والفراغ يمثل دليلاً على وجود خرق في المشروع الحضاري توتى الأمة من قبله. وهكذا ندرك تمام الإدراك أن آثار الفراغ في حياة الأمة الإسلامية أخطر منها في المجتمعات الأخرى، بالنظر إلى موقع الأمة المهزوز ـ سياسياً

(١) الماوردي: علي بن محمد: أدب الدنيا والدين: تحقيق مصطفى السقا، دار الفكر، دمشق، د ر، د ت، ص ٦٣.

www.iqra.ahlamontada.com

وعلمياً واقتصادياً وعسكرياً ـ في عقد المنظومة الدولية العالميـة، فانتماؤنـا إلى العـالم الثالث وكوننا نمثل الدم الرخيص إرهاقاً وإزهاقاً مقارنة بأي دم آخر !!.

كل ذلك كان سبباً لأهمية البحث.

أهداف الدراسة

بعد عرض مشكلة الدراسة يمكن بلورة أهدافها على الشكل التالي:

١- تحديد فوائد نعمة الفراغ عند الفرد والجماعة.

٢- الكشف عن أنواع الفراغ وتميزها وطرح علاجها.

٣- تحديد العلاقة بين الفراغ والفرد والمجتمع والمتغيرات السابقة وفوائد استثمار الفراغ.

٤- تقديم التوصيات اللازمة.

الدراسات السابقة

١ــ دراسة إحسان محمد الحسن (الفراغ ومشكلات استثماره)،(ص ٣٧-٤٦)

المشكلات الاجتماعية والحضارية لاستثمار أوقات الفراغ، على اعتبار الفراغ مسألة هامة وله قيمة للفرد والمجتمع، وأن مشكلات وقضايا الفراغ ذات عقد مما تعقد برامج ووسائل حلولها والقضاء عليها، وانغمار الفرد في مجال العمل وعدم مشاركته الإيجابية في نشاطات الفراغ لابد أن تقتل روح العمل المبدع، وأخيراً يعاني الفراغ من مشكلة مهمة ألا وهي عدم القدرة على التمييز بين نشاطات العمل ونشاطات الفراغ.

www.iqra.ahlamontada.com

وخلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

أ- على الأفراد أن يدركوا أهمية تقسيم الوقت إلى عمل ووقت فراغ وترويح، ويجب عليهم الاستفادة من كلا الوقتين في الفعاليات الإنتاجية والترفيهية التي تنمي المجتمع وتطور شخصية الفرد في نفس الفرد.

ب- ضرورة قيام الأفراد بالمشاركة في أنشطة الفراغ والترويح المبدعة والخلاقة كالمطالعة والكتابة .

ج- المساهمة في أنشطة وفعاليات المنظمات المهنية والشعبية كالمشاركة في حملات العمل الشعبي والسفرات العلمية والندوات والمؤتمرات والحلقات الدراسية والمسابقات العلمية والثقافية ... الخ

د- على الأفراد جميعاً تكوين وبلورة الصفات الذوقية والجمالية عندهم.

هـ- ينبغي على الأفراد مهما تكن خلفياتهم الاجتماعية ومستوياتهم الثقافية والمهنية التي تثمن أنشطة الفراغ والترويح وتحفز الأفراد على المشاركة فيها والاستفادة من برامجها.

و- على أبناء المجتمع زرع المفاهيم والقيم المشجعة على استثمار الفراغ.

٢ـ دراسة عبدالله بن ناصر السرحان (١٩٩٤) وعنوانها وقت الفراغ وأثره في انحراف الشباب.

جرت الدراسة خلال عام ١٩٩٣ في مدينة الرياض عاصمة السعودية، وهدفت إلى معرفة العلاقة بين كيفية قضاء وقت الفراغ الانحراف لدى الشباب، بلغ حجم العينة ٣٠٠ حدث موزعة على فئتين: الأولى تمثل ١٥٠حدثاً من فئة الأحداث الجانحين المودعين في دار الملاحظة الاجتماعية في مدينة الرياض، الثانية تبلغ ١٥٠ حدثاً تمثل الأسوياء طلاب مدارس مختلفة في المرحلة المتوسطة والثانوية في مدينة الرياض أيضاً. وقد أظهرت الدراسة وجود علاقة بين كل من: مكان قضاء وقت الفراغ، ونوعية

www.iqra.ahlamontada.com

المشاركة، ونوعية الوسيلة، وبين انحراف الأحداث على الرغم من أن هذه العلاقة ربما لاتكون مباشرة وذات أثر غير واضح، فإن المحصلة النهائية لها تكون انحرافاً على الأقل تهيئة مناخ مناسب للانحراف. وفي النهاية قدمت الدراسة توصيات هامة إلى الجهات المعنية.

٣ــ دراسة مادون رشيد /١٩٩٨/ بعنوان قضايا اللهو والترفيه بين الحاجة النفسية والضوابط الشرعية (ص ٢٣- ص ٦٣) إشكالية الفراغ في المجتمع الإنساني.

هدفت هذه الدراسة إلى توضيح الحكم الإسلامي في بعض حالات الترفيه واللهو محاولاً تنظيم أوقات الترفيه وتوضيح معالم الفراغ فيها، وتوصلت إلى أهم النتائج في البحث وهي:

أ- إن عواقب الفراغ في حياة المسلمين عواقب وخيمة.

ب- ظاهرة تناول المخدرات لدليل قاطع على مدى خطورة نتائج غياب التخطيط الحكيم والمسؤول لوقت الفراغ.

ج- اهتمامات العالم الغربي الجادة بوقت الفراغ.

هـ- إن العمر الإنساني ليس ملكاً للإنسان.

٤ــ دراسة (أحمد حسن كرزون) بعنوان الشباب وأوقات الفراغ.

توصل إلى تحديد الوسائل التي دعا الإسلام إليها لاستثمار أوقات الفراغ، وخطورة إشغال وقت الفراغ من غير تنظيم أو مراقبة، ثم حدد أهداف استثمار أوقات الفراغ. وهدفت دراسته إلى:

أ- استثمار أوقات الفراغ.

ب- تعزيز التزام الفرد بالمنهج الإسلامي.

ج- دعم القدرات، والمواهب العلمية، والتقنية، والمهنية.

د- قدرات التقصير والقعود على حب النظام.

www.iqra.ahlamontada.com

٥ــ دراسة (فتحي يكن ومنى حداد) بعنوان الشيوعية والفراغ الروحــي، (ص ٨٨- ص ٩٧) الخلفية الروحية للبريسترويكا، الإنسان في المنظور الإسلامي، الإنسان في المنظور الشيوعي، وأنتجت الدراسة عن:

١- الخارجون اليوم من جحيم كبت المادة كردة فعل على المعاناة التاريخية الطويلة.

٢- هذه لغة من لغات الإفصاح والتعبير عن الجوعة الروحية التي يعيشها الجميع.

٣- يجب على العالم الإسلامي تقديم الإسلام بلساني الحال والمقال إلى هذه الشعوب الجائعة روحياً المحبطة نفسياً، المهدودة معنوياً، ومادياً.

٦ــ دراسة (إبراهيم درويش ومحمد أبو سمرة) وعنوانها سيكولوجية الفراغ، وخطره على الفرد والمجتمع، (ص ٨- ص ٣٥).

يجدد في دراسته نظرية الفراغ من خلال الماهيات العامة وأنواع الفراغ بشكل عام حيث ذكر الفراغ السياسي والاجتماعي والديني بإشكالية العامة.

بعض الملاحظات على الدراسات السابقة:

١- مع حاجتنا الملحة لتحقيق القول في هذا البحث، فإنه لم يحظ باهتمام بالغ ودراسة مستفيضة في مستوى حجم أهميته وضرورته في حياة الفرد والجماعة من طرف علمائنا القدماء والمحدثين فالغالب على الأقدمين أنهم بحثوا وأجادوا ولكنهم تركوه متناثر في صفحات إبداعهم في كتبهم وأفعالهم وأقوالهم وأذكر في هذا النمط(بهجة النفوس) لابن أبي جمرة و (الروح) لابن القيم و (صيد الخاطر) لابن الجوزي.

أما المحدثون فقد وقفوا على العديد من الرسائل والمؤلفات في موضوع وقت الفراغ أو قيمة الزمن بل كانت محور كتب كثيرة أمثال (قيمة الزمن عند العلماء) لعبد الفتاح أبو غدة، و (الوقت هو الحياة) لعبد الستار نوير، و (تأملات وسوانح في قيمة الزمن) لخلدون الأحدب، و (الوقت عمار أو دمار) لجاسم بن محمد بن بدر المطوع، وغيرها.

٢- تناولت الدراسات السابقة الفراغ من ناحية واحدة وهي الزمن وأنشطته التي تمارس فيه في أوقات الفراغ

www.iqra.ahlamontada.com

٣- أجمعت الدراسات السابقة على دراسة المتغيرات وعلاقتها بأنشطة وقت الفراغ دون الربط ما بين أنواع الفراغ وتحديد المشكلة.

٤- إضافة إلى تحديد بعض المتغيرات وإهمال بعضها، فقد تناولت بعض الدراسات السابقة علاقة متغير الزمن (عبد الفتاح أبو غدة) أو متغير العمر (إحسان الحسن) أو متغير المعرفة والعلم (محمد علي) وبعضهم حول متغير الجنسية أو متغير الإقامة أو متغير بعض العوامل النفسية.

قبل أن نوضح ما هو المقصود بالفراغ وأثره الذي نتحدث عنه في هذه الأطروحة، لابد أن نتعرف على السلوك الإنساني.

فالسلوك الإنساني: يتمثل في سلسلة مترابطة من الأفعال وردود الأفعال، التي تصدر عن الإنسان في محاولته المستمرة لتحقيق أهدافه وإشباع رغباته المتطورة والمتغيرة.

كذلك هي الأفعال أو الاستجابات التي يعبر بها الإنسان عن قبوله أو رفضه لمحاولات التأثير الموجهة إليه من عناصر المناخ المحيط به سواء أكانت عناصر بشرية أم مادية.

ويعدُّ الشعور بالقيم مصدراً للسلوك وليس السلوك مصدر القيم لأن القيم مصدر السلوك الذي يحقق الخير الذي هو غاية السلوك الإنساني الذي ينتهي إلى تحقيق الخير الخاص والعام.

ومظاهر الحضارة المادية التي نستخدمها في إشباع حاجاتنا هي الأخرى نتاج الجهد الإنساني وبالتالي فإن الإحساس بالفراغ حتماً سيؤدي إلى نتائج واضحة في السلوك الإنساني، وفي سلم القيم وإنتاجها.

فالفراغ داء قاتل للفكر والعقل والطاقات الجسمية، إن النفس لابد لها من حركة وعمل فإذا كانت فارغة من ذلك تبلد الفكر وثخن العقل وضعفت حركة النفس واستولت الوساوس والأفكار الرديئة على القلب وربما حدث له إرادات سيئة شريرة يُنفس بها عن الكبت الذي أصابه من الفراغ.

www.iqra.ahlamontada.com

الفراغ الذي نتحدث عنه هو الإحساس أو الشعور الذي يشعر به الفرد مع نفسه، نظراً لحاجته لهذا الشيء حيث أن الإنسان يحس بأشياء كثيرة تلزمه ويحتاج إليها بطبيعة تكوينه البشري.

فقد يشعر الفرد أنه بحاجة إلى المال لتحقيق بعض أهدافه أو شراء بعض مستلزماته وفي هذه الحالة فإنه يعاني من الفراغ المادي وكذلك الفراغ قد يكون(فراغاً دينياً) أو (فراغاً عسكرياً)، أو(فراغاً عقلياً) و(عاطفياً)، وقد يكون فراغاً(سلوكياً) و(أخلاقياً)، أو فراغاً (اجتماعياً)، أو فراغاً (ثقافياً) وقد يكون فراغاً (سياسياً) وقد يكون هذا الفراغ على مستوى الفرد أو على مستوى الأسرة والجماعة والمجتمع أو على مستوى الأمة بأكملها، وقد ينتشر الفراغ الأمني على مستوى الأمم والشعوب كما في حالة الفراغ العسكري، وقد يكون فراغاً كلياً.

الماهيات والمدلولات

قبل أن نوضح ما هو المقصود بالفراغ وأثره الذي نتحدث عنه في هذه الأطروحة، لابد أن نتعرف على السلوك الإنساني.

فالسلوك الإنساني يتمثل في سلسلة مترابطة من الأفعال وردود الأفعال، التي تصدر عن الإنسان في محاولته المستمرة لتحقيق أهدافه وإشباع رغباته المتطورة والمتغيرة، كذلك هي الأفعال أو الاستجابات التي يعبر بها الإنسان عن قبوله أو رفضه لمحاولات التأثير الموجهة إليه من عناصر المناخ المحيط به سواء أكانت عناصر بشرية أم مادية.

ويعد الشعور بالقيم مصدراً للسلوك وليس السلوك مصدر القيم لأن القيم مصدر السلوك الذي يحقق الخير الذي هو غاية السلوك الإنساني الذي ينتهي إلى تحقيق الخير الخاص والعام.

ومظاهر الحضارة المادية التي نستخدمها في إشباع حاجاتنا هي الأخرى نتاج الجهد الإنساني وبالتالي فإن الإحساس بالفراغ حتماً سيؤدي إلى نتائج واضحة في

www.iqra.ahlamontada.com

السلوك الإنساني، وفي سلم القيم وإنتاجها.

فالفراغ داء قاتل للفكر والعقل والطاقات الجسمية، إن النفس لابد لها من حركة وعمل فإذا كانت فارغة من ذلك تبلد الفكر وثخن العقل وضعفت حركة النفس واستولت الوساوس والأفكار الرديئة على القلب وربما حدث له إرادات سيئة شريرة يُنفس بها عن الكبت الذي أصابه من الفراغ.

الفراغ الذي نتحدث عنه هو الإحساس أو الشعور الذي يشعر به الفرد مع نفسه، نظراً لحاجته لهذا الشيء حيث أن الإنسان يحس بأشياء كثيرة تلزمه ويحتاج إليها بطبيعة تكوينه البشري.

فقد يشعر الفرد أنه بحاجة إلى المال لتحقيق بعض أهدافه أو شراء بعض مستلزماته وفي هذه الحالة فإنه يعاني من الفراغ المادي وكذلك الفراغ قد يكون فراغاً دينياً أو فراغاً عسكرياً، أو فراغاً عقلياً وعاطفياً، وقد يكون فراغاً سلوكياً وأخلاقياً، أو فراغاً اجتماعياً، أو فراغاً ثقافياً وقد يكون فراغاً سياسياً وقد يكون هذا الفراغ على مستوى الفرد أو على مستوى الأسرة والجماعة والمجتمع أو على مستوى الأمة بأكملها، وقد ينتشر الفراغ الأمني على مستوى الأمم والشعوب كما في حالة الفراغ العسكري، وقد يكون فراغاً كلياً.

وفي الفقرات التالية سوف نستعرض الفراغ من ناحية التعريف والأنواع والنشأة والأسباب والآثار:

١- الماهية: [1]

تعريفه: لغة: فَرَغَ: الشيءُ ـ فُرَاغاً و فُروغاً: خَلا، يقال فَرَغَ الإناءُ، وفَرَغَ الفؤادُ ـ ومن الشيء.

---

(١) تطلق غالباً على الأمر المتعقل، مثل المتعقل من الإنسان، وهو الحيوان الناطق مع قطع النظر عن الوجود الخارجي، والأمر المتعقل، من حيث إنه مقول عن جواب ما هو، يسمى: ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج، يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الاغيار، يسمى هوية، ومن حيث حملِ اللوازم له يسمى ذاتاً، ومن حيث يستنبط من اللفظ يسمى مدلولاً، ومن حيث إنه محل الحوادث جوهراً.
الجرجاني، محمد بن علي: التعريفات، مصدر سابق، ص ٢٥٠- ٢٥١.

www.iqra.ahlamontada.com

تَمه ـ و ـ إلى الشيءِ وله: قَصَدَهُ. ويقال في الوعيد: لأفرُغَنَّ لك [1]

وفي التنزيل قال الله سبحانه و تعالى ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾[2]

فَرُغَ: الفَرَسُ ـ فَرَاغَةً: تَوَسَّعَ في سَيرِهِ وسُرْعَتِه ـ والطَّعْنَةُ: اتَّسَعت، فهو فَرِيغٌ. وهي فَريغٌ وفَرِيغَةٌ.

أَفْرَغَ: الإناءَ: أخْلاهُ مما فيه. والشيءَ: ألقاه من وعِائه. يقال: أفْرَغَ الماءَ. ويقال: أفرغ الدماءَ: أراقَها. وأفرغ الذهب والفضة ونحوها من المعادن المصهورة: صَبَّها. قال(ﷻ):

﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾[3]

والله الصبر على القلوب أنْزَلَهُ في التنزيل قال (ﷻ): ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[4]

فَرَّغَ: الشيءَ أخلاهُ. يقال فَرَّغَ الإناءَ، وفَرَّغَ المكان ـ و ـ ما في الوعاء: صَبَّه. (تَفَرَّغَ): من الشغل: تَخلَّى عنه ـ وله ـ تَخلَّى له. (الفارِغُ): الخالي يقال: إناء فارغٌ، وقول فارغٌ، وقلب فارغٌ: وفي التنزيل: قال الله تعالى:

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5] .

---

(١) مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، ج١، مجمع اللغة العربية، القاهرة، در، د ت، ص ٦٩١.

(٢)سورة الرحمن: الآية (٣١)

(٣)سورة الكهف: الآية (٩٦)

(٤) سورة البقرة: الآية (٢٥٠).

(٥) سورة القصص : الآية (١٠).

www.iqra.ahlamontada.com

(الفَرَاغُ): الخلو- و - المكان الخالي.

الفراغة: القلق والجزع. و(الفِرغ) يقال ذهب دمه فِرغاً: هدراً [1] فَرِغَ يفـرغ، مثـال سَمِعَ يَسْمَعُ، لغة في فَرَغَ، مثال نَصَرَ يَنْصُرُ. وفَرِغ يَفْرُغ. أيضا مركـب مـن لغـتين. ورجل فَرِغٌ، أي فارغ. ومنه قراءة أبي الهذيل:

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2].

يقال فَرِغ وفارغٌ، فَكِهٍ ، وفاكِهٍ ، وقرأ الخليل: فُرُغاً بضمتين، بمعنـى مُفَـرَّغٌ. كـذلك بمعنى مُذَلّل.ويقال:عني بالفراغِ ضرعها أنه قد جَفَّ ما فيه من اللبن فتفضن [3].

- فرغ، الفراغ: الخَلاءُ، فَرَغَ يَفْرَغُ ويَفْرُغ فراغاً وفروغاً وفَرغ يَفْرَغ. وفي التنزيل:

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

أي خالياً من الصبر وقرئ فُرغاً أي مُفْرَّغاً وَفرَّغَ المكان: أخلاه.

وقد قرئ: «**حتى إذا فرغ عن قلوبهم، وفَرَّغَ قلوبهم من الفزع**».

وتفريغُ الظروف: إخلاؤها. وَفَرَّغتُ من الشغلِ أفْرُغُ فروغاً وفراغاً وتفرغـت لكـذا واستفرغت مجهودي في كذا أي بذلتُهُ [4].

- فَرَغَ: خلوّ، خواء، خلاء. فراغ: عطلة عن العمل، زمن البطالة،

---

(١) مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، ح١، مرجع سابق، ص ٦٩١.

(٢) سورة القصص: الآية (١٠).

(٣) الصنعاني، الحسن بن محمد: التكملة والذيل والصلة، ح١، حققه عبد العليم الطماوي، راجعه عبد الحميد حسن، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ص٤١٩-٤٢٠.

(٤)ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ح٨، دار صادر بيروت، دت، ص ص ٤٤٤- ٤٤٥

www.iqra.ahlamontada.com

ـ حول الفراغ: أمور الملذات البسيطة، فارغ: خال عن العمل، عاطل عن العمل، بطـال. وفارغ: فاضٍ، قاعد عن العمل، بطال عاطل. فارغ: عبث، سدى، باطل.

فارغ أو بالفارغ: عبثاً بلا جدوى[1].

خلو المكان من الأجسـام، نسـبياً أو مطلقـاً [2] في التعريـف الفيزيـائي، الفـراغ هـو المكان الذي لا مقاومة ـ كافية ـ فيه للحركة ولا سبب ـ كاف ـ لحدوثها[3].

الفراغ: الفـراغ بالنَسـكريتية شـويناتا shunyata، وبالباليـة سـنناتا sunnata، هـو مفهوم هام معادٍ للبوذية، وربمـا اسـتخدم للإشـارة إلى التأمـل المتتـابع لإظهـار طبيعـة المسالمة، الخالية تماماً من الإلتهاء الصاخب أو الإزعاج الماكر، وهو أحياناً يشـير إلى التقصير (فيباسانا ـ vibassahna) حينمـا تبـدو الظـواهر كمـا لـو كانـت خاليـة مـن (الإناتا ـ Anatta) الذاتية أو أي شيء مشابه، وأحياناً إلى الينبانـا أو التسـامي الفكـري (نيبانـا ـ Nibbana) (لوكاتـارا ـ Loknttara) بمعنـى الخلـو مـن الشـرُ، والكراهيـة والخداع، وفي (الماهايانا ـ Mahayana) البوذية كثيراً ما يؤكـد الفـراغ خاصـتهُ في (الشنياتانادا ـ Shunyatarata)، التي تعني بشكل أولي الحرية من الأفكار والمفـاهيم المتزايدة، وإدراك أن الظواهر خالية من أي وجود جـوهري يتميـز بكونـه أكثـر عمقـاً، وهذا يجب أن لا يفسر بأنه عدمية أو تأكيد عدم حقيقة التجربة العادية، بل إن هـذا في ذاته موقف ومن ثم ليس " فراغاً " وما يمكن تصوره حقاً هو نوع مـا مـن التحـول في الفهم يؤدي إلى الارتخاء وسهولة العمل[4].

---

(١)دوزي، دينهارت: تكملة المعاجم العربية، ح٨، تحقيق محمد سليم النعيمي، مراجعة – جمال الخيـــاط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧، ص٥٤

(٢)(ليس من فراغ مطلق في المكان الفيزيائي ولا في الزمان)

(٣)الحلو، عبده: معجم المصطلحات الفلسفية، فرنسي، عربي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٤ هـــ – ١٩٩٤م، ص١٧٦، (بتصرف).

(٤) زكار، سهيل: المعجم الموسوعي للديانات والعقائد، ح٢، دار الكتاب العـــربي، دمشـــق، الطبعـــة الأولى ١٤١٨هـــ – ١٩٩٧م، ص ٦٣٣، ص ٦٣٤

www.iqra.ahlamontada.com

فراغيٌّ: من أنصار القول بالفراغ، وهو مصطلح قليل الاستعمال. (Vacuiste).

فَرَاغٌ: Vacuum لفظ لاتيني كثير الشيوع في مصنفات القرن السابع عشر[1].

من ألفاظ الفراغ:

١- أغرب: أتى الغرب و ـ صار غريباً. و ـ ارتحل ـ و جاء بالشيء الغريب البعيد عن الفهم.

وفي الأرض: أمعن فيها مسافر سفراً بعيداً. ويقال: رمى فأغرب: أبعد المرمى.

و ـ الشيء: نحاه وأبعده.[2]

ـ اغترب: يعني أن " يكون الآخر " وفلسفياً يفيد عملية تحويل منتجات النشاط الإنساني والاجتماعي إلى شيء مستقل عن الإنسان ومتحكم فيه.

عند هيغل[3]: العالم هو الروح المطلق في حالة اغتراب.

عند ماركس[4]: الاغتراب يعني فقدان الإنسان لذاته، ـ الاجتماعية ـ

---

(١) عبده، الحلو: معجم المصطلحات الفلسفية، مرجع سابق، ص١٧٧

(٢) مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، ح٢، مرجع سابق، ص ٦٥٣

(٣) هيغل: جيورغ ويلــهلم فريــدريك (hegel georgwi helm fredreic) شــتوتغارت (١٧٧٠م-١١٨٣م هــ، برلين ١٨٣١م – ١٢٤٦ هــ فيلسوف ألماني درس في مدينته مسقط رأسه أنتقل منــها، بعد أن أتم دراسته، انتقل إلى جامعة كوبن هاغن البروتستانتية سنة ١٧٨٨م.عمل مؤدباً ومحاضراً ورئيس لمجلة غازيت دي بامبرغ، وأستاذ في جامعة هايدلبروغ، وتولى مناصب أخرى. ومن مؤلفاته – اخــتلاف مذهبي نشتة شلينغ الفلسفيين، الإيمان والمعرفة، المنطق الكبير وغيرهما. اهتم هيغل في بدء نتاجه الفلســفي بمسائل الدين والتاريخ ثم تطور فكره فأعتبر الفلسفة وسيلة تعد عن الحياة الإنسـانية في تاريخهــا. خلــص هيغل من مجمل دراساته في العقل والتاريخ هذه إلى مذهب فلسفي يقوم على منطق كامل ينجــز الحيــاة ويحقق المعرفة المطلقة.

(٤)ماركس، كارل (marx karl) (ترير ١٨١٨م –١٢٣٣هــ ولندن ١٨٨٣م –١٣٠٠هــ) ماركس هو المنظر الأول للاشتراكية، العلمية والمنظم الأساسي للحركة العمالية العالمية في زمانه. والواقع أن تحليل النظرية الماركسـية كانت و لا تزال عرضة للصراعات الإيديولوجية والسياسية، هذه الصراعات بدأت منذ حقبة النشاط الماركسي واستمرت خلال الحقبة الثانية مع تاريخ الحركة العمالية، يقــول مــاركس (إن تاريخ كل مجتمع حتى أيامنا لم يكن سوى تاريخ صراع الطبقات) من الملاحظ إذاً أن مــاركس بــنى نظريته التاريخية على القوانين الاقتصادية إذاً هدف البروليتاريا يتمحور حول تحقيق الانتصار علــى رأس-

www.iqra.ahlamontada.com

الاغتراب: يتناول في الاستخدام المعياري الثالث اغتراب داخل الشخصية أو الاغتراب الداخلي هو مشتق أيضاً من الاستخدام اللاتيني والذي يشير مثله لجعل العلاقة الدافعة مع الآخرين علاقة فاترة.

والاغتراب أيضاً: تشتت الذهن بين القديم والجديد بالقدر الذي يفقد معه الإنسان سيطرته الكاملة.

٢- الخواء: خوية الدار وخوت خياً وخوياً وخواءً وخواية: أقوت وخلت من أهلها.

وأرض خاوية: خاليةُ من أهلها، خوت الدار تهدمت، وسقطت، ومنه قال (ﷻ):

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١)

أي خالية، كما قال (ﷻ): ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ (٢)

أي خالية وقيل ساقطة على سقوفها، وقد تكون خاوية من المطر، وخوى البيت إذا انهدم، ومنه قول الخنساء رضي الله عنها(٣):

كان أبو حسان عرشاً خوى ... فما بناه الدهر دانٍ ظليلُ

=المال والقيمة الفائضة، كشرط أساسي لقيام مجتمع دون طبقات، تحكمه العدالة والمساواة. - ألفا، زوني إيلي: موسوعة إعلام الفلسفة، ح٢، مرجع سابق، ص ص٤١٦-٤٣٤ (بتصرف).

(١)سورة النمل : الآية (٥٢)

(٢) سورة الحج: الآية (٤٥).

(٣) الخنساء: (......- ٢٤هـ، ٦٤٥م) تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السُلمية، من مضر، أشهر شواعر العرب، وأشعرهن على الإطلاق. عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام وأسلمت، ووفدت على رسول الله (ﷺ) مع قومها بني سليم، أكثر شعرها رثاء لأخويها (صخر ومعاوية) وكانا قد قتلا في الجاهلية، لها ديوان شعر – ط وكان لها أربعة بنيين شهدوا القادسية (سنة ١٦) فجعلت تحرضهم على الثبات حتى قتلوا جميعاً فقالت الحمد لله الذي شرفني بقتلهم.

- الزركلي، خير الدين: الأعلام، قاموس تراجم، ح٢، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠ م، ص٨٦.

www.iqra.ahlamontada.com

وفي حديث سهل بن عبد الله التستري:فإذا هم بدار خاوية على عروشها.خوى: أي تهنم ووقع، خوى إذا سقط وخلى. وعروشها سقوفها. ومنه قوله (ﷻ):

﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [1]

أعجاز النخل: أصولها وقيل خاوية نعت للنخيل لأن النخل يذكر و يؤنث، وقال (ﷻ) في موضع آخر

﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ [2]

المنقعر: المتقلع عن منبته، وكذلك الخاوية: معناها معنى المنقلع، وقيل منبتها فيها، ومعنى خلت كما تخوي الدار خوياً إذا خلت من أهلها وخوت الدار أي باد أهلها وهي قائمة بلا عامر [3]. (الخواء) من الأرض: سَرَاحُها. و ـ الفراغ. والفراغ بين السماء والأرض. والفراغ بين الشيئيين [4]

اصطلاحاً:

ـ **الفراغ**: وفيه عدة تعار يف، قد جمع الدكتور إحسان محمد الحسن تعار يف هي:

١- الواقع أن علم الاجتماع يعدّه ظاهرة اجتماعية شأنها شأن ظواهر المجتمع الأخرى ولها جوانبها السليمة والمعتلة، ولها أيضاً ارتباطاتها بمختلف أجزاء وعناصر البناء الاجتماعي الأشمل، وتتصل بحياة الأفراد والجماعات الذين يشكلون التنظيم الاجتماعي للمجتمع ككل. [5]

---

(١) سورة الحاقة: الآية (٧).

(٢) سورة القمر: الآية (٢٠).

(٣)ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ج٥، مصدر سابق، ص ١٠٩ (بتصرف)

(٤)مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، ج١، مرجع سابق، ص٢٦٣

(٥) محمد، محمد علي: وقت الفراغ في المجتمع الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥- ١٩٨٠ ص٣٥

www.iqra.ahlamontada.com

٢- الفراغ: المفهوم الاجتماعي له هو: مصطلح يشير إلى فكرتين يجب تحديدهما: الوقت والنشاط.

أ – وقت الفراغ هو وقت خال من العمل والالتزامات الأخرى

ب- النشاط: الذي يمارس خلال هذا الوقت يتسم هو الآخر بدرجة عالية من الشعور بالحرية النسبية، فهو إذاً. تجرد الفرد بالنظر إلى عدد من النشاطات الاجتماعية.

ج- الفراغ: اسم على مسمى: إنه الامتداد غير المحدود للأشياء إن امتداد المادة (أي ما تشغله من حيز في الفراغ). يعطي لنا مفهوم الفراغ، ولا يمكن عدّه مادة الفراغ يحتويها، فهل يمكن اعتبار فراغ من دون مادة فيه، أم أنه لاشيء[1]؟.

يوصف أحياناً الفراغ بأنه: نسيج متصل.

وهناك تعريفات أخرى ولكن سأقف عند تعريف أجد فيه أن يكون جامعاً مانعا – يبدو أن التعريف المقبول ـ فالفراغ: مفهوم يمكن أن يستخدم للإشارة إلى الاتجاهات والرغبات والتفضيلات وأنماط التفكير، والاهتمامات ذوات الأنواع المتعددة لدى الأفراد والجماعات. خلال فترات من حياتهم يكون لهم الحق في استغلالها(فهو إذاً تجربة الفرد أو الجماعة بالنظر إلى عدد من النشاطات)قال أبو علي بن مسكويه رحمه الله[2]: (إن النفس لا تعطل الجوارح إلا عند النوم، والعقل يستهجن البطالة، ولابد من

---

(١) محمد، محمد علي: وقت الفراغ في المجتمع الحديث، مرجع سابق: ص٣٥-٣٦.

(٢) ابن مسكويه: (توفي في أصفهان ٤٢١هـ –١٠٣٠م) حياته هو أبو علي أحمد بن محمد الملقب بمسكويه (أي رائحة المسك) كان مجوسياً فأسلم. أهتم بالأدب والفلسفة والكيمياء وحاول أن يستخرج الذهب بالطبخ فباءت محاولته بالفشل. اتصل بابن العميد وصادقه وكاتبه وتميز بقوة العبارة ومتانة الأسلوب من مؤلفاته: ١- الأخلاق ٢- تجارب الأمم وتعاقب الهمم ٣- أدب العرب والفرس.وغيرها.فلسفته: اهتم ابن مسكويه بالتاريخ والأخلاق ومدحه نصير الدين الطوسي في كتاب" الحكمة الخالدة "- ألفا، زوني إيلي: موسوعة أعلام الفلسفة العرب و الأجانب، ح١، مرجع سابق، ص٣٨(بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

تحريك الأعضاء في اليقظة إما بقصد وإراده وبصناعة ولأغراض مقصودة وإما بعبث ونهو عند غفلة وسهو)[1].

ولأجل ذلك نهت الشريعة عن الغفلة ونهى الأدب عن الكسل، وأمر الناس وسوّاس التمدن بترك العطلة واشتغال الناس بضروب الأعمال. ولقباحة العطلة، ونفور العقل عنها استغل الفراغ بلعب الشطرنج والنرد على سخافتهما، وأخذهما من العمر، وذهابهما بالزمان بغير حائل، فإن الجلوس بلا شغل وحركة بغير ضرورة أمر يأباه الناس كافة.

د- الفراغ عند القدماء ينظر اليونانيون إليه (بأنه فكرة تقوم على التربية بتنمية النفس والروح أكثر مما قامت على فكرة الوقت الحر. والمعنى الأصلي للكلمة اليونانية Schoie هو السكون أو السلام ثم أصبح معناها بعد ذلك الوقت الذي ينبغي قضاؤه كفراغ أو الوقت الذي يخلو فيه المرء لنفسه. يقول هوبز[2] (وقت الفراغ هو أبو الفلسفة).

هـ - الفراغ في المجتمع الصناعي: يمثل في حد ذاته مصدراً بديلاً لقيم خلقية يمكن أن تحل محل تلك القيم التي يطورها العمل والإنتاج وما يتصل بهما من

---

(١) التوحيدي، أبو حيان ومسكويه: الهوامل والشوامل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٧٠هـ ١٩٥١م، ص٢٧٦

(٢) هوبز، توماس (١٥٨٨م-١٦٧٩م) (hobbes thomas) فيلسوف إنكليزي. ولد في وسبورت في وينشاير، تلقى تعليمه في جامعة اوكسفورد، عمل عند فرنسيس بيكون كاتباً ومعاوناً له في نقل مؤلفاته إلى اللاتينية. سافر إلى فرنسا وأقام فيها. فعرف فيها " مبادئ أقليدس " وكان واحداً من الذين عرضت عليهم " تأملات ديكارت " من مؤلفاته " مبادئ القانون الطبيعي والسياسي " في الإنسان، في الجسم، التنين "

- الحاج، كميل:الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، عربي ـ إنكليزي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص٦٣٦ (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

تقسيمات طبيعته وضروب للاستقلال، وحالات الاعتداء تبدو بصورة واضحة عند العامل الصناعي في النظام الرأسمالي.

و- الفراغ في المجتمعات الحديثة: فإننا نستطيع أن نميز بين ثلاثة مداخل أساسية حاولت تحليل العلاقة بين الفراغ والعمل.

المدخل الأول: هو الذي يتبنى وجهة النظر الدينية. وهو يذهب إلى أن العمل هو المهمة الرئيسية الجادة، وأن الفراغ شيء جانبي أو ليس له وجود.

المدخل الثاني: فهو ينظر للفراغ بوضعه هدفاً للحياة، والعمل هو مجرد وسيلة لتحقيق هذا الهدف لقول " سقراط إن وقت الفراغ هو أثمن ما نمتلك ".

المدخل الثالث: النظرة التكاملية لكل من الفراغ والعمل باعتبارهما جانبان متفاعلان يثري كل واحد منهما الآخر. فيكون على ثلاثة أنماط: أولوية العمل، أولوية الفراغ، التعادل بين العمل والفراغ[1].

ح- الفراغ: عند المحدثين: هو عدد الساعات والدقائق الزائدة على الزمن اللازم للقيام بأعمال اليوم الرتيبة المطلوب من كل فرد القيام بها.

ط- " الوقت الذي يكون الفرد حراً فيه بعد قيامه بأعباء اليوم المطلوبة ".

يقول شيشرون [2]: وإن تمضية وقت الفراغ بكرامة لهو المطلب الأول لجميع الرجال العقلاء والشرفاء "

---

(١)محمد، محمد علي: وقت الفراغ، في المجتمع الحديث، مرجع سابق، ص٥٠ (بتصرف).

(٢) شيشرون (١٠٦-٤٣ ق.م) (cicero) كاتب وخطيب روماني، تدرب على الفلسفة منذ شبابه، فكان مستمعاً وصديقاً لكبار الأساتذة في الأكاديمية ومدرسة الرواق، والمدرسة الأبيقيرية، ومن جراء ذلك إصابته بأزمة شخصية واخفاق سياسي، قرر أن يعوض عنهما بإطلاق قواه بأسرها في مجال الفكر ظهرت له في خلال مدة وجيزة من الزمن سلسلة طويلة من الكتب، اتخذت شكل المحاورة، وكانت تحتوي مختلف أقسام الفلسفة المعاصرة له، من مؤلفاته "المقالات الأكاديمية، غايات الخيرات والشرور، المقالات التوسكولامية، طبيعة الآلهة.

- الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مرجع سابق، ص٣٢٢(بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

التحديد العلمي لمفهوم الفراغ:

أول ملاحظة تثير انتباهنا عندما نستعرض مفاهيم الفراغ عند المعاصرين تميزها خصائص وطبائع مسقط رأسها الفكري، فعامة مدلولاتها ومضامينها تتصل بالجذور الإيديولوجية لأصحابها ومنظريها.

ويتضح ذلك من خلال معظم كتابات الباحثين الغربيين في موضوع علم اجتماع الفراغ

ومن التعاريف المشهورة: (إن وقت الفراغ في أفضل معانيه هو ما يسمح للفرد بتحديد الذات، والتعرف عليها، والوصول بها إلى الكمال)

وفي عبارة أخرى: (إنه فاعلية تتجلى فيها كل طاقات الفرد الخلاقة)

وقد حاول الباحث الفرنسي " جان دوما سيدو " أن يضع تعريفاً شاملاً لوقت الفراغ من خلال تحديده بطبيعة النشاط الذي يمارس خلاله، فجعله متصفاً بصفات أربعة.

١- اتصافه بالطابع التحرري، أي التحرر من بعض الواجبات، وحرية اختيار بعض النشاطات.

٢- انتفاء صفة النفعية عنه، فوقت الفراغ ليس مكرساً لخدمة أية غاية مادية أو اجتماعية، فهو يتصف – إذن – بالطابع المجاني.

٣- اتصافه بطابع الإمتاع. فنشاط وقت الفراغ يرتبط دائماً بالبحث عن السرور والمرح.

٤- اتصافه بالطابع الشخصي، إذ إن ظاهرة وقت الفراغ ترتبط مباشرة بما قيل عن كمال الكائن الإنساني، فهي تسمح للفرد بالتحرر من الضجر اليومي لتحقيق الإنسان الكامل [١] .

---

(١) سلطان، جمال: إشكالية وقت الفراغ، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٥٥-٥٦، ص ١٨

- رشيد، مادون: قضايا اللهو والترفيه، دار طيبة الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ص ٣٧- ص ٣٨

www.iqra.ahlamontada.com

إن هذا التعريف الشامل، يرتكز على قاعدة قيميّة غربية أوربية واضحة، من حيث اتصاف نشاط (وقت الفراغ) بالطابع التحرري فذلك صدور تجزيء الفعل الإنساني بين الذات والمجتمع، بافتراض غيبة للقطب الأعلى المهيمن على كليهما....

وبالتالي فوقت العمل هو الحق اللازم للإنسان نحو المجتمع، وبانتهائه يسقط أي حق أخر بل ينعدم

أما إنتفاء صفة النفعية عنه، فهو بناء على ما سبق من تجزيء للفعل الإنساني بغياب القطب الذي ينصاع له الضمير كما ينصاع له النظام الاجتماعي. ونضيف هنا بأن تصور انتفاء (النفع) عن وقت الفراغ –كمردود يعود لصاحبه –هو إهدار لتصور عالم آخر غير الذي نعيش فيه، أي أن ذلك التصور هو بمثابة أحد الوجوه التطبيقية لمبدأ قال تعالى:

﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (١)

أما اتصافه بجانب الإمتاع.... فهو صدور عن غيبة تصور غرض الرسالة الإنسانية ذاتها، بالإضافة إلى ما سبق من تجزيء متناقض للفعل الإنساني، باعتبار نشاط (وقت العمل) يخلو من أي قيمة أو متعة أو كمال أو رسالة إلا في نطاق تحقيق عائد مادي على العامل، وإنتاجية عامة للمجتمع.

ويتضح من هذا التعريف أن الوقت الذي يوصف بأنه وقت عمل هو ما يتقاضى عليه الإنسان أجراً، وما يكون ملزماً بأدائه... وهذا يعني أمرين:

الأول: أن وقت الفراغ لا يتقاضى عليه الإنسان حرا مطلقاً، وهذا يعيدنا إلى التصور الدهري الذي يصوغ المفردات القيمة للمجتمع الغربي.

---

(١)سورة الجاثية: الآية (٢٤)

www.iqra.ahlamontada.com

والثاني: إن وقت الفراغ غير ملزم فيه الفرد بشيء، أي أنه يملك هـذا الوقـت ملكيـة حقيقية. وهذا مناقض ـ بالضرورة ـ للتصور الإسلامي الذي يجعل الوقت كله ـ العمر ـ ملكاً لله، والإنسان مستخلف فيه.

وهذا يكسب الفراغ صفة الموضوعية التي غابت في التعاريف الغربيـة الـتي جعلـت من الفراغ حالة شعورية أي حالة ذاتية.

وأما التعريفات الماركسية من الواضح أنها لا تختلف كثيراً عن التعريفـات الغربيـة، اللهم إلا في حدة التعبير المادي واصطلاحاته.

ماهية علم اجتماع الفراغ:

علم اجتماع الفراغ: (leisure Sociology of).

هو فرع من فروع علم الاجتماع العام، استقل عن علم الاجتماع العام بعد الحـرب العالمية الثانية نظراً لعدم مقدرة العلم الأخير على دراسة مؤسسات وأنشـطة الفـراغ في المجتمع المتحضر وتوضيح أثر استثمار أوقات الفـراغ في تنميـة الشخصـية والكفـاءة البشرية وزيادة الطاقـة الإنتاجيـة مـع معرفـة وتحليـل السـلوك الاجتمـاعي والعلاقـات الاجتماعية التي تأخذ محلها أثناء أوقات الفراغ وفي داخل منظمـات الفـراغ والترويـح مهما اختلفت أغراضها واتجاهاتها. وعلم اجتماع الفراغ مـرتبط بعلـم اجتمـاع العمـل (Sociology of labour) ومكمل له طالمـا أن العلمـين يدرسـان فعاليـات الإنسـان وسلوكه أثناء أوقات العمل وأوقات الفراغ.

فعلم اجتمـاع العمـل يـدرس ظـروف ومعطيـات بيئـة العمـل ويركـز علـى دراسـة العلاقات الرسمية وغير الرسمية التي تـربط العمـال بـالإدارة ويفحـص أحـوال العامـل الاقتصادية والمهنية والاجتماعية داخل وخارج العمل ويحلـل طبيعـة العلاقـة الجدليـة بين مؤهلات العامل وإنتاجيته من جهة وبين إنتاجية العامل ورفاهية المجتمع من جهـة أخرى.

www.iqra.ahlamontada.com

أما علم اجتماع الفراغ فيدرس الأنشطة الترويحية السلبية منها والإيجابية التي يمارسها الأفراد أثناء أوقاتهم الحرة ويربط بين الخلفية الاجتماعية والفئوية للأفراد وأنشطة الفراغ التي يمارسونها ويهتم بدراسة اقتصاد الفراغ والترويح والإبداع، أي دراسة التكاليف والأرباح لمشروعات وبرامج الترفيه والترويح. كما أنه يحلل الفعل وردود الفعل بين معطيات الإنتاج الاجتماعي والمشاركة في نشاطات الفراغ والترويح وأثر المشاركة هذه في الطاقة والكفاءة الإنتاجية للأفراد والجماعات[1].

أما باتر شيفا [2]: يعرف علم اجتماع الفراغ بالعلم الذي يدرس الفعل ورد الفعل بين الإنسان وأوقات فراغه، فإذا استثمر الإنسان أوقاته الحرة استثماراً جيداً فإن وقت الفراغ يتحول إلى وقت ترويح يشارك في بنية شخصية الإنسان وبلورة معالمها ويؤدي دوره الفعال في زيادة طاقته الإنتاجية.

ويعرف فوكاس[3]: علم الاجتماع الفراغ بأنه العمل الذي يدرس السلوك الاجتماعي للإنسان أثناء أوقاته الحرة).

أما ألكسندر صموئيل[4]فيعرف علم اجتماع الفراغ بالعلم(الذي يدرس طبيعة الأنشطة الاجتماعية والعلاقات الإنسانية خلال الأوقات الحرة).

وأخيراً يعرف اندرسن علم اجتماع الفراغ بالعلم(الذي يدرس كل ما يتعلق بالأوقات الحرة من حيث مدتها وطرق استثمارها والأنشطة الترويحية التي تمارس

---

(١) الحسن، إحسان محمد: الفراغ ومشكلات استثماره، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م ص ١١.

(٢) لم أجد له ترجمة.

(٣) لم أجد له ترجمة.

(٤) ألكسندر، صموئيل (alexandre samuel)، (سيدي ١٨٥٩م-١٢٧٥هـ) (مانسستر ١٩٣٩م-١٣٥٨هـ)فيلسوف أسترالي يهودي الأصل، ارتحل إلى إنكلترا سنة١٨٧٧ م حيث درس على يدي جرين وبرادلي فتأثر بهما. اختير زميلاً في كلية لنكولن باكسفورد سنة ١٨٨٢م وسنة ١٨٩٣م عين أستاذاً للفلسفة في جامعة ملبورن. تقاعد سنة ١٩٢٤ من مؤلفاته ١- النظام الأخلاقي والتقدم (١٨٨٠)، ٢- الجمال وأشكال أخرى للقيم (١٩٣٣) أسس الواقعية (١٩١٤) - ألفا، زوني إيلي: موسوعة أعلام الفلسفة، ج١، مرجع سابق، ص١٢٢.

www.iqra.ahlamontada.com

خلالها كما يدرس أثر ظروف ومعطيات الأفراد في ممارستهم أو عدم ممارستهم لأنشطة الفراغ والترويح كالظروف الاقتصادية والاجتماعية، والحالة العمرية والمستويات الثقافية والعلمية والإيكولوجيا الاجتماعية والحالة الصحية، وأخيراً الأذواق والمواقف والقيم والمقاييس والمصالح والأهداف)[1] .

ومن جميع هذه التعاريف نستطيع اشتقاق تعريف شامل لعلم اجتماع الفراغ مفاده بأنه العلم الذي يدرس الأوقات الحرة للفرد وكيفية التعامل معها وطبيعة العلاقات الاجتماعية التي يكونها مع الآخرين خلال فترات الفراغ. كما يدرس كل ما يتعلق بالمعطيات الاجتماعية والفكرية والسلوكية والحضارية للفرد الذي يستثمر أوقاته الحرة ويهتم بأثر هذه المعطيات في الأنشطة الفردية التي يمارسها في المجتمع.

أردت هنا في خضم التعاريف أن أورد توضيحاً عما أريد بيانه وأن أتحرر من الغموض والارتباك اللذين أحاطا بموضوع الفراغ، وذلك عن طريق الفصل بين الاستعمالات المتعددة لهذا الاصطلاح وتوضيح معاني هذه الاستعمالات ليتيسر استعمالها في البحث دون ارتباك أو تشويش.

فأول استعمال للاصطلاح هو أن الفراغ يعني عدم وجود قوة عند الفرد الفارغ، بمعنى آخر أن الفراغ هو شعور ينتاب الفرد فيجعله غير قادر على تغيير الوضع العام الذي يتفاعل معه.

والاستعمال الثاني: الفراغ هو عدم قدرة الفرد على التصرف وفق المقاييس المتعارف عليها دينياً وأخلاقياً واجتماعياً وغيرها.

الاستعمال الثالث: الفراغ هو عدم وجود الهدف عند الشخص الفارغ، أي عدم قدرته على توجيه سلوكه ومعتقداته وأهدافه.

---

(١) الحسن، إحسان محمد: الفراغ ومشكلات استثماره، مرجع سابق ص ص١٣- ١٤.

www.iqra.ahlamontada.com

والمعنى الأخير للفراغ هو العزل، أي شعور الفرد الفارغ بأنه فارغ عن الأهداف الحضارية لنفسه ومجتمعه ولأمته.

إن جميع هذه الاستعمالات لاصطلاح الفراغ يجب أن تكون مستقلة الواحدة عن الأخرى، وأن استقلاليتها لا يمكن أن تتحقق دون استعمال قياسات المواقف لتميزها وتشخيص بعضها عن البعض الأخر.

وهذا ما سنقف عنده في الفصول التالية.

مضمون علم اجتماع الفراغ:

يمكن تحديد مضمون علم اجتماع الفراغ بالنقاط الجوهرية التالية:

١- ماهية علم اجتماع الفراغ وطبيعته ومشكلاته النظرية والتطبيقية.

٢- أهداف علم اجتماع الفراغ ومجالاته الأكاديمية وعلاقته بخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبشرية والفكرية وغيرها.

٣- علاقة علم اجتماع الفراغ باختصاصات وفروع علم الاجتماع العام، كعلم اجتماع العمل وعلم الاجتماع الريفي والحضري والصناعي وعلم اجتماع المعرفة وغيرها.

٤- منهجية علم اجتماع الفراغ والطرق البحثية التي يستخدمها في جمع حقائقه ومعلوماته وبياناته كالطريقة التاريخية وطريقة المقارنة، وطريقة المسح الميداني. وطريقة الوصف.

٥- هيكل ميزانيات الوقت وكيفية استثمارها في الأغراض الإنتاجية والتجديدية والترويحية والمجتمعية.

٦- العلاقة الجدلية بين أوقات العمل وأوقات الفراغ وبين أنشطة الفراغ، وبين الجد وبين الفراغ، وأثر هذه في تنمية المجتمع المادية والدينية والاجتماعية وتنمية الفرد النفسية والتربوية والأخلاقية والسلوكية.

www.iqra.ahlamontada.com

٧- تشخيص أنشطة الفراغ الإيجابية وأنشطة الفراغ السلبية مع توضيح طبيعة أبعادها ومردوداتها الاجتماعية والدينية والنفسية والأخلاقية.

٨- أنشطة الفراغ والترويح التي تمارسها الفئات العمرية المختلفة في المجتمع وسياسة الدولة إزاءها.

٩- المنظمات الترويحية العامة والأهلية: أهدافها، سياستها، وبرامجها....

١٠- اقتصاديات خدمات الفراغ والترويج: تكاليف، تأسيسها، وانتشارها، خدماتها.

١١- أنشطة فراغ الأطفال والشباب و المسنين في المجتمع بين الواقع والطموح.

١٢- الفراغ والترويج والإبداع وعلاقته بتنمية القيم الروحية والأخلاقية.[١] .

في ختام تعريف الفراغ وقد أصبح الفراغ في بؤرة الحياة وليس على هامشها... والعصر الذي يسير فيه التقدم العلمي والتكنولوجي بخطى واسعة بعيدة المدى...والعصر الذي يتميز بفرص ابتكار الوسائل الجديدة لمعالجة الفراغ وإذا ما توافر للفرد الأمان والفراغ استطاع أن يتذوق القيم المثالية وسعى إليها جاهداً لذا فإن الفرد يسعى إلى استثمار حياته وبما يعود عليه بأكبر قدر من المنفعة، ولعل مبدأ حرية الوقت هو العنصر الرئيسي في الإبداع والابتكار والتفكر... ونجد لزاماً علينا في هذا البحث أن نبحث ثلاثة مواقف أساسية تسخّر لها هي:

١- الرغبة في الفراغ.

٢- الدرس الذي يلعبه الفراغ سلباً أو إيجاباً في حياة الأفراد والجماعات.

٣- الأساليب الناجحة في استغلال الفراغ وأهدافه.

كما أني أجد للفراغ قيماً لابد من التنويه إليها هنا:

١- النشاط الإبداعي متمثلة في أعلى مراتب استخدام الفراغ " إعمال الفكر والتفكير"

---

(١)الحسن، إحسان محمد: الفراغ ومشكلات استثماره، مرجع سابق، ص ٢١ – ص ٢٣

www.iqra.ahlamontada.com

٢- النشاط الإجرامي: أدنى استخدام الفراغ متمثلة بالأنشطة المنحرفة مما يدفع بالفرد إلى أن يكون متشتت الذهن بين القديم والجديد بالقدر الذي يفقد معه الفرد سيطرته الكاملة على ذاته ومجتمعه وذلك نتيجة مباشرة للأمور التالية:

١- طغيان النزعة غير الدينية على القيم الراسخة التي شكلها الدين.

٢- اتساع الرأي العام وطغيان الأكثرية.

٣- تأثير تقسيم العمل الذي جعل من الإنسان مجرد مخلوق آلي.

٤- فصل الفرد عن الروابط والثوابت الدينية والاجتماعية.

٥- عندما تتدهور العلاقات بين الهيئة العالمة والجمهور:

أ- بسبب ارتباط الهيئة العالمة بمسائل تتحدد خارج المجتمع الذي تعيش فيه

ب- بسبب انعدام وسائل الاتصال بما في ذلك غياب حرية التعبير.

ج ـ تنمو من جهة الثقافة التأملية الذاتية في القمة المثقفة، وتتبعثر وتتشتت التصورات الثقافية العليا في القاعدة وينتشر الوعي الجزئي والفردي المحدد والمرتبط مباشرةً بالمصالح الفردية و الفئوية الوقتية المباشرة

الفراغ ونشأته:

نعمة الفراغ:

أن قدوتنا في الحفاظ على نعمة الفراغ وإعمارها على وجهها وفي كل شأن وأمر رسول الله (ﷺ)، والناظر في السيرة النبوية يجد أن هدي الفعل منه (ﷺ) كان يغلب هدي القول، لما لسلطان الفعل من أثر على النفوس مكين يتجاوز أثر القول ويتعداه، ولذا كنت ترى الصحابة رضوان الله عليهم ومن اهتدى بهداهم بعد، كلهم مصاحف حية فاعلة، لا مصاحف تركن وتقرأ فقط. وكان من جملة هديه (ﷺ) مؤانسته لصحبه، ومداعبته لأهله، وممازحته لإخوانه، ومباسطته، وملاعبته للصغار وملاطفته لهم.

www.iqra.ahlamontada.com

يظهر في هذا المقام ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها: «**أنها كانت مع النبي (ﷺ) في سفر، قالت: فسابقته فسبقته على رجلي، فلما حملت اللحم، سابقته فسبقني، فقال: هذه بتلك السَّبْقَة**[1]» .

وعنها رضي الله عنها، أنها قالت: «**كان الحبش يلعبون بحرابهم، فسترني رسول الله (ﷺ) وأنا أنظر، فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو**[2]».

وكان ذلك منه (ﷺ) إدراكاً لحقيقة النفس، وتلبية لنداء الفطرة، فتمكين النفوس من حقها في نعمة الفراغ، وترويح القلوب بأضرب من اللهو المباح، يجعل الفرد أقدر على التواصل بالعطاء، بل قد يكون أكثر عطاءً واستفادة من فراغه. قال أبو الدرداء (ﷺ): (إني لأستجم لقلبي بالشيء من اللهو، ليكون أقوى لي على الحق) [3] وهذا الفراغ، وتلك الراحة والترويح، ينبغي أن يكون بقدر لا يتجاوزه الفرد، وأن يكون محكماً بالضوابط الشرعية لا يتعداها.

قال الرسول (ﷺ) «**طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر، واللؤلؤ، والذهب**[4]»

قال البيهقي في المدخل: أراد، والله تعالى أعلم، العلم الذي لا يسع البالغ العاقل جهله، أو علم ما يطرأ له، أو أراد أنه فريضة على كل مسلم حتى يقوم به من فيه

---

(١) أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، ج٢، تحقيق خليل شيما، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م ص ٤٠، رقم الحديث (٢٥٧٨) وهو حديث صحيح.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق البغا، ج٣، دار العلوم الإنسانية، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص١٨٦٥، رقم الحديث(٤٨٩٤، وجاء بروايات متعدد (٩٠٧-٩٠٩-٩٤٤-٢٧٥٠-٣٣٣٧-٣٧١٦-٤٩٣٨).

(٣) ابن عبد البر، أحمد بن محمد: بهجة النفوس، ج١ مصدر سابق، ص ١١٥.

(٤) ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، ح ١و تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، در، دت، ص٨١، رقم الحديث (٢٢٤) في الزوائد: إسناده ضعيف، وقال المزي: يبلغ مرتبة الحسن.

www.iqra.ahlamontada.com

كفاية، وقال: سئل ابن المبارك عن تفسير هذا الحديث فقال: ليس هو الذي يظنون، إنما هو أن يقع الرجل في شيء من أمور دينه فيسأل عنه حتى يعلمه. وقال الثوري: هو الذي لا يعذر العبد في الجهل به. وقيل معرفة الخواطر في نشأة العقل، وبذلك يعلم الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، وقيل هو طلب علم الحلال [1]وسئل أحمد بن عطاء رحمه الله عن هذا الحديث فقال: علم الحال، وعلم الوقت، وعلم السر، فمن جهل وقته وما عليه فقد جهل العلم الذي أمر به [2].

تعقد الحياة وازدياد مشكلاتها وتحول عملياتها الدينية والاجتماعية والسلوكية إلى فعاليات روتينية رتيبة تحكمها المصالح والقوانين والأعراف والقيم الطقسية، مما يؤدي إلى الفراغ الذي يتكون من خلال: الشعور بالملل والضجر والهبوط النفسي الذي ينتاب الكثير منهم نتيجة لذلك. مما يدفعنا إلى التساؤل التالي:

أ -كيف ينشأ الفراغ:

إن الإسلام يدفع بالفرد إلى تكتيل قوى الأفكار لدى اتجاهها لتحقيق الهدف، وعدم السماح لمزاحمة القوى الأخرى نحو الهدف.

فالتوجيه هو تجنب الإسراف في الجهد وفي الوقت لملايين العقول المفكرة والسواعد المنتجة العاملة في أمتنا الإسلامية وأهميته لإدارة هذا الجهاز الهائل من الطاقات في أحسن ظروفه الزمنية والإنتاجية.

ومن الأهمية بمكان الأخذ بعين الاعتبار المقاييس والقواعد، أي التوجه نحو الأفكار حتى لا نضيع في متاهة الفراغ والإبهام والغموض والشك، وحالات الترف العقلي والعبث واللهو.

---

(١) السندي، أبي الحسن: شرح سنن ابن ماجه، تحقيق خليل سيما، ج١، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦، ص ١٤٦ (بتصرف).

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، ح٥، دار الفكر، دمشق و بيروت، در، دت، ص.٢٧

www.iqra.ahlamontada.com

ومن الواضح أنَّ مشكلة انعدام الفاعلية وحالات الترف العقلي، علماً في علومنا الإسلامية نجد قواعد رياضية للأفكار، تؤكد وجود علاقات رياضية بين الأفكار وضروب النشاط فعندما يكثر الكلام يقل العمل.

ولا يخفى حالنا المرضي المتمثل بتكديس الأفكار والأورام العقلية، عندها يفقد النشاط العقلي فاعليته إذا أدار ظهره للقواعد والمقاييس ومكانته الاجتماعية، إن الفراغ من الأمور الخطيرة التي تستدعي الاهتمام وإن عالمنا يمرّ بمرحلة من الأزمات التي تهدد كيان الحضارة الإنسانية وليس هذا بسبب نقص في المصادر الأساسية اللازمة للإبقاء على المستوى الرفيع لثقافة الإنسان ومستوى معيشته، ولكن ما يهدد كيان الحضارة يكمن في الإنسان المعاصر نفسه يقف عاجزاً أمام الاستفادة الكاملة للمواد الوفيرة التي منّ الله بها على الإنسان... بعد أن فرغته حضارة التقنية من قيمه وثقافته بل وشوهت وقت العمل الحقيقي فكيف بوقت الفراغ ؟؟!

فبفضل العلم المتقدم ونظم التقنية والطاقات الاقتصادية استطاع الفرد أن يحقق تقدماً علمياً وتقنياً، ونمواً اقتصادياً هائلاً، ولكن تقدمه الرائع هذا لم يصحبه تطور مماثل في قواه الروحية والمعنوية.

لأن المؤسسات المهيمنة على فاعليات المجتمع واتساع سيطرتها صادرت مبادرات الأفراد واستعداداتهم للإبداع.

إن الفراغ إذا استفحل في نفس فرد ما سبب له شعوراً كئيباً ومريباً للغاية قد يؤدي به إلى نتائج نفسية سيئة، منها الانطواء أو الانحراف وبالتالي ينعكس مستقبل أبناء الأمة ويتأثر الإنتاج وهذا يؤثر في تجديد مسار الشعوب والأمم.وقد يشعر الفرد الواحد بأحد أنواع الفراغ دون غيره وأحياناً أخرى قد ينتابه إحساس بأكثر من نوع من أنواع الفراغ حسب درجة الشعور والإحساس لديه وحسب وضعه ومكانته الاجتماعية وحسب تكوينه الخلقي والفيزيولوجي.

فقد يشعر المرء بالفراغ المادي ويكرس حياته للوصول إلى الإشباع لهذا النوع من

www.iqra.ahlamontada.com

الفراغ، بينما قد لا يصل إلى الإشباع، وربما يصل إلى ذلك وقد يشعر شخص آخر بنوعين من الفراغ، مثل الفراغ المادي والفراغ الديني معاً، أو الفراغ الروحي والفراغ الثقافي معاً وهكذا.

والفراغ إذا بقي مفهوماً مجرداً فهو لا يقدم أي شيء للفرد والمجتمع... أما إذا ارتبط هذا المفهوم بمبدأ وعقيدة وهدف في الحياة...واستشعر الفرد أن شيئاً من الأعلى دائماً يترصده ويرقبه أينما حل و حيثما ارتحل. فإن المفهوم الجديد للفراغ يكون له شكل آخر وبناء جديد.

والفراغ هنا هو (الإحساس) أو(الشعور) الذي يشعر به الفرد مع نفسه، نظراً للحاجة لهذا الشيء حيث إن الفرد يحس بأشياء كثيرة تلزمه ويحتاج إليها بطبيعة تكوينه البشري فقد يشعر الفرد أنه بحاجة... لتحقيق بعض أهدافه وغاياته... فإنه عندها يعاني من الفراغ الذي هو فيه... وإن ظهور حالة من حالات الاضطراب والانقسام والازدواج... ناتجة عن الفرد على نطاق الأفراد والجماعات. وإذا تراكمت الفراغات في جيل من الأجيال وخاصة الشباب سيولد بلا شك جيلٌ حاقدٌ وهذا يؤدي إلى نتائج سلبية على مستقبل الأمة بأجمعها.

والفراغ الذي تعبث به الجماعة[1] الإسلامية والفرد[2] المسلم ينحدر من منبعين:

---

(١) الجماعة: طائفة من الناس من جنس أو فصل واحد، يجمعها غرض واحد وكذا استعملت في غير الناس.
- مصطفى إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، ح١، مرجع سابق، ص١٣٦.
- أو كل طائفة مشتركة في بعض المصالح أو العواطف أو المعتقدات كالجماعات الدينية.
- مرعشلي، ندم وأسامة: الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٤، ح١، ص ٢٠٦.
- أو مجموع الناس المترابطين في مجتمع واحد، - الحلو، عبده: معجم المصطلحات الفلسفية، مرجع سابق، ص٢٧.

(٢) الفرد: فرد — الوتر، والجمع أفراد، وإفراده على غير قياس، كأنه جمع فردان - ابن منظور، محمد بن مكرم:لسان العرب، ح٣، مصدر سابق، ص٣٣١، ٣٣٢.
- الفرد: كل كائن متشخص، أو يفترض كذلك، يجوز أن يكون موضوع إدراك مباشر، دون أن يكون موضوع العلم إذ ليس فيه المعنى الكلي، وعند أر سطو: الموضوع الذي لا يجوز أن يكون محمولاً. - الحلو، عبده: معجم المصطلحات الفلسفية، مرجع سابق، ص٨٥.

www.iqra.ahlamontada.com

أولهما: الموروثات القديمة التي تكونت على مر العصور نتيجة ابتعادنا عن الدين، و نتيجة اضطراب مفاهيمه في أذهاننا، وهي موروثات شديدة الفتك قريبة الشر...

ثانيهما: تقليدنا الأعمى للحياة الغربية، تقليداً لا رشد فيه ولا تمييز...!!!

والأمم في قوتها تقتبس من غيرها ما يزيدها منعةً وبصراً وفكراً، وفي إبان ضعفها لا تلتمس إلا ما يوائم هذا الضعف، وقد التقت الموروثات الرديئة والمحدثات السخيفة في حياة الأمة الإسلامية التقاء ضاعف حُجُبَ الغفلة، وزاد في حجم الفراغ وعقد أسباب البلاء.

من مظاهر التطور الإنساني إتساع وازدياد أهمية إشباع الحاجات النفسية أفقيا وعمودياً. كماً وكيفاً. وإن من نتائج الخلل المتزايد في إشباع هذه الحاجات ازدياد الشعور بوقت الفراغ غير المنتج والخالي من القيمة.

كما أنه زاد أعباء المصلحين، وضرورة التروي في حل المشكلات، والتلطف في بعث القوى الهامدة.

ولا بد من وقفات عند هذه الفراغات تكشف سوءها، وتشرح أثرها في إفساد الضمائر، وتعويق السير، وتضليل الغاية... إن كثيراً من الطاقات المفرغة المعطلة يرجع إلى تلك الآفات، وهي آفات يظهر فيها المروق من الدين، والفسوق عن أمر الله، ورفض الاستجابة لآياته بعدما استيقنتها الأنفس..!! [1]

ويكون الفراغ عندما يجد الفرد في نفسه ضيق الصدر وانقباضه عن الإيمان بالله تعالى وما جاء من عند الله، واستحسان شيء مما قبحه الشرع، واستقباح شيء مما حسنه الشرع، ومنابذة الحق، واتباع الباطل والأهواء. والتمرد على حكم الله تعالى والتذمر ممن يذكر به وبطاعته والجراءة على الله تعالى والغرور برجاء رحمته من غير

---

(١) الغزالي، محمد: الإسلام والطاقات المعطلة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٨م، ص ١١٩ – ص ١٢١ (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

عمل، والوحشة من الصالحين والأنس بالكافرين والفاسقين والفاجرين، والحب والبغض اتباعاً للهوى، ومعاداة أولياء الله تعالى وموالاة أعدائه، والرغبة بالدنيا وحطامها، والزهد في الآخرة وثوابها، والصمم عن استماع المواعظ، والعمى عن الانتفاع بالعبر... ومن المؤسف أنه انتشر في صفوف المسلمين اليوم الكسل العقلي، وغلب عليهم إيثار الراحة والدعة على الجد والدأب، وصارت الرفاهية وأنواع الفضول مقصداً من مقاصد الحياة عندهم، وغدت المتع مطلباً من مطالبهم، فلم يبقى لديهم وقت للدرس والتحصيل والبحث والإنتاج وصارت حالهم تشبه من عناه الإمام احمد بن فارس الرازي [1] اللغوي يقول:

إذا كان يؤذيك حر المصيف ويُبس الخريف وبرد الشتا

ويلهيك حسن زمان الربيع فأخذك للعلم قل لي ! متى ؟!

قال الإمام السجاد رحمه الله [2] (اللهم فإن قدرّت لنا فراغاً من شغل فأجعله فراغ سلامة لا تدركنا فيه تبعة، ولا تلحقنا فيه سآمة) [3].

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، هو من أعيان أهل العلم، وأفراد الدهر، يجمع إتقان العلماء وظرف الكتاب و الشعراء، وله كتب بديعة ورسائل مفيدة، وأشعار جيدة وتلاميذ كثير منهم: بديع الزمان الهمذاني، وكان شديد التعصب لآل العميد، ولابن فارس شعر جميل ونثر نبيل ك وقال قبل وفاته.

يارب إن ذنوبي قد أحطت بها علماً وبي وبإعلاني وإسراري

أنا الموحد لكني المقر بها فهب ذنوبي لتوحيدي وإقراري

- الحموي، ياقوت بن عبد الله:معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ح٢، تحقيق، عمر الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ص ٥٦-٥٧، (بتصرف)

(٢) الإمام السجاد (علي بن الحسين) رحمه الله ابن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم. رابع أئمة أهل البيت، ولد في المدينة المنورة سنة ٣٨هـ، وتوفي فيها عام ٩٥هـ، وله ٥٥سنة، وأمه أسمها شهر بانو بنت يزد جرد بن شهريار وكان أبوها آخر ملوك الفرس، وكنيته أبو محمد وأبو بكر وأبو الحسن، ولقبه زين العابدين، والسجاد - الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعة، حققه حسن الأمين، ح٤، دار التعاون للمطبوعات، بيروت، دت، المجلد الأول، ص٦٢٩.

(٣) مغنية، جواد: صفحات لوقت الفراغ، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ١٩٧٧ م ص ٦ .

www.iqra.ahlamontada.com

ب- كيف يستولي الفراغ على الناس:

في عالم الفكر والبحث هناك قضايا عديدة لم تحظ بتعريف موحَّد... ولا بأسلوب منسق يشد فيه الرأي الواحد أزر الرأي الآخر... ومن هذه القضايا قضية الفراغ، فهي قضية لأنها مشكلة قد نغرق في تحليلها قبل أن نصل إلى الشاطئ... والفراغ مفهوم مستحدث ظهر مع ولادة علم النفس الحديث وعُد ميداناً مستقلاً من ميادين علم النفس... وقد برزت الحاجة في العالم المتقدم الذي لا يؤمن بالإسلام إلى ضرورة إعادة النظر في البناء الاجتماعي والروحي والفكري للإنسان بعد أن أظهرت المدنية الغربية والشرقية إفلاس ذلك الإنسان الفكري والروحي والاجتماعي أولاً وبعد أن أبرزت المواقف والحوادث فراغه العقائدي وشخصيته المبدئية ثانياً

وبعد أن أظهرت المؤتمرات والإحصائيات الرأي العام تسيبه الفكري وإخفاقه في تحقيق تصور شامل عن هدف ما في الحياة ثالثاً .

ولهذا سعى بعض المفكرين في الغرب إلى استحداث مفهوم جديد لإيقاف حالة التداعي التي يعاني منها الفرد الغربي، وتقديم حل جديد لمشكلة قد تغير وجه العالم، وتقلب تاريخه رأساً على عقب... واستحدث مفهوم الشخصية كمحاولة أخرى لبناء ذاتية الفرد الغربي، وسد الطريق أمام أي فكر مناهض يسعى لبناء الشخصية الأوربية من زاوية أخرى.

كما أن مفهوم الفراغ لاقى رواجاً هائلاً ومازال باعتباره مفهوماً يساهم في حل مشكلة الفرد المعاصر الذي أخذ يحس وهو قمة في عطائه العلمي والحضاري أن بناءه الداخلي ليس مكتملاً وأنه بحاجة إلى شيء يسد به نقصاً من نواقصه الإيمانية والحياتية وأنه بحاجة إلى ما يربطه بخالق الكون والحياة الذي لا مدخل له ولا مخرج، وأنه بحاجة إلى ذلك الشيء يحس به وهو في قرارة ذاته بأنه لا يمتلكه... وجاء الفراغ وهو تعبير عن حاجة وطموح ذلك الفرد (إشباع حاجاته النفسية)... مع

www.iqra.ahlamontada.com

حسه بالضياع... ومما حوله لا يقدم له ما أراد أن يعرفه منه أو يسمعه... وهو غافل عن حاجته ولم يأمره بشيء بقي في الضياع وبقي الفرد يعيش في دوامة الفراغ.

وقبل أن نبين أن الناحية العقدية والحضارية لا بد من الإلمام بالفراغ تاريخياً من خلال الفرد في المجتمع الإقطاعي والرأسمالي والاشتراكي، باعتبار أن الفراغ في مجتمعات كهذه تعبير عن سلوك اجتماعي معين تحدده المفاهيم التي يعتنقها ذلك المجتمع.

١- الفرد والفراغ في المجتمع الإقطاعي[1]:

نلاحظ أن شخصية الفرد في المجتمع الإقطاعي بنوعيها (الفلاح الكادح - والإقطاعي المترف) مهزوزة، وقلقة لا تستند على أسس منطقية وليست لها مقاييس موضوعية تتحكم بها الفردية... والارتجال.. والإرهاب.. والجهل، والشح الروحي، الانحراف الأخلاقي..؟

وهي بذلك ترسم لنا صوراً مشوهه فعلاً عن الشخصية الإنسانية[2].

٢- الفرد والفراغ في المجتمع الرأسمالي[3]:

---

(١) المجتمع الإقطاعي: المجتمع الداعي إلى الإقطاع في مجتمع واحد. ونظام الإقطاع مستمد من الأحكام الرومانية، الإقطاعي: هو المالك لقطعة أرض كانت الدولة تقطعها للجند أو الوجهاء من القوم فتجعل غلتها رزقاً لهم. وكان الإقطاعيون يدفنهم أولادهم في الإطاعة نفسها ويقيمون فوق قبورهم قبوراً. إشارة إلى القبر كي لا تسترد الحكومة الأرض بعد موت الإقطاعي.

- الأسدي، محمد خير الدين: موسوعة حلب المقارنة، ح١، د ن، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧م ح١ ص١٩٢ (بتصرف)

(٢) البهي، محمد: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مرجع سابق، ص ٥٠٦ (بتصرف)

(٣) الرأسمالية – تاريخياً: نظام الإنتاج الضخم القائم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج في المجتمع الصناعي والذي تنامى في القرنين التاسع عشر والعشرين، سياسياً: هي نظام سياسي واجتماعي واقتصادي حيث يملك الرأسماليون وسائل الإنتاج وهو نظام يرتبط بحرية التجارة.

- الحلو، عبده: معجم المصطلحات الفلسفية، مرجع سابق، ص٢٠

www.iqra.ahlamontada.com

بـ الحرية التي يكتسبها الشخص في ذلك المجتمع لا ترسم في مخيلته صورة الالتزام... فحدود حريته تنتهي عندما تبدأ الإضرابات والمشاغب الفكرية والفوضى الاقتصادية.. أما الالتزام الخلقي.. و الالتزام الديني... فهذا كله يعيش في ضمير مكتبت لا في ضمير الأمة.. فالشخصية في هذا المجتمع شخصية ناقصة.. فارغة ليست لها حدود وليست لها ضوابط.. لا تعدو أن تكون مجرد شبح خافت لا يعيش في ضمير الأمة ولا في ضمير الفرد.. الإشارات إلى نمطية الفراغ وماهيته في ملامح المجتمع الإمبريالي وهو أعلى مراحل الرأسمالية.

وأبرز ما يتصف به الفرد في هذه المرحلة تحوله إلى رمز أو رقم كجزء من عملية إنتاج لربح أكبر كأن تقول العامل (أ) بدل من القول العامل أحمد أوحسن [1]

وفي هذا أبلغ تفريغ لكيان الإنسان من ذاتيته وقد أسهم في تشكيل هذا النمط الإنساني تطور التقنية إلى أقصى حد حتى أصبحت التقنية لغةً وسوقاً وكياناً مع الإشارة إلى العولمة[2].

٣- الفرد والفراغ في المجتمع الاشتراكي[3] ومن ثم الشيوعي[4]:

تختلف الشخصية هنا تماماً، لأنها تفقد أحد أهم عناصرها الأساسية، وهو الإيمان بالله.. وانعدام المبادرة الذاتية فالإنسان بفطرته يمتلك التصور.. والتصور نتيجة حتمية

---

(١) رينيه هويغ، وزميله: شرق وغرب حوار في الأزمة المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، منشورات وزارة الثقافة، سورية، ١٩٩٥مص ١٠٠ (بتصرف).

(٢) العولمة: سيأتي الكلام عنها مفصل في الفصول القادمة إن شاء الله.

(٣) المجتمع الداعي إلى الاشتراكية بشكل عام في مجتمع واحد. الحلو، عبده: معجم المصطلحات الفلسفية، مرجع سابق، ص.٢٧

(٤) هي عند " أفلاطون " إلغاء الملكية الخاصة بجميع أشكالها من طبقتي الحراس والحكام.

- عند ماركس: هي إلغاء الملكية الخاصة والإرث وتأميم وسائل النقل والإنتاج والتعلم توصلاً إلى إلغاء الطبقية الاجتماعية وهذا المعنى هو الأكثر استعمالا.
- الحلو، عبده: معجم المصطلحات الفلسفية، مرجع سابق، ص ٣٧.

www.iqra.ahlamontada.com

للتأمل والتفكير.. ويعبر عن العلم دائماً بأنه انطباع صورة الشيء في الذهن والتصور له حدّان لا ثالث لهما إما تصور صائب وإما تصور خاطئ ؟.. وصواب التصور تشكيل صائب لمفردات هذا التصور.. والعكس صحيح.. فلو كان تصور الإنسان للكون صائباً فالمفروض بدهياً أن تكون مفردات هذا التصور صائبة..وأساس المفردات هذه هو الإلمام بالصورة المتكاملة لهذا الكون وخالق هذا الكون.. فكيف بنا أمام مفرد عاجز لا يستطيع الإلمام بنفسه.. أيستطيع هذا العاجز تشكيل مثل هذا التصور ؟..

والنظرة الماركسية تصور عاجز... وناقص، لأن مفرداتها عاجزة عن تشكيل أي تصور متكامل عن الكون والحياة والإنسان.. [1]

ـ ويمكن القول: تصور ناقص، وتصور تام.. الخ

والشخصية مرآة لمبادئها ومفاهيمها وشخصية تمتلك مبادئ ناقصة عاجزة لا بد أن تكون عاجزة عن تشكيل مفاهيم أساسية عن الكون والحياة والإنسان.. إن صياغة الفرد تعطي الإنسان بعداً حضارياً، وتجعله قادراً على ابتداع نموذج حضاري للبشرية... وتخلق من ذلك الفرد المبعثر الفارغ ملكاً يمشي على الأرض.. إن صياغة هذا الشكل من الشخصية لا يمكن أن تتم إلا بتوافر قاعدة فكرية أصيلة ونظام إلهي أسمى من نتاج أية خلايا دماغية لإنسان ما...

وهذه القاعدة الفكرية وهذا النظام لا يتوافران إلا في الإسلام. لكون الإسلام نظاماً إلهياً تكتمل فيه مفردات التشكيل أولاً، ولكون الإسلام تكويناً يستوعب جميع المفردات ثانياً..فهنا لا إفراط ولا تفريط، ولا غلق ولا تجميد..بل تقدير وترتيب، وانفتاح وتجديد...

---

(١) الشهبندر، عبد الرحمن: القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم، تحقيق محمد كامل الخطيب، منشورات وزارة الثقافة، سورية،

الطبعة الثامنة، ١٩٩٣، م، ص ٦٢-٦٣، (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

وبعد هذا يمكن أن نعرِّف الفراغ بأنه ذلك المفهوم الذي يظهر على الشخص من حيث هو وحدة متكاملة من الصفات والمميزات العقلية والفكرية والسلوكية والاجتماعية التي تظهر في تعامله وعلاقاته الحياتية في المواقف المختلفة. والتي تميزه عن غيره من الأفراد تميزاً واضحاً، ويشمل دوافع الفرد وعواطفه وميوله واهتماماته وسماته الخلقية وآراءه ومعتقداته واتجاهاته.كما يشمل عاداته الاجتماعية وقدراته وميوله ومواهبه ومعلوماته وما يتخذه من أهداف ومثل وقيم اجتماعية ومن فلسفة واتجاه في الحياة.

ويحدد مقومات الشخص بما يلي:

١- العوامل التكوينية(الذكاء والقدرات-الانفعالات والعواطف والسمات البدنية والعمليات الحيوية)

٢- العوامل الاجتماعية والثقافية.

٣- وعيه بالتشريع الضابط والمقابل للتكوين.

ما سر هذا الفراغ الشائع في الفرد والمجتمع.؟

ولماذا يستقبل الناس الحياة وبهم ازورارٌ عن مواجهتها وصدود عن مذاقها، كأن شهيتهم أوصدت دونها !؟ ولماذا نرى الأجناس الأخرى تنطلق مع مطالع الشروق، وكأنها على أبواب رحلة ممتعة ! فهي تدأب ولا تشعر بكلام، وتعمل، وتجد من الثمر الداني ما يغريها بمزيد من الإنتاج !! إن هذا الفراغ بيننا وبين الحياة مخوفة العقبى، بل هو وقف بناء في أوائل الطريق، على حين مضى الآخرون خفافاً، يكدحون ويجدون، حتى وصلوا إلى حظوظ من الرقي والإبداع تستثير الدهشة.. !!

إن الدين ما يجد رجاله الحقيقيين إلا بين هؤلاء الأحياء بمشاعرهم وأفكارهم قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[1]

---

(١) سورة ق: الآية (٣٧)

www.iqra.ahlamontada.com

وإن التأخر والجمود والهوان لا تجد أوعية لها أفضل من تلك النفوس الفارغة، والحواس المعطلة والمواهب المطموسة والهمم النائمة. أجل. لنقلها صريحة، إن أمتنا محتاجة إلى أن تجيد فن الحياة، وقبل أن تصل إلى درجة الإجادة المنشودة، لن يصلح بها دين، ولن تصلح لها دنيا..

التاجر يخرج إلى السوق وهو خامل مستكين...!! والفلاح يذهب إلى حقله وهو متثاقل مجهود..!! والعامل يعالج حرفته وهو ضائق منكمش..!! والموظف يجلس إلى مكتبه وهو مهدود مهزوم..!! والجميع لا ترغب الدنيا منهم إنتاجاً طائلاً، ولا حركة معجبة.!! إن أجهزتهم النفسية والروحية متوقفة كالساعة الفارغة، فليس يسمع لها دق ولا ترى فيها حياة، ولا تثبت فيها عقرب، ولا ينضبط بها وقت..!!.

هذا هوالعجز الذي استعاذ رسولنا (ﷺ) منه.

إن الطاقة البشرية في هذه النفوس لا تزال مادة غفلاً[1]، كأنها معادن مرمية في مناجمها لم تستخرجها يدٌ. أو كأنها بعض قوى الكون المجهولة لم تكتشف بعد..!! هؤلاء الفارغون الغرباء في عالم حجب عنهم أسراره، وشحَ عليهم ببركاته وقواه، هم في نظري.. أبناء الأدعياء الذين قال فيهم المتنبي [2]:

أرانبُ غيرَ أنَّهمُ ملوكٌ! مُفتَّحةٌ عيونُهُمُ نِيَامُ !

---

(١) غُفْلٌ: المادة التي لم تصنع.

- مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، ح٢، مرجع سابق، ص ٦٦٣.

(٢) المتنبي: هو أحمد بن الحسين المتنبي، ولد في الكوفة سنة ٣٣٣هـ وقدم الشام ونشأ وتأدب بها، ولقب بالمتنبي لأنه أدعى النبوة في بادية السماوة

وهي أرض بجبال الكوفة، ولبث المتنبي يتردد على أقطار الشام بمدح أمراءها وأشرافها. حتى اتصل بسيف الدولة الحمداني، ثم وقعت وحشة بينهما فقدم مصر ومدح كافوراً، ثم طلب أن يتولى عملاً في مصر فلم يفلح فهجا كافوراً، وقتل المتنبي على يد فاتك بن أبي جهل الأسدي، في السنة ٣٥٤هـ

- اليازجي، ناصيف: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، ح١، دار صادر، بيروت، د ر، د ت، ص٥، ٦ (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

بأجسام يحرُّ[1] القتلُ فيها.. وما أقرانُها إلا الطَّعَامُ !

والأرانب قد تملك في إعصار الغفلة... ولكن الزمان ضدها، ولا بد أن يردها إلى مكانها، وعبيد أبدانهم قد يجلون طعامها يوماً، ولكن حيوانيتهم لا تلبث بهم طويلاً حتى تحولهم إلى نوع من القطعان المسروقة، فإذا الطعام في أيدي السادة وحدهم، ما يرمي إليهم إلا فضلات مذلّة، ولو شاء السادة أن يمنعوه جاعوا !!

من أجل ذلك نرى عالمنا والأمم التي سقطت في غيبوبة الموت الأدبي، تعاني الجهل والفقر والمرض جميعاً، وقس على ذلك أنواع الموت كلها، وترى خصامها لمطالب الحياة الزكية قد جرّ عليها الهوان، وكساها لباس الجوع والخوف.

والمصلحون في بلادنا يقفون وجهاً لوجه أمام الطاقة الإنسانية التي لم تفجر.

أما الناس الذين يعيشون فوق بقاع فيحاء عامرة بالخيرات واليُمن، يمكن أن تفيض بالغنى والمؤن، ومع ذلك فإن هذه الجماهير لا تحسن الاستفادة لأن المخدر الذي تناولته سرى خدراً في كل أوصالها فتحسبهم أيقاظاً وهم رقود.!! [2]

- عود إلى بدء لأختم هذه الفكرة فالفراغ يعني أساساً للخلو والخواء، فإذ قلنا: وعاء فارغ فمعناه أنه لا يحوي شيئاً، وإذا قلنا قلبٌ فارغ فمعناه إقفاره من العقيدة أو الحب أو المثل الأعلى وعدم تصمنه الدين موجهاً سلوكه فرداً كان أو مجتمعاً، والحقيقة أن هناك تجاوزاً في وصف الناس بالفراغ فلا يوجد قلب فارغ إلا إذا أهدرنا ما يشغل الناس مما يضر ولا ينفع، فمن لا يمتلئ قلبه بالنافع فلا شك أنه ممتلئ بالضار، وكما قيل: عن الناس إن لم يجمعهم الحق شعبهم الباطل وقد يكون شغلهم بالضار أعنف من شغلهم بالنافع، ونحن نرى شدة تمسك اللاهين والمنحرفين عن الجادة بلهوهم وانحرافهم.

---

(١) حَرَّ القتلُ: اشتد. والأقران جمع القرن، بالكسر، وهو الكفؤ في الحرب. يقول: إنهم لا يهتمون إلا بالمآكل فيموتون بالتخمة لا في وقائع الحرب لأنهم لا يشهدونها.

(٢) الغزالي، محمد: الإسلام والطاقات المعطلة، مرجع سابق ص١٢ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

وهذا الفراغ في الحقيقة بلية كبرى أصابت المسلمين أو شبابهم بالذات، ونظرة بصيرة نافذة أو استقراء واستبيان عملي لما يدور في الأذهان أن أغلبنا ليس له خطة محدودة لمستقبله ولا منهج مدروس ليومه وغده الضائع من وقتنا وقوانا وأموالنا أكثر مما ننتفع به فكم ساعة نعمل، وكم ساعة نقرأ، وكيف تستثمر هذه النعم في بناء حضارتنا ؟ وإن أعداء المسلمين أكثر وعياً وإدراكاً لما نملكه وما يمكننا صنعه لو وضعنا أقدامنا على الطريق السوي، لذا فهم عادلون جاهدون للحيلولة بيننا وبين ذلك بإغراقنا بحوائجنا من بلادهم، وتلهينا بالمسكرات بشتى أنواعها، وتضييع أوقاتنا بشرائط الفيديو و(السي دي) بشتى اتجاهاتها من المصارعة إلى الجنس إلى نوادي العراة والأزياء... الخ.

وهم بهذا يضمنون أن نبقى تابعين مضيعين، يمتصون أموالنا وثرواتنا، وتتخم بنوكهم بأرباح يجنونها، كما يستأثرون بالناجحين والعلماء من شبابنا، ويشككون بقدراتنا[1].

وهناك أجهزة ساهرة لا تنام كل همها أن يدوم هذا الحال، وهم يعلمون عنا كل صغيرة وكبيرة بل ويعرفون اتجاهات الرأي العام لدينا إلى أي اتجاه صائرة، وماذا يشغلنا وماذا نعرف ؟ ويعتبر ما يحدث صراعاً بين قوتين غير متكافئتين.

الأولى: تجمع كل أعداء الإسلام والمسلمين بكل ما يملكون من فكر وأجهزة إعلام واستخبارات..الخ

الثانية: قوة الدعوة إلى الله بمجهوداتها الفردية أو الجماعية المتواضعة في مواجهة الأولى والتي تعمل جهد طاقاتها ولكنها طاقة غير كافية لمواجهة التيارات الوافدة ووراءها الصهيونية والصليبية العالمية المتهورة، بالإضافة إلى ما تلعبه الأقليات المعارضة في قلب الأمة

---

(١) زبادي، أحمد محمد وزملاؤه: أثر وسائل الإعلام على الطفل، الأهلية، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ص ١٤ - ص ١٥.

www.iqra.ahlamontada.com

الإسلامية سواء عن طريق التدريس أو التجارة أو الطب والصيدلة[1] وكلها ميادين خطيرة وذات تأثير بالإضافة إلى ما يقع على التجمعات الإسلامية من خطر وسوء النية دائماً يسبق الحكم عليها وهكذا لا يوجد هذا الفراغ قط في الحياة الإسلامية !! ولا يمكن أن يوجد هذا الفراغ قط في الحياة الإسلامية !! ولا يوجد في الحياة الإسلامية فراغ!!

ولا يمكن أن يوجد الفراغ في قلب عامر بذكر الله ! ولا في روح متعبدة لله. مشغولة بالذكر والعبادة التطوعية بعد أداء الفرائض. مشغولة بحفظ القرآن وتلاوته تعبداً لله. ومشغولة في زيارة الأصحاب والأقرباء وعيادة المرضى من المعارف والأصدقاء مشغولة في ساعة مرح نظيف مع الزوجة والأولاد.

---

(١) خالدي، مصطفى، وعمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية، بيروت، در، د، ت ص ٥٩ وما بعدها، (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

خطة البحث

لقد فكرت كثيراً قبل الشروع في هذا البحث، وبعد أن أجريت تلك المقابلات وتلك الاستبيانات وجدت الإيجابية في العلاج ولكن في المقابل لمست الفراغ الكبير الذي دفعني وشد على يدي وثبت خطوتي أن الفراغ فكرة ذات حساسية كبيرة ومهمة للغاية، لأن الفراغ أصبح يلف كل فرد في فلكه، لهذا فإن بحث الفراغ من أخطر المواضيع التي تناقش وتحاور، ولما لم أجد كتباً بحثت هذه الفكرة، ودراسات ميدانية تعطي البدائل والحلول للفرد والجماعة في معرفة الفراغ والعمل على علاجه وتحويله نعمة بدل نقمة، عزمت بعون الله على القيام بهذا الجهد البسيط مستعيناً بالله جل عُلاه.. ومما شجعني على تناول البحث ما لمسته من فضيلة الأستاذ الدكتور محمد منير سعد الدين إذ تكرم بالتوجيه وبيان الخطوط العريضة للبحث وإعطاء الموضوع مقصداً نبيلاً ورونقاً جميلاً... ومما شجعني أيضاً على تناول البحث أنني منذ مدة أُعايش مشكلة الفرد والجماعة وأعيشها من خلال موقع المسؤولية المباشرة وغير المباشرة ومن موقع الواعظ الخطيب والموجه والمدرس، تَطَلُّع الشباب المتعلم والفرد المستقيم إلى مزيد من الضوء والنور، يوضح ما شرعه الإسلام من العلاج في هذا السبيل وصعوبة ما يلقونه في التوصل إلى المعرفة من كتب الشريعة والأخلاق والأصول والسلوك والتوجيه والتربية وغيرها.

اعتمدت هذه الدراسة في منهجها على شقين أساسين:

الأول نظري: وهو ما سيكون في الفصول الستة الأولى.

والثاني ميداني: ويكون في الفصل السابع والخاتمة.

وفي الجانب التطبيقي الميداني استطلع رأي الأفراد عن الفراغ، وكان الهدف من هذا الاستطلاع التعرف على أهمية الفراغ لدى الأفراد والمجتمع وانعكاس ذلك على سلوكهم ومجالاتهم وصور النشاط الترفيهي والديني داخل الجماعة، ودور المجتمع في

www.iqra.ahlamontada.com

ذلك، ومصادر المعلومات لدى الأفراد واتجاه الأفـراد نحـو التعلـيم والمعرفـة وتنـاول الثقافة في المجتمع. **وبعون الله سبحانه وتعالى جعلنا البحث في تمهيد وسـتة فصـول وخاتمة، وسيأتي تفصيلها من خلال البحث.**

أمتنا تعاني فراغات تؤثر علـى حاضـرها ومسـتقبلها، وقـد تناولتهـا مبينـاً أسـبابها ونتائجها وأراء بعض المفكرين في علاجهـا، قاصـداً مـن وراء ذلـك أن تكـون لبنـة في طريق التوعية بالطريق الأقوم إلى عودة وصحوة لأمتنا في دينها الذي ارتضت.

ختاماً: أعرض بعض المصطلحات الواردة في حواشي البحث:

د م، تعني : عدم وجود مكان لدار النشر.

د ن، تعني : عدم وجود دار نشر.

د ر، تعني : عدم وجود رقم الطبعة.

د ت، تعني: عدم وجود تاريخ الطبع والنشر.

ص ص، تعني: من صفحة كذا إلى كذا صفحة كذا.

س، ص تعني: سورة، صفحة في فهرسة الآيات.

م، تعني: مجلد.

أخيراً: اللـهم ارزقنـا انتهـاج سـبيل الإسـلام في جميـع الشـؤون، ووفقنـا اللـهم مـن الاستفادة من أعمارنا وأوقاتنا وفراغنا، واجعلنا يـا مولانـا نشـغلها بمـا يرضـيك عنـا، وجنبنا الفضول فيما لا يرضيك إنك على كل شيء قدير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

www.iqra.ahlamontada.com

الفصـــل الأول

أنـــواع الفـــراغ:

١- الفـــراغ العقلي.

٢- الفـــراغ القلبي.

٣- الفـــراغ النفسي.

٤- الفـــراغ الروحي.

٥- الفـــراغ الوقتي.

www.iqra.ahlamontada.com

أنواع الفراغ

الفراغ في الجاهلية الحديثة ليس في حقيقته وقت فراغ، ولكنه فراغ العقل فراغ النفس.. فراغ القلب، فراغ القيم والمبادئ العليا، فراغ الأهداف الجادة التي تشغل الفرد حين يكون على صورته الربانية[1] قال(ﷻ): ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[2].

فراغ العمل على إقامة شريعة الله في الأرض، بكل ما تشمله من جهد...

والحضارة المعاصرة هي التي أوجدت الفراغ بكل أنواعه وأشكاله وبهذه الصورة بلا شك بقتلها إنسانية الإنسان وطمس إشراقة روحه، وتحويله إلى آلة تعمل معظم النهار، وحيوان ينطلق في سواد الليل. لو أننا حاولنا تقصي ألوان الفراغ وأنواعه الموجودة في عالمنا لوجدناها تدور حول:

أولاً: الفراغ العقلي.

ثانياً: الفراغ القلبي.

ثالثاً: الفراغ النفسي.

رابعاً: الفراغ الروحي .

خامساً: الفراغ الوقتي "الزمني"

---

(١) أي كائناً في أحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى، حيث براه الله تعالى مستوي القامة متناسب الأعضاء متصفاً بالحياة والعلم والقدرة وغير ذلك من الصفات التي هي من أنموذجات من الصفات الإلهية. - محمد العمادي، أبي السعود محمد: تفسير أبي السعود، م ٤، ج ٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، در، د ت، ص ١٧٥.

(٢) سورة التين: الآية (٤)

www.iqra.ahlamontada.com

وهناك فراغات أخرى سنقف على ذكرها إن شاء الله.

ليعذرني من يطلع على هذا البحث إذا قسمت الفراغ إلى أنواع و ألوان بعناوين متعددة فليس قصدي أن هذه الألوان والأنواع من الفراغ لا يتصل بعضها ببعض، فأنا أعلم أنها متواصلة وكل منها يؤثر في الأخر.

أولاً - الفراغ العقلي

١ - تعريف العقل:

أ ـ لغة:

عَقَلَ: عقلاً: أدرك الأشياء على حقيقتها. و ـ الغلامُ: أدرك وميَّز.

يقال: ما فعلتُ هذا مُذ عَقَلْتُ: و ـ إليه: عَقْلاً وعُقولاً: لجأ ويحضَّ ـ والظلُّ عَقْلاً: انقَبضَ وانزوىَ عند انتصاف النهار. و ـ الشيء: أدركه على حقيقته.

العاقل: المُدْرِكُ. (ج) عُقْالٌ، وعُقَلاء وهي عَاقِلَةٌ وعاقِلٌ [1].

العقل: ـ كل ما ورد في العقل و تعريفاته مناط خلاف ومحط وجهات نظر ـ (هو جوهر روحاني هو نور محض، درّاك لذاته ولخالقه تعالى هو عقلٌ محض، وقد اتفق على صحة هذا جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم[2] كما قال (ﷺ): «**لما خلق الله العقل، قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، فقال: بعزتي وما خلقت خلقاً أعجب منك، إني بك آخذ... وبك أعطي وبك الثواب.. وعليك العقاب**[3]».

وهذا العقل له ثلاث تعقلات:

١- أنه يعقل خالقه تعالى (باستدلال عليه).

---

(١) مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، ح٢،مرجع سابق، ص ٦٢٢، ٦٢٣

(٢) عبده، عيسى،واحمد إسماعيل يحيى: حقيقة الإنسان، ح٣، دار المعارف، القاهرة، ص٥٢

(٣) الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الأوسط، ح٧،تحقيق أيمن صالح شعبان وسيد أحمد إسماعيل، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ص٢٣٥، رقم الحديث(٧٢٤١) وأخرجه المصنف في الكبير ح ٨ص٣٣٩، رقم الحديث (٨٠٨٦).

www.iqra.ahlamontada.com

٢- أنه يعقل ذاتاً واجبة بالأول تعالى (الله سبحانه وتعالى).

٣- أنه يعقل كونه ممكناً لذاته.

- فحصل من تعقله خالقه عقل هو أيضاً عقل آخر كحصول السراج من سراج آخر.

- وحصل من تعقله ذاتاً واجبة بالأول، هي أيضاً جوهر روحاني كالعقل، إلا أنه في الترتيب دونه.

- وحصل من تعقله ذاته ممكنة لذاته جوهر جسماني، فتلك النفس المحركة، التي تحرك نفسنا جسمنا[1].

ب ـ اصطلاحاً:

العقل جوهرة ثمينة يمتلكها الإنسان فهو يتساوى بدون استخدام عقله للتعرف على ربه مع الدواب لقوله(ﷻ):

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [2]

الله سبحانه وتعالى جعل صفة العقل للإنسان أما إن كان في فراغِ عقل، فقد شابه الدواب لأنها غير مهيأة لاستخدام عقلها، فعندما يعطل عقله في تحصيل العلوم النافعة، واختيار العمل الصالح، وهذا هو ما أراد به سيدنا عمر (ﷺ) للرجال حين قال: (**أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، ومروءته خلقه**) [3].

وقال إبراهيم بن حسان [4]:

---

(١) عبده، عيسى،واحمد إسماعيل يحيى: حقيقة الإنسان، ج٣، دار المعارف، القاهرة، ص٥٣(بتصرف)

(٢) سورة الأنفال: الآية (٢٢)

(٣) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب: أدب الدنيا والدين: تحقيق مصطفى السقا مطبعة الحلبي البابي، مصر الطبعة الرابعة ١٣٩٣هـ ـ١٩٧٣م ص١٩.

(٤) إبراهيم بن حسان السلمي الأبرص (أبو حماد) قائد من قواد الدولة العباسية، وجهه السفاح إلى المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة، وهو في اليمامة فقتله وقتل أصحابه، وذلك في سنة ١٣٣هـ - ا لحلفي، أحمد عبد الرزاق: موسوعة الأعلام، في تاريخ العرب والإسلام، ج٤،دار البشير، ومؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م ١٤١٩هـ، ص٣٤١ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

يزين الفتى في الناس صحة عقله إذا كان محظوراً عليه مكاسبه
يشين الفتى في الناس قلة عقله وإن كرمت أعراقه ومناسبه
وأفضل قسم الله في المرء عقله فليس من الأشياء شيء يقاربه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه [1]

لقد صدق علماؤنا القدامى، حين فهموا العقل حق الفهم، فقالوا) إن في ابن آدم عقلاً وشهوة) وأن العقل هو مناط التكاليف الشرعية، والعقل جوهر مضيء خلقه الله في الدماغ وجعل نوره في القلب، يعرف الحق من الباطل والخير من الشر والحسن من القبيح.

أنواع العقل: جعل الكندي العقل أربعة أنواع وهي ـ كما عبر عنها في رسالته ـ [2]:

الأول: منها، العقل الذي بالفعل أبداً، وهو للبدن.

الثاني: العقل الذي بالقوة، وهو للنفس.

الثالث: العقل الذي خرج في النفس من القوة إلى الفعل.

الرابع: العقل (الذي يسميه البياني) الظاهر من النفس متى أخرجته فكان موجوداً لغيرها منها بالفعل[3].

وفي النص الذي اقتبسناه من رسالة الكندي في الفلسفة الأولى نجد شرحاً لمضمون الأنواع الثلاثة الأولى من هذا التقسيم الرباعي.

والنفس عاقلة بالفعل عند اتحاد الأنواع بها. وقبل اتحادها بها كانت عاقلة بالقوة. وكل شيء هو كشيء بالقوة فإنما يخرجه إلى الفعل شيء آخر، هو ذلك المخرج من القوة إلى الفعل، بالفعل، والذي أخرج النفس التي هي عاقلة بالقوة إلى أن صارت

---

(١) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب: أدب الدنيا والدين، مصدر سابق ص٢٠

(٢) الكندي، يعقوب بن إسحاق: رسائل فلسفية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار الأندلس، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠، ص١

(٣) المصدر نفسه، ص ص ١-٢.

www.iqra.ahlamontada.com

عاقلة بالفعل، أعني متحدة بها أنواع الأشياء وأجناسها، أعني كلياتها، وهي كليات أعيانها، فإنها باتحادها بالنفس صارت النفس عاقلة، أي لها عقل ما، أي كليات الأشياء. فكليات الأشياء، إذ هي في النفس خارجة من القوة إلى الفعل، هي عقل النفس المستفاد الذي كان لها بالقوة. فهي العقل الذي بالفعل، الذي أخرج النفس من القوة إلى الفعل.

والكليات متكثرة، فالعقل متكثر. ويعني أن استكمال هذه العملية يقتضي أيضاً حالة رابعة.

فهي تتكون على النحو التالي:

في البدء لا تتصف النفس بالتعقل (المعرفة) إلا من حيث الإمكان المطلق (القابلية)، وهذه هي حالة " النفس العاقلة بالقوة " ثم تتصف بالتعقل (المعرفة) فعلاً بعد اكتسابها المعارف وتقبلها الصور النوعية للأشياء التي تتضمنها هذه المعارف، وهذه هي حالة " النفس العاقلة بالفعل "، أي الحالة التي تخرج بها النفس من مرحلة إمكان المعرفة إلى حالة تحقق المعرفة فعلاً، ولكن هذه الحالة الثانية تتضمن حالتين اثنتين: أولاهما، حالة اكتساب المعرفة كمقدرة أو ملكة وحسب، من غير استعمال هذه المعرفة عملياً بصورة مباشرة، كالكاتب -مثلاً- الذي يملك قدرة الكتابة وهو لا يكتب. وثانيتهما، حالة استعمال هذه المقدرة، أو الملكة، عملياً بصورة مباشرة، كالكاتب حين يمارس الكتابة بالفعل، وكالمفكر حين يمارس عملية التفكير بعد أن تكونت عنده ملكة التفكير من اكتساب المعارف بصورها التجريدية في النفس.

وهذه الحالة الأخيرة هي نفسها ما أطلق عليه الكندي اسم " العقل الرابع " وهي ما يعنيه في

وضعه هذا " العقل" بأنه "الظاهر في النفس متى ظهر بالفعل"(١).

---

(١)مروة، حسين: النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، ج٢، الفارابي، بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨١، ص٩٦، ٩٨

www.iqra.ahlamontada.com

وعند أرسطو فالعقل له أنواع ثلاثة وهي:

١- عقل ماهيته أن يفعل جميع الأشياء (العقل الفاعل)

٢- العقل الذي يصبح جميع الأشياء، وهو العقل بالقوة

٣- العقل بالملكة، وهو عقل الإنسان الذي بالفعل، ومثل له أر سطو بحالة العالم الـذي اكتسب قدراً من المعارف يستطيع استخدامها مباشـرة متى شاء ذلك. ولـذلك يتصف هذا النوع بكونه ذا حالة هي بين القوة والفعل: فهو بالفعل من حيث امتلاكه المعرفة فعلاً وهو بالقوة من حيث أنه قد لا يستعمل هذه المعرفة بصورة مباشرة أحياناً [1]

أما العقل عند الرواقية[2] هو:

العامل الفعال الذي يؤمن الجمال و الانسجام في الطبيعة، وهذا العقل (الكلي) هو الله، فالله ليس خارجاً عن الكون، بل هو حال فيه متغلغل في جميع أجزائه.. ويصل الرواقيون إلى هذه النتيجة، وهي أن الله والعالم والطبيعة شيء واحد، فمن خضع لقوانين الطبيعة فقد أطاع الله، وفقاً لمقتضيات العقل، والعقل عند الرواقيين: نار لطيفة إلهية حكيمة منظمة، تلتهم العالم في نهاية السنة الكبرى [3].

مما لابد أن نعرفه أن الناس قد اختلفوا في تعريف العقل وحقيقته، وذهل الأكثر ون عن كون هذا الاسم مطلقاً على معاني مختلفة، فصار ذلك سبب اختلافهم.

---

(١) المرجع نفسه، ج٢، ص ٩٧

(٢) الرواقية (stoicism) ليست الرواقية من وضع مفكر واحد، بل هي مذهب تكون مع الزمن، وضع أسسه رينون السيتي، (renon of citium) وبلغ ذروته في روما مع شيشرون، وسينكا وابيلتاتوس ومارل أوريل. وللمذهب أراء منطقية وماورائية وطبيعة، ولكن الأخلاق هدفه الأسمى، وليس للموضوعات الأخرى من قيمة إلا بقدر ما تتعلق بالأخلاق- الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص٢٦٠ (بتصرف).

(٣) الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص ٢٦٢(بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

فقد قال الحارث بن أسد المحاسبي[1] في حد العقل: (إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك الأشياء).

أما الإمام الغزالي[2] رحمه الله تعالى فقال: أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان، فلا ينبغي أن يطلب أقسامه حد واحد، بل يفرد كل قسم بالكشف عنه.

الأول: الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعد به بقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية.

الثاني: هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات: كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد.

وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل: إنه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات. وهو أيضاً صحيح في نفسه، لأن هذه العلوم موجودة، ويسميها عقلاً ظاهراً.

الثالث: علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال، فإن من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال إنه عاقل في العادة. فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلاً.

الرابع: أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها، فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلاً.

---

(١) المحاسبي، أبو عبد الله (٧٨١-٨٥٧)م أول صوفي سني، جمع بين الفقه والفلسفة والتصوف، وقد اعتبره الأشاعرة من أسلافهم وقد اشتهر المحاسبي بمحاسبته النفس ومنها أخذ اسمه، وفي كتابه رعاية لحقوق الله، وصف شامل لهذه الطريقة، وقد رأى المحاسبي العبادة في شرطين الأعمال ونوايا القلب. وبين الأحوال التي توصل إلى الطهارة. - الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مرجع سابق ص٥٣٤(بتصرف).

(٢) الغزالي، (١٠٥٩ - ١١١١) هو الإمام أبو حامد محمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام، ولد في قرية طوس في إقليم خراسان كان أبوه غزالاً، يغزل الصوف ويبيعه، وربما نسب اسم العائلة إلى هذه الصناعة، فسمي الغزالي، درس علم الكلام في نيسابور على إمام الحرمين الجويني، وقد درس كتب الفلاسفة،ثم ألف كتاباً هو مقاصد الفلاسفة، ثم تهافت الفلاسفة، ثم اعتزل وخلا لنفسه يروضها، استعداد لما هو مقبل عليه، ثم كتب إحياء علوم الدين، ثم طوف في البلاد، ثم وافته المنية في مسقط رأسه (طوس) من مؤلفاته - الاقتصاد في الاعتقاد، المنقذ من الضلال.. - الحاج، كميل : الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص ٣٨٢

www.iqra.ahlamontada.com

فالأول هو الأس والسنخ[1] والمنبع، (هو بمنزلة البصر من الجسد).

والثاني هو الفرع الأقرب إليه، (قوة الغريزة التي تدرك العلوم الضرورية).

والثالث فرع الأول والثاني (إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب)

والرابع (هو الثمرة الأخيرة وهي الغاية القصوى)،

فالأولان بالطبع (الغريزة والعلوم الضرورية)، **والأخيران** بالاكتساب (التجارب ومعرفة عواقب الأمور)[2] ولذا قال الإمام علي كرم الله وجهه:

رأيت العقل عقلين ... فمطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع ... إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع

٢- الماهية:

أما من ناحية غذاء العقل وملء فراغه بالعلم والمعرفة والثقافة فنكتفي بذكر حادثة واحدة لأبي نعيم الأصبهاني حيث يروى عنه أنه: (كان في وقته مرحول إليه، لم يكن في أفق من الآفاق أسند ولا احفظ منه، كان حفاظ وقد اجتمعوا عنده فكان كل يوم نوبة واحد منهم يقرأ ما يريده إلى قريب الظهر فإذا قام إلى داره ربما كان يقرأ عليه في الطريق جزء، وكان لا يضجر.. ولم يكن له غذاء سوى التصنيف والتسميع). [2]

فهذا رجل قد عرف كيف يغذي عقله ويملأ فراغ لبه.. وحريّ بنا أن نقتدي به ونسير على خطاه حتى يكون غذاؤنا العلم والتعليم والتصنيف والتسميع... الخ.

إن للعقل في الإسلام مفهوماً قد يختلف عن مفهومه في الفلسفات المختلفة، وأبرز مميزات هذا المفهوم أن العقل ليس مقدساً، وليس له طابع الاستعلاء، أو التفرد، أو

---

(١) (السنخ) الأصل من كل شيء- إبراهيم، مصطفى وزملاؤه: المعجم الوسيط، ج١، مرجع سابق، ص٤٥٦.

(٢) السبكي، تقي الدين: طبقات الشافعية الكبرى، ح٣، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية،د ت، ص ٨

www.iqra.ahlamontada.com

السيطرة على الفكر كله. وإنما هو عامل هام من عوامل المعرفة. ولكن هناك عوامل، تسبقه وتلحقه عوامل أخرى، منها الوحي، ويعمل معه عامل القلب. ولا ريب أن العقل والإيمان معاً هما صمام الآمان في المعرفة الإنسانية. وقد وضعها الباحثون بأنهما عينان يبصر بهما الفرد سبيل الهدى، فإذا طمست عدسة الإيمان، كان معها الفراغ والحيرة، وإذا طمست العدستان كان بذلك العمى.

والمذاهب التي أنكرت العقل والإيمان، جاءت غاية في الظلام (كالوجودية[1] والفرويدية[2] والهيبية[3] وهما سبيلان لا ينفصلان، يهدي أحدهما إلى الحياة وأمورها، ويهدي الأخرى إلى ما بعد الحياة وما وراءها.

---

(١) الوجودية: existentidlism: مذهب فلسفي مشتق إلى حد كبير من كير كفارد kierkegvard، مع أن وجهة نظرها الراديكالية بالاهتمام بالفرد مظللة من قبل باسكالpascal (١٦٢٣-٦٢) فقد كان سورين كير كفارد sorenkier kiekegvard (١٨١٣-٥٥) فيلسوفاً دانمركياً وعالم لاهوت هاجم النظام الهيغلي hegelien السائد بما وراء الطبيعة وتفسير المسيحية كنظام عقائدي، مؤكداً الرابطة الأساسية بين الحقيقة الصادقة ومواءمتها الموضوعية، ورفض محاولات إفراز نظام موضوعي بالاستدلال، للإيمان، وأكد على الضرورة إلى قفزة إيمانية من قبل الفرد باعتبار أنه هو الذي يقف وحده في مواجهة الرب، وتطورت مواقف الوجوديين في القرن العشرين بطرق مختلفة ويتمسك هيدكر heidegger (١٨٨٩-١٩٧٦/ وجان بول سارتر j. b. sarter (١٩٠٥-٨٠) بأن المبدأ الأساسي هو: الوجود يسبق الجوهر existence precedes essence بمعنى أن الفرد ليست له طبيعة مفروضة بل إن عليه أن يقرر شخصيته بنفسه وهذا بالضرورة إلحادي، بينما ج. ما رسيل G. marcel /١٨٨٩-١٩٧٣/ و ك. جاسيرز k. jasers /١٨٨٣-١٩٦٩/ قد طورا التفسيرات المسيحية للمذهب مؤكدين أن الإيمان هو التزام بالمسؤولية لدى الشخص أكثر من ارتقاء إلى مباينة عقائدية. – زكار، سهيل، المعجم الموسوعي، ح٣،مرجع سابق، ص ٢٢٩ ٢٣٠.

(٢) (الفرويدية freudism freudiosmus freudisme) فلسفة التحليل النفسي التي قال بها فرويد (١٨٥٦- ١٩٣٩) وتقوم على الذاتية، وتتنكر للموضوعية، وتقوم بسيطرة قوة نفسية خاصة مجهولة وغير عاقلة على الشعور، ويطلق فرويد عليها اسم غير الاشعور أو الهو، وهي التي وراء كل أفعال الإنسان، بغية تحصيل أكبر قدر من اللذة وتقليل الألم ما أمكن، وكل أفعال الإنسان يوجهها مبدءان: مبدأ اللذة الذي يتمثل جلياً في سلوك الأطفال، ومبدأ الواقع الذي يتحصل مع النضج ويدفع إلى ضبط النفس والتخطيط للتفكير والسلوك والتكيف مع الواقع، وينشأ الصراع حينما يتصادم المبدءان. وعندما تتناقض غرضيات السلوك ودوافعه، وتتكون الشخصية من الموروث البيولوجي والنفسي والتجارب الحالية والقيم الأخلاقية والتحريمات والمباحات، وينسب فرويد للنفس مراحل للنمو يسميها المراحل النفسية الجنسية، والمرحلة=

www.iqra.ahlamontada.com

فإذا وقفت المعرفة عند الحياة وجدتها ناقصة مبتورة، لأنها لم تستكمل حلقة الاستمرار ولم تتم بها التجربة فصولاً وكأنما أخذت التجربة، وغيبت النتيجة والعبرة، وهذا هو النقص الذي يؤدي إلى الحيرة والقلق والتمزق، والعلم وإن كان من شأن العقل إلا أن الإيمان هو الذي دفع إليه، وهو أيضاً الذي يقوده في الطريق حتى لا يكون شراً ووبالاً على البشرية. وقد حرص الإسلام على أن يجعل العقل في مكانه الطبيعي. وفي حدود وظيفته وعمل على تحريره من كل سلطان إلا سلطان الله، فدعى إلى تحريره من الوثنية والمفاهيم الزائفة، كما حرره من الخضوع بالقوى الخفية والشعوذة والسحر.

=الأولى في الطفولة، ويتمركز فيها الانتباه فيها على الإخراج والمرحلة النفسية ويتحول فيها الاهتمام إلى القضيب ويخشى عليه الإخصاء، وتصبح الخشية من الإخصاء البيولوجي خشية من الإخصاء النفسي، بفقدان الرجولة والاستقلالية والهوية، والسلطة التي تتوجه إليها مخاوف الطفل هي السلطة الأبوية، ويتعين الطفل بأبيه من نوع تعين المعتدي عليه بالمعتدى، يتوهم أن تمسكه به يمنع عنه آذاه، واليقين بالأب هو امتثال أخلاقياته وقيمه وهويته الرجولية، ويتكون بذلك عند الطفل الأنا الأعلى أو الضمير، وآخر مراحل النمو هي المرحلة التناسلية، وفيها تصبح لدى الطفل القدرة على أن ينجب مثيله، والشخصية التناسلية هي الشخصية الكاملة،أثناء النمو أن تتثبت صفات من مراحل وترحل لمراحل أخرى، وقد يتعثر النمو وينتكس، وتضطرب النفس وتصاب بالأعصبة أو الذهانات، نتيجة الصراعات بين الشعوري وغير الشعوري، والحلال والحرام، والحق والباطل، والصواب والخطأ، وتكون لذلك أعراضه المرضية النفسية والعضوية، وبها يتوافق الإنسان مع ظروفه ودوافعه واحتياجاته والضغوط عليه، وهي بمثابة دفاعات، وردود فعل، وإسقاطات، وتخيلات، بها يواصل الإنسان الحياة رغم ما يكتنفها من مصاعب تلح عليه وتعوق حركته فيها. ـ الحفني، عبد المنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م ص ٥٩٢- ٥٩٣

(٣)- الهيبية: الدعوة الهيبية هي آخر ثمرات التطور الذي بلغته المجتمعات المعاصرة في طريقها الذي اختطته في ظل المذاهب المادية وفي معارضة كل ميرات الإنسانية من القيم والضوابط والأخلاق والعقائد، أن الدعوى الهيبية تنطلق من القول بأن الإنسان المعاصر يشكو القلق والتمزق وأنه لا تجد الإجابة على أسئلة ولا يستطيع أن يفهم سر وجوده. وان هذا كله قد أسلمه إلى غربة قاسية. ولا ريب أن هذه الصيحة التي تسود المجتمعات الغربية بالغربة والخوف من المجهول، قد باتت مصدر صدع كبير في بناء الأمم وأمسى الناس يعيشون بالرغم من كل ما يحوطهم من عوامل المتعة واللهو في فراغ نفسي، وفي وحشة وانفصال.
- الجندي، أنور: الإسلام والدعوات الهدامة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، در،دت، ص ص ١٩٧ — ١٩٨(بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

وقد أكد القرآن الكريم في مجموعه أن طبيعة تكوين العقل مرتبطة بجهة الفرد في الأرض في سبيل التقدم والقدرة على إدراك قوانين المادة وتسخيرها، وليس من مهمته الكشف عن أسرار التكوين الإنساني، ومن هنا كان عجزه عن ذلك بعد هذه المحاولات الطويلة، ذلك أن سر الكون والحياة، وسر الموت هو من الغيب الذي استأثر الله سبحانه به والذي قدم للبشرية فيه بياناً شافياً كافياً عن طريق الوحي. ولما كان سر الروح الإنسانية بعيداً عن مجال الإدراك عن طريق العقل. فقد شفى القرآن النفس البشرية في مطمحها وتطلعها إلى الفهم. فقدَّم لها منهجاً كاملاً.

أمَّا العقل فلم يكن من وظيفته الأساسية أن يخوض في هذا العباب ومن هنا كان عجز البشرية حتى الآن عن أن تضع لها منهج حياة أو أيدلوجية نظام وشريعة وقوانين صالحة للعمل، أو محققه لمطامح الإنسان. ومن ذلك أيضا عجزها عن وضع التفسير الكامل للكون.

إن العقل من خلق الله فهو يخضع له فلا يشترك معه في الألوهية، وقد أودعه في الإنسان لا ليعبده من دون الله، بل ليعرف الكون ويكتشف ما يلزمه منه. ويهتدي به في الظالمات التي ليس للدين أن يكشفها له، فللعقل أن يجول فيها ويتأمل ويدرك، ويستخرج ما يهدي إليه.

أما الأمور التي بينها الله في قرأنه وبسطها، فعليه أن يسلم بها. ولا يشتط فيدَّعي أنها غير صحيحة فهو من خلق الله، وهو واسطة لا غاية، وهو آلة تنكسر على ما يتعدى ميدانها.

ولا تستطيع أن تتحدى ما يقوله الله.

والعقل ليس إلهاً لا يخطئ، وإنما هو نور مصباح يكشف في الظلمات. ولكنه ينكشف أمام نور الله.

وهذا التحديد إيقاف للصراع. فالعقل لا يستطيع أن يكشف سر الخلق والكون وأن يضع مبادئ المعرفة بل الله يفعل ذلك – والعلماء المسلمون يرون أنه ما دام نور

www.iqra.ahlamontada.com

العقل أضأل من نور الله، فلماذا لا يتخذ نـور الله كاشـفاً في ميـدان الفلسـفة ليسـير نـور العقل وراءه- والعقلية الإسلامي: يتفق في نتائجه وطريقه مع الأخلاق فهـو الـذي يـدل على الخير ويهدي إليه. أما المكر والخديعة والـدهاء المؤديـة إلى السـوء. فليسـت مـن صنع العقل. وإنما هي من صنع النفس الأمـارة بالسـوء، ولـو رجـع الإنسـان إلى عقلـه رجوعاً سليماً لأباها. وليس العقل البشري نداً للوحي، ولكنه مهتد بالوحي، وهو جهـاز يتلقى الوحي ويفسره، وليس له قـدرة علـى معارضـة الـوحي، أو تقـديم تفسـير آخـر. والعقلية الإسلامي نور محرر من الشعوذة والسحر والقوى الخفية، والخضوع لغير الله.

والعقلية الإنساني لم يدرك بعد شيئاً من حقائق العناصر المبسطة، وكلمـا أوغـل في الجري وراء حقيقتها، انقلبت أمامه إلى مركبات تضاعف جهله بها. وبعد أن يكون أمام عنصر واحد، يجد البحث عن حقيقته يصبح أمام عنصرين أو أكثر عليه أن يبحث عن حقائقها من جديد.

ومما ذكره العلماء والبـاحثون: (أن العقـل لا يسـتطيع أن يحكـم علـى شـيء حتـى يَحْصُرَهُ في اثنين: الزمان والمكان). فيقول: متى وأين فمـا لـم ينحصـر بينهمـا لـم يكـن للعقل عليه سلطان، فالعقل لا يستطيع أن يحكم علـى الله ولا علـى صـفاته. ولا علـى قضائه وقدره، وكل عمله فيها فهـم. (نصـوص الـوحي) الـذي جـاء مـن خـارج العقـل. والعقل محدود لا يستطيع أن يتصور غير المحدود، ولا غير المتناهي.

والعقل لا يتصور الخلود، والله عز وجل غير محدود. فالعقل لا يستطيع أن يحكـم عليه. العقل يختـل ميزانـه إن حـاول الحكـم علـى غـير المحـدود، ويقـع في التنـاقض المستحيل.

والعقل لا يستطيع أن يحكم ولا يصح حكمه إلا في الأمـور الماديـة، أمـا مـا وراء المادة أي عالم الغيب (الميتافيزيقيا) [1] فلا حكم للعقل عليه.

---

(١) (ميتافيزيقيا) ما ورائي (meta physique) صفة ما يخص علم ما بعد الطبيعة أ ويتعلق به، وهي تقـال على معان متعددة ويستعملها بعضهم للتحقير بقصد وصف علمٍ ما، بأنه تخيلات لا طائل تحتها. – الحلو، عبده: معجم المصطلحات الفلسفية، مرجع سابق، ص ١٠٤.

www.iqra.ahlamontada.com

قال جاكوي [1] (jacobi) إن العقل غير المعان ولا بد أن يقود الإنسان إلى الإلحاد، وذلك لأنه بطبيعته الخاصة، لا يستطيع أن يعالج سوى الأشياء ذات الحدود، وأجزاء الأشياء، وهو يضع هذه الأجزاء معاً، لتكشف ما بينهما من روابط، ولكنه يعجز عن الحصول على مادة الحقيقة الخام.

إن الله الذي يمكن إثباته بالمنطق، لا يمكن أن يكون الله، لأن الحصول عليه بالمعرفة عن طريق العقل يتضمن سيطرة العقل، والخالق الأعظم لا يمكن أن يسيطر عليه، أو يحتويه عقله. إن الحقيقة فيما وراء الطبيعة ليس سبيلها الفكرة المنطقية، بل سبيلها الإيمان.

ويقول الأستاذ أبو ريدة: العقل قاصر عن إدراك الماهيات، وفي هذا المجال تكون أداة المعرفة، هي الحس والروح والقلب في القرآن أداة الفهم والنظر والوظيفة الأساسية للقلب هي المعرفة [2].

المذاهب:

أ- الغربية: هذان المذهبان وهما (المذهب الاسمي والمذهب التجريبي) في عقلية الغرب في القرن التاسع عشر.

---

(١)جاكوي، فردريك (١٧٤٣- ١٨١٩) jacobi friedderich فيلسوف آلماني، ولد في ديسلدروف وتوفي في ميونخ، عمل مستشاراً مالياً لدوق دي بارغ ودوجولييه، كان بيته الريفي قرب ديسلدروف ملتقى لأشهر مفكري ذلك العصر، أثرت فلسفته عميقاً على فيخته، خصوصاً كتابه " ديفيد هيوم والإيمان أو المثالية والواقعية " وقد اعترف فيخته بذلك في كتابيه " مصير الإنسان "و" النظرية في العلم " وله رسائله المشهورة إلى نيقولاي وفيخته. ومقولته الأساسية هي التي بنى عليها مذهبه هي (لا يمكن معرفة الله عقلياً، وكل نقص للأسباب والعلل واستعمال القياسات والاستدلال لا يوصل إلا إلى الإلحاد) كان لجاكوي أهمية كبرى في تاريخ الفلسفة الإيمانية، وخصوصاً المثالية منها فقد اعتبر هيغل أن كل الفلسفة الإيمانية الجديدة تبدأ به وكنط. - الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مرجع سابق ص ١٧٦- ١٧٧ (بتصرف).

(٢) الجندي، أنور: الإسلام والدعوات الهدامة، مرجع سابق، ص١٣٦ – ١٤١ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

كلاهما: يبحث في قيمة الميتافيزيقية كمصدر من مصادر المعرفة، وهـي فلسـفة مـا وراء الطبيعة.

فأولهما- المذهب الاسمي[1] (Nominatism):

يجعل العبارات التي تدل على الأنـواع والأجنـاس كـالوجود، والإنسـانية، والعلـة... وغيرها: أسماء وإشارات إلى مدلولات متصورة في الذهن، وليست واقعـة في الخـارج. و هي مصطلحات الميتافيزيقيا، الفلسفة الميتافيزيقيا ليست مصدراً لمعرفة واقعيـة بـل مصدر ذلك هو الواقع المحسوس وحده. والوسيلة للتعرف عليه هي الحواس الخمس.

ويلاحظ أن (أوكام) - Occam من أعمدة المذهب لا يـدخل الحقـائق الدينيـة في الحقائق الميتافيزيقيا، ولذا لا يوجه إليها هجوماً مباشراً، بل يفصل بينهما فصـلاً تامـاً. وهو إذ يناقش فلسفة ما بعد الطبيعة يناقش صنعة إنسانية، تطلب لنفسها الاعتبار العـام في ما تذكره من أفكار وآراء.

كما يُلاحـظ أن (كـنط[2]) Kant يشـبه العبـارات الميتافيزيقيـة بـورق نقـد بـدون ضمان، ويهدف إلى بيان: أن صنعة العقـل الإنسـاني فيمـا بعـد الطبيعـة لا تـأتي بـيقين

---

(١) المذهب الاسمي. (nominalism) عقيدة فلسفية كان أصحابها يعتقدون أن لا وجود " واقعياً " للمعاني الكلية أو الأفكار العامة أو التصورات، إنما الوجود الحقيقي هو للجزئي، فالجزء هو الموجود، وما يميزنـا الجنس والنوع والجوهر و العرض وما إلى ذلك إلا تمييز لفظي يقتضيه الكلام الإنسـاني، وإن الماهيـات والكليات ليست غير أسماء أو تسميات صوتية (voices flatu)، لذا أطلق عليهم لقـب الاسمـيين - الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مرجع سابق ص٣٨. (بتصرف)

(٢) (كنط، إيمانويل) (١٧٢٤- ١٨١٤) (kant Immanue) فيلسوف وعالم ألماني، ولد بكونفبرغ مـن أبوين فقيرين، ولكن على جانب عظيم من التقوى والفضيلة وكانا ينتميان إلى شيعة بروتستانتية تـدعى " الشيعة التقوية " (pietist) تتمسك بالعقيدة اللوثرية الأساسية، القائلة أن الإيمان يـبرز المـؤمن وأن الإرادة أهم من العقل في مجال الدين، وتشدد على دور القلب، أثر في تفكيره تياران رئيسيان من تيـارات الفلسفة الأوروبية. أحدهما النزعة العقلية التي وصلت عن طريق أساتذته، والتيار الأخر هو النزعة التجريبية التي شعر بتأثيرها شعوراً قوياً . من مؤلفاته، نقد العقل الخالص، نقد العقل العملي. - الحـاج كميـل: الموسوعة الميسرة، في الفكر الفلسفي الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٤٦١- ٤٦٩(بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

واقعي، لأن العقل لا يستطيع أن يأتي بيقين إذا اجتاز مرحلة الإنسان ودائرته الحسية إلى دائرة أعلى منها فوقها.

وكل ما يأتي به عندئذ لا يخرج عن الظن والتخمين، إذ العقل يحكم أنه محدد: بالبيئة وبالمكان والزمان والثقافة الخاصة، والجو الطبيعي والاجتماعي والسياسي، يستطيع أن يأتي بيقين عن الموجود غير المحدد، وهو الله. فالله مطلق في وجوده، لا تحدده شهوة ولا رغبة، ولا يحدده زمان ولا مكان، ولا شيء مما يحدد به الإنسان، ولذلك لا يستطيع الموجود أن يتصور غير المحدد تصوراً تاماً، وكل ما يفعله أن يقيس وجوده على وجود نفسه، وذلك ظن وليس بيقين!.

ومن ثم يطالب (كنط) Kant في فلسفته بإفساح مجال القلب للإيمان، وإبعاد العمل العقلي عن مجال الألوهية، وذلك ليس لأنه ينكر الألوهية، بل لأنه يريد أن يبعد العقل البشري عن الظن والتخمين[1].

وعلى هذا النحو طالب (الغزالي)، ومن قبله (الباقلاني) [2] و (الجويني) [3] لإبعاد الصنعة العقلية عن مجال الألوهية، ووضع الإيمان وتركيزه في القلب، بدلاً من تركه في مركز المناقشة العقلية. وتشبه حجة هؤلاء العلماء من المسلمين في ذلك حجة

---

(١) البهي، محمد: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، الفيصلية، مكة المكرمة الطبعة السادسة، ١٩٧٣، ص ص ٢٩٣ –٢٩٧(بتصرف)

(٢) الباقلاني (محمد بن الطيب، أبو بكر (ت ٤٠٣هـ/١٠١٣ م) متكلم أشعري، ولد في البصرة وتوفي في بغداد أوفده عضد الدولة سفيراً إلى إمبراطور القسطنطينية، من مؤلفاته: الحجاز القرآن، التمهيد، الملل والنحل. – مجموعة من المؤلفين: المنجد في الأعلام، مرجع سابق، ص١١٣

(٣) الجو يني (عبد الملك بن عبد الله أبو المعالي) ت (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) فقيه شافعي نشأ في نيسابور وقف حياته للتعليم، اتبع مذهب الأشعري، هاجر إلى الحجاز، فعلم وأفتى في مكة والمدينة حيث دعي " إمام الحرمين " ولما عاد إلى نيسابور، بنى له الوزير نظام الملك، " المدرسة النظامية " ليعلم فيها، من مؤلفاته: البرهان في أصول الفقه، نهاية المطلب في دراية المذهب الشامل، والإرشاد في أصول الدين – مجموعة المؤلفين: المنجد في الأعلام، مرجع سابق، ص٢٢٣.

www.iqra.ahlamontada.com

(كنط) أيضاً، من حيث أن العقل لا يصل إلى يقين فيما بعد الطبيعة، ولذلك كان علم الكلام في نظرهم علماً لا ينشئ عقيدة، ولا ينمي اعتقادا.

ثاني المذهبين: وهو المذهب التجريبي[1] (empirieism):

كما تركه (هيوم) [2] وقبل أن يتحول إلى (المذهب الوضعي) الذي تزعمه أوجست كونت، لا ينكر الوصول إلى (الله) عن طريق العمل العقلي، وهو العمل القائم على الربط والمشابهة بين الأفكار.

وهو ينكر فقط: أن تكون للمعرفة فيما بعد الطبيعة مثيرة المعرفة الطبيعية، في إمكان اختبارها والتثبت منها عن طريق التجربة.

نعم، بعد أن تحول هذا المذهب إلى (الفلسفة الوضعية) [3]، رغبت هذه الفلسفة الوضعية إلى (البحث الفلسفي) جملة أن ينهي توجيهه، ويبقى في (العلم) وفي الدائرة

---

(١) المذهب التجريبي: (Empirlcism) يقوم هذا البحث على فكرة أساسية، وهي أن المعرفة بكاملها تشتق من التجربة، وأن كل معرفة تقوم على أساس التجربة ويتم بلوغها عن طريق التجربة، وكلمة تجريبية، مشتقة من الكلمة اليونانية، (empiria). التجربة. وقد ظهر المذهب التجريبي قديماً عند الأبيقوريين، ولكن كنظرية مكتملة ظهر أولاً عند جون لوك (j. locke) (١٦٣٢-١٧٠٤) ثم عند خلفائه من الفلاسفة الإنكليز، ولاسيما ديفيد هيوم. - الحاج، كميل، الموسوعة الميسرة، مرجع سابق ص٥٤٦.

(٢) (ديفيد هيوم) (١٧١١-١٧٧٦) hume david. فيلسوف ومؤرخ اسكوتلندي. ولد في أدنبرا (اسكتلندة) وتوفي فيها. سافر إلى فرنسا ومكث فيها عدة سنوات، وقد عمل في السلك الدبلوماسي الإنكليزي. وبالرغم من أنه لم يعترف بإلحاده فقد ذاعت شهرته باعتباره " زنديقاً " وكان شكاكاً وخصماً لكافة الأديان. من مؤلفاته: رسالة في الطبيعة البشرية، محاولات لدراسة ملكة الفهم البشري. وهو التجريبي الثاني بعد (لوك). - الحاج كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص ٥٤٦-٥٤٧ (بتصرف).

(٣) المذهب الوضعي: (positivism) هو الاسم الذي أطلق على المذهب الذي أسسه في القرن التاسع عشر الفيلسوف الفرنسي أوغست كونت (١٧٩٨-١٨٥٧) والحركة التي قام بها. ومن ثم أطلق الاسم أيضاً على الاتجاه الفلسفي العام، الذي لا تعد " وضعية كونت " إلا مثالاً واحداً فيه. وشدد المذهب الوضعي على خلق منهجية للبحث أو " منطق العام " وإسقاط الميتافيزيقيا. وقد أنطلق من فكرة أساسية، وهي مادامت المعرفة الحقيقية كلها مؤسسة على الخبرة الحسية، ولا يمكن أن تتقدم إلا بواسطة الملاحظة والتجربة، فإن المحاولات التأملية أو الميتافيزيقيه لاكتساب المعرفة عن طريق العقل غير المحدود بالخبرة، لابد أن يتخلى عنها لصالح مناهج العلوم الخاصة. ويعتبر فرنسيس بيكون (١٥٦١-١٦٢٦) مؤسس الوضعية وواضع أسسها. وقد نشأت عن الوضعية فلسفات ومذاهب تقترب من الوضعية الكلاسيكية عند =

www.iqra.ahlamontada.com

الإنسانية والطبيعة، إذا طلب لمعرفته صنعة الحقيقة واليقين. وعلى الإنسان في سلوكه أن يبتدئ من ذات الفرد: وهي (أنا) ويسير منها للجماعة. وفي عبادته يجب أن يتجه إلى المجتمع والطبيعة الكبرى، دون أن يتجه بها إلى ما وراء الإنسان ووراء الجماعة ـ وهو الله[1].

بالموازنة بين المذهبين (التجريبي) و(الاسمي) نجد أن المذهب الثاني وهو المذهب (الاسمي) عبارة عن بحث في الألفاظ والعبارات، وهو بحث منطقي، اتخذ موضوعه مصطلحات فلسفة ما بعد الطبيعة، وأعلام الأشخاص في هذا الوجود المشاهد، ولكنه لم يتجاوز ذلك إلى إنكار الألوهية، بل حرص قادة هذا المذهب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على الاحتفاظ بالإيمان وبالعقيدة، وإن كان لهم نقد يتعلق بالشريعة المسيحية، لا للأسس التي تقوم عليها، على أنهم فرقوا في ذات العبارات، بين عبارات الأجناس والأنواع من جانب، وعبارات الأعلام الشخصية من جانب آخر ولفظ الله ليس من عبارات النوعين. وهناك مدارس أخرى جديرة بالاهتمام.

ثالثاً: المدرسة الربطية: وهي مدرسة بريطانية قديمة، اتخذت في أميركا شكل المثير والاستجابة: م ـــ س .... S ــ R

وذلك أيضاً عام ١٨٩٨م واتخذت في روسيا شكل الارتكاس الاشراطي عام ١٩٠٣

رابعاً: المدرسة التحليلية: بدأت في النمسا حوالي عام ١٩٠٠م.

خامساً: المدرسة القصدية: وهي مدرسة بريطانية بدأت سنة ١٩٠٨م.

سادساً: المدرسة السلوكية: وهي مدرسة أميركيَّة بدأت عام ١٩١٢م.

=أوغست كونت وجون ستيوارت، وكلها قائمة على إيمان غير مشروط بقيمة مناهجها، ومن هذه الفلسفات " الوضعية المنطقية "، والفلسفة التحليلية. – الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، ص٥٦٠-٥٦١ (بتصرف).

(١) البهي، محمد: الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الحديث الغربي، مرجع سابق ص٢٩٨ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

سابعاً: المدرسة الشكلية: وقد بدأت في ألمانية سنة ١٩١٢م. [1]

ثامناً: مدرسة منطقية العقل: وهي مدرسة ألمانية حديثة.

ما هو الاهتمام الرئيسي لكل مدرسة من هذه المدارس:

البنائية: تتركز على الإحساس.

والشكلية: تتركز على الإدراك.

والربطية: تهتم بالتعلم والتذكر.

والتحليلية: بالرغبة.

والقصدية: بالفاعلية القاصدة.

والسلوكية: بالفاعلية الحركية الشخصية.

والمنطقية: بالضابط المنطقي للعقل حيث ألزمت العقل بضوابط منطقية.

والمدرسة الوظيفة: [2] مقبولة من عدد كبير من علماء النفس لدرجة أننا لا نعتبرها مدرسة خاصة.

وأجد المدرسة المنطقية هي الأقرب لعلماء النفس المسلمين ويمكن اعتبارها المدرسة الإسلامية. حيث تجعل منطقية العلم ومنطقية الفلسفة من منطقية العقل. [3]

لأجل تكوين العقلية الإسلامي الجديد لا بد من عقل يضع أصول الاستكشاف فقد كانت الكشوف العلمية وليدة البحث والاستبصار والاستقراء ، والمعول على النظر العقلي. فلم يتقدم العلم. (إن العقل أداة تجريد وتصنيف ومساواة ومماثلة) [4] إذا نزل على سليقته انقاد لأوهام طبيعته فيه، ومضى في جدل عقيم يقوم في تمييزات لا طائل

---

(١) عاقل، فاخر: مدارس علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨١، ص١٤.

(٢) المدرسة الوظيفية: (f unc tinal psysnology) هذه المدرسة قديمة واسعة المدى غير محدودة تحديداً،وقد أعطي لها هذا الاسم في أمريكا عام ١٨٩٨م. – عاقل، فاخر: مدارس علم النفس، مرجع سابق، ١٣-١٤.

(٣) عاقل، فاخر: مدارس علم النفس، مرجع سابق، ص ١٤(بتصرف).

(٤) المرجع نفسه ص٤٧

www.iqra.ahlamontada.com

تحتها. ويتعين تحديد تلك المؤثرات الطبيعية للاحتراز منها ويسميها الفلاسفة الأقدمون (أصنام العقل) وهي أربعة أنواع.

النوع الأول- (مؤثرات الجماعة): وهي ناشئة من طبيعة الفرد، لذا كانت مشتركة بين جميع أفرادها. فالأفراد ميالون بالطبع إلى تعميم بعض الأفكار والحالات دون التفات إلى الحالات المعارضة لها، وإلى تحويل الماثلة إلى تشابه وتواطؤ، وإلى أن نفرض في الطبيعة من النظام والاطراد أكثر مما هو متحقق فيها، وإلى أن نتصور فعل الطبيعة على مثال الفعل الفردي الإنساني، فتوهم لها غايات وعللاً غائية.

النوع الثاني - (مؤثرات الفردية): وهي ناشئة من الطبيعة الفردية لكل منا، فإن الفردية بمثابة الكهف الأفلاطوني[1]، فالمؤثرات الفردية انعكاس ذاتي لتصورات الفرد، منها ينظر إلى العالم، وعليه ينعكس نور المؤثرات فيتخذ لوناً خاصاً، هذه الأفكار أو الأوهام صادرة إذن عن الاستعدادات الأصلية وعن التربية والعلاقات الاجتماعية والمطالعات: فمثلاً من الأفراد من هم أكثر ميلاً إلى الانتباه إلى ما بين الأشياء من تنوع، بينما آخرون أكثر ميلاً إلى البحث عن وجوه الشبه، إلى غير ذلك من الاتجاهات.

النوع الثالث- (مؤثرات البيئة): وهي الناشئة من الألفاظ والأفكار، فإن الألفاظ والأفكار تتكون طبعاً للحاجات العملية والتصورات العامية، فتسيطر على تصورنا للأشياء، فتوضع ألفاظ لأشياء غير موجودة، أو الأشياء غامضة أو متناقضة. وهذا أصل كثير من المناقشات، تدور كلها على مجرد ألفاظ.

النوع الرابع - (مؤثرات المجتمع): وهي الآتية مما تتخذه النظريات المتوارثة من مقام ونفوذ. ولا بد من توضيح بين النوع الثالث والرابع حيث يميز النوع الرابع حيث يكون سبب تلوين العقل متأثر بالأعراف والسلطات وغيرها [2].

---

(١)هو جهالة النفس التي تنار بالمعرفة التي رمز لها بالكهف الذي ينار بالشمس.

(٢)كرم،يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، الطبعة الرابعة،١٩٦٦م، ص ٤٧-٤٨،(بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

٣- الأسباب:

العقل منبع العلم ومطلعه وأساسه، والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة، والنور من الشمس، والرؤية من العين، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة أو كيف يستراب فيه. والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل، حتى أن أعظم البهائم بدناً وأشدها ضراوة وأقواها سطوةً، إذا رأى صورة الإنسان احتشمه وهابه، لشعوره باستيلائه عليه، لما خص به من إدراك الحيل.

فشرف العقل مدرك بالضرورة، وإنما القصد أن نورد ما وردت به الآيات والأخبار في ذكر شرفه، وقد سماه الله تعالى نوراً في قوله(ﷻ) : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [١].

وسمى العلم المستفاد منه روحاً ووحياً وحياة، فقال(ﷻ): ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٢].

قال (ﷻ):﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [٣].

---

(١)سورة النور: الآية (٣٥)

(٢)سورة الشورى: الآية (٥٢)

(٣)سورة الأنعام: الآية (١٢٢)

www.iqra.ahlamontada.com

وحيث ذكر الله النور والظلمة أراد به الله سبحانه العلم والجهل كقوله(ﷻ) :

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1].

وقال (ﷺ) «**أول ما خلق الله العقل قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، ثم قال الله عز وجل: وعزتي و ما خلقت خلقاً أكرم منك، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أثيبه وبك أعاقب**[2]».

وقال (ﷺ) «**وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**[3]».

ولا يتم الرجل حسن خلقه حتى يتم عقله، فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه إبليس. وقال(ﷺ) « **لكل شيء آلة وعدة، وإن آلة المؤمن العقلُ، ولكل شيء مطية، ومطية المرء العقل، ولكل شيء دعامة، ودعامة الدين العقل، ولكل قوة غاية، وغاية العباد العقل، ولكل قوم داعٍ وداعي العابدين العقل، ولكل تاجر بضاعة، وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل أهل بيت قيم، وقيم بيت الصديقين العقل، ولكل خراب عمارة، وعمارة الآخرة العقل، ولكل امرئٍ عقب ينسب إليه ويذكر به، وعقب**

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٥٧)

(٢) الزبيدي، محمد بن محمد الحسني: إتحاف السادة المتقين، ج١، دار الفكر، بيروت، در، د ت، ص٤٥٣ - الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الأوسط، تحقيق أيمن صالح شعبان وسيد أحمد إسماعيل، ج٧، مرجع سابق، ص٢٣٥، رقم الحديث (٧٢٤١) أخرجه المصنف في الكبير (ح٨٠٨٦٠) (٣٣٩/٨) وقال الهيثمي، وفيه عمر بن أبي صالح قال الذهبي لا يعرف، المجمع (٢٨/٨) وأورده أيضا في مجمع البحرين (٣٠٠٨) وصححه السيوطي اللآلئ(١: ٦٧)

(٣) الترمذي: محمد بن عيسى: الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، ج٤، تحقيق إبراهيم عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص٣٦٣ رقم الحديث (٢٠٠٣).

www.iqra.ahlamontada.com

الصديقين الذي ينسبون إليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل[1]».

وقال(ﷺ)«**أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب نفسه في طاعة الله عز وجل، ونصح لأمة محمد وتفكر في عيوبه فأقصر وعقل وعمل[2]».**

وقال(ﷺ) «**أتمكم عقلاً أشدكم لله خوفاً وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظراً، وإن كان أقلكم تطوعاً[3]».**

وبعد هذا فإن للعقل فراغات هي:

أ- غياب العقل الاستراتيجي:

أهلية العقل للبحث صلاحيته لصدور ذلك الشيء وطلبه منه، وأهلية الأداء عبارة عن صلاحيته لصدور الفعل على وجه يعتد به (شرعاً أو عرفاً) وبهذا يعرف أن الأهلية مناط الإنتاج والتكليف، ويشترط في الصلاحية والتكليف بالنظر إلى العقل وهو المحكوم عليه فهم المكلف لما كلف به، بمعنى قدرته على تصور ذلك الأمر والفهم من الخطاب، بقدر يتوقف عليه الامتثال، وهو محال عادة وشرعاً، ممن لا شعور له بالأمر[4].

ولعل من المؤشرات الخطيرة: غياب العقل الاستراتيجي[5]،عن الساحة الفكرية الإسلامية المعاصرة. العقل القادر على استشراف الماضي، وفقه الحاضر، وإبصار

---

(١) الزبيدي، محمد بن محمد الحسني: إتحاف السادة المتقين، مصدر سابق، ح١ص٤٥٧، ٤٥٨ - العراقي، إبراهيم بن منصور: المغني عن حمل الأسفار، ج١، طبعة عيسى الحلبي، د ر، د ت، ص٨٤.

(٢) الديلمي، شيرون بن شهر دار: الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ح١ص٣٦٦ جمع الجوامع رقم الحديث ٦٢٠٢.

(٣) الزبيدي، محمد بن محمد الحسني: إتحاف السادة المتقين، مصدر سابق، ح١ص٤٥٨.

(٤) الموسوعة الفقهية، ج ١٣، الكويت، وزارة الأوقاف، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م، ص ٢٤٩-٢٥٠ (بتصرف).

(٥) الاستراتيجية: هي تحقيق المواءمة أو التكيف بين الخطط والأهداف البعيدة التي تحدد (....) وبين الوسائل والأدوات من أجل تحقيق الأهداف. - مؤلفون: التربية القومية الاشتراكية، وزارة التربية، سورية، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣-٢٠٠٤، ص ١٨.

www.iqra.ahlamontada.com

المستقبل، في ضوء عطاء الوحي، وهدايته، وكسب العقل، من خلال التخصصات المتعددة، التي لابد منها لتشكيل العقل الجماعي للأمة... وشيوع عقل التبرير والتسويغ.. وغياب فقه المقاصد وبروز فقه المخارج، والحيل الشرعية غياب جلب المنافع، وبروز درء المفاسد، وسد الذرائع... الأمر الذي لا يعني أكثر من المحافظة على الواقع، والإبقاء عليه، مما أدى بالتالي، إلى فقر المكتبة الإسلامية المعاصرة، للبحوث والدراسات، والمؤلفات، التي تقدم دراسات مقدورة في أسباب النهوض والسقوط، والانقراض الحضاري، ودراسات عن حركات التغيير، وسبب إخفاقها، وعبرة تجربتها، من خلال رؤية الوحي ومرجعيته.

وليس من قبيل المجازفة القول: بأن معظم المتوفر من ذلك، قد يفتقر أصحابه إلى لغة التنزيل.. وعاء التفكير... كما يفتقر إلى المرجعية الشرعية، ومركز الرؤية الدقيقة، لذلك جاء معظم كسبهم لا يتجاوز بعض النظرات، والملحوظات، والتأملات، التي تمثل نقطة الضوء، أو شرارة قدح الزناد، التي تحتاج إلى كثير من التأصيل والضوابط الشرعية، علماً بأن دراسة أسباب النهوض والسقوط، وحركات التغيير والتجديد، تعتبر من الفروض الجماعية التي يمكن أن تشكل المحور الرئيس لآيات التنزيل، الميسر للذكر، المستدعي للمذاكرة.

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [1].

هذا على مستوى التاريخ العام، إضافة إلى التقصير الكبير والرعيب [2]، في فقر المكتبة الإسلامية المعاصرة، إلى دراسة وتقويم العمل والدعوة الإسلامية على مستوى التاريخ الخاص وبيان الخلل الذي حال دون بلوغها الغاية، واعتصار التجارب الذاتية لصالح الجيل ولصالح المستقبل الإسلامي[3].

---

(١)سورة القمر: الآية (١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠)

(٢)الرعيب: (الرعب) الخوف. (رعبة) يرعبه. (رعباً) بالضم أفزعه.

(٣)حسنة، عمر عبيد: في النهوض الحضاري بصائر وبشائر، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م ص ص ١٤٨، ١٤٩.

www.iqra.ahlamontada.com

ب- العقل العربي والإسلامي قدم استقالته واستراح:

ففي مفاهيمنا الإسلامية الأصيلة كلمتان مشتقتان من مصدر ومادة واحدة، لهما أكبر الأثر في الحياة الإسلامية، وفي مسيرة الأمة على امتداد التاريخ.

هاتان الكلمتان هما (**الاجتهاد والجهاد**)، وقد اشتقتا من مادة (ج هـ د) بمعنى بذل الجُهد (بضم الجيم) أي الطاقة، أو تحمل الجَهد (بفتح الجيم) أي المشقة. والكلمة الأولى هدفها معرفة الهدى ودين الحق الذي أرسل الله به رسوله. والأخرى هدفها حمايته والدفاع عنه. الأولى ميدانها الفكر والنظر، والأخرى ميدانها العمل والسلوك.

وعند التأمل نجد أن كلا المفهومين يكمل الآخر ويخدمه، فالاجتهاد إنما هو لون من الجهاد العلمي، والجهاد إنما هو نوع من الاجتهاد العملي.

وثمرات الاجتهاد يمكن أن تضيع إذا لم تجد من القوة من يتبنى تنفيذها، كما أن مكاسب الجهاد يمكن أن تضيع إذا لم تجد من أهل العلم من يضيء لها الطريق.

وفي عصورنا الإسلامية الزاهرة مضى هذان الأمران جنباً إلى جنب: الاجتهاد والجهاد.

فسعدت الأمة بوفرة المجتهدين من حملة العلم، ووفرة المجاهدين من حملة السيف. الأولون لفهم ما أنزل الله من الكتاب والميزان، والآخرون لحمايته بالحديد ذي البأس الشديد وهو ما تشير إليه الآية الكريمة قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

وفي بعض العصور وجد الجهاد لكن لم يصحبه الاجتهاد فجمدت الحياة الإسلامية وتحجرت، على حين كانت المجتمعات غير المسلمة قد بدأت في اليقظة والتفتح والنهوض.

---

(١)سورة الحديد: الآية (٢٥).

www.iqra.ahlamontada.com

ثم تلت عصور أخرى فقد المسلمون فيها الاجتهاد والجهاد معاً، فغزوا في عقر دارهم، وفقدوا سيادتهم واستقلالهم ووحدتهم.

ثم منادي الجهاد لتحرير الأرض، وحصل المسلمون على استقلالهم، ولكنه كان استقلالاً ناقصاً قاصراً، إذ الاستقلال الحقيقي أن يتحرروا من آثار الاستعمار التشريعي والثقافي والاجتماعي، إلى جوار التحرر من الاستعمار العسكري والسياسي، ويعودوا إلى ذاتيتهم الأصيلة، وهذا ما يكون إلا إذا كانت شريعة الإسلام أساس حياتهم كلها الفكرية والعملية، والروحية والمادية، الفردية والاجتماعية، الاقتصادية والسياسية، التشريعية والتربوية.

إن الاجتهاد هو الذي يعطي الشريعة خصوبتها وثراءها، ويمكنها من قيادة زمام الحياة إلى ما يحب الله ويرضى، دون تفريط في حدود الله، ولا تضييع لحقوق الفرد، وذلك إذا كان الاجتهاد صحيحاً مستوفياً لشروطه صادراً من أهله في محله.

الاجتهاد هو نوع من أعمال العقل، والتفكير في النص الشرعي، ومحاولة الاستهداء به، لتقديم الحلول لمشكلات الواقع، بهدي خلود الشريعة، ومرونتها، وقدرتها على العطاء.

والاجتهاد عند الأصوليين: فقد عبروا عنه بعبارات متفاوتة، لعل أقربها ما نقله الإمام الشوكاني في كتابه "إرشاد الفحول[1]" في تعريفه بقوله (بذل الوسع في نيل حكم شرعي عملي بطريق الاستنباط) وبعض الأصوليين لم يكتفي بكلمة "بذل الوسع" وجعل بدلها كلمة" استفراغ الوسع " بل زاد الإمام الآمدي على ذلك فقال في تعريفه: (هو استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الإحكام الشرعية على وجه يحس من

---

(١)الشوكاني، محمد بن علي محمد: إرشاد الفحول،دار الفكر، دمشق، در، دت، ص٢٥٠ (وهو تعريف الإمام الزركشي في البحر المحيط)

www.iqra.ahlamontada.com

النفس العجز عن المزيد عليه [1]) وقيل: هو بذل الجهد للوصول إلى الحكم الشرعي من دليل تفصيلي من الأدلة الشرعية[2] مع المعرفة العلمية للقاعدة الأصولية (لا مساغ للاجتهاد فيما فيه نص صريح قطعي) .

وهذا الاجتهاد قد يخطئ، وقد يصيب، وسواء أكان خطأ أم صواباً، فصاحبه مأجور، لإعمال عقله، وتفاعله مع نصوص الكتاب والسنة وقد ورد فيها نص قطعي الورود والدلالة أو لا نص على حكمها أصلاً.

والمعروف أن الله سبحانه وتعالى تجاوز عن الخطأ، ولم يعاقب عليه، قال الرسول(ﷺ) «**إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه...** [3]».

إلا في قضية إعمال العقل، والاجتهاد في نصوص الشريعة، فإن الأمر لم يقتصر على التجاوز، ورفع الخطأ، وإنما يتعدى إلى الثواب عليه، حتى تبقى حركة الفكر مستمرة، والاتصال بالكتاب والسنة دائباً، ومفتوحاً لكل مسلم، بحسب قدرته واستطاعته وأهليته. ولعل إغلاق باب الاجتهاد الذي لا يخرج عن كونه اجتهاداً، هو إعلان لوفاة العقل، ومحاصرة لخلود الشريعة، وامتدادها، وقدرتها على العطاء في كل زمان ومكان، وخروج من الحاضر والمستقبل، وفتح الباب على مصراعيه للغزو الفكري، والثقافي، والقانوني، والاستلاب الحضاري، والتحول إلى تقديس الأشخاص، والتوقف عند اجتهادا تهم، وآرائهم، والدوران في فلكها، شرحاً واختصاراً، وشرح الشرح، واختصار الاختصار، ووضع الحواشي والمتون، ونظم الأراجيز وشرحها، والانسحاب من الواقع الاجتماعي، والبعد عن معالجة مشكلات الأمة، في ضوء قيم

---

(١)الآمدي، الحسن بن بشر بن يحيى: الأحكام في أصول الأحكام، ج ٤، دار الكتب العلمية، بيروت، در، دت، ص ٢١٨.

(٢)خلاف، عبد الوهاب: علم أصول الفقه، دار القلم، الكويت، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ص ٢١٦

(٣)ابن ماجه، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، ج١، مصدر سابق، ص ٦٥٩رقم الحديث(٢٠٤٣)، وقال فيه، إسناده ضعيف

www.iqra.ahlamontada.com

الكتاب والسنة، وابتكار شروط وقيود للاجتهاد، مستحيلة الوجود والتحقق، والحجر على فضل الله وقدرته في أن يمنح الأمة، في كل زمان ومكان، القادرين على النظر لمشكلاتها، في ضوء الكتاب والسنة، وامتلاك القدرة على التعامل مع الكتاب والسنة، والنظر فيهما، ونزيلهما على الواقع، من خلال استيعاب تلك المشكلات.

ذلك أن تعطيل قطاعات كبيرة من المسلمين، عن إعمال العقل وعن التفكير، والانفعال بالنصوص، والحكم عليها بالعجز، وعدم امتلاك الأهلية، وجعل القرآن والسنة للنخبة فقط، أمر يتعارض مع أخص خصائص خير القرون، التي كان الانفعال فيها بنصوص الشرع، عاماً وجماهيراً، ابتداءً من الطفل الذي يُدرَّب على الاجتهاد، ويحضر مجلس شورى الصحابة، والمرأة التي ترد على إمام المسلمين وخليفتهم، وتصوب اجتهاده، وحتى خليفة المسلمين.

لقد أدى إغلاق باب الاجتهاد، وإيقاف التفكير وإعمال العقل، إلى كارثة عقلية، وحول الأمة من التفكير والإبداع، إلى التلقين والتقليد، وعاد بها إلى أدنى وظائف العقل، إلى مراحل العقل الطفو لي، القادر على الحفظ، وشحن الذاكرة، لا على التفكير والتحليل، والنظر، والاجتهاد، حتى باتت مؤسسات التعليم والتربية، والعملية التعليمية بعامة، تقوم على التلقين، وليس على التفكير... والطالب المتميز، هو ذو الذاكرة القوية، والأكثر حفظاً، الذي يكون نسخة عن أستاذه، وكتابه المدرسي، والأكثر سكوناً وعطالة، والأقل تطلعاً... والطالب الشاذ والمشاغب، هو الطالب صاحب الفاعلية والنشاط الذهني، الذي يحاول النظر، والتفكير، والسؤال، والخروج عن الإيقاع العام !!.

وبذلك ينشأ التقديس للأشخاص، والتعصب لآرائهم، لانعدام القدرة على النظر والموازنة والمقارنة، والإفادة من جميع الآراء، في العودة إلى نصوص الكتاب والسنة.

ج - قيم و مفاهيم و أوضاع سائدة:

فعلى حين يدعي معظم الناس أنهم فاهمون لكل ما يجري ومستوعبون، يأتي من يقول: إن الناس غير دارين بشيء، وما يقال ويعلن يعطي انطباعاً مغايراً تماماً لما يجري في حقيقة الأمر.

www.iqra.ahlamontada.com

وسبب الصعوبة البالغة في فهم الواقع العام لفراغنا العقلي، والعصر على نحو أعقد أن الناس أينما كانوا لا يستطيعون فهم الواقع إلا عبر (إشكالية) أو بنية معرفية فكرية مكونة من ثلاثة عناصر أساسية: هي: معتقداتهم وقيمهم، ومركّبهم العقلي، والمعلومات المتعلقة بالشيء أو الحدث الذي يحاولون فهمه[1].

حتى إن أبناء الأمة الواحدة حين ينظرون إلى فكرة ما من زاوية عَقَدية، لا يرونه على درجة واحدة من الوضوح، كما أن سلّم القيم والأولويات ليس ذا ترتيب واحد بينهم، ومركباتهم العقلية أو المبادئ الثقافية والمعرفية التي ينظرون من خلالها إلى الأشياء، ليست هي الأخرى موحدة، فعلى حين ينظر بعضهم بعيون التفاؤل وحسن النية، ينظر آخرون بعيون الريبة والتشاؤم.

وعلى حين يتمتع بعضهم برحابة الأفق والفهم العميق، يتناول بعضهم الآخر الأمور من زاوية ضيقة، ويستخدم أدوات معرفية مبسطة في الفهم... المعلومات بالقضية موضع استبصار متفاوتة تفاوتاً كبيراً بين أهل بلد و أهل بلد آخر، وبين فرد وفرد آخر، فالتفاوت والفارق ضخم بين معلومات المباشرين لأمر، ومعلومات الذين درسوا حوله، ومعلومات الذين سمعوا به...

وهذا كله يجعل معرفتنا لواقع أسباب الفراغ العقلي نسبياً. وكثيراً ما نجد أنفسنا حيال فهم مسألة من مسائله كمن يدور داخل دوامة، فقدت محورها!.

وإني هنا لا أطمح إلى الفهم النهائي، ولا الإفهام الكامل، لكن كل ما أرجوه هو ألا أعطي انطباعات خاطئة عن المسائل التي تطرقت لها وسأتطرق إليها.

أ- من الأمل إلى الخوف:

حين ينسى الإنسان ربه، وبداية خلقه ووجوده، ووهنه وضعفه أمام عوادي الدنيا، فإنه يصبح من اليسير عليه أن يغرق في شبر من قوة، وأن يسير خلف أوهام

---

(1) بكار، عبد الكريم: عصرنا ملامحه وأوضاعه، ج١، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، ص ٣٢ - ٣٣.

www.iqra.ahlamontada.com

المكتشفات، والمخترعات والصناعات، وأن يفسر من خلالها كل مسائل الحياة، حتى يغرق ويشتط إلى مسألة الروح وبداية الخلق !.

وحين يغادر الفرد كل الأطر الثابتة، فإنه سيكون عاجزاً عن الإمساك بالكليات الكبرى التي تحدد له مساره، وتؤسس له علاقته بما حوله، وذلك لأن المحك المرجعي آنذاك، سيكون عبارة عن بنية فكرية كونية، ما فتئت تتغير، وتتشكل وفق هيكل الحقيقة الذي تطرأ عليه تغيرات مستمرة، من جراء البحوث والكشوف والدراسات الجديدة، وبهذا لا تكون ثمة أصول يتحاكم إليها، وإنما بيئات فكرية ومعرفية انتقائية وتاريخية متغيرة، ولدت في بيئات ذات خصوصيات ثقافية معينة. (١)

يقول (توماس كون) (٢): القرن العشرون الذي يوشك أن يأفل، هو بمعنى من المعاني الوجه المقابل للقرن التاسع عشر، على نحو يؤذن بمعالم جديدة تماماً في فكر وفلسفة إنسان القرن الحادي والعشرين: إن القرن التاسع عشر قرن العقل واليقين، أما القرن العشرون، فهو قرن الشك والاحتمال. وكان القرن التاسع عشر قرن الإيمان بالنظريات والمذاهب، وواحدية النظرية أو المذهب. أما القرن العشرون فهو قرن التمرد والثورة والتعددية.

وكان القرن التاسع عشر قرن الثقة في الاستقرار وانتصار الإنسان. أما القرن العشرون فهو قرن الأزمات والصدمات. كان القرن التاسع عشر قرن الذات – الجوهر– الفاعلة المتعالية على السياق و التاريخ.... أما القرن العشرون، فهو قرن الذات الموضوع رهن السياق ووليد التاريخ... أهلَّ القرن العشرون بأزمة عصفت بكل

---

(١)بكار، عبد الكريم: عصرنا ملامحه وأوضاعه، مرجع سابق، ص٣٦ (بتصرف).

(٢)توماس كون " connjonas "فيلسوف باحث في القيم، ولد في جيرلتس (jorlitz)في ١٨٦٦- ١٩٤٧ حصل على الدكتوراه من برلين في الفلسفة.ساير اتجاهات مدرسة بادن (Baaden). التي سادت الفلسفة الكنطية الجديدة، واتبع خصوصاً آراء هنريس ركرت، لكنه مالبث أن اتجه نحو الفلسفة الديالكتيلية المستندة إلى هيغل من مؤلفاته: علم الجمال العام، معنى الحضارة الحاضرة، روح التربية . – بدوي، عبد الرحمن: ملحق موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م ص٢٤٧-٢٤٨ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

دعائم الثقة، وبكل أركان اليقين، وبكل مبررات استقلال الذات أو الموضوع، وثار العقل على نفسه في سياق من الأحداث الاجتماعية المأساوية، وبقوة دفع التطورات والإنجازات العلمية التطبيقية منها والإنسانية. وتغيرت مقومات الفكر، بل وأسس الثقافة ذاتها)[1] .

أثبتت نظرية (النسبية) [2] (أن أساس العلوم المضبوطة الذي كان يعتبر أمراً بديهياً، يمكن أن يتغير، بعد أن أحاطت الشكوك بجوهر الفيزياء الكلاسيكية).

ربطت نظريات القرن التاسع عشر الخاصة بالتقدم بين شرور البشر وبين حالة التخلف والتطور الاجتماعي وحين وقعت الحرب العالمية الأولى والحرب الثانية، وألقيت القنابل الذرية على البشر في اليابان، وارتُكبت أبشع الفظائع تجاه الضعفاء والنساء والشيوخ، نشأ إحساس قوي بأن التطور الاقتصادي وانتشار التعليم، واغتناء الثقافات، أمور غير كافية للحد من الجرائم والتدهور الخلقي، وصار هناك من يتساءل: ما جدوى ما ندعيه من التقدم التاريخي إذن ؟!.

الأمل المبالغ فيه الذي كان يعم الغرب في القرن التاسع عشر، نشأ من أن الغرب،لم يكن يعرف محدودية العلم الذي علق عليه كل الآمال، وقد كان العلم آنذاك في أوله، ولم يكن بالإمكان معرفة تلك المحدودية إلا بعد أن يبلغ العلم مداه، أو يكاد.

وحين وصل العلماء إلى طريق مسدود ببحث كثير من المسائل، ساد في الأوساط العلمية شعور بأن التفاؤل المفرط، هو أول خطوة في طريق التشاؤم والعبث، وانقطاع الرجاء...

بعد الأمل والتفاؤل المفرطين بإمكانية سيطرة الفرد على الطبيعة، حل الشعور بالتفاهة والانحسار، وقد عبر (الوجوديون) [3]عن الحالة التي صار إليها الوجود

---

(١) بكار، عبد الكريم: عصرنا والأمم وأوضاعه، مرجع سابق، ص٣٨ (بتصرف).

(٢) صفة كل ما هو نسبي ومخالف للمطلق- المذهب الغالب بأن الأمور كلها نسبية لا مطلقة. الحلو، عبده: معجم المصطلحات الفلسفية، مرجع سابق، ص١٥٠

(٣) (الوجوديون) سبق الكلام عنهم.

www.iqra.ahlamontada.com

الإنساني بأنها: عدم وموت وحصر وهم وضيق، وضياع للفرد في الجماعة، وثرثرة وغثيان وفراغ وعبث... والإنسان على حد تعبير (كامو) [1]: تناقض وسخف ولا معقول، بلا غاية أو هدف، ومصيره الانتحار !.

والوجود الإنساني عند (ميرلو بونتي [2]) و(مار سل [3]) جسم، والنفس أحد أبعاده.

وعند (كير كيغارد [4]) الوجود الإنساني تناقض وفضيحة وعار.

حتى انتهت كثير من الفلسفات الوجودية إلى العبث و غير المعقول، على عكس ما كان عليه الوعي الأوربي في البداية عندما كان يتسم بالعقل والهدف والغاية والحرية

---

(١)كامو، ألبرت (١٩١٣-١٩٦٠) camus، Alpert فيلسوف وكاتب فرنسي، ولد بالجزائر، عمل في الصحافة خلال الحرب العالمية الثانية، وكان رئيساً لتحرير صحيفة "كومبا " (combai) نال جائزة نوبل عام ١٩٥٧م من مؤلفاته: أسطورة سيزيف، الطاعون، الإنسان المتمرد.

أهم الموضوعات التي تطرق إليها كامو هي: عبثية الحياة، وعجز الذكاء والبشرى أمام أحداث الحياة، وقوة الموت التي لا ترد ولا تقهر. - الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص٤٥٢ (بتصرف).

(٢) ميرلو بونتي: هو موريس (١٩٠٨-١٩٦١) (maurice،Merleau- ponty) فيلسوف فرنسي، يعتبر أحد ممثلي الفلسفة الوجودية، تأثر أيضا بهوسيرل والمذهب الظاهراني. عمل أستاذا في جامعة ليون والسوربون والكوليج دي فرانس، من مؤلفاته: النزعة الإنسانية والإرهاب، علم ظواهر الإدراك. - الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص٥٨٧ (بتصرف).

(٣) مارسل: هو غابريل: (١٨٩٩-١٩٧٣) (capriel،Marcel) فيلسوف وكاتب فرنسي، عمل أستاذاً بجامعة السوربون، قدم مارسيل عمله الفلسفي عن طريق يومياته التي ظهرت في أجزاء ثلاثة، يوصف مارسيل في كثير من الأحيان بأنه " وجودي مسيحي " وهو بهذه الصفة يقف في الطرف المقابل لسارتر من مؤلفاته: (يوميات ميتافيزيقية، الحضور والخلود -الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص٥١٥ (بتصرف).

(٤) كير كيغارد: هو سورين (١٨١٣-١٨٥٥) (sorem Kierke gudred) فيلسوف دانمركي، يعد من رواد المذهب الوجودي، يعتبر مؤلفه الفلسفي الرئيسي " الحاشية الختامية غير العلمية " إسهاماً عظيماً في نظرية المعرفة، وبالرغم من وفاته في سن الحادية والأربعين، فقد كتب كير كيغارد في عدة ميادين. من مؤلفاته: مفهوم القلق، المرض حتى الموت، مراحل على طريق الحياة، شدد كير كيغارد على الحياة الفردية، وكان هذا التأكيد على الذاتية والفردية بمثابة رد على فلسفة هيغل، فالحقيقة عنده دائماً ذاتية. وقد ترك كير كيغارد تأثيره على الفلسفة المعاصرة، وخصوصاً على " فلاسفة الوجود " مثل هايدغر، وكارل بارت، وياسيبرس وجا بول سارتر. - الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص٤٨٠ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

والتقدم والوضوح والاتساق.

إن عالمنا العربي والإسلامي لم ولن يستطيع أن يفلت من روح التشاؤم التي ولدت في بلاد الغرب، وأخذت تنسل في كل شبر في الأرض، ونظرة واحدة في معظم الدواوين الشعرية الحديثة، وفي الكتابات الحضارية عامة، بل في أحاديث مجالس السمر لدى العامة والخاصة، كافية للتأكد من أن الناس يشعرون أن أفضل أيام البشرية، قد ولى وأن صنوفاً من الآلام والإخفاقات الهائلة، تنتظر الأجيال القادمة.

إن إعراض البشرية عن هدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد جعل العقل الإنساني مع التقدم العلمي يقترن بالمزيد من انتشار الفاحشة، والإدمان والمخدرات والانحلال الخلقي وفشو الرشوة، والنهب المنظم والتزوير والغش. وإن الذين سيتفاءلون مع انتشار هذه الفراغات من الأوبئة لن يكونوا موضوعيين، وإنما سيكونون كمن اختار أن يغني بين القبور[1].

ب- ضياع الهدف النهائي:

تجمع الرسالات السماوية على تحديد هدف نهائي لهذه الحياة، هو الفوز برضوان الله عز وجل، وما يترتب على ذلك من النعيم المقيم في جنات الخلد، وجود هذا الهدف لم يحفز الهمم على العمل فحسب، وإنما أسبغ نوعاً من التوحد والمنطقية على منا شط الحياة كلها، وجعلها مقبولة ومفهومة.

ميزة هذا الهدف للحياة أن الأهداف الأخرى جميعها، تصبح وسائل بالنسبة إليه، مما يوجد ارتباطاً فريداً بين مجموعة الأهداف المختلفة. سيطرة هذا الهدف على حس الناس ومشاعرهم وتصرفاتهم وحساباتهم كان باستمرار يشكل مخرجاً حيث لا مخرج، وحلاً حيث لا حل، فهدف على هذا المستوى، يُضحَّى بالحياة كلها من أجله، وهذا ما يفعله في الحقيقة الشهيد والملتزم التزاماً صارماً- الشهيد والملتزم- هما

---

(١) بكار، عبد الكريم: عصرنا ملامحه وأوضاعه، مرجع سابق. ص٣٩-٤١ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

أعظم الناس نفعاً للبشرية، لأنهما يعطيان للحياة، ولا يسحبان من رصيدها، وإنما يسحبان من رصيد آخر، وهو رصيد الآخرة، مما يخفف من كثير من الأزمات في زمان تتجه الأشياء كلها نحو الندرة وفي زمان لم يصبح فيه شيء بدون ثمن.

وجود هدف يسمو على مطالب الحياة الدنيا، قد أعطى للإنسان طاقة هائلة في مواجهة الصعاب، وتحُّمل لأداء الحياة، فحين تنسد السبل، وتنقطع حبال الرجاء، يجد المسلم في معونة الله تعالى، والأمل في تفريجه، ونيل المثوبة منه، ما يفتح أمامه أبواباً جديدة، فيتجاوز كل أسباب الألم و الضيق إذ يتصل بمسِّبب الأسباب - جل وعلا - وهذا هو السر في الظاهرة العالمية المشهورة، ظاهرة أن المسلم لا ينتحر !. [1] أما الآخرون فإنهم ينتحرون لأسباب تافهة. ذكرت وكالات الأنباء أن امرأة إنكليزية انتحرت، لأن كلبها أصيب بمرض عضال، فلم تطق رؤيته يتألم !. وفي أيامنا هذه شنق ياباني نفسه لأنه خسر الفريق الياباني إحدى المباريات وآخر في كوريا لأنه خسر دراجته في رهان على فوز أحد فرقاء كرة القدم في إيطاليا.

ج- سيادة العقل:

لقد نما شعور العقل وإحساسه بنفسه، وبقدرته على أن يأخذ مصير مستقبل الإنسانية في يده، بعد أن يزيل كل عبودية ورثها من قبل، وهي عبودية الكنيسة وتعاليمها حتى لا تجبه عن التخطيط الواضح لهذا المصير. فللعقل في نظر أصحاب التنوير الحق في الإشراف على كل اتجاهات الحياة، وما فيها من دين وسياسة وقانون. فهؤلاء لا يقصدون إلا إبعاد الدين عن مجال التوجيه، وإحلال العقل محله فيه. والإنسانية التي يبشر بها هؤلاء هي عوضٌ عن القربى من الله. كهدف للفرد في سلوكه في الحياة. والإله الذي ليس له وحي ولا خلق يتفق مع تحكيم العقل وحده، وطلب سيادته على أحداث الحياة واتجاهاتها.

وعند هؤلاء الفارغين صراع بين العقل والدين ويتجهون إلى إخضاع الدين للعقل.

---

(١)بكار، عبد الكريم: عصرنا ملامحه وأوضاعه، مرجع سابق، ص٤٢ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

وأن دوافع هذا الفراغ هو الظروف التي أقامتها الكنيسة في أوربا والجاهلية في الشرق مع الغزو الفكري. سواء في مجال التوجيه والبحث، أو في مجال السياسة أو في نطاق العقيدة والإيمان.

٤- الآثار:

إن الفراغ الذي نعاني منه اليوم، على مختلف الأصعدة، يهدد هويتنا ويمتد في مجتمعنا، ويحتل أمتنا، بسبب الفراغ والعقم في الإنتاج، وانطفاء الفاعلية، والانسحاب من المواقع الفاعلة، والابتعاد عن هموم الناس ومشكلات المجتمع، لاشك أن هذه الحال لم تأت بالمصادفة، فكل شيء بقدر، ولا هي وليدة يوم وليلة، وإنما هي آثار المقدمات وتحضيرات طويلة المدة، بعيدة المدى، توضعت في عقل الأمة بسبب غياب فقه آثار الفراغ العقلي، لأن الفراغ العقلي الذي استشرى في عقلية المثقف المسلم هذه آثاره:

أ- **ندية الوحي**: الوحي هو الأساس الأول الذي يقوم على حقيقته معنى النبوة والرسالة، ومن ثم فهو المنبع الأول لعامة الإخبارات الغيبية وشؤون العقيدة وأحكام التشريع، ذلك أن حقيقة الوحي هي الفيصل الوحيد بين الإنسان الذي يفكر من عنده ويشرع بواسطة رأيه وعقله، والإنسان الذي يبلغ عن ربه دون أن يغير أو ينقص أو يزيد.

من أجل هذا يهتم الفارغون عقلياً، بمعالجة موضوع الوحي ويبذلون جهداً فكرياً شاقاً، في تكلف وتمحل ونديه، من أجل التلبيس والتشكيك والخلط على حقيقته بين الوحي وبين الإلهام وحديث النفس، بل وحتى الصراع أيضاً، وذلك لعلمهم بأن موضوع الوحي هو منبع يقين المؤمنين بالدين الوحي السماوي مرجع للمعرفة على خلاف لتحديد تعاليمه، فسار كثيرون من فلاسفة عصر التنوير ومن تبعهم من القرون المتأخرة إلى وجوب سيادة العقل كمصدر للمعرفة على غيره وغيره الذي ينازعه

www.iqra.ahlamontada.com

السيادة في ذلك هو الدين (الوحي) فللعقل في رأيهم الحق في الإشراف على كل الاتجاهات في الحياة، بما فيها الدين والسياسة والقانون.

وقد تكون المشكلة كل المشكلة اليوم، في توهين وزحزحة وإسقاط معرفة الوحي من النظام المعرفي، أو انحسارها في معاهدنا، ومدارسنا، وجامعاتنا، ومراكز بحوثنا، وأذهاننا، وعدم فاعليتها، والتوهم بأنها مناقضة للعلم والموضوعية، ومتعلقة بالخوارق والغيبيات، والأوهام، التي تكتفي بالتفسير السطحي، وتقص العقل عن التعليل، وتضع له القيود المسبقة، أو المعلومة المسبقة، التي لا يمكنه التحرك إلا من خلالها، والادعاء بأن الاجتماع البشري، والوجود بشكل أعم، في ما ذهبت إليه سائر العلوم الإنسانية، محكوم بقوانين تسيره من داخله، وتتحكم بحركته، ولا سلطان عليه لجهة خارجة عنه تنفي صلة الكون بخالقه ومسيره، وتنفي المعارف الواردة من طريق الوحي، وتحييدها عن واقع الحياة أو إلغائها !!.

لم تعد النظم الملحدة وحدها تقف وراء إلغاء الوحي واعتباره خرافة شعورية وإنما أصبحت التلمودية المادية تتلبس اليهودية المنحرفة والتي تلغي الوحي الذي نزل على غير موسى بحجة العقل بينما تتمرغ هي في خرافة الوحي التلمودي وتتمادى معه وتتعجرف بأوحد يته هذه الظاهرة توضحت بعد ٢٠٠١/٩/١١ وقد اصطنعت لذلك أدوات خطيرة... منها الإعلام وعلماء السوء وسواها ومحاولة إلغاء المعارف السابقة، باعتبارها قيوداً للعقل، تحول بينه وبين الطلاقة في التفكير والتعليل والاكتشاف، قد تستهوي الإنسان ابتداء، لرغبة التمرد الكامنة فيه، لكنها لا تصمد في الحقيقة، ذلك أنه لا يمكن أن تتم أية من العمليات التفكيرية دون محرضات، وأسباب، واستقراء، ومسبقات سلبية أو إيجابية، ومشاهدات... حتى خطرات القلوب، ولمحات العقول، إنما تتحصل من مشاهدات، وآثار مؤثرات خارجية، وإلا انفصل العقل عن محيطه وواقعه، وعجز عن النظر، والتعليل، والاستنتاج، والاستقراء.

www.iqra.ahlamontada.com

الإنسان نفسه ـ أداة النظر والموضوع ومحل النظر ـ إذا لم تتوفر لـه معـارف يقينيـة، وثوابت سليمة، تحمي عقله ولا تناقضه، وتوجهه، وتشكل له معايير التقـويم، وضـوابط المـنهج، ومرجعيـة الفهـم، وتحقيـق الاطمئنـان إلى الصـواب، فكيـف سـيكون حالـه واستقراره، خاصة وأنه محل الدراسـة وأداتهـا، وعلـى الأخـص في الدراسـات الإنسـانية والاجتماعية. [1]

من هنا ندرك معرفـة الـوحي اليقينيـة في تحقيـق إزالـة ذاك الفـراغ وتـوفير الطاقـة، والحماية من السقوط، وتحقيق الاعتبار الـذي يعـني امـتلاك القـدرة مـع إطـلاق العقـل للنظر والتدبر، لمعرفة سبل العبور السـليم مـن الفـراغ إلى العمـل... إن إلغـاء الـوحي بافتراض منافاته للعقل إنما هو إلغاء ذاته ومن هنا ينشأ الفراغ العقلـي (التنـاقض بـين وجود العقل ونفي عملياته).

لذلك نقول: إنه لابـد ابتـداء مـن تشـكيل المرجعيـة، مـن خـلال معرفـة الـوحي في الكتاب والسنة، كمعارف يقينية، وأدلة عمـل وتعامـل، وكحمايـة ثقافيـة، وكخلاصـات اختصرت التجربة الإنسانية لصـالح الأمـة الخاتمـة، وكمعيـار لبيـان الخطـأ والصـواب، والحكم على الفعل التـاريخي في المسـيرة الثقافيـة، لأننـا إذا افتقـدنا المعياريـة واهتـز عندنا مركز الرؤية، ولم تحقـق الإطـار المرجعـي لمعرفـة الـوحي، وجـاء هـذا السـيل الجارف والزبد الطامي (الأخر)، في تحليل ودراسة معارفنا، من خلال رؤيتـه وأنظمتـه، إمكانية تفريغنا، والتحكم بعقولنا ومعتقداتنا، أحدث فراغـاً مـذهلاً وعجـزاً وتخـاذلاً، تمدد من خلاله الأخر.

ب- الخضوع لغير الله (ﷻ):

الخضوع ومعناه التذلل والخشوع والشعور بالانقياد والعبودية لله تعالى وهـو ثمـرة الفقر إلى الله بنوعيه فقر إلى ربو بيته وهو فقر المخلوقات بأسرها، وفقر إلى الألوهية،

---

(١)حسنة، عمر عبيد: في النهوض الحضاري مصائر.... و بشائر،مرجع سابق، ص ص ٤٩، ٥١ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

وهو فقر أنبيائه ورسله وعباده الصالحين وهذا هو الفقر النافع [1] للخوف، فنحن نرى في الدنيا أن الناس إذا خافوا من بعض الطواغيت الباطشين، سارعوا إلى الانقياد لأوامرهم والخضوع لهم، ولو ظاهرياً، ولكن الخشوع لله يمتاز عن الخضوع الظاهري بأنه مصحوب بشعور حقيقي بالتبعية لله تعالى، وبطاعته، والإذعان لعظمته، إذعاناً ناتجاً عن الإعجاب بآثار إبداعه وتدبيره في هذا الكون وفي أنفسنا. إذاً الخضوع لله ليس خوف وإنما ثمرة عقل عارف استشعر عظمة الله، وقلب آمن بربوبيته فكون عنهما سلوك الطاعة لوحدانيته، والانتماء إلى الله والاعتزاز به، وموالاته والانضواء تحت لوائه، فالخاضعون لله هم حزب الله وهو وليهم (المؤمنون) والخاضعون لغير الله لا مولى لهم (الكافرون) وأي شيء أعظم من الخضوع والانتماء إلى الله والانتساب إلى خالق الكون ومذل الجبابرة، ومالك الحياة والموت، والبعث والنشور:

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [2].

وقال (ﷻ) في وصف الخاضعين لغير الله:

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [3].

وقال مولانا (ﷻ) في وصف الموالين لغير الله:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [4].

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: طريق الهجرتين، تحقيق وهبة الزحيلي، دار الخير، دمشق الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م ص٢٤.

(٢) سورة المائدة: الآية (٥٦).

(٣) سورة المجادلة: الآية (١٩).

(٤) سورة محمد: الآية (١١).

- المولى: أن يعاهد شخص شخصا أخر (الموالاة). (المولى) هو الرب سبحانه وتعالى.

www.iqra.ahlamontada.com

وهـذا الخضـوع يربـي العقـل دائمـاً علـى أن يكـون في معارضـة للشـر والشـيطان وأتباعه، أولئك الذين يزينون للناس معصية الله، ونسيانه وإتباع الشهوات والأهواء، كما يربي الخضوع لله الانتمـاء إلى الأمـة الإسـلامية والاعتـزاز بهـا وإتبـاع وتفقـد شـؤونها والتراحم والتعاون بـين شـعوبها، أي يربـي وحـدة كلمـة الإنسـانية علـى أسـاس الخـير والإيمان، من غير تعصب عنصري، أو تحيز مصلحي مادي استعماري، غايتـه اسـتقلال الشعوب وامتصاص خيراتها.

نحن في عصر المدنية، وصلنا إلى حرب النجوم، نحن في عصر الـذرة والحاسـوب والإنسان الآلي الخ.

فما حاجتنا إلى الدين.. (الخضوع لله) ألا يمكن إيجاد بديل.. مسرح غناء رياضـة للهو(فراغ) ألا يمكن إشباع رغبـات الفـرد بشـتى الطـرق- زنـى - دعـارة - لواطـة - وسرقة - قتل الوقت (فراغ) ؟.

ألا يمكن ترك الإيمان (الخضوع لله) حيث أن الدول المتقدمـة، اعتمـدت الخضـوع لغير الله.

نبذت الأديان (الشرائع) وأعلنت الإلحاد والعلمانية والوجودية شعارات لها.

فلماذا الخضوع لله (الدين) ؟ ولماذا الرجوع إليه ؟.

أسئلة كثيرة تطرح هذه الأيام، حيث فتن الغـرب (أوربـا – أمريكـا) عقـول النـاس، وأفئـدة النـاس وعـواطفهم، وخـارت قـواهم أمـام مغريـاتهم وقـوتهم، إلا الـذين آمنـوا وعملوا الصالحات. فالدين لا يمكن الاستغناء عنه أبداً لأن الدين ضرورة إنسـانية مثـل الهواء والماء والشمس والغذاء. فالإنسان بحاجة دائماً وأبداً لما يغذّيـه بالإيمـان ويقـوّي له الصلة مع خالقه وهذا لا يتم إلا من خلال الدين.

(عناية الخالق بالمخلوق والتي لاغنا عنها) لسنا نحن الذين نجيب عن هـذا الأمـر فقط، فالغرب بعد رحلة الشطط والفراغ أدرك هذا تماماً وبـين أيـدينا الشـواهد الكـثيرة عن معظم علماء الغرب الذين أدركوا أن الحضارة من غـير أن تكـون خاضـعة لله هـي

www.iqra.ahlamontada.com

حضارة ساقطة سيلفظ فيها الإنسان أنفاسه الأخيرة وليس مستغرباً أن القرن الواحد والعشرين سوف يكون قرن الخضوع لله (الإسلام) كما توقع جارودي[1] ومن قبله العقاد[2] ومن قبلهما الفيلسوف برناردشو[3].

فالحضارة الصناعية تعاملت مع الإنسان على أنه جسد فقط، فحاولت إشباعه من هذه الزاوية وتجاهلت روحه وتجاهلت أنه إنما كان إنسانا بعقله وروحه لا بجسده وبشهواته فحسب فلا عجب أن نرى النقد اللاذع يصبه علماء الغرب على هذه الحضارة.

أما القول بأن الدين قديم فهذا لا يبرر تركه وعدم التمسك به، فليست حياة البشرية إلا سلسلة يتصل فيها الجديد بالقديم ولا يمكن أن تنفصل حلقات هذه السلسلة فالذين ينعتون المتدين بالرجعية ويطلقون على أنفسهم لقب التقدم هم على جانب كبير من الغباوة والجهل... إن الحضارة بحاجة إلى الخضوع لله (الدين) وإن الدين عند

---

(١) روجيه غارودي ولد في مرسيليا فرنسا عام ١٩٢٣. درس الفلسفة واللاهوت والسياسة، كان نائباً لرئيس الجمعية الوطنية الفرنسية ثم عضو في مجلس الشيوخ، وعضواً فاعلاً في المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي وأحد منظريه الرئيسين. كتب أعمق الكتب حول الماركسية المسيحية والإسلام، ثم دعا إلى الحوار بين جمع الأديان والحضارات. وهو الآن أحد أهم أصوات العصر الداعية إلى إنقاذ الإنسان وحضارته وبيئته. يعيش في فرنسا ويتابع نشاطه الفكري حول قضايا العصر. - غارودي، روجيه: الإسلام الحي، ترجمة دلال بواب ضاهر، ومحمد كامل ضاهر، دار البيروني، بيروت، الطبعة الأولى بالعربية، ١٩٩٥م ص(٩-١٠) (بتصرف).

(٢) العقاد (١٣٠٦-١٣٨٣هـ = ١٨٨٩-١٩٦٤م). عباس بن محمود بن إبراهيم ابن مصطفى العقاد: إمام في الأدب، مصري من المكثرين كتابة وتصنيفاً مع الإبداع. أصله من دمياط وكان أحد أسلافه يعمل في " عقادة " الحرير، وولد عباس في أسوان وتعلم في مدرستها الابتدائية، وشغف بالمطالعة، ومن تصانيفه " عن الله "و " عبقرية محمد "عبقرية عمر.. الخ. توفي بالقاهرة ودفن بأسوان - الزركلي، خير الدين: الأعلام، مرجع سابق ج٣، ص٢٦٦.

(٣) شو (جورج برنار) show (١٨٥٦-١٩٥٠م) كان روائي ومسرحي أيرلندي ولد في دبلن، تأثر بشيلي وكارل ماركس، اشتهر بالتهكم والتشاؤم، له (رجل القدر، تلميذ الشيطان، السلاح والرجل، ومؤلفات سياسية منها، استمالة الفوضى، حصل على جائزة نوبل للآداب ١٩٢٥. - مجموعة من المولفين، المنجد في الإعلام، مرجع سابق، ص٣٩٥.

www.iqra.ahlamontada.com

الله الإسلام.. والإسلام وحده هو السبيل إلى إنقاذ البشرية فيما لو أرادت البشرية لنفسها أن لا تنتهي إلى الدمار.

يقول (جون ديوي) (١): إن الحضارة التي تسمح للعلم بتحطيم القيم المتعارف عليها ولا تثق بقوة هذا العلم في خلق قيم جديدة تدمر نفسها بنفسها(٢).

إن رغبات الفرد وروحه وقلبه وكل ذرة فيه محتاجة إلى أن تكون خاضعة لخالقها (الإيمان) وأما إنكار دول الغرب والإلحاد وانجرافهم وراء العلمانية والإلحاد، فالقوم أراد الله لهم الهلاك، فليسوا حجة للأمة الإسلامية:

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾(٣).

وقال الله (ﷻ): ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾(٤).

فلا ينبغي الخضوع لغير الله (ترك الدين) إقتداء بهم وهم أمم ضالة، أما أن يكون المسرح ووسائل الإعلام والترفيه بديلاً عن الدين فإن المسرح (ووسائل الترفيه بشكل

---

(١) جون ديوي: (John،Dewey)١٨٥٩-١٢٧٥هـ ١٩٥٢-١٣٧١هـ. فيلسوف ومرب أميركي شمالي، ينتمي منذ ولادته إلى الطبقة البورجوازية، قصد الولايات الشرقية بحثاً عن العلم والمعرفة، وانتهى به الأمر إلى أن أصبح أستاذا في جامعة شيكاغو وعمد بعد فترة وجيزة إلى افتتاح صف تجريبي قائم على مبادئ مذهبه التي رفضت المناهج التعليمية التقليدية، من مؤلفاته: معالم نظرية نقدية في الأخلاق، المدرسة والمجتمع، المنطق، رفض ديوي اعتبار المعرفة شيئاً نظرياً تأملياً فأبدع المذهب الأداتي أو الوظيفي الذي مؤداه أن المعرفة فاعلية موجهة. - ألفا، زوني إيلي، موسوعة أعلام الفلسفة، ج١، مرجع سابق، ص٤٦٣ -٤٦٤ (بتصرف).

(٢) دوبو، ينية: إنسانية الإنسان، تعريب نبيل طويل، مؤسسة الرسالة، بيروت، دمشق، ص٢٧٨.

(٣)سورة الإسراء: الآية (١٦).

(٤)سورة الأنعام: الآية (٤٤).

www.iqra.ahlamontada.com

عام) وجدت عند الأمم السابقة واليونانية مثلاً إنما وجد المسرح لخدمة الدين، والغرب الذي عرف المسرح من أيام أرسطو لم يترك دينه ويتحول إلى المسرح، فلا يمكن أن تكون وسائل الترفيه بديلاً عن الدين لأنه في الغالب يستعمل الآن لقتل الوقت الزائد على وقت العمل فوظيفتها غير وظيفة الدين وأما تلك الوسائل من لهو وغناء وملذات حسية فهي تشبع جانب الشر في الإنسان إذا أطلقت ولا تشبع جانب الخير فهي تبقي الإنسان قلقاً نزقاً تعباً فارغاً كما هو حال الإنسان الأوربي والأمريكي.

أما القول بأن الخضوع لله عودة إلى وراء فهذا محض افتراء، فالخضوع لله (الدين) قد دعانا إلى السير في الأرض وطلب العلم وعمران الحياة، والتناسل والتكاثر، ونهى عن العودة إلى الوراء وليس وراء الخضوع لله إلا الخضوع لغير الله، وليس قبل الإيمان إلا الكفر وليس بعد الحق إلا الضلال.

عندما خضعت البشرية دائماً تخضع لغير الله (الشرك) الذي هو حضيض التخلف، وكانت تقع في المظالم وتغرق في الجرائم ولم يكن دور الدين إلا إنقاذ البشرية مما هي فيه والسعي بها نحو عالم أفضل يسوده الإيمان ويعمره الحب والإخاء.

من هنا تنبع أهمية الخضوع لله سبحانه وتعالى، فإن ذلك ضروري جداً لنا في هذه الفترة الحرجة من تاريخ أمتنا، فهو مفتاح الحل لمشاكلنا المستعصية ولفراغنا المحيط بنا بعد أن فشلت كل الوسائل الأخرى، فالإيمان طريقنا إلى النصر، يقول الله (ﷻ):

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1].

والإيمان طريقنا إلى العزة، قال(ﷻ): ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]

والإيمان طريقنا إلى الحب، قال(ﷻ):

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [3].

---

(١) سورة الروم : الآية (٤٧).

(٢) سورة المنافقون : الآية (٨).

(٣) سورة مريم : الآية (٩٦).

www.iqra.ahlamontada.com

والإيمان طريقنا إلى الرخاء قال الله(ﷻ):

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1].

والإيمان طريقنا إلى الخلود قال الله (ﷻ):

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ﴾[2].

والخضوع إلى الله طريقنا إلى النصر والمجد والحياة قال الله (ﷻ):﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾[3].

وقال الله (ﷻ): ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾[4].

فنحن في عصر تعصف فيه رياح الكفر من الشرق والغرب وعلينا أن نبذل كل جهودنا لتثبيت الخضوع إلى الله بجذور الإيمان في الفرد والجماعة والمجتمع ولمحاربة ما دب إلينا من فساد الأمم الأخرى. إن الإسلام هو الذي سيحول حياة الناس من جحيم الفراغ إلى جنة العمل ومن هزيمة الفراغ إلى نصر الاجتهاد ومن كسل إلى نشاط، ومن أمة مستهلكة إلى أمة مصدرة، ومن أمة مستضعفة إلى أمة قوية. الخ

٤-القوى الخفية:

عوامل القوى الخفية في الفرد كثيرة منها ما هو داخلي كالنفس الأمارة بالسوء والهوى الأثيم المتبع... ومنها ما هو خارجي كوسوسة شياطين الإنس والجن ومنفعة المال والنساء والجاه

---

(١) سورة الأعراف : الآية (٩٦).

(٢) سورة إبراهيم : الآية (٢٣٠).

(٣) سورة محمد: الآية (٧).

(٤) سورة الحج: الآية (٤٠).

www.iqra.ahlamontada.com

وأريد هنا أن أركز على أن أظهر العوامل في الإغـواء والإضـلال، ويمكـن حصـرها في عوامل ثلاثة:

١- وسوسة الشياطين المغوية.

٢- إيحاءات النفس الأمارة.

٣- نزعات الهوى المتبع.

ولقد ركزت على هـذه العوامـل لكونهـا هـي محـور الشـر والفتنـة، ومنبـع الفسـاد والضلال.. منذ بدء الخليقة والمجون والضلال والانتكاس.

١- وسوسة الشياطين المغوية:

في الآية الكريمـة تحـدي وتهديـد في إغـواء الإنسـان وإضـلاله وفي الآيـتين اللـتين تحكيان تهديد الشياطين وتحديهم للإنسان قال الله (ﷻ):

﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝١٥ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾[1].

وقال (ﷻ): ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٣٨ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[2].

الشيطان عدو للإنسان فعليه أن يتخذه عدواً والاستقامة علـى إتبـاع المـنهج الربـاني والسير على صراط الله المستقيم، وتعميق الإيمان بالله، والالتجـاء إليـه، والتوكـل عليـه، والاستعاذة بالله عليه وعلى أعوانه، ومع تعميق تقوى الله، ودوام الوقـت بالـذكر بالقلـب

---

(١) سورة الأعراف : الآية (١٤ – ١٧).

(٢) سورة الحجر : الآية (٣٦ – ٤٠).

www.iqra.ahlamontada.com

والجوارح والاستمرارية على العبادة مع التذكر واليقظة بعد غمرة النسيان الشيطاني بالإضافة لمقاطعة أهل الهوى والضلال والباطل.

فبهذه الحلول يكون الفرد المسلم إنساناً مؤمناً متوازناً يقظاً فطناً، عميق الإيمان والتقوى، ملتزماً منهج الإسلام، وتعاليم القرآن... لا يكون للشيطان أي تعلق به، أو إغواء له أو سلطان عليه.. بل يكون دائماً من عباد الله المخلصين، وخيرة المتقين.. وهذا معنى قول الحق (ﷻ) الذي حسم الشيطان بهذا الخطاب الزاجر الرادع:

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[1].

٢- إيحاءات النفس الأمارة:

الله سبحانه وتعالى خلق النفس الإنسانية فطرها على: قابلية الخير، وقابلية الشر، فإن تعهدها الفرد بالأخلاق، ورفدها بالعمل الصالح، وزكاها بالذكر والعبرة وهذبها بالتربية الصالحة والعلم النافع... نشأت على إتباع الخير والهدى، وسارت على الكمال والتوازن، وسارعت على العمل الصالح من أجل إصلاح حالها وهداية غيرها على حد سواء.

أما إذا دساها وأهملها وتركها فرغت حتى علاها وملأها صدا الجهل، وغطتها عدوى خلطاء السوء وزاد في الران المتراكم عليها أنقاض المجتمع الفاسد، والعادات الذميمة... فإنها تنشئ النفس على الشر والانحراف والفساد والفراغ... وقد وصفها المولى سبحانه وتعالى بهذه القابليات من شر وخير للنفس البشرية فقال الله (ﷻ):

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[2].

---

(١) سورة الحجر: الآية (٤٢).

(٢) سورة الشمس: الآية (٧ – ١٠).

www.iqra.ahlamontada.com

ويقول الرسول (ﷺ): « **ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**[1]».

وفي مواجهة هذا الفراغ فما على الفرد اتجاه ذلك إلا بقوة حرية الاختيار وقوة الإرادة ومحاكمة العقل، وصفاء الفطرة.

حتى لا تكون هذه النفس تتخبط في صراع المبادئ، وتتعثر في أوحال الأهواء إنما لتسير في الحياة على هدى وبصيرة وطريق مستقيم.. إن الله سبحانه وتعالى أعطى للنفس حرية الاختيار: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[2].

وإنه (ﷻ) أعطاها محاكمة العقل: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[3].

وإنه أعطاها قوة الإرادة: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[4].

وإن الله أعطى النفس صفاء الفطرة: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾[5].

ومن المعلوم يقيناً أن النفس البشرية حين يتوجه اختيارها للخير، وتقوى إرادتها على الحق وتحاكم الأمور على مقتضى العقل، وتسير بفطرتها على الهدى، وتطبق الشريعة بيسر، وتتبع القرآن والسنة الذي أنزله الله بدقة... فإنها تكون إيحاءات النفس

---

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ج١، تحقيق البغا، دار العلوم الإنسانية، دمشق،طبعة ثانية ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م، ص٤٤٣، رقم الحديث (١٢٩٣).

(٢) سورة الإنسان: الآية (٣).

(٣) سورة النازعات: الآية (٤٠ – ٤١).

(٤) سورة الأنعام: الآية (٣٢).

(٥) سورة الروم: الآية (٣٠).

www.iqra.ahlamontada.com

هذه على نهج قول المولى ﷻ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

٣ - نزعات الهوى المتبع:

المقصود به: الهوى المذموم شرعاً وعقلاً، وهو أن يسير الفرد مع نزعات نفسه الآثمة، ومزاجه المتفلت دون أن ينضبط بضابط شرعي ولا أمر ديني وعقلي، فلا يهوى شيئاً إلا فعله، ولا يميل إلى أمر يلتقي مع مزاجه إلا سارع إليه وأقبل وسعى إليه، لا يخاف فيه رباً ولا يخشى فيه عقاباً ولا يفكر في عاقبة ولقد ذم الله سبحانه وتعالى الهوى أبشع ذم، ويظهر أثره اللئيم في انحراف الفرد وإضلاله ...

قال الله (ﷻ): ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

وقال الله (ﷻ): ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ ﴾[3].

وقال الحق (ﷻ): ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4].

---

(١) سورة النحل: الآية (٨٩).

(٢) سورة الجاثية: الآية (٢٣).

(٣) سورة المؤمنون: الآية (٧١).

(٤) سورة القصص: الآية (٥٠).

www.iqra.ahlamontada.com

وقال (ﷻ): ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [1].

وقال (ﷻ): ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [2].

وقال (ﷺ): « **الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أَتْبَعَ نفسه هواها وتمنى على الله** »[3] .

وقال(ﷺ): « **حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرةً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمراً لا يدان لك به، فعليك خويصة نفسك** » [4] .

أيضاً قال(ﷺ): « **ما عبد تحت السماء إله أبغض إلى الله من الهوى** » [5] .

فالإسلام قد وضع لكل فرد مؤمن بالله حين يعتريه ضعف، أو يستحوذ عليه هوى، أو تتملكه شهوة.. قال ابن عباس والحسن وقتادة: ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه. وقال عكرمة: أفرأيت من جعل إلهه الذي يعبده ما يهواه أو يستحسنه، فإذا استحسن شيئاً وهويه اتخذه إلهاً. وقال الشعبي: إنما سمى الهوى (هوى) لأنه يهوي بصاحبه في النار. [6]

وسئل ابن المقفع عن الهوى فقال: هوان سرقت نونه. وقيل:

---

(١) سورة الأعراف: الآية (١٧٦).

(٢) سورة ص: الآية (٢٦).

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى: الجامع الصحيح، سنن الترمذي، ج٤، مصدر سابق، ص٦٣٨، رقم الحديث (٢٤٥٩)وقال عنه هذا الحديث حسن.

(٤) ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، ج٢،دار الحديث، القاهرة، ص ١٣٣١، رقم الحديث(٤٠١٤).

(٥) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: تفسير الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج١٦،دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ١٩٩٦، ص١٦٧ .

(٦) المصدر نفسه: ج١٦، ص ص ١٦٧-١٦٨.

www.iqra.ahlamontada.com

إن الهـوان هـو الهـوى قلـب أسمـه فـإذا هويـت فقـد لقيـت هوانـا [1]

يقول (ريبو) Ribot [2]: (إن صاحب الهوى رجلٌ صادره هواه بكليته ففرغت نفسه إلاّ من هواه)، من الإيجابيات إذا أخذ بوسائلها وأسبابها أصبح فرداً طاهراً متوازناً براً تقياً وإذا مشى في الناس كان قدوة صالحة أشير إليه بالبنان !!. ومن أهم هذه الحلول: تعميق الإيمان وملء الفراغ بما ينفع والرفقة الصالحة. [3]

٤-السحر:

السحر: في اللغة: كل ما لطف مأخذه ودق، قال الأزهري: وأصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر مما أرسى الباطل في سورة الحق، وخيل الشيء على غير حقيقته، قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه [4].

وقال الفيروزأبادي[5]: والسحر: الأخذةُ، وكل ما لطف مأخذه، ودق فهو سحرٌ، وسحره أيضاً بمعنى خدعه [6] وقال القرطبي [7]: السحر أصله التمويه بالحيل، وهو أن

---

(١) المصدر نفسه: ج ١٦، ص ١٦٨.

(٢) ريبو،تيوول آرمان: Ribot،thedule، armand فيلسوف وعالم نفس فرنسي، عمل أستاذاً في جامعة السوربون لمادة علم النفس التجريبي. - ألفا،زوني إيلي: موسوعة أعلام الفلسفة، ح١،مرجع سابق،ص٥١٣.

(٣) أمين، أحمد: كتاب الأخلاق، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ص٢٣٧. (بتصرف).

(٤) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، مصدر سابق ح٤، ص٣٤٨. (مادة سحر).

(٥) هو الإمام اللغوي الشهير أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروزأبادي. ولد في عام ٧٢٩هـ. تلقى علوم عن مشاهير العلماء في عصره. كابن حجر والصلاح الصفدي وابن عقيل والجمال الإسنوي، مما هيأ له إضافة إلى نبوغه – أسباب الشهرة، من مؤلفاته: القاموس المحيط، شرح قصيدة باتت سعاد، أنواء الغيث في أسماء الليث، بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز – الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، ص١١-١٢(بتصرف).

(٦) الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب: والقاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ص٥١٩، ١٩٨٦/١٤٠٦

(٧) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، محدث، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق واستقر بمنية في شمالي أسيوط، بمصر،=

www.iqra.ahlamontada.com

يفعل الساحر أشياء ومعاني، فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هي به، كالذي يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء وهو مشتق من سحرتُ الصبي إذا خدعته [1]. وقال الألو سي[2]: السحر في الأصل مصدر سَحَرَ يَسْحر بفتح العين فيهما إذا أبدى ما يدق ويخفى، وهو من المصادر الشاذة، ويستعمل بما لطف وخفي سببه، والمراد به أمر غريب يشبه الخارق[3] وفي الحديث «**إن من البيان لسحراً**» [4].

ـ ضروب السحر.

أولاً: التخييل والخداع:

وذلك كما يفعله بعض السحرة، حيث يريك أنه ذبح حمامة، ثم يريك الحمامة بعد ذبحها قد طارت، وذلك لخفة حركته، والمذبوحة غير التي طارت لأنه يكون معه اثنان، قد خبأ إحداهم وهي المذبوحة وأظهر الأخرى.

ثانياً: الكهانة والعرافة بطرق التواطؤ:

وذلك كما يفعله بعض العرافين والكهان حيث يوكلون أناساً بالإطلاع على أسرار الناس، حتى إذا جاء أصحابها أخبروهم بها، ويزعمون أنها من حديث الجن والشياطين لهم، وأنهم يتصلون بهم ويطيعونهم بواسطة الرقي والعزائم، وأن الشياطين

=من آثاره، جامع أحكام القرآن المبين كما تضمنه من السنة وآي القرآن. ـ نويهض، عادل: معجم المفسرين، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م، ج٢، ص٤٧٩.

(١) القرطبي، محمد ابن أحمد: الجامع لأحكام القرآن مصدر سابق ج٢، ص٤٤.

(٢) محمد بن عبد الله بن محمود بن درويش الحسيني الألو سي، شهاب الدين، أبو الثناء، شيخ علماء العراق في عصره مفسر، محدث فقيه، أديب لغوي، نسبته إلى جزيرة آلوس في وسط نهر الفرات، ولد في بغداد وتقلد الإفتاء فيها – سافر إلى الموصل والآستانة وماردين وعاد إلى بغداد. من مؤلفاته. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، وله دقائق التفسير. وغيرها – نويهض، عادل: معجم المفسرين، ج٢، مرجع سابق، ص٦٦٥.

(٣) الألوسي، محمود: روح المعاني، دار أحياء التراث العربي، بيروت در،د ت، ج١ ص ٣٣٨

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ج٣، تحقيق البغا – مصدر سابق، ص١٨٥٠، رقم الحديث (٤٨٥١).

www.iqra.ahlamontada.com

تخبرهم بالمغيبات فيصدقهم الناس، وما هي إلا مواطأة مع أشخاص قد أعدوهم لذلك[1].

ثالثاً: عن طريق الوشاية، والنميمة، والإفساد:

الوشاية: وشى، نم وسعى. والنمام يشي الكذب فهما سواء. [2]

النميمة: أنمى الحديث أذاعه على وجه النميمة[3] والإفساد بين الناس.

النمام: هو الذي يتحدث مع القوم لينم عليهم، فيكشف ما يكره كشفه سواء المنقول عنه، أو المنقول إليه، وسواء الكشف بالعبارة، أو بالإشارة، أو بغيرها. [4]

الإفساد: ضد الإصلاح، فهو فاسد، والمفسدة: ضد المصلحة، وتفا سدوا قطعوا الأرحام. [5]

الفساد: هو زوال الصورة عن المادة بعد أنكانت حاصلة، والفساد عند الفقهاء ما كان مشروعاً بأصله غير مشروع بوصفه، وهو مرادف البطلان. [6]

وقد حكي أن امرأة أرادت إفساد ما بين زوجين، فجاءت إلى الزوجة فقالت لها: إن زوجك معرض عنك، وهو يريد أن يتزوج عليك، وسأسحره لك حتى لا يرغب عنك، ولا يريد سواك، ولكن لابد أن تأخذي من شعر حلقه بالموس ثلاث شعرات إذا نام وتعطينيها حتى يتم سحره، فاغترت المرأة بقولها وصدقتها، ثم ذهبت إلى الرجل وقالت له: إن امرأتك قد أحبت رجلاً وقد عزمت على أن تذبحك بالموس عند النوم للتخلص منك، وقد أشفقت عليك ولزمني نصحك فتيقظ لها هذه الليلة وتظاهر بالنوم

---

(١)الصابوني، محمد علي: تفسير آيات الأحكام، ج١، مكتبة الغزالي، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م، ص٧٨

(٢)مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط،ج٢، مرجع سابق، ١٠٣٥

(٣)المرجع نفسه: ج٢، ص ٩٥٦.

(٤)الزاوي، الطاهر أحمد: ترتيب القاموس ج٣، البابي الحلبي، القاهرة، در، دت، ص ٤٩٠.

(٥)الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات. تحقيق إبراهيم عطوة،دار الكتاب العربي،بيروت،الطبعة الأولى،١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م،ص٣١٦.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢١٤.

www.iqra.ahlamontada.com

فستعرف صدق كلامي، فلما جاء الليل تناوم الرجل في بيته فجاءت زوجته بالموس لتحلق بعض شعرات من حلقه، ففتح الرجل عينيه فرآها وقد أهوت بالموس إلى حلقه، فلم يشك في أنها أرادت قتله فقام إليها فقتلها فبلغ الخبر إلى أهلها فجاءوا فقتلوه، وهكذا كان الفساد بسبب الوشاية والنميمة[1].

رابعاً: الاحتيال:

وذلك بإطعام الإنسان بعض الأدوية المؤثرة في العقل، أو إعطائه بعض الأغذية التي لها تأثير على الفكر والذكاء والنباهة، كإطعامه (مخ الحمار وغيره من أطعمة وأشربة) التي إذا أكلها الإنسان أو شربها تبلد عقله، وقلت فطنته مع أدوية أخرى معروفة في كتب الطب. فالسحر يرجع إما إلى تمويه وتخييل وإما إلى مواطاة وإما إلى سعي ونميمة، وإما إلى احتيال ولا يرون الساحر يقدر على شيء. لأنهم أسوأ الناس حالاً وأكثرهم طمعاً واحتيالاً، وتوصلاً إلى أخذ الأموال من الناس وأظهرهم فقراً وإفلاساً علمنا أنهم لا يقدرون على شيء.

ورؤساء العقول الفارغة من الناس من أسرعهم إلى تصديق السحرة والعرافين وأشدهم نكيراً على من جحدها ويروون في ذلك أخباراً مفتعلة متخرصة يعتقدون صحتها. وسحر السحرة وتختيلاتهم وما يظهر منها، على غير حقيقتها، يعرف ذلك بالتأمل والبحث.

لقد حرص الإسلام في كل تشريعاته على سلامة العقيدة في عقل المسلم وقلبه، ليكون المسلم دائماً وأبداً متصلاً بالله، معتمداً عليه، مقراً له بالربوبية، مستعيناً به على شدائد هذه الحياة، لا يتوجه إلى غيره بالدعاء، ولا يقر لسواه بأي تأثير، أو تحكم في قانون من قوانين الطبيعة (النجوم والأبراج وغيرها) التي خلقها الله تعالى، وسيرها بعلمه، وقدرته، وإرادته. فالنجوم والأبراج والكواكب مسخرات بأمره كغيرها من خلق

---

(١) الجصاص، أحمد بن علي: أحكام القرآن، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، طبعة الأوقاف مصورة: ١٣٣٥هـ، ص٤٧-٤٨

www.iqra.ahlamontada.com

الله تسير وفق الخط المرسوم لها من الأزل، ولا تؤثر حركتها على الفرد الذي خلقه الله تعالى على هذه الأرض وقدر له أرزاقه، وأعماره، فلا ينتهي عمر إنسان ما بظهور كوكب، أو اختفائه، ولا يزيد رزق امرئ، ولا ينقص عما قدره الله له، فكل شأن من شؤون الحياة مدبر بأمر الله.

إذ السحر[1] من أنواع الطقوس التي ترمي إلى التواصل إلى نتائج دون اللجوء إلى الأسباب في العمليات الجارية في العالم المادي، وهو موجود في كل الحضارات ويتراوح بين السحر الشعبي الذي يمارس بقواعد تقليدية بسيطة إلى نظم سحرية معقدة تدعمها قوى مركبة مما وراء الطبيعة ويعتمد السحر بشكل عام على نظرة عالمية يشعر فيها بأشياء من نظام معين تتصل بأشياء من نظام آخر حتى أن العمليات التي تجري برموز معينة في عالم واحد يكون لها تأثير عملي في مكان آخر، ومشعوذ الأزند Azande (ديانة الأزاند azande religion) يحرم رجلاً شعبياً من رفاقه باستخدام أغصان شجرة تفقد أوراقها سريعاً عند قطعها، وساحر الحاشية في عصر النهضة كان يسعى لطرد حب سيدة بتعويذة (وهو شيء يعد بطقوس معينة لأحداث قوى خاصة لمالكه) ففينوس المركبة من نحاس في ساعات فلكية معينة كلاهما يجلب نوعاً من القوى كانوا يرغبون في تسليطها.

والفروق بين السحر الذي يؤثر آلياً والذي يحرض روحاً أو... على العمل ليس مفيداً دائماً.

فالرجل الذي يسيء معاملة خصلة من شعر خصمه لإيذائه قد يتوقع نتائج آلية، وربما كان سحرة عصر النهضة عندما يستحضرون روحاً لكشف حكمة سماوية لا

---

(١) السحر: اللفظ الأجنبي (Magie) أطلق في الأصل على ما يفعله المجوس، ثم أصبح يعني الطقوس المختلفة التي يزاولها بعضهم ممن يعتقدون بقدرهم على التأثير في قوى خفية تؤثر بدورها في مجرى الأحداث التي لها علاقة بالإنسان ومصيره. (كما يزعمون). - الحلو، عبده: معجم المصطلحات الفلسفية، مرجع سابق، ص٩٩.

www.iqra.ahlamontada.com

ينجحون، ولكن في أوروبا العصور الوسطى كانت الحياة المقدسة تشفي المرض، إنما هل كانت الفعالية متأصلة في المواد المقدسة أم أنه العلاج يمنح من خلال الإيمان وبركة الرب ؟

والسحر بالعادة ممارسة إيذاء الناس بوسائل سحرية أو نفسيه (powers magic) psychic وللاصطلاح ثلاثة استعمالات مميزة على أي حال، ففي علم أصل الإنسان يعني السحر القوة الضارة، المؤذية الفطرية المتأصلة في بعض الناس الذين يستطيعون بصورة خفية إيذاء الآخرين، وهو مختلف عن السحر الشيطاني (sorcery) الذي هو سحر لا يستطيع الساحر فيه أن يساعد أحداً، وربما حتى لا يعرف أنه يفعل، وهذا هو المفهوم مستمد بشكل رئيسي من الثقافات الأفريقية، ولا ينطبق على أوربا حيث يعدّ السحرة فاعلين واعين للشر.

وهنا أريد أن أبين بعض الأفكار حول أسلوب السحر في الشرق الأدنى القديم فقد كان الكهنة يتلون الرقى والتعاويذ (temples)، كجزء من طقوس السحر التي يمكن أن تطرد المرض، وتزيل سوء الحظ، وتلعن الأعداء وتحمي الممتلكات، أو بجلب الحظ الحسن والنجاح، وكان ينظر إلى المرض على أنه شيطان (شر) يطرد بالسحر وبمساعدة الدواء، وقد نشأ بالأصل في بابل مع أن عيلام (elamites) كانت تعد مركزاً للكهانة وكان السحر قد انتشر إلى شمال سورية والحيثين

(hitiites) عبر الحورين (hurrians) وفي الإمبراطورية الحيثية كان السحر الأسود معروفاً على أنه جريمة في القانون. أما عند قدماء المصريين فكان السحر عندهم هام في الحياة اليومية.

وكان السحر عندهم يقوم على مبدأ (متعاطف) مؤكداً أن الاسم الملفوظ أو صورة كائن حي تحدث حضوراً للأصل، ويمكن للساحر عندها التحكم فيه إما بالطقوس السحرية أو تلاوة صيغة، وكان يستخدم كوقاية من القوى المعادية: المرض، (mansio nobthe gods دور الآلهة) والحيوانات المقدسة وأعداء مصر. وكانت

www.iqra.ahlamontada.com

تخط على كسرات من الأواني الخزفية أسماء الأعداء ثم تحطم في احتفال.[1] لقد انجرف كثير من الناس على مر الأيام نحو السحرة والمشعوذين والمتحايلين و المدجلين وأصحاب الأباطيل، بسبب ضعف الإيمان، والفراغ، والجهل، والخوف، والهواجس، والأوهام ، من أجل حل مشكلاتهم والسعي لتحقيق رغباتهم. فكثرة الحالات المستعصية عند الفارغين المصابين بالأوهام أو بنفث الشياطين فقد عم البلاء في كل مكان.

خامساً - الشعوذة:

شَعْوَذ: شعبذ المُشَعْوِذ: من يعمل الشعوذة. المُشَعْوَذ: المصاب بالشعوذة.

الشعوذة: الشعبذة.[2] وهي عملية سحرية، غرضها تسخير القوة الإلهية، أو سائر القوى الفائقة الطبيعية، لأغراض خاصة بالإنسان (theurgie)[3] وهي خفة في اليد، كالسحر، ترى الشيء بغير ما عليه أصله، وأفتى العلامة ابن حجر رحمه الله: في أهل الحلق في الطرقات، الذين لهم أشياء غريبة - كقطع رأس إنسان وإعادته، وجعل نحو دراهم من التراب، وغير ذلك - بأنهم في معنى السحر، إن لم يكونوا منهم، فلا يجوز لهم ذلك، ولا لأحد أن يقف عليهم. ثم نقل عن المعروفة[4] من كتب المالكية أن الذي يقطع يد الرجل، أو يدخل السكين في جوفه إن كان سحراً، قتل، وإلا عوقب.

ومن أنواع الشعوذة:

الرمل: هو علم بضروب أشكال، من الخطوط والنقط بقواعد معلومة، تخرج حروفاً، تجمع، ويستخرج جملة، دالة على عواقب الأمور. وقد علمت أنه حرام قطعاً[5].

---

(١) زكار، سهيل: المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم،ح٢، مرجع سابق ص ٤٨٢-٤٨٥ (بتصرف).

(٢) مصطفى: إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، ح١، مرجع سابق، ص٤٨٦.

(٣) الحلو، عبده: معجم المصطلحات الفلسفية، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ص١٧٢.

(٤)للإمام مالك بن أنس، بروان سحنون، وتسمى المعروفة الكبرى.

(٥)النحلاوي، خليل بن عبد القادر الشيباني: الدرر المباحة في الحظر والإباحة، المطبعة العلمية ص٢٨، دمشق الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م،ص ٢٨٨

www.iqra.ahlamontada.com

ويضاف إليها قراءة الكف والفنجان وغيرها.

والتنجيم: هو علم يعرف به الاستدلال بالتشكلات الفلكية، على الحوادث السفلية، وفي مختارات النوازل، في عمله لغير الله تعالى، فاعتقد ما يعتقده، أو يعتقد حل ذلك فوافقه على اعتقاده، وأن أحكام النجوم، تخمين محض[1].

الكهانة: هي تعاطي الخبر عن الكائنات في المستقبل، وادعاء معرفة الأسرار، فمن الكهنة من يزعم أن له تابعاً، يُلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات، يستدل بها على موافقتها، من كلام من يسأله، أو حاله، أو فعله، وهذا يخصونه باسم العرّاف، كالمدعي معرفة المسروق، ونحوه، وحديث «**من أتى كاهناً**» يشمل العراف والمنجم والمشعوذ وغيرهم.

يقول (ﷺ): « **ليس منا من تَطَيَّرَ، أو تُطُيِّرَ له، أو تَكَهَّنَ، أو تُكُهِّنَ له، أو سحر أو سُحِر له**».

«**ومن أتى كاهناً، فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** [2]».

حيث صدق من يعتقد التأثير[3]. فجدير بنا بعد الذي حصلناه عن السحر والشعوذة أن نستفيد ونعالج هذا الفراغ بالأمور التالية:

١- علينا الابتعاد عن السحر والسحرة وإن كان له وجود وكتب، لأنه كفر بالله، وضرر للناس.

٢- ألا نصدق السحرة والكذابين والمشعوذين.... وألا نطرق بابهم.

---

(١)المرجع نفسه، ص٢٨٧،(بتصرف).

(٢)المناوي، محمد المدعو بعبد الرؤوف: فيض القدير، شرح الجامع الصغير، ح٥، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م، ص٣٨٥، رقم الحديث(٧٦٨٠). رواه الطبراني وزاد البزاز عليه(من أتى كاهناً.. . الحديث) قال المنذري إسناد الطبراني حسن وإسناد البزاز جيد وقال الهيثمي فيه إسحاق بن الربيع العطار وثقة أبو حاتم وضعفه وغيره، وبقية رجال ثقات ورمز له المصنف لحسنه.

(٣)النحلاوي، خليل بن عبد القادر الشيباني: الدور المباحة في الحظر والإباحة، مرجع سابق، ص٢٨٧ -٢٨٨.

www.iqra.ahlamontada.com

٣- الابتعاد عن كل الخرافات والأوهام والعادات البالية. ولا نؤمن إلا بما جاء في القرآن الكريم والسنة.

٤- ألا نخاف إلا من الله، ولا نخشى أحداً إلا الله "لا سحرة ولا غيرهم" لأنه لن يصيبنا إلا ما كتب لنا.

٥- أن ننصح البسطاء بالابتعاد عن دور الدجالين، وأن ننبه إلى حقيقة الأمر عن طريق التوعية.

٦- أن نعالج أمورنا بالحكمة والتعقل والمنطق والصبر... بعيدين عن دور السحرة والمشعوذين.

٧- أن نحارب أصحاب الضلال والفسق والمشعوذين والكذابين. ونأخذ على أيديهم.

٨- أجل، لننجو من المهالك وأذى الأشرار، ونتحرر من قيود الأوهام والخرافات والسحرة والمدجلين والعادات السيئة.... ونتقدم في ميادين الحضارة و العلوم كافة، لنعيد لأمتنا مجدها الذي أشرق على الإنسانية، وننتصر على أنفسنا.... ونعالج فراغنا أولاً.... وعلى أعدائنا ثانياً... لنعيش في سعادة وأمان.. ونؤدي رسالة الحق والخير والسلام " التي أناطها الله بنا " على أكمل وجه.

نتيجة عامة:

لا تكون محاربة الضار إلاّ بمعرفة النافع وإتقانه. وعلى هذا يكون العلم على اختلاف مظاهره الشرعية والطبيعية هو السبيل المؤكد للتصدي لهلوسة السحرة وسحرهم وأمثالهم وبهذا العلم كلف الله الإنسان وربه كرّمه وبه حصّنه.

سادساً – المكر:

(مَكرَهُ): وبه مكْراً: خدعه، فهو ماكر، ومكّار ومَكُور•ومكر الله العاصي، ربه جازاه على المكر، أو أمهله ومكنه من الدنيا، وفي التنزيل:

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [1].

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٥٤).

www.iqra.ahlamontada.com

ماكره: خادعه، تما كروا: احتال بعضهم على بعض. المَكْرُ: الخداع وأن تصرف غيرك عن مقصده بحيلة[1].

وأما الخديعة فهي: إرادة إصابة المكروه لغيره، من حيث لا يعلم، فإن كان مستحقاً له بأن كان يريد ظلمه، أو غصب ماله، أو مع أهل الربا، أو البغاة، لورود أن الحرب خدعة وإلا فحرام لأنه غش وترك نصح واجب.[2] قال (ﷻ):

﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّيِٕ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[3].

ومعنى ذلك أن هناك مكراً غير سيئ، أي أن المكر الذي لا يقصد منه إيقاع الضرر بأحد، فإننا نسميه مكر خير، أما المكر الذي يقصد به إيقاع الضرر فهو " المكر السيئ " ولنا أن نسأل: ما لذي يدفع إنساناً ما إلى المكر ؟ إن الذي يمكر يداري نواياه، فقد يظهر لك الحب بينما هو مبغض، ويريد أن يزين لك عملاً ليمكر بك، فيحاول مثلاً أن يصحبك إلى مكان بعيد غير مأهول بالناس ويريد أن يوقع بك أبلغ الضرر، وقد يكون القتل. إذن، فمن أسس المكر التبييت، والتبييت يحتاج إلى حنكة وخبرة، لأن الذي يحاول التبييت قد يجبر قبالته من يلتقط خبايا التبييت بالحدس والتخمين، ومادام المكر يحتاج إلى التبييت فإن ذلك علامة على الضعف في البشر لأن القوي لا يمكر ولا يكيد ولكن يواجه.

إن القوي لحظة أن يمسك بخصم ضعيف، فمن الممكن أن يطلقه، لأن القوي مطمئن إلى أن قوته تستطيع أن تؤذي هذا الضعيف، لكن الضعيف حين يملك قوياً، فإنه يعتبر الأمر فرصة لن تتكرر، ولذلك فالشاعر يقول:

وضعيفة فإذا أصابت فرصة   قتلت كذلك قدرة الضعفاء

---

(١) مصطفى: إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، ح٢، مرجع سابق، ص٨٨٨.

(٢) النحلاوي، خليل بن عبد القادر الشيباني، الدرر المباحة في الحظر والإباحة، مصدر سابق ص ١٥٨.

(٣) سورة فاطر: الآية (٤٣).

www.iqra.ahlamontada.com

إن الضعيف هو الذي يمكر ويبيت، والذي يمكر قد يضع في اعتباره أن خصمه أقوى منه حيله وأرجح عقلاً، وقد ينكل به كثيراً، لذلك يخفي الماكر أمر مكره أو تبييته. فإذا أراد خصوم المنهج الإيماني أن يمكروا، فعلى من يمكرون ؟ إن الرسول (ﷺ) لا يكون في المعركة بمفرده ولكن معه الله. [1]

سابعاً- الخديعة:

(خَدَعَ) خدعاً: تغير من حال إلى حال. يقال: خدع فلان: تخلق بغير خلقه. ويقال خَدَعَ خُلُقُه، وخدع رأيه. وهو خادع الرأي: متلون لا يثبت على رأي، وخَدَعَ الدهر، وخدعت الأمور. وسوق خادة: مختلفة متلونة. وفلاناً خَدْعاً: وخُدْعَةً وخديعة أظهر له خلاف ما يخفيه، وأرادو به المكروه من حيث لا يعلم وفي القرآن الكريم:

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ ﴾ [2].

و(خادعه) مخادعة وخداعا: خدعه[3].

وفي القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾ [4].

خدعه ختله وألحق به المكروه من حيث لا يعلم، وخدعة الأمور اختلفت، وخادعه خداعاً مثل خدعه. وهو أن يظهر المرء خلاف ما يخفيه، وأن يستعمل المكر والحيلة، وخداع الحواس (sens tllus ionsdes) في اصطلاحنا تأويل الاحساسات تأويلاً سيئاً، وسببه الانخداع بالظواهر ويراد فيه الخطأ والضلال والوهم.

وأخطاء الحواس أو أغلاط الحواس (erreurs des sens) هي الإدراكات المباينة للحقيقة، مثال ذلك رؤية الساكن متحركاً، والخفيف ثقيلاً، والخط المستقيم منكسراً.. الخ.

---

(١)الشعراوي، محمد متولي: تفسير الشعراوي، ح٣، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، القاهرة، در،د ت، ص١٤٩٤-١٤٩٥.

(٢)سورة الأنفال: الآية (٦٢)

(٣) مصطفى إبراهيم وزملاؤه، المعجم الوسيط، ح١، مرجع سابق، ص ٢١٩.

(٤) سورة النساء: الآية (١٤٢).

www.iqra.ahlamontada.com

وهي كلها أخطاء إدراك لا أخطاء إحساس. وكل خطأ في الإدراك أو الحكم أو الاستدلال إذا كان طبيعياً أي ناشئاً عن انخداع الإنسان بالظواهر، فهو ضلال، وهو عند علماء النفس مخالف للوهم والهلوسة (hallucination nega tive)فكأن هناك شيطاناً ماكراً يخدعنا، ويضلنا، فيعبث بحواسنا تارة وبإدراكنا أخرى[1].

ثامناً: الدهاء:

دهاه ـ دهواً: أصابه بداهية، والداهية ـ الأمر المنكر العظيم، ح دواهٍ ودواهي الدهر ما يصيب الناس من عظيم نوبة. والدَّهي: المنكر. [2] إن العقل جوهرة ثمينة يمتلكها الفرد فقد أكرم المولى سبحانه الإنسان بها وخصه على الاستنفاع بفعله فقال:

قال (ﷻ): ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [3]

قال (ﷻ): ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [4]

فجعل الله صفة "الفراغ العقلي" للدواب وذلك لأنها غير مهيئة لاستخدام عقلها فشابهها الإنسان عندما يعطل عقله في تحصيل العلوم النافعة. فلابد إذن من إدراك ملء الذهن بما ينفع، فإذا عاش الفرد في فراغ عقلي فإنما كتب على حياته الدمار، كما أنه كتب على أخرته البوار بدليل تصايح أهل السعير وإقرارهم بفراغ عقولهم حينما قالوا:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [5].

---

(١) صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ح١، بيروت، ١٩٨٢، ص٥٢٤-٥٢٥ .

(٢) مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، ح١،مرجع سابق، ص ٣٠١.

(٣) سورة البقرة : الآية (٤٤).

(٤)سورة البقرة: الآية (١٧١).

(٥)سورة الملك: الآية (١٠).

www.iqra.ahlamontada.com

فهذا مصير من عاش موصوفاً في فراغ عقلي، وأما من ملأ عقله بما ينفعه في دنياه وأخرته فالفوز كل الفوز له في الدنيا والآخرة.

ثانياً – الفراغ القلبي

الفرد الفارغ قلبياً أياً كانت وجهته ومذهبه مزود بالآت استقبال الهدى، لكنه قد عطلها واستعملها في غير طريق الحق. زوده الله بالسمع والبصر والبيان....

فاشتغل بالحسيات وهجر المعنويات، وغرق في الملذات ونسي الحقائق وصرف قواه القلبية كلها إلى الدنيا، ولم يرد إلا إياها.

فأصبح لا يرى ولا يسمع ولا يحس إلا بما تمليه عليه شهواته ورغباته وغرائزه.... مثل هذا الفرد هو صفر اليدين وصفر الصدر ولو ملك مفاتيح الدنيا في يديه، إلا أنه أنحرف عن الغاية التي وجد من أجلها فمهما جمع من حطام الدنيا ومن علومها ومن ملذاتها ومن مناصبها فهو تافه في ميزان صانعه سبحانه وتعالى. لأن البلادة في عقله وقلبه. والعمى حل على عينيه. فلم يعد مبصراً ولا سميعاً ولا واعياً ولا ناطقاً ولا عاقلاً. لا قلب له. فهو ميت القلب والضمير والأحاسيس.

إن صاحب الفراغ القلبي لا يسأل دائماً كيف حصل هذا ولا يسأل لماذا حصل إنه لا يسأل ولا يعتبر... لأن السؤال مفتاح العلم وهو لا يميل إلى هذا الاتجاه، هذه النظرة السطحية للأمور هي وراء دمار الفرد وشقائه. لنبدأ بتعريف القلب.

١ – تعريف القلب:

أ–لغة:

١- القلب: وقد يعبر بالقلب عن العقل. وقلب كل شيء: وسطه ولُبّه ومحضه. وقلب النخلة: جمارها، وقلب الشجر: ما لان من أجوافها[1].

---

(١) مصطفى، إبراهيم وزملائه: المعجم الوسيط، ح٢،مرجع سابق،ص٧٥٩

www.iqra.ahlamontada.com

٢– الفؤاد: العقل. قال(ﷻ): ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [1].

والقلبُ: ويقال هو فارغ الفؤاد: لا هم عنده ولا حزن أو سيئ الحال [2]، وبه قال بعض المفسرين في قوله(ﷻ): ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ [3].

ب- اصطلاحاً.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: لفظ القلب، وهو يطلق لمعنيين.

أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص، وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دمٌ أسود، وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت.

المعنى الثاني: هو لطيفة ربانية روحانية، لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب، ولها علاقة مع القلب الجسماني، وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته، فإن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام، والأوصاف بالموضوعات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة. أو تعلق المتمكن بالمكان[4])

ب – القلب لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تقلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان ويسميها الحكيم: النفس الناطقة والروح الباطنية، و النفس الحيوانية مركبة، وهي المدركة، والعالم من الإنسان، والمخاطب، والمطالب، والمعاتب. [5]

---

(١) سورة النجم: الآية (١١)

(٢) مصطفى، إبراهيم وزملائه: المعجم الوسيط، ج٢، مرجع سابق، ص٦٧٧

(٣) سورة القصص: الآية (١٠)

(٤)الغزالي، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، بيروت، ج٣، دار الوعي العربي الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، ص٢ (بتصرف).

(٥)الجرجاني، علي بن محمد التعريفات، تحقيق الأبياري، دار الكتاب العربي،الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥، ص ٢٢٩.

www.iqra.ahlamontada.com

ح- القلب لطيفة ربانية روحانية لها تعلق بالقلب الجسماني كتعلق الأعراض بالأجسام، والأوصاف بالموصوفات، وهو حقيقة الإنسان، وهذا هو المراد من القلب، وقد يعني النفس، أو الروح، أو العقل ولذلك قيل القلب حقيقة جامعة بين الحقائق الجسمانية والقوى المزاجية، وبين الحقائق الروحانية والخصائص النفسية[1]

كما أن القلب باعتباره عضلة وظيفتها تحويل الخبيث من الدم إلى مصافيه والنقي منه إلى الخلايا لتبقى حية كذلك القلب باعتباره لطيفة روحانية مهمتها تحويل الخبيث من الهواجس والرغبات والنوايا إلى مصافيها.. والطيب من الخواطر والنوايا إلى الإرادة لتتباها بقوة العزم تجعلها سلوكاً حيوياً نافعاً جوهره العلم الحق.

فإذا تعطل القلب تعطلت وظيفتاه. في الحالة الأولى إذا أصابه خلل وظيفي هو المرض. وفي الحالة الثانية إذا غشاه الهوى وسكنته وساوس الشياطين.

وفراغ القلب يقصد به المعنى الثاني عندما تتعطل وظيفته الفطرية.

القلب: هو مكان استقرار العلوم والمعارف الثابتة، والعقائد الراسخة، مقترنة بشحنة من العواطف الملائمة لها، ولذلك كان القلب مستقر الإيمان.

ولذلك أيضاً كانت تنزلات الوحي والإلهامات والمعارف الربانية تصل إليه وتستقر فيه، والقوي منها يحتل مركز الفؤاد[2].

الفؤاد: هو مكان تنتهي إليه العلوم، والمعارف الثابتة، والعقائد الراسخة، وتستقر فيه، مقترنة بشحنة من العواطف الملائمة لها[3].

ج-أعمال القلب:

القلب أعني اللطيفة المديرة لجميع الجوارح، وهي المطاعة المخدومة من جميع الأعضاء، وهي بالإضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة إلى صور المتلونات. فكما أن

---

(١)الحفني، عبد المنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مرجع سابق، ص ٦٥٨ .

(٢)حبنكة، عبد الرحمن حسن: الأخلاق الإسلامية أسسها، ج١، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ص ٢٦٥

(٣)المرجع نفسه: ج، ص٣١١.

www.iqra.ahlamontada.com

للمتلون صورة، ومثال تلك الصورة يتطبع في المرآة ويحصل فيها. كذلك لكل معلوم حقيقة، ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح بها، وكما أن المرآة غير، وصور الأشخاص غير، وحصول مثالها في المرآة غير، فهي ثلاثة أمور فكذلك هاهنا ثلاثة أمور، القلب وحقائق الأشياء، وحصول الأشياء، والعلوم عبارة عن حقائق الأشياء، والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة. وكما أن المرآة لا تنكشف فيه الصورة لخمسة أمور:

١ - نقصان صورتها. ٢- لخبثه وصدئه وكدورته. ٣- لكونه معدولاً به عن جهة الصورة إلى غيرها. ٤- لحجاب مرسل بين المرآة والصورة. ٥- للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة.

فكذلك القلب مرآة مستعدة لا ينجلي فيها حقيقة الحق في الأمور كلها، وإنما خلت (فرغت) القلوب عنها لهذه الأسباب الخمسة:

١- نقصان في ذاته، كقلب الصبي، فإنه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه.

٢- لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات، فإن ذلك يمنع صفاء القلب وجلاده فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه.

٣- إنما يكون معدولاً به عن وجهة الحقيقة المطلوبة، فإن القلب المطيع الصالح، وإن كان صافياً، فإنه ليس يتضح فيه جلية الحق، لأنه ليس يطلب الحق، لأنه ليس محاذياً بمرآته شطر المطلوب، وربما يكون مستوعب الهم بتفضيل الطاعات البد نية، أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية.

٤- الحجاب، فإن المطيع القاهر لشهواته، المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوباً عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا، على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن، فإن ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق.

٥- الجهل بالجهة التي يقع منها العثور على المطلوب، فإن طالب العلم لا يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه، حتى إذا تذكرها،

www.iqra.ahlamontada.com

ورتبها في نفسه ترتيباً مخصوصاً يعرفه العلماء بطرق الاعتبار، فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب، فتنجلي حقيقة المطلوب لقلبه[1].

فهذه هي الأسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور.

د-أقسام القلوب:

إن القلب تكتنفه الصفات وتنصب إليه الآثار والأحوال من كل الأبواب والجهات، فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب، فإذا أصابه شيء يتأثر به، أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته. والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة:

أولاً: قلب عامر بالتقوى، وزكا بالرياضة، وطهر عن خبائث الأخلاق، تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت، فينصرف العقل إلى التفكير فيما خطر له، ليعرف دقائق الخير فيه، ويطلع على أسرار فوائده، فينكشف له بنور البصيرة وجهه، فيحكم بأنه لابد من فعله، فيستحثه عليه، ويدعوه إلى العمل به.

ثانياً: القلب المخذول المشحون بالهوى، المدنس بالأخلاق المذمومة المفتوح فيه أبواب الشياطين المسدود عنه أبواب الملائكة، ومبدأ الشر فيه، أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفتي منه، ويستكشف وجه الصواب فيه، فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به، واستمر على استنباط الحيل له، وعلى مساعدة الهوى فتستولي النفس وتساعد عليه، فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته، لانحباس جند العقل عن مدافعته، فيقوى سلطان الشيطان، لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى. ورب قلب هذا حاله با لاضافة إلى بعض الشهوات، كالذي يتورع عن بعض الأشياء ولكنه إذا رأى وجهاً حسناً لم يملك عينه وقلبه، وطاش عقله وسقط مِساكُ قلبه أو كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرياسة والكبر، ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور أسبابه.

---

(١)الغزالي، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص ص ١٥-١٧(بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

ثالثاً: قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر، فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير، فتبعث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر، فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم، فينبعث العقل إلى خاطر الخير، ويدفع في وجه الشهوة، ويقبح فعلها، وينسبها إلى الجهل ، ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر، وقلة اكتراثها بالعواقب.

تحميل النفس إلى نصح القلب، فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوى داعي الهوى ويقول ما هذا التحرج البارد ؟ ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك ؟ وهل ترى أحداً من أهل عصرك يخالف هواه، أو يترك غرضه ؟ أفتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها ؟ وتحجز على نفسك حتى تبقى محروماً شقياً متعوباً، يضحك عليك أهل الزمان؟ أفتريد أن يزيد منصبك على فلان أو فلان ؟ وقد فعلوا مثل ما اشتهيت، ولم يمتنعوا؟ أما ترى العالم الفلاني ليس يحترز من مثل ذلك؟ ولو كان ذلك شراً لامتنع منه ؟.

فتميل النفس إلى الشيطان، وتنقلب إليه فيحمل الملك حملة على الشيطان، ويقول هل هلك إلا من اتبع لذة الحال، ونسي العاقبة ؟ أفتقنع بلذة يسيرة ؟ وتترك الجنة ونعيمها أبد الآباد ؟ أم تستثقل الصبر عن شهوتك ولا تستثقل ألم النار ؟ أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم، وإتباعهم هواهم، ومساعدتهم الشيطان ؟ مع أن عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك، أرأيت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس، وكان لك بيت بارد، أكنت تساعد الناس ؟ أو تطلب لنفسك الخلاص؟ فكيف تخالف الناس خوفاً من حر الشمس، ولا تخالفهم خوفاً من حر النار؟فعند ذلك تمتثل النفس إلى قول الملك، فلا يزال يتردد بين الجنديين متجاذباً بين الحزبين إلى أن يفلت على القلب ما هو أولى به[1]، والقلب في الإسلام يلخصه الحديث الشريف يقول(ﷺ): « **القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد فقلب**

---

(١)الغزالي، محمد بن محمد: إحياء علوم الدين، ج٣، مرجع سابق، ص٥٧-٥٨ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

المؤمن سراجه فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق – عَرَف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم، فأي المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه»[1].

والقلب في الإسلام مشكاة والإيمان فيها مصباح والإنسان الكامل هو الذي يمتلأ قلبه بنور الله فيصير كالكوكب الدري يشع بهداه، ووقوده الشجرة المباركة، أي الهدى النبوي ـ وهو زيتونة، لا شرقية ولا غربية – يعني لا هو هدى اليهود أهل الشرق ولا هدى النصارى أهل الغرب وزيت الإسلام مضيء بطبعه ولو لم تمسسه نار ـ أي حتى ولو حاولوا إطفاءه، وإنما نور الله، ونور رسوله محمد (ﷺ)، ونور الإسلام ونور المؤمنين، كل ذلك نورٌ على نور.

قال (ﷻ): ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [2].

٢ – الأسباب:

إن الإسلام تضمن جملة من الفرائض والسنن والعبادات من شأنها في مجملها أن توقظ القلب الهاجع إذا غلبته سنة عارضة. وهذه العبادات والطاعات من التكرار والتنويع بحيث تعتبر ضوابط محكمة، قلما يبقى الفؤاد على ذهوله معها جميعاً... !

---

(١)ابن حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد، ج٣، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص١٧

(٢)سورة النور: الآية (٣٥).

www.iqra.ahlamontada.com

أجل، إن الفراغ قد يستولي على الإنسان إذا كان إلى جواره منبه واحد، أما إذا ضبطت جملة منبهات متعاقبة ذات أصوات متفاوتة، فإن حرساً منها سيستفز الغافل أو الراقد والنائم والفارغ حتماً. ومع أن القلب أصل حياة الإنسان في الجسم المادي، فقد رأينا في بعض العمليات الجراحية الخطيرة أنه إذا توقف أمكن أن يستأنف وظيفته بالدلك والتحريك والمحرض الكهربائي وغيرها.

ونحن نعلم أن الصلوات الموقوتة ليلاً ونهاراً، والمناسك السنوية، والواجبات المربوطة بمناسبات لا تنقطع... كل هذا حقيقة بأن يرد الفرد المسلم والجماعة المؤمنة إلى الله إذا أبعده وأبعدهم الشيطان عنه، وأن يوجه قلبه إليه إذا حزمته عن الله فتنة عارضة.

إن كثرة الصور والمعالم والمنارات التي بثها الإسلام في طريق المسلم تمنعه من الفراغ والتيهان، اللهم إلا إذا تعمد أن يزيغ عن الصراط، وأن يذهب مع مطارح النوى كل مذهب، وذلك للأسف ما صنعه المسلمون الأخلاف، وما ظهر جلياً في مسالك الأجيال المتأخرة. إن كثيراً منهم تمرد على أمر الله ورسوله، وقرر مخالفته كما يقرر السائق المتهور أن يعصي أنظمة المرور، وأن يضرب عرض الحائط شاراته الحمراء والخضراء.

فهل تعجب إذا رأيت في عواقب هذا الشطط حطاماً مبعثراً، ودماءً مراقة ومزيداً من الالآم ؟؟.

إن القلب مضغة بحياتها يحيا جسد الفرد وبموتها يموت، فهو وعاء الإيمان، كما أنه وعاء الهوى قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [1]

---

(١)سورة الحجرات: الآية (٧)

www.iqra.ahlamontada.com

فوضح لنا الله جل علاه أن ملء "الفراغ القلبي" يكون بالإيمان... وهذا ما أكده ابن مسعود (ﷺ) حين طلب منا أن نتفقد قلوبنا في المواطن الإيمانية بقوله:

(أطلب قلبك في ثلاثة مواطن: عند سماع القرآن، وفي مجالس الذكر، وفي أوقات الخلوة فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك[1]).

فإن المدقق لكلام عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه يلاحظ أن المواطن التي ذكرها كلها تزيد في إيمان القلب وهذا هو علاج «الفراغ القلبي» ويصدق هذا الكلام الخبير بالقلوب ابن القيم رحمه الله حين قال: (للقلب ستة مواطن يجول فيها... ثلاثة سافلة وثلاثة عالية، فالسافلة: دنيا تتزين له، ونفس تحدثه، وعدو يوسوس له.

وثلاثة عالية: علم يتبين له، وعقل يرشده، وإله يعبده. والقلوب جوالة في هذه المواطن[2]).

فالناظر إلى المواطن السافلة يلحظ أنها تنقص من إيمان القلب وعلى النقيض العالية حيث تزيد من إيمان القلب، وكل هذا بالقلب لأن القلب: (هو الملك فإذا صلح الراعي صلحت الرعية وإذا فسد فسدت الرعية، وإنما يحصل صلاحه بسلامته من الأمراض[3]) .

والأمراض هي أكبر معوق لإيمان القلب وخصوصاً إذا كان فيه غل وحسد وحقد وكبر وحب الدنيا و... الخ، فإنها تطرد الإيمان شيئاً فشيئاً إلى أن يصبح القلب فارغاً ـ والعياذ بالله ـ ومن بلغ هذه المنزلة فقد ظلم نفسه لقوله (ﷻ):

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[4].

---

(١)ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: الفوائد، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، الطبعة الأولى، در، ص١٢٤.

(٢)ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الفوائد، مصدر سابق، ص٧٤.

(٣) النووي، يحيى بن شرف: شرح متن الأربعين النووية، دار المجتمع، جدة ص٤٠.

(٤) سورة النور : الآية (٥٠).

www.iqra.ahlamontada.com

وأما من عمل الطاعات، وملأ قلبه بالإيمان، وزينه به، وحاول أن ينميه ويجمله، فقد تحرى العدل في نفسه وجنبها الظلم واستقام على الطريقة التي يريدها المولى عز وجل من ملء القلب بالخواطر الربانية والأعمال الرحمانية.

٣- الآثار:

أ- القلب الأسير:

ينبغي للقلب أن يكون حراً طليقاً، لا يعرف الأسر أو القيد، وهذه هي أولى الصفات التي يجب أن يتحلى القلب بها حتى ينطلق إلى ربه سريعاً، فمن كان قلبه أسيراً لشيء من الدنيا قيّده مأسورة عن الحرية والحركة، سواء كان هذا المأسور تجارة أو امرأة أو عشيقة أو منصباً أو... غيرها، "فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر. فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه أسيراً لها، تتحكم فيه وتتصرف بما تريد، وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها، وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها لا سيما إذا درت بفقره إليها، وعشقه لها، وأنه لا يعتاض عنها بغيرها"[(١)].

فالفرد ينبغي أن يكون قلبه حراً طليقاً، لا يعرف قيوداً ولا سدوداً أمام حب الله ورسوله لأن هذه القيود تقيد من حريته، فالمسلم يجب أن ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر.

ب- القلب الخامل الغافل:

لابد أن يكون متطلعاً يقظاً، لا يعرف الخمول والغفلة، فلا تخفى عليه خافية، ولا يحتال عليه كاذب، وهكذا الشيطان يصيد القلوب بأطعمة دنيوية يعرف أن القلب ضعيف في مواجهتها، فيحركها أمامه، ويرقصها عنده، حتى يهوى ويسقط القلب صريعاً في شباكه أما متيقظو القلب، فليسوا ممن يستهويهم الطعم الدنيوي، بل اليقظة وبهذا التطلع وبهذا العمل وبهذه الطاعة[(٢)].

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى، ج١٠، مصدر سابق، د م، الطبعة الثانية، در،دت،ص١٨٥

(٢) قطب، سيد: الظلال، ج٤،دار الشروق، القاهرة، در،دت، ص٢٤٧٣

www.iqra.ahlamontada.com

فالتطلع واليقظة أصل لابد منه في القلب، و إلا كان القلب غافلاً، تائهاً، كسلاناً، عاصياً، فارغاً، ولا أرى أن هذه الصفات ترشح القلب لاستقلال عمره ووقته.

ج- القلب الضعيف الكسول:

إذا لابد أن يكون القلب قوياً، دائم الثأر من أسهم الشيطان حين يصّوبها عليه، فما من معصية يتعرض القلب لها إلا وكانت سهماً من سهام إبليس، قد سلطه عليه ليعيق سيره وسباقه لله تعالى.

فإذا انتفض القلب، وخلع السهم، وقفز من مكانه ليزيد في أعماله، فذلك هو الثأر الذي ينبغي أن يكون بالقلب حتى يعوض ما فات من تقصير.

ولهذا وصف ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ القلب الذي أصابه سهم من سهام إبليس قائلاً:

"فإن كان قلبه من قلوب الرجال المتسابقين في حلبة المجد، جد في أخذ الثأر، وغاظ عدوه كل الغيظ وأضناه " كما جاء عن بعض السلف" إن المؤمن لينفي شيطانه كما ينفي[1] أحدكم بعيره في سفره"[2] فلابد إذاً من السرعة والجد في تجديد الإيمان وملء القلب بالإيمان حتى يزداد القلب سرعة في سيره إلى الله تعالى. ويغيظ عدوه إبليس الذي يرسل السهام تترى حتى يهلك القلب ويضعف ويفرغ ويقتل. فإذا تراخى القلب في إزالة الران وفراغه، فإن سماكته تزداد، وشيطانه يملأ فراغه ويبيض ويفرخ فيه، وبصيرة الفرد تطمس، حتى يصعب علاجه فلا يستطيع بعد ذلك ملأ فراغه بالإيمان ومحبة الله فلا حراك به فليس بإمكانه القفز والتعويض فيصاب بالفراغ والشلل ولا يكون من القلب الضعيف بحسن استغلال فراغه.

---

(١) ينفي: انفى بعيره هزله، ونفا ثوبه خلعه ونفا سيفه سله. - الرازي، مختار الصحاح، دار الإيمان، دمشق، در،دت. ص٦٦٥

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة، ح١، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، ص٢٦٧

www.iqra.ahlamontada.com

ز-القلب الساكن المترف:

متى كان القلب صاحب راحة ودعة وسكون وترف فهو قلب فارغ، فمتى ما انتفت هذه الصفات التثاؤبية الخاملة من القلب انطلق القلب سريعاً إلى خالقه ومولاه، وأحسن ملأ فراغه بالإيمان والمحبة لله ولرسوله (ﷺ)، كما كان النبي (ﷺ) فإنه لم يتثاءب قط، لأن التثاؤب من الشيطان، وإنما كان همه العمل للآخرة، فقد كان (ﷺ) يقول: « **يا عائشة: إن عينّي تنامان ولا ينام قلبي**»[1] .

وإذا كان ذلك من خواص النبي (ﷺ) إلا أنه لا يمنعنا أن نكون متصلين بالله تعالى قبل منامنا وبعده، فتكون النية في نومنا لله تعالى، كمن ينام مبكراً حتى يقوم الليل أو لصلاة الفجر فإنه يؤجر على النوم وعلى الصلاة، فيكون متصلاً بالله تعالى دائماً في نومه ويقظته. فدوام العطاء من صفات القلب الذي لا يعرف التكاسل والتثاؤب، وهكذا كان قلب الصحابي أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) فقد كان (يصوم حتى يعود كالخلال[2]، فقيل له: لو أحجمت[3]نفسك ؟ فقال: هيهات إنما تسبق الخيل المضمرة) [4]فهذه هي القلوب أي لا تعرف التهاون والتكاسل والخمول والفراغ، بل همها الإسراع بالطاعة والانشغال بها عن غيرها، فهذا هو فهم الصحابة لمهمة القلب الطائع الممتلأ، فهو قلب وجسد دائم العطاء، دائم الإنتاج، لا يعرف الراحة إلا في المناسبات ولقد مر رجل بأبي الدرداء (رضي الله عنه): وهو يزرع "جوزة" فقال: أتغرس هذه وأنت شيخ كبير، وهذه لا تطعم إلا في كذا وكذا عاماً، فقال: أبو الدرداء: ما علي أن يكون لي أجرها ويأكل منها غيري[5].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري،ج١، تحقيق مصطفى البغا، مصدر سابق، ص٣٧٥ رقم الحديث (١٠٩٦).

(٢)الخلال: العود الذي يخلل به الأسنان. - مصطفى إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج١ ص٢٥٢.

(٣)أحجمت: أي تركتها تستريح، أو كفها أو صرفها عن ذلك. - المرجع نفسه، ج١ ص١٥٨.

(٤)ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: صفة الصفوة، ج١،تحقيق محمود فاخوري وقلعه جي، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص٥٦٠.

(٥)الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار : زاد المسلم، ج٢، دار إحياء التراث، بيروت، ص٣٣٦.

www.iqra.ahlamontada.com

وهذه نكتة قلما ينتبه إليها العابدون، لأن الشبع من أسباب فراغ القلب وموته وصدئه كما قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: (لكل شيء صدأ، وصدأ القلب شبع البطن[1]).

حتى أن الإمام الشافعي رحمه الله بين منهجه في الطعام فقال: (ما شبعت منذ ست عشرة سنة، وسبب ذلك أن كثرة الأكل جالبة لكثرة الشرب وكثرته جالبة: للنوم، والبلادة وقصور الذهن وفتور الحواس وكسل الجسم هذا مع ما فيه من الكراهية الشرعية، والتعرض لخطر الأسقام البد نية.) [2]

هـ- الانشغال بالدنيا:

فهو انشغال القلب في لعاعة[3] من لعاعات الدنيا. كالتنافس على الدنيا على درهمها ودينارها أو للسيارة الفارهة فيها والمنزل الفاخر أو الملبس والمأكل وغيرها فهذه من الأمور التي تستغرق وقت الفرد وهمه فمن صرف أعمال قلبه فيها وفي سبيلها كان مخلفاً عن ركب السبق الأخروي فارغاً. وقال (ﷻ) في القلب وأحواله:

١. ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[4].

٢. ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾[5].

---

(١)ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، ج١، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الريان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨، الطبعة الأولى، ص٢٥٦.

(٢)ابن حمدون، محمد بن الحسن: التذكرة الحمدونية، ج١، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى،١٩٩٦، ص٢٠٩.

(٣) (اللعاعة): واحدة اللعاع. ومنه: " إنما الدنيا ساعة، ومتاعها لعاعة " أي قليلة البقاء كالنبت الأخضر. والبقية اليسيرة من كل شيء. ويقال: بقي في الأناء لُعاعة. - مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، مرع سابق، ج٢ ص٨٣٤ - ٨٣٥.

(٤)سورة الأنعام: الآية (١١٠).

(٥) سورة الأنعام: الآية (١١٣).

www.iqra.ahlamontada.com

ثالثاً- الفراغ النفسي

نتساءل عن السر في هذا التصدع النفسي وفراغه الذي ران على الفرد والجماعة الإسلامية في أغلب أقطارهم، وجعلهم غرباء في أرضهم، عَجِزَه عن استخراج كنوزها واستغلال ما تناثر هنا وهناك من خيرها !؟

الكشف عن هذا السر يتطلب إحصاء جملة من الرواسب النفسية، تعد في نظرنا سبب هذا التبلد. ولكن قبل الخوض في أسباب وآثار الفراغ النفسي لابد من الوقوف على الحدود والتعريفات.

١- التعريف.

أ- لغة:

(النَّفْس): الروحِ ـ ويقال: خرجت نفسُه، وجاد بنَفْسِهِ: مات. و الدم، يقال: دفَقَ نَفْسَهُ. و ذات الشيِء وعينه، يقال: جاء هو نفسُه أو بنَفَسِهِ (ج) أَنْفُسٌ ونفوس.

ويقال: أصابته نَفْسٌ: عين وفلان ذو نَفْس: خُلُق وجَلَد، ويقال: في نفسي أن أفعل كذا: قصدي ومُرادي وفلان يؤامر نفسيه: له رأيان لا يدري على أيهما يثبت [1].

ـ النفس تجيء للمعاني الآتية:

١- فالنفس: ذات الشيء وحقيقته. ونفس الإنسان والجني من هذا: جملته من الجسم والروح وترادف في هذا المعنى ذاته. تقول: لا تعتد على نفس أخيك.

٢- والنفس: الروح التي بها الحياة، وإذا زايلت الجسم نزل به الموت، وهي باقية ما بقي في الحي نفسه، تقول: خرجت نفس المحتضر.

٣- والنفس: تقع موقع القلب والوازع يكون فيه السر الخفي. وقد يعبر عن هذا بأن تكون بمعنى (عند) نقول: أنا اعلم بما في نفسك، وتأتي بهذا المعنى في القرآن الكريم في مقام إضافتها إلى البشر مضافة إلى الله سبحانه وتعالى لداعي المناسبة و المشاكلة.

---

(١) مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، ح٢،مرجع سابق، ص٩٤٩.

www.iqra.ahlamontada.com

٤- والنفس: معنى في الإنسان يوجهه إلى أفعاله من الخير والشر. تقول أمرتني نفسي وسولت لي نفسي فعل السوء.

٥- والنفس: معنى في الإنسان به التميز والإدراك والإحساس لما يحيط به، وهذا المعنى يفارقه في النوم وحيث يغيب وعيه.

٦- وتقول: أيها المتعلمون أكرموا أنفسكم أي ليكرم أحدكم الآخر كأنه إذ يكرم الآخر يكرم نفسه

٧- وتقول: منَّ الله عليكم باتخاذ أزواج من أنفسكم أي من جنسكم ليكون أدعى إلى الألفة وحسن المعاشرة، وتقول ولي عليكم وال من أنفسكم أي من عشيرتكم غير أجنبي عنكم.

٨- ويقال: لا تظلم نفسك بحملها على خصال السوء، وثق بنفسك، تقحم النفس في مثل هذا لئلا يتعدى العامل النحوي إلى الشيء وضميره.

٩- وتأتي النفس مراداً بها معيَّن لقول: خلق البشر من نفس واحدة. أي من آدم(عليه السلام)[1].

ومادة (النفس) في قاموس القرآن [2]: على عشرة أوجه:

الأول: من أنفسكم أي منكم قوله (عز وجل): ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [3] أي منكم.

الثاني: النفس القلب، قال (عز وجل):﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [4]أي القلوب، وقوله (عز وجل): ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ [5] أي قلبي.

---

(١) عبده، عيسى وأحمد إسماعيل يحيى: حقيقة الإنسان، مرجع سابق، ج٣ ص٣٢ –٣٣ (بتصرف).

(٢) الدامغاني، الحسين بن محمد، قاموس القرآن، وإصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق وترتيب عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥ ص٤٦٢.

(٣) سورة التوبة : الآية (١٢٨).

(٤)سورة النجم: الآية (٢٣)

(٥)سورة يوسف: الآية (٥٣)

www.iqra.ahlamontada.com

الثالث: النفس الإنسان: قوله(ﷻ): ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[1] أي الإنسان بالإنسان كقوله(ﷻ): ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾[2]

الرابع: اقتلوا أنفسكم أي ليقتل بعضكم بعضاً، كقوله(ﷻ): ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[3].

الخامس: النفس الروح قوله (ﷻ): ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾[4]

السادس: أنفسكم أي أهل دينكم كقوله (ﷻ): ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[5] يعني أهل دينكم

السابع: نفس الإنسان جملته كقوله (ﷻ): ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[6] يعني أن يقتل الرجل نفسه.

الثامن: النفس العقوبة كقوله(ﷻ): ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[7] أي عقوبته.

التاسع: النفس الأم كقوله (ﷻ): ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾[8] يعني بأمهاتهم خيراً.

العاشر: النفس الغيب كقوله (ﷻ): ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[9] أي تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك.

ونعود بعد هذه المقدمة التي استوقفتنا قليلاً إلى تعريف النفس ما هي اصطلاحاً ؟.

---

(1) سورة المائدة: الآية (٤٥)

(2) سورة المائدة : الآية (٣٢)

(3) سورة البقرة: : الآية (٥٤)

(4) سورة الأنعام: الآية (٩٣)

(5) سورة النساء: الآية (٢٩)

(6) سورة النساء : الآية (٦٦)

(7) سورة آل عمران: الآية (٣٠)

(8) سورة النور: الآية (١٢)

(9) سورة المائدة : الآية (١١٦)

www.iqra.ahlamontada.com

يأخذ ابن سينا تعريف أرسطو للنفس.. وهو تعريف مشهور يقول فيه: (النفس كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة): غير أن ابن سينا يسلك إلى هذا التعريف مسلكاً جديداً فهو ينظر إلى الأجسام الطبيعية ويقسمها من جهة القوة الفعالة فيها إلى قسمين:

- قوى تعمل في الأجسام بالتسخير وأخرى تفعل بالقصد والاختيار.

فالطبيعة والنفس النباتية اسم للقوى الفاعلة على سبيل التسخير[1].

والنفس الحيوانية والإنسانية اسم للقوى الفاعلة على سبيل القصد والاختيار.

وابن سينا يميز بين العقل والنفس... فالنفس تقال عند وجودها فعالة في جسم من الأجسام، أما إذا فارقت فالأشبه أن تسمى العقل... ومهما يكن من شيء فإن الصلة بين النفس والعقل صلة دقيقة غامضة.... وقد نجد اضطراباً عند ابن سينا نفسه حين يجعل العقل قوة من قوى النفس وحين يحدثنا في مكان آخر أن العقل فاض عن الأول... ثم فاضت عنه النفس فكأنه يذهب مذهب أفلاطون حين يقدم الفعل على النفس ولكن الأرجح في مذهب ابن سينا هو أن الفعل قوة من قوى النفس، وأن التفس عند مفارقتها البدن قد تسمى نفساً، ولكن الأصح أن يقال عنها العقل.

والقوى النفسانية هي القوى ذاتها التي ذهب إليها أرسطو من قبل وهي ثلاث: (النباتية، الحيوانية، الإنسانية).

ووظائف النباتية: التغذي والنمو والتوليد.

ووظائف الحيوانية: إدراك الجزئيات والتحرك بالإرادة.

ووظائف الإنسانية: تدرك الكليات وتفعل الأفاعيل بالاختيار الفكري والاستنباط بالرأي[2].

---

(١) ابن سينا، الحسين بن علي: أحوال النفس (رسالته في النفس وبقائها ومعادها) تحقيق أحمد فؤاد الاهـواني ص ٢٦

(٢)عبده، عيسى وأحمد إسماعيل يحيى: حقيقة الإنسان، ج٣، مرجع سابق، ص٥٠ (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

ب - صفات النفس:

وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس. نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة. وأن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه الأخرى.

١ - النفس المطمئنة:

وهي مطمئنة بذكر الله قال (ﷻ):﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1].

وحقيقة الطمأنينة التي تصير بها النفس مطمئنة أن تطمئن في باب معرفة أسمائه وصفاته ونعوته و كما له إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه وأخبرت به عنه رسله، فإذا عرف اطمأنت نفسه بالإيمان حتى ولو خالفه جميع أهل الأرض... ثم لا يزال يقوى كلما سمع بآية متضمنة لصفة من صفات ربه وهذا أمر لا نهاية له. فهذه الطمأنينة أصل من أصول الإيمان... ثم يطمئن إلى خبره عما بعد الموت من أمور البرزخ وما بعدها من أحوال القيامة حتى كأنه يشاهد ذلك كله عياناً. وهذا حقيقة اليقين الذي وصف به (ﷻ) أهل الإيمان فقال: ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[2]والطمأنينة إلى صفات الله وأسمائه نوعان:

- طمأنينة إلى الإيمان بها (أسماء الله وصفاته) وإثباتها واعتقادها.
- وطمأنينة إلى ما تقتضيه وتوجبه من آثار العبودية.

فمن توفرت له الطمأنينة لا ييئس على ما فاته ولا يفرح بما آتاه فهو مطمئن إلى قوله (ﷻ): ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[3].

---

(١)سورة الرعد : الآية (٢٨)

(٢)سورة البقرة: الآية (٤)

(٣)سورة الحديد: الآية(٢٣).

www.iqra.ahlamontada.com

كـذا الاطمئنـان إلى قولـه (ﷻ):﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [1].

أما طمأنينة الإحسان فهي الطمأنينة إلى أمره امتثالاً وإخلاصاً وعملاً، فلا يقدم على أمره إرادة ولا هوى ولا تقليداً ولا يساكن شبهه ولا شهوة، وهـذا هـو صـريح الإيمـان كما قال الرسول (ﷺ): وننبه هنا إلى أن الله (ﷻ) جعل لكل عضـو مـن أعضـاء الفـرد كمالاً إن لم يحصل عليه فهو في قلق وفراغ واضطراب وانزعـاج بسـبب فقـد كمالـه... فكمال العين بالإبصار... وكمال الإذن بالسمع... وكمال اللسان بالنطق... وكمـال القلـب معرفته سبحانه وإرادته ومحبته والإنابة إليه والإقبال عليه والشـوق لـه والأنـس بـه، فـإذا عدم القلب ذلك كان أشد عذاباً واضطراباً من العين التي فقدت النور واللسان الذي فقـد قوة الكلام والذوق وأقوال المفسرين في الطمأنينة ترجع إلى ذلك. فحقيقة الأمر أنـه لا طمأنينة بدون التحقق بـ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [2].

والنفس المطمئنة الساكنة الموقنة، أيقنت أن الله ربهـا، فأذعنـت لـذلك، قالـه مجاهـد وغيره.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: المطمئنة بثواب الله، وعنه (المؤمنـة) [3]. وقـال قتـادة رحمه الله: هو المؤمن اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله [4]وقـال الحسـن: المؤمنـة الموقنـة. وقال مجاهد رحمه الله: هي النفس التي أيقنت بـأن الله ربهـا المسـلمة لأمـره فيمـا هـو فاعل بها[5]. فإذا أطمأنت من الشك إلى اليقين ومن الجهل إلى العلـم ومـن الغفلـة إلى الذكر ومن الفراغ إلى الإحسان... ومـن الخيانـة إلى التوبـة ومـن الريـاء إلى الإخـلاص

---

(١)سورة التغابن: الآية (١١).

(٢)سورة الفاتحة: الآية (٤).

(٣)القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ح٢٠، مصدر سابق، ص ٥٦ (بتصرف) .

(٤)المصدر نفسه،ح٢٠، ص ٥٩.

(٥)القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ح٢٠، مصدر سابق، ص٦٠

www.iqra.ahlamontada.com

ومن الكذب إلى الصدق ومن العجز إلى الكيس ومن صولة العجب إلى ذلك الإخبات ومن التيه إلى التواضع ومن الفتور إلى العمل، فقد باشرت روح الطمأنينة وأصل ذلك كله ومنشؤه من اليقظة فهي أول مفاتيح الخير والابتعاد عن الغفلة وملأ فراغه النفسي بالإيمان والأعمال لطاعة الله في الدنيا والاستعداد للقاء ربه والتزود لمعاده.

٢ – النفس الأمارة:

وأما النفس الأمارة فهي المذمومة فإنها التي تأمر بكل سوء وهذا من طبيعتها إلا ما وفقها الله وثبتها وأعانها فما تخلص أحد من شر نفسه إلا بتوفيق الله له ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1]

وقال (ﷻ): ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾[2]

وقال (ﷻ) لرسوله(ﷺ): ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾[3]

٣ – النفس اللوامة:

هي التي لا تثبت على حال واحدة.. أخذوا اللفظة من التلوم وهو التردد.... فهي كثيرة التقلب والتلون فتذكر وتغفل وتقبل وتعرض..... وتلطف وتكثف وتنيب وتجفو.. وتحب وتبغض وتفرح وتحزن... وترضى وتغضب. وتطيع وتعصي وتتقي وتفجر... إلى أضعاف أضعاف ذلك من حالاتها وقيل أنها: اللفظة مأخوذة من اللوم ثم اختلفوا فقالت فرقة هي نفس المؤمن وهذا من صفاتها المجردة.

قال الحسن البصري: إن المؤمن لا تراه إلا يلوم نفسه دائماً.

---

(١)سورة يوسف: الآية (٥٣)

(٢)سورة النور: الآية (٢١)

(٣)سورة الإسراء: الآية (٧٤)

www.iqra.ahlamontada.com

قال غيره: هي نفس المؤمن توقعه في الذنب ثم تلومه عليه فهذا اللوم من الإيمان بخلاف الشقي فإنه لا يلوم نفسه على ذنب بل يلومها وتلومه على فواته. [1]

وقال جماعة: بل اللوم للنوعين فإن كل أحد يلوم نفسه براً كان أو فاجراً... فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية الله وترك طاعته والشقي لا يلومها إلا على فوات حظها أو هواها.

وقال آخرون: هذا اللوم يوم القيامة فإن كل أحد يلوم نفسه إن كان مسيئاً على إساءته وإن كان محسناً على تقصيره. وهذه الأقوال كلها حق ولا تنافي بينها فإن النفس موصوفة بهذا كله وباعتبارها سميت (لوامة) لكن اللوامة نوعان:

- **لوامة ملومه:** وهي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها الله وملائكته.
- **لوامة غير ملومة:** وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله مع بذله جهده فهذه غير ملومة. [2] وقد امتحن الله الإنسان بهاتين النفسين (اللوامة والأمارة) كما أكرمه بالمطمئنة فهي نفس واحدة تكون أمارة، ثم لوامة، ثم مطمئنة وهي غاية كمالها وصلاحها... والملك قرين المطمئنة والشيطان قرين الأمارة... وقد انتصبت الأمارة في مقابلة المطمئنة لهزيمتها إلا من رحم ربي.

والنفس على أقسام: هي الفلكية، والنباتية ، والحيوانية، الإنسانية. والثلاث الأخيرات كمال أول الجسم الطبيعي الآلي، لكن النفوس الفلكية خارجة عن هذا، لأنها لا تعقل بواسطة الآلات، ولذلك يسمون النباتية والحيوانية والإنسانية نفوساً أرضية، بينما الفلكية نفوساً سماوية، النفس الإنسانية هي النفس الناطقة، وما ذكر في تعريف النفس ليس تعريفاً لها من حيث ماهيتها وجوهرها، بل من حيث إضافتها إلى الجسم الذي هي نفس له، إذ لفظ النفس إنما يطلق عليها من جهة تلك الإضافة، فوجب أن يأخذ الجسم تعريفها[3].

---

(١) عبده، عيسى وأحمد إسماعيل يحيى: حقيقة الإنسان، ح٣، مرجع سابق ص٦٣

(٢) المرجع نفسه، ج ٣ ص٦٤

(٣)الحفني، عبد المنعم: المعجم الشامل، لمصطلحات الفلسفة، مرجع سابق، ص٨٩٠

www.iqra.ahlamontada.com

ـ أوصاف النفس وتقسيمها باعتبار المقامات:

ذكرنا كيف تختلف النفس باختلاف أوصافها:

١- فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضته الشهوات، سميت بالنفس المطمئنة وهي التي قال(ﷻ) فيها:

﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾[1].

٢- النفس التي لم تسكن فيها قوة، قوة الغضب والشهوة، وهذه لا يتصور رجوعها إلى الله فإنها مبعدة عنه، وهي من حزب الشيطان. وهي النفس الأمارة بالسوء. قال تعالى إخباراً عن امرأة العزيز:

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[2]

٣- النفس التي لم يتم سكونها، ولكنها صارت مدافعه للنفس الشهوانية ومعترضة عليها فهي تلوم صاحبها عند تقصيره في طاعة الله وعبادة مولاه قال(ﷻ):

﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾[3].

ج- المــاهية:

إن ثمة عللاً نفسية غائرة سببت فراغ المسلمين في الحياة، وجعلتهم لا يحسنون الاستفادة من دينهم ولا يحسن دينهم الإفادة منهم. هذه العلل كانت أشبه بالخلل الآلي، أو المرض العضوي، الذي تفقد الأشياء به تمامها وتتخلف مع وجوده عن ثمارها، كالعين تعجز عن رؤية المحسوسات عند الانفصال الشبكي، أو السيارة تقف في الطريق مع وجود الوقود لانسداد في المواسير !!.

---

(١)سورة الفجر : الآية (٢٧)

(٢)سورة يوسف: الآية (٥٣)

(٣)سورة القيامة : الآية (٢)

www.iqra.ahlamontada.com

إن الإسلام لم يدر في أجهزة الأمة النفسية والاجتماعية كما يدور الدم في عروق الجسم دورته الرتيبة الدائمة.

كلا!لقد اعترضته عوائق شتى جرت على الكيان كله (فرداً وجماعة) أعراض الشلل والإعياء !.

أن البحث قد أحصى قدر الإمكان بعض العلل والأسباب، وشخص الداء، وأبرز الدواء... والفرد في هذه المواطن يحتاج إلى كثير من الدقة والملاحظة.

لأن أمتنا قد أصيبت بما يشبه الأمراض المتناقضة !.

يقصد الأمراض التي يكون علاج أحدها على حساب الآخر، كمن يصاب بالسل والسكر معاً، فإن الأغذية التي يحتاج إليها في مقاومة هذا المرض ربما زادت ضراوة المرض الأخر... !!.

ولابد من توضيح الفراغ النفسي في هذه المواقف:

١- كشف البرقع والقناع عن فراغنا النفسي، ليعلم أهل الدين والإسلام أن مواريث الأجداد لا تغني عن جهاد الأبناء.

وأن انتسابنا إلى الإسلام لا يعصمنا عند الله حقَّ المسلم إذا كان المبطلون أشد منا تمسكاً بباطلهم وأغزر إنتاجاً له... !

ثم إن العمل الصوري لا جدوى منه... إذا كانت أنفسنا فارغة من التمسك به وامتثاله أعرف أناساً يتوضؤون، وتبقى أعضاؤهم وسخة... ! لماذا ؟

لأن الوضوء في وهمهم لا يعني غير إمرار الماء على أعضاء معينة !.

أما أنه وسيلة للنظافة (ظاهراً وباطناً) فلا... !

وأعرف جماعة يصلون وتبقى أرواحهم كدرة ! لماذا ؟

لأن الصلاة في فهمهم لا تعني أكثر من تحريك الجسم في أوقات محددة.

أما أنها معراج للصفو والنور... فلا.. !!

www.iqra.ahlamontada.com

وأي نظام في الدنيا يتناوله أتباعه بهذا الشكل، هيهات أن يرفع لهم خسيسة، كم من حضارة في العالم ماتت، لأنها تحولت إلى طقوس ومراسم ورياء، وانتفاعاً رخيصاً، وأثرة، ومروقاً عن أمر الله... وكم من ديانة انتهى أمدها وقضى الله بانقضاء أجلها لأنها تجاوز القلوب.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (١)

٢- إن الناس الذين يعيشون فراغ أنفسهم وفي داخلها، وفي حدودها وحسب، لا يعون الحقائق المقبلة عليهم من خارجها، ولا تخترق أبصارهم أسداف الشهوات والغفلات التي تخيم عليهم من كل جانب.

إنك إن أغريت أحدهم بالدنيا قد يشغله عرضها عن الدين، وإن مسكته بالدين قد يصرفه ذلك عن الدنيا، فالفرد المسلم الحق آخذٌ من كليهما بنصيب على نحو ما قال الشاعر:

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ... ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله!

فما تصنع لفرد فارغ سفيه ضاعت منه الدنيا، وضاع عليه دينه؟فالأمر بحاجة إلى نصائح موزونة، تساق إليه بقدر، حتى يحصل على الدنيا التي فيها معاشه، وبها نجاحه. وحتى يحرز الدين الذي هو قوام أمره وضمان عاقبته.... !!

٣- علم عظيم وعمل أعظم... الإسلام معرفة للحقيقة الواحدة وقيام بحقوقها وإنما ترجح كفة الفرد المسلم بالإيمان والعمل الصالح جميعاً.... وقد كانت غلبة المؤمنين الأوائل والمنزلة التي بلغوها نتيجة علم عظيم وعمل أعظم...

ثم جاء الأعقاب الفارغون يملؤون أفواههم فخراً، بأنهم أتباع الإسلام، ويزدرون الأخرين الذين حرموا هذه النعمة، ولا يعملون للإسلام شيئاً.

---

(١)سورة الحديد: الآية (١٦)

www.iqra.ahlamontada.com

لكن حفيد الملوك لا يغنيه نسب، ولا يسبق به في عالم النضال والجهاد فخر وادعاء، إذا كان أبناء الصعاليك قد انتهزوا كل فرصة، وتزودوا بكل سلاح، ثم نازلوه فغلبوه... !!

ولقد انتصر أبناء القردة والخنازير من اليهود والصهاينة لذلك في فلسطين، وانتصرت قوى للشر في غير مكان.

٤- البلادة التي تستولي على بعض الناس، وتجعل موقفهم من الحق والمطالبة به فاتراً. أغلب الظن أنهم لا يفقهون، وإذا فقهوه لا يقدرونه، وإذا قدروه يتثاقلون عن التضحية من أجله... وتدبر قول الحق (ﷻ) في التعريض بهؤلاء.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾[1]

وأنظر العاقبة التي يصيرون إليها في هذه الحياة ! إن بلادتهم تتحول إلى بهيمة، وعجز مشاعرهم عن الإدراك والإحساس يخلق منهم دواب بشرية.

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[2]

ويرافق الخمول النفسي عدد من الاضطرابات النفسية الأخرى مثل القلق والمخاوف والوسواس القهري... وغيرها وأيضاً يرافق الفراغ النفسي عديداً من الأمراض العصبية والجسمية مثل الجلطة الدماغية والشقيقة والصرع والجلطة القلبية.

ويمكن أن نقسم أعراض الفراغ النفسي إلى أربعة جوانب رئيسية:

١- **الجانب الانفعالي**: ويتمثل بالحزن والإكتئاب والملل والتوتر والغضب

---

(١)سورة الأنفال: الآية (٢٠، ٢١)

(٢)سورة الأنفال: الآيات (٢٢ ٢٣)

www.iqra.ahlamontada.com

٢- **الجانب التفكيري والذهني**: ويتمثل ذلك بتقدير الذات السلبي والتشاؤم والسلبية في الحياة والمعاملة اليائسة.

٣- **الجانب السلوكي**: ويتمثل بالانسحاب والتقصير من النشاطات والعادات والطاعات بشكل عام، وضعف الإنتاجية والشعور في مختلف المجالات إضافة إلى السلوك السيئ.

٤- **الجانب الجسمي**: ويتمثل بعدد من المتغيرات منها تقطع النوم والاستيقاظ المبكر(وقد يكون العكس كذلك) ونقص في الوزن والإرهاق الجسمي واضطرابات الأعضاء وزيادة الأمراض وغيرها.

٥- **الفتور الحسي**: أستطيع أن أعبر عنه من خلال شيئين أساسيين:

١- إعاقة أو تأجيل إشباع دافع أو حاجة معينة لدى الفرد .

٢- الحالة الانفعالية غير السارة الناجمة عن إعاقة السلوك الموجه نحو الهدف.

والفتور الحسي إنما يوجد بدرجات مختلفة، فهناك فتور بسيط يتمثل في إعاقة حاجة وقتية، وهناك فتور صعب يتمثل في إعاقة تحقيق هدف معين في الحياة بعد العمل لتحقيقه مدة طويلة من حياة الفرد والجماعة.

إن الفتور أصبح ظاهرة إسلامية كثيرة الحدوث في حياتنا، ولذا فإن على الفرد أن يتعلم كيف يتحمل الفتور و يعيش مع احباطاته.

وهذا المستوى المنحط من الوجود لا يسمى حياة، وإن زعم أصحابه أنهم أحياء يأكلون ويتمتعون ولذلك يناديهم الله عز وجل أن يدخلوا في دينه، وأن ينخلعوا عن أهوائهم.. وشهواتهم وغفلتهم وفراغهم، فهذا وحده طريق الحياة... وهذا وحده السعادة وملء الفراغ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (١)

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٢٤).

www.iqra.ahlamontada.com

والفرد والجماعة المعاصرون أحوج الناس اليوم لتدبير هذا الدرس لملء فراغهم النفسي والاستنارة به في الظلمات التي تلتفهم من كل ناحية وصوب....

إذاً المشكلة الهامة في الفراغ النفسي تتمثل في الخمول النفسي والفتور الحسي.

الخمول النفسي:

يعتبر الخمول النفسي: (تعطل في توجيه الطاقات الكامنة وانكفائها على فكرة أو حالة ثابتة لا تتمتع بالمرونة والتجديد والارتقاء) بأشكاله المتعددة من أكثر الانفعالات النفسية المنتشرة في عالمنا الحديث والخمول النفسي إحباط لأنه استجابة نفسية لأحداث الحياة السلبية على مختلف أنواعها. ويشبه في مدلوله اللفظي الاكتئاب والانهيار والخمول ولو لاحظنا التجربة الذاتية للفرد مثل الحزن والتوتر وانعدام المعنى والجدوى وفقدان القيمة والمعنى. وبالتالي تعطل القدرة على التكيف مع الذات والآخر.

وقد أبدع الناس في وصف الحالات الشعورية للخمول النفسي مثل: أشعر بأني أتبخر أتجزأ أتلاشى، لم يعد للقلب نبض ولا للعين بريق، نجد المسلمين مسلوبي الإرادة مشلولي التفكير، حكم علينا الهوان والخوف والألم مدى الحياة، الحزن والألم والضعف لاصق بأرواحنا ونفوسنا، المسلمون أموات بلا كفن... الخ.

ونجد في عدد من الأقوال والنظريات الفكرية تجسيداً واضحاً للتفكير الخمولي اليائس والنظرة السوداوية لطبيعة الفرد المسلم والحياة والمستقبل.

وهناك أمثلة كثيرة ومحزنة لمن شاء أن يتبع مظاهر التفكير الخمولي والإكتئاب السلبي وتطبيقاته في الأقوال والأحوال والأمثال والفلسفة.

د- الآثـــار:

النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وشغلها بالحق يكون بتزكيتها وتهذيبها وإلجامها عن الباطل.. وإلا تعودت على السوء واستمرت بالانحراف والفراغ فخاب بذلك صاحبها قال (ﷺ):

www.iqra.ahlamontada.com

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [1].

فمن أطلق لنفسه العنان تهوى به ذات اليمين وذات الشمال، فإن هذه صورة النفوس الفارغة التي صورها لنا بقوله "إنها صورة النفوس التي لا تعرف الجد، فتلهو في أخطر المواقف وتهزل في مواطن الجد، وتستهتر في مواطن القداسة...

والنفس التي تفرغ من الجد والاحتفال بالقداسة تنتهي إلى حالة من التفاهة والجدب والانحلال، فلا تصلح للنهوض بعبء ولا الاضطلاع بواجب، ولا القيام بتكليف وتغدو الحياة فيها عاطلة هينة رخيصة"[2]، هذه حياة النفوس الفارغة فلا قول ولا عمل ولا إيمان ولا دين... همها اللعب واللهو في الدنيا ويتبعه حسرة وندامه يوم القيامة:

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ [3].

وإنما تتفاعل النفوس بقدر ما فيها من تهذيب وصفاء.. وكما قال صاحب المد ارج:

(سبك العبودية في كثير الامتحان طلباً لإخراج ما فيها من الخبث والغش) [4]

ولهذا يقول الشاعر واصفاً النفوس التي سبكت بالعبودية:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً ... إلى المجد حتى عُد ألف بواحد [5]

---

(١)سورة الشمس: الآيات(٩ – ١٠)

(٢)قطب، سيد: الظلال، ج٤، د ن، د م،د ر، د ت، ص٢٣٦٧،

(٣)سورة الزمر: الآية (٥٦)

(٤)ابن القيم الجوزية،محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين،ج٢،تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية،١٣٩٣هـ–١٩٧٣م،ص٩٧

(٥)ابن مسكويه، أحمد بن محمد: تهذيب الأخلاق، قسطنطين زريق، الجامعة الأمريكية، بيروت،در، ١٩٦٦، ص٣٨.

www.iqra.ahlamontada.com

وقد عد ألف بواحد [1]، لأن الواحد عرف كيف يروض نفسه وعلم أن ملء فراغها بالتزكية والتحلية والتربية هو سبيل فلاحها ونجاحها وقوتها وسعادتها في الدنيا والآخرة.

وإننا حين نترك مبادئنا الأصلية، وننحيها جانباً نخلف بأيدينا الفراغ الذي ينتج للمبادئ الواردة أن تسده، ونشجع الذين يبحثون عن المبادئ أو وسائل لتقويم حياتهم.

إن المنطقة من الأرض التي يتخلل هواؤها تندفع التيارات إليها من كل ما حولها حتى تراها تصطرع وتعصف بما فيها لتكون أرضاً جرداء لا خير فيها.

نتساءل عن السر في هذا التصدع النفسي الذي ران على المسلمين في أغلب أقطارهم، وجعلهم غرباء في أرضهم، عجزة عن استخراج كنوزها واستغلال ما تناثر هنا وهناك من خيرها !؟.

والكشف عن هذا السر يتطلب إحصاء جملة من الرواسب المعنوية والمادية، تعد في نظرنا سبب هذا التبلد، وهي رواسب تكونت على مر الزمان، وانحدرت في مورثات جارفة... ويمكننا هنا أن نحدد المصادر التي تولّد عنها هذا الفراغ والإدبار المزري، وأصابنا منه ما أصابنا:

١- فساد عاطفة التدين: تبعاً لانتشار تعاليم.... وشيوع الأفكار القاتمة عن الحياة.

٢- انكماش القيم الإنسانية للفرد في ظل الاستبداد السياسي الطويل.

٣- انطفاء القوى العقلية، وتسلط الأوهام والخرافات والجهل على الحياة العامة.

٤- المروق الظاهر على النصوص والقواعد الإسلامية.

٥- إنطفاء مبادرة الفرد ومشاركته في عمران الأرض واعتبارها وظيفة الدولة وهو حيادي تجاه هذه الوظيفة العظيمة.

---

(١)حادثة إرسال سيدنا أبو بكر مدد لعمرو بن العاص – في فتح الإسكندرية (الزبير، المقداد، عبادة).

- الحنفي، محمد بن أحمد بن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ح١، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م،ق١،ص١١٩.

www.iqra.ahlamontada.com

إن الإسلام هو الدين الفذ، الذي شرح بإسهاب جميع المبادئ التي تصارع أهواء النفس، وترد غوائلها، وإن آيات الكتاب وأحاديث السنة في هذا المعنى تكون ثروة إنسانية طائلة... وإنها من حيث الوفرة والمقدرة بحيث تعجز الشهوات مهما طفحت عن اختراقها، كما تعجز مياه الفيظان مهما علت وقويت عن اجتياز السدود السامقة المنيعة.

ثم أن الدين الإسلامي شرع للحياة الفردية والاجتماعية من الواجبات والفرائض والنوافل، ورسم لها من المعالم والأهداف والغايات، وحظر عليها من التصرفات والأمور والنواهي ما يخلع الفرد خلعاً ويزيله من فراغه وأنانيته وأمراضه، وزجه زجاً في نطاق الحياة أملاً بالإخلاص والعمل والتفاني والإسراع في مرضاة الله والاستعداد لملاقاته.

والفارغون من الناس يظنون هذه المبادئ والتعاليم العظيمة مشغلة عن شؤون الحياة وعائقاً عن تقدم الحياة والعمران فيها...

وهنا قول مستغرب ! فهل إذا قيل لفرد: اجعل هدفك من حياتك مرضاة ربك.. كان ذلك دماراً للحياة ورجعية لها ؟.

هل إذا قيل لفرد آخر: أقهر بواعث (الفراغ) الآثرة الصغيرة وتجرد من أثقاله كان ذلك تعطيلاً للتقدم وتقصير في العمران ؟

إن بعض الناس يريد هذا... والغباء في فهم الدين قديم، كلما عاب الخالق سبحانه وتعالى على الناس أن يعبدوا ذواتهم ويمقت فراغهم، مع استغراقهم في طلب العاجلة على الآجلة.

جاء الفارغون الذين يفهمون من التوجيه أن الله يريد تخريب الدنيا ونسيان النفس...

www.iqra.ahlamontada.com

رابعاً- الفراغ الروحي

يتساءل الناس... ما الروح ؟.

لأن الروح من عالم الغيب، ولقد تساءل الناس من قبل عن الروح على مر العصور، وشهد كل جيل فريقاً من قادة الفكر يعرض لهذا الأمر، حتى تناهى إلينا تراث كثير الركام شديد الزحام، لا يكاد الباحث فيه يستبين وجه الصواب بشيء يقيني..

ومن ثم يعمد الباحث بدوره إلى هذا الأمر فيبدئ فيها ويعيد ... ولسنا ممن يريدون أن يحكم العقل في أمور الغيب التي يتلقاها المؤمنون من مصدر علوي مفارق لقدرات البشر وإنما نحن ممن يمجدون مصدر المعرفة الصحيح وهو الوحي... ولكننا مع ذلك ممن شغفهم حب الله وهم خلقه فقلبوا فيه النظر تقرباً إليه وتودداً.. وعملاً بقوله(ﷻ):

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ..﴾ [1].

فاللهم ها نحن أولاء ننظر فاهدنا وعلمنا من علمك.

ـ تعريف الروح:

أول ما يجب أن نعرفه ونحن بصدد البحث في معرفة حقيقة الروح هو أن نعرف مفهومها لكلمة عربية، وإذا نحن رجعنا إلى المعاجم وجدناها غنية بالمعاني التي تعبر عنها كلمة (الروح) فمرة نراها في المعاجم هي النفس.. وأخرى... ما به حياة النفس... وثالثه.. خلق من خلق الله لم يعط علمه لأحد.. ورابعه بمعنى (النَفَس) بفتح الفاء أي الذي يتنفسه الإنسان...

ونحن مع كل ذلك نلاحظ أنها قريبة الألفاظ مع كلمة (ريح) وكذلك نلاحظ أن أصل مادة الروح في لغة العرب يدل على الحركة والمسير ومن ذلك قولهم: راح.. يروح أي سار في أي وقت كان، ولعل ذلك يتصل باشتقاق كلمة الريح من المادة، لأن

---

(١)سورة العنكبوت : الآية (٢٠)

www.iqra.ahlamontada.com

الهواء متحرك في الطبقات المحيطة بالأرض، والحركة هي المظهر الأساسي للحياة.. واعتقادنا أنه من هنا أطلقت كلمة الروح على ما به حياة الإنسان...

وقال الفارابي عنها: (إن الروح الذي لك من جوهر عالم الأمر ولا يتعين. بإشارة ولا يتردد بين سكون وحركة، ولذلك تدرك المعلوم الذي فات والمنتظر الذي هو آت وتسبح في عالم الملكوت وتتنفس من خاتم الجبروت)[1] وعند ابن سينا: (بأن الروح كمال أول لجسم طبيعي إلى ذي حياة بالقوة)[2]وأما الغزالي فيقول عنها: (تضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت، فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به، والروح مثلها السراج والحياة مثلها النور الحاصل في الحيطان.) [3]وأما ابن رشد: (فقال أنها صورة للبدن وجوهر مستقل في نفس الوقت) [4].

وقال بعضهم: الروح هو الذي يقوم به الجسد وتكون به الحياة وقد حفلت المراجع والمصادر العربية بطائفة من التعريفات للروح فقيل.....

(هي جسم هوائي في القلب، أو هي جزء في الدماغ لا يتجزأ... وقيل هي جسم لطيف بخاري يتكون من لطافة الأخلاط وبخاريتها، وقيل إن الروح لطيفة سارية في البدن سريان ماء الورد باقية من العمر إلى آخره، لا يتطرق إليها تحلل ولا تبدل، حتى إذا قطع عضو من البدن انقبض ما فيه من الروح إلى سائر الأعضاء). [5]

---

(١) عبده، عيسى وأحمد يحيى: حقيقة الإنسان، ج٢، مرجع سابق، ص ص٩٢- ١٠٠(بتصرف).

(٢) ابن سينا، يعقوب بن إسحاق: الإشارات والتنبيهات، القسم الرابع،تحقيق سليمان دنيا، مصدر سابق، ١٩٦٨ص١٦٨. - الأهواني، فواد: ابن سينا، دم، د ن، در، د ت، (تصوير) ص ٦٢.

(٣) الغزالي،أبو حامد محمد: إحياء علوم الدين، ج٣، مصدر سابق، ص ٣.

(٤) جيهامي، جيران: موسوعة مصطلحات ابن رشد الفيلسوف، مكتبة لبنان، بيروت،الطبعة الأولى،٢٠٠٠،ص ٤٩٢.

(٥) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الروح، مصدر سابق، ص٢١٦- ٢١٧ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

واختار بعضهم هذا التعريف (الروح الإنساني جوهر مجرد ليس بداخل العالم الجسماني ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف، يدركه العقل ولا يبلغه الحس، وهذا الجوهر هو أكرم ما في الإنسان). [١]

وقال كثير من أرباب علم المعاني وعلم الباطن والمتكلمين والفلاسفة: لا نعلم حقيقته، ومنهم من ذهب إلى أن الروح الإنساني هو المسمى بالنفس الناطقة، وقالوا فيه إنه مجرد، أو غير مجرد، والقائلون بالتجرد يقولون إنه جوهر مجرد متعلق بالبدن، والقائلون بأنه غير مجرد قالوا هو مبدأ الحس والحركة، ومبدأ الحياة في البدن وقيل هو الحياة، والحرارة الغريزية، والدم والدماغ. [٢]

وأغلب التعريفات للروح ـ إن لم تكن جميعها ـ تعتمد على التعبير عن الخواص والآثار والمظاهر، ولا تقدم الكنه أو الحقيقة... وكأن العلماء بهذا يريدون أن يقولوا:

إننا نستطيع أن نبحث في الروح وسلطانها وبدئها ونهايتها، وتأثيرها وآثارها، وخصائصها وظواهرها، ولكن حقيقة جوهرها مستورة محجوبة، وإن ثار فينا حب البحث عنها والجري وراء معرفتها، ولعل هذا هو الذي جعل الو اسطي يقول: (خلق الله الأرواح من بين الجمال والبهاء فلولا أنه سترها لسجد لها كل كافر) [٣]

وفيما يلي نوضح هذه المفاهيم كما وردت بالمعاجم.

١- أن الروح على ستة أوجه: (الرحمة.. الملك.. جبريل.. الوحي.. عيسى.. الحياة) فوجد منها:

أ ـ الروح: بمعنى الرحمة ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[٤] أي برحمة منه.

---

(١)عبده، عيسى واحمد إسماعيل يحيى: حقيقة الإنسان، ج٢، مرجع سابق،، ص١٣٤ (بتصرف).

(٢)الحفني، عبد الغني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مرجع سابق، ص٣٨٨

(٣)عبده، عيسى وأحمد إسماعيل يحيى: حقيقة الإنسان، ج٢، مرجع سابق، ص١٣٤ (بتصرف)

(٤)سورة المجادلة: الآية (٢٢)

www.iqra.ahlamontada.com

ب ـ الروح ملك من الملائكة في السماء السابعة، وجهه على صورة الإنسان وجسده على صورة الملائكة، وهو أعظم من كل خلق غير العرش يقوم على يمين العرش قال (ﷻ):

﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾.[1] يعني بالروح ذلك الملك.

ج ـ جبريل عليه السلام قوله (ﷻ): ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾[3] ، ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾[4] يعني جبريل.

د ـ الوحي: قوله (ﷻ) قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[5].

وقوله (ﷻ): ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾[6].

هـ ـ سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام: قوله (ﷻ): ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[7] يعني قال لعيسى "كن فكان" "وروح منه" يعني بالروح أنه كان من شيء كقوله (ﷻ):﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾[8].

---

(١)سورة النبأ : الآية (٣٨)

(٢)سورة النحل: الآية (١٠٢)

(٣)سورة البقرة: الآية (٨٧)

(٤)سورة القدر: الآية (٤)

(٥)سورة النحل: الآية (٢)

(٦)سورة الشورى: الآية (٥٢)

(٧)سورة النساء: الآية (١٧١)

(٨)سورة السجدة: الآية (٩)

www.iqra.ahlamontada.com

و ـ الروح يعني الحياة في الحيوان وذوات الأرواح ـ قوله[1] (ﷻ): ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾[2] .

٢- الروح بالضم ما به حياة الأنفس... والقرآن... والوحي... وجبريل... وعيسى عليهما السلام والنفخ، وأمر النبوة، وحكم الله تعالى وأمره... وملك وجهه كوجه الإنسان وجسده كالملائكة[3].

٣- (الروح) يذّكر ويؤنث والجمع (الأرواح) ويسمى القرآن وعيسى وجبرائيل عليهما السلام روحاً، والنسبة إلى الملائكة والجن (روحاني) والجمع (روحانيون) وكذا كل شيء روح (روحاني) ومكان (روحاني) بفتح الراء أي مكان طيب.

وجمع الريح (رياح) و(أرواح) وقد تجمع على (أرواح) والريح أيضاً الغلبة والقوة ومنه قول تعالى: ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[4] .

والروح بفتح الراء من الاستراحة وكذا: (الراحة) و (الروح) بفتح الراء أيضاً (الريحان) الرحمة والرزق[5].

٤- الروح للحيوان مذكر و جمعه أرواح، قال ابن الأنبا ري[6] وابن الأعرابي[7]: الروح والنفس واحد، غير أن العرب تذكر الروح وتؤنث النفس، وقال الأزهري أيضاً: الروح مذكر، وقال صاحب المحكم والجوهري: الروح يذكر ويؤنث وكأن التأنيث على معنى النفس[8].

---

(١)الدامغاني، الحسين بن محمد: قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، مصدر سابق، ص ٣١٢-٣١٣

(٢)سورة الإسراء: الآية (٨٥)

(٣)الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، مصدر سابق ص٢٨٢ (بتصرف)

(٤)سورة الأنفال: الآية (٤٦)

(٥)الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، مصدر سابق، ص٢٦٢

(٦)الأنبا ري، محمد بن القاسم: المذكر والمؤنث، ح١، تحقيق طارق الجنائي، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ص٣٧٧ .

(٧)ابن منظور،محمد بن مكرم: لسان الرب، ح٢، مصدر سابق،٤٤٤.

(٨)الأزهري، محمد بن أحمد: تهذيب اللغة. ح٥، تحقيق عبد الله درويش، دن، القاهرة،در، د ت، ٢١٧.

www.iqra.ahlamontada.com

قال بعضهم: الروح (النفس) فإذا انقطع عن الحيوان فارقته الحياة. وقال الحكماء: الروح هو الدم، ولهذا تنقطع الحياة بنزفه وصلاح البدن وفساده بصلاح الروح وفسادها. ومذهب أهل السنة أن الروح هي النفس الناطقة المستعدة للبيان وفهم الخطاب، ولا تفنى بفناء الجسد وأنه جوهر لا عرض ويشهد لهذا قوله (ﷻ):﴿ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [1] المراد هنا الروح[2].

مراتب الروح: إن الروح البشرية تنقسم إلى خمس مراتب كما قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى:

١- هي مرتبة الروح الحساس وهو الذي يتلقى ما توره الحواس الخمس وكأنه أصل الروح الحيواني وأوله.... إذ به يصير الحيوان كائناً حياً وهذا الروح موجود عند الصبي الرضيع.

٢- هي مرتبة الروح الخيالي وهو الذي يستثبت ما أوردته الحواس ويخزنه لديه ويحفظه عنده ليعرض على الروح العقلي الذي يوجد فوقه عند الحاجة إلى ذلك وهذا الروح الخيالي لا يوجد عند الصبي الرضيع في أول نشأته، ولذلك نرى الرضيع يولع بالشيء ليأخذه فإذا غاب عنه نسيه ولم تنازعه نفسه إليه حتى يكبر قليلاً فيصير بحيث إذا غاب عنه الشيء بكى وطلبه وذلك لبقاء صورته محفوظة في خياله، وهذا قد يوجد عند بعض الحيوانات دون بعض فهو لا يوجد في الفراش المتهافت على النار، ولذلك يقذف بنفسه على النار لشغفه بالضياء فيظن أن السراج كوة مفتوحة إلى ضوء النهار، فيلقي نفسه عليه فيتأذى به ولكنه يعاود ذلك مرة بعد أخرى، ولو كان عنده ذلك الروح الحافظ للصور لما عاد، ولكن الكلب إذا ضربه شخص بالعصا ورأى العصا مرة أخرى حاذرها وهرب منها.

---

(١)سورة آل عمران: الآية (١٦٩)

(٢)عبده، عيسى، وأحمد يحيى: حقيقة الإنسان، ج٢، مرجع سابق ص ١٤٦.

www.iqra.ahlamontada.com

٣- مرتبة الروح العقلي الذي يدرك به الإنسان المعاني الخارجة عن الحس والخيال وهو الجوهر البشري الخاص، ولا يوجد عند البهائم ولا عند الأطفال وتتسع مدركات هذا الروح ومعارفه الكلية إذا ترجح نور العقل على نور العين[1].

٤- مرتبة الروح الفكري وهو الذي يحصل العلوم والمعارف العقلية المحضة، فيوجد بينها تأليفات وازدواجات، ويستنبط منها معارف شريفة ويستنتج منها – معقولات جديدة ويظل يتزايد في ذلك إلى ما شاء الله.

٥- مرتبة الروح القدس النبوي وهو الروح الذي يختص به الأنبياء وبعض الأولياء، وفيه تتجلى لوائح الغيب وأحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت السماوات والأرض بل من المعارف الربانية التي يقصر عنها الروح العقلي والروح الفكري وإليه أشارت الآية الكريمة قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[2].

- أنواع الروح:

ويذهب ابن القيم إلى أن الروح خمسة أنواع من التعلق بالبدن متغايرة الأحكام.

١- تعلق الروح بالبدن في بطن الأم جنيناً.

٢- تعلق الروح بالبدن بعد خروجه إلى وجه الأرض.

٣- تعلق الروح بالبدن في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه.

---

(١)عبده، عيسى، وأحمد إسماعيل يحيى: حقيقة الإنسان، ج٢،مرجع سابق، ص ص ١٤٣ – ١٤٥ (بتصرف)

(٢)سورة الشورى: الآية (٥٢- ٥٣)

www.iqra.ahlamontada.com

٤- تعلق الروح بالبدن في البرزخ فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة.

٥- تعلق الروح بالبدن يوم البعث وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً (١).

والله ينقلها في هذه الدور طبقاً بعد طبق، حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غير ولا يليق سواها، وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل لها إليها...

ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى، فتبارك الله فاطرها ومنشؤها ومميتها ومحييها ومسعدها ومشقيها.

أن الروح جوهر مشرق رباني، إذا خالط البدن أكسبه قدرات، بعضها يطفو والبعض الأخر يغوص. فأما الذي يطفو فيتعطل بالنوم والغفلة والفراغ، وأما الذي يغوص فلا يتعطل بالنوم ولا بغيره ما بقى الآدمي على قيد الحياة. ذاكراً عابداً منشغلاً بطاعة الله. وقد ورد هذا التأويل في أقوال بعض المفسرين حين عرضوا لقوله (ﷻ):

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢).

ومما رويه عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية الكريمة قوله: (إن في ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس هي التي بها العقل والتميز، والروح هي التي بها النفس والتحرك، فتتوفيان عند الموت، وتتوفى النفس وحدها عند النوم (٣)) وجدير بالذكر هنا أن الأساتذة الدارسين لعلوم الطب الحديث يؤكدون أن مراكز الأعصاب التي تتحكم في الأبصار والسمع والنطق تتعطل بالنوم، وكذلك يتعطل

---

(١) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر: كتاب الروح، مصدر سابق ص٥٧(بتصرف).

(٢) سورة الزمر: الآية (٤٢).

(٣) محمد العمادي، محمد: تفسير أبي السعود، م ٤ ج ٧، مصدر سابق، ٢٥٧.

www.iqra.ahlamontada.com

بالفراغ والغفلة أعضاء أخرى وأهمها يكون في فراغٍ روحي عند ما يكـون غـافلاً عـن طاعة الله والعمـل الصـالح، علـى حـين أن مراكـز الأعصـاب الـتي تـتحكم في الـدورة الدموية وانتظام التنفس واستمرار القلب في وظيفته، ويقظة الأعصاب غير إراديـة (الـتي تمنع النـائم مـن أن يبـول مـثلاً) وكـذلك الـوازع الـديني الروحـي مانعـاً مـن الوقـوع بالمعصية وغيرها. تقع كلها في مواقع تغوص في البدن فمنها مـا يقـع تحـت تلافيـف المخ وبطين القلب ونفحات الروح ومنها ما يسـري في السلسـلة الفقريـة مـن أعلاهـا إلى أدناها (وهو قول يؤكد أقوال السلف الصالح) إلى هنا نكـون قـد خصصـنا الـروح بالمعنى الذي يقصد به قوام الحياة والعقل في الشخصية الإنسانية. [1]

الروحانيين:

أقول بدءاً من أن الإسلام جاءنا بالهدى والرشاد... ولا يمكننا أن نعرض لأمور كثيرة تتصل بالروح وتشغل الناس، ولكنا نحذر هنا من بعض الشبهات الخطيرة التي يعيشـها الناس ومن ذلك ما يقـال بصـفة خاصـة عـن تحضـير الأرواح، أي اسـتدعائها بمعرفـة وسيط أو خبير أو ما يقال من أنَّ هذه الممارسات تستند إلى أصول علميـة، وسـنكتفي هنا بالتنبيه إلى ما في هذه الفراغات من فساد وخطر على عقول الناس الذين لا تسمح لهم مشاغل حياتهم وظروفهم الخاصة بدراسة الفراغ الروحي(الأمـراض) الوافـدة علـى الفرد والمجتمع الإسلامي..

نستند في البحث هنا إلى قدر مناسب من المشاهدة والدراسة والمناقشة الهادئـة مـع بعض المشتغلين بهذا الترف المستورد هذا على أحسن الأحوال والفروض. ومـع بعـض المشتغلين به أيضاً وهـم لا يعلمـون أنهـم يروّجـون لعامـل خطـير مـن عوامـل الهـدم الموجه إلى أسس العقيدة الصحيحة، ومما يؤسف له حقاً أن بعض هـذه الأقـوال يجـد قبولاً عند فريق من الناس، والأمل كبير في أن تفيق الأمة الإسلامية، وأن تتنبه لما يـراد

---

(١) سنيل،Snell: علم التشريح السريري، إعداد عميد رفائيل، وبسام عشمة، دار المعاجم، دمشق، الطبعـة الأولى،١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، ص ٣٤ (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

بها فتنصرف عن مثل هذه الأقوال والأفعال الصادرة عن بساطة وحسن نية، وتلك التي لا تصدر إلا عن دراسة طويلة المدى.. وتخطيط هادف إلى تدمير الأمة وإضعاف العقيدة المتغلغلة في وجدانها....

وما الكلام على الروح بالأسلوب الغربي المستحدث إلا أداة من أدوات التدمير كالتسليح الخلقي والماسونية مثلاً... وفي الحق أن أمثال هذه الأدوات المستخفية أشد خطراً من الأدوات السافرة كالصهيونية والصليبية الحاقدة المعاصرة والخصومة التقليدية مع الإسلام منذ أن أشرقت الأرض بنوره في ختام الرسالات.

ولئن كان مجال هذا البحث لا يتسع لتوفية مثل هذه الموضوعات حقها فلا أقل من إثارة هذا العدد اليسير من الأمور التي يعلمها كل متتبع لبدعة تحضير الأرواح كما يزعمون فنقول:

أولاً: حضور الروح بناءً على دعوة الخبير المتخصص في هذا الفن لكي تحل في الوسيط المسترخي أمامه (كما يزعمون) يقتضي التمهيد بعزف قطعة موسيقية (هكذا في غير بلاد الإسلام) أما في بلادنا فيكون التمهيد بالموسيقى أو بترتيل آيات من القرآن الكريم والأثر في الحالين واحد هكذا عند الخبراء المسلمين المعاصرين سامحهم الله.... فتأمل هذه التسوية بين الذكر الحكيم وبين موسيقاهم.

ثانياً: يقول الخبراء إنَّ القرآن خلا من النص القطعي الدلالة بشأن النفس والروح ولذلك بقي باب الاجتهاد مفتوحاً على مصراعيه ومنه يدخلون.... وهذه فرية كبرى أو جهل بكتاب الله... فقد جهلوا أن للاجتهاد ضمانات، وعلى المجتهد شروط، كذا فقد جهلوا أن القرآن الكريم قطع في ثبات وفي إنابة تامة.

ثالثاً: نعلم من القرآن الكريم أن الله جل وعلا إذا أمسك فقد أمسك.. كما في قوله (ﷻ): ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1].

---

(١)سورة فاطر: الآية (٢)

www.iqra.ahlamontada.com

أفلا يريد الخبراء أن يتدبروا آيات الروح في ضوء هذا النص إذ يقول عنها(ﷺ):

﴿ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [1]

أفلا يريد الخبراء من المسلمين أن يتدبروا القرآن ؟ أم على قلوب أقفالها؟

رابعاً: هذه البدعة التي يقال لها تحضير الأرواح نشأت في الغرب في أواخر القرن التاسع عشر، في وقت تضافرت فيه الجهود على حشد كل الطاقات العلمية والفنية، وتوجيهها إلى أمة الإسلام لتوهين العقيدة وصرف المسلمين عن تراثهم.. وقد نجحت بعض جهودهم، فكان ما نراه في زماننا من انصراف المسلمين عن دينهم..

خامساً: في تحضير الأرواح ـ كما تجري تجارب ـ خلط بين دراسات جادة تعتمد على تسلط إحدى النفوس على غيرها ـ والنفوس هنا هي ما يخالط البدن الحي ـ وصور هذا التسلط كثيرة وآثارها ملموسة: كالتنويم والتداعي..... وفي دراسة علم النفس الجنائي أمثلة وقضايا فما لهذه الظاهرات والروح ؟؟.

سادساً: وفي تحضير الأرواح خلط بين وهم يقال له استدعاء أرواح الموتى، وبين اللهو الذي يصدر عن الجن... ومن الكتاب والمؤلفين في هذا الزمن من ينكر الجن ويتصدى لتأويل ما ورد بشأنه في كتاب الله... ومن آثار هذا الخلط أن رأينا تجارب مستحدثة كتجربة السلة، ويقال عنها إن السلة قد اشتملت روحاً ألا ساء ما يزرون..

أفلا يتدبرون القرآن وهو يقول:

﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [2].

---

(١)سورة الزمر: الآية (٤٢)

(٢)سورة الأعراف: الآية (٢٧)

www.iqra.ahlamontada.com

- إنما العجب والغرابة أن يزعم الخبراء أن لهم خصائص لم تكن لأحد قبلهم بفضل عزف الموسيقى وشهادات الشياطين واللوردات.... حتى إذا جاءت الحقائق والتجارب وجدت غموضاً وتعمية وجدلاً عقيماً.... وخرج الناقد الجاد بغير نتيجة إلا بإمعان الخبراء والغارقين منهم في عنادهم وحيرة الشباب من أمر هذه الظاهرة.

- الماهية:

إذا صح القول: إن الذات الإنسانية طبقات بعضها فوق بعض، فإن أبعد وأعمق تلك الطبقات هي طبقة (الروح) ذلك البعد الفسيح وذلك المجال الواسع الشفاف جداً والمبهم جداً، والمهم جداً.

ويبدو أن الإنسانية ستغادر هذه الدنيا دون أن تقف على حقيقة الروح، وهذا ما نلمسه من قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

هذا الجانب من شخصية الفرد، كان يحتل على مدار الأيام مركزاً محورياً في حياة البشر، وهذا واضح جداً في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة لكن(الروح) في العصور المتأخرة فقدت الكثير من المجالات التي كانت قد احتلتها، وصار ينظر إلى كثير من مجالاتها على أنه نوع من الوهم والخرافة وبسبب التوجه العلماني والفكري العام الذي ينشره العالم الغربي في أنحاء العالم، صار الإنسان يقبل دون جدل أن الاهتمام الأساسي، ينبغي أن يوجه إلى الطاقة والمادة، (وصار يصف الروح بأنها الصورة الذهنية للمدركات أو أنها الوعي.... وهذا كله أدى إلى تواري الخطط والتنظيمات التي تدعم الجوانب الروحية والخلقية في معظم الأحيان). [2]

---

(١)سورة الإسراء: الآية (٨٥)

(٢)هنسي، عبد الرؤوف: الإسلام بين المادية والروحية، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م،ص٧٥.، (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

وإذا كان هذا مفهوماً في العالم الذي يغلب عليه عدم التدين والإلحاد، فإنه ليس مفهوماً ولا مقبولاً في الأمة الإسلامية التي تعطي العقيدة الإسلامية الأولوية للبناء الروحي والقيمي والسلوكي، وتعد الانتصار على صعيده، هو النصر الحقيقي.!

من الواضح للعيان أن الحضارة المادية المعاصرة، وقد قدمت كل إمكانياتها للإنتاج الصناعي والارتقاء المادي، وحين تتناقض إمكانات النمو المادي ـ وهذا شيء قادم ـ فإن الفرد سوف يلجأ مرة أخرى إلى (الروح) يستمد منها طاقة التكيف مع الظروف ويستعد للإبداع، لكن سيجد أنه قد جفف كل المنابع الثرية التي يمكن أن يرتوي منها، وسيجد نفسه آنذاك صفر اليدين والقلب من المادة والروح.

إن القاعدة الروحية في أي مجتمع هي التي تتحمل الأثقال وتملأ الفراغ الذي يتولد من طبيعة الحياة المادية والاجتماعية، وعن الانتكاسات والهزائم والخيبات التي تصاب الأمة بها في ميادين الحياة وحين خطط لهذه الأمة أن تفرغ روحياً، أي أن تجعل القيم الروحية في مرتبة متدنية من اهتماماتها، فتدنت بذلك شفافيتها حين واجهت الأفكار الوافدة والسموم المستوردة ومعضلات الحياة، حيث لم تجد السند الروحي الذي يساعدها على الصمود في وجه ذلك التيار القادم من الأعداء.

الإسلام كان ومازال غنياً في جميع جوانبه، لكن الذي غيَّره عن غيره ذلك الطابع الروحي الذي كان يسربل كل الأنشطة الإسلامية الحضارية.

قد ظهر الفراغ الروحي الآن ونحن ندرك أنه لن يكون بإمكان أفضل النظم، ولا في إمكان أقسى العقوبات وأصرم (القوانين) أن تقّوم الانحراف والاعوجاج، ولا أن تملأ الفراغ الناشيء من ذبول الروح وانحطاط القيم، فالقوانين والعقوبات لا تنشيء فرداً سوياً ولا مجتمعاً فاضلاً، لكنها قد تحميه، والنظم مهما كانت محكمة ومتقنة لن تحول دون تجاوز الفرد لها، وتأويلها على نحو يفرغها من جل مضامينها وكل الحضارات المندثرة، تركت نظمها وأدوات ضبطها خلفها شاهدة على نفسها بالعجز والعقم.

www.iqra.ahlamontada.com

والقيم الروحية هي التي تضبط السلوك من الداخل للفرد، حيث يرد المجتمع الـذي لم تستطع النظم والأعراف والتقاليد عـن تغطيـه (الفـراغ القـانوني)[1]حيـث المسـاحات الواسعة الشاسعة التي تعجز عن تغطيتها، إن الحالة الروحية هي المـرآة الـتي تـنعكس عليها العقيدة للفرد والمجتمع وظروفه وأوضاعه العامة.

فإن أزمات المجتمـع الفكريـة والسياسـية والاقتصـادية... ومـا يتحصـل منهـا وعـي المجتمع بذاته، تنعكس بصورة واضحة على معاملة النـاس، وتعيـد ترتيـب سـلم القـيم لديهم.

حين يصاب مجتمع بالفراغ الروحي، فإنه يفقد فاعليته العقلية والاجتماعية، مـع أن إمكاناته الحضارية قد تكـون في نمـو وتوسـع، إلا أن إرادتـه الحضـارية تكـون مكبّلـة بالشهوات والأهواء والمطامع والأنانيات، وهذه الحالـة تستفحل اليـوم في طـول الـدنيا وعرضـها: المزيـد مـن القـوة وتعـاظم القـدرة، إلى جانـب المزيـد مـن ضـعف الإرادة والمبادرة!

إن شفافية الروح تمنح الفرد والمجتمع معنى جديداً، وتصبغ أنشطته كلها بصـباغها وهذه الشفافية، تستمد معينها من نبع الإيمان بالله ـ جل وعلا ـ والصلة به.

وإن الشفافية الفطرية التي يتمتع بها بعض الناس تظل مهددة بقتامة المعاصي.

والقلـق علـى المصـير، وأوضـار النزعـة الماديـة، وهـذا يعـني أن الإيمـان العميـق والمصحوب بالالتزام بالسـلوك الإسـلامي يشـكل الضـمانة الأساسـية لاسـتمرار التـألق الروحي الفطري، والمكتسب من خلال الطاعات المختلفة.

إن عماد الشفافية الروحية، هو حب الله تعالى الـذي يسـتحق وحـده كمـال المحبـة، وهذه المحبة، لا تتحقق في فراغ، ولا ينفع فيها الادّعاء المجرد، وإنمـا هـي إحـلال الله تعالى ورجاء لما عنده، وخوف من عواقب المعاصي والمخالفات.

إنها استجابات وجدانية وسلوكية لمحبوبات الله من الأقوال والأحوال والأعمال.

www.iqra.ahlamontada.com

ملء الفراغ الروحي شديد الحساسية، فلا بد من مراعاته وتعاهده في إطار من الشريعة السمحة وآدابها على الصعيد الفردي والمجتمعي، وبذلك وحده تتأسس القواعد القيمية كلها، وتولد إمكانات معالجة الفراغ: إن أعظم القضايا يتم خوضها وحسمها في حجرات صامته داخل الروح، ففيها تصنع الانتصارات والهزائم الكبرى، وأساس النجاحات الفردية هو نجاح روحي في المرتبة الأولى.

- الآثـــار:

من المشاهد المحسوس: مما يؤكد أن الفراغ الذي يجده أبناء المسلمين حتى يصل بأحدهم إلى الكفر بالله وإلحادهم في دين الله، وقد ولدوا في بيوت مسلمة وفي بلاد إسلامية، وأسماؤهم أسماء المسلمين

بالرغم من ذكر كثير من الأسباب التي تكمن وراء طرح الفراغ الروحي، على اعتبار أنه يمثل من وجهة الفكر الإسلامية السبب الأساسي والخلفية الأهم في تداعي وسقوط الفلسفات المادية والشيوعية وغيرها.

ـ الفرد الفارغ روحياً (الملحد) الذي ينكر وجود الله، ويكفر بالبعث والنشور والجنة والنار. ويكفر بالشريعة منهجاً وتربيةً وسلوكاً، وينظر إلى الحياة ومن عليها، نشأتها ومآلها، من خلال النظرية المادية، سيتوافق تصرفه مع هذا التصور سواء بسواء.

حتى الضائع الفارغ بين هذا وذاك. يكون تصرفه في الحياة متوافقاً مع ضياعه وشروره وفراغه

فتارة إلى هؤلاء وتارة إلى أولئك: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾[1].

والفرد في المنظور المادي يُعتبر جزءً من هذا الكيان المادي، انعدمت فيه الأشواق والاشراقات، وذبلت عنده المشاعر والأحاسيس.... فأصبح والآلة سواء بسواء فهو

---

(١)سورة الإسراء: الآية (٨٤)

www.iqra.ahlamontada.com

كالسيارة والطائرة وقطعة الغيار وآلة النسيج والخياطة وغيرها، لا يفضلها في شيء وقد تفضله أحياناً بحسب المفاهيم المادية الصماء.

إن الفرد المسلم يعبر عن وجوده الخاص بالتعامل مع الله جل جلاله بما يملك من قدرة روحية، وبالتفاعل مع الكون بما يملك من قدرة عقلية وفكرية، وبالتفاعل مع المجتمع بما يملك من أخلاق. وهذه العناصر (الروح ـ العقل ـ الخلق) عناصر أساسية في الفرد المسلم ولا يمكن أن توجد شخصية إسلامية خالية عن هذه العناصر أو عن بعضها، فلا بد من عقل حي، متفتح ولا بد من خلق عال نموذجي ولا بد من روح شفافة نظيفة لأجل أن توجد الشخصية الإنسانية النموذجية الإسلامية، وهذا ما سعى إليه الدين الإسلامي وعنى به: صياغة نموذج للفرد يتمتع بهذه القوى: عقل يتفاعل مع الكون المحيط به، وخلق يتفاعل به مع المجتمع وروح تصله بالله الخالق البارئ المصور.

ومن الواضح أن هذه القوى الثلاث في شخصية الفرد المسلم ليست متحاجزة، بل هي متفاعلة فيما بينها ومتكاملة. والفرد الذي استقر وجوده الخاص على هذه الأسس الثلاثة الكبرى فرد يعبر بسلوكه في الحياة اليومية وتعامله مع الآخرين عن مبادئه الأخلاقية والسلوكية فليس ثمة في وجود هذا الفرد انفصال بين السلوك الواقعي وبين المبادئ كما هو مشاهد في الفرد غير المتكامل. فإن شخصية الفرد النابعة من اعتناق عقيدة تحدد الطريق، وتضع الحلول وتدفع إلى العمل تجعل لكل فرد إنساني وجوداً فريداً متميزاً لا شريك له فيه وتهب له الغنى الداخلي والخصب الباطني، ومن هنا يكون هو الذي يمتلك الواقع ويصوغه، ولا يمتلكه ويستبد به.

فلا بد من أن تكون له حدود تبعده من الانهيار والذوبان والفراغ الذي يفقده شكله الخاص وقوامه الخاص.

وإن يصرف النظر عن وضع الفارغين روحياً الخارجين اليوم من جحيم الكبت المادي كردة فعل على المعاناة التاريخية الطويلة، إنما يبقى هذا لغة من لغات

www.iqra.ahlamontada.com

الإفصاح والتعبير عن الفراغ الروحي الذي يعيشه الجميع. ولو أن الأمة الإسلامية في مقدورها أن تقدم الإسلام بلسان القال والحال إلى هذه المجتمعات الجائعة روحياً المحبطة نفسياً المهدودة معنوياً، لتحقيق ترجمة قول الحق (ﷻ) من جديد:

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾[1].

ومن آثار الفراغ الروحي لدى الفرد المسلم (هي) عدم قدرته على صنع مصيره، وعجزه عن المساهمة في صنع مصير الآخرين.

فإن الفرد الفاقد لذاته مستغرق في العالم الذي حوله مستعبد له، مملوك للواقع المادي والبشري الذي يحيط به، إنه فرد مجروف بالتيار الذي لم يشارك في صياغته. وآثار الفراغ الروحي لدى المجتمع هي عجزه عن ابتداع نموذج حضاري مشتق من مفاهيمه عن الكون والحياة والإنسان، وصيرورته ـ في المجال الحضاري ـ عالة على قوى حضارية غريبة عن روحه، فيقتبس منها ما قد يزيده بعداً عن مفاهيمه الخاصة ويزيده عجزاً عن تحويلها إلى واقع حياتي معاش.

لا يمكن للإنسان أن يفهم العالم إلاّ إذا انفصل عنه وواجهه. وإن اعتبار الإنسان جزءاً من العالم إلغاء حقيقي لجهوده العقلية وحصر له في حدود الإشباعات الحيوية، وإن فهم العالم سبيل للارتقاء عليه بالجهد الأخلاقي والروحي وهو الجهد الذي يكشف للإنسان معنى التماهي مع الحقيقة وهي الغاية البعيدة التي لا تستهدفها إلاّ النفوس الجليلة... الراضية المرضية.

وهذا بعض من الفراغ الروحي الذي يعاني منه الفرد المسلم المعاصر. فإنه فاقد للمقومات الأساسية لذاتيته الخاصة النابعة عن الإسلام ومبادئه ومن هنا فهو عاجز ـ في حدود واقعه الحاضر ـ عن ابتداع نموذج إسلامي للحضارة، وهو من ناحية أخرى

---

(١) سورة النصر: الآية (١ ـ ٤).

www.iqra.ahlamontada.com

مرغم على الاقتباس من النموذج الحضاري السائد في العالم عما قد يزيده بعداً عن الإسلام، وعجزاً عن تحويل مبادئ الإسلام إلى واقع حي، وثمة نتيجة سيئة أخرى للفراغ الروحي لدى الفرد المسلم المعاصر، تظهر لنا بجلاء إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن الوجود الإسلامي ليس محصوراً ضمن نطاق جغرافي أو عنصري خاص، وإنما هو ممتد في أطر جغرافية وعنصرية كثيرة، ومن شأن الفرد المسلم لو وجد أن يحدث تياراً روحياً فكرياً نوعياً يتغلغل في جميع المجتمعات في العالم مما يجعل الوجود الإسلامي ذا مظهر موحد، متجانس فذ. أما والفرد المسلم فارغ غير موجود، فإن الحاصل بالفعل هو تيارات فكرية نوعية لكل مجتمع إسلامي منها تيار وحده، وهذا الواقع يخلق بين المجتمعات الإسلامية فراغات شعورية دائمة، ويجعل ثمة عوالم إسلامية متحاجزة وراء قيود وهمية صنعتها بنفسها، ولا يعترف بها الإسلام. ونحن ندعو ونريد أن يكون ملأ الفراغ الروحي للفرد والمجتمع المسلم نابعاً من اليقين، بعيداً عن الأباطيل، مستقيماً مع مناهج الاستدلال العلمي، التي يحترمها أولو الألباب... وفي ميدان العمل حقائق بلغت حد اليقين ومن النظريات ما هي أقرب إلى الرجحان وتعتبر موضع قبول. لنشعر بسرور غامر عندما نرى نتاج العقل الإنساني المجرد يلتقي مع معالم(الروح) الوحي الإلهي، وتعاليم الدين الحنيف.

خامساً- الفراغ الوقتي

إن الوقت هو مقدار الحياة. وبما أنه هو الحياة فبمعرفة أهميته يعني معرفة قيمة الحياة وأهميتها..

لأنه من لم يعرف أهمية الوقت عاش ميتاً وإن كان يتنفس على وجه الأرض ومن الأهمية بمكان من معرفة أهمية استغلال الوقت هو دافع أساسي يدفع الفرد المسلم إلى استغلال وقته.

فلنبدأ بالتعريف:

www.iqra.ahlamontada.com

١ـ التعريف:

أ ـ لغــة:

الوقْتُ: مقدارٌ من الزمان قُدِّر لأمرٍ ما (ج) أوقات [١].

الزمن: الوقت قليله وكثيره، ومدة الدنيا كلها. ويقال: السنة أربعة أزمنة: أقسام أو فصول (ج) أزمنة وأزمُن [٢].

ب ـ اصطلاحاً:

الوقت هو عمر الحياة، وميدان وجود الفرد، وساحة شعوره ببقائه وظله ونفعه وانتفاعه [٣].

وقد قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله (ﷻ): ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ [٤]﴾.

حيث يقول: (إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها فأنصب إلى العبادة وقم إليها نشيطاً فارغ البال [٥]).

وعرف الدكتور القرضاوي وقت الفراغ فقال: (الخلو من المشاغل والمعوقات الدنيوية المانعة للمرء من حيث الاشتغال بالأمور الأخروية) [٦]

نستخلص في ضوء ذلك تعريفاً جامعاً مانعاً لوقت الفراغ بكونه:

الوقت الذي ينتهي فيه الفرد من عمل الفرائض ويستعد فيه لمزاولة ما يختاره من أصناف السنن والمستحبات والطاعات، زمن ضائع... (المساعدة على ارتقاء الفرد المسلم).

---

(١) إبراهيم، مصطفى وزملاؤه: المعجم الوسيط، ح٢، مرجع سابق، ص ١٠٦٠.

(٢) إبراهيم، مصطفى وزملاؤه: المعجم الوسيط، ح١، مرجع سابق ص ٤٠٣.

(٣) أبو غدة، عبد الفتاح: قيمة الزمن عند العلماء، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثامنة، ١٤١٩، ١٩٩٨ ص ١٧.

(٤) سورة الشرح : الآية (٧).

(٥) ابن كثير، إسماعيل بن عمر : تفسير القرآن العظيم، ح٨، تحقيق محمد إبراهيم البنا وزملاؤه، كتاب الشعب، القاهرة، ٤٥٥.

(٦) القرضاوي، يوسف: الوقت في حياة المسلم، مؤسسة الرسالة، الدار المتحدة، بيروت، دمشق، الطبعة السادسة، ١٤١٢هـ١٩٩١م ص١٥.

www.iqra.ahlamontada.com

وراعيت في هذا التعريف الموافقة للأصل اللغوي، فنجده يتضمن مدلول الخلو الذي تدور عليه مادة "فرغ" كما راعيت فيه من جهة أخرى الموافقة للمعاني المرادة منه في سياق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. فقوله (ﷻ) مثلاً: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾[1].

يتسع لكي يحمل على هذا التعريف بتعلق الفراغ بالفرائض الشرعية الدينية أو الدنيوية. وانصب بالسنن والفضائل دون اعتبار بطبيعتها أخروية كانت أو دنيوية.

ويقوي ما ذهبنا إليه ما أورده المفسرون من تفاسير عن بعض السلف بما يوافقه. روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما (فإذا فرغت مما فُرض عليك من الصلاة فسل الله وارغب إليه وانصب له) [2] وعن الحسن رحمه الله قال: (أمره إذا فرغ من غزوه أن يجتهد في الدعاء والعبادة) وقال قتادة رحمه الله: (أمره إذا فرغ من صلاته أن يبالغ في دعائه) [3] ويقول الزمخشري[4] في تفسيره لهذه الآية المباركة لما عدو عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها، وأن يواصل بين بعضها البعض، ويتابع ويحرص على أن لا يخلي وقتاً من أوقاته منها فإذا فرغ من عبادة ذنّبَهَا بأخرى).

ومن خلال هذه الروايات ندرك بأن حياة الفرد المسلم الجاد هي خط متواصل من الطاعات، ولا يتصور فراغ فيها إلا بالمعنى الذي أردناه واخترناه. لأن من فرغ من

---

(١) سورة الشرح: الآية (٧).

(٢) الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م، ج٣٠ ص٢٣٦.

(٣) الزمخشري: محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التتريل، ج٤، دار المعرفة، بيروت د ر، د ت، ص ٢٦٧.

(٤) الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم، إمام عصره في اللغة والنحو والبيان والتفسير. ولد في زمخشر من قرى خوارزم، ورحل إلى عدة أماكن، وخاصة إلى مكة، حيث جاور بها زمناً فلقب بجار الله. وأخذ بمذهب الاعتزال، ودافع عنه في قوة حتى عد خاتمة شيوخ المعتزلة. ومات بالجرجانية من قرى خوارزم بعد رجوعه من مكة أشهر كتبه " الكشاف عن حقائق التتريل ". - نويهض، عادل: معجم المفسرين، ج٢، مرجع سابق، ص٦٦٦.

www.iqra.ahlamontada.com

عمل فأتعب نفسه في مزاولة عمل آخر، فإنه سيجد في المثابرة لذة تقرُّ بها عينه ويثلج لها صدره.

٢ ــ وقت الفراغ:

وقت الفراغ هو الوقت الذي يقضيه الإنسان في ممارسة نشاطات تقع خارج نطاق عمله الوظيفي الذي يعتمد عليه في معيشته، وممارسة هذه النشاطات تكون اختيارية ومن محض إرادته الحرة وتكون منطقية مع أحواله المعاشية والاجتماعية ومع أذواقه وقيمه ومواقفه وفئته العمرية والطبقية.

وهناك تعريف آخر لوقت الفراغ ينص على أنه الوقت الذي نتحرر فيه من القيود الرسمية التي يفرضها علينا عملنا الوظيفي الرسمي.

كما عرف وقت الفراغ بالوقت الحر الذي يفعل فيه الإنسان ما يشاء. كذلك هناك نشاط لا يتعلق بمجال وقت العمل أو وقت النوم ما هو إلا وقت الفراغ.

أما دائرة معارف العلوم الاجتماعية فتعرف وقت الفراغ بالوقت الذي يتحرر فيه الفرد من المهام الملزم بأدائها بصورة مباشرة أو غير مباشرة لقاء أجر معين.

وأخيراً عرف وقت الفراغ بالوقت الحر المتبقي من الأربع والعشرين ساعة بعد حذف الوقت الذي يحتاجه الإنسان لضرورات الحياة اليومية بما في ذلك النوم.

أن وقت الفراغ في المجتمع المتحضر ليس هو مجموعة الدقائق أو الساعات أو الأيام عند الفرد.

والتي يمكن أن يصرفها ويمضيها كما يشاء، وإنما هو الوقت المهم الذي ينبغي تخطيطه وبرمجته واستثماره بطريقة تساعد على تنمية ذاتية الفرد وتطوير قدراته الفكرية والجمعية والإبداعية وزيادة أوقات الفراغ للمواطن لا تعني زيادة عدد الساعات التي قد تهدر دون الاستفادة منها في القيام بالأعمال المفيدة والخلاقة، بقدر ما تعني اتساع الوقت الكافي الذي يمكنه من المضي قدماً نحو تحقيق طموحاته

www.iqra.ahlamontada.com

الشخصية والتعبير عن قدراته وقابلياته بطريقة تضمن أهدافه الخاصة وتخدم مصالح المجتمع الكبير.

ومن الجدير بالملاحظة أن وقت الفراغ(leisure time) يجب أن لا ينفصل عن وقت الترويح (Recrationionil، time). في المجتمع المعاصر[1]. ويحدد هذا المفهوم ـ أحيانا ـ على أن ما تبقى من الوقت بعد العمل المدفوع عليه أجراً. قد يكون هذا التحديد مضللاً لبعض الناس ممن ليس لهم عملاً مثل عمل المرأة في المنزل والعاطل عن العمل والمعمرين سناً. وكانت كمية الوقت للناس الذي يقضوه بالعمل ثابتاً منذ بداية القرن العشرين بحوالي ٥٣ ساعة في الأسبوع، إلا أنه أصبح إلى ٤٠ ساعة بالنسبة للعمال الصناعيين اليدويين. ولقضاء وقت الفراغ عدة طرق مختلفة لكن عادة ما يتم قضاؤه في المنزل ١٧٪ من الرجال و ٨٠٪ من النساء يشاهدون التلفزيون بشكل عام. كما للجنس ذكور وإناث دوره في الحياة والطبقة تؤثر على كيفية قضاء وقت الفراغ بشكل مختلف. مثال على ذلك يرغب الرجال لقضاء وقت الفراغ خارج المنزل وتكون النساء سواء أكن مستخدمات بأجر أو غيره تكون لهن حرية أقل لقضاء وقت الفراغ. وتستغل الطبقات المهنية والمحترفة وقت فراغها أكثر من باقي الطبقات الاجتماعية وبذات الوقت يكون منعكس بمصادرهم المالية واضحاً. ويكون الشباب والمعمرين أكثر حرية في قضاء وقت الفراغ من باقي الجماعات العمرية فضلاً عن حياة هاتين الجماعتين (الشباب والمعمرين) منظمة وقتها وحياتها حول كيفية قضاء وقت الفراغ مع زيادة الدخل في الغرب وتوفر المال لربات البيوت أدى ذلك إلى رغبتهن لقضاء وقت الفراغ بشكل متزايد. وقد يرجع أيضاً إلى تغالي وقت الفراغ الصناعي الذي يقدم تنوعاً كبيراً من وسائل للهو والترفيه وقد وقعت هذه التطورات بعض المعلقين بمناقشة موضوع وقت الفراغ في المجتمع فتوصلوا إلى حقيقة مفادها:

---

(١) الحسن، إحسان محمد: موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م، ص ٦٧٢ (بتصرف) .

www.iqra.ahlamontada.com

أن وقت فراغ الأفراد يتبلور من خلال ذاتية الفرد، وليس وقت فراغه أو عمله المدفوع بأجر [1].

ـ الوقت الحر:

هو الدقائق والساعات التي بحوزة الفرد، والتي لا يعمل خلالها ولا ينتج للمجتمع ولا يمارس الأنشطة الترويحية التي يمكن ممارستها خلال هذا الوقت. إذاً الوقت الحر هو الوقت غير المخطط له من قبل الفرد وهذا الوقت يختلف عن وقت العمل ووقت الفراغ والترويح ووقت مقابلة وسد الحاجات البايولوجية[2] عنده، فبعد طرح ساعات العمل وساعات سد الحاجات البيولوجية من مجموعة خزين الوقت تحصل على الساعات الحرة أو الوقت الحر (Free time) الذي يمكن تحويله إلى وقت فراغ أي وقت مخصص لممارسة الأنشطة الترويحية التي تتلاءم مع أذواق وميول واتجاهات الفرد ومع إمكاناته المادية والاجتماعية [3].

وقت الترويح[4]: هو الوقت الذي يستثمره الفرد في الممارسة الفعلية لأنشطة الفراغ المختلفة التي لا علاقة لها بعمله الوظيفي الذي يعتاد عليه كأنشطة السياحة والسفر والراحة والاستجمام، والمطالعة والكتابة، والخياطة والتطريز، ومشاهدة التلفاز وسماع الإذاعة وقراءة الصحف والمجلات والكتب وزيارة الأهل والأقارب والأصدقاء، وأخيراً مزاولة الألعاب والفعاليات الرياضية والفنية. ومن الجدير بالذكر أن للفرد في المجتمع الحديث الحرية الكاملة في اختيار الأنشطة الترويحية التي تتلاءم مع ميوله واتجاهاته وظروفه وطبقته الاجتماعية والنفسية شريطة أن يراعي الأنظمة والقوانين الاجتماعية والحضارية التي يسير عليها المجتمع.

---

(١)العمر، معن خليل: معجم علم الاجتماع المعاصر، دار الشرق، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص٢٨١-٢٨٢

(٢) البايولوجية: دراسة أو اتجاه عام في البحث يدور حول الحيوية.

(٣) الحسن، إحسان محمد: موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٦٧١.

(٤) هو وقت الاسترخاء بعد الجهد المبذول بهدف الاستعداد لجولات جديدة.

www.iqra.ahlamontada.com

أما بالنسبة إلى أوقات الترويح(**Recreational time**). فإن من حق الفرد اختيار أنشطة الفراغ التي يمكن أن يزاولها وقت فراغه، ومن حقه أيضاً قضاء أوقات فراغه في وسائل ترويحية تتلاءم مع ميوله ورغباته وطموحاته دون وجود قيود أو ضغوط تمنعه عن التمتع بأوقات فراغه أو تفرض عليه وسائل ترويحية معينة دون الوسائل الأخرى، لذا فوقت الترويح في المجتمع المتقدم هو وقت يقضيه الفرد في مزاولة نشاط معين من أنشطة الفراغ بكل حرية وبطريقة تنمي ذاتيته وقدراته الخلاقة والمبدعة.

وأوقات الترويح تتميز بصفة التنويع والاختلاف نظراً لكون نشاطاته على أشكال مختلفة يمكن أن يعبر عنها بطرق ووسائل كثيرة تنسجم مع درجة التطوير والنضج التاريخي والحضاري للمجتمع الذي توجد فيه.

فهناك الأنشطة الرياضية والفنية والفكرية والحضارية والجمالية للترويح، وهذه الأنشطة تتلاءم مع طبيعة المجتمع ومع المرحلة الحضارية التاريخية التي يمر بها ومع أذواق واتجاهات الأشخاص الذين يمارسونها.

وينبغي أن تتسم أنشطة الترويح بقدرتها على إعداد الفرد لـ (تنمية وتطوير شخصية)كل من يمارسها ويدخل في إطارها. فهي غالباً ما تنتج في توازن واستقرار شخصيات الأفراد وتزيد من طاقاتهم الإنتاجية وتجدد عندهم روح العمل المبدع والخلاق وتزيد من درجة تكيفهم مع البيئة التي يعيشون ويتفاعلون معها. إضافة إلى أنها سبب من أسباب شيوع وانتشار الفرح والمتعة والسعادة بين الأفراد والجماعات[1].

الزمان: وهو ثلاثة أقسام: (ماض وآت، وحاصل).

فآداب الماضي: نسيانه، والغيبة عنه، فإذا تذكر الإنسان ما مضى من إساءته جدد الندم والاستغفار، وإن تذكر ما سلف من إحسانه حمد وشكر.

وآداب الآتي: الغيبة عنه، والنظر لما يبرز من عنصر القدر تاركاً التدبير والاختيار.

---

(١) الحسن، إحسان محمد: موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٦٧٣، ٦٧٤.

www.iqra.ahlamontada.com

(لقد علمنا الإسلام أن نأخذ بالأسباب وتقدم الوسائل المطلوبة لنجاح الأعمال، ولهذا يكون تدبيره معتمداً على الله، ومتوكلاً على الله ويختار مستعيناً بالله).

مستسلماً لما يبرز من عند الواحد القهار، لأن من لم يدبر أموره دبرّ له، وما دبره الله لك أحسن من تدبيرك لنفسك، فعسى أن تدبر شيء ما وتختاره وهو وبال عليك، فالله أرحم بك من نفسك، وأعلم بمصالحك منك، ولله در القائل:

وكم رمت أمراً خِرْتَ[1] لي في فلا زلت لي من أبر و أرحما

عزمت على أن لا أحس بخاطر على القلب إلا وكنت أنت المقدما

وأن لا تراني عندما قد نهيني لكونك في قلبي كبيرً معظماً

وآداب الحاصل: اغتنام الوقت قبل الممات، وانتهاز الفرصة قبل الفوات، والمسابقة إلى فعل الخيرات كما قيل:

السباق السباق قولاً وفعلاً حذّر النفس حسرة المسبوق[2]

قال سيدنا عيسى(عليه السلام): (الدنيا ثلاثة أيام: أمس مضى ما بيدك منه شيء، وغد لا تدري أتدرك أم لا، ويوم أنت فيه فاغتنمه)[3].

ويقول سيدنا أبو ذر الغفاري(رضي الله عنه): (الدنيا ثلاث ساعات ساعة مضت وساعة أنت فيها، وساعة لا تدري أتدركها أم لا، فلست تملك في الحقيقة إلا ساعة واحدة[4]).

ـ الوقت وخزينة الوقت:

الوقت هو الزمن أي الساعات والأيام والأسابيع والأشهر التي بحوزة الإنسان والتي يستطيع صرفها كما يشاء إذ قد يهدرها في أمور لا تمت بصلة لتنمية وتطوير حياته

---

(١) خرت لي: خار الشيء: فضله على غيره –مصطفى، إبراهيم وزملاؤه، المعجم الوسيط، ج١، مرجع سابق، ص٢٦٣

(٢) ابن داوود المرغي، محمود حمدي: أدب الخلق في الإسلام، تحقيق علي بلط جي ومعروف زريق، دار الخير،بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١١، ١٩٩٠، ص ٨٠

(٣) المصدر نفسه ص ١٥٣

(٤) ابن داوود المرغي، محمود حمدي: أدب الخلق في الإسلام، مصدر سابق ص ١٥٣

www.iqra.ahlamontada.com

وحياة الآخرين أو قد يستفيد منها في تطوير ذاتيته وتحسين أحوال المجتمع.

أما خزينة الوقت فهي مقدار ما يمتلكه الإنسان من وقت في اليوم الواحد.

فالإنسان يعيش في يومه المقدر (٢٤) ساعة، ويمكن التخطيط لهذه الساعات الموجودة في خزينة الوقت.

فقسم منها يخصص لمقابلة الحاجات البيولوجية والتكوينية عند الإنسان كالحاجة للنوم والراحة وتناول الغذاء ونظافة وتطهير الجسم.

قسم منها يخصص لمزاولة نشاطات العمل (وقت العمل)، والقسم الأخير منها يخصص ممارسة نشاطات الفراغ (وقت الفراغ).

ومن الجدير بالذكر أن الاستفادة من خزينة الوقت عن طريق رسم جدول زمني يوازن بين أوقات الراحة والنوم وتناول وجبات الطعام وبين أوقات العمل وأوقات الفراغ.

والزمن: عبرة، وفعل، واستعداد.

كأن يخصص الفرد (١٠ساعات) في اليوم للراحة وتناول وجبات الطعام، ويخصص ١٠ ساعات للعمل والذهاب والإياب، وأخيراً يخصص (٤ ساعات) للفراغ والترويح. وهكذا يستفيد الإنسان من خزين وقته اليومي.

أما الإنسان الذي لا يعرف كيفية استثمار خزينة وقته، فهو الذي لا يوازن بين وقت العمل ووقت الفراغ، ولا يوازن بين وقت الراحة والنوم ووقت تناول وجبات الطعام وتنظيف وتطهير جسمه. وهنا تختل خزينة الوقت عنده وترتبك أموره بحيث لا يعرف ماذا يفعل[1].

قال حكيم: (من أمضى يوماً من عمره في غير حقٍ قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثله[2]، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه، وظلم نفسه) [3].

---

(١) الحسن، إحسان محمد: موسوعة علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٦٧٠، ٦٧١.

(٢) أثله: ورثه. - مصطفى. إبراهيم وزملاؤه، المعجم الوسيط، ح١، مرجع سابق، ص٦ .

(٣) القرضاوي، يوسف، الوقت في حياة المسلم، مرجع سابق، ص ١٣.

www.iqra.ahlamontada.com

وقال الوزير الصالح يحيى بن هُبيره:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع ! [1]

٣ـ الماهية:

الوقت من حيث هو معيار زمني: من أغلى ما أعطاه الله تعالى للفرد نعمة القدرة على التحقق، وهو في حياة المسلم رأس المال والربح جميعاً، فلا يسوغ للعاقل أن يضيعه سدىً، ويعيش في حياته هملاً سبهللاً [2]، ومعرفة ماهية الفراغ الوقتي تظهر هذه النعمة العظيمة التي هي ميدان الحياة، وكيف يمكن للفرد المسلم والمجتمع المسلم أن يأتي بالعجائب المدهشات إلا إذا أحسن الفرد الاستفادة منها، ونظم حياته وأوقاته بنظام، وبعد عن الوقوع في الفضول في الكلام والطعام والمجالس والاجتماعات واللقاءات والسهرات.... الخ.

فتكون له أُفَر الآثار الزاكيات وأطيب الحسنات الباقيات ويبقى أثره ويخلد ذكره مع الخالدين الصالحين.

ـ كان (الحاضر) وحده هو الذي يسير معظم حياة الناس، ذلك لأن معرفتهم بالماضي محدودة، وهي ترتكز على نحو أساسي على ذكريات تجاربهم الشخصية أو تجارب ذويهم وأصدقائهم أما المستقبل فلا يعنيهم كثيراً، وكان الوقت بالنسبة إلى معظم الناس لا يعني شيئاً، فهم يأكلون وينامون ويمرحون عندما يشعرون بالرغبة في ذلك.

وكان معظمهم يقضون أوقاتهم في أعمال بسيطة، لا تحتاج إلى تفكير عقلي، ودون أن يبدو عليهم أي شعور بالملل.

---

(١) أبو غدة، عبد الفتاح: قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق، ص٣.

(٢) سبهلاً: فارغاً. - مصطفى، إبراهيم وزملاؤه، المعجم الوسيط، ح١، مرجع سابق، ص ٤١٧.

www.iqra.ahlamontada.com

اليوم كل هذا قد تغير، فالتاريخ ـ الذي هو سجل حياة الماضين ـ صار علماً مهماً ـ وعند بعض المؤرخين هو علم العلوم ـ إذ فيه جذور الحاضر، ولا فهم للحاضر من غير فهمه. كما أن الأمم صارت اليوم تستخدم معطياته العامة على أنها أدوات في تربية أجيالها.

أما المستقبل، فبعد أن كان غائباً عن إحساس أكثر الناس، صار هو البعد الأساسي، وصار ينظر إلى الحاضر من خلاله، حيث يسود شعور قوي بأنه لا يمكن ضبط الحاضر والاستفادة منه على نحو جيد إلا من خلال الضغط عليه بآمال مستقبلية، بل إن هناك من المقولات ما يجعل التحقق الذاتي لكل واحد منا مرهوناً بحضور بعد المستقبل في أذهاننا ومشاعرنا، وذلك الحضور رهن بوجود ذات تتحرك نحوه، لكن تلك الذات ليست جوهراً ثابتاً قد تحقق مسبقاً ولكنها حركة فاعلة، وتحقق مستمر من خلال صيرورة يحكمها تشوف وانتظار المستقبل.

ولا تستطيع الذات مهما كانت عظيمة أن تحافظ على تماسكها إلا من خلال إمساكها ببعد المستقبل. وذلك الإمساك، هو الذي يمكنها من استمرار التجاوز إلى ما هو أحسن وأفضل. وهكذا فقد صار الحاضر الذي كان كل شيء لا شيء، فهو موزع على الماضي والمستقبل[1].

ـ بعض الأطعمة يورث من يتناوله صداعاً في الرأس، واسترخاءً في الأعضاء، وانقباضاً عن الأعمال. وبعض ألوان المعرفة يترك في النفوس من التطير والخمول مثلما تتركه هذه الأغذية الرديئة في الأجسام!!

وحقيق بنا أن نفحص مصادر المعرفة التي توجهنا، وأن نتدبر فعلها في مشاعرنا وأفكارنا.

وزاد الطين بلّة أننا عندما اتصلنا بالغرب في أثناء القرنين الماضيين وشعرنا بضرورة الاقتباس منه والنقل عنه، كانت أفهامنا من الصغار ـ ولا أقول من الغفلة ـ

---

(١) بكار، عبد الكريم: عصرنا وملامحه وأوضاعه، مرجع سابق، ص ٧٥ –٧٦.

www.iqra.ahlamontada.com

بحيث لم تلتفت إلا للتوافه والملذات. فالحرية التي تشبثنا بها، ليست هي حرية العقل في أن يفكر ويجد ويكتشف، بل حرية الغريزة في أن تطيش، وتنزو، وتضطرم...!!

أما تألق الذهن! وجودة التفكير، وإطلاق القوة الإنسانية الإسلامية من مرقدها تسعى وتربح.. فذاك شأن آخر[1].

٤- الآثــار:

فالفراغ الوقتي داء قاتل للفكر والعقل والطاقات الجسمية، إذ النفس لا بد لها من حركة وعمل فإذا كانت فارغة من ذلك تبلد الفكر وثخن العقل وضعفت حركة النفس واستولت الوساوس والأفكار الرديئة على القلب وربما حدث له إرادات سيئة شريرة ينفس بها عن هذا الكبت الذي أصابه من الفراغ.

إن الفراغ الوقتي إذا استفحل في حياة فرد ما سبب له شعوراً كئيباً ومريباً للغاية قد يؤدي به إلى نتائج سيئة منها:

١- البطالة:

ويقال بَطَل الأجيُر من العمل، يَبْطُلُ بَطَالة وبطالة: تعطل فهو بطال وفعل البَطَالة وهو إتباع اللهو والجهالة[2].

إذا نجد من العوامل الأساسية في انحراف الفرد، انتشار البطالة بين أفراد الأمة، وفئات المجتمع..

فالفرد الذي لديه زوجة وأولاد، ولم يتيسر له سبل العمل، ولم تتأمن له طرائق الكسب، ولم يجد من المال ما يسد به جوعته، وجوعة أهله وأولاده، ويؤمن لهم حاجاتهم الضرورية ومطالبهم الحيوية، فإن الأسرة بأفرادها ستتعرض للتشرد والضياع وإن الأبناء سيدرجون نحو الانحراف والإجرام، وربما فكر الأب مع الأبناء في تحصيل

---

(١) الغزالي، محمد: الإسلام والطاقات المعطلة، مرجع سابق، ٥٠- ٥٨ (بتصرف).

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب،ج١١، مصدر سابق، ص٥٦ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

المال عن طريق حـرام، ويجمعونـه مـن وسـائل غـير مشـروعة كالسـرقة والاغتصـاب والرشوة... الخ.

ومعنى هذا أن المجتمع حلت فيه الفوضى وأصيب بالدمار والانهيار والفراغ.

ومما يضاف إلى أسباب البطالة في مجال بحثنا يكون في ضـعف الكفايـة والأهليـة والأخلاقية والشخصية حيث لا ريب أن وجـود هـذه الفراغـات والنـواقص في شـخص كافية لجعله غير أهل للقيام بأي عمل.

إن الأفراد الذين لا يملكون الأمانة والقوة والثقـة والابتكـار والإنتـاج، يصبحون في عداد المعطلين.

فإن القاعد عن العمل تحدثه نفسه وتملـي عليـه شـياطين الإنـس والجـن أن يعمـل وليته عمـل في النـافع، وإنمـا في الشـر والجريمـة والعيـاذ بـالله، وقـد قـال (ﷺ): «**إن للشيطان لمَةَ**[1] **بابن آدم، وللملك لمة، فأمـا لمـة الشـيطان، فإيعـادٌ بالشـر، وتكـذيب بالحق، وأما لمة الملك، فإيعادٌ بالخير وتصديق بالحق**»[2] .

أ – الفراغ والبطالة:

فلا شك أن البطالة من أخطـر الآفـات علـى العقيـدة الدينيـة وبخاصـة إذا أدت إلى الفقر المدقع الذي بجانبه ثراء فاحش، وهذا الانحراف العقدي الذي ينشـأ بالبطالـة مـع الفقر الناشئ عن الفراغ الذي جعل الرسول (ﷺ) يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من القلة والفقر و الذلة، و أعوذ بك من أن أظلم أو أظلَم**»[3]

---

(١)اللَّمَّة: الشدة، أو الدهر. ويقال: أعيذه حادثان اللَّمَّة و ـــ الطائف ـــ الجن. يقال أصابته من الجن لَمة، أي همة وخطرة في القلب، أو دنو

– مصطفى،إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط ، مرجع سابق، ج٢، ص ٨٤٦.

(٢)المناوي، محمد المدعو بعبد الرؤوف: فيض القدير، ح٢، مصدر سابق، ص٤٩٩، رقم الحـــديث (٢٣٨٤) .قال الترمذي حسن غريب لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث أبي الأحوص وسندهما سند مسلم إلا عطـــاء بن السائب فلم يخرج له مسلم إلا متابعة وصححه المناوي.

(٣) النسائي: أحمد بن شعيب بن علي: سنن النسائي، م٤ ح٨، بشرح الحافظ السيوطي، وحاشية السندي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ص٢٦١، رقم الحديث(٢٥١٧).

www.iqra.ahlamontada.com

ورد أن أعرابياً سأل رسول الله (ﷺ) فقال يا رسول الله: أرسل ناقتي وأتوكل؟ فقال (ﷺ): «**أعقلها وتوكل**»[1].

وقال (ﷺ): «**إن الله تعالى يحب العبد المؤمن المحترف**»[2].

يكون الفراغ خطراً على الدين عندما يكون الفراغ مع الفقر كثيراً ما يدفع الفقر الفارغ بؤسه وحرمانه إلى سلوك ما لا ترضاه الفضيلة والخلق الكريم فقد قال (ﷺ): «**إن الرجل إذا غرم ـ استدان ـ حدث فكذب، ووعد فأخلف**»[3].

في إشارة إلى الفقر والغنى بالفضائل والرذائل.

أما الآثار الاجتماعية للبطالة فهي: الفقر والاعتلال الصحي والوفاة وهبوط مستوى الأخلاق وفسادها وتشدد في العلاقات الأسرية أي تبات صارمة وقاسية على أعضائها، أما بالنسبة للمجتمع ككل فإنها تضم فشل في إدراك الاستثمار الاجتماعي في رأس المال البشري الذي يتم خلال النسق التعليمي وفقد عوائد الضرائب الذي عادة يشترك مع نمو معدل البطالة فضلاً عن أن الضمان الاجتماعي سيؤثر على دافعي الضرائب في مجتمعات ذات حكومات مرفهة[4].

لقد ظهر لي من خلال رجوعي إلى كتب اللغة العربية: أن هذه المادة لها معان متعددة، منها:

١- العطل والتعطل: قال ابن منظور: "بطل الأجير ـ بالفتح ـ يبطل بَطالة وبِطالة ـ بفتح الباء وبكسرها: أي تعطل فهو بّطال"[5].

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، ح٤، مصدر سابق، ص ٦٦٨.

(٢) الزبيدي ، محمد بن محمد الحسيني: إتحاف السادة المتقين، ح٥، مصدر سابق، ص ٣١٥، و، ح٨ ص٣١ – المناوي، المدعو بعبد الرؤوف: فيض القدير، ح٢، مصدر سابق، ص٢٩٠، رقم الحديث(١٨٧٣) – قال الهيثمي بعدما عزاه للطبراني في الكبير والأوسط فيه عاصم بن عبد الله وهو ضعيف.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ح١، تحقيق مصطفى البغا، مصدر سابق ص٢٧٩، رقم الحديث (٧٩٨).

(٤) العمر، معن خليل: معجم علم الاجتماع المعاصر، مرجع سابق ص٤١٨.

(٥) ابن منظور: محمد بن مكرم: لسان العرب، ح١١، مصدر سابق، ص٥٦ (بتصرف) .

www.iqra.ahlamontada.com

٢- الكسل والإهمال: قال أبو البقاء الكوفي: البطالة بالكسر: الكُسالة المؤدية إلى إهمال المهمات، فجاء على هذا الوزن المختص بما يحتاج إلى المعالجة من الأفعال بحمل النقص على نقيضه [١].

٣- الضياع والخسران: قال الزبيدي: " بطل الشيء، بُطلا وبُطلاً وبُطلاناً ـ بضمهن ـ ذهب ضياعاً وخسراً، ومنه قول (ﷻ): ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [٢].

وقولهم: "ذهب دمه بطلاً، أي هدراً" قال وقال الراغب: وبطل دمه: إذا قتل، ولم يحصل له ثأر، ولادية، وأبطله غيره" [٣].

٤- إتباع اللهو والجهالة والهزل: قال الزبيدي: "وبطل، وفي حديثه بطالة: هزل والتبطيل: فعل البطالة، وهي: إتباع اللهو والجهالة"، وقال: "والبطّال كشداد المشتغل عما يعود بنفع دنيوي أو أخروي، وفعله البطالة بالكسر" [٤].

تبين أنه لا تعارض بين هذه المعاني جميعاً، فإن المعاني الأربعة وغيرها السابقة يمكن أن تكون متحدة متعانقة، إذ بعضها يحكي حقيقة البطالة، وهو الأول وبعضها يحكي بعض أسباب البطالة، وهو الثاني، وبعضها يحكي عواقب البطالة، وهو الثالث والرابع كأن البطالة تعني الذي من أسبابه: الكسل والإهمال، والذي عاقبته الضياع والفراغ، التمثل في الجرأة على اللهو واللعب والهزل.

ومن المعلوم أن الفرد حين لا يجد ما يكفيه من غذاء وكساء، ولا يرى من يعطيه ما يستعين به على بلغة العيش، وأسباب الحياة، وينظر إلى من حوله فيجد الفقر والفراغ... فإنه ـ لاشك سيلجأ إلى مغادرة محيطه بحثاً عن الخروج وسعياً وراء الرزق،

---

(١) الكوفي، أبو البقاء: الكليات، تحقيق عدنان درويش مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م– ص ٢٤٧

(٢) سورة الأعراف: الآية (١١٨)

(٣) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، ح٢٨،تحقيق محمود الطناحي، التراث العربي، وزارة الإعلام الكويت، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م، ص ٨٩ .

(٤) المصدر نفسه : ح ٢٨ ص ٩٠ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

فتتلقفه أيدي السوء والجريمة، وتحيط به هالة الشر والانحراف فينشأ في المجتمع مجرماً ويكون خطراً على الأنفس والأموال والأعراض.

ب - الانحراف[1]:

الفراغ الذي يتحكم في الأفراد من العوامل الأساسية التي تؤدي غالباً إلى الانحراف فيجب أن يملأ الفراغ بما يعود عليهم بالفائدة سواء بما يعود على أجسامهم بالصحة، وعلى عضلاتهم بالقوة، وعلى أجهزة أبدانهم (فكراً وعقلاً) بالنشاط والحيوية.

لاشك أن التفاوت (في القيم والمادة) قد واكبه اتساع المسافة بين السلوك وتوجيهات السلوك وما يرتبط بها من قيم. الأمر الذي جعل الأفراد يتعرضون لضغوط الحياة وما يرتبط بها من توسع في نطاق الكماليات التي أصبحت في مركز الضروريات اليوم. والتي أصبحت بمثابة ضغوط على دائرة تطلعات الأفراد والتي اتسعت بشكل ملحوظ في عصرنا الحاضر.

وبين الإمكانيات المتاحة والمتوفرة لدى الأفراد سواء أكانت تلك الإمكانيات ترتبط بقدراتهم الشخصية أو بالفرص التي يتيحها لهم الدور الذي يشغلونه.

ومن ثم ومن هذه الزاوية تلح احتياجات الأفراد المتزايدة في الضغط عليهم سواء كانت تلك الاحتياجات متعلقة:

أ ـ بالاحتياجات الضرورية (من مأكل وملبس ومشرب...) الخ

ب ـ تتعلق بالاحتياجات النفسية المتعلقة بتقدير الذات والشعور بالأمن... الخ

ج ـ تتعلق بالاحتياجات الاجتماعية المتعلقة بالارتباط والانتماء والتجاور والأداء والإنجاز.

د ـ تتعلق بالإطار التوجيهي للفرد مثل الإطار المعرفي الذي يرشد سلوك الفرد ويوجهه والذي يرتبط بدوره بالتوجيهات الثقافية للمجتمع.

---

(١) الانحراف: انحرف: مال، ويقال انحرف مزاجه، مال عن الاعتدال وإلى فلان: إلى إليه. وعن فلان انصرف عنه. - المعجم الوسيط، مرجع سابق، ح١، ص١٦٧. - ابتعاد أو شطط عن الهدف الحقيقي، وخروج عن العرف والدين في ممارسة الوظائف.

www.iqra.ahlamontada.com

وهذه الفراغات تشكل قوى دافعة لسلوك الفرد، كما أنها تلعب دوراً فعال في تحديد نمط سلوكه واختياراته من بين البدائل المطروحة أمامه في المواقف الاجتماعية المختلفة.

وهناك معضلة أخرى تواجه الفرد والمجتمع وتشكل ضاغط على عملية معالجة الفراغ.

وتتمثل في اغتراب الأفراد وانحرافهم. أي انفصال الأفراد عن مجتمعهم معرفياً وإراديا ومعيارياً ونمائياً... الخ.

أ ـ انحراف عن ثقافة المجتمع الإسلامي بتوجيهاته وقيمه ومعاييره وأهدافه.

ب ـ طمس شخصية الفرد وسلب إرادته واحتوائه بصورة تجعله مستغرقاً في تأكيدات المجتمع واللوائح... بصورة تسلبه أرادته الواعية.

ومثل تلك الحالة يتفاقم ضغطها في نطاق المجتمعات تجعل الفرد في وضع مغترب منحرف أي ـ مسلوب المعرفة، مسلوب الإرادة، فاقد المعنى لغياب الهدف في توجيه السلوك. مسلوب الذات، متزمت دينياً واجتماعياً.

ومع كل وضع من تلك الأوضاع الانحرافية الاغترابية، يزداد تهيئة الأفراد لاستجابات سلوكية مغتربة تجرفه إلى استجابات انحرافية تعرض حياتهم للخطر وتهدد أمن المجتمع واستقراره. وتتجسد تلك الاستجابات السلوكية المنحرفة في صور الانحراف وهي:

١ـ الفساد بمختلف صوره.

٢ـ الجريمة بمختلف صورها.

ولا بد من أخذ التوجيهات الإسلامية في هذا المجال، لإكساب الأفراد صحة وعلماً وقوة والحيلولة بينهم وبين تفلتهم وتشردهم وانحرافهم، ولملء فراغهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم وأخرتهم، واعدادهم ليكونوا جيل الإسلام، وجنوده المغاوير ودعاته الراشدين وشبابه العاملين.

www.iqra.ahlamontada.com

ج - الفراغ ورفاق السوء:

ومن آثار الفراغ الوقتي الذي يؤدي إلى انحراف الفرد رفاق السوء والخلطة الفاسدة، ولاسيما إن كان الفرد ضعيف العقيدة، متميع الأخلاق، فسرعان ما يتأثر بمصاحبة الأشرار، ومرافقة الفجار، وسرعان ما يكتسب منهم أحط العادات، وأقبح الأخلاق. بل يسير في طريق الشقاوة بخطى سريعة، حتى يصبح الإجرام والإفساد طبعاً من طباعهم والانحراف والمعصية عادة متأصلة من عاداتهم، ويصعب بعد ذلك رده إلى الجادة المستقيمة، وإنقاذه من وهدة الضلال، وهوة الشقاء.

د ــ الفراغ ووسائل الإعلام:

ومن آثار الفراغ الوقتي السيئة التي تؤدي إلى إفساد الفرد وانحرافه، ودفعه إلى الشقاوة وارتكاب المعاصي، والسير وراء الميوعة والانحلال، ما يشاهده في دور السينما، وعلى شاشة الرائي (القنوات الأرضية والفضائية) من روايات بوليسية خداعة، وأفلام خلاعية، وما يقرؤه من مجلات ماجنة وقصص مثيرة، وهي بجملتها ومضمونها تتجر بالغرائز، وتشجع على المعاصي والانحراف، وكذلك تفسد الأخلاق في الكبار والمراهقين والصغار؟!

إن لمثل هذه الأهواء الفاسدة، والمشاهدة الآثمة أثراً بالغاً في نفوس الأفراد الأطفال والمراهقين والكبار.

تلكم هي أهم الآثار في الفراغ الوقتي وهي آثار ضارة وخطيرة، فإن لم ندرك هذه الآثار، وإن لم نستأصل أسبابها، سينشأ الأفراد على الفساد ويتربون على المعصية، ويقتادون كل موبقة ورذيلة.. بل يكونون أداة هدم وتخريب لكيان المجتمع، واستقرار الأمة، وأمن البشرية.

فما أجدرنا أن نمشي على سنن الإسلام، ومنهجه القويم في ملأ الفراغ والحرص عليه بما ينفع في التربية ومعالجة الأمر وتقويم السلوك وإصلاح النفوس وتثبيت العقيدة، ومعرفة مبادئ الخير والفضيلة والأخلاق، حتى نرى أبناء الأمة كالملائكة في

www.iqra.ahlamontada.com

طهر أرواحهم، وصفاء نفوسهم، ونقاء سريرتهم ولامتثالهم لأمر ربهم، ويكونوا القدوة الصالحة للناس في كل مكرمة وفضيلة، وإنتاج وتضحية، وخلق وعمل صالح.

أخيراً:

اقتنعت الإنسانية بعد تعب ولأي باحترام الذاتية البشرية والمحافظة عليها، وتفهمت بعد جهد ونصب احترام الإرادة الإنسانية الفكرية والعقلية والروحية، ولكنها وللأسف الشديد لم تستطع أن توجد قوانين عامة تسري على كل الشعوب والأجناس تحفظ احترام الذاتية والإرادة الإنسانية، كما أن من يدّعون القدرة على الوصول إلى أساليب لحفظ ذلك في الفرد لم يستطيعوا أن يهتدوا إلى الأسلوب الأمثل إلى اليوم في صيانة الذاتية والإرادة الإنسانية لأنفسهم، فضلاً عن غيرهم، وقد أقر كثير من العلماء والباحثين أن هذا الأسلوب مازال حلماً وخيالاً وأملاً للجميع إلى اليوم، وأن كثيراً من المشاكل المستعصية في هذا العصر يتوقف حلها على وجود هذه القوانين [1] والأساليب القادرة.

وفاتهم أن رب الإنسان وخالقه لم يتركه سدى تتقاذفه الأهواء وتسيطر عليه الشهوات وتستعبده، فقد جاء الدين الحنيف ترجمة صادقة لاحترام الإرادة الإنسانية، وقانوناً واضحاً لسلامة الذاتية الإنسانية وحياتها، حذر من مسها بسوء، فحرم قهر الإرادة بالإجبار أو الإكراه، أو الاستعباد أو التضليل أو الإيهام أو بالفراغ الذي يسلب الإرادة أو يدفعها في حبائل الهوى والشيطان أو بالإدمان على أن يسلب العقل أو يقهر النفس، أو إهلاك النفس أو إتلافها. كما حرم ما يؤدي إلى إتلافها من الخبائث.

عرف هذا من عرف الإسلام وكان عنده عقل وقلب وروح أو ألقى السمع وهو شهيد.

يقول توينبي (twenbi) عالم الحضارة الإنكليزي:

"إن الإسلام قادر على حل المشكلات العصرية مثل مشكلة الخمر والمخدرات مع أنهما من أعلى المشاكل التي يواجهها العالم المعاصر وأعصاها على الحل، كما

---

(١)القوانين والقيم موجودة وهناك من يسهر على اعتمادها.. . لكن هناك من يقوَ على ابتزازها.

www.iqra.ahlamontada.com

يستطيع الإسلام أن يدلي بقوله في حل مشكلة الفوضى الجنسية التي تجتاح العالم اليوم، ومشكلة تفكك الأسرة ومشكلة جنوح الأحداث، ومشكلة شعور الشباب بالقلق والضياع.

وغيرها من المشاكل الاقتصادية، والاجتماعية التي تواجه المجتمع المعاصر[1].

نعم فالإسلام يحمي الإرادات والذاتيات البشرية من كل سوء، وكل مستعبد ومهلك، وكل مشغلة وكل فراغ كما أنه قادر على حل جميع المشكلات المعاصرة وها نحن في هذه الأطروحة المتواضعة نلقي الضوء على الحل الإسلامي لمشكلة برزت واضحة في العالم اليوم.

إن منهج الإسلام في ملء الفراغ يتبلور في نقاط محددة وواضحة تتلخص في:

أولاً: أ - منع أسباب الفراغ قبل وجودها، والوقاية منها.

ب- معالجتها وإزالة أسبابها بعد وجودها.

ثانياً: أ - معرفة الحقيقة واعتقاد صحتها بالدليل والبرهان.

ب- تربية الإرادة الصلبة التي تدافع عن هذه الحقيقة وتدعو الناس إلى التمسك بها، وتتنافر مع الأوهام والآثام فضلاً عن الوقوع فيها.

وإلى هنا نستطيع أن نقول: أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً، وأيهما القادر على صيانة (الفرد والجماعة والمجتمع) وسعادتهم وإنقاذهم مما يحدق بها من أخطار ماحقة ؟.

إن الإنسانية اليوم في حاجة ملحة إلى منهج الإسلام وتعاليمه، لأنه رصيد الفطرة الخيرة المعطاءة وهو رصيد ضخم هائل سامق، يحتاج إلى لفتة من الغيورين المخلصين، حتى تسمو الأمم وتسعد وترتاح.

---

(١) قطب، محمد: ماذا يعطي الإسلام للبشرية، دار الرعاية الإسلامية،بيروت، در، د ت، ص ٣٥.
- من محاضرة ألقاها العالم توينبي ١٩٤٨ بعنوان " الإسلام والغرب والمستقبل ".

www.iqra.ahlamontada.com

الفصــل الثـانــي

الفــراغ الديــنـي

أ – تمهيــد

ب– الفراغ الديني والمسلمين

١– أسباب الفراغ الديني .

٢– نتائج الفراغ الديني .

٣– الجانب التطبيقي للفراغ الديني.

٤– جداول المقارنة.

www.iqra.ahlamontada.com

الفــراغ الـــديني

تمهيد

العذر للأخ المسلم إذا خص البحث الفراغ الديني بعنوان وغيره بعناوين أخرى فليس من القصد أن هذه الألوان من الفراغ لا يتصل بعضها ببعض، فأنا أعلم أنها متواصلة وكل منها يؤثر في الآخر، ولكن الفراغ الديني أخطرها، فالدين أساس الحياة، وسر القوة وضمان البقاء.

الإسلام ـ في كياننا المعنوي والحسي ـ شكل وموضوع، عنوان وحقيقة.

هو بالإضافة إلى وجودنا الدعائم الوثقى والأصباغ الملونة ـ بالإضافة إلى حركتنا ـ القدرة الدافعة، والوجهة المنشودة !!.

وتوضيحاً لهذا الكلام لابد من بيان وجيز للمجال الديني الذي يعمل فيه الإيمان. وبيان لمدى الفراغ الذي يملؤه في مقاصدنا الداخلية ونشاطنا الخارجي على سواء.

المسلم إنسان يؤمن بالله الواحد الصمد، ويصوغ حياته وفق أوامره ونواهيه، ويوقن بأن المبتدأ منه، والمنتهى إليه، فهو الكفيل له ما بينهما....

ويحكمه في شؤونه كلها، لأنه أولاً لا يرضى غيره حكماً، ثم لأنه يلتمس الرضوان والسعادة من وراء هذه الطاعة التامة والتسليم المطلق...ورباط المؤمن بالله يلقى في روعه، أنه حزبه، وأنه وليّه، وأنه تابعه المخلص الوفي....وأن سرَّه وعلنه، وقلبه ولبَّه، لمولاه وحده، مقتدياً في ذلك بنبيه محمد (ﷺ) الذي علمه ربه أن يقول:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[1] .

---

(١) سورة الانعام: الآية (١٦٢، ١٦٣)

www.iqra.ahlamontada.com

وقد تتعرض هذه العلاقة للضعف والقوة، والغموض والوضوح للتأكيد أو التشكيك، غير أنها موجودة أبداً وهي في امتداده الواجب، أو في نموها الذي تبلغ به تمامها، تستحوذ على الإنسان كله، ولا تبقى فيه فضلة لأحد. والشواهد على هذا الكلام فوق الحصر من كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ): ولكن اختار هنا حديثاً رقيقاً، ولا مراء في صحته لأنه متفق أتم الاتفاق مع سائر الآيات والسنن إن الله تعالى قال: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمش بها...ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه.. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته..**» [1].

لتناول فقرات هذا الحديث بالشرح السريع: إن الجملة الأولى ظاهرة المعنى، فأنه حق على الله أن يحمي من أداه في كنفه، وأن يعلن سخطه على من تعرض للصالحين من عباده.

وولاية الله قد تعني درجة مرموقة من التقوى والاستقامة، ويستحق أهلها النصرة والرعاية بيد أن المؤمنين جميعاً لا يحرمون من هذا الوصف العزيز ما دام يقينهم نقياً:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [2].

ولموالاة الله منهج مبين، لايؤذن لأحد أن يتزيد فيه ولا أن ينتقص منه، هو أداء الفرائض التي فصلت تفصيلاً أحصى ما يحبه الله من خلقه، وما يرضاه لهم، ويرضه به عنهم، فإن توسل امرؤ الى الله يغير هذا، وزعم أنه جاء بما يحبه الله فهو كاذب.

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ج٤، تحقيق البغا، ص ٢٢٥٢، رقم الحديث (٦١٣٧).

(٢) سورة محمد: الآية (١١).

www.iqra.ahlamontada.com

والفرائض المبينة في الكتاب والسنة معروفة.والمهم أنها متكاملة، أي أن لكل منها ـ بتعبير المعاصر ـ قطاع من الحياة العامة تعمل فيه وتتكفل بإصلاحه، فإذا أديت كلها على وجهها المشروع، استقينا منها معاني الخير والحق التي نهضت عليها هذه الحياة.

فالصلاة كفيلة بتزكية النفس وتنقية معدنها من الشوائب، هذا شأنها كما أن وظيفة الطعام تغذية الجسم. فإذا أصيب الجسم بديدان تمتص الغذاء، وتبطل الثمرة، فليس العيب في الطعام وأثره المعقود، إنما العيب في العلل التي أبطلت فائدته. والزكاة كفيلة بسلامة المجتمع، وإعانة الجوانب المائلة فيه، وبث روح التعاطف بين أفراده.والأمر بالمعروف كفيل بإحياء معنى الحق، واستدامة هيبته، وإشراب الأمة احترامه والعمل به، والحكم بما أنزل الله كفيل بحسم الشر، واستئصال مادته، وإشاعة الأمان والثقة حول الدماء والأموال والأعراض، والمشي في مناكب الأرض، ابتغاء رزق الله من شتى موارده، كفيل بتوفير الغنى للفرد والرفعة للمجموع، والعمران للدنيا.. وهكذا.

والفرائض التي سقنا أمثلة لها هي الأنصبة الدنيا لمطالب الاسلام في كل قطاع حيوي. فإن من فرط في فريضة انثلم إيمانه، وانهدم ركن خطير فيه، وتعرض سائره للضياع.... ولا يقبل الله سبحانه من مسلم إلا أن يؤدي الفرائض كلها تأدية تامة. فلو أدى بعضها ورفض بعضها الآخر لم يقبل منه الذي فعل، وحق عليه قول الله (ﷻ):

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

ويظهر من ذلك الوعيد أن الفرائض التي أديت هي صورة عبادة فقط، لعل باعث أدائها التعود أو الوراثة وليس اليقين القوي.

ولو كان اليقين الصحيح باعث أدائها لما تخلف أثره في لونها، وإلا فلماذا تركت؟.

---

[1]) سورة البقرة: الآية (٨٥)

www.iqra.ahlamontada.com

ومن ثم فنحن نشك في إيمان من يصلي ولا يزكي، أو من يفعلهما معاً ويهدم حدود الله الأخرى.

إن الفرائض من واجبات تُفْعَل، ومحرمات تُتْرَكُ ـ نسيج متشابك لا يجوز خرقه، ولا تقطيعه استغناء بقطعة منه عن قطعة فمن تشبث بها كلها أصاب الحق ونال الرضاء ودخل في موالاة الله، وأضحى من حزبه، ولكن هذه الفرائض لا تشغل وقت الانسان كله، ولا تستغرق جهوده جميعاً، سيبقى له بعد إنجازها وقت وجهد يستطيع أن يتصرف فيهما كيف أحب..فمن انفقهما في اللهو المباح جاز له، ومن قرر توجيه جزء آخر منهما لله، فقد وضع رجليه في أولى درجات السلم العظيم، سلم الاتصال بالله وإحراز المزيد من عطفه ولطفه....

والناس متفاوتون في مدى شغلهم بالحق، والتفاتهم إليه، وجهادهم فيه، وإلى هذا يشير الحديث «**وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**»[1].

والنوافل هي الزيادات على الفرائض، وهي زيادات منوعة، من جنس ما فرض الله على عباده.... ! ومجالها جميع القطاعات التي تعمل فيها الفرائض، وتقيم بها أرجاء الحياة العامة، على نحو ما شرحنا آنفاً. وليست النوافل ركعات وحسب، أو صدقات وحسب!. إنها المزيد من العمل لله في كل ميدان، عملاً تصحبه النية الخالصة، ويستهدف به إقامة الدين ودعم أمته.

غير أن هناك فرقاً لابد من كشفه، فالفرد المسلم بالنسبة الى الفرائض ملزم بها فرضاً فرضاً.. أما النوافل فإن التقرب ببعضهايغني عن البعض الآخر، وذلك لأن استعداد الناس للتجويد والتوسع غير متاح لهم في كل ميدان، إنه راجع إلى مواهبهم الأولى، وما انفتح لهم من أبواب الخير أو ما يتمهد لهم من أسباب النشاط والتمكين...

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ح٤، تحقيق البغا، مصدر سابق، ص٢٢٥٢، رقم الحديث (٦١٣٧) (جزء من حديث).

www.iqra.ahlamontada.com

المعلم قد يكون مجال تفوقه في شرح العلوم، وتنشئة الطلاب على أحسن غرار.

والطبيب قد يكون ميدان حماسه علاج المرضى، وتتبع آلامهم بالمحو أو التخفيف.

وأيما مسلم استكمل الفرائض، ثم كرس وقته وجهده وفراغه في إحسان عمل ما من أعمال الخير الذي يفيد الإسلام وأهله فقد سلك طريقاً موصلاً إلى محبة الله حتماً ورسوله ودخول الجنة

إن شاء الله:﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[١].

والدرجة العليا في هذا السلم أن يستغرق المرء في تلك الأعمال استغراقاً يملك مشاعره وأعضاءه، فهو بحرارة الإخلاص وصدق التوجه مشغول بها، وبمن يؤديها له، عن كل شيء آخر، هنا يحبه الله فإذا أحبه الله أعانه على ذكره وشكره، وسخر حواسه وجوارحه في هذه الأعمال الخالصة له.. « **فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**»[٢].

أي كانت حياته كلها، وأفكاره ومشاعره وقفاً على أعمال الخير والطاعات.

والواقع أن الذي يستغرق في عمل ما، أو تستحوذ عليه فكرة ما، يحتبس في جوها، ويذوق السعادة في نطاقها، ويشعر بالغربة بعيداً عنها، ويستوحش من كل شيء يعكر عليه الخلوة بها !على أن هنا لفتة... إن أحداً لن يفرض على الله صداقته، فالله تبارك وتعالى هو الذي ينظر الى عباده، ويمتن على من شاء منهم بقوة الصلة، وجميل الرعاية.

وهذه اللفته مفهومة من قوله: فإذا أحببته كنت سمعه.... الخ.

أي جلوت العوائق والشواغل عن حسه ومعناه، فصار يسمع بي، ويبصر بي.

---

(١) سورة لقمان: الآية (٢٢)

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ج٤، تحقيق البغا، مصدر سابق، ص٢٢٥٢، رقم الحديث (٦١٣٧)(جزء من حديث)

www.iqra.ahlamontada.com

ومن جهل توهم أن هذا الذكر المشرق بالله، لا يكون إلا في خلوةٍ من النـاس، أولا يتم إلا بعد فرارٍ من المجتمع، كلا... إن هذا الذكر مخلوط بعمـل المـرء داخـل الحيـاة نفسها، وبتصرف يده ورجله، وسط ضجتها الكبرى..! وأروع ما في الحديث هو التنويـه بأن المسلم إذا فـني في رسـالة. انشـغل بهـا كـلاً وجـزءاً، فهـو يرضـى لله، ويسـخط لله، ويُطِعمُ لله، ويتبسط لله، وينام لله، ويصحو لله، ويجم ويكدح لله.... الخ.

لقد تحول ـ في ميدان الحياة الرحبة ـ وعلى ظهر الأرض الطويل العـريض الواسـع، قوة تُشَكِّل ما يقع في نطاقها وفق فطرتها هي.... لقد أصبح كالنحلة، تتعـرض للأزهـار والأثمار فتحليها شهداً شافياً، لأن هذه طبيعتها التي لاتحسن غيرها وفي الحديث «**مثل المؤمن مثل النحلة لاتأكل إلا طيباً، ولا تضع إلا طيباً**».

وفي روايـة أخـرى «**إن أكلـت طيبـاً، وإن وقعـت علـى شـيء لم تخدشـه، ولم تكسره**»[1].

يريد نحلة العسـل ووجـه الشـبه حـذق النحـل وفطنتـه وقلـة أذاه وحقارتـه ومنعته وقناعته وسعيه في الليل، وتنـزهه عن الأقذار وطيب أكله وأن لايأكل مـن كسـب غـيره وطاعته لأميره وأن للنحل آفات تقطعه عن عمله منها الظلمة والغـيم والـريح والـدخان والماء والنار، وكذلك المؤمن له آفات تفقره عن عمله الغفلة وغيم الشك وريـح الفتنـة ودخان الحرام ونار الهوى[2].

لو أن أحد رجال المال أخـتير عضـواً في مجلـس إدارة لإحـدى الشـركات، فانكـب على عمله هذا يؤديه بقوة، ويحاول ترقيته وتنميته، ويحلـم في منامـه بطـرق اسـتثماره ويكرس صحوه لحراسته.

---

(١)المناوي، محمد المدعو عبد الرؤوف: فيض القدير، ج٥، مصدر سابق، ص٥١١، رقم الحديث(٨١٤٧).
-رواه ابن الطبراني في الكبير وابن حيان في صحيحه. عن أبي رزين، العقيلي وفيه حجاج بن نصـير، قـال الذهبي. في الضعفاء صفوه أو تركوه.

(٢)المناوي، محمد الدعو بعبد الرؤوف: فيض القدير، ج٥، المصدر سابق، ص٥١٢، رقم الحديث (٨١٤٧)

www.iqra.ahlamontada.com

وهو في هذا كله يرمي إلى دعم الاقتصاد الإسلامي، ومطاردة الغزو الأجنبي، ورفع مستوى الأمة التي وقف على ثغرةٍ خطيرة فيها...

فليس يشك أحد من علماء الإسلام أن هذا الرجل مجاهدٌ في سبيل الله ! وأن تفانيه في هذا المجال ـ بعد استكمال الفرائض المكتوبة ـ يجعله من أولياء الله الصالحين، الذين عناهم في هذا الحديث الشريف.إن باب النوافل واسع، ويستطيع الفرد المسلم المؤدي للفرائض أن يحرز أعلى درجات القرب من الله عن طريق أي عمل صالح، عادي أو عبادي، ما دام عميق الإخلاص، ناظراً الى وجه الله في كل موطن. المسلمون الذين يتدافعون في طريق الحياة مواكب مواكب، بهذا القصد العالي. وذلك الهدف النبيل، هم أولياء الله الذين يساق فيهم هذا الحديث، والذين يقال فيهم:

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

فأما بشرى الحياة للمؤمنين الأتقياء فسكينة النفس، ونباهة الشأن، وحسن الذكرى، وقوة التمكن في الأرض... وأما في الدار الآخرة، فظفر بنعيم الله، وإقامة في رضوان ثم ينبغي أن نحكم على الأمور بنهاياتها الحاسمة لا ببداياتها المتشابهة، فقد يحزن المؤمن في المرحلة الأولى، لأن طبيعة الدنيا الابتلاء، لكن العزيز الغالب على أمره، لا يغير قوانينه ولا يبدل كلماته، ولذلك اتبع الآيات السابقة بهذه الآية المواسية:

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2].

---

(١)سورة يونس: الآية (٦٢-٦٤)

(٢)سورة يونس: الآية (٦٥)

www.iqra.ahlamontada.com

وإنك لتجد في هذا الحديث القدسي أن المؤمن معين الله في آلائه كلها، إن الله يجيبه إذا سأل، وهو حصنه إذا استعاذ لكن القدر المكتوب لابد من إنفاذه، وإنفاذه ليس علاقة قطعية وغصب..

وتأمل فيما تتضح به هذه العبارة من حنو ومحبة: « **وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي في ـ قبض ـ نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته** »[1]!

إنه يحب الحياة، ويود ألا يتركها، وألا ينفض فيها إذا صحبها..لكن الموت حق فانظر ما يكتنف إيقاعه في حق الله مما يشير إلى مقدار إعزازه ـ جل شأنه ـ لأوليائه[2].

قلت: إن هذا الحديث موافق لهدايات الكتاب والسنة في بيان حقيقة الدين.

الإيمان والطاعات، فإن المؤمنين ـ إبان استقامة تفكيرهم ـ لم يختلفوا في تفسير هذا العمل المضاف إلى الإيمان، ولست أدري: كيف يفهم المتأخرون من أمتنا أن هذا العمل.. (والطاعة) هو العبادات وحسب؟!

وفي الحديث القدسي الذي ذكرناه إشارة الى الوظائف الطبيعية لحواس الإنسان وأعضائه فالسمع والبصر هما المنافذ الأولى للعقل ، بهما يكون معلوماته عن كل شيء مآربه بها يتصل بالأشياء ويكوّن معلوماته عنها واليد والرجل هما المظاهر الأولى للحركة، وبهما ينفذ المرء أغراضه ويحقق قاربه، ومعنى إثبات هذه الأربعة في الحديث، أن الانسان المؤمن بربه يصل الى المنتهى في مرضاته يوم تكون حياته العلمية والعملية كلتاهما مسخرتين لرسالته السماوية.. !!

وأظن ذلك إحصاء للنشاط الحيوي كله، لا يستبقي وراءه شيئاً.. !!

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ج٤، تحقيق البغا، مصدر سابق، ص٢٢٥٢، رقم الحديث (٦١٣٧) (جزء من حديث).

(٢) الغزالي، محمد: الإسلام والطاقات المعطلة، مرجع سابق، ص ص١٤١-١٤٨(بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

غاية ما هنالك أن الإسلام اعتنى بطائفة من العمل الصالح ورسم له هيئات وصوراً لا تعدوها، ولا تتغير بتغيير الأزمنة، كالصلاة والصيام..

وترك بقية الأعمال مطلقة لا يحدها إلا الإطار العتيد الذي لا بد منه، وهو النية الخالصة والغرض الشريف.

مع توفر النية الصالحة، توزن في كفه الحسنات أشياء لا تخطر بالبال...إن الهدف العظيم يتمحضُ الفرد لخدمته يجعل كل شيء بين يديه من حوله عملاً صالحاً، وخيراً جزيلاً.إن القصد العالي يملأ الفؤاد للفرد عزماً وقوةً، فإذا كل شيء وضع فيه يديه يتحول الى صلاة وزكاة، ومثوبة غامرة.

ماذا يصنع الدين أبعد من هذا في توسيع ميدان العمل الصالح ؟.

هل يدري العامل المعفر الجبين بسواد الدخان، وغبار الأرض، أن كفاحه هذا نور يشرق به جبينه يوم القيامة، إذا كان نظيف النية في عمله، نبيل الغاية في سعيه ؟؟

وتتحول الأعمال العادية إلى فرائض محتومة مثل الصلوات المكتوبة إذا ارتبطت رسالة الأمة بها وتوقف نجاحها على التفوق فيها.وعلى هذه الركائز من رسوخ اليقين، وشمول العمل، قام الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي.انطلقت الحضارة الإسلامية صعداً تشقُّ طريقها في أطواء التاريخ، وتصنعُ للإنسانية جمعاء مالم تصنعه حضارة أخرى.

لم يكن البشر في ظلها يعانون فراغاً ما في صلاتهم بأنفسهم أو صلات بعضهم بالبعض الآخر، أو صلاتهم جميعاً بالدولة الموجهة، وإن اضطرب حبل الحكم.

تعريف الدين:

الدِّين: ما يتدين به الإنسان. وراسمٌ لجميع ما يُعبد به الله. و المِلّة و الإسلام.

والاعتقاد بالَجنان والإقرار باللسان وعمل الجوارح بالأركان. والعبادة ـ والطاعة[1].

والدين: الإسلام، وقد دنت به، وفي حديث علي (رضي الله عنه): (محبة العلماء دين يدان به).

---

(١) مصطفى، إبراهيم وزملاؤه، المعجم الوسيط، ح١، مرجع سابق، ص ٣٠٧.

www.iqra.ahlamontada.com

والدِّين: العادة والشأن، تقول العرب: مازال ذلك ديني وديدني أي عادتي[1].

والمَدينُ: العبد. وبهاء: الأمة، لأن العمل أذلهما، وفي الحديث «**كان النبي (ﷺ) على دين قومه**» أي على ما بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام[2].

الدين والملة: متحدان بالذات، ومختلفتان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى: ديناً، ومن حيث أنها تجمع، تسمى ملة، ومن حيث إنها يرجح إليها و تسمى مذهباً وقيل: الفرق بين الدين، والملة، والمذهب، أن الدين منسوب إلى الله تعالى، والملة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب الى المجتهد[3].

الدين: (في الإسلام) اصطلاح يستخدم في الإسلام بمثابة المقابل لكلمة religion بشكل عام، وهذا يشكل الدين الإسلامي والأديان التي كانت قبل الوحي بالعقيدة، ويتضمن الاصطلاح دلالة على الديونية والإلتزام بمعنى واجبات المؤمن تجاه الله في علوم الدين الإسلامي ويشمل الدين كلاً من عقيدة الإيمان والعمل، أي ممارسة مفاهيم الشريعة، وكثيراً ما يقابل بتعبير الدنيا أي مجال الحياة الدنيوية.

الدين (Religion) مجموعة من القيم والإدراكات والأفعال والتصورات التي يؤمن بها الإنسان على أساس تلقيها من الوحي الإلهي بواسطة الرسل والأنبياء. وهي أمور تنظم شؤون الحياة الروحية والأخلاقية وربما الإجتماعية. إلا أن الدين، بمعناه العام، هو كل اعتقاد بأمور وقيم ما ورائية ثابتة ـ وليس ضرورياً أن تستند هذه الأمور الى الوحي الإلهي ـ فثمة أديان لاتقر بوجود الله كالبوذية مثلاً ، ومن هنا اعتبر بعض علماء الإجتماع الدين ظاهرة اجتماعية ودرسوه على هذا الأساس[4].

أياً كان ما يضم، أو ما تنطوي عليه أغلب الاصطلاحات في هذا المعجم، فلن يلغي هنا تعريفاً واحداً أو بسيطاً، وكثيراً ما تكون التعاريف المعجمية(مثل: المعرفة

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ج١٣، مصدر سابق، ص ١٦٩.

(٢) الزاوي، الطاهر أحمد: القاموس المحيط، ج٢، مصدر سابق، ص٢٤٣.

(٣) الجرجاني، علي بن محمد بن علي: التعريفات، مصدر سابق، ص ١٤١.

(٤) الحلو، عبده: معجم المصطلحات الفلسفية، مرجع سابق، ص ١٥٠.

www.iqra.ahlamontada.com

الإنسانية بالقوى الخارقة). والاعتقاد في "الله" و "أي نظام للعقيدة والعبادة" غير مباشر أو صخرة أو عامة إلى درجة تجعلها عديمة الجدوى (البدائل الدنيوية للدين secular altern atives to relijion)[1].

دين: يأتي بمعنى العادة، ويطلق بمعنى أوسع على الحق والباطل أيضاً، ويشمل أصول الشرائع وفروعها، لأنه عبارة عن وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات وقد يتجوز فيه على الأصول خاصة فيكون بمعنى الملة، وقد يتجوز فيه أيضاً فيطلق على الفروع خاصة، يعني فروع هذه الأصول. والفرق بين الدين والملة والمذهب، أن الدين منسوب إلى الله والملة إلى الرسول، والمذهب إلى المجتهد، أما الشريعة فتضاف إلى الله والنبي والأمة، وهي من حيث أنها يطاع بها تسمى ديناً، ومن حيث أنها يجتمع عليها تسمى ملة، وكثيراً ما تستعمل هذه الألفاظ بعضها مكان بعض، ولهذا قيل أنها متحدة بالذات ومتغايرة بالاعتبار[2].

١- **الدين**: واحد من مجموعة من النظم المعترف بها (أو القابلة للاعتراف) من العقائد والممارسات لها شبه عائلي، والمجموعة ليس لها حدود واضحة، ونقطة البدء ربما تكون شيئاً مقبولاً كدين بين هذه والنظم المشابهة لها (مثل الإسلام والمسيحية واليهودية) وقد اختيرت كتعريف لمجموعة "أديان" ثم بالإستقرار أصبحت بإضافة عدد من ياءات النسبة "Isms"(البوذية Buddhism) و(الهندوسية Hinduism) الخ، تصنف كأديان، ولكن العملية اعتباطية كيفية وصناعية، ويؤيد بعض العلماء استبدال الأسماء المجردة لما يدعى بأديان (وهو إجراء لم يكن شائعاً قبل القرن التاسع عشر باصطلاح ديانه كذا) (شعب أو منطقة حضارية).

٢- قد يدلل الاصطلاح المجرد "دين" على:

- على شريحة كل الأديان.

---

(١) ركار سهيل: المعجم الموسوعي، ح١، مرجع سابق ــ ص.

(٢) الحفني، عبد المنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مرجع سابق، ص ٣٥٩.

www.iqra.ahlamontada.com

ب- الروح المشتركة المفترضة لكل الظواهر الدينية الأصلية.

ج - المثل التي عدت كل الأديان الفعلية إظهاراً ناقصاً لها.

د - التدين البشري، الذي لم يعبر عنه فقط بالنظم والتقاليد (الدين الواضح) بل إيضاً بطرق المعيشة التي يختفي فيها (ضمناً) من أجل:

أ – التحديد الظاهري قد يكفي، ومن أجل الاستعمالات الأخرى، تتجه التحديات لأن تكون تقويمية أو قائمة على الالتزام، وغالباً ما تستخدم علوم الدين the seiences of religion تحديداً وظيفياً (المذهب العملي) (Functionalism) وقد عرف ج، م ينغر j.m xinger . (على سبيل المثال) الدين بأنه مستودع العقائد والممارسات التي بواسطتها تصارع مجموعة من الناس مع المشكلات النهائية للحياة البشرية، ويميل رافضوا الدين إلى خطأ أضفاء النفوس المادية (تصلب في غير موضعه) فمن المفيد أن تتذكر أن تكون متديناً هو أمر يتعلق بالأشخاص، ولكن ليس بالضرورة بالذين يعلنون معتقداتهم الدينية، أو ينهمكون في ممارسات دينية[1].

ب - الفراغ الديني والمسلمين

أليس الإسلام في حاجة الى التعريف به، والتبشير بحقائقه وتعاليمه بين أهله، بل وبين خاصته للمتخصصين من أهله؟

فهل فيما ينظر الناس في المسلمين اليوم شيء من أمارات الإسلام، وما تحمل شريعته من حقائق، ومبادئ، وتعاليم؟

نعم... في المسلمين أمارات كثيرة وملامح دالة واضحة... ولكنها شيء وحقائق الاسلام ومبادئه وتعاليمه شيء آخر. وإن هذه الملامح وتلك الأمارات، هي في الواقع تُهم ظالمة، يرمي بها المسلمون في وجه الإسلام، وطعنات نافذة، تصيب من مقاتله، مالم يصبه به أعداؤه، الذين يعرفهم، ويحذر كيدهم!

---

(١) زكار، سهيل: المعجم الموسوعي، ج١، مرجع سابق_ص ٤١٩.

www.iqra.ahlamontada.com

ذلك أن المسلمين اليوم في عزلة وفراغ عن دينهم، حيث استغلقت مفاهيمه عليهم، وتقطعت الأسباب بينهم وبينه، وعُمِّيَت عليهم السبل إلى كل ما فيه حق وخير!

بل وأكثر من هذا، فإن مناكثيراً ـ نحن المسلمين ـ لا يقفون عند هذا الموقف السلبي من الإسلام، وإنما هم حرب عليه، يحسبون في المسلمين، ويتسمون بأسماء المسلمين، وليس للإسلام في عقولهم ولا في قلوبهم مكان، فإن يكن فهو مكان الاستخفاف والاستهزاء، بل وما هو أنكى من الاستخفاف والاستهزاء، من التدمير والهدم لمبادئه، والعبث والإفساد بشعائره ومقدساته....

وما هذه الألسنة والمفاهيم والتشويهات التي تتناول الدين الإسلامي، وما هذه الأقلام التي تتناوله بالتشويه ـ وما هذه الأقلام والقنوات التي تبث السموم وغيرها من ملأ الفراغ بالغزو من الداخل والخارج.

إلا كيد جديد يكاد به للإسلام، في أوطان الإسلام، وذلك بإخراس الذي ينطق بهذا الدين، والذين يريدون له أن يكون عملنا وحياتنا في خارجنا وداخلنا في فراغنا وصحتنا وفي كل ما حولنا، وتكشف حقائق الدين!

فهذا باب من أبواب الكيد الخفية الكثيرة المتربصة بالإسلام ولإفراغ المسلمين.

إن الإسلام اليوم يفرغ داخل أوطانه، ويهمش داخل أبنائه وأولاده.

على أيدي من ينتسبون إليه، من كيد له، ومكر به، ما لايلقاه في الأوطان التي لا تدين بالإسلام، ومالا يصيبه من أيدي أعدائه الذين يتربصون به....!!

والفراغ الذي يعيشه المسلمون أنهم لا يعرفون حقائق هذا الدين حق معرفتها، وإن هم عرفوها فإنهم لا يستقيمون عليها، ولا ينتفعون بها، ولا يظهر لها أثر طيب في أفرادهم وجماعاتهم على السواء.

فكيف يساغ مع هذا أن يكون هؤلاء دعاة للإسلام وأهله وأصحابه....

وماذا يجد الفرد إذا هو نظر الى المسلمين من خلال المسلمين المتدينين به ؟

ولا بد إن نظر هذه النظرة الى المتدينين بالدين !

www.iqra.ahlamontada.com

أتراهم يعطون هؤلاء شيئاً من اهتمامهم، وينفقون فيه شيئاً من وقتهم، إذا نظرنا في وجوه المسلمين... فرداً فرداً أو جماعة جماعة ؟

والعجب الذي يملأ القلب حسرة وكمداً، هو أن نزهد فيما في ديننا من تعاليم رفيعة، ومثل عالية، تتضاءل أمامها أرفع ما وصلت إليه المدنية الحديثة من تصور وفهم، لمثل الحق والجمال، في أرقى الأمم واسبقها يداً، وأرسخها قدماً في الحضارة والرقي!! والعجب أن نزهد في هذا الخير الكثير الذي بين أيدينا ومما يملأ حياتنا حركة وعملاً وحيوية ونشاطاً من تعاليم الإسلام، ثم نمد أبصارنا، ونفتح قلوبنا وعقولنا إلى ما عند الغرب من فنون الحياة، وأدب السلوك؟

ونسأل: ما سبب هذا الاستخفاف بمعطيات الإسلام، وهذا الفتور في الإقبال عليه، وهذا الاستحياء من التمسك بآدابه، وهذا الخجل من التمسك به، والأخذ بهديه؟

هل نجد لهذا جواباً شافياً ، وهل نجد حجة قائمة؟؟!

والحق أن كثيراً من المسلمين يطوون قلوبهم على احترام الدين والتمسك به، ولكنهم حين يضمهم مجتمع من تلك المجتمعات التي يغشاها عِلْيةُ القوم، وكبار الناس ـ في نظره هو ـ يتصاغر في أنفسهم هذا الشعور، ويضمر في كيانهم هذا الإحساس، ويبدو لهم أن من الكياسة، والفطنة، أن يداروا ما بأنفسهم من مشاعر طيبة لدينهم، حتى لا يقال عنهم إنهم متدينون، وحتى لكأن الدين عار يُـزرِئ بأهله، وحطة تنزل بقدر من يضبط متلبساً بها!!.

هذا أمر واضح لا ينفع فيه الإنكار... فحيث تكون الحياة، وحيث تكون النعمة والوجاهة ينكمش الدين، ويتعرى منه أهله، خوفاً من أن يقال إنهم أهل دين! ثم يمتد هذا الى القول بأنهم متأخرون، جامدون... أموات في أجساد أحياء!!!

فالفرار من الدين ـ في هذا التقدير ـ هو الذي يحمي الإنسان من هذا الوضع المشين بين الناس! فما مرد هذا وما تأويله؟؟.

أفي الإسلام ما يعيق سير الحياة، ويسد الطريق على الآخذين بأسباب الوجاهة

www.iqra.ahlamontada.com

والنجاه؟.

أفي الإسلام دعوة الى منكر؟ أو أمر بما يجرح المروءة ويخدش الحياء؟.

أفي الإسلام ما يحمل المتدينين به أن يكونوا أمساخاً في الحياة، ودمى متحركة.. يستهزأ بها ويسخر منها؟.

إنه لظلم عظيم أن يفهم الإسلام هذا الفهم، وأن يفرغ الإسلام من حقائقه ومضامينه وإنه لخيانة مهلكة لأنفسنا أن ننزل الإسلام في حياتنا هذه المنزلة الدون، وألا نتوج به رؤوسنا، وألا نتخذه أوسمة نحلي بها صدورنا..

في كل مجتمع عظيم، وفي كل موقف كريم من مواقف الحياة!.

إن الدين بأهله!

ولقد صَغُرت نفوسنا، وضمرت ذاتيتنا، وفرغ هدفنا، فصغر فيها كل معنى كريم، وضمرَ فيها كل مَثَل فاضل، وهان علينا كل مقدس عظيم!

إن النفوس الفارغة المريضة تتقلب فيها حقائق الأشياء كما تنقلب صور المرئيات في العين المريضة، وكما تنحرف مذاقات الطعوم في الفم السقيم.

ومن يك ذا فم مرِ مريض   يجد مُراً به الماء الزلالا

والواقع أننا قد أصبنا في هذا الآيام الأخيرة بعلل وأوجاع، أفسدت حياتنا وأنزلتنا منازل الهُون في دنيا الناس.... فأستعمرت عقولنا وقلوبنا بالدخلاء، وصار الى غيرنا تدبير شؤوننا، وتوجيه حياتنا... وكان من خداع غزاتنا ومكرهم بالإسلام وكيدهم له.

أن صور لنا ديننا في صورة العدو الذي دخل علينا بهذا الضعف والهوان... وكأنه هو السبب في التخلف والاستعمار والغزو وغيره...فكم نحاول أن نجد في ديننا قوة دافعه نستند إليها، ومجداً عظيماً نحرص عليه ولا زالت نظرتنا الى الدين والى المتدينين نظرة بإرادة فاترة، لا تعني شيئاً ولا توحي بشيء!.

إننا مازلنا من أمر ديننا تحت سلطان هذا الفراغ المريض المخيف، الذي أدخله الأعداء في كياننا، ودسه في ضمائرنا ـ بما كاد للإسلام وللمسلمين بالقول والعمل...

www.iqra.ahlamontada.com

جميعاً.

لنقف عند أهم الأسباب في الفراغ الديني:

١- الأسباب

فهذه أمور مما تعانيه الأمة الإسلامية من فراغات تؤثر على حاضرها ومستقبلها، وقد استقصيت بعض أسباب الفراغ الديني، وقد يكون غير الأسباب يمكن أن تضاف الى ما استنتجته في دراستي، فالتصورات حول الإصلاح يكمل بعضها بعضاً ولا أدعي أنني قد بلغت المراد والكمال أوقاربته، وقد يتداخل بعض ما أراه في بعض ولكن حسبي أهمية الموضوع لأمتنا وشبابها.

فالقلب إذا فرغ من العقيدة فسد كل شيء في الإنسان سواء أكان النفس أو الزمن والعمر أو الخلو من المثل الأعلى، وإذا أقصي الدين عن التوجيه فإن النفس البشرية تضع في خضم المبادئ الوافدة والشهوات الملحة. ولا بد لانصراف الناس عن الدين سلوكاً والاكتفاء بالانتساب له قولاً أو شكلاً من أسباب ومن هذه الأسباب:

١ – عزلة الإسلام عن قيادة الحياة العامة:

كان الإسلام راسخاً في كيان الفرد وداخل المسلمين الأوائل، لأنه كان نظاماً حياً يحكم الفرد والجماعة في شتى أنشطتها، وبذلك عاش الرعيل الأول في جو إسلامي بحت.

الحكم فيه لشرع الله، الأسرة تعيش بمقتضى شرع الله، والاقتصاد محكوم بشرع الله، فالفرد إينما يمم وجهه لا يجد أمامه إلا طريقاً ومنهجاً واحداً، هو طريق الإسلام وحكماً واحداً هو حكم الإسلام، وكانت الحدود مما يعطي للمجتمع الإسلامي ميزة التمييز على غيره من المجتمعات في شرعه الذي يحكم أفراده به، مما يجعل المجتمع يحس بنور الدين ووهجه في كل ما يأتيه أفراده أو يذرون.

ومما لا شك فيه أن تمثل الإسلام في جماعة هو أعظم دعوة ودعاية له، فأما إذا لم

www.iqra.ahlamontada.com

يتمثل في جماعة فإن الناس بين أمرين:

- إما لأنه لا يمكن تمثيله في مجتمع لمثاليته. كما قال بعض المستشرقين عن الإسلام وكما تبعهم بذلك بعض الفارغين من أذيالهم.
- وإما لأن الجماعة لاتقدر على تطبيقه وتحمل تبعات نظام يقوم عليه، لأنها تؤثر الهبوط على السمو والرخاوة على القوة ولا تقدر عزائم رجالها الخائرة على تحمل عظائمه ومكرماته.

وهذا ما يجعل المسلمين في فراغٍ عرضة لكل ناعق وأسرع استجابة للدعوات، لو أن الإسلام كان يقود الحياه ما كان لها وجود.

وكما قيل: (ليس من عادة البشرية أن تستجيب لمنهج مقروء أو مسموع مالم يتمثل في صورة (مجتمع) يعيش بهذا النهج، ويعيش له، وتتمثل فيه خصائصه ومزاياه)...[1]

وألف كتاب عن الإسلام، وألف خطبة في مسجد أو قاعة أو ميدان، وألف فيلم في الدعاية للإسلام، وألف بعثة من الأزهر أو غير الأزهر في كل مكان.

كل أولئك لا يغني غناء مجتمع صغير يقوم في ركن من أركان الأرض يعيش بمنهج الإسلام، ويعيش لمنهج الإسلام، وتتمثل فيه خصائص هذا المنهج، وتتمثل فيه صورة الحياة في الإسلام.. وختاماً تجسيم المنهج الإسلامي في جماعة تعمل به ومجتمع يحيا عليه وأعداء الإسلام يعرفون هذه الحقيقة جيداً وهي تمثل الإسلام في مجتمع ومن أجل معرفتهم العميقة بهذه الحقيقة هم قد يسمحون بنشر الكتب عن الإسلام - في حدود - وإلقاء الخطب عن الاسلام - في حدود - ويعرض الأفلام عن الإسلام - في ندرة.

وبإرسال البعثات للإسلام - في رقابة - ولكنهم لا يسمحون أبداً - بما لديهم من سلطات عالمية ضخمة خافية وظاهرة - بقيام مجتمع إسلامي - ولو صغير - في ركن من أركان الأرض - ولو في جزيرة بالمحيط.

---

(١) قطب، سيد: الإسلام ومشكلات الحضارة، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) ١٩٦٢، در، د ت، ص ١٨١ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

ذلك أنهم يعرفون أن هذه الوسيلة الجدية الوحيدة لوجود الإسلام، وهم قد عانوا من وجود الإسلام طويلاً، إذ حال بينهم وبين أهدافهم الاستعمارية الاستقلالية للوطن الإسلامي، وللمجتمع الإسلامي ـ وما صدقوا أن أجهزوا ـ كما يتصورون ـ على هذا الجبار، فهم يفزعون من شبحه ولا يريدون له "الوجود" الفعلي بحال من الأحوال[1].

وحتى يبقى المسلمون بعيدين عن التجمع على تحكيم الإسلام يجب على أعدائه أن يحيكوا سلسلة من المؤامرات لا تنتهي حلقاتها ويعمل في سبيلها جيوش من البشر ومنهم مسلمون، ويشاع على الدوام أن النظام الإسلامي قديم وقاسٍ ويحجز الحرية الشخصية، كما أن عليهم أن يبقوا المجتمع الإسلامي مخرقاً لا يلتئم له شمل، جناح منه ينتمي إلى الشرق وآخر ينتمي إلى الغرب وآخر ينتمي الى اليمين وآخر ينتمي الى اليسار، ويصبح الولاء لمراكز التوجيه، والثقل والقوى، التنادي بالجنس أو الإقليم، والتغني باسم القطر لا باسم الإسلام هو التيار الغالب على الناس، وإيجاد بدائل عن الإسلام الصحيح يتلهى الناس بها باسم البابية[2] والقاديانية[3] ودعوات المهدية الواحدة تلو الآخرى، والناجية وغيرها، وكل شيء مباح إلا أن يعود الإسلام الصحيح، وقد دخل النقاش حلقات الدرس والحوار عن العرقية والإقليمية، وجدوى هذا العلم أوذاك، بل أفسحت وسائل الإعلام شاشاتها وصدور صفحاتها لأقوام لا يحسنون القول والتوجيه والتوعية، وفي الوقت نفسه يحال بين المهتمين عن تأدية واجب النصح والتعليم والإرشاد للأمة إن منهج الإسلام وجد ليسود ويعُمل به لا لينسى

---

(١) قطب، سيد: الإسلام ومشكلات الحضارة،مرجع سابق، ص١٨١.

(٢) البابية: طائفة إسلامية تفرعت عن الشيعة الفارسية في أوائل القرن التاسع عشر، وهي هامة باعتبارها السلف للبهائية. وقد خرجت بقيادة ميرزا علي محمود (١٨١٩ــ١٨٥٠) من شيراز الذي أعلن في (١٨٤٤) نفسه الباب Bab للإمام المختفي، وتدشين دورة نبوية جديدة بعد النبي محمد (ﷺ)، وبرسالته الجديدة تلغى بعض الغروض في القانون الإسلامي أو الشريعة ــ زكار، سهيل: المعجم الموسوعي، ج١، مرجع سابق، ص١٦٤ (بتصرف).

(٣) القاديانية: سيأتي الكلام عليه لاحقاً.

www.iqra.ahlamontada.com

و ينسلخ منه أو يفرغ من حقائقه، وقد توعد الله كلهم أي الناسي والمنسلخ والفارغ، فأما الناسي فيقول الله (ﷻ):

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[1].

وأما المنسلخ فيقول عنه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[2].

وقال (ﷻ): ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾[3].

وإذا ترك الناس الصراط الواحد ضلوا في سبل عدة﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[4].

إن الواقع المعاصر الذي يعيشه الفرد المسلم اليوم من فراغ، بما تم فيه من هيمنة الغرب على الشرق الإسلامي، وبما ساد فيه التفكير الوصفي الواقعي لدى الغربيين من جانب وبما ظهر من ضعف المسلمين سياسياً، واجتماعياً واقتصادياً، ومن سيطرة التواكل) على حياة المسلم فيه من جانب آخر - داعية إلى إيقاظ المفكرين المسلمين وحافزة لهم على دراسة ما يجب أن يكون عليه موقف المسلمين إزاء:

- السلطة الغربية الصليبية الصهيونية في بلاد المسلمين.
- إزاء هذا التفكير الغربي المادي، وما عساه أن يحدثه من أثر سلبي يزيد في ضعف المسلمين.
- إزاء الضعف المتعدد الجوانب، والذي طال عليه الأمد، واستحوذ على نفس الفرد والجماعة، في الشعوب الإسلامية. الإسلام في نظر المسلمين، أداة الربط القوية بين

---

(1) سورة الحشر: الآية (١٩)

(2) سورة الاعراف: الآية (١٧٥)

(3) سورة الشرح: الآية (٧ـ ٨)

(4) سورة الأنعام: الآية (١٥٣)

www.iqra.ahlamontada.com

الشعوب الإسلامية، كما أنه المصدر الأول لاستعادة قوتهم من جديد، نحو ما كانت لهم هذه القوة يوم أن سادوا، ولم يخضعوا لغير الله وحده.

لابد من وقف هذه الهيمنة الغربية على عالمنا الإسلامي، وتوجيه الأمة ضد سلطتها في أي بقعة من بقاع العالم الإسلامي، وتدعوهم الأمة لأن تعتمد على الإسلام كوسيلة أولى في إيقاظ الشعوب ضد هذه السلطة الدخيلة، التي تصحبها روح الانتقام من المسلمين منذ أن انتصر المسلمون على الحملات الصليبية في القرون الماضية، وفي تجميع قوى الشعوب على العمل على تطهير البلاد الإسلامية منها وندعوهم لاعتماد الإسلام في تغير صورة عرضهم أياه، أو أن يقربوا ويلائموا بين تعاليمه وبين أهداف الحياة القائمة. عندها يكشفوا عن الإسلام مصدر قوة، وغاية في نفسها، ومصدر قوة في الحياة وغاية الحياة كذلك، والمسلمون إذا عاشوا به عاشوا أقوياء، وإذا عاشوا من أجل هدف عاشوا من أجل الإسلام.

٢- مقاومة الدراسات الدينية الجادة المخلصة:

هذه الدراسات موجودة بل وكثيرة، وهي تتعرض لمقاومة شرسة من قوى محلية مبرمجة وقوى خارجية معادية، كثير من الدراسات يبدو فيها التعجل في الوقت الذي تكون فيه محتاجة الى تقليب وجهات النظر المختلفة، لترجيح أرجحها، أو تبين خطأ مخطئها، أو للتعرف على مراجع أكثر، وقد كان السابقون يمضي الواحد منهم العديد من السنين يؤلف كتاباً واحداً، لذا فإن الكتاب كان يأتي بصورة كاملة أو أقرب إلى الكمال، أما الآن فهناك سباق في الكتابة حول موضوعات استهلكت في الكتابة، أو نشر الكتاب الواحد تحت عناوين مختلفة، أو الاتفاق على نشر الكتاب بأسماء عدة مؤلفين، وأذكر أني حين بحثت!في مراجع هذا البحث وجدت أكثر من عنوان ولكن بفكرة واحدة بل حتى بعبارة واحدة لمؤلفين عدة كما أن كثيراً منا يزج به إلى المطابع عليه سمة (مؤرخة) الأسلمة، أو كما يقال (ما حدى أحسن من حدى) كما يقول العوام، ولذلك تأتي الدراسات فجة وغير عميقة، ويختار لها عناوين شديدة البريق،

www.iqra.ahlamontada.com

وهناك من يقحمون أنفسهم في الكتابة عن الإسلام وهم غرباء عنه، وفي غمرة ذلك لا تجد الكتابات الجيدة من يعرف بها حق التعريف، ومن الطبيعي أن ينشأ عند الناس لون من الضجر لأنهم عندما يقرؤون كتاباً لا يستفيدون منه، فهذا ينشئ عندهم لوناً من الانصراف عن القراءة، وحبذا لو عملت الحكومات؟ إنها أحد عناصر المقاومة..!! على التعرف على الأعمال الجيدة ونشرها على نطاق واسع، أو قام المحسنون من أبناء الأمة الإسلامية بطبعها ونشرها وتوزيعها على راغبي العلم مجاناً، ويجب أن يدخل دائرة أزاحة الفراغ الديني من نفوس الناس الصحافة والإذاعة والتلفزيون وغيرها من وسائل الإعلام، وتكون الكتابة أو التعريف على مستويين:

أ- مستوى الأميين:

وهؤلاء في حاجة الى تبسيط المعلومة إلى أقصى درجات التبسيط والصبر على ذلك حتى يمكن إعادتهم إلى الإسلام النقي، ويمكن أن يستجيبوا اذا صح التوجيه وهم كثرة كاثُرة يمكنها أن تفيد في خدمة الإسلام والمسلمين.

ب - الطائفة المثقفة:

والكتابة لهم تحتاج إلى لون آخر من التعمق والتخصص وسعة المساحة حتى لا تقتصر الكتابة على مجال أو مجالات دون مجالات أخرى يحتاج المثقفون إليها، على أن يكون هناك من يَجْلو لهم سيق الإسلام ما عداه ومواءمته لروح العصر وعدم قصوره في إمداد الناس بكل ما هم محتاجون إليه. ومن الأبواب الهامة ما تنشره الجرائد حول أحدث ثمرات المطابع، أو ما تذيعه الإذاعة عن "كتاب وقارئ" أو "أحدث ما قرأت" وما يقدمه التلفزيون (خير جليس) وغيرها.

وحبذا لو أن خطباء وأئمة المساجد كلما قرأ الواحد منهم كتاباً جيداً وجه أنظار المصلين إليه، كما يفعل ذلك أساتذة المدارس والجامعات ويتواصى المسلمون بتوجيه أنظار بعضهم بعضاً الى الكتب الجيدة.

www.iqra.ahlamontada.com

ج- التأسيس:

في عالم الطفولة المدرسية. بواسطة القصص.. ان الرواية اسلوب معاصر يمكن اعتماده سبيلاً للدعوة انظر مثلاً: رواية الأم لمكسيم غوركي ودورها في ترسيخ الفكر الاشتراكي لدى ملايين القراء.

٣- فقدان القدوة الحسنة:

القدوة في التربية هي أنجع الوسائل المؤثرة في إعداد الفرد خلقياً، وتكوينه نفسياً واجتماعياً.

ذلك لأن المربي هو المثل الأعلى في نظر الشباب، والأسوة الصالحة في عين الجيل يقلده سلوكياً، ويحاكيه خلقياً من حيث يشعر أو لا يشعر.. بل تنطبع في نفسه وإحساسه صورته القولية والفعلية والحسية والمعنوية من حيث يدري أو لايدري!!

ومن هنا كانت القدوة عاملاً كبيراً في صلاح الأبناء وإفسادهم: فإن كان المربي صادقاً أميناً كريماً عفيفاً.. نشأ الفرد على الصدق والأمانة والخلق والكرم والشجاعة والعفّة.. وإن كان المربي كاذباً خائناً متحللاً جباناً بخيلاً نذلاً... نشأ الفرد على الكذب والخيانة والتحلل والجبن والبخل والنذالة... إن الفرد مهما كان استعداده للخير عظيماً، ومهما كانت فطرته نقية سليمة... فإنه لا يستجيب لمبادئ الخير وأصول التربية الفاضلة مالم يره المعلم المربي في ذروة الأخلاق وقمة القيم، والمثل العليا..

ومن السهل على المربي أن يلقن الفرد منهجاً من مناهج التربية، ولكن من الصعوبة بمكان أن يستجيب الفرد لهذا المنهج حين يرى من يشرف على تربيته، ويقوم على توجيهه غير متحقق بهذا المنهج، وغير مطبق لأصوله ومبادئه![١] وبهذا كان تقريع الشاعر العربي[٢] أليماً في المربي الذي يخالف فعله قوله:

---

(١)علوان، عبد الله: تربية الاولاد، ج٢ مرجع سابق ص ٤٧٦ (بتصرف)

(٢)تنسب هذه الأبيات إلى أبي الأسود الدؤلي، أو للمتوكل الليثي، أو السابق البربري،أو للاخطل،...
ابن هشام، جمال الدين عبد الله: شرح قطر الندى، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، ص١٠٧.

www.iqra.ahlamontada.com

ياأيهـا الرجُـل المعلـم غيَـره	هـلا لنفسـك كـان ذا التعلـيمُ
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى	كيمـا يصـح بـه وأنـت سـقيم
ابـدأ بنفسـك فانههـا عـن غيّهـا	فـإذا انتهـت عنـه فأنـت حكـيم
فهنـاك يقبـل مـا وعظـت ويقتـدي	بـالعلم منـك وينفـع التعلـيم[1]

ولقد علم المولى سبحانه ـ وهو يضع للناس المنهج السماوي المعجز ـ أن الرسول المبعوث من قبله بأداء الرسالة السماوية لأمة من الأمم، ينبغي أن يكون متصفاً بأعلى الكمالات النفسية والخلقية والعقلية. حتى يأخذ الناس عنه ويقتدي المؤمنون به، ويتعلم المسلمون منه، ويستجيب الطائعون إليه، وينهج المربون نهجه في المكارم والفضائل والخلق العظيم.. ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3].

ولقد وضع الله سبحانه في شخص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي ليكون للأجيال المتعاقبة الصورة الحية الخالدة في كمال خلقه وشمول عظمته.. ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[4].

ومن ثم فإن الداعية الموفق الناجح هو الذي يهدي الى الحق بعمله وإن لم ينطق بكلمة، لأنه مثال حي متحرك للمبادئ التي يعتنقها.

وتناقض الفعل والقول أكبر شغب يمس قضايا الإيمان ويصيبها في الصميم، ولا يكفي ليكون الفرد قدوة التظاهر بالصالحات فإن التزوير لابد منكشف، لأن النفس المتحركة بروح الإيمان كالآلة الدائرة بما يعمر خزائنها من وقود، أما النفس

---

(١)ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: مدارج السالكين، ج١، مصدر سابق، ص٤٤٧.
(٢)سورة الممتحنة: الآية (٤).
(٣)سورة الممتحنة: الآية (٦).
(٤)سورة الأحزاب: الآية (٢١).

www.iqra.ahlamontada.com

المحرومة من هذه الروح فهي كالآلة التي تدفع باليد حيناً، ثم لا تلبث أن يغلبها العطب فتتوقف وتسكن. والطامة الكبرى إنما تكون من المنافقين المتظاهرين بالتدين أو المتهاونين الذين يلبسون مسوح التقوى.

إن التدين الحق صورة لجوهر النفس بعدما استكانت لله ونزلت على أمره، واصطبغت بالفضائل التي شرعها، وترفعت عن الرذائل التي حرمها، واستقامت على ذلك استقامة تامة.

هذا التدين وحده هو الذي نلتمس منه الأسوة، ونقبس منه الهدى، والمؤسف أن هذا التدين نادر جداً وإذا نكب الدين بكثير من مصطنعي التدين فإن المجال واسع لشيوع الفسوق والإلحاد وقد يدفع هذا إلى إشاعة الثقة بالكفار، وقلة الثقة بالمسلمين وهي ظاهرة أتت من إساءة المسلمين أنواع المعاملة رغم مظاهر التدين في كثير من الفاسدين.

وسلوك المسلمين الأولين أفراداً أو أمة كان أكبر سبب لدخول أعدائهم في الإسلام وحين نتابع أوصاف المسلمين الفاتحين كما شرحها المنصفون من المستشرقين نجد أن الجماهير رفعت حملة العقيدة الظاهرة بشيء من الدهشة، ورأت فيهم نماذج أخلاقية للفضل والعدل، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى زاحموهم عليها ونافسوهم فيها، والاعجاب بالمسلمين أفراداً أو دولة وحده السبب الفعال في تزاحم الخاصة والعامة على الإسلام، وارتضائهم له دينا، والإعجاب لا يثبت في النفس خبط عشواء.

أتظن أن الأخلاق الرضية تعجب بالأخلاق الرديئة ؟! أتظن العقول النظرة تعجب بالعقول الخرفة ؟!.

أتظن المتقدم في أخلاقه ومشاعره يعجب بالمتخلف في هذا، والمعجب بإنسان قد يذوب فيه، وهو ماحدث عندما ذاب الناس في الإسلام عقيدة ولغة وخلقاً[1]، ذلك لأن

---

(١)الغزالي، محمد: مع الله ودراسات في الدعوة والدعاة، دار الكتب الحديثة، الطبعة الخامسة ١٩٨١، ص٢٩٧ـ٣٠١(بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

القدوة تبنى على الاحترام والثقة ومالم يكن للشباب في قرارة نفسه احترام لرجل الدين وثقة بعلمه وخلقه قولاً وعملاً لا يمكن أن يتخذ منه قدوة، بل يكون غير الصالح من رجال الإسلام سبباً يدفع الناس وخاصة الشباب الى الإلحاد، ولخطورة القدوة كان الاصطفاء للأنبياء كما ذكر القرآن الكريم:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

وكذا الحب والرضا، وأسمى الصفات والمواهب العقلية والخلقية والعملية، فهو صفوة الخلق والمثل الكامل للإنسانية، وهم أقوى البشر وأجدرهم بحمل رسالات الله ودعوة الخلق إليه[2].

٤- قلة الاهتمام بتدريس الدين:

إن من أهم ما تحرص عليه الحكومات غيرالدينية في بلاد الإسلام أن تقبض على زمام التربية والتعليم منهجاً وتعليماً وتوجيهاً... من أجل ماذا؟

من أجل أن يتوجه الجيل الناشئ المتعلم بالوجهة غير الدينية التي لها تسعى، وفي سبيلها تناضل... بل من أجل أن ينشأ الجيل المسلم فارغ العقيدة والخلق، محطم الشخصية والكيان، مزعزع الثقة بالتاريخ والأمجاد... ولو ألقينا نظرة فاحصة في المجتمعات الإسلامية التي تحكمها حكومات غير دينية ماذا نرى؟

نرى شباباً متفلتيين من ربقة الدين والأخلاق.ومفرغين من هويتهم التي هي قوام شعورهم بوجودهم نرى جماعات ضالة تدعو جهاراً ونهاراً إلى الكفر والضلال والإلحاد.

نرى أفواجاً من المعلمين والمتخرجين وأرباب الفكر...يدعون إلى الإختلاط بين الجنسين، والتسيب من المبادئ والأخلاق، وتحرير الفرد من ربقة الإسلام، وتجريد المرأة من حصن حجابها وعفافها.

---

(١)سورة آل عمران: الآية (٣٣).

(٢)الندوي، أبو الحسن: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم، دار القلم، دمشق الطبعة الخامسة عشرة، ١٩٨٠ص١٥.

www.iqra.ahlamontada.com

نرى عصابات من الشعب تدعو الى التحرر من الأصالة الإسلامية، والإرتماء في إحضان الغرب وخدمته وجعل أنفسهم سوقاً له.نرى... ونرى... ونرى...وهذا كله من لعنة التربية غير الدينية التي نشأ الجيل المسلم عليها، فنشأ الجيل جيل من المتحررين المارقين لا دين يرشدهم، ولا رقابة لله تزجرهم ولا أسرة تحصنهم ولا مجتمع يضبطهم!!.

لا شك أن السبل التي انتهجت في ذلك هي خطوات مرحلية مدروسة وسوف استعرض أهمها:

أولاً: حصر التعليم الديني:

- مادياً:

أما حصره مادياً فبتقليل ساعاته، وبتطويع مناهجه، وبتضييق موارده، وبإسناد تدريسه في الأغلب الى غير المختصين.. كل ذلك ليخدم التربية غير الدينية في أهدافها ومخططاتها.

لتدريس الدين حصص، وفي آخر العام امتحانات في كثير من البلدان الإسلامية، وكان المؤمل من وراء هذه الجهود أن يكون هناك وعي ديني بالإسلام ما هو؟ ما مزاياه؟

وما هي أهم الشبهات المثارة حوله؟ وأهم المناوئين لحركته المحاولين تعويقها؟ وحتى تخرج الناشئة من إطار التدين التقليدي إلى إطار التدين الحق فيصبح لدى الشباب حصانة قوية ليثبتوا بها أمام الماديات والأهواء والإغراءات، ولكن الواقع مخالف لذلك ومازال نصيب الدين من الحصص قليلاً، ولا أدري هل هو نافلة لايؤبه بها، أو أن آثاره في الحياة غير ملحوظة حتى أننا لا نجود عليه إلا بحصص قليلة يستهين بها المدرس والطالب، وهذه قضية أخرى.

فإن الذين ينتخبون لأداء تدريس التربية الدينية ينبغي أن يكون عندهم الاهتمام بتدريسها، وكذلك الوعي والإدراك الكامل لمهمتهم وأثرها في الحياة، كما أنهم هم

www.iqra.ahlamontada.com

ينبغي أن يكونوا مؤمنين عاملين بما يعلمونه حتى لا تكون هناك فجوة بين العلم والسلوك، فإن أية مفارقة سلوكية لما يقال تنسف الثقة بالمدرس وما يقوله. بالإضافة إلى أنه ينبغي أن تكون لدى المدرس القدرة على تبسيط المعلومة والتشويق إليها والتحبيب فيها حتى لا يسأم التلاميذ أو ينصرفوا عن حصة الدين إلى لعب الكرة أو الهروب من المدرسة أو إلى منازلهم.وكذلك فإن حشو الأدمغة بالمعلومات أو تقوية الأجسام بالرياضة والقلوب خواء من معرفة الله، لا شك أنه سيكون له أثر ضار على الناس جميعاً فهذا نوع من الضلال على علم، أو ملء الأجسام بالطاقات دون تحديد هدف لها تتخبط على غير هدى ضارة غيرها ومضرة بنفسها، وينتج عن ذلك التمزق والتشتت والضياع، لأن السائرين يضربون على غير هدى.

- **معنوياً:**

فالهزء والسخرية لمن يقوم على أمره وتدريسه، وبالتفرقة بين أساتذة الدين، وآساتذة المواد الأخرى... تقديراً وتكريماً واهتماماً....

كل هذا الذي سبق ذكره لينفر التلامذة من الدين ورجاله، ويقبلون على غير الدين... من حيث يشعرون أولا يشعرون!!.

أما الكتاب الديني:

أكثر المستلمين لزمام التعليم والتربية في الجهات المسؤولة ، والمشرفين على المناهج وتأليف الكتب المدرسية في المدارس والجامعات، والقائمين على رسالة التعليم من المعلمين والمدرسين والأكاديميين في بلاد الإسلام.... أكثر أولئك من الشخصيات المرتبطة بالمـ.... وأحياناً بـ.... وأحياناً يكون الإرتباط فكرياً لاعضوياً، وأدبياً لامادياً... وهنا تكمن الخطورة، ويعظم البلاء.....

فهولاء جميعاً لا يألون جهداً في تلقين الجيل المسلم مبادىء الدس والتشكيك، والطعن بالأديان، والدعوة إلى الإلحاد، والانغماس في أوحال التحلل والإباحية... وتطويع الدين ليتوافق مع منظومته الفكرية العلمانية ومصالحهم المادية.

www.iqra.ahlamontada.com

وكم سمعنا عن معلمين وأساتذة جامعيين شككوا بالإله الواحد، واتهموا أنظمة الإسلام بالجمود والرجعية، وعدم مسايرتها للحياة، وطعنوا بالقرآن وقصته على أنها في نظرتهم القاصرة الملحدة ـ أسطورة من الأساطير تُملى على الرسل بكرة وعشيا؟!!. بزعمهم.

وكم تابعنا عن كتب مدرسية وجامعية متداولة عرضت نظريات إلحادية (نظرية دارون) على أنها حقيقة علمية، ليتخذها أهل الزيغ والضلال ذريعة في التشكيك بالخالق سبحانه علماً بأن العلم قد نقضها وأبطلها، وألقاها في سلة المهملات؟!!. بل هكذا فعل صاحبها في آخر أمره.

وكم سمعنا أيضاً عن كتب التاريخ والآداب وصَمَتْ حجاب المرأة المسلمة أنه تخلف ورجعية، واتهمت العصور الإسلامية الزاهية عبر التاريخ على أنها عصور إقطاع واستبداد وتسلط؟!!. وغيرها وغيرها.

وهناك أمر جدير بالاهتمام وهو:

أننا ينبغي في تدريسنا للدين ألايكون عملنا حشواً للأدمغة بقدر ما يكون إغاثة على تصحيح المسيرة، وتعريفاً بمغبة الإلحاد والتدين المغشوش، وتركيزاً على حكم المشروعية من وراء الأحكام الإسلامية وتعميق الشعور بالإلتجاء الى الله والفرار إليه، وتحبيب الطاعات وتبغيض المعاصي بذكر أمثلة وتجارب من الحياة والأمم والأفراد في الماضي والحاضر، وكيف تكون الطاعات سبباً لرفاهية العيش وهدوء النفس وتماسك المجتمعات؟

وكيف تكون المعاصي مقدمة لكل نقمة من الله عزوجل، وبذلك تمتلىء أنفس الناشئة وقلوبهم بمثل الإسلام العليا وصلاحيته لقيادة الحياة فتشيع في أعمالها خشية الله وتقواه ولايكون منهم عدوان على حد من حدود الله ، أو تقصير في فرض من فرائض الله سبحانه وتعالى (النفس من شأنها أبداً طلب الحظوظ والفرار من الحقوق فهي لاتسعى إلا في ذلك: ولو في عملها في الطاعات فضلاً عن المعاصي) [1].

---

(١) ابن عطاء السكندري، أحمد بن محمد بن عبد الكريم: حكم ابن عطا، ح٢، تحقيق د.عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار الكتب الحديثة، القاهرة الطبعة الأول، ١٩٧٠م، ص ١١.

www.iqra.ahlamontada.com

أخيراً أضع ملخصاً سريعاً لفكرة إنشاء المدرسة الإسلامية للتربية والتعليم وشرحاً مختصراً لفكرتها التي أرجوا أن تنتشر وتعم وتلقى قبولاً عند أصحاب الشأن:

قد انتشرت المؤسسات التعليمية في مختلف بلدان العالم، وأصبح لكل منها منهج يترجم سياستها التعليمية، وتحاول أن تحقق أهدافها التربوية. ومع تعدد المناهج وتطورها حيناً بعد حين يشكو القائمون على التعليم في العصر الحاضر من تدني مستويات الطلاب، وضعف تحصيلهم، وعجزهم بعد التخرج عن مواجهة الحياة، لأنهم قد يتخرجون في ظل مناهج تجعل كل اهتمامها بالكم لا بالكيف....

مناهج لايدور فيها إلا سؤال واحد، هو كم درس هذا الطالب دون النظر إلى طول فترة التعليم، ودون الإهتمام بظروف البيئة والمجتمع، ولكن الأصوات التي ارتفعت بالشكوى كانت دائماً ترضى بالحلول الجزئية السريعة، وتخدع بما يسمى تطوير المناهج، أو تعديل الطرق، أو تبديل المقررات، أو غير ذلك من العبارات التي تخفف الألم ولكنها لاتقضي على الداء.

فكان لابد إذن من تغيير شامل، أو تفكير في شيء جديد، يأتي نتيجة لتحليل هذه المناهج، وتوضيح الأهداف المرجوة، لمعرفة مدى ما تستطيع هذه المناهج تحقيقه من هذه الأهداف.

ولاخلاف في أن الأهداف جميعها متفقة في ضرورة الوصول بالتعليم، إلى القدر الذي يمكن المتعلم من مواجهة متطلبات الحياة بقدرة ونجاح في أقرب وقت بأقل جهد ممكن، فهل تستطيع المناهج الحالية تحقيق ذلك ؟ بالطبع لا، وأول ما يجعلها عاجزة عن ذلك كثرة المواد مع طول فترة التعليم ، وعدم إعداد الطلاب للمشاركة في مسؤوليات الحياة. لذا كان لابد من التفكير في منهج تعليمي، يوفر على الأبناء هذه السنوات، ويمكنهم من القيام بمسؤولياتهم في سن مبكرة، يصبحون بعدها عاملين منتجين نافعين، ولكن كيف يمكن تحديد هذه السن ؟.

إن نظرة واعية فاحصة إلى طبيعة النشء تجعلنا نميز بين مرحلتين من مراحل

www.iqra.ahlamontada.com

النمو، مرحلة الطفولة والصبا ومرحلة الرجولة والنضج، ويفصل بينهما ذلك التغير (البلوغ) المرحلة الواضحة في حياة الفرد.

البلوغ إذاً يعتبر الحد الفاصل بين المرحلتين، ويصل الشاب إلى سن البلوغ في الخامسة عشرة من عمره تقريباً، وبعدها يصبح إنساناً كامل المسؤولية، قادراً على أداء التكاليف، وذلك مايدعونا إلى أن نعد أبناءنا علمياً وعملياً في هذه السن، حتى يتواكب البلوغ العضوي مع البلوغ الفكري والعملي، ليبدأ هذا الفرد في الإسهام بنشاط وحيوية في بناء المجتمع، لذلك كان من الضروري أن نفكر في إيجاد نظام تعليمي يتفق مع الفطرة الإنسانية، ويتناسب مع الطبيعة البشرية، ويحقق النظام التعليمي الجديد هو: (تعلم لتعمل، واعمل لتعلم).

٥- عدم توفر الداعية الكفء في المساجد:

من المؤكد أن رسالة المسجد في الإسلام تتركز في الدرجة الأولى على التربية الروحية، لمالصلاة الجماعة، وقراءة القرآن الكريم من فيوضات ربانية، ورحمات إلهية لا تنتهي ولا تنقطع... قال(ﷺ):«**صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضئ فأحسن الوضوء، ثم خرج الى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له درجة، وحطت عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه اللهم صلي عليه، اللهم أرحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة**»[1].

وقال (ﷺ):«**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله تعالى، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[2].

---

(١)البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ح١، تحقيق البغا، مصدر سابق، ص٢٢٥، رقم الحديث (٦٢٠).

(٢)مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ح١٧، مصدر سابق، ص٢٤ رقم الحديث(٦٧٩٣) (جزء من حديث).

www.iqra.ahlamontada.com

للمسجد دور هام في توعية المسلمين مثل دور البيوت والمدارس نحو تربية الفرد، وقد يفوق المسجد دور البيوت والمدارس في قوة التأثير والنفوذ، ولكن ذلك يتوقف على إدراك مكانة المسجد ورسالته والقيام بأعماله ونشاطاته على الوجه الصحيح وإلا فإن تأثيره يكون ضعيفاً ولا يعمل عمله إلا في نطاق ضيق محدود.

المسجد مكان مناجاة الله ودعاؤه وأداء العبادة له وحده فقد قال الله سبحانه و تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[1].

وبذلك تصبح مكانة المسجد لدى المسلم عظيمة ومهمة ولا يبقى مكاناً للصلاة والعبادة وحدها، بل يكون مكاناً للتعليم والتربية كذلك.

ونظام المسجد شامل ومتكامل يحتوي النواحي المختلفة من الحياة ويؤثر فيها فاجتماع المسلمين كل يوم خمس مرات في المسجد واصطفافهم واتفاقهم على أداء الكلمات والمعاني ينشئ فيهم روح الوحدة والتضامن ويدربهم عليها، وإن الخضوع لله والخشوع له مع استحضار ما يقوله من كلمات الدعاء والعبادة والتوبة من المعاصي والخطايا، والرجوع الى حياة طاهرة نزيهة، في جو ديني يغشاه على فكره وعقله يترك آثاراً وملامح باقية خالدة في حياته العملية والسلوكية.

وهذه العملية تتكرر في اليوم خمس مرات وتمارس مرة في الأسبوع على مستوى واسع كبير، إذ يجتمع الناس من كل صوب ومن كل طبقة في مكان واحد يؤدون هذه الفريضة الجماعية ويستمعون إلى خطبة فيها دعوة وتربية وتذكير.

المسجد هو الذي يضم شتات المسلمين، يجمعون فيه أمرهم، ويتشاورون لتحقيق أهدافهم، ودرء المفاسد عنهم، والتعاون لمجابهة المشكلات، وصد العدوان عن عقيدتهم، وعن أنفسهم، وأموالهم، بل هو المعقل الذي يلجؤون فيه الى بارئهم، يستمدون منه السكينة والقوة والعون، ويُعْمِرون قلوبهم بشحنة جديدة من الطاقات

---

(١)سورة الجن: الآية (١٨).

www.iqra.ahlamontada.com

الروحية، بها يمنحهم الله صبراً وبأساً وإقداماً ووعياً وتبصراً ورباطة جأش، وبعد نظر وتفاؤلٍ ونشاطٍ.

كان للمسجد في صدر الإسلام وظائف جليلة أهمل المسلمون اليوم عددا منها، فقد كان منطلقاً للكتائب والجيوش وحركات التحرير، وعقد الألوية وتنصيب الأمراء لإخراج الناس من عبادة العباد والأوثان إلى عبادة الواحد الديان، ليتشرفوا بعبوديتهم لله وحده، وكان المسجد مركزاً تربوياً، يربى فيه الناس على الفضيلة، وحب العلم، وعلى الوعي الاجتماعي، ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في الدولة الإسلامية التي أقيمت لتحقيق طاعة الله وشريعته وعدالته ورحمته بين البشر، وكان المسجد مصدر إشعاع خلقي، يتشبع فيه المسلمون بفضائل الأخلاق وكريم الشمائل.

وبقي الأمر على هذا بين مد وجزر، تطغى الأغراض الدنيوية حيناً على بعض المنظمين لرواد المساجد، ممن كانوا يسمون علماء، فتنقلب حلقاته إلى موارد للرزق، ومعاقل للتعصب المذهبي أو الطائفي أو الشخصي!! من الحقائق الناصعة أن المنابر هي أوسع الصحف انتشاراً، فمن يستمعون إلى خطبة الجمعة أكثر ممن يقرؤون الجرائد ويسمعون الإذاعة ويشاهدون التلفاز، فسماع الخطبة يشترك فيه العالم والجاهل والمتعلم والأمي والصغير والكبير والرجل والمرأة.

وإذا كان خطيب المسجد وإمامه ذا اقتدار على الاقناع، وتملك لناصية الكلام وصاحب ذهن منفتح، وعين مراقبة، واذن واعية، وملاحظة يقظة.وقبل ذلك يرجو وجه الله ويخشى عذابه، ويرى أن صناعة الأطهار والأبرار والسائرين على طريق الأنبياء طريق النور والخلاص والرجاء ـ أقول إذا كان كذلك اجتذب الناس إليه وتعلقت القلوب والأنظار به، وأحاطة الناس بالتجلة والاحترام، فانصاغت قلوبهم لأمره، وهفت نفوسهم لنصيحته فعلا قدره وأصبح مفسرهم ومحدثهم وحلال مشاكلهم.وهذا كتاب الله وأحاديث رسول الله يحذران من التظاهر القولي دون العمل، فالله تعالى يقول:

www.iqra.ahlamontada.com

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1]

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[2].

ويقول الرسول (ﷺ): « **يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار، برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون أي فلان ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟قال:كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وانهاكم عن المنكر وآتيه** »[3].

يقول الشيخ محمد أبو زهرة (لا شك أن الخطابة منصب خطير ومرتقى صعب المنال، لايصل إليها طالبها بيسر بل يحتاج مبتغيها إلى زاد عظيم، وصبر ومعاناة، واحتمال المشاق ليصل الى تلك الغاية السامية) [4].

وجميع آداب الداعية مصدرها ثلاث صفات:

العلم: فليعلم مواقع الدعوة وحدودها ومجاريها وأساليبها.

الورع: ليردعه عن مخالفة معلومة فما كل من علم عمل بعلمه، بل ربما يعلم أنه مسرف في العمل وزائد عن الحد المأذون فيه شرعاً، وليكن كلامه ووعظه مقبولاً فإن المستمع يهزأ به إذا وعظ وتكلم ويورث ذلك جرأة عليه.

حسن الخلق: ليتمكن به من اللطف والرفق، والعلم والورع لا يكفيان فيه، فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق، وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط

---

(١)سورة البقرة: الآية (٤٤)

(٢)سورة الصف: الآية (٢ ــ ٣)

(٣)البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ح٢، تحقيق البغا، مصدر سابق، ص١١٠٥، رقم الحديث (٣٠٩٤)

(٤)إبراهيم، أبو عائش عبد المنعم: فقه الخطابة وزاد الخطيب، مكتبة الإيمان، مصر، المنصورة. ص ٩.

www.iqra.ahlamontada.com

الشهوة والغضب، وبه يصبر الداعية على ما أصابه في دين الله، وإلا فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بشتم أو ضرب نسي الدعوة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه.

فهذه الصفات الثلاث اضافة إلى المثابرة بها تصير الدعوة في المسجد من القربات وبها تندفع المنكرات، وإذا فقدت لم يندفع المنكر ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم: **«لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهي عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه»**[1] قال الحسن البصري: (إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به وإلا هلكت) [2] وقد قيل:

ولاَ تلُمِ المرء على فعله	وأنت منسوب إلى مثله
من ذم شيئاً وأتى مثله	فإنما يزرى على عقله

ولسنا نعني هنا أن الدعوة تصير ممنوعة ولكن يسقط أثر الداعية عن القلوب بظهور مخالفته للناس، وأوصى بعض السلف بنيه فقال: إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر[3].

ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف، فقال حاكياً على لقمان: ﴿يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾[5].

ولو أننا استطعنا اختيار عناصر جيدة في الدعوة، وأضفنا إلى ذلك محاولة تجويد من لا يجيدون بالتدريب والتأهيل والإمداد بالكتب والدورات والاستماع إلى كبار الدعاة لحسن مستوى أداء الدعاة في المساجد، بالاضافة إلى مكتبة المسجد وحلقات

---

(١) حديث "لم أجده هكذا، وللبيهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبنه عن جده (من أمر بمعروف فليكن أمره بالمعروف). الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، ح٧، مصدر سابق، ص ١٢٣٤.

(٢) الغزالي، محمد: احياء علوم الدين، ج٧، مصدر سابق، ص ١٢٣٤.

(٣)المصدر نفسه، ح٧ ص ١٢٣٥.

(٥) سورة لقمان: الآية (١٧).

www.iqra.ahlamontada.com

الدروس ودروس التقوية، ونشاط أهل الحي، وترتيب الزيارات بين الصالحين من رواد المسجد بعضهم وبعض، وبينهم وبين غيرهم، كل ذلك مما يجعل الفرصة للتغلب من الدين أقل، وحين يمتلئ وقت الشباب بالدراسة أو العبادة أو بالرياضة أو بالعمل الاجتماعي تقل لديه فرصة الفراغ، وهو كما قيل:

إن الشباب والفراغ والجدة   مفسدة للمرء أي مفسدة

حسب المسجد قوة أنه دار العلم والعمل والعلاج والترويض وتتويج القادة، وهو مرآة نظافة المجتمع قلوباً و أثواباً ووحدته جماعاتٍ وأفراداً، ولا يحيكن لصدر داعية أنه أقل خطراً أو شأناً من غيره، فإن من ينطق بخير الكلم ويجيش بأحلى ما نطق به بشر لا يضيره أن يتجهم جهول أو حاقد أو حاسد أو مستعمر له، وحسبه أن له من الثواب مثل عمل من يدعوهم يسبق عمل الداعية قوله. وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم إلى الشيء ثم يفسره وأنه على بصيرة كما نطق القرآن، وأن طريقة خير الطرق فهو كما نقرأ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[1].

والنبي (ﷺ) القدوة لكل ناصح وداعية، فكلما اقتدى الخطيب بهدي النبي (ﷺ) نال من النجاح بقدر موافقته وتوفيق الله (ﷻ) له. وفي أغلب الأحيان يترك عدم وجود الداعية الكفء فراغاً في الحي الذي لا يوجد فيه الداعية الكفء، إذ يحس الناس بإنخفاض صوت الدين فيه أو بإنعدامه، وهي حال تعطي لكل ناعق أن يدعو بما يريده.

أيها الدعاة:

نحن لا نشكو القلة في العلماء والفقهاء والمفكرين والدعاة فعندنا ـ والحمد لله ـ علماء مبرزون في الفقه والتشريع وعندنا كذلك أدباء مشاهير وخطباء مصاقع ودهاقنة في الفكر والسياسة والثقافة والتاريخ... ولكن نشكو قلة الدعاة المخلصين، والموجهين المرشدين، والفقهاء الجريئين، والعلماء الأبطال، ونشكو ندرة الرجال الذين لا تأخذهم

(١)سورة الفاتحة: الآية (٦)

www.iqra.ahlamontada.com

في الحق لومة لائم، ولايستسلمون للخزي والهوان، أو يخضعون للقوة والجبروت. أليس من المحزن والمؤسف ـ أيها الدعاة ـ أن ننقسم إلى فرق وجماعات، ونتفرق الى كتل وأشياع.كل جماعة بما لديهم فرحون، ونحن نظن أننا ندعو إلى الإسلام ونحقق نصراً للإسلام ونحقق في المجتمع وحدة المسلمين، وعزتهم المنيعة؟

فما حال تفرقنا وتنافرنا وفراغنا إلا كحال من قال الشاعر في حقهم:

وما شكواي أو شكواك إلا ... لفوضى في المجامع وانقسام

ترى كلاً له أملٌ وسعيٌ ... وما لاثنين حولك من وئام

لكل جماعة فينا إمام ... ولكن الجميع بلا إمام

إن الوصول الى تحقيق الدعوة مع النصر لا يتحقق إلا بجهة قوية تضم أكبر عدد من العلماء العاملين، والدعاة الصادقين، حيث ينضوي الجميع تحت لواء الاسلام ومن السهل أن نصل الى وحدة الصف، وجمع الكلمة إن نحن تجردنا لله واخلصناله، وجعلنا قضية الإسلام فوق المصالح الشخصية، والزعامات الفانية ومتاع الدنيا الزائل.

٦–وسائل الإعلام وقلة البرامج الدينية:

الإعلام هو "جهد فني علمي مدروس ومخطط ومستمر وصادق من قبل قائم بالإتصال هيئة كانت أم جماعة أم فرداً، لديه خلفية واسعة ومتعمقة في موضوع الرسالة التي يتناولها، ويستهدف الإتصال بالجمهور العام، وهيئاته النوعية وأفراده بكافة إمكانيات وسائل الإعلام والإقناع، وذلك بفرض تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته"[١].

وسائل الإعلام:

تتعد وسائل الإعلام وهي على الشكل التالي:

١- الوسائل التقليدية:

١- حركة. ٢- الكلمة الطيبة. ٣- الآذان. ٤- الخطبة. ٥- المحاضرة. ٦- الندوة.

---

(١) حجاب، منر: مبادىء الاعلام الاسلامي، المطبعة العصرية، الاسكندرية، ١٩٨٢، ص١٣٥.

www.iqra.ahlamontada.com

٧- المناظرة والحوار. ٨- الشعر. ٩- الكتاب. ١٠- القدوة الحسنة.

٢- الاتصال الشخصي والاتصال الجمعي:

٣- الوسائل المستحدثة من مطبوعة ومسموعة ومرئية:

١- المسرح. ٢- الصحف. ٣- وكالات الأنباء. ٤- الاذاعة. ٥- السينما. ٦- التلفاز. ٧- الأقمار الصناعية[1].

مع تعدد الوسائل الإعلامية ولكن سنحصر دراستنا بالوسائل المستحدثة.

وساكتفي بالحديث عن الصحف والإذاعات، والقنوات الفضائية والتلفاز والإنترنيت.

أ – الصحافة:

الصحافة في العالم هي قلب الأمة النابض... وهي منبرها الحر، وضميرها الحي... وهي علامة مميزة من علامات الرقي والإزدهار.

والصحافة أيضاً هي المنظار الذي ينظر به الفرد إلى الأحداث فتنطبع في ذهنه فور أن يقع نظره عليها... وهي تؤتى خير الثمار، وأحسن النتائج إذا ما استهدفت الصالح العام... فلا تنزلق ولا تسف ولا تخضع للهوى.

فقد ظهرت في مختلف البلاد العربية مجلات تتولى تحت شعار الفن وأهله تمييع الخلق الإسلامي وتذويب الشخصية الإسلامية وضرب كل القيم وهي مجلات جنسية وإباحية تعمل على الفتك بأخلاق الشباب والشابات من المسلمين وإغرائهم بالتحلل وتزين لهم المعاصي والرذائل من كل لون.

ويمكن القول بأن أخطر ما تدعو إليه الصحافة وتلح عليه وتعمل له هو تثبيت الواقع الخاطئ الذي شكلته عادات وتقاليد ومفاهيم دخيلة ووافدة استمرت فترة طويلة حتى أصبحت من المسلمات مع الإيحاء بإستحالة تغيير هذا الواقع أو الكشف عن

---

(١) سعد الدين، محمد منير: الإعلام قراءة في الإعلام المعاصر والاعلام الاسلامي، دار بيروت المحروسة، بيروت، د ر، ١٤١١هـ ١٩٩١م، ص٦٣ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

زيفه في ضوء الإسلام ومفاهيم الدين الحق واستمرار البناء على هذا الواقع الخاطئ، ومن هنا كانت ضرورة الكشف عن هذه الزيوف وخلفياتها[1].

لقد كانت الصحافة ولا تزال أخطر وسائل التوجيه والتثقيف، فهي الزاد اليومي الذي يصل الى أيدي الناس جميعاً، وهي بأبوابها المختلفة من قصة ومسرة وكرة وجريمة وفن وأدب وسياسة واجتماع ودين قادرة على تقديم مفاهيم من شأنها أن تحمل قراءها على تقبلها والإقتناع بها عن طريق الخبر والصورة والكريكاتر والتعليق. وهي قادرة أن تقدم وجهة النظر التي تراها متفقة مع الخط الذي تدافع عنه، فهي تستطيع أن تصغر ما تعارضه وتكبر ما تدافع عنه، ومقياسها في هذا تلك الخلقية التي تحكم المشرفين عليها، ولقدكانت الصحافة في هذه المرحلة على خط واحد تحمل طابع الوطنية وتتحمس له في عبارات طنانة وتخفي غاياتها الخطيرة التي لا تنكشف إلا في المجالات الاجتماعية وصفحات المرأة والمسرح والجريمة فتلك هي الميادين التي يمكن بث السموم من خلالها وهدم قوى الشباب وتحطيم إيمانه، ومنذ وقت طويل كشف (هاملتون جب) عن خطة الصحافة العربية فقال: إن معظم الصحف اليومية العربية واقعة تحت تأثير الآراء والأساليب الغربية فالصحافة العربية لا دينية في اتجاهها (secocas)[2].

ب – الإذاعة:

كانت درجات الصوت في العصور الماضية تتفاوت بين الخفيض والمتوسط والجهوري وهي درجات محكومة بقوة محدودة، أما اليوم فقد تغير الحال، فتضاعف مدى الصوت بلايين المرات، وامتد حتى اخترق القارات ونفذ إليها، فكان ما يسمى بالإذاعة الصوتية وهي الصوت على موجات الأثير[3].

---

(١) الجندي، أنور: الصحافة والأقلام المسمومة، دار الاعتصام، القاهرة، ص ٢١٣، ٢١٤ (بتصرف).

(٢)الجندي أنور: الصحافة والأقلام المسمومة، مرجع سابق، ص ٨.

(٣) سعد الدين، محمد منير: الإعلام، مرجع سابق ص١٤٢.

www.iqra.ahlamontada.com

فمنذ قرن من الزمن أدرك الغرب أهمية استخدام الإذاعة لنشر أفكارهم وسمومهم في شتى أنحاء العالم.. كان المذياع هو الوسيلة الأمثل للوصول إلى الناس سريعاً وفي مناطق بعيدة والأميين منهم والمتعلمون على حد سواء.

ولا شك أن الإسلام والمسلمين كانوا في مقدمة الأغراض المستهدفة بهذا النشاط.

والذي يتأمل أنواع الإذاعات وتوزيعها على خارطة الأثير، واللغات واللهجات التي تستخدمها، سوف يدرك دون جهد كبير أنها تولى كل اهتمامها وعنايتها بمناطق الإسلام والمسلمين في آسيا وأفريقيا.

إن هذا الجهاز أصبح أشد أثراً وخطراً في نفوس الملايين، خاصة كلما كانت البيئة قليلة الحظ من الثقافة والتعلم والفراغ فهو يخاطب الأمي والجاهل والفرد الفارغ، حتى أصبحنا نرى الراعي في حقله وهو يرعى قطيعه يلتقط هذا الجهاز الصغير المسمى " ترانزستور"، ذلك الجهاز الذي يحمل له التعليق السياسي المدروس الموجه، والأغنية الهابطة، والخبر المكذوب، وتوافرت الأجهزة في البيوت، والمقاهي، والمطاعم، والبواخر، والسيارات، والقطارات، كل هذا لأن الإعلام الإذاعي لايتطلب من المستمع إليه مقدرة ثقافية معينة، كما هو الحال بالنسبة لوسائل الإعلام الأخرى[1].

لقد بسطت الإذاعة نفوذها على الحياة الاجتماعية في المجتمع المتحضر الحديث، وأصبحت أكبر مرب وموجه لها، إنها تستهوي الناس وتقوم بتربيتهم الفكرية والعاطفية، ويركز في برامج الإذاعة على جانب التسلية والترفيه حتى يجد فيها المستمعون متعة ولذة[2].

إذا لقد بسطت الإذاعة دائرة نفوذها بسعة استخدامها الذي يقوم به أرباب المسؤولية الإعلامية لتمهيد السبيل لتحقيق أهدافهم التوجيهية والتعليمية، وتطورت الإذاعة بناءً

---

(١) سعد الدين، محمد منير: الإعلام، مرجع سابق، ص ١٤٧.

(٢) الندوي، محمد الرابع الحسني: التربية والمجتمع، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ، ١٩٩١ م ص ١١٠ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

على خطورتها البالغة الدقيقة يساعد في تحقيق أهداف القائمين عليها، وهي تتطلب على سبيل المثال أن يكون الصوت فيها على مستوى يدركه المستمعون ويألفونه، فقد أصبحت العملية الإذاعية من أهم الوسائل الصوتية وأشملها وأبعدها تأثيراً ونفوذاً، وهي أشد تأثيراً على النفوس وقد سهلت بشكل كبير نقل الأصوات والأفكار والمبادئ والعادات الى المجتمعات. والإذاعة اليوم بدأت تلعب دوراً كبيراً لتحقيق الأغراض الشاملة في هذا المجال.

ج – القنوات الفضائية والتلفاز:

التلفاز:

ولما تطورت الإذاعة تقدمت من النطاق السمعي إلى النطاق البصري كانت تبث الصوت عبر الموجات الهوائية أولاً فبدأت تبث الصور كذلك، وتم اكتشاف هذا النوع الجديد من الإذاعة، وهو يسمى التلفاز. كان الناس فيما قبل ذلك يشاهدون الأفلام السينمائية في دورها. وكان تأثير مشاهدتها مما أكدته التجارب أن الأفلام السينمائية كان تأثيرها أشد على أخلاق الحياة الشعبية وسلوكها بالنسبة إلى أي مؤثر آخر، وإن أرباب الصناعة السينمائية مهما كانت أغراضهم لايكترث أصحابها بما إذا كانت تترك آثاراً صالحة أو فاسدة على الحياة الاجتماعية، وإن الأساليب أو الوسائل التي يتخذونها لإدخال روح التسلية والمتعة والترفيه فيها تقطع بأن لاسبيل إلى أن يرجى منها ظهور آثار صالحة بناءة ـ فبدأوا الآن يحصلون على أشرطتها ثم يشاهدونها على شاشة التلفاز، فعمت الآن الآثار السيئة الفاسدة للسينما واصبحت الحياة الاجتماعية تتأثر بتلك الإتجاهات والمشاعر التي تعرضها الأفلام السينمائية والتلفاز في نطاق واسع من انتشار (الفيديو) أولاً والـ(CD) ثانياً ، فهي التي تحافظ على آثار تلك الأفلام بشكل دائم سهل وميسر.

لقد أصبح التلفاز من أخطر وأهم أقنية الإتصال لدى الجماهير في هذه الأيام، إذ قل أن نجد بيتاً في جزء من العالم غني أو فقير يخلو من جهاز التلفاز.

www.iqra.ahlamontada.com

فقد أصبح عين الإنسان وأذنه في العصر الحديث إن صح التعبير واستغل هو وغيره من وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري المرئي والمسموع لترويج صناعة مربحة هي صناعة الثقافة [1].

إن البث التلفازي المستمر طوال النهار يوصلنا الى حقيقة مريرة مؤلمة يؤسف لها، ذلك أن مثل هذا البث من قنوات عدة وأقمار مختلفة إنما يكون على حساب راحة الفرد، وطمأنينة الأسرة، وأعصاب الأبناء، وأعين المشاهدين، وتحصيل الطلاب المدرسي، وجودة العمل وحسن العبادة، بحيث يبدأ الفرد المشاهد للتلفاز والقنوات الفضائية يومه بالجلوس إلى الصور الملونة، والبرامج الهابطة الضاحكة ، والمسرحيات المضحكة، والمسلسلات العنيفة القاتلة، والافلام الجنسية الرخيصة المشينة والمثيرة، بعضها فوق بعض، منذ الصباح الى المساء ومن المساء حتى الصباح فأكثر ما يقدم في قنواتنا عبر التلفازمن برامج غير مهدفة أو موجهة أو مسؤولة إنما تشد مشاهديها إلى العنف والقتال والضحك والجنس العاري المفضوح، والسخرية والتهكم... الخ [2].

فمن المعلوم يقيناً أن الإعلام اليوم إن استخدم في الشر يعد من أقوى الوسائل في إفساد المجتمع وتمييع الشباب، وانحلال أبناء الأمة، وتحرر الرجل والمرأة من ضوابط الأخلاق، وفضائل الدين.

ذلك لأن الإعلام يخاطب الملايين من البشر ببرامجه وكلماته وتوجيهاته وأكثر هذه الملايين - بسيطة ساذجة فطرية منقادة ذات مصالح وأهواء... تؤثر فيها الكلمة المقروءة، أو المسموعة أو المنظورة.... ومن المؤسف حقاً أن وسائل الإعلام في كل المجتمعات الإسلامية إلا ما رحم ربي - ناهيك عما يرسل مهدف إليها - ومسخرة لإشاعة الفاحشة والمعصية، والإغراء بالجنس والجريمة، والسعي بالفساد في الأرض... وقد ترتب على ذلك خلخلة وفراغ في العقيدة وتحطيم للأخلاق وهدم للقيم

---

(١) سعد الدين، محمد منير: الإعلام، مرجع سابق، ص ١٥٥.

(٢) المرجع نفسه، ص١٦٣ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

والمثل....للبرامج الدينية وجود غير منكور على خرائط وسائل الإعلام المختلفة، فهناك الافتتاح بالقرآن الكريم ثم بعده حديث الصباح، وحديث.... وأحاديث بعض العلماء والشيوخ ضمن الأسبوع، وبعض الدروس والاحتفالات ونور على الطريق ونور على الدرب والصحيفة الدينية الاسبوعية إن وجد. وغيرها وغيرها.كثيراً مايفتح البث بآيات من القرآن يعقبها فوراً عرض للبرامج يرافقه رقص ضليع على أنغام رخيصة ففي رمضان وبعد أذان المغرب مباشرة تبدأ الرقصات والنغمات والتأوهات والتفاهات تحت مسمى برامج خفيفة للتسلية والترويح.. فالصوم مُجهد، الرقص منعش.

ولكن هنا بعض الملاحظات حول تلك البرامج ومنها:

أ – **قلتها بالنسبة إلى غيرها**: فلو أحصينا الوقت الذي تعمل به أجهزة الإعلام لوجدنا ٢٪ إلى ٥ ٪ مثلاً أو أكثر حسب وسيلة الإعلام وبلد البث ومن المعلوم أن النفس البشرية تنسى ولابد لها من تذكير ودوامه في زحمة الحياة اليومية المعاصرة، وهذا يتطلب توزيع البرامج الدينية وسط البرامج الأخرى حيث تغطي أوائلها وأواسطها وأواخرها، فللغناء مستمعوه وبريقه، وللمسلسلات الهادفة استهوائها، وحتى برامج الرسوم المتحركة الصالحة لها محبوها..الخ[١].

ب – **إن البرامج الدينية تأتي جافة** حتى مكان البرامج (الاستديو)التي تصور فيه يلاحظ عليها عدم العناية، كما أن إخراجها لايحوي شيئاً مما يجذب انتباه السامع أو الرائي، وبالتالي فهي مفتقرة الى عنصر التشويق والجذب والجمالية، وهو عنصر مهم في الاستيلاء على أعين وانتباه الناس وحسن توجيههم.

ج – **الافتقار إلى الإعداد الجيد**، فبعض الموضوعات تأتي غير مدروسة بما فيه الكفاية والعناصر التي اختيرت ليست على مستوى جيد يضمن لها الاقناع والإحاطة بجوانب الموضوع المطروح، وبعض تلك العناصر فيما يبدو اتت من باب المجاملة او

---

(١)طاش، عبد القادر: الإ علام وقضايا الواقع الإسلامي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، ص ٦٣ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

المحاباة، ومما يجذب الانتباه أن بعض الموضوعات مما لايشغل بال الرأي العام ولا هو قضية من القضايا الملحة، قد يقال: إن لتلك الأجهزة حساسيات وأقول نعم. ولكن حتى يكون التوجيه نافعاً ولا يضيع وقتنا وجهدنا ووقت الناس وجهدهم يجب علينا أن نختار موضوعات نافعة ومتحدثين نافعين، وإلا فإننا نحرث البحر ونطحن الهواء، وللمسلسلات الدينية في الإذاعة أو التلفاز أهمية كان الواجب أن تجند لها أقلام تنقل بصحة وتفسر بالصالح ومخرجون يعملون مع أرواحهم كما يعملون بآلاتهم ومهندسون ينظرون بالعاطفة والمحبة ووجدانهم كما يصنعون من محيط صورهم وديكورهم حتى تحظى بما يحظى به غيرها، وقد يكون بعضها حظي بذلك الاهتمام ولكن معظمها لم يحظ به، ومالم يجد الناس فيها ما يجذب اهتمامهم ويستهويهم فإنهم سوف يديرون زر الجهاز على قناة أخرى أو يغلقون، أو يشغلون شريطاً للفيديو أو دسك سي دي (CD) بدلاً منه.

وحسب ترتيب الأولويات فإن مختلف ألوان التوجيه الديني يجب أن نهتم بها اهتماماً شديداً من دروس في القرآن أو في التفسير أو في الحديث أو في الفقه وإجابات على أسئلة في الفقه والحياة أو سيرة ممثلة أو قصص مروية محكية أو روايات أو مسلسلات أو أفلام، فقد أصبح لزاماً علينا أن نستعين بتلك الفنون في التوجيه الإسلامي مادام الدين هو المحرك الأول لضمائر المسلمين وسلوكهم، وهو صانع الفرد الصالح المخلص الحر.

والناس فيهم ميل فطري للتدين حتى وإن تقنعوا بأقنعة يبدو فيها في الظاهر عدم الميل إلى تصديق الغيبيات، وهناك من الحوادث الكثير مما يؤدي ذلك من انقلاب من شقاء إلى هداية ومن فسق إلى نسك، والعكس صحيح.

د- قصور واضح: بالرغم من أهمية العامل أو السبب الخارجي في تفسير القصور الكمي والنوعي للإعلام الإسلامي المعاصر، إلا أننا نعتقد أنه جملة من الأسباب الذاتية كان لها أثر أبعد في ذلك القصور. ومن هذه الأسباب أو العوامل:

www.iqra.ahlamontada.com

١- ضمور الإحساس الإسلامي بأهمية العمل الإعلامي الجماهيري، لدى الكثير من العاملين للإسلام سواءً أكانوا أفراداً كالعلماء والمشايخ أم جماعات وتيارات.

٢- عدم نضوج الرؤية الإسلامية الشاملة لمفهوم الإعلام بسبب قلة الخبرة العملية وغياب التأصيل العلمي مما أدى إلى حصر هذا المفهوم فيما يمكن أن نسميه بـ "الإعلام الديني المتخصص".

٣- ندرة الكفاية الإعلامية الإسلامية التي تتمتع بالتأهيل المطلوب لممارسة عمل إعلامي مميز.

٤- ضعف الانتشار للإعلام الإسلامي وهذا العمل له وجهان:

أحدهما: أن الإعلام الإسلامي في مجمله لايخاطب بمادته الإعلامية وانتاجه الفكري إلا فئات معينة في المجتمعات العربية والإسلامية.

ثانيها: إن محدودية إمكانية التوزيع في القنوات الإعلامية الواسعة تفوق انتشارها على نطاق واسع أيضاً[١].

الإنترنت:

كلمة إنترنت (Internet) هي كلمة لاتينية، وبشكل أدق كلمة إنكليزية، تتكون من جزأين، الأول:(Inter) وتعني (بين)، والثاني (net) وتعني (شبكة)، لذلك فكلمة الإنترنيت تعني (الشبكة البينية) ونستوحي من هذا الترابط بين عدد من الشبكات، وبالفعل فالشبكة هذه تشمل عدداً كبيراًمن الشبكات المترابط فيما بينها في جميع العالم.

شبكةالإنترنت أو شبكة المعلومات الدولية هي:شبكة للاتصالات أنشأتها الولايات المتحدة الأمريكية، في الستينات لخدمة عمليات التأهب السريع للقوات المسلحة الأمريكية، وذلك تحسباً لنشوب حرب نووية أو حدوث هجوم مباغت يهدد الأمن القومي....

---

(١) طاش، عبد القادر: الإعلام وقضايا الواقع الإسلامي، مرجع سابق، ص ٦٣- ٦٥ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

لكن وبعد تفكك الأتحاد السوفياتي وإنتهاء الحرب الباردة، وزوال القلق من التهديد النووي، ولم يعد لهذا الهدف العسكري معنى، فتحولت إلى الأغراض المدنية وأتسع مجالها، ومع مرور الزمن أصبحت شبكت الإنترنت شبكة من الشبكات التى تتبادل المعلومات فيما بينها دون قيد أو رقيب.

والآن يستطيع الفرد (والجماعة) في أي عمر أو عقيدة أو أية دولة أن يتعملوا مع هذه الشبكة، فيستفيدون من الأفكار والأراء والمناقشات والكم الهائل من المعلومات.. دون رقابة من أحد...

ومن هنا فلا بد من تسليط الأضواء على الجوانب السلبية للإنترنت، وذلك بهدف التحذير منها ومحاولة وضع حلول وقائية ودفاعية، بل وهجومية ضدها.

كما أنه لاينكر أن له جوانب إيجابية من حيث كونه فيه الخير ونعمة أنعم الله بها على العصرويمكن الاستفادة منه في كثير من القضايا.

إذاً للإنترنت سلبيات ويمكن جلب الضرر من خلاله، و يمكن أن تحددهذه السلبيات:

١- زيادة نسبة البطالة والفارغين، وذلك لاستغناء الشركات عن عدد لابأس به من العمال.

٢- تحويل غالبية الشركات العامة إلى شركات خاصة.

٣- صعوبة التحكم بالتدفق الكبير للمعلومات، بحيث بدا العالم غارقاً في معلومات مكونة من تصورات وعادات وقيم وأفكار غير إيمانية (إسلامية) وهذا من الخطورة بمكان.

٤- اقتحام الحاسوب ولخصوصيات الفرد، وتزداد خطورته إذا علمنا أنك تستطيع تكوين صورة كاملة عن أي شخص إذا ما استطعت تتبع بياناته من مصادر ثلاثة على شبكات الحاسوب:

أ - البيانات المتعلقةباستخدام بطاقات الإتمان البنكية.

www.iqra.ahlamontada.com

ب- البيانات للمكالمات المسجلة على الحاسوب.

ج- البيانات المتعلقة بتأجير والحجز في شركات الطيران وغيرها المسجلة على الحاسوب أيضاً.

١- الجرائم التي ترتكب عبر الإنترنت، هو مايطلق عليه العلماء (مافيا الحاسوب).

٢- وجود ناس مخربون، لاينتمون إلى دين ولا يرتدعون خوفاً من الله أو التزاماً بنظام، سهل الإنترنت لهم نشر صفحات لهم، وقد يكون الأمر أخطر إن كان القائمون بهذا جماعات هادفة إلى تخريب أخلاق الشباب والفتيات، والمنادين إلى تمييع القيم والفضائل وما إلى هنالك.

ولذلك ظهرت جرائم خطيرة، بحيث تحمل سلبيات تؤثر تأثيراً كبيراً في المجتمعات، مثل تزوير التاريخ، والسرقات المالية، والسرقات العلمية، وغيرها...

٣-أحدث الإنترنت حروباً حديثة، حيث خضع التلفزيون للعولمة، وفتُح على الناس أموراً حديثة أصبح من السهل أختراقها، وهذا مايهدد الأمن الداخلي والقومي والاجتماعي للمجتمعات.

٤-الإنترنت ثورة في المعلومات يشكل تخمة معرفية ومعلوماتية.

(فالإنترنت) هو من الوسائل المهمة والفعالة إذا استُخدم للاتصال ونقل المعلومات، وفي مجالات الإعلام والتجارة والدعوة إلى الله تعالى.

الإنترنت ليس قضية أمر ترفياً، إنما المسلمون يواجهون حالة خطيرة جداً، فإما أن نقف صفاً واحداً أمامماينشده ديننا وعقيدتنا وسلوكنا، وذلك من خلال وضع البدائل الهادفة المفيدة، وإما أن نفعل كما تفعل النعامة عندما ترى الصياد!!

فهل نبقى نفكر في قضايا فكر بها السابقون، ووضعوا حلول لها؟

أم نفكر في هذا الغزو الحديث لنعد الوسائل الناجحة لاستغلال كل ما هو متاح، وثم تطويعه لخدمة الدين الحنيف.؟!

ولابد من تطابق جميع الجهود للوقوف أمام زحف كل ماهو معاد لديننا وقيمنا

www.iqra.ahlamontada.com

وأخلاقنا وعاداتنا.....

وبالتالي لابد من التوعية، الفردية والأسرية والمدرسية.... لمواجهة سلبيات الإنترنت، وذلك نتحصين أنفسنا وأسرنا من التيار المعلوماتي الجارف والمشاركة، في بث المعلومات المفيدة على تلكم المواقع.

٧- الافتقار إلى مجتمع ديني فاهم وجاد:

إن الأفراد الذين يتكون منهم المجتمع، يجمعهم نوع من وحدة الأفكار والمشاعر، فالمجتمع في مصطلح علم النفس يطلق على المجموعات البشرية التي تجمعها وتعمل فيها الوحدة الفكرية بعوامل مختلفة وإن أهم مايلاحظ في أفراد المجتمع في وضعهم الاجتماعي والديني أن تأثير القوى الروحية فيهم معها القوة العقلية إلى حدما، ويشتد بدلأمنه تأثير العاطفة والانفعالية فيهم، وتصبح هذه المجموعة الاجتماعية والدينيةمن الأفراد وحدة تتميز بطبيعتها وأخلاقها ومعتقداتها.

ويحمل الاجتماع الإسلامي فوائد شتى:

الأولى: أنه يتيسرله أداء أعماله بحكم التضافر والتعاون، فإن الفرد بمفرده وبقواه المنفرده لايستطيع إحراز مطالبه كما يجب، وبذلك لايستطيع أن يعيش حياة سعيدة في حالة انفراده وانفصاله عن المجتمع، وإنما لابد له من الاستعانة بغيره من بني جنسه، ولن يتحقق ذلك إلا في وضع الحياة الاجتماعية.

الثانية: إنها تمنح الأفراد قوة خارقة وطاقة هائلة، فالأعمال التي يعجز الأفراد عن القيام بها منفردين تحققها الحياة الاجتماعية والدينية بسهولة ويسر.

إن الوحدة الدينية والاجتماعية (المجتمع) قوة لا تدانيها الجهود الفردية المتفرقة. كذلك الدفاع والذياد عن البلاد لن يقوم به الأفراد مثلما تقوم به الوحدة الاجتماعية وكذلك المجتمع الديني.

الثالثة: إنها تحدد مكانة الفرد ووظيفته فإن كل فرد يعمل في نطاق ضيق محدود حسب قدرته وكفايته ولكنه يجني ثمار أعمال المجتمع فكل شخص وإن كانت

www.iqra.ahlamontada.com

وظيفته ومكانته تتحدد وتتعين ولكنه يشارك غيره في الانتفاع بالنتائج التي تسفر عنها الجهود الدينية والاجتماعية وذلك يرجع إلى توزيع المهام والأعمال والطبيعة التضامنية للوحدة الاجتماعية وللمجتمع الديني[1].

في الحقيقة إن دور الجماعة في المجتمع الديني دور عظيم، ومسؤوليتها في معالجة المنكر، وقمع الفسادكبيرة.

فالإسلام يتطلب من الجماعة أن يسيروا في خطوات إيجابية ومراحل دعوية... إن أرادت أن تأخذ موقعها في المواجهة والاصلاح والتغير وإن أهم الخطوات والمراحل هي:

أولاً: أن نكون مجتمعاً اسلامياً قلباً وقالباً في صف واحد في صفوف الأمة الإسلامية المخلصة المجاهدة في الحياة التي آمنت بالإسلام ديناً ودولة وحياة وبالقرآن منهجاً وتشريعاً وبالتاريخ الإسلامي قدوةً واعتزازاً... وبالدين الإسلامي روحاً وفكراً... وبالوحدة والمحبة والدعوة اندفاعاً وحماسة... لنشكل بها ومعها وحدة ومجتمعاً لأن يد الله مع الجماعة، ولأن العمل الفردي اليومي لا يعطي ثماره المرجوة في الإصلاح والتغيير، ولأن الذئب لا يأكل من الغنم إلا القاصية.. فالقرآن الكريم يأمر الجماعة والمجتمع الإسلامي. ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[2].

وقال سبحانه: أن يتخذوا المؤمنين انصاراً وأولياء ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[3].

وأن يكونوا من الأمة مجموعة تقوم بدعوة الناس إلى الخير، وتعريف الباطل وبيان الفساد والمنكر ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[4].

---

(١) الندوي: محمد الرابع الحسني: التربية والمجتمع، مرجع سابق، ص٢٠-٢١، (بتصرف).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٠٣).

(٣) سورة المائدة: الآية (٥٦).

(٤) سورة آل عمران: الآية (١٠٤).

www.iqra.ahlamontada.com

وقال الرسول (ﷺ): «**عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة، وإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد**»[1]. وقال (ﷺ): «**من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**».

إذا يجب على المسلمين أن يلتزموا مجتمع المسلمين ليعملوا معهم في إقامة حكم الله في الأرض، وإصلاح ما فسد فيها من منكرات في المجتمعات ولأن معظم تكاليف الإسلام جماعية، ولا يستطيع الفرد أن ينهض بها بنفسه ولا أن يمارسها بشخصه... بل لابد أن يكون يعمل في جماعة ومجتمع ولابد أن ينسق معها.

ثانياً: أن نبلغ وندعو منطلقين في التوعية بهمة عالية مستعلية[2]، وعزيمة جبارة... لإنقاذ المجتمع الإسلامي مما يعانيه من بعد وفساد وخلل، ومما يصيبه من فرقة وتمزق، ومما يُسَدَّد إليه من سهام التآمر والعدوان.. وما يبيت له من مخططات المنافقين... ومن بعده المجتمع الإنساني مما يسوده من كفر وضلال وإباحية تحقيقاً لقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[3].

هذا ما يجب أن تدركه الأمة الإسلامية والمجتمع المسلم، لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة الأمم، والنموذج الهادي القائد. بما أنها الأمة الخيرة وخالقها يريد منها أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض.

---

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين: شعب الإيمان ح٧، تحقيق زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ص ٤٨٨، رقم الحديث (١١٠٨٥) ـ المناوي، محمد المدعو عبد الرؤوف: فيض القدير، ج٦، مصدر سابق، ص ٤٥٩، رقم الحديث (١٠٠٠٤) ـ السيوطي، عبد الرحمن: الجامع الصغير، ح٢، مصدر سابق، ص٦٥٥.

(٢) استعلى: رقيه وصعده. ـ مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، ح٢، مرجع سابق، ص٦٣١.

(٣) سورة آل عمران: الآية (١١٠).

www.iqra.ahlamontada.com

ثالثاً: أن تكون جماعة ومجتمعاً مادة الحياة فيه مادة الدعوة التي ندعو إليها بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة والمنطق العقلاني المقنع السديد... فحين يدعو المجتمع لمواجهة الإنحلال والفراغ، والتصدي للتسيب والميوعة والإمتناع عن الفحشاء والمنكر... مجتمع صورة بنائه التشريع الالهي ومادته أفعال جهادية (أولها مجاهدة النفس الأمارة وطلب العلم والسعي في الأرض وإعمارها بالخير...).

يطلب من الدعاة تبصير الناس والأمة والمجتمع بالإخطار الجسمية والنفسية والعقلية والدينية والخلقية والاجتماعية التي تترتب على أي عملية إفساد أو معصية، والجري وراء الشهوات والمتع وفي ضوء ما أثبته التجارب وعرفه العلماء من أضرار وأخطار، فبهذه التبصرة والقناعة يستجيب الناس للدخول من جديد في دين الله أفواجاً، ويقبلون النصح ويكفون عن المحارم والموبقات ويملأ الفراغ مرة أخرى فلا فراغ بيننا وإلا فنكون كمن يصرخ في وادٍ، وينفخ في رماد.

نريد أيضاً جماعة تعمل في النور، لها من يقودها قيادة واعية عاقلة التي تعمل نهاراً جهاراً على الملأ، فإن هذه الجماعة سوف تستقطب الكثير من أبنائنا، وهم إذا تعلموا الإسلام تعلم علناً ومن مصادره الواضحة الحقة، وإذا مارسوا الدين مارسوه واضحاً جلياً وإذا مارسوا الرياضة مارسوها علناً وعلى مرأى ومسمع من الناس جميعاً، ويصبح لها نظامها وفروعها ومدارسها وأنشطتها.

ويكون لها برنامج عقدي وخلقي ورياضي، لبناء الروح فيه نصيبه، ولبناء العقل فيه نصيبه، ولبناء الجسم كذلك نصيبه، وهذا البرنامج برنامج يضع في اعتباره التربية والتعليم وكفى، دون الميل إلى التهاتر أو الاستعراض أو التعرض والمجادلة لما يؤدي إلى إجهاض المجتمع والجماعة الإسلامية، ومع اتساع النشاط يتعرف الناس عليها أكثر، وقد أصبح لها مجلة أو صحيفة أو إذاعة أو قناة فضائية أو غير من وسائل الدعاية والدعوة، والمهم أن تتجنب ما يؤدي إلى إجهاضها، قد يوجد في المدارس جماعة الخطابة أو الشعر أو المسرح أو.. أو.. الخ وليس هذا كافياً في تنشيط الحياة

www.iqra.ahlamontada.com

من الناحية الدينية، إنما يكون بتنشيط الاهتمام بالقرآن حفظاً وتلاوةً، وتفسيراً وأسلوباً للحياة وبالسيرة النبوية منهجاً وأسلوباً وبحياة الصحابة قدوة وأسوة، وبالأخلاق الإسلامية تطبيقاً وحفاظاً، وبالمودة والألفة والأخوة وعون الشباب على أعباء الحياة وأثقالها وانتشالهم من بين براثن دعاة الشر والفساد من الإنس والجن، ومالم يجد الأفراد جماعة تجمعهم على الخير والحق، فإنهم سوف يجتمعون على الشر والإفساد... وغيرها.

إن الفرد في المجتمع الإسلامي الآن يحس بانقطاع الأواصر بينه وبين غيره، فأين المحبة والتزاور؟ وأين حل مشاكل الناس بعضهم مع بعض؟ وأين.... وأين.... وأين؟ ومما يستنتج بأن هناك أسباب منها:

أولهما: أن الناس يأتون وكل منهم منشغل بنفسه ينوء بأحمال ثقال تجعله لا يفكر في غيره، ربما لاتساع مساحة مطالب الحياة، وربما لغيبة الوازع الديني الذي يوقظ في المسلم انتماءه وأخيه إلى عقيدة واحدة وأمة واحدة، تجعل من الضروري أن يسأل عنه.وربما فراغه الذي يعيش معه على هامش الحياة وأطرافها.

ثانيهما: أن بعض الأنظمة يهمها أن تبقي الأواصر مقطعة، فتجمع الناس يشكل خطراً ولذلك تحظر الزيارات والولائم والتجمعات وتمنع أي ظاهرة فيها لقاء وتجمع ويحس الناس أن أعين الرقباء تلاحقهم ولسان حال الأمر ـ فرق تسد ـ وعموماً فإن الدين في حاجة إلى مجموعات يكون نشاطها وفكرها قد تبدأ فردياً ثم أسرياً ثم إقليمياً ثم تزداد اتساعاً حتى تصل إلى مرحلة مرضية واسعة وحبذا لو كانت عالمية شعبية تخدم الإسلام والمسلمين جميعاً على مستوى العالم الإسلامي أجمع ومن الطبيعي أن يكون لها إعلامها ودعايتها بشكل كبير واسع... الخ[1].

---

(١)حوى، سعيد: دروس في العمل الإسلامي، دار الوثائق، د مشق، الطبعة الأولى، ١٩٨١، ص٢٤ (بتصرف).

ـــ أبو الأعلى المردوي، تذكرة دعاة الإسلام، دار العدالة، القاهرة، در،دت، ص٢٠ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

٢- النتائج:

يراد للأمة من خلال فراغها - أن تذهب شخصيتها، ويضيع تراثها الحضاري، وينفرط عقدها، ويذهب ريحها فيتسول لها المبادئ، والشعارات، والقوانين واللوائح، والشعائر والثقافات، واللغات.

يراد للشباب أن يلهو ويمرح، ويتخنث ويجري وراء الأهواء والشهوات، ويعيش في الوهم، لا في الواقع، ويلهث وراء الأباطيل، ويذر الحقائق تتجاذبه، اختلاف الدعوات، واختلاط الصيحات، وتعدد المناهج، وتباين الخطط والطرائق، وكثرة المتصدرين للتزعم والقيادة والوجاهة، وكل ذلك تفريق في جهوده، وتوزيع لقواه، يتعذر معه الوصول إلى الغايات، في أمة استبد بشؤونها خصمها، فهي تجاهد ما استطاعت في سبيل استرداد الحق المسلوب، والتراث المغصوب، والحرية الضائعة، والأمجاد الرفيعة، والمثل العليا.

جاءت ومرت فترة ما بالأمة أتيح فيها أن ترى كيف يوجه الشباب، وكيف يدرب ويقاد الى إفساد نفسه وأسرته وأمته، شوهد الشباب يتعلم كيف يكون جاسوساً على والده ووالدته وعلى أسرته. كيف يراقبهم ويكتب عنهم التقارير المعينة في الأقربين بدلاً من برهم والعطف عليهم والأخذ بيدهم ونصحهم.

كيف يكون العاق فرداً سوياً، وكيف يكون الجاحد الضار نافعاً لأهله وأمته، وكيف يكون هذا الإنسان بعد أن يفرغ داخلياً ويخرب ويسمم فكرياً، ويحطم نفسياً، ويعوج سلوكياً، وكيف تكون تلك اليد التي دربته ووجهته وقادته وفرغته إلى مثل تلك الأعمال، والتي قلبت الموازين في عين الشباب وجعلت تشعره بأن العمالة وطنية، وأن تقطيع الأرحام وهتك الحريات بطولة[1].

---

(١) الواعي، توفيق يوسف: سلوك المسلم، دار التراث ــ الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤ ص١٤ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

وبعد كل هذا ما هي النتائج التي ظهرت بعد هذا التيه والفراغ والضلال والشرود؟

الحق أننا نعيش في زمن تنقلب فيه الأوضاع آيما انقلاب وتنعكس مفاهيم الأشياء آيما انعكاس.!!!

إن المقدمات دائماً تدل على النتائج، والأعمال تدل على الأعماق والنفوس.

إذ لابد لنتائج رئيسية أن تنتج عما سبق ذكره من أسباب أدت الى الفراغ الديني، وقد ظلت تلك الأسباب تعمل عملها مع الزمن خفية وجهرة حتى أفرخت وأينعت أشياء رهيبة تعاني منها الآن أشد المعاناة وكان أخطرها ما يلي:

١ - الانصراف عن الدين:

ماذا يحدث عندما يغيب الدين عن مسرح الحياة؟

ماذا يحدث عندما يعيش الناس في فراغ من الإيمان؟

ماذا يحدث عندما تصبح المادة هي أساس الحياة والفكر؟

ماذا يحدث عندما يكون المجتمع بأسره منحلاً بعيداً عن العقيدة والأخلاق؟

ما يحدث عندما ينادي بعض بـ (الانصراف عن الدين)والبحث عن البديل بـ (العلمانية) أو (الوجودية) أو (الإلحاد) أو (الرأسمالية) أو (فصل الدين عن الحياة) أو غير ذلك من الأفكار والعقائد والرايات.وفي الحقيقة إن الذي يحدث هو فساد الدنيا وخسران الآخرة قال الله تعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[1].

قال القرطبي: من أعرض عن ديني، وتلاوة كتابي، والعمل بما فيه، فإن له معيشة ضنكاً وعيشاً ضيقاً منزلاً ضنكاً وعيشاً ضنكاً، والمعرض عن الدين مستولٍ عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الأزدياد من الدنيا، مسلط عليه الشح، الذي يقبض

---

(١)سورة طه: الآية (١٢٤).

www.iqra.ahlamontada.com

يده عن الإنفاق، فعيشه ضنك، وحاله مظلمة، كما قال بعضهم: لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه، وكان في عيشه ضنك[1].

وقال ابن كثير: من أعرض عن أمر الله وتناساه فإن له حياة ضنكاً في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وسكن حيث شاء وأكل ما شاء، فإن قلبه في قلق وحيرة وشك[2].

فالفرد بلا دين هو: إنسان ميت، هو ميت القلب والفطرة والمشاعر والأحاسيس.

وميت العقل والفكر والبصر. وميت الأخلاق والنفس، وميت المزاج ميت الروح.

ومثل هذا الإنسان لا قيمة له في الوجود، وكثيراً ما يلقى الفرد تبعات أخطائه وتخلفه وجهله على الدهر أو الحياة علماً بأن العيب ليس في الدهر ولافي الزمن ولا في الدنيا ولا في الحياة، إنما العيب هو من نفس الإنسان. العيب الذي يجعلنا نتصور الحياة مظلمة كئيبة هو من أنفسنا قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ﴾[3]. وقال سبحانه: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾[4].

من أجل هذا فإن الفرد المعاصر شديد الحاجة إلى الدين، وهناك أسباب كثيرة، نستخلصها من الواقع الذي نعيشه ونحياه.

أ- من الناحية العقدية:

الفرد بحاجة إلى دين وإيمان... محتاج إليه كي يفسر هذا الوجود...لماذا جاء الى الحياة - إلى أين يمضي؟. وكيف يعيش.. ولماذا يعمل..؟

بحاجة إلى أن يملأ نفسه بنور الهدى ليطرد الفراغ فيها ويطرد عنها ظلمات الشك والقلق والحيرة والتخبط والضلال.

---

(١)القرطبي، محمد بن أحمد الانصاري: الجامع لاحكام القرآن، ج١١، مصدر سابق، ص٢٥٨، ٢٥٩.

(٢)ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم،ج٥، مصدر سابق، ص٣١٦.

(٣)سورة يوسف: الآية (٥٣).

(٤)سورة نوح: الآية (٢٥).

www.iqra.ahlamontada.com

بحاجة إلى أن يعلم أن الله معه يسانده ويعينه ويكلؤه بعنايته ورعايته. بحاجة لأن يعرف أن رزقه على الله وأن الله بيده الآجال والأرزاق فلا يخاف أعتى قوة بالأرض، ولا يرجو غير الله تعالى. بحاجة لأن يعرف أن الدنيا ممر لا مستقر وأن الآخرة هي دار القرار، وأن الله يبعث من في القبور فيسرع إلى الصالحات ويكف عن المحرمات ويتقرب بالطاعات ولا يجزع على ما أصابه ولا يفرح بما أوتي لأن الدنيا ابتلاء والله يبتلي عباده بما يشاء وما على العبد إلا التسليم في الضراء والسراء وأن الله حكيم ولا يسأل عما يفعل سبحانه وتعالى. إنه الإنسان بحاجة إلى الدين في جميع أوجه نشاطه في حياته.

ب – الناحية السلوكية:

يتحمل الناس، ويتعامل معهم بسلوك مستقيم، يبتعد عن إيذائهم ويسامح ويصفح عن أخطائهم، لا يعاجله الغضب فينتقم لنفسه، ولا تبطره النعمة فيتكبر على الناس، ولا يزري به الفقر فيحسدهم، ولا يشتغل بغيبة ولا نميمة ولا يتجسس على عوراتهم، ولا يتتبع هفواتهم، يعاملهم كإخوانه «**أي المسلمين خير؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[1].

يوقر الكبير ويعطف على الصغير، ويطيع العلماء، ويشاور الحكماء « **ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه**»[2].

يكبح جماح الشهوة بالطاعة والذكر، ويصلح بين الناس ويميط الأذى عن السبيل وهو يعتبر كل هذا عمل فيه طاعة الله وملء لفراغه وطموحه يقوم به عن قناعة وإيمان ابتغاء وجه الله تعالى.

الدين يحفظ صاحبه من الموبقات من المسكرات التي تتلف الأعصاب والأبدان، ومن الفواحش التي تجلب لصاحبها أعتى الأوبئة والأمراض. ويعصمه من الفتن

---

(١)مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، مصدر سابق، ح١، ص ٢٠٠ــ٢٠١ رقم الحديث (١٦٠).

(٢) المناوي، محمد المدعو عبد الرؤوف: فيض القدير، مصدر سابق، ح٥،ص ٣٨٩، رقم الحديث(٧٦٩٤) وقال الترمذي حسن غريب، قال ابن القطان ضعيف فيه ليث بن أبي سليم.

www.iqra.ahlamontada.com

والمزلات والمنزلقات التي تذهب دين الفرد ودنياه، وتجعله يخسر كل شيء في النهاية.

ج - الناحية الاقتصادية:

يدفع الدين الفرد إلى العمل والكسب الشريف ويمنعه من الإعتداء على أموال الغير وقبول المال الحرام والرشاوي والمسروقات والمصدرات وغيرها:

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ﴾(1).

كما يمنع الدين الاحتكار للسلع الضرورية للناس لأنه يعلم أن الله هو الرزاق، وأن الاحتكار معصية، وأن المجتمع هم جميعاً أخوته فلا ينبغي أن يجوعوا حتى يربح هو كما أن الدين يدفع الفرد إلى الحفاظ على الثروات المادية العامة للأمة الإسلامية والدولة: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾(2).

ويدعو الدين الفرد إلى العمل والابتكار وإفادة الأمة من علمه ومعرفته وفنه ونتائج تجاربه وبحثه وخبرته.

د - الناحية الاجتماعية:

يلتزم الفرد المتدين بكل الإيجابيات التي تخدم المجتمع وتكافله من إقامة العدل وإيثار وزكاة وتعاضد وجهاد، كما يبتعد عن كل ما يؤذي الجماعة الإسلامية وأمنها من رذائل وخيانات وتزييف وتفريغ واستهتار ويسلك الفرد المسلم في المجتمع سلوكًا صادقاً لا نفاق ولا رياء ولا مداهنة ولا محاباة، فهمه كل همه إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي ليكون فرداً منهجه الدين وهو القدوة الحسنة في الجماعة الإسلامية.

هـ - الناحية النفسية:

الدين يهذب نفس الفرد ويملؤها بالنور والتسامي، ويبعدها عن الفراغ والسفاسف، ويحفظها من كل سوء، ويدفعها الى كل خير، فإذا بالمسلم راضي النفس لا يقلقه حب

---

(١) سورة التوبة: الآية (١٠٥).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٨٨).

www.iqra.ahlamontada.com

شيء ولا يحزنه فقد شيء من الدنيا "إن الشخص المتدين يرى الدنيا عرضاً زائلاً، لا يستحق أن يحرص عليه، ومحبة الله ولقائه هي دائماً هدفه.. وهو لهذا يعطي المحبة من القلب للجميع دون أن ينتظر عليها جزاء من مخلوق... وهو يعطي من ماله ووقته وصحته دون أن ينظر إلى جدوى لأن ما يعطيه لا يساوي في نظره شيء يذكر... وهو لا يشعر بالدنيا التي تتسرب من يديه لأن عينيه على الآخرة، على رضا الخالق سبحانه وتعالى لا على رضى المخلوق. وهو لهذا يمكن أن يصل عدوه، ويمكن أن يبذل له نصح والمعونة ويمكن أن يعطي وهو محتاج، ويتصدق وهو فقير، ويطعم وهو جائع وهذه هي الأخلاق الحقيقي"[1].

ويخلص إلى أن الفرد بأمس الحاجة إلى الدين: وذلك لأسباب كثيرة منها:

أ - لسلامة عقله ونفسه.

ب- لسلامة روحه ومعتقده.

ح- لسلامة سلوكه الاجتماعي.

د - لسلامته الجسدية فلا يعذبه كما يفعل القسس والرهبان ولا يرهقه في الشهوات كالزنادقة والإباحيين.

هـ- لسلامة عرضه وأعراض الآخرين ولسلامة أبنائه وأهله.

ج - لسلامة دنياه وآخرته.

و – الناحية السياسية:

يلتزم الفرد بطاعة أولي الأمر (الحكام) من المسلمين، ما أقاموا كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) وأطاعوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فإذا نحوا القرآن والسنة حذرهم ونصحهم بالحكمة والموعظة الحسنة فإذا جاهروا بعداء الدين واستحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحله الله ورأينا منهم كفراً بواحاً فلا سمع ولا طاعة حينئذ لهم. «**لاطاعة لأحد في معصية الله تبارك وتعالى**»[2].

---

(١)فهمي، مصطفى: الإنسان وصحته النفسية، الإنجلو المصرية، در، د ت، ص ١٨٨ (بتصرف).

(٢)ابن حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد،ج٥، مصدر سابق، ص٦٦ وسنده صحيح.

www.iqra.ahlamontada.com

وقال (ﷺ): «**السمع والطاعة حقٌ مالم يُؤْمَرُ بالمعصية، فإذا أُمِرَ بمعصية فلا سمع ولا طَاعَة**»[1].

وإذا ما هاجم غزو خارجي أجنبي أو محتل على البلدان المسلمة، فإن المسلم يغضب الى سلاحه، ويلجأ إلى القوة والجهاد، ولا يبالي بالموت، ولا يخاف في الله لومة لائم، يقبل على الجهاد والموت مبتسماً لأن الإسلام علمه أن الموت معبر للخلود والجنة والفوز إذا كان في سبيل الله فلا يتقاعس وقت الكريهة ولا يتأبى لداعي الجهاد.

ز – الناحية العلمية:

فالدين يدفع المسلم إلى طلب العلم، فكلما ازداد علماً ازداد معرفة وإيماناً ويقيناً.

والعلم في نظر الدين يشمل كل علم نافع سواء أكان العلم دينياً أو دنيوياً، نظرياً أو تجريبياً، فرض عين أو فرض كفاية... مادام أنه في خدمة الدين والدنيا وما دام أنه في إصلاح الكون والحياة والإنسان... ولقد كرم الدين العلم، وكرم القراءة، وكرم القلم.. في أول آية نزلت:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[2].

ومن ظواهر التكريم أن الله جل جلاله قرن الإيمان بالعلم إشارة الى أن العلماء حين يكونون مؤمنين هم أعلى مقاماً، وأرفع منزلة، وأجل شأناً في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[3].

---

(١)البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ح٢، تحقيق البغا، مصدر سابق، ص٩٩٥، رقم الحديث (٢٧٩٦).

(٢)سورة العلق: الآية (١ــ ٥).

(٣)سورة المجادلة: الآية (١١).

www.iqra.ahlamontada.com

إن من القضايا العلمية والثقافية المعاصرة، التي تحتاج هنا إلى إعادة نظر وتصحيح موقفنا منها:صناعة الأدب والفكر والإلهام، فالناس تستثار بضربة كرة محكمة باليد أو بالقدم، كما تطرب وتستثار ببيت رائع من الشعر، والثقافة الكروية تشغل الناس فتنتقل الأفكار والاهتمامات من الرؤوس الى الأقدام.

ليس هذا الكلام ضد الكرة أو الثقافة الكروية وعشاقها الذين ارتبطوا بثقافة نشاط الأقدام والأيدي وتعلقت بنجوميتها التي تصنع مجدها وتخط ثقافة شبابها وجيلها بقوة أبدانهم فقط، فليس بالكرة وحدها يحيا الفرد ويفكر ويلهو ويجد متعته وثقافته، بل هناك في الحياة نماذج للكفاح والبطولة والهوا ية والثقافة، أبعد في النضج وفهم الحياة من مجرد هذا النوع من النجومية، ولذلك من واجبنا أن نعيد النظر في اهتماماتنا بهذه الصناعة المتعلقة بخطتنا العلمية والثقافية والتربوية، التي ليس لها من ثمرة ترجى اتجاه هذه العج من الكلام وهذا الصياح في المدرجات. أو تمضية الساعات الطوال أمام المذياع أوشاشات التلفاز من أجل متابعة أمسية أو مهرجان أو مباراة[1].

ح – الناحية الجسمية:

الفرد في الإسلام محتاج إلى الإيمان، والإيمان يدعو للعناية بالجسد لأن الفرد المسلم القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، والدين يدعو إلى التداوي والعلاج، وإلى الرياضة والقوة، فقد روى عن رسول الله (ﷺ) أنه قال «**لكل داءٍ دواءٌ، فإذا أُصيب دواءُ الداءَبرأَ بإذن الله عزوجل**»[2].

وقوله (ﷻ): ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[3].

وقال (ﷺ): «**كل شيء ليس من ذكر الله لهو و لعب إلا أن يكون أربعة خصال:**

---

(١) درويش، كمال، ومحمد الحماحمي: الترويح وأوقات الفراغ، في المجتمع المعاصر، مركز البحوث التربوية، مكة، ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦م، ص ٩٧، (بتصرف).

(٢)مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ج١٤، مصدر سابق، ص ٤١٢، رقم الحديث (٥٧٠٥-٦٩ ١).

(٣) سورة الانفال: الآية (٦٠).

www.iqra.ahlamontada.com

ملاعبة الرجل امراته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة»[1].

وبعد أن تبينت الأسباب التي تدفع الفرد للحرص على الدين وعدم الإنصراف عنه.

لابد من تجمع أسباب الفراغ الديني السابقة أو وجود بعضها أو معظمها، وبالإضافة إلى أسباب مستوردة من خارج المنطقة الإسلامية - ومن أهم هذه الأسباب والتحديات التي تتحدى الجيل الإسلامي اليوم - وعلى الأخص الشباب منهم - تحدّي الغزو الفكري الذي يجتاح العالم الاسلامي من أدناه إلى أقصاه.فالغرب: يرفع راية البعد عن الدين والإنصراف عنه (العلمانية) التي حبست الدين بين جدران المعبد والكنيسة، وأبت عليه أن يكون له أي دور في إصلاح أو تغيير أو نهضة أو حضارة، ويرفع رايات حمراء وصفراء وسوداء بتسميات مختلفة رأسمالية وديمقراطية وحرية وإباحية وعولمة وغيرها لتغزو نظريات الغرب ومبادئه وأفكاره.. الفرد والمجتمع الإسلامي بقيمه الجديدة وأساليبه المتنوعة. ليبتعد عن قيم الدين الإسلامي ومُثله، ومبادئه وأخلاقه.. التي فيها عزته، والتي عليها وجوده وبقاؤه.

ويضيف توينبي[2]: إنه في دور انحلال الحضارات يدب الفساد في أرواح الناس، ويطرأ على سلوكهم ومشاعرهم وحياتهم كلها تغيير جذري، ويحل محل الصفات الباهرة والقوى المبدعة التي كانت تزخر بها ذواتهم في دور النمو الحضاري ثنائية من النزعات والمواقف العقيمة المتناقضة، ثنائية في السلوك تتقاذف نفوس الأفراد، وثنائية

---

(١) المناوي، محمد المدعو بعبد الرؤوف: فيض القدير،ج٥، مصدر سابق، ص٢٣، رقم الحديث (٦٣١٦) حسنه المصنف وفي موضع آخر صححه.

(٢) توينبي: أرنولد جوزيف. (toyhbee Arnold Josepn) (١٨٨٩-١٩٧٥م) مؤرخ وعالم اجتماع إنكليزي، تحل فلسفته في التاريخ " نظرية الدورات" محل مفهوم التقدم الاجتماعي، وقد ذهب إلى أن تاريخ العالم يسير في دورات كبرى من الأرتفاعات والأنخفاضات وهو محصلت كلية ل " الحضارات " المختلفة التي تمر بالمراحل نفسها.

- لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين: الموسوعة الفلسفية، إشراف روزنتال يودين، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٠.

www.iqra.ahlamontada.com

في الشعور تتقاذف قلوب الناس، وثنائية في الحياة تتقاذف وجود الناس في هذا الدور يتعرى الفساد الروحي أيضاً عن رصون، نعم فتفسد الأخلاق والعادات، وانحطاط يسود الآداب ـ ومن هنا ـ من عمق الإحساس بالمأساة المتوقعة ثار قلق توينبي على مصير الإنسان والإنسانية السائرة في موكبه[1].

المتصهينون[2] من اليهود[3] والمسيحيين[4]: لا ننسى ما تقوم به من مخططات وأساليب وجمعيات سرية في إفساد العالم بشكل عام، والمجتمعات الإسلامية بشكل خاص– وإخضاع كل هذه العوالم لسياسته وسلطانه... وهكذا يفعلون.

لقد أعلن اليهود في بروتوكولاتهم مخططهم في الغزو الفكري ليفسدوا على الناس عقائدهم وضمائرهم وعقولهم.. بل تبنوا أفكار ومبادئ شخصيات يهودية وغير يهودية تدعو إلى هدم العقيدة، وتحطيم مبادئ الأخلاق الفاضلة تحقيقاً لهدفهم وتنفيذاً لمخططهم.

وقد جاء في بروتوكولاتهم:

(تولد تيار رهيب يلهي الناس بشتى الملهيات ويشغلهم وفق مشاغل مدروسة عن دينهم وعن النافع الجاد من الأعمال الحياتية النافعة ، وقد جاء في بروتوكولاتهم:(فقد

---

(١) فهمي، مصطفى: الإنسان وصحته النفسية، مرجع سابق ص ٨٥ ـــ ٨٦ (بتصرف).

(٢) الصهيونية: حركة سياسية، ولكنها تنطلق من أسس دينية وهي فلسفة الرجعة اليهودية، إنما تستفي من الدين اليهودي، بوصفه دين المنتفعين والذين يجب أن يعودوا إلى الأرض التي وعدهم بها الله، وعلى الصهيونية تقع مهمة إعادة تعيين الشتات " Diaspora " اليهودي الى أرض الميعاد ـــ الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص٣٣٢ (بتصرف).

(٣) اليهودية: هي الديانة الحالية لليهود الذين يتحدرون من الشعب العبراني، ويعتقد اليهود أنهم تلقوا تعاليمهم الدينية من الله (يهوه) نفسه بواسطة موسى عليه السلام. وقد تمكن اليهود بالرغم من تشتتهم من المحافظة على ثقافتهم ولغتهم وادبياتهم وتراثهم.في داخل اليهودية اليوم. – الحاج،كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص ٦٨٠ (بتصرف).

(٤) المسيحية: هم اتباع السيد المسيح عليه السلام، وهي الديانة الحالية للنصارى، جاءت مكملة لرسالة سيدنا موسى عليه السلام، متممة لما جاء في التورات من تعاليم، موجهة إلى بني اسرائيل خاصة، داعية إلى التهذيب الوجداني والرّقي العاطفي، لكنها سرعان ما فقدت أصولها، مما يساعد على إمتداد يد التحريف إليها حيث ابتعدت كثيراً عن صورتها السماوية الأولى،لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية.

www.iqra.ahlamontada.com

أتت السينما وهي تحمل سمات هذه الحضارة الغربية المادية، ونجدها تحمل كثيراً من الغزو الفكري)[1].

والسينما العربية لا تستند في وظيفتها الإجتماعية والدينية، إلى نسق ديني وظيفي ينسجم مع أهداف مجتمعنا الإسلامي وغاياته فكثيراً ما تكون مقلدة، ولا تتبين الحقائق، بل تحمل موضوعاتها الكثير من التشويه للتاريخ الإسلامي والثقافة الإسلامية، كتشويه بعض حياة الصحابة رضوان الله عليهم وصلاح الدين الأيوبي وحتى عمر المختار وغيرهم وأدوارهم التاريخية التي صنعوها في خدمة حضارتهم الإسلامية.

أما بشأن أشرطة الفيديو والسي دي -فإن هذا الجهاز يحتاج كل يوم إلى جديد، سواء ما تنتجه المؤسسات الغربية، التي تفرغ في أذهان الشباب المسلم شحنة فكرية خاصة بها، أو تنتجه المؤسسات العربية المختصة، التي كثيراً ما تختلط الفكرة السليمة عندها مع الفكرة المشوهة أثناء عرض القصة أو المسرحية وما شابه.

إننا بحاجة إلى نهضة شاملة في البدائل الإسلامية الكافية في مجال التلفاز وبرامجه نحو الشباب والمرأة والطفل، بشكل يساعد على أن تكون الملهيات والترفيهات بنَّاءة في الحضارة الإسلامية وليس الهدم والاستهلاك.

أما بشأن لعبة الكرة على كونها تعمل على تغريب الاقتصاد وصناعاته، فهي تعمل على صرف الأمة عن الثقافة النافعة واغترابها عنهم، وفي هذا قد يتساءل الفرد عما إذا كانت الكرة بشتى أصنافها اليوم، بصفتها لعبة عالمية، فناً أم صناعة، أم مهنة، أم هواية، أم إدماناً أم أنها سياسة أيضاً لتغريب ثقافة المجتمع ونشاط شبابه.

الكرة تهميش للثقافة، وإلهاء عن ثقافات أخرى، لم تعد متوافرة ومتاحة ومرغوبة، وهي بديل عن هوايات أنفع وأعمق، لكنها أيضاً غير متوافرة، حيث تصرف الناس عن الفن[2].

---

(١) حقي، إحسان، بروتوكولات حكماء صهيون، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، ص٨٤ (بتصرف).

(٢) الملقي، هيام: ثقافتنا في مواجهه الانفتاح الحضاري، دار الشوف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ص٦٢، (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

- وأصبح من أبرق الشبهات لدى المشتبه عليهم إلصاق تخلفنا بديننا، وأنه دين التخلف والمتخلفين، وبتنا صورة مشوهة تستغل حجاباً لصرف الناس عن التفكير في الإسلام وتجرأ الصائحون من هنا وهناك: انظروا ماذا فعل الغرب. عندما انصرف عن الدين؟

يقولون: إن للدين كرامته وقداسته في نفوس المتدينين، فلا يصح أن نزج به أبداً في صراعات الحياة والحكم، ومشكلات الدولة والمجتمع، وتيارات المبادئ... بل ينبغي أن للدين مكانه العلوي، ومركزه اللائق في التبجيل والتكريم.. دون أن نعرّضه لفتنة، أو نقذف به في خضم الصراع، أو تلقي به في أتون الأفكار والمبادئ!!

ويقولون: إن للدين دوره الأكبر في إصلاح الأخلاق، وتزكية النفوس، وتنقية الضمائر... فإذا كان الأمر كذلك فلنترك للدين مهمته في أداء رسالتها الإصلاحية والتهذيبية... ولنترك للقوانين مهمتها في أداء رسالتها التنظيمية والإدارية والقضائية... دون أن يتدخل أحدهما في اختصاص الآخر، ودون أن يتعدى أحدهما على حدود الآخر!!

لاشك أن الفرض من طرح هذه الأفكار والقناعات..هو دفع تهمة غير دينية عنهم أو الإنصراف عن الدين.. أو على الأقل هو التلطف والمداراة لكي لا يصدموا بشعاراتهم وصيحاتهم المشوهة للإسلام مشاعر المسلمين.

لقد تقدم ونسوا أن الغرب إذا كان قد نبذ إلهه القديم فقد آمن بإله جديد أكثر تقلباً كما يقولون: إن الغرب قد نبذ إلهه القديم فقد آمن بإله جديد هو العلم، ولكن العلم كائن متقلب، فهو يثبت اليوم ما نفاه بالأمس، وهو ينفي غداً ما يثبت اليوم، لذلك تجد عباده في قلق دائم لا يستقرون، فالفرد في حاجة إلى قيم ثابتة لا تتغير وهذه القيم لا توجد إلا في الإسلام.

لقد حسب هيغل أزمة العالم (الغربي) سياسية فحاول حلها بالدعوة إلى تحقيق الدولة المثلى، واعتقد ماركس أنها أزمة اقتصادية فحاول حلها بالدعوة إلى تحقيق النظام الإشتراكي أما توينبي فأيقن أن حقيقة الأزمة ليست سياسية ولا اقتصادية ولكنها

www.iqra.ahlamontada.com

أزمة روحية (دينية) قبل كل شيء[1].

أما عندما عملت الأسباب السابقة عملها، فقد وجدت اتجاهات نحو الشيوعية[2] والوجودية والإباحية[3] وغيرها، وتناسى بعض الناس أن الدين هو البوصلة التي ترشد إلى الإتجاه الصحيح، وهو النواة التي تتجمع حولها قوى الكائن الحي كلها، وبدونها

---

(١) فهمي، مصطفى: الإنسان وصحته النفسية، مرجع سابق ص ٨٤- ٨٥ (بتصرف).

(٢) الشيوعية: نظام اجتماعي وإقتصادي وسياسي، يقوم على إشاعت الملكية وتحقيق العدل وإقامة مجتمع لاطبقي، وكان أفلاطون أول من كتب عن الشيوعية في كتابه (الجمهورية٣٧٠ق م) وفيه تحدث عن شيوعة الأطفال والنساء والأموال، وفي عصر النهضة الأوربية ظهرت كتابات توماس مور (١٤٧٨-١٥٣٥) وخوصاً كتابه " اليوطوبيا " وتوما زوكا بنيلا (١٨٦٨ــ ١٩٣٩) في كتابه "مدينة الشمس" وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر كثرت دعوات الشيوعية، وكان أهمها غبرييل بونيه، صاحب كتاب "شكوك مقدمة للفلاسفة الاقتصاديين حول النظام الطبيعي الضروري للمجتمعات ١٧٦٨" وبريسودي وارفيل صاحب الشعار المشهور " الملكية هي السرقة " وإدوار بيلامي صاحب كتاب " التطلع الى الوراء " وكلها مؤلفات تتفق فيمابينها على الملكية هي السرقة، ،أن المنافسة على الملكية هي أصل الخطيئة والجريمة والفوضى، وأن العالم فيه مايكفي من الخيرات ليفي بحاجات كل البشر، إذن ليست المشكلة في الإنتاج، ولكنها في التوزيع. وتختلف الشيوعية عن الإشتراكية في هذه النقطة، فالإشتراكية تركز على الإنتاج وتنادي كلٌ حسب قدرته إلى كلٍ حسب أعماله وانتاجه، بينما تؤكد الشيوعية على الإستهلاك، وشعارها من كل حسب قدراته إلى كل حسب حاجاته وهناك الشيوعية العلمية (communismscientific) أو الماركسية. وهي مذهب يقوم على إلغاء الميراث والملكية العقارية الفردية، وتقوم بتأميم وسائل النقل ووسائل الإنتاج، وإزالة الطبقات الإجتماعية، وإلغاء الحريات الفردية، وقد تجسد هذا النوع من الشيوعية في الاتحاد السوفيتي والصين ودول أوربا الشرقية، لمدة دامت فوق نصف قرن، قبل أن تبدأ بالإنهيار في أواخر الثمانينات وبداية التسعينات من القرن العشرين ــ الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص ٣٢٨ (بتصرف).

(٣) **الإباحية**: هي فكرة ناتجة عن الفرويديين بسبب نظريات التحليل النفسي وأراء فرويد الإلحادية. وقد تابع الفرويديين ــ أي في الثورة الجنسية – التي وصلت حداً سم مفكرو الغرب الإباحية لها مؤيدون كثر في ميادين علم النفس والعلوم الإجتماعية والإنتربولوجيا الإجتماعية.

كما تعدى تأثير نظرية فرويد حدود دائرة هذه العلوم الأكادمية الضيقة إلىسائر المعارف الأدبية المختلفة والفنون والقانون والفلسفة وعلم الأديان. فترك بصماته في التفسير الجنسي لنشاطات الإنسان ومبادئه وقيمه، والتلويح بأخطار الكبت الجنسي والشعور بالذنب. وفرويد الفاسق ما هو إلا يهودي، قد أملى عليه كرهه للدين المسيحي أن يطلق الجنس من عقاله عاصفة هوجاء تدمر كل القيم الدينية والأفكار الإنسانية الأخلاقية النبيلة. وفي نظريته إن التحليل النفسي يمثل المرحلة الأخيرة من الثورة العلمية التي مازالت تعري للبشرية هذاءاتها المتمثلة في الدين ولاشك أن الإباحية قد استهدفوا الوازع الديني والأخلاق-

www.iqra.ahlamontada.com

تتبدد قوى الفرد كلها من: فكرية، عقلية، جسمية، اقتصادية، اجتماعية، ويصبح أمره كما أخبر القرآن عنه ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾[1].

ويعجب الناس بأعمالهم كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾[2]

وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[3].

١- **الشيوعية:** هي مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي، ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز وتجسدت في الثورة البلشفية التي ظهرت في روسيا عام ١٩١٧م. بتخطيط اليهود، وتوسعت على حساب الغير بالحديد والنار وقد تضرر المسلمون فيها كثيراً وهناك شعوب محيت بسببها من التاريخ[4].

ويقولون: (أخذنا بتعاليم "لينين" ووصيته بأن الحزب الاشتراكي خصمٌ عنيدٌ للدين ويحارب فكرته في المنتظر ما بعد الموت بالغرووس الذي تحققه الاشتراكية العلمية التي تحقق العدالة الاجتماعية التي هي الغرووس... وإذا وجد من الضروري مهادنة الدين وتأييده وجب أن تكون المهادنة لأجل، والتأييد بحذر، على أن يستخدم التأييد والمهادنة للدين لمحو الدين)[5].

=والمثل التي تدعو إلى الحشمة والعفة وكبح الشهوات بوصفهم المسؤلين عن الكبت العنيف للغرائز الجنسية والعدوانية الطبيعية في الإنسان والمبالغة في إحساسه بالذنب واضطهاده لنفسه، مما يشكل حسب اعتقادهم أهم أسباب التوتر و الإضطرابات النفسية.

- غزال، مصطفى فوزي: أفول شمس الحضارة الغربية من نافذة الإباحية، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٦- ١٩٨٦ ص ٦ - ١٤ (بتصرف).

(١) سورة النحل: الآية (٧٦) جزء من الآية.

(٢) سورة فاطر: الآية (٨).

(٣) سورة الكهف: الآية (١٠٣-١٠٤).

(٤) الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب، الندوة العالمية للشباب، الرياض ص ٣٠٩.

(٥) العقاد، عباس محمود واحمد عبد الغفور العطار: الشيوعية والإسلام، مرجع سابق، ص ١٢٣.

www.iqra.ahlamontada.com

فيتبين من وصية الزعيم الشيوعي والشيوعيين أنهم يركزون في دعوتهم في الدرجة الأولى على العالم الإسلامي بشكل خاص... لما يعلم أولئك ما لبلاد الإسلام من مواقع استراتيجية، وثروات اقتصادية.. ولما يعلمون أيضاً ما للإسلام من قوة انتشار، وحيوية مبادئ، ومقومات حضارة... من ناحية أخرى.

من أجل هذا يتخذون الأساليب المتنوعة لتضليل الناس، وهدم الأديان، ونشر الإلحاد.. حتى إذا ولج المخدوع الباب، ووقع في شبكة الصياد. تدرجوا معه نحو الإنحلال والإباحية والإلحاد خطوة خطوة، ليصبح في نهاية المطاف جندياً عميلاً من جنودهم وبوقاً متنقلاً من أبواقهم... بل ليعلن على الملأ بطل لايدري أين يتجه ؟ ولا يعلم أين يسير؟.

الانحراف في السلوك هو أن الشاب والفرد حين يرى المربي والمرشد الرباني أو الأب الواعي أو الفئة الاسلامية الواعية... يعطونه إسلاماً وتوعية يختلف كل الاختلاف عن إسلام وتوعية المدارس التبشيرية والاستعمارية ومن تركب وتنهج منهاجها وتوعية الصحبة التي خالطها وأخذ عنها. وتوعية السوق الذي تربى وتغذى على محبة السيطرة والاستغلال والاحتكار... لاشك أن الفرد يتأثر بهذا التناقض، ويعيش في دوامة من الازدواجية والبلبلة، والأفكار.. قد يؤدي به في بعض الأحيان الى الانحراف في السلوك وإزدواجية في العمل وشك في العقيدة نتيجة ردود الفعل لهذه المتناقضات... إذاً فالتكامل بين التوجيه وبين السلوك هو من أكبر العوامل في تكوين شخصية الفرد، وإعداده النفسي والخلقي، حتى لايعيش الولد في عالم من المتناقضات وانفصام في الشخصية وإزدواجها وذي الوجهين فيها، والتحير، والصراع النفسي...

(وهذه الألوان قد تنبأ لها أعداء الإسلام وأحاطوها بالعناية والرعاية وسلطوها على الهدم والتجريح، وكان شعارهم أن يحاربونا ببني جلدتنا، فلسان حالهم: (دعوا أحد فرق الشجرة يقطعها) فوجدت دول وزعامات، ولاؤها لغير الله والإسلام.

كل القوى المعادية للإسلام، والمتآمرة عليه من صهيونية وماسونية، ويهودية

www.iqra.ahlamontada.com

واستعمارية وشيوعية واستشراق وصليبية جديدة قديمة وعولمة.....

كل هذه القوى المعادية والمتآمرة متضافرة متعاونة متوحدة في حرب الإسلام، واستئصال العقيدة الربانية من نفوس المسلمين، بل وسائلها في التدمير والإبادة، والتشكيك والتضليل، والتنصير باقية مستمرة...

وعلى أثر ذلك تغيرت المفاهيم الإعتقادية والفكرية عند كثير من أبناء الجيل الإسلامي حتى غدت إلحادية في ضلالها وكفرها، وتبدلت المقاييس الخلقية عند كثير من الشباب المسلم حتى أصبحت غريبة اجنبية في مظاهرها وأشكالها... وأصبح حال المسلمين كحال الضواري الأوابد تتباعد وتتداني، وكحال الأمم البدائية الأولى تتدابر وتتخاصم، وكحال الشعوب المستعبدة في أدوار سقوطها وإنحلالها) [1].

ورحم الله شاعر الإسلام محمد إقبال إذ يقول:

إذا الايمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يُحي دينا

ومن رضي الحياة بغير دين ... فقد جعل الفناء له قرينا [2]

وفي المجتمع الإسلامي يوجد ألوان شتى من الانصراف عن الدين في بعضها: جرأة على الاستعلان، وفي بعضها جبن عنه، ولكنهم على أي حال نتاج سوء التربية وانعدام القدوة وأسن المنبع.... الخ.

والمحدثون من أصحاب المذاهب والنظريات والفلسفات الاجتماعية لم يعودوا يجمجمون أو يتحرجوا من التصريح بهذه الحقيقة: وهي أنهم إنما يقررون "عقائد" ويريدون أخذ الناس بها في واقع الحياة، وأنهم يريدون إحلال هذه العقائد الاجتماعية أو الوطنية أو القومية محل العقيدة الدينية.

---

(١) علوان، عبد الله: الشباب المسلم في مواجهة التحديات، دار السلام ـــ القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ص ١٤٨ ـــ ١٤٩.

(٢) الغوري، سيد عبد الماجد: ديوان محمد إقبال، ج١، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ص١٠٣.

www.iqra.ahlamontada.com

(فالشيوعية ليست مجرد نظام اجتماعي... إنما هي كذلك تصور اعتقادي، يقوم على أساس ماديه الكون، ووجود المتناقضات في هذه المادية، هذه المتناقضات المؤدية إلى كل التصورات والانقلابات فيه. وهو ما يعبر عنه بالمادية الجدلية، كما يقوم على التفسير الاقتصادي للتاريخ، ورد التطورات في الحياة البشرية إلى تطور أداة الإنتاج... الخ.

ومن ثم فهي ليست مجرد نظام اجتماعي، وإنما هي تصور اعتقادي يقوم عليه ـ أو يدعي أنه يقوم عليه ـ نظام اجتماعي...وذلك بغض النظر عما بين أصل التصور وحقيقة النظام الذي يقوم الآن من فجوات ضخام[(١)]!).

كذلك سائر ـ النظم الجديدة والأحزاب العتيدة ـ مناهج الحياة وأنظمتها الواقعية، يسميها أصحابها "عقائد" ويقولون:" عقيدتنا الاجتماعية" أو "عقيدتنا الوطنية" أو "عقيدتنا القومية" أو "عقيدتنا الحزبية". وكلها مسميات صادقة في تصوير حقيقة الأمر: وهو أن كل منهج للحياة أو كل تشريع ونظام للحياة هو "دين" هذه الحياة.

ومن ثم فالذين يعيشون في ظل هذا المنهج أو في ظل ذلك النظام... دينهم هو هذا المنهج أو دينهم هو هذا النظام.. فإن كانوا في منهج الله ونظامه فهم في " دين الله" وإن كانوا في منهج غيره أو نطاق فهم في "دين غير الله" والأمر فيما نحسب واضح لا يحتاج إلى مزيد من البيان والتوضيح.

وقد يكون من ألوان الإنصراف التنكر جملةً وتفصيلاً، وقد يكون التنكر الفعلي مع التشبث بالانتساب بالقول والايقان بكل عجيب تحت شعار الاسلام، وهذا اللون من المسلمين محبب لدى المستعمرين والمستغربين، إذ أنه يعمل بوجهين، وجه مع الإسلام ووجه ضده، وصدق رسول الله (ﷺ): « **وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه** »[(٢)].

---

(١) قطب، سيد: المستقبل لهذا الدين، دار الشروق، بيروت، ١٣٩٤، ١٩٧٤، ص١٥ــ ١٦(بتصرف).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري،ج٢، تحقيق البغا، مصدر سابق، ص١٢٠٠، رقم الحديث (٣٣٠٤) جزء من الحديث.

www.iqra.ahlamontada.com

وكما قال (ﷺ): «**من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار**»[1].

ومن العوامل الهامة في فراغ الفرد دينياً ونفسياً، وإعداده خلقياً واجتماعياً. ربط الفرد بالمبادئ الإسلامية، ليكتسب منها ما ينمي شخصيتة من روحانية مشرقة، وعلم نافع وأدب سام، وأخلاق قويمة...

وعلى أرباب المسؤولية في المجتمع الإسلامي أن يلحظوا في الشباب ظاهرة التكامل بين التوجيه الإسلامي وبين الصحبة الصالحة... لأن التناقض بين التوجيهين والانفصام ما بين الربطين يؤدي في الأحيان إلى خطرين بالغين.

١- الازدواجية في التوجيه.

٢- الانحراف في السلوك.

الازدواجية: تكون في التوجيه أن الفرد الذي يتربي في أسرة مسلمة واعية، ثم يخرج إلى الشارع ليصاحب أناساً ليسوا على درجة من الوعي الإسلامي والتربية الإسلامية، والفرد الذي يتربي على يد مرشد رباني واعٍ، ثم يخرج إلى المدرسة ليجد ما يخالف تعاليم دينه ومبادئه وأخلاقه ومثله. فالفرد قد يتأثر بهم ويأخذ عنهم، وينجذب إليهم، ويتقبل أفكارهم، لكونه لم يصل بعد إلى مرتبة النضج العقلي والثقافي الذي يجعله يستطيع أن يميز بسببه بين ما هو صحيح، وبين ماهو خاطئ... والمسلم الذي تعلم في المسجد شيء وفي السوق شيء آخر وبهذه الحالة يكون الفرد قد تأثر بفكرين وتيارين، وأخذ عن شخصيتين: شخصية واعية فاهمة، وشخصية قاصرة جاهلة، أو موضع منظم مهذب مراقب وموضع هدف مهموم مسموم، أو تجمع فيه المعرفة والعلم والروح، وتجمع فيه المادة والمصلحة والتنافس، فعندئذٍ يقع في حيرة متزايدة، وصراع فكري ونفسي أليم...

---

(١) المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي: الترغيب والترهيب، ح٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق مصطفى محمد عمار، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م، ص ٦٠٤ رواه ابو داوود وابن حيان في صحيحه.

www.iqra.ahlamontada.com

٢- الاستخفاف بالأمة والوطن:

حقاً إن الوطن شيء جامد وثني، ولكنك إذا تتبعت معانيه ألفيتها ترجع إلى بعض غرائز الفرد فإذا أنت هذبت هذه الغرائز، وسموت بها إلى مستوى الإنسانية الفاضلة، فقد وصلتها بالعزة الصحيحة، والحرية الكاملة، والإيثار النبيل، وتلك صفات مما يحبها الله، لأنها من صفات الفطرة التي فطر الناس عليها. فإذا تكلم الفرد على الوطن منفصلاً، فتلك هي الوطنية اليابسة الجافة الخرساء، التي لاتثير مشاعر العقلاء وإذا الفرد وصلها باصوله الفطرية، فقد سما بها إلى أشرف مقامات السمو، وجعلت خدمة ومحبة الوطن لوناً من ألوان عبادة الله عز وجل: فالوطنية إذاً ليست غاية، وإنما هي غريزة أصيلة تتصل بكثير من المعاني الجليلة في الفرد، وهي بهذا الوصف إحدى الأسباب الوثيقة التي تربط الفرد بالله عزوجل، فإذا تكلم المتكلم، وهو يفهم هذا الفهم، ألفيته يغوص إلى أعماق النفوس، فيحركها إلى أشرف الغايات، وينبه فيها أثمن المشاعر، ويبعث فيها أقوى الهمم[١].

إن الإسلام لم يدر في أجهزة الأمة النفسية والاجتماعية، لقد اعترضته عوائق شتى جرّت على الكيان كله أعراض الشلل والإعياء، وإن ثمة عللاً نفسية غائرة سببت فراغ المسلمين في الحياة، وجعلتهم لايحسنون الإفادة من دينهم، ولا يحسن دينهم الإفادة منهم لأن أمتنا قد أصيبت بما يشبه الأمراض المتناقضة، أعني الأمراض التي يكون علاج أحدها على حساب الآخر.

إن الدين والإيمان هو الوشيجة الأقوى في هذا المجتمع قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٢].

وحينما تكون هذه الأخوة أساسها الإيمان، فإنها تكون موضع عناية الله سبحانه وتعالى وتنعكس بالخير على كل فرد من أفراد المجتمع المسلم، فلا توجد حقوق

---

(١)الخولي، البهي: تذكرة الدعاة، دار الكتاب العربي، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٥٢م ص ٨ ـــ١٠.

(٢)سورة الحجرات: الآية (١٠).

www.iqra.ahlamontada.com

وامتيازات لفئة دون فئة فالمجتمع المسلم مجتمع متماسك بفضل عقيدته وإيمانه، وفي هذا المعنى قال إقبال[1]:

الصين لنا والهند لنا ... والعرب لنا والكل لنا
أضحى الإسلام لنا ديناً ... وجميع الكون لنا وطنا
توحيد الله لنا نور ... أعددنا الروح له سكنا[2]

ويقول أيضاً:

وطني الاسلام لا أبغي سواه ... وبنوه أين كانوا إخوتي
مصر والشام ونجد ورباه ... مع بغدادٍ جميعاً أمتي[3]

لا شعوبية في الأمة الاسلامية ولا طائفية المسلمون أمة واحدة قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾[4].

وأكرم الناس عند الله أتقاهم، الإسلام يسعى إلى إذابة الفروق بين المجتمعات الاسلامية والأفراد المسلمين من حيث التمايز والعنصرية ورغم دعاوى الشعوبية والطائفية والقومية فقد تماسك معظم المسلمين وأكثرهم طيلة الماضي في ظل الكتاب والسنة سيبقى التماسك قائماً في الحاضر والمستقبل بإذن الله إذا بردت حمية الدين في القلوب بردت عواطفهم تجاه أشياء ، كالعرض والوطن والأهل والولد.

---

(١)إقبال: محمد (١٨٧٨ــ ١٩٣٨) فيلسوف هندي، ومنظر فكري للإسلام وشاعر، ولد في منطقة البنجاب، تلقى علومه كلها في لاهور، سافر إلى بريطانية، ودخل جامعة كمبردج، وتخصص بالحقوق، ثم سافر إلى ألمانية، حيث نال شهادة الدكتوراه بالفلسفة، من جامعة ميونخ، ابتداء من عام ١٩٠٨م بتدريس مادة الفلسفة في لاهور، كان إقبال بالإضافة إلى كونه فيلسوفاً، لغوياً وقانونياً، ومربياً وشاعراً، كان يتقن عدة لغات، منها الأردية، الفارسية، الأنكليزية، الألمانية، من مؤلفاته: تطور الميتافيزيقيا عند الفرس، أسرار الأنا، رسالة المشرق، ست قراءات حول إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام. ــ الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص٥٥ (بتصرف).

(٢)الغوري، سيد عبد الماجد: ديوان محمد إقبال، ح١، مرجع سابق، ص ٩١.

(٣)إقبال، محمد: نشيدنا، دار السلام. القاهرة در،د ت، ص ٤٦.

(٤)سورة الأنبياء: الآية (٩٢).

www.iqra.ahlamontada.com

وهددت أرض الإسلام وقلبت المعابد والمساجد دورلهو وديست كرامة البلاد، ولم تهتز من معظم أبناء الإسلام شعرة، وذلك وليد موت العزة في النفوس، وفقدان التناظر حتى يسفح الدم المسلم ظلماً وتمزق بعض الأقطار المسلمة شر ممزق، ولكن أنى للحالمين أن يفيقوا وللاهين أن يجدوا، وللفارغين أن يعملوا.

وبات مستوياً لدى كثيرين أن نعيش أحراراً أو مستعمرين ما دام البطن ممتلئاً والجيب منتفخاً و... و... وأصبحنا نجد الجادين من أبنائنا كالطير الهائم لا يجد منزلاً ولا مستقراً، لاقوا الهوان من بني جنسهم ودينهم، وحق عليهم قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾(١).

وكما قيل:

وإذا لم تكـرم بأرضـك فارتحـل فـلا خـير في دار يهـان كريمهـا

وقد ساعد على ذلك تبدل المثل الأعلى، وتوجيه الاحترام، إلى من يستحقونه فحلوا من الناس القلوب، ومن المجتمعات القدوة، زيهم مقلد ومشيتهم مقصد، وحديثهم متأسيً به، وتعظيم إمرأة تحسن تلوية جسدها، أو تمجيد رجل لإحسانه الكلام صدقاً وكذباً، ووضع لاعب كرة في وضع النجومية أي الأجرام الدائرة في السماء، فيشار إليه بالبنان كما يشار إليها، وغير ذلك أمور تصيب الجادين النافعين بالدوار والإحباط، وتجعلهم يشعرون بالغبن رغم سهر الليالي وإزهاق أنوار العيون في تحصيل مامن شأنه إعلاء أمتهم.

وأوطان هذا شأنها يموت فيها العلماء فاقة وتنتفخ خزائن الفارغين هي أوطان إن صبر فيها البعض احتساباً فلن يصبر البعض الآخر، وقد يهمل رجل لغيرة امرأة من امرأته، أو لأن امرأة لا تستلطفه وتكون النتيجة هجرة يتلقاها بعدها أعداء الإسلام بالبشر والترحاب، وكأنهم يقولون لأبنائنا النابغين انظروا وقارنوا الفرق بيننا وبين

---

(١)سورة النساء: الآية (١٠٠).

www.iqra.ahlamontada.com

ذويكم في المعاملة، وتصبح الخسارة لاتقدر ببلايين ولا بثروة الدنيا كلها، وهل يقدر العلم بمال، وهل ينبغ في كل يوم نابغة، وهل يعلو شأن الأمة إلا بعقول العلماء.

إننا نرى العلماء في كل الدنيا لهم احترامهم حتى أن بعض البلاد لا تسمح بهجرتهم ولو أدى الأمر إلى إيداعهم بالسجون، وبلاد أخرى تضعهم في مكان التجلة والإحترام، فهناك نجوم هوليود نعم ولكن أين هم من نجوم العلم والمعامل؟ تلك نجومية الهزل وهذه نجوم الجد، والأمم تبني بالجد لا بالهزل والفراغ، بالعمل لا بالغناء.... وهل يذود عن الأوطان منحل أو لاديني شيوعي أو منصرف أو منعدم الولاء ؟ أو من تتغبش لديه قيمة الأرض التي نشأ عليها؟وقد نسب القرآن أرض الإسلام إلى المسلمين فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[1].

ورسول الله (ﷺ) دعا ربه: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد**»[2].

فهل إذا فرغ القلب من العقيدة والايمان والدين يبقى فيه مكان للوطن يرجو الاستشهاد من أجله «**ومن قتل دون ماله ـ أرضه ـ فهوشهيد**»[3].

٣- الرود أمام المنكرات:

هناك ما يمكن أن نطلق عليه: سلطة الرأي العام، أو سطوته، أو الشخصية الخلقية، وهي توجد عندما يكون هناك معالم خلقية واضحة وإذا عملت أساليب التفريغ والفراغ عمله أصبح الناس جميعاً كالشخصية الشعبية (جحا) [4]شعارهم "وانا مالي" و "يصطفلوا" إن اعُفي من المسؤولية أمام الناس فلن يعفى من المسؤولية أمام الله ،

---

(١)سورة الحج: الآية (٤٠).

(٢)البخاري، محمد ابن إسماعيل: صحيح البخاري،ج١، تحقيق البغا، ص٦١٨، رقم الحديث (١٧٩٠).

(٣)الترمذي، محمد بن عيسى: الجامع الصحيح، سنن الترمذي، ج٤، مصدر سابق، ص٢٩، رقم الحديث(١٤١٩).

(٤)جحا، رجل أسطوري قيل أنه سكن الكوفة، يضرب به المثل بالحمق والبلاهة، تنسب اليه النوادر والفكاهات ـــ مجموعة من المؤلفين: المنجد في الأعلام، مرجع سابق، ص٢٠٩.

www.iqra.ahlamontada.com

والمسلمون شعارهم التناصح ودينهم النصيحة، وبيعتهم على إقامة الصلاة والزكاة، والنصح لكل مسلم، وهم أمة سبب خيريتها أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر.

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(1).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾(2).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(3).

وقال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(4).

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(5).

قال رسول الله (ﷺ): « **يا أبا ثعلبة مروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة ورأيت أمراً لابد لك من طلبه فعليك نفسك ودعهم وعوامهم فإن وراءكم أيام الصبر صبر فيهن كقبض على الجمر للعامل فيهن أجر خمسين يعمل مثل عمله**»(6).

---

(1)سورة آل عمران: الآية (١٠٤).

(2)سورة التوبة: الآية (٧١).

(3)سورة المائدة: الآية (٧٨ ــ ٧٩).

(4)سورة آل عمران: الآية (١١٠).

(5)سورة الأعراف: الآية (١٦٥).

(6)الحاكم، أبي عبد الله محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين،ج٤، دار المعرفة بيروت، در،دت، ص٣٢٢.

www.iqra.ahlamontada.com

ترى ما موقف الفرد المسلم اليوم؟ ماذا يصنع لدينه ورسالته في زحام هذه الحياة ؟

إن مليار ومئتين مسلم في هذا القرن من تاريخهم في ظروف عاصفة.

أعداؤهم يعالنون حينًا ويواربون أحياناً بنيتهم اتجاه الإسلام، وسواء صرحوا، أو لمحّوا فإن أعمالهم تصرح بما يبيتون!.

إنهم يريدون تفريغ المسلمين من دينهم ويريدون القضاء عليه، وقد رسموا الخطط وبدأو التنفيذ.

الأيام والليالي حبالى تتمخض عن أحداث كثيبة، فأطرافنا تنتقص يوماً بعد يوم، بل صميمنا مُهدد بالضياع، والعولمة مُلحونٌ في محو شرائعنا وشارعنا، ويعينهم أذناب مرتدون أو ساسة مبغضون لكتاب الله وسنة رسوله.

ومما لاشك فيه أن الجو الذي نعيش فيه قد عمل عمله في تبليدنا تجاه المنكرات، فسلسلة الإجراءات في الشرطة والقوانين الوضعية بما تستند إليه من سلطان يهدر الأخلاق كغاية من: غاياته، كل هذا تسبب في رؤية المناكر ثم الإعراض عنها أو الإغضاء عنها، وإذا انعزل الدين عن القيادة ومجدت البعيدات والبعيدون والشاردون والشاردات عن الاسلام فسوف يشتد البرود أكثر وأكثر في نفوس الناس.

فإذا جاء الطوفان فلن يترك صالحاً ولا طالحاً.

وإن بث جراثيم العفن الخلقي، وإدمان الشهوات يسير جنباً الى جنب مع تعطيل الانتاج المحلي وتعطيل الأيدي المتوضئة... فإن الشهوات أغلظ على الأمة من جيش يحيط بها.

وإن سلطات الرأي العام والشخصيات الأخلاقية القائمة تعرف المكانة الشعبية للإسلام. ومن هنا فهي تؤدي الى كنفها صنفاً من الأدعياء والأبواق يمثلون الدين على نحو ما، وينفون عن أعداء الإسلام شبهة الإرتداد والإنصراف عن الدين. وقال تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا

www.iqra.ahlamontada.com

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾[1].

لابد للمسلمين أن يؤازر بعضهم بعضاً في مواجهة المناكر حتى لا تمتد عدواها من المريض الى الصحيح، لأن البرود أمام المناكر يجعل عودها يشتد وجمعها يزداد وعدواها تزداد انتشاراً. ولحظتها يصعب مواجهتها وتسحق الأمة من الداخل...

٤- سيادة الأنانية:

الدين الاسلامي يدعو إلى الإخاء، ويدعو إلى أن يفكر المسلم في أخيه المسلم:

﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ﴾[2].

ويحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، بحيث يضع نفسه موضع غيره دائماً، ويعامله المعاملة التي يحب أن يعامل بها يقول الرسول الكريم (ﷺ) في خطبة الوداع:

« أيها الناس، إنما المؤمنون أخوة، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه من.فلا ترجعن بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا بعدي - كتاب الله أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد.كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى »[3].

وإن من ينظر في هذه الخطبة يجد أن روح الدين الاسلامي روح الأخوة، فالمسلمون في الإسلام أخوة في الدين، يشعرون شعوراً واحداً، ويفكر كل فرد منهم في غيره، يفرح لفرح أخيه، ويحزن لحزنه، ويشاركه سروره وشعوره، ولا يحل مال

---

(١)سورة الأعراف: الآية (١٦٥).

(٢)سورة الحشر: الآية (٩).

(٣) ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ج٤، تحقيق مصطفى السقا، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م، ص٢٦٠.

www.iqra.ahlamontada.com

أخيه بل يحرم عليه أن يتعرض له، أو يعتدى عليه، إلا إذا أعطاه عن طيب خاطر ونفس طيبة، فإن التعدي عليه يؤدي الى الشقاء ويؤدي الى العداء والظلم.

وإن الاسلام يتمثل في الأخوة والإخاء، قال (ﷺ): « **لا يُؤمِنُ أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»[1].

كما تتمثل في الإيثار وهو أن تفضل أخاك على نفسك، وتعطى أخاك ما أنت في أشد الحاجة إليه، عملاً بقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[2].

يعني حاجة وفقر، أي يقدموا المحاويج على حاجة أنفسهم، ويندأون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك[3]. ففي الدين الإسلامي تبدو الأخوة الكاملة، والأخلاق النبيلة، والصفات الفاضلة لأنه يطالب لمسلم بأن يفكر في غيره، كما يفكر في نفسه، ويضع شخصه موضعه، ويؤثر على نفسه، ويقدم له الرغيف الذي لا يملك سواه، وأولاده في حاجة إليه ليزيلوا به ما يحسونه من ألم الجوع، يقدمه بنفس مؤمنة راضية كلها أخوة وإخاء وإيثار، هذه هي روح الإسلام، وهذا ما ينادي به الدين.

مما لا شك فيه أن في داخل كل منا أنا خاصة فيه، وهذه الأنا لها طموحها وشهواتها وأهدافها، فلو كانت أوفر عقلاً أو أقوى ذراعاً أو أكثر نفراً أو أكبر منصباً ولم يكن لها كابح يكبحها ترى هل لأنانيتها حدود؟

إن النصر يفري بالنصر والمال يفري بالمال وسعار الشهوات لا يوقفه إلا العجز أو الموت، والمتربون على موائد المذاهب الاقتصادية أو بعض الفلسفات كالمنفعة لا يعرفون إلا من خلال: انفعني وأنفعك، أما المنفعة من جانب واحد فمرفوضة، وعلى

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ح١، تحقيق البغا، مصدر سابق، ص١٤، رقم الحديث (١٣).

(٢) سورة الحشر: الآية (٩).

(٣) الصابوني، محمد علي: مختصر تفسير ابن كثير، ج٣، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، د ت، ص ٥٨٣.

www.iqra.ahlamontada.com

هذا يجري تبادل المنافع حتى أصبح الأب هناك لا يأبه لأبنائه عند سن معينة ولو كن إناثاً، والابن لا يأبه لأبيه وأمه ولو كانا عاجزين، وهناك بوادر بدرت في البلاد الإسلامية نحو تقليد هؤلاء، ومنها ما سمي ببيوت المسنين، إذ أصبحنا نشاهد أو نقرأ أو نسمع عن إيداع بعض الآباء والأمهات هذه البيوت. وأقرب الأمثلة ما شاهدته يعرض على إحدى القنوات في مقابلات لبعض المسنين أو المسنات أغلبهم يشكون عقوق الأبناء والبنات والأهل والأقارب.

إن ربط الفرد بالفرد لا يكون إلا عبر رباط قوى يشعر الناس بالألفة والإخوة في الإسلام، فإذا قربنا خطوة وأصبح الناس مسلمين، فإن الأنانية ينبغي أن تهذب ولا أقول تمحى فالله ورسوله فقط هما فوق النفس والمال والولد والوالد، أما ما عدا ذلك فكما يقال: أحبك نعم ولكن ليس من نفسي وهكذا فإننا لا نمنع الأنا ولكننا نهذبها فلا يصبح الشعار أنا أو الطوفان، أو إن جاءك الطوفان حط ولدك تحت قدميك، وإنما عش ودع غيرك يعيش، تكسب ودع غيرك يصنع مثلك، لا تقتل الناس بإطعامهم دجاجاً فاسداً أو لحماً فاسداً، أو بيضاً فاسداً أو لا تبن عمارة تسقط على رؤوس الناس ليكبر رصيدك في البنوك ويموت غيرك، فالإسلام يعظم حرمات المسلمين قال الله سبحانه تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[2].

وقد قال رسول الله (ﷺ): «**إن المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً**».

وشبك أصابعه[1]. وقوله (ﷺ):«**ترى المؤمنين:في تراحمهم، وتوادهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضوٌ، تداعىله سائر جسده بالسهر والحمى**»[2].

---

(١) سورة الحج: الآية (٣٠).

(٢) سورة المائدة: الآية (٣٢).

www.iqra.ahlamontada.com

وغير ذلك من الأحاديث الكثير. وشيوع روح التعاطف معناه أن الإسلام مازال متيناً وقوياً بين صفوفنا، أما الأنانية فمعناها تقطع الروابط وتمزق العواطف، فيموت الرجل قهراً أو جوعاً أو عرياً وأية أمة كذلك تبرأ منها ذمه الله ورسوله وتحل اللعنة عليها جميعاً، وإلا فأين سيل الآيات والأحاديث الآمرة ببر اليتيم وضمان حقوق الأخوة وحسن الجوار وصلة الأرحام؟

وقد نادى الدين الإسلامي بالتعاون والتضامن بين أفراد المجتمع، وطالب الأغنياء بمساعدة الفقراء، وشجع على البر وفعل الخير، والسعي لكسب الرزق، وتكفل بإطعام الجائع، وكسوة العاري، وعلاج المريض، وتعليم الأطفال وتربيتهم، وضمن الحياة الكريمة للعاجزين عن الكسب، من الشيوخ والمقعدين واللقطاء واليتامى وغيرهم.

وينفق على هذه المشروعات من أموال الزكاة وبيت مال المسلمين بحيث يشعر الفقراء والمساكين بالرعاية والعطف، ويحيون حياة إنسانية كريمة عادلة، ويجدون من ينصفهم ويعطيهم حقوقهم، ويفكر فيهم، ويدافع عنهم إذا لحقهم حيفٌ أو ظلم، ويرشدهم الى الصراط المستقيم، ويساعدهم فيما يحتاجون إليه.

قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا

---

(١) البخاري، محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، ح١، تحقيق البغا، مصدر سابق، ص١٧٧ رقم الحديث (٤٦٧).

(٢) المصدر نفسه، ج٤ ص٢١٠٧، رقم الحديث، (٥٦٦٥)

www.iqra.ahlamontada.com

يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [1].

وقال (ﷻ): ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[2].

وتستلزم الأخوة أن يفكر الأخ الثري في الأخ الفقير، ويساعده بقدر استطاعته، مع مراعاة إحساسه وشعوره.فالإسلام يحثنا على الوحدة والتضامن والتكامل والائتلاف والتعاون وإحسان الأغنياء منا الى الفقراء، والمشاركة في الشعور، والترابط في الحياة.

قال (ﷺ): **« ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم به»**[3].

وقال (ﷺ): **« الخلق كلهم عيال الله، فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله »**[4].

وقال (ﷺ): **« من نفس عن مسلم كربةً من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والأخرة ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة »**[5].

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٦١ ــ ٢٦٥).

(٢) سورة الروم: الآية (٣٩).

(٣) الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، ح١، تحقيق السلفي، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، الطبعة الثامنة دت، مسند أنس بن مالك، ص٢٥٩ رقم الحديث (٧٥١) بإسناد حسن.

(٤) المصدر نفسه، ح١٠ ص٨٦، ١٠٠٣٣، قال في مجمع الزوائد، ح٨، ص١٩١ فيه موسى بن عمير، متروك لذا قال شيخنا ضعيف جداً.

(٥) ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، للإمام السندي، ح١، مصدر سابق، ص٨٢، رقم الحديث (٢٢٥).

www.iqra.ahlamontada.com

٥- فشو التقليد:

هي أخلاق منغلقة تفتقر للحيدية والتجدد والفيض والتواصل الصالح.

التقاليد: هي قواعد السلوك الخاصة بطبقة معينة أو طائفة أو بيئة محلية محدودة النطاق، وهي تنشأ عن الرضاء والاتفاق الجمعي على إجراءات وأوضاع معينة خاصة بالمجتمع المحدود الذي تنشأ فيه، ولذلك فهي تستمد قوتها من قوة الجماعة أو الهيئة التي تفرض سلطتها على أفرادها بإسمها.

فالتقاليد: شأنها شأن العادات والعرف، كلها مصطلحات اجتماعية مزودة بصنعة الجبر والإلزام، إلا أن التقاليد بالذات، قوة اجتماعية تشكل السلوك المتميز للطبقة أو الجماعة التي تأخذ بها، واحترامها علامة مؤكدة على مبلغ تضامن هذه الطبقة وحرصها على تحقيق تماسكها(١).

والأصل في الفرد المسلم هو الاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله (ﷺ) فهو لا يرى سبيلاً أشرف منهما، ولا أولى بالانقياد له منهما، والاحتكام إليهما علامة على قوة اليقين وثبات الدين لقوله تعالى:﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا(٢)﴾.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣).

وقد أمرنا ربنابالائتمار لأمر الله وروسله والانتهاء عن نهيه فقال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ﴾(٤).

---

(١) محمد حسنين، مصطفى وزملاؤه: علم الاجتماع، وزارة المعارف، الطبعة الثالثة،١٤٠١هـ ١٩٨١م، ص٢٠٧

(٢)سورة النساء: الآية (٦٥).

(٣) سورة النور: الآية (٥١).

(٤) سورة الحشر: الآية (١٧).

www.iqra.ahlamontada.com

وقال جل شأنه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[1].

ومن أقوال الرسول (ﷺ): « **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكو بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة** »[2].

وكان المسلمون الأوائل أشد الناس انصياعاً لأمر الله ونهيه، وأكثرهم تلهفاً على تنفيذ ما يأتي من شرع الله، ثم لما انهزمت الأمة الإسلامية نبتت فيها نابتة التقليد كما ورد عن سيدنا علي رضي الله عنه: (هَمَجٌ رَعَاعٌ أَتَبْاُع كُلِّ ناعِقٍ)[3].

لقد انتشر فينا رجالاً ونساءً التقليد للحياة الغربية في طريقة طعامنا ولباسنا وحياتنا ومجاملاتنا، ونظرة إلى حرم جامعة من الجامعات، أو وقفة على باب وزارة من الوزارات أو مديرية من المديريات أو كلية من الكليات أو مدرسة من المدارس، رانا إلى أي حد نحن نقلد وإلى أي مدى فسدت أذواقنا ، فنحن نأخذ بغير وعي ما يقبل وما لايقبل.

ففي الزي هناك ذوق عام، فما يصلح للبدينة لا يصلح للنحيلة... الخ وهناك زي الصباح وزي العصر وزي المغرب وزي العشاء... الخ.

وفي تسريحات الشعر نجد نماذج وأنماطاً شتى... وهذا كله دليل ضياع الشخصية والهزيمة النفسية والتبعية حتى وإن استقلت بلادنا.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٣١).

(٢) أبو داوود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود،ج٤، تحقيق خليل شيما، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، ص ٢٦٥ـ رقم الحديث (٤٦٠٧) ـ الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، ج٥، مصدر سابق، ص٤٤، رقم الحديث (٢٦٧٦).

(٣) الحسين، محمد (الشريف الرضي): نهج البلاغة، ج٤، شرح محمد عبده، دار كرم، دمشق، در دت، ص ٣٦.

www.iqra.ahlamontada.com

السمة الملحوظة لأهل زماننا أنهم راضون عن أنفسهم مسارعون في أهوائها، فرحون بتقليدهم وهم يرون أن رغباتهم المادية والمعنوية ينبغي أن تجاب، وأن تزال من أمامها العوائق. فشاع تدليل الطفولة والتلاميذ والطلاب في ميدان التربية، وشاع بعد ذلك ترك الغرائز المختلفة تتلمس طريقها في الحياة دون حرج أو دون رهبة، ولانت الأفكار أمام هذا السلوك المقتحم الماضي في طريقه لا يلوي على شيء... وتغيرت مفاهيم الأدب وضوابط الخلق في أرجاء شتى كي تتجاوب مع لون هذه الحياة الجديدة رأيتُه لامع الشعر فرقه بشكل غريب، ذا هندام مقلد وليس أصيل، يتأنق في الحديث، ويتكسر بتلطف مع الآخرين ويفرِّق البسمات والتحيات بلغات مختلفة وبلهجات متعددة، فقال لي زميله: ما رأيك فيه؟ إنه من أولئك الذين يقلدون الحضارة الحديثة على ما فيها من فائدة وجمال. قلت: ما تعني ؟ قال أعني أنه أبعد الدين عن نفسه وروحه فأصبح سعيداً مسروراً؟ قلت إذن فهو فرد فاقد لإنسانيته؟! قال: أفبعد هذا الارتقاء والمعرفة والأدب تصفه بأنه فاقد لإنسانيته ؟قلت أن القشر الجمالي هذا هو وصف هذه الحضارة مع أبطانها الكفر والضلال وسيبقى الفرد المؤمن أعقل منه وأجمل وأفضل منه ما بقي كافراً بالله، فإذا أسلم فهو عندئذٍ إنسان عاقل. إنه لطيف الشمائل، حلو المنظر، ولذلك هو مستأنس متطور ولكنه معذب في داخله خرب فارغ الأمل والطموح ممايجعلنا نأخذ بيده لما فيه سعادته...

كنت في إحدى حلقات الدرس فإذا بي أرى طالباً يلبس سواراً من البلاستيك ونصحت الطالب ثم أخذتها من يده وأفهمته أن الإسلام ينهى عن ذلك التقليد لأهل الكتاب أو الغرب فانتصح، وانصاع. ونفس الحادثة مع رجل آخر في مكان آخر لم ينصع، وأشار إلى أنها حظاظة تجلب له الحظ، وآخر فقال: وأنت لماذا غاضب منها.

وخذ ضيق الملابس حتى في أشد البلاد حراً، ثم ما يسمونه! (الكاوبوي)، (البانكي)، (الفيزون)، وغيرها.. من تقاليد أين شخصيتنا الإسلامية، أين مبادئنا؟ أين أخلاقنا؟.

www.iqra.ahlamontada.com

نحن نشكوا فساداً أخلاقياً، وانهياراً اقتصادياً، وتفسخاً اجتماعياً، وتحللاً أسرياً، نشكوا ضعفاً دينياً، واضطراباً سياسياً، نشكوا تجزئة الأمة، كثرت الشكوى من كل ناحية، ولكن ما النتيجة ؟.

الكل يشكو ويتساءل: أين العلاج؟ والعلاج بين أيدينا ولكنا لا نلجأ إليه لقد جربنا وقلدنا ما استورد من الغرب والشرق ولم نجرب ما عندنا والأصل أن نجرب بضاعتنا قبل أن نستورد من هنا وهناك....

كذلك لايجوز للفرد أن يتسول وهو غني، لأن هذا شيء تعاقب عليه الأخلاق، وتعاقب عليه القوانين، ونحن نتسول رغم أننا نملك أعظم ثروة تشريعية، وعندنا أعظم هداية ربانية، وعندنا أفضل مبادئ تطبيقية ومع هذا نبحث عن هذا وذاك، ونقلد هذا وهذا وذاك، ونتسكع على مائدة هذا وذاك، وجربنا فما نفع، فماذا علينا وماذا صنعنا؟

يقول الشيخ نديم الجسر: "إنه قد نشأ عن جهل بالإسلام الصحيح، وانهزام عقلي للأمة الإسلامية، بعد انهزام عسكري، وعن سوء التربية في الأسرة والمدرسة، وعدم بسط تعاليم الإسلام كما ينبغي، وقد نشأ عن الفراغ والتقليد فناء شخصيتنا في شخصية المستعمرين ـ وإن رحلوا ـ وهو ما يحدث دائماً، وأصبح الشباب المسلم في تخاذل واستكانة وصلت إلى درجة شل بعض قوى الشباب العقلية ومنعها من الانطلاق.. ومن العيوب البارزة فينا عيبان:

أولهما: الإعجاب بالغرب بحيث ننسى أنفسنا ونستسلم له.

ثانيهما: الإعجاب بماضينا والفخر به بحيث نظل مشدودين الى الوراء، ثم تمثل الشيخ بأبيات من شعر معروف الرصافي[1] يشدد فيها الوضع فيقول:

---

(١) معروف الرصافي: هو معروف بن عبد الغني بن محمود ولد عام ١٢٩٢هـ /١٨٧٥م في بغداد، في بيت عربي، أرسل إلى الكتاب في الثالثة من عمره، وختم القرآن وهو في العاشرة ثم تابع علمه في المدرسة الرشدية العسكرية، ثم التحق بالمدرسة العلمية في جامع الحيدر خانة، والتقى هناك بالألوسي، واستمر الرصافي في دراسة اللغة العربية والفقه في المدارس الدينية حتى بلغ الخامسة والعشرين. ثم تنقل في وظائف عدة، التدريس ورئيس لجنة الترجمة ومفتشاً.

www.iqra.ahlamontada.com

أرى مســــتقبل الأيــــام أولى بمطمـــح مـــن يحـــاول أن يســـودا

فمـــا بلـــغ المقاصـــد غـــير ســـاع يـــردد في غـــد نظـــراً ســـديداً

فوجـــه وجـــه عزمـــك نحـــو آت ولا تلفـــت إلى الماضـــين جيـــدا

وهـــل إن كـــان حاضـــرنا شـــقيا نســـود بكـــون ماضـــينا ســـعيدا[1]

٦- رواج الأفكار الهدامة:

في غياب التوجه الصحيح والمناخ السليم المستقى من مصادر موثقة وواضحة اشتد عود المبادئ الهدامة وارتفعت راياتها ونشطت سوقها، وظهرت أشياء مشكوك في هويتها رغم أن القائمين عليها منا، وإن رواج الأفكار الهدامة تطل برأسها بين الحين والآخر محاولة نسج المكر والخديعة، واعتماد التدليس والتزوير لكي تحقق أغراضها ومن أبرزها الدعوة لعقائد ومزاعم ليست من الإسلام في شيء. دورها الدائم محاربة المسلمين، وزرع الفرقة والشقاق بينهم.

ويصلون إلى ذلك بطرح مفاهيم عقدية موروثة، والدعوة إلى محدثات وبدع لا تمت للإسلام بصلة، تحول هذه الأفكار الى إقامة جماعات ومراكز لممارسة تخريبها من خلالها. وهي دائماً تتستر بالأخلاق المثالية أو بالإسلام.

خاصة في زماننا المعاصر الذي يمر بإرهاصات صحوة دينية أو يقظة من فارغ على صعيد العالم كله ـ ويسعى أصحاب هذه الأفكار إلى نشر أنواع من الجدل والتأويلات مما يؤثر في أصحاب الفراغ الديني، وفي أيامنا هذه تنشط هذه الفرق الهدامة في كل مكان يوجد فيه مسلمون خاصة... وتشكل لنفسها مؤسسات تزعم

وعضو في مجلس النواب وغيرها. أطهد من قبل الحكومة بسبب أرائه الصريحة في معاداة الاستعمار وأعوانه، وقضى آواخر آيامه في عزلة وكفاف وتوفي عام ١٩٤٥م دفن في بغداد.

- طلفاح، خير الله: كنتم خير أمة، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٥م /١٣٩٥هـ/ ٨٤٢، (بتصرف).

(١) المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية ـ مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية مرجع سابق، س٤، ع ٨، ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧، ص٢٣٤

www.iqra.ahlamontada.com

الخدمات الإجتماعية أو الخدمات الترفيهية والنوادي أو نشر الوعي والثقافة علماً أن كل ذلك ستائر يتخفون بها.

فهناك مثلاً الروتاري[1] والليونز[2].. وغيرهما مما يعمل في خفاء وهي امتداد لدعوات ماتت كالوجودية.

وأشياء أخرى في مجال الطرب والغناء والموسيقا مضحكة مبكية وجلها جنون في جنون، وقمصان تحمل أسماء مجانينها وتعمل على ترويجها تراها على أجساد الشباب المسلم. وهناك غياب ملاحظ للرقابة على هذه الأشياء، وغياب آخر ملاحظ لما يسمى أمن الآداب، كما أن هناك ندرة في التقاء المسلمين الواعين الراصدين للحركة الأدبية والفنية.

بل إن في المجالات الدينية البحته تنبت نبتات لا يبدو فيها تمحيص العلم ولا خلو البحث من الغرض، فوجدنا أفكاراً أمثال البهائية[1] والقاديانية[2] هؤلاء المخربون

---

(١) **الروتاري**: تأسست أندية الروتاري عام ١٩٠٥م في مدينة شيكاغو الأمريكية من قبل الماسوني بول هاريس. وكان تأسيسها بناءً على أوامر محفل برث اليهودي... وتعمل هذه الأندية تحت شعار " الصداقة العالمية " أما مهمتها الحقيقية فهي الهيمنة السلبية عل الحياة السياسية والأقتصادية، وتبويب المعلومات لمصلحة الماسونية العالمية، والأبقاء على معادلة موازين القوى النقدية والأقتصادية في العالم على وضعها الحالي تحت هيمنة "نادي الثلاثماءة" وذلك من خلال تمركز أعضاء هذه الأندية في جمعيات المعارف وإدارة البورصات والبنوك المركزية وشركات الشحن والتأمين العالمية والشركات الكبرى بوجه عام.

– الكفري، محمود عبد الحميد: العلاقات السرية بين اليهودية وبين الماسونية والصهيونية، دار قتيبة، دمشق الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م ص٢٠٥

(٢) **الليونز**: أندية الليونز العالمية هي كذلك تنظيم فرعي فعال للماسونية العالمية. تأسست أندية الليونز العالمية عام ١٩١٧م في مدينة شيكاغو بناءً على أمر " أبناء الأتحاد" (اسم آخر لمحفل بني برث) أما رسالة الأخوة الليونزيين فهي مهمة سياسية " اجتماعية " فعالة، وهي أختراق التنظيمات والأحزاب السياسية والتأثير فيها باتجاه التقدم بالملاحظة والإنتباه الشديد ان الأنتساب إلى أندية الروتاري والليونز لايتم إلا بموجب قسم. وهذا يشكل بالنسبة لأعضاء الأحزاب الذين يوجب انتماؤهم الحزبي أداء قسم، خيانة واضحة لقسمهم الحزبي وتستراً على موقفهم الحقيقي، فلا يعود واضحاً إذا كانوا حزبيين أم أنهم روتاريون وليونزيون. هذا بالإضافة إلى قيامهم بخدمة اليهودية العالمية من خلال الماسونية.

– الكفري، محمود عبد الحميد: العلاقات السرية بين اليهودية وبين الماسونية والصهيونية، مرجع سابق، ص ٢٠٥-٢٠٦.

www.iqra.ahlamontada.com

يعدّ وجودهم من باب الابتلاء والامتحان للمؤمنين حتى يختبر صدق إيمانهم وسلامة عقائدهم التي لا تنال منها أساليب التشويش، وحركات الردة والأعراف. ويجب أن نعلم بأن هذه الأفكار والمكائد والمزاعم تتخذ في كل عصر وحين نمطاً وأسلوباً مختلفاً، ولكن الغايات قليلاً ما تبدل وتختلف ووجدنا أحد الكتاب يذهب إلى تفسير القرآن بطريقة ترضي أعداء الإسلام، وتلقي حكم القرآن على أصحاب الشرائع والأديان الأخرى، وقد طلع علينا بقراءته الفاسدة ومقاله الطويل يفسر فيه قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٣).

---

(١) **البهائية:** (Banais) عقيدة تفرعت من البابية الإسلامية في فارس أنشأها بهاء الله (١٨١٧ـــ١٨٩٢) وكان بالأساس بابيا (Bab)، وتطورت عقيدته البهائية بعد ذلك من تابع طائفي شيعي إلى صاحب ديانة عالمية للبشرية، مع تأكيد على الوحدة الأساسية لكل العقائد، والتعليم والمساواة بين الجنسين، والزواج الإنفرادي، وتحقيق السلام العالمي. ويدعي أن إيمانه علمي بلا بنية، وليس له طقوس رسمية عامة أو كهنوت، وليس له مستند كتابي مقدس حقيقي، ويلتزم جمهور المصلين بجلسات تعبدية غير رسمية، ويعمل ضمن اطار اداري، وهناك تأكيد دائم على العمل التبشري حتى أن البهائية نقلت الى أوروبا والأمريكيتين وأفريقيا..الخ، في حين أنها بقيت قوية في فارس (إيران) على الرغم من الاضطهاد المقطع.
- زكار، سهيل: المعجم الموسوعي، مرجع سابق، ح١ ص١٩٠.

(٢) **القاديانية:** نشأت القاديانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في الهند، وبلاد الهند تبلغ من الاتساع والتنوع ماتتجاوز مفهوم(الوطن الواحد) و(الأمة الواحدة) و(العقيدة الواحدة). في أقليم البنجاب، وعاصمته لاهور ويدين أكثره بالإسلام وفي إحدى القرى (قاديان) ولد مرزا غلام أحمد عام (١٢٥٢هـ ١٨٣٩م) كان والده يحترف الطب القديم، بدأ حياته بتقشف وزهادة وبؤس وفقر وخمول، وفي أثناء الوظيفة قرأبعض الكتب بالإنكليزية، ودخل في اختبار للحقوق، أدعى النبوة أو التجديد، فكانت القاديانية مؤامرة ضد الإسلام وديانة مستقلة وأنها محاولة منظمة لتأسيس طائفة جديدة على أساس نبوة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنها تريد أن تنحت من أمة النبي (ﷺ) أمة جديدة للنبي الهندي. وفاته مايو سنة ١٩٠٨م .
- عبد الظاهر، حسن عيسى: القاديانية نشأتها وتطورها، دار القلم، كويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤(نقل من عدد من الصفحات) (بتصرف).

(٣) سورة البقرة: الآية (٦٢).

www.iqra.ahlamontada.com

بأن أصحاب الشرائع الواردة في الآية جميعاً ناجون من عذاب الله.

لا خلاف في أن اليهود والنصارى أهل كتاب ، ولأجل كتابهم جاز نكاح نسائهم وأكل طعامهم وضرب الجزية عليهم ، وأختلف في الصابئين. وقوله (من آمن) أي من صدق.

وروى عن ابن عباس أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾

الآية منسوخ بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1].

الآية وقال غيره ليست منسوخة ، وهي لمن ثبي على إيمانه من المؤمنين بالنبي (ﷺ)[2].

٣- العــلاج:

أ – علاج الأسباب التي أدت إلى الأمراض:

والآن وبعد تلك الجولة... كيف السبيل؟ وأين العلاج؟

العلاج موجود والتجربة أمامنا ماثلة، وقد ذكرت أن من أسباب الفراغ الديني:

- عزلة الإسلام عن القيادة الجادة (مما يشار به إلى دور الدولة بذلك).
- قلة الدراسات المخلصة البناءة.
- فقدان القدوة.
- قلة الاهتمام بتدريس مادة الدين.
- عدم توفر الداعية الكفء.
- قلة البرامج الدينية في وسائل الاعلام.
- الافتقار إلى جماعات دينية قوية تغطي الجانب الاجتماعي.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٨٥).

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج١، ص ٤٣٤ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

- دور الدولة في الأهتمام لحل قضية الفراغ.

وكانت النتائج:

- الانصراف عن التدين الجاد.
- الاستخفاف بالوطن.
- البرود أمام المنكرات.
- سيادة روح الأنانية.
- فشو التقليد.
- رواج الأفكار الهدامة.

هذه الأسباب التي أدت إلى الأمراض التي ذكرت نقيضها هو العلاج. وهذه النتائج نقيضها هو نتيجة العلاج كيف ؟.

- إذا صح العزم على سيادة الإسلام، ووجد من يقدر على ذلك ، فالأمر يتطلب العودة المتدرجة إلى حكمه وإلى روحه وإلى أخلاقه، إن شريعتنا الخالدة قادرة على مواجهة الأمر ومعالجة قضايانا وقيادة ركب الحياة من جديد على هدىً من الله وبصيرة، لكن بشروط يجب توافرها وتحققها جميعاً، إذا كنا صادقين في العودة إلى شريعة ربنا جادين في حسن فهمها وحسن تطبيقها.

شروط العودة التي يجب توفرها وهي:

١- العودة إلى الإسلام كله.

٢- التحرر من ضغط الواقع.

٣- التحرر من التبعية للغرب.

٤- ضرورة وجود القيادة المؤمنة الحكيمة.

وكـذلك:

١- تبدأ أحكام القرآن تحل محل القوانين الوضعية، في شتى المجالات لا فرق في الاحتكام إليها بين الحاكم والمحكوم.

www.iqra.ahlamontada.com

٢- توجه أجهزة الإعلام نحو تكثيف الجهود من أجل الإسلام في سلوك العاملين وفي المسلسلات والأفلام والبرامج وفي الصحف والمجلات وجميع القنوات، والأمر أولاً وأخيراً لا خيار لنا فيه، فإما أن نكون أولا نكون وعدم الجد والاجتهاد والصبر والمصابرة في النهوض على أساس إسلامي هو خيانة كبرى لله ولرسوله وللمسلمين.

البحث عن الدراسات الجادة، وتوسيع نطاق نشرها، وتقديم ملخصات للتعريف بها، وتقريرها على الطلبة كل حسب مستواه في مراحل التعليم المختلفة، ونبذ الدراسات السطحية والتحذير منها، وعمل مسابقات للقراءة الحرة وكتابة الأبحاث في شتى المجالات، وبذل المكافآت السخية التي تصل لدرجة طباعة الأبحاث على نفقة الدولة، وتحويل ما يصلح للتصنيع إلى المصانع.

أما دور المتحدثين في الدين والذين وقفوا النشاط العلمي، فيظهر أولاً في البحوث الكلامية الغيبية، والفروع الفقهية الوهمية، والكراسات التي حفلت بحشو لاآخر له، ثم عدَّت ذلك كله هو العلم الذي لاعلم معه وبذلك قطعت الطريق على طب ابن سينا، وكيمياء ابن حيان، وبصريات ابن النفيس وابن الهيثم، لوغاريتمات الخوارزمي، بل إن معرفة التقدم العلمي عند المسلمين لا تجد مراجعة إلا في مكتبات الغرب، وعند المنصفين من المؤلفين الغربيين!.

لكن الفكر العام عند جمهور المسلمين أن علوم الكون والحياة نافلة، ونحن نستميت في تفهيم الشباب الآن أن كلمة التوحيد مهددة ما لم نبرع في هذه العلوم..!

(وقد رأيت أحد طلاب الطب يقتني أسفاراً ضخمة في الفقه والحديث ـ هذا لايعني عدم الإهتمام في الثقافة الإسلامية في مجال التفقه ولكن في مجال الأختصاص والتوسع ـ فأشحت عنه قائلاً: أولى بك أن تقتني هذه الأسفار الضخمة في المعرفة التي تخصصت لها، لماذا لا تنافسون أطباء الغرب في رسوخهم وشموخهم بالمزيد من الاطلاع والتعمق؟ وذكرت أن طبيباً شاباً من أصدقائي كان يتحدث مع أستاذ له

www.iqra.ahlamontada.com

في "الخلية" فإذا الأستاذ يمد يده إلى رفٍّ قريب ويتناول مجلداً كبيراً ويناوله الطبيب الدارس، وإذا المجلد كله عن"الخلية" الحية وما أودع الله فيها من أسرار....

إن ألوفاً من الكتب العلمية تساند الحضارة الحديثة، وتضمن لها هيمنةً على شؤون الدنيا في كل ناحية من نواحي الحياة، والقوم يدرسون بعشق هذه المواد كلها في الوقت الذي أجد فيه طالباً جامعياً في إحدى الكليات العملية مشغولاً بالرد على الجهمية!) [1]

- فأما فيما يتعلق بتحسين أحوال من يقتدى به أن يضع في حسابه ، وكذلك من يتصدى للتربية أو الدعوة أن يكون فيه:

١- أن يكون عالماً قدوة مخلصاً صالحاً.

٢- مندفعاً له مجاهد في سبيله.

٣- وقافاً عند أوامره وزواجره.

٤- فاهماً للإسلام على حقيقته.

٥- مطبقاً لحدوده وأحكامه.

٦- لا تأخذه في الحق لومة لائم.

ومما يضاف إليه أيضاً:

١- ألا يتقدم الصفوف إلا كفء في ديانته وإخلاصه وبروزه في عمله وتسلط الأضواء على سلوكياتهم

٢- يشجع من الأباء والمدرسين من يلاحظ أنه أحسن تربية أبنائه وتلاميذه.

وكان قدوة صالحة لهم، كما يحب أن يسكن غياهب النسيان من لايصلح للقدوة، ويحذر الناس من عمله حسب قانون المولى سبحانه وتعالى:

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2].

---

(١) الغزالي، محمد: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٨. ص ٤١ - ٤٢.

(٢)سورة الرعد: الآية (١٧).

www.iqra.ahlamontada.com

وفيما يتعلق بتدريس الدين فالأمر محتاج إلى أن نعلم جميعاً أنه لولا الإسلام ما كنا. وينبغي أن يكون:

١- أن يوضع مدرس مادة الإسلامية في موضعه بين الكوادر المتميزة.

٢- يوضع الكتاب المقرر من حيث انتخاب العناصر التي ستؤلفه.

٣- أن توضع حصته في موضعها في أحسن ساعات اليوم نشاطاً وإقبالاً من الطالب والمدرس.

٤- اعتبار مادة التربية وعلاقتها اعتبارية في النجاح والرسوب.

٥- حذف كل ما يسيء إلى الدين من قريب أو بعيد في مناهجنا التربوية.

٦- أن يعرف مدرس الدين أن أي عيب فيه هو كما يقال "القشة التي قصمت ظهر البعير" وكفى به إثماً أن ينعت الخالق لعباده كما كفى به ثواباً ان يربي جيلاً يحب الله ورسوله.

ومما يضاف إليه في مجال معالجة الفراغ الديني:

١- حذف وإسقاط كل ما يسيء إلى الإسلام وأهله من قريب أو بعيد في وسائل الإعلام.

٢- محاسبة من تبدر منه بادرة الاستهانة بالإسلام قولاً أو فعلاً أو تأليفاً حساباً عسيراً حتى لا يتجرأ أحد على المساس به، فإن تحقير الدين في صورة من ينتسبون إليه عمل من أعداء الإسلام على مدار التاريخ قديماً وحديثاً.

أما دعاة المساجد فعلينا أن نلحظ فيه ، أن لا نصب غضباً على الأئمة والخطباء والوعاظ أو وزارة الأوقاف، ـ فالأئمة إلا القليل ـ

١- هم نتاج معاهد تعليمية في مجتمع معين مستواه العلمي لا نجهله ـ ولكن هذا حال بعضها ـ والبعض الآخر على مستوى علمي مميز ومدقق فيها.

٢- مستوى الوعي لهؤلاء لا يبشر بخير لما وقعوا فيه على حد معين من المعرفة والدراية والاطلاع

www.iqra.ahlamontada.com

٣- هؤلاء بشر والبشر لهم حاجات إذا توفرت انطلق تفكيرهم إلى ما يكلفون به فأما حين تكون الحاجات وأعني بها المطعم والملبس والمسكن والكتاب مما يوفر الراحة النفسية ـ غير متوفرة ـ أو مناخ التربية غير جيد، أو المعلم غير جيد، فسوف يأتي إمام المسجد كغيره والأمر محتاج إلى تربية الكوادر، وكما تفعل بعثات التبشير الصحيحة جسماً وعقلاً وإدخالها دورات ينتفى للتدريس بها كبار المفكرين والغيورين على الإسلام المتبصرين بحال المسلمين، كما يكون التشجيع على القراءة والأبحاث حافزاً على تنشيط الهمم، وتوفير الكتاب بأقساط مريحة أو مجاناً، أليست الأوقاف من أجل خدمة الإسلام والمسلمين؟

- فأما قلة نصيب الدين في وسائل الإعلام فأمر ظاهر، ولنأخذ عينة عشوائية ما يظهر على شاشات القنوات الإسلامية والعربية أو الصحف في يوم ونحصي ما بها من الشؤون الدينية، ثم نقارن بينها وبين الأفلام والمسلسلات والبرامج العادية أو الرياضة أو لقاءات من أهل الفن في الشرق والغرب. ولسوف يتضح لنا فيما عدا يوم الجمعة أو المناسباب الدينية، أن نصيب الدين نزر قليل، وحتى يوم الجمعة فإنه بالقياس لغيره يكون قليلاً، وإذا سألنا أنفسنا حسب ضرورة تقدير الأهمية للأشياء فهل تأتي الكرة وقصص أهل الفن وإعلانات المصارعة في الأهمية قبل أهمية الدين.

- الاستنتاج المهم، وهو أنه إذا كان تقدير الأهميات لدينا هكذا فنحن نستحق ما نحن فيه من تخلف، كما أننا سوف نظل الساحة التي يروج فيها كل النمو بدعوة الفن والتقدم أو الخروج عن المألوف.

فإذا وجدنا الساحة مفتوحة أمام كل الحركات من روتاري إلى ليونز إلى اليوجا ودعاة الصفاء.. والنوادي والحلقات والأحزاب...وغيرها ، إلى هواة صك الأسماع بما يسمى موسيقا غربية ورقصا... بينما كافة المحاذير تحيط بالتجمعات الشبابية الاسلامية، فإننا نوقن بأن النشاط لفائض، أو الرياضة أو الثقافة أو الترفيه في حاجة إلى

www.iqra.ahlamontada.com

جسور سليمة وعلنية ولا بد من ذلك لا بد من التجمع الواضح فكراً وسلوكاً وقانوناً حتى لا نترك أبناءنا فريسة للضياع بينما يتجمع أبناء غيرنا.

٣- الجانب التطبيقي للفراغ الديني

في الجانب التطبيقي استُطلع رأي أفراد من المجتمع عن الفراغ الديني لديهم، وكان الهدف من هذا الإستطلاع التعرف على أهمية الدين ومكانته لدى أفراد المجتمع المسلم وعوامل ظهور الفراغ الديني لدى النساء، ومدى تمسك الأفراد بالدين وانعكاس ذلك على سلوكهم ومجالات حياتهم وصور النشاد الديني داخل المنزل والمجتمع، ودور الجماعات الدينية، ومصادر المعلومات الدينية لدى المسلمين.

أ ــ آراء الأفراد عن أهمية الدين ومكانته وضرورته:

من تحليل إجابات الأفراد عن الأسئلة المرتبطة بهذا المجال من مجالات استطلاع الرأي من خلال اللقاءات والاستبيانات لوحظ أن جميع الأفراد تقريباً آثروا أهمية الدين للفرد وضرورته للمجتمع. ولم يكن لاختلاف الأعمار والأماكن أو الجنس أو المدارس أثر ملحوض على آراء الأفراد.

كما رأت أغلبية ساحقة من الأفراد أن العقائد الإسلامية تجعل حياة الفرد أكثر سعادة ولم يكن لاختلاف الأفراد أثر كبير في تغيير آراء الأفراد، بإستثناء بعض الأفراد (أصحاب الفكر المادي) الذين ينكرون أن الأديان تجعل حياة الإنسان أكثر سعادة.ما لم يكن لانضمام بعض الأفراد للجماعات الدينية تأثير كبير في تغيير أرائهم.

وفيما يتعلق بعلاقة الشقاء بلإيمان لم يستطع الأفراد أن يحددوا رأيهم بصفة قاطعة في هذا الشأن حيث زادت قليلاً نسبة من رأوا منهم أن الشقاء يهز الإيمان. على نسبة من رأوا أن هذا الاهتزاز قد يحدث أحياناً. وكلاهما لم يبلغ نصف عدد الأفراد (أفراد العينة) وأثبتت فئة قليلة أن هناك علاقة بين شقاء الإنسان في الدنيا وبين درجة إيمانه

www.iqra.ahlamontada.com

ولم يكن لاختلاف الأفراد أثر ملحوض على أراء الأفـراد. باستثناء (اصحاب الفكـر المادي) الذين يثبتون علاقة الارتباط بين الشقاء والإستغلال المادي؟؟.

كما لوحظ أن نسبة أكبر من الأفراد ترى الإيمان يهتز بقدر ما يواجه الفرد من شقاء في الدنيا، بينما تزيد نسبة النساء عن الرجال الذين يثبتون هذه العلاقة وتنكر فئة أكبر من الأفراد الذكور المنظمين للجماعات الدينية أن الشقاء يهز الإيمان وتزيد نسبة أترابهم غير المنظمين الذين يعتقدون أن هذه العلاقة قد توجد أحياناً، وجدير بالذكر أن الأفـراد الانـاث المنظمـات للجماعـات الدينيـة تنفـي نسـبة كـبيرة مـنهن بالمقارنـة بأترابهن العلاقة بين الشقاء واهتزاز الإيمان ولم تجب واحدة منهن بنعم بينما فعل ذلك نسبة لابأس بها من الأعضاء ولم يكن لاختلاف الأفراد في المكان والعمل أثر ملحـوظ على آراء الأفراد. وترتبط زيادة الإنتاج بالإيمان ارتباطاً قوياً من وجهة نظر معظم أفـراد المجتمع، وإن كانت نسبة الأفراد الذين يعتقدون ذلك تتناقص تدريجياً بتقدم الأفراد في سنين العمر، ولم يكن الفارق كبيراً بـين آراء الـذكور والانـاث، أمـا الأفـراد المنضـمون للجماعـات الدينيـة (المتـدينون) فكـانوا أكثـر إيمانـاً مـن أقـرانهم غـير المنضـمين أو المتدينين. يوجد ارتباط بين الإيمان وزيادة الانتاج.

كما أن طلاب المدارس الشرعية ذكوراً وأناثاً أكثر انتاجاً من زملائهم وزميلاتهم في غير تلك المدارس، ولم يكن هناك تأثير ملحوظ لاختلاف الأفراد على آرائهم باسـتثناء ارباب الفكر المادي الذين انخفضت نسبياً بينهم أعداد الأفـراد الـذين يـرون أن الإيمـان يدفع إلى المزيد من الإنتاج واتقان العمل.

هذه النتائج تؤكد أن روح الإيمان موجودة ومتأصلة في الأفراد في المجتمع المسلم، وأن هؤلاء الأفراد، وإن بدأ للبعض أنهم بعيدون عن الدين أو فارغون منـه إلا أنهـم في الحقيقة يقدرون قيمة الدين وأهميته في حياته وضرورته لمجتمعه.

ب ـ الإتجاه الديني لدى الأفراد:

اظهرت نتائج الدراسة الميدانية أن أغلـب الأفـراد يلمسـون وجـود اتجـاه ديـني بـين

www.iqra.ahlamontada.com

الأفراد وأن نسبة من أنكروا وجود هذا الاتجاه قد بلغت حوالي ثلث أفراد العينة، ولم يكن لاختلاف الأفراد أو الجنس أو المدرسة أو العمل تأثير كبير على آراء الأفراد. وقد عزا الأفراد الذين أنكروا وجود هذا الاتجاه ظهوره إلى الأسباب الآتية.حسب أولوية اختيار الأفراد لها:

١- النشأة والبيئة الأسرية.

٢- رفع شعار العلمانية في الدولة.

٣- وجود تيارات معارضة للدين.

٤- اليأس والشعور بالضعف والوهن أمام ما يواجه الأفراد من مشكلات.

٥- رد فعل للبعد عن الدين.

٦- تقصير وإهمال بعض علماء الدين من تحليل وتعميق المفاهيم والقيم.

٧- إتجاه مؤقت مرحلي مرتبط بضروف ووعي الفرد.

وقد ظل السبب الأول محتفظاً بالمرتبة الأولى بين أسباب الفراغ وأسباب ظهور الاتجاه الديني لدى الأفراد وقد عزا الأفراد الذين أقروا وجود هذا الاتجاه بالاضافة للسبب الأول

١- (النشأة والبيئة الأسرية).

٢- رفع شعار الإيمان والعلم.

٣- وجود تيارات دينية قوية هادفة.

٤- العمل وعدم اليأس.

٥- نهضة بعض علماء الدين في مسار الدعوة والمعرفة.

٦- رد فعل عند المسلمين بالعودة إلى الدين (الصحوة الإسلامية).

٧- اتجاه مؤقت مرتبط بمرحلة النمو التي يمر بها الفرد.

أعود للمفكرين لأجد أن السبب الأخير وإن كانت نسبته ضئيلة من الأفراد يعتقدون أن هذا الاتجاه إنما هو مرحلة (عند الطائفتين) أجد من الجدير ذكره أنه دليل على

www.iqra.ahlamontada.com

فراغ النشئ وبعده عن دينه كما أن هذه الأسباب تدفع البعض للتـدين تـدفع بـالأخرين إلى الفراغ وعدم التدين، في حين ترى أكثـر النسـاء أن العـاملين المسـؤولين بالدرجـة الأولى ايجاباً وسلباً هما المنشأة الأسـرية والبيئـة ورفـع شـعار الإيمـان والعلـم كـذلك سبب العلمانية والحرية المطلقة، وكذلك بقية الأسباب.

والواقع أن هذه العودة إلى الدين بين الأفراد أمر لايـدعو إلى الدهشـة والعجـب في مجتمع كان ولايزال الدين فيه جزءاً وركيزة هامة في بناء شخصيتة وشخصـية أفـراده، ولكن الذي يـدهش ويوقـف الفـرد متعجبـاً حـائراً أن يجـد في الأمـة وأفرادهـا فراغـاً معرفياً دينياً سلوكياً.وقد ظهر هذا الفراغ وإن كان مواكباً لهـذا الاتجـاه. منـذ السـتينات إلى مقتبل هذا القـرن بنجـاح بعـض الأفكـار الماديـة والتشـكيك الإلحاديـة والإباحيـة، وتفسر فشل القـائمين علـى ذلـك الـذين حـاربوا طبيعـة هـذا المجتمـع وحـاولوا قتـل العاطفة الدينية والإتجاه الديني في نفوس أفراده، والذين حاولوا دفع المجتمـع المسـلم للتخلي والتفريغ عن المبادئ الدينية وعن الثروة الإيمانية التي نشأ عليها.

ج ـ مدى تمسك الأفراد بالدين:

إن من أهم خصائص الدين الإسلامي هـي الشـمول والتكامـل والتـوازن وهـو ديـن الفطرة وديـن الحيـاة الـدنيا والآخـرة، وقـد جـاءت توجيهـات الإسـلام مسـايرة لفطـرة الانسان، وشرع الإسلام للناس من أنواع الطاعات ومظاهر السلوك مايساعد الفرد علـى أن يكون قوياً في نضاله في الحياة وقوياً مطلبه الى هدفه وتعد بعد المسلمين عن أهـم الأهداف والمبادئ والغايات الإسلامية التي شـرعها لهـم ديـنهم الحنيـف والـتي تشـكل المنهج العملي للسلوك الفردي وللعلاقات بين الأفراد في المجتمع الإسـلامي بقـدر مـا يصيبهم من فراغ وضـعف وركـود وتفكـك وهـو مـا أكدتـه آراء المفكـرين والكتـاب والمحدثين الذين صوروا واقع المسلمين اليوم وأسباب فراغهم وتخلفهم.

والعوامل والشروط اللازمة لإستعادة ثقتهم في دينهم ومستقبلهم في ضـوء ماضـيهم وحضارتهم التي كان لها الفضل الأول في مايتمتع به الغرب حالياً من تقدم.

www.iqra.ahlamontada.com

وقد وجهت إلى (أفراد العينة) مجموعة من الأسئلة ضمن استمارة استطلاع الرأي والمقابلات للتعرف على مدى تطبيقهم للمنهج الإسلامي في عباداتهم ومظهرهم ومعاملاتهم.

فيما يتعلق بالعبادات وتأدية الفرائض وجهت إلى أفراد مجموعة من الأسئلة خاصة بالأساس الذي يبنون عليه إيمانهم ومدى مواظبتهم على أداء الصلاة والصيام والقدر الذي يحفظونه من القرآن الكريم.

وقد تبين من تحليل آراء الأفراد أن أغلبهم يبنون إيمانهم على التقليد والعادة وأن نسبة قليلة منهم قد آمنت إيماناً عن قناعة وتدبر، ولم يكن لاختلاف الأفراد تأثير كبير على تفاوت آراء الأفراد وكذلك لم يكن هناك فارق ملحوظ بين آراء الأفراد الذكور والإناث كما لم يكن انضمام الأفراد للجماعات الدينية أو التحاقهم بالمدارس المختلفة على آرائهم.

ومن حيث مواظبة الأفراد على الصلاة وجد أن نسبة قليلة من أفراد المجتمع تواظب على أداء الصلاة إما بصفة منتظمة أو غير منتظمة، ويمتنع عن أدائها نسبة كبيرة من الأفراد.

ولم يكن الفارق كبيراً بين آراء الأفراد، وجدير بالذكر أن النساء كن أكثر مواظبة على الصلاة من الرجال، كما لوحظ أن الأفراد المنضمون للجماعات الدينية كانوا أكثر مواظبة على تأدية الصلاة من اترابهم من غير الجماعات الدينية، وزادت مواظبة النساء المنتسبات إلى مجموعات دينية على أداء الصلاة عن أقرانهن الغير منتسبات، وبمقارنة النتائج تبين أنه لم يكن هناك فارق ملحوظ بين أراء الأفراد بإستثناء الأفراد العاملين في أرباب الحرف الذين كانوا أقل الأفراد إنتضاماً في أداء الصلاة.

وتصوم أغلبية ساحقة من الأفراد شهر رمضان، ولم يكن لاختلاف الأفراد أثر ملحوظ على أراء الأفراد وتقل نسبة من يداومون على أداء هذه الفريضة بين بعض الأفراد من الشباب ما بعد سن المراهقة، ولم يكن لاختلاف الجنس، أو الإنضمام

www.iqra.ahlamontada.com

للجماعات الدينية أو اختلاف الأعمال تأثير على أداء الأفراد.ويحفظ غالبية الأفراد بعض سور القرآن ولم توجد إلا فئة ضئيلة جداً تحفظه كله وفئة أكبر منها بقليل تحفظ جزءً من القرآن.

وقد لوحظ أن اختلاف الأفراد قد أثر تاثيراً ملحوظاً بين سكان المدينة وسكان الريف وقد ظهر لاختلاف الجنس أثر واضح على أراء الأفراد وجدير بالذكر أنه لم توجد من النساء نسبة منظمة إلى تحفظ القرآن بينما تجد نسبة لا بأس بها من الذكور أعضاء في مجالس حفظ القرآن لاختلاف الافاقة وغيرها اثر ملحوظ على أداء الأفراد.

وهذه النتائج تشير الى تمسك الطلاب بتأدية العبادات والفرائض تمسكاً ظاهرياً أوتقليدياً لم تصل إلى الغاية المرجوة من تهذيب الدين طبيعة الفرد وتحقيق التماسك والترابط بين أفراد المجتمع.

حيث تؤدي بصورة شكلية روتينية خالية من الهدف والمعنى إنما يجب أن ينعكس أثرها على الفرد وأن تحقق الغاية المنشودة فيها، ومما لاشك فيه أن الإيمان القوي يدفع صاحبه إلى الإيجابية والمشاركة في إصلاح الجماعة وتقويم ماقد يكون فيها من انحراف والتدين الصحيح قول وفعل وإيمان وعمل.

(ولم تتعرض هذه الدراسة للزكاة والحج حيث أنها غير واجبة على الأغلبية الساحقة من العينة) وقد استهدفت الدراسة الميدانية التعرف على مدى أتسام الأفراد بالمظهر الديني من حيث شجاعتهم في الحق وإبداء الرأي بحرية وبلا خوف وإيجابيتهم في مقاومة المنكر وحرصهم على الإلتزام بالمظهر اللائق بالمسلم ومدى اقتناعهم بأن المظهر الخارجي للمسلم دليل على تدينه.

- أما عن حرية الرأي فقد لوحظ أن أغلب الأفراد لايعبرون عن رأيهم بحرية. وإن كانت هذه الأغلبية تتعدى أكثر من نصف العينة. ولايجد أقل من ثلث الأفراد حرجاً في التعبير عن رأيهم أحياناً وأحجب الباقي عن إبداء الرأي، ولم يكن هناك فارق بين أراء الأفراد وقد تبين أن النساء أقل جرأة في التعبير عن رأيهن من الذكور وقد يكون

www.iqra.ahlamontada.com

ذلك راجعاً إلى أسباب عديدة.

وعن مدى سلبية الأفراد في مقاومة المنكر أظهرت نتائج استطلاع الـرأي أن أغلبيـة الأفراد لاينكرون المنكر ولايقاومونه، في حين أبدت الأقلية اهتمامها الشـديد بمقاومـة المنكر ومن الجدير ملاحظته أن هناك فئة أظهرت عدم مبالاتها ووقفت موقف الحيـاد السلبي للقائمين على ذلك.

ولم يؤيد المنكر غير نسبة ضئيلة تكاد لاتذكر من الأفراد ولكنها موجودة.

ولم تتغير أراء الأفراد كثيراً من تغير أنواع وأجناس ومكان أو بين الـذكور والإنـاث، وقد لوحظ أن أعضاء الجماعات الدينية كانوا أكثر إيجابية وحماسـة لمقاومـة المنكـر من غير المتدينين، وهو أمر طبيعي ومنطقي حيث أن جزءاً من دعوتهم بل إنـه يشـكل أهم واجبات المتدينين تجاه دينهم ومجتمعهم، وعن ارتباط المظهر الخـارجي بالتـدين أظهرت النتائج أن أغلبية تزيد على النصف بقليل من الأفراد ترى أن المظهر الخارجي للمسلم لايدل أحياناً على تدينه، بينمـا نفـى حـوالي ثلـث الأفـراد وجـود ارتبـاط بـين المظهر الخارجي والتدين.

وأثبتت نسبة ضئيلة وجود هذا الإرتباط ولم يكـن لاخـتلاف الأفـراد تـأثيراً ملحـوظ على هذه النتيجة وإن كان اعتقاد الأفراد في صحة علاقة الإرتباط بـين المظهـر والتـدين تكثر عند المتقـدمين في السـن، وربمـا كـان ذلـك راجعـاً لطـول خـبرتهم ومخـالطتهم للأفراد من المتدينين الملتزمين ممن كانوا قدوة حسنة، وجـدير بالـذكر أن النسـاء كـن أكثر اقتناعاً من الذكور بأن المظهر الخارجي دليل على التدين، ولم يكن لتنوع الأفـراد أثر ملحوظ على آرائهم.

وعن مدى إلتزام الأفراد في معاملاتهم وجهـت إلى الأفـراد بعـض الأسـئلة الخاصـة بالصدق في القول والعمل والإقـدام علـى الغـش والرشـوة ومـدى الشـعور بالنـدم عنـد إهمال الدين أو معصيته، مثل هـذه الصـفات تلقـي الضـوء علـى عـدم تمسـك الأمـراء بالقيم الدينيية في معاملاتهم مع غيرهم ولدى ما يتمتعون به من ضـمير نـائم أو غافـل

www.iqra.ahlamontada.com

ورقابة داخلية مشغولة.

فعن الصدق قولاً وفعلاً أن نصف الأفراد تقريباً لايقولون الصدق دائماً بينما نجد نسبة أقل من النصف بقليل تصدق في أقوالها وأفعالها.

وفئة ضئيلة للغاية لاتقول الصدق مطلقاً.

ولم يكن هناك تأثير ملحوظ لاختلاف الأفراد جنساً وعملاً ومكاناً على أراء الأفراد ولم تتأثر أراء الأفراد نتيجة لانضمامهم للجماعات الدينية بإستثناء إلتزام نسبة أكبر من أعضاء الجماعات بقول الصدق ولم يؤثر وجود الأفراد بالأماكن والظروف المختلفة على أرائهم وأسفرت نتائج استطلاع الرأي عن نسبة كبيرة وغالبية من الأفراد وتقدم على الغش والرشوة إذا أمنت العقاب، بينما تقدم نسبة أقل من الأفراد على الرشوة والغش عند الضرورة، ولم يكن لاختلاف الأفراد او الجنس أثر ملحوظ على أراء الأفراد، وجدير بالذكر أن الأفراد ذوو التربية الإسلامية أكثر إحجاماً عن الرشوة والغش ـ بصفة عامة عن أقرانهم غير المربيين التربية الإسلامية وإن كانت نسبة لابأس بها منهم تسمح لنفسها بالغش والرشوة عند الضرورة، ولم يكن هناك فارق ملحوظ بين أراء الأفراد بالأماكن والظروف.

وينتظم أغلب الأفراد بالعمل والإنتاج، وتواظب نسبة قليلة على الاتقان أحياناً، أما من يهملون أعمالهم فقد كانت نسبتهم كبيرة للغاية، وتقل نسبة إنتظام الأفراد كلما تقدم الفرد في عمله ويظهر ذلك بوضوح بعد الخدمة الطويلة، ولم يكن هناك فارق ملحوظ بين أراء الذكور والإناث، وكان المتدينين أكثر حرصاً على أعمالهم من أقرانهم غير المتدينون، ولم تختلف أراء الأفراد كثيراً بإختلاف مكان وجودهم.

ومما يدعو إلى النظر والتفكير بمستقبل الجيل أن أغلب الجيل ذوا وازع بارد غافل عن محاسبته عند إهماله لأمور دينه، وأن نسبة ضئيلة للغاية تهتم وتبالي عندما تخطئ أو تهمل، ولكن مما يزيد في الأسف أن حدة الشعور بالندم تنخفض كلما استمرء الفرد الغفلة والفراغ، ولم يتغير رأي الذكور عن رأي الإناث كثيراً. ويتمتع الكثيرون

www.iqra.ahlamontada.com

من المتدينين بضمير يقظ من أقرانهم من غير المتدينين.

هذه النتائج تشير إلى أن غالبية الأفراد لايبدون اهتماماً حقيقياً بالدين وأن فئة قليلة منهم تبدو قريبة من الدين، تقوم بأداء العبادات والفرائض، وتلتزم بالقيم الدينية في سلوكها ومعاملاتها مع الغير، وقد يرجع ذلك الى نضج الوعي الديني لديهم وهو الواجب الذي يجب أن يضطلع به كل مهتم بأمر الأمة وشبابها في هذا المجتمع.

وإن كان ذلك فلا نسيء الظن بالفرد أو بإستعداداته وطاقاته، ولكن الرائد لايكذب أهله مما نلفت الإنتباه له من حكامٍ ومربين وعلماء دين ومفكرين أن يبدوا مزيداً من العمل والمجاهدة والثقة وإن يوجهوا المزيد من الإهتمام والرعاية والتوجيه وبأخلاص وأمانة يفرضهما عليهم واجبهم الديني والوطني لمشاكل الأفراد فكرية وثقافية. واجتماعية وسياسية واقتصادية... الخ، وتخليصه من كل مايدفعه إلى اليأس والتبرم والسخط والغربة في مجتمعه والشك في حاضره ومستقبله.

د- النشاط الديني في المجتمع:

من الدراسة النظرية والميدانية تبين وجود الفراغ بين الأفراد في المجتمع الإسلامي اتخذ صوراً ومظاهر متعددة كان من بينها. عدم قيام المسجد بدوره الريادي في المجتمع والإكتفاء بصلاة الجماعة والجمعة وبعض الدروس المفرغة من قضايا الأمة ومعالجة ظروفها ومعضلاتها.

مما جعل الناس ينظرون إلى النشاط الديني متكون في صلاة الجماعة والجمعة فقط. أما مايترتب على النشاط الديني الدعوي والمنهجي فقد استبعد من فكر واهتمام الأفراد.

ومن خطورة تفريغ المسجد والعمل الدعوي والنشاط الديني ومايترتب عليه من خطورة بالمرة على الدين لم يكن لاختلاف أراء الأفراد المختلفة تأثير ملحوظ على أرائهم بشكل عام.

وعن مدى تأثير المسجد والعمل والنشاط الدعوي في رفع مستوى الوعي الديني

www.iqra.ahlamontada.com

الفصل الثالث

مظاهر خطورة عدم ترشيد الفراغ

١- على الصعيد الثقافي.

٢- على الصعيد الأخلاقي.

٣- على الصعيد الاقتصادي والإنتاجي.

٤- على الصعيد التربوي.

٥- عوائق استغلال الفراغ.

٦- المبادئ التربوية لعلاج ظاهرة الفراغ.

www.iqra.ahlamontada.com

لابأس بها من الطلاب بالمدارس عن هذا السؤال إما عـن خـوف أو عـن جهـل لعـدم وجود العلاقات والأنشطة التي من خلالها يعايش الطلاب أسـاتذتهم ويتعرفـون علـيهم والـتي لاتمتـد إلى أبعـد مـن التـدريس والإمتحانـات، ولم تـتغير فكـرة الطـلاب عـن أساتذتهم بتدرجهم في سنوات الدراسة. عدا أن طلاب المراحل المتقدمـة في المرحلـة الثانوية تقل ثقتهم بهم، في حين تشعر فئة ضئيلة للغايـة مـن الطـلاب بوجـودهم ولم يستطع حوالي ربـع طـلاب المـدارس الإجابـة علـى هـذا السـؤال. ولم يكـن لاخـتلاف المراحل الدراسية أو جنس الطلاب أثر على هذه النتيجة.

ولم يكن لاختلاف الصفوف والمراحل الدراسية أو جـنس الطـلاب أثـر علـى هـذه النتيجة، ولم يكن لالتحاق الطلاب بالمدارس المختلفة أثر ملحوض على أرائهم.

www.iqra.ahlamontada.com

جدول مقارنة

بين الفرد المسلم وفيه يبدو أثر الدين.

والفرد الجاهلي الفارغ وفيه يبدو أثر عدم التدين

عنصر المقارنة	الفرد المسلم	الفرد الفارغ
تعريف	هو الذي يؤمن بالإسلام عقيدة ورسالة وشريعة ومنهجاً ونظام حياة	هو الذي يؤمن بأي فكر أومبدأ أو عقيدة غير الإسلام وقد لايكون له أي مبدأ أو أي هدف مثل الهيبز
الجوانب العقدية	يؤمن بأركان الايمان وقضاياه جميعها. يؤمن بالله رباً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً و رسولاً، وبالقرآن كتاباً ومنهجاً وشريعة واليوم الآخر معاداً والملائكة عباداً لله، وبالقدر خيره وشره ويتخذ من إسلامه منطلقاً في حياته	لا يلتزم بشيء ولا يعتقد بشيء هملاً وقد يؤمن ببعض ويكفر ببعض أو لا يدري أي شيء، لكنه يتخذ أهواءه ورغباته وشهواته أسلوباً ومنهجاً له في الحياة.
الجوانب الخلقية	يمتثل بالقيم العليا اعتقاداً من صدق وأمانة وإخلاص، وحب وإيثار ويوافق قواعد الأخلاق ولو كان في ذلك تلفه إذا ما كان غيره محارباً له في سلوكه واسلامه	لا يعمل وفق قيم أخلاقية عليا. المنفعة والمصلحة عنده هي كل شيء قد يصدق أو يتفق أو يخلص في عمله بعض الأحيان بفرض المصلحة فقط.
الجوانب الاقتصادية	أ – الربح عنده وسيلة للكسب الحلال والعمل النظيف والعيش السعيد ب– المال عنده عارية مستردة وابتلاء. ج– يؤتي الأجير أجره بشكل صحيح. د – لا يحتكر هـ– لا يغش و– يسعى لفائدة المجتمع أولاً.	الربح عنده غاية يسعى إليها بأية وسيله (الغاية تبرر الوسيلة) ولو كانت المخدرات مثلاً أو السرقة أو الاحتكار أو الرشوة وغيرها. - المال عنده غاية وهدف وكنز. - المال كل الحياة وغاية الغاية. - المكرم عنده صاحب المال الأكثر هو المحترم الأكثر - ينهب قدر استطاعته. ويسعى لفائدة نفسه أولاً وآخراً

www.iqra.ahlamontada.com

عنصر المقارنة	الفرد المسلم	الفرد الفارغ
الجوانب الاجتماعية	لا يعتدي على الآخرين يرعى حرمات الناس والجوار يحرص على سلامة المجتمع، ويحرص على فائدة المجتمع. يصلح بين الناس، يقاوم الفساد الاجتماعي.	ربما يعتدي على الأخرين، يغتب يتجسس على عورات الآخرين، لا تهمه سلامة المجتمع أو أي حرمة لأحد. ربما ينشر الفتن بين الناس ويسعى مع الرذيلة.
الجوانب الأسرية	يطيع أوامر الله في أهله، طاعة الوالدين في غير معصية، فتشغل في بيته ومع زوجه وأولاده في تربيتهم ومرضاة الله، يتعاون مع أفراد اسرته أخوته واخواته يحرص على فائدة أهله وذويه، يعدل بين أبنائه، يعطي زوجه حقها، والتفاهم والتعاون أساس الأسرة.	لا تهمه طاعة الوالدين أو رعاية الأخوة ربما يغيب عن أهله واسرته تربية وغيرها وقد يكون له خليلة أو صديقة أو عشيقة دون علم زوجته، والعلاقة الأسرية مضطربة في أغلب الأحوال.
الجوانب السياسية	يدفعه دينه إلى طاعة الله ورسوله وأولي الأمر من المؤمنين في غير معصية لله، والتصدي للمحاربين والطغاة والمعتدين والمحتلين إذا اعتدوا على حرمة الدين وسلامة الدنيا.	مذبذب يتبع كل ناعق ينافق لأية فئة سياسية فيها مصلحته أو منفعته أو مطيته وقد ينظم في صفوف مئات حاقدة على أمته وبلاده فيهلك نفسه ومجتمعه.
الجوانب العلمية	المسلم يملأ دماغه وعقله بالعلم ليزداد معرفة بالله غاية العلم خدمه الدين والمسلمين ليسلك طريقاً الى الجنة ويعمل على تطوير ذاته ومجتمعه ويبذل قصارى جهده وفكره في سبيل ذلك.	العلم هدف مادي بحت سوى للعمل أو الشهرة أو للمنصب الذي به يسيطر على الآخرين، وهو يعمل لمصلحته الذاتية فقط، ونادراً ما يعمل لتطوير مجتمعه بدافع محبة وإخلاص.
الجوانب النفسية	المسلم مرتاح نفسياً رغم ما يتزل به من ابتلاء وامتحان على أيدي الفارغين من اعدائه، والمصاعب التي تواجهه في الحياة.	قلق تعيس مريض مضطرب رغم توفر كل المتع الحسية له، وذلك بسبب فقدان العقيدة والايمان.
السعادة	الإيمان سبب سعادته، يصبر على البلاء ويشكر في الرخاء ويصبر عند مواطن اللقاء ويرجوا مرضاة الله.	الإباحية السافلة والمادية المقيتة، فإذا حجز أو حرم عن شهواته ورغباته صارت الحياة عنده عبثاً... انتحاراً.

www.iqra.ahlamontada.com

عنصر المقارنة	الفرد المسلم	الفرد الفارغ
الحب	الحب عنده يشمل جميع الموجودات ومن بينها الإنسان ولكن لا يتجاوز حقه وحدوده في ذلك والمرأة ولكن لا يتصل بها اتصالاً غير مشروع.	الحب عنده هو المنفعة والمصلحة والشهوة يحب الكائنات بما تمنحه من خيرات ويحب النساء من غاية الجنس ولو بصورة محرمة ولا يصبر عليه بل يسعى لممارسته بأية طريقة كانت ومهما كان الثمن.
الرياضة والترفيه	وسيلة لبناء الجسم القوي الذي يستطيع أن تعينه على مرضاة الله في القيام بالعبادة والجهاد في سبيل الله – يجعل منه وسيلة لإعادة النشاط والحيوية للعمل الجاد المتقن وزيادة في الخير والمعرفة والمحبة.	وسيلة للرشاقة والخفة وعرض القوة والشهرة أمام الآخرين أو وسيلة لظلم الناس وضربهم والاعتداء على الآخرين – يجعل منه خروجاً عن المألوف والآداب والأخلاق وقتل الوقت والعمل السيء المشين من الخمر والاختلاط وغيرها.
الوقت الزمن الدهر	كل ما يصيب المؤمن هو قدر فلا يسب الدهر أبداً ولا يشكو مما يظهر من أحوال الزمان ولديه سبعون عذراً. والوقت هو العامل الحقيقي فيه بإصلاحه يصلح الوقت.	– الدهر عنده ندّ للفرد وكثيراً ما يشتمه وينعته بالظلم والجبروت. – يلوم الزمان وما فيه وهو علة الأحوال والأعمال. – الوقت هو متفاعل معه وإن كان فاسده من فساده.
الهدف أو الغاية	**هدف المسلم إقامة** – الفرد المسلم السوي المتدين – إقامة المجتمع وفق منهج الله في الأرض وإن بذل الفرد المسلم من أجل دينه.	**هدف الفرد الفارغ** أهدافه متنوعة غير محددة وكلها تنحصر في دائرة الماديات والملذات.
النتيجة	**الفرد المسلم** – نظيف القلب والروح والجوارح – المسلم: نفس ملكية في صورة آدمية.	**الفرد الفارغ** قد يكون نظيف الجوارح ولكن سيء القلب والروح والنفس الفارغ الجاهل: نفس بهيمة في صورة آدمية.

www.iqra.ahlamontada.com

جدول مقارنة

بين المجتمع الإسلامي والمجتمعات الجاهلية الفارغة

وبيان أثر الدين على المجتمع المسلم:

الجوانب المقارنة	المجتمع الغربي	المجتمع الشيوعي الشرقي	المجتمع المسلم
الجوانب الدينية	حرية الأديان موجودة لكن هنا المجتمع مادي علماني بعيد عن تعاليم الدين، إباحي مليء بالكفر البواح والناس منصرفة عن الدين الى اللهو والإباحية.	لا توجد حرية دينية، الإلحاد هو دين المجتمع المؤمن محارب سراً وجهراً جريمة الدين لا تغتفر عندهم وعقابها القتل وقد يكون السجن.	الدين هو الاسلام، وحرية الأديان مكفولة للأقليات لا إكراه في الدين، المجتمع قائم على أسس سليمة وقويمة من أركان الاسلام الثابتة عقلاً ونصاً. الناس تعبد الله باختيارها.
الجوانب الاجتماعية	١ - الاسرة مفككة ومتحللة. ٢- المرأة سلعة يتاجر بها في الدعاية وسوق الدعارة والإعلان وقد تكنس الشوارع لتأكل.. ٣- يستطيع الفرد أن يتحكم بمصير الآلاف من مجتمعه حيث لا حدود لأنانية الفرد فقد يحتكر ويتحكم بمصالح الآلاف اقتصادياً أو نفسياً.	١- الاسرة متفككة منحلة وفقيرة. ٢- المرأة عنصر ثوري عليه أن يعمل ولا بأس أن تضحي بكل شيء حتى عرضها في سبيل الحزب. ٣- الفرد هنا حشرة تافهة لا قيمة لها إزاء قوى الإنتاج في المجتمع.	١- الأسرة متماسكة متعاونة متفانية مسلمة مؤمنة. ٢- المرأة لها كرامتها فهي أم و أخت وابنة وزوجة ويجب سترها والمحافظة عليها ونفقتها يتكفل بها الزوج. ٣- توجد علاقة مستمرة ومتوازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع. فالفرد يعمل لصالح المجتمع والمجتمع يعمل ليكفل للفرد كل حاجاته.

www.iqra.ahlamontada.com

عنصر المقارنة	المجتمع الغربي	المجتمع الشيوعي الشرقي	المجتمع المسلم
الجوانب السياسية	- الديمقرطية المزعومة هي الحاكمة - التشريع من حق الإنسان. - المعارضة السياسية مسموحة والهدف من السياسة تحقيق مصالح المجتمع المادية. الغاية تبرر الوسيلة.	الحزب الشيوعي هو الحاكم ويمثل الطبقة الكادحة. - حق التشريع للحزب. - المعارضة ممنوعة ويعاقب صاحبها بالقتل. الغاية تبرر الوسيلة .	- الخليفة هو إمام المسلمين يحكم بعد انتخابه بواسطة الشورى ويعزل إذا لم يعد أهلاً. - حق التشريع لله، والعلماء والدعاة مجتهدون من خلال نصوص القرآن والسنة لاستخراج الأحكام اللازمة. - المعارضة هنا تتم إذا خرج الحاكم عن حدود الله فلا سمع ولا طاعة. المعارضة النصيحة لا بالتشهير وهدف السياسة العدل. الغاية لاتبرر الوسيلة
الجوانب العلمية	العلم وسيلة لتطوير المجتمع وإنتاج الأسلحة الفتاكة ضد الخصوم أو البلاد المستعمرة.	العلم وسيلة لإنتاج الأسلحة والوسائل المسيطرة على الناس واستخدامها في نشر الأفكار الشيوعية.	العلم وسيلة لسعادة الفرد وسعادة الناس وسعادة البشرية وباب معرفة وهداية.
هدف الحياة	الحياة الدنيا هدف	الحياة هدف	الحياة الدنيا وسيلة والحياة الآخرة غاية وهدف.
الجوانب الاقتصادية	هدف العمل هو الربح بأية طريقة كانت والفقير محروم والمادة والمال وسيلة لمزيد من المتعة والشهوة.	هدف العمل تأمين غذاء البطن والمسكن والمتعة ومن لا يعمل لا يأكل. وقد ضمن للفرد الجنس وحرية التمتع به بدون حدود.	هدف العمل مصلحة الفرد والجماعة والمجتمع في الدنيا والآخرة، وابتغاء مرضاةالله. والمجتمع يرعى المحتاجين والفقراء والمال وسيلة لطاعة الله وتنفيذ أوامره فيه.

www.iqra.ahlamontada.com

عنصر المقارنة	المجتمع الغربي	المجتمع الشيوعي الشرقي	المجتمع المسلم
الفراغ	يملـــؤون الفـــراغ باللـــهو والموسيقى أو على الشواطئ أو نوادي العرات وبالملاهي والخمور والسينما واللعب.	يملؤون الفراغ في المســـرح وقاعات الحزب الحـــاكم، وطوابير ضخمة للإنتظـــار أمام مؤسســـات الدولـــة لاستلام القوت واللعب.	يملؤون الفراغ بالمزيـــد مـــن طاعة الله والسنن والزيـــارات المسنونة والعمرة والدعوة أو بالمطالعة النافعة واللهو المباح البرى أو الرياضة...
النتيجة	مجتمع متهتك تائه فارغ. الخير فيه عرض إن وجد.	مجتمع قذر جوهراً ومظهـــراً حاقداً لا خير فيه أبداً.	مجتمع نظيف طاهر في كـــل شيء والشر فيه عـــرض إن وجد. الخير كل الخير فيه مع دينه.

www.iqra.ahlamontada.com

لدى الأفراد اتضح أن نسبة تزيد عن النصف بقليل ترى أن دور المسجد قد يؤدي إلى رفع مستوى الوعي الديني بالمجتمع. وخالف ذلك الرأي عشر العينة من الأداء.

ومن نتائج الدراسة الميدانية اتضح أن نسبة ضئيلة من الأفراد (١١٪) يلتزمون وأن أكبر نسبة من الأفراد تمركز في المدينة، ولوحظ أن نسبة الملتزمين تزيد عن الملتزمات بصفة عامة.

وبسؤال الأفراد في الجماعات الدينية عن أسباب انضمامهم لها اتضح أن أهم الأسباب التي دفعت أكبر نسبة من الأفراد للإنضمام كانت المشاركة في التهذيب والدعوة، ووجدت أكثر الدوافع اكتساب مكانة اجتماعية وتأتي المشاركة في الدعوة والتهذيب والتزكية في نهاية الدوافع التي دفعت الى الأفراد للانضمام.وقد يكون دافعهم للانضمام مجرد الانتماء لجماعة ما أو شغل وقت الفراغ وإن كان هذا الدافع الأخير هو سبب إنضمام أكثر من ثلثي الأعضاء.

وقد تبين من نتائج استطلاع الرأي أن معظم اتباع الجماعات الدينية يرحبون بصداقات غيرهم من الأفراد من خارج الجماعات وكثيراً منها التي يحجم معظم أعضاء الجماعات عن عقد صداقات مع الجماعات الأخرى أو أن يحيك له بعض الدفائن أو بعض الدسائس والإفتراءات ولم يكن هناك فارق ملحوظ بين نتائج الجماعات المختلفة.

وعن مدى رضا الأفراد عن أداء المسجد وعلماء الدين لرسالتهم في نشر الوعي الديني في المجتمع اظهرت النتائج أن معظم الأفراد يرون أن المسجد وعلماء الدين يشاركون ـ إلى حد ما ـ في نشر الوعي الديني في المجتمع وينفي مايقرب من ربع الأفراد قيام المسجد وعلماء الدين برسالتهم في التوعية الدينية، وتعتقد فئة قليلة من الأفراد أو الجنس أو الإلتزام أو الأماكن أثر ملحوظ على أراء العينة.

أما عن خطبة الجمعة فقد تبين أن فئة ضئيلة من أفراد العينة تبدي رضاها التام عن خطبة الجمعة بينما نجد معظم الأفراد يرضون عنها نوعاً ما، ويبدي حوالي ربع أفراد

www.iqra.ahlamontada.com

العينة عدم رضاهم عن خطبة الجمعة، ولم يكن هناك فارق ملحوظ بين نتائج اختلاف الأنواع وبين ظروف الأفراد وأماكن وجودهم، ولم يكن للأفراد الملتزمين تأثيرعلى أراء الأفراد بإستثناء فئة أكبر من الأفراد المنظمين للجماعات الإسلامية ترضى عن خطبة الجمعة.

ويعلل الأفراد عدم رضاهم عن خطبة الجمعة بالتصور في إعداد أئمة المساجد وبعدهم عن معالجة المشاكل الواقعية الحيوية في المجتمع وتوضيح رأي الدين فيها والإختصار على الترهيب من النار والترغيب في الجنة، والأجدر بهم أن يبرزوا مكانة الدين الإسلامي العالمية وأسباب عزلة وضعف المسلمين وكيفية إعدادهم ليكونوا كما كانوا في ماضيهم، وأن الدين الإسلامي صالح لكل زمان ومكان من خلال ربطه بالحياة المعاصرة وهو أولاً وأخيراً واجب ديني ووطني مكلفون به أمام ربهم ومسؤولون عنه يوم الحساب.

وعن تأثير الحياة المدرسية على تمسك التلاميذ بالدين من خلال دراستهم وقدوة أساتذتهم وما يتعرضون له من دعوات المذاهب المادية والإلحادية. وجد أن معظم طلاب المدارس يرون أن دراستهم تؤدي بهم إلى مزيد من التدين وأن فئة أقل لاترى لدراستها تأثيراً على دينها. والجدير بالذكر أن الدراسة لم تضعف أو تؤدي إلى عدم تدين إلا فئة قليلة للغاية من أفراد المجتمع. ولم يكن لاختلاف السكن أو الجنس أو البيئة أو تأثير الأسرة المسلمة أثر ملحوظ على أراء الطلاب ولم يكن لاختلاف المدارس تأثير على أراء الطلاب.

وتعتقد نسبة كبيرة من طلاب المدارس أن عدداً قليلاً من أساتذتهم يصلحون أن يكونوا قدوة طيبة لهم في تمسكهم بالدين، بينما ينظر حوالي ربع الطلاب إلى أغلب أعضاء هيئة التدريس على أنهم قدوة تحتذى، وتعتقد نسبة قليلة من طلاب المدارس أن جميع أعضاء هيئة التدريس يتمسكون بالدين، وترك نسبة مماثلة لها أنه لايوجد بين أعضاء هيئة التدريس أحد يمكن اعتباره مثالاً يحتذونه في التدين، ولم تجب نسبة

www.iqra.ahlamontada.com

مظاهر خطورة عدم ترشيد الفراغ

تمهيد

هذا الفصل الذي يبحث فيه الأسباب والعوامل الداخلية المؤثرة في فراغ الأمة وتقهقرها وعدم نهضتها، من أجل درسها وبيان نسب تأثيرها وآلية عملها. والشعار الذي تتكثف فيه مضامين هذا الفصل هو قوله الحق سبحانه وتعالى ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[1].

إذ أنه استقر في يقيني من فترة أن ما أصاب هذه الأمة من فراغ وتخلف وتبعية وانخفاض في فاعلية الفرد وإنتاجيته بل حتى الانكسار الحضاري الذي يلف الأمة،لم يكن بسبب عوامل خارجية بعيدة عن إرادتنا وذاتيتنا، و ذلك لأن لكل ظاهرة من الظواهر عوامل داخلية أوجدت مسوغات وجودها، وقامت بحفظ هذا الوجود، وحددت اتجاهاته، ورسمت أطر تفاعلاته، وإن العامل الخارجي يظل غير ذي أثر ما لم يتمكن من خلال الصراع مع العوامل الداخلية من إزاحة أحد تلك العوامل عن موقعه، والحلول محله، وحين تبتعد العوامل الداخلية عن أداء وظائفها الآنفة الذكر وتحل محلها العوامل الخارجية فإنَّ الظاهرة تتلاشى من الوجود حينئذٍ، أو تفقد اتجاهها، ولا يختلف فقد الاتجاه، في كثير من الأحيان ـ عن فقد الوجود .

ولكن هذا لا يجعلنا نغضُّ الطرف عن أننا نعيش في عالم (تنازع البقاء) الذي يحتم بمحدودية موارده واختلاف ثقافاته ترسيخ فلسفة "إما أنا وإما أنت" فكل مصنع ينتج في أرضنا يؤثر في مصنع يعمل في أرضهم، وكل سلعة نكف عن شرائها منهم ستوجد نوعاً من الانحباس في إنتاجهم، وهكذا... فالهدف من الوعي والترشيد بوجود العوامل الخارجية ذو فائدة حين ندرك طبيعة الصراع بينها وبين العوامل الداخلية،

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٦٥)

www.iqra.ahlamontada.com

أضف إلى هذا أن العداء للإسلام من متطرفي الأديان الأخرى سيظل مستمراً إلى أن يتمكنوا من جعلنا جزءاً من رصيدهم، أو جزءاً من ملتهم، أو جزءاً من خدمهم ...

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[1].

إننا لا نستطيع أن نقنع الأعداء بالكفّ عن أذانا، كما أن الناس جميعاً لا يستطيعون منع الثلوج من السقوط، ولكننا نستطيع أن نحصن أنفسنا عن كيد الأعداء وثلوج السماء.

ومما يدفعنا إلى الملاحظة والبيان والترشيد من أن كثيراً من الباحثين قد استقر في يقينهم أن أرقى أنواع الوعي هو الوعي بالذات، وأن أعظم أنواع الجهل هو الجهل بها. والوعي بالذات ليس انغلاقاً عليها، وتعبداً في محرابها، ولكنه الإدراك الحسن لحدودها وشروط وجودها والظروف الأكثر ملاءمة للحفاظ عليها وترقية درجة عطائها، وهذا لا يتم في كثير من الأحيان إلا عن طريق الوعي بالآخرين، فإن الرقم (٣) غير ذي قيمة لو لم يكن جزءاً من نظام عددي فهو يستمد قيمته من الرقم (٢) والرقم (٤). وحتى نتمكن من وعي المرحلة التي نخيم فيها فلا بد من معرفة المراحل التي أناخ فيها الآخرون، وهذا دافع أخر يدفعنا إلى عدم الانغلاق مع إدراكنا أهمية البحث عن الذات وترشيد أحوالها.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن عدم الوعي بالذات يوقع الأمة في **محذورين خطيرين:**

الأول: هو إضافة عناصر ترفضها ثقافة المسلم لاصطدامها مع بعض منظوماتها العقدية أو الشعورية أو الرمزية أو التاريخية مما يؤدي إلى صراع بين ثقافة الأمة وهذا الوافد الجديد الذي لا يحمل (تأشيرة دخول) إليها، ونتيجة هذا الصراع هي جراحات في ثقافة الأمة وانقسامات وردود أفعال مضطربة النظام، ومحصلة ذلك هي ضرب الموازنات العميقة للأمة، والجنان في تقدمها.

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٢٠)

www.iqra.ahlamontada.com

الثاني: هو الجمود والعزلة عن تيارات الثقافة العالمية، وهذا المحذور لا يقل خطراً عن سابقه إذ إن العالم اليوم يوصف بأنه (قرية إعلامية) وهذا يجعل العزلة غير ممكنة على الصعيد العملي، ولكنه يجعل الثقافة المنعزلة هدفاً للاضمحلال والضمور، وأما الذين يظنون أن العزلة تساعد في الحفاظ على ثقافة الأمة وأصالتها فإن نسبهم ستظل في حالة انخفاض دائم إلى أن يصبحوا غير ذي بال أو قيمة في عالمي الكيف والكم، وإن طبيعة الأهداف التي يسعى إليها المسلمون تجعل عزلتهم أيضاً غير ممكنة (كما أننا حملة الرسالة الخاتمة التي كلفنا بإيصالها إلى البشر)، كما أننا مكلفون بإيصال صوت الأنبياء والمرسلين ـ عليهم السلام ـ إلى هذا العالم المضطرب .

ومن زاوية أخرى فإن المقدمات النظرية لثقافاتنا تركت هوامش واسعة في ذاتية الأمة، تسمح لها بالتفاعل مع الآخرين أخذاً وعطاءً، وانطلاقاً من هذا فإن السواد الأعظم من المسلمين سيمضي إلى أبعد مدى في ذلك التفاعل، وبهذا المعيار يكون الانعزال غير ممكن أيضاً.

فلم يبق بعد هذا وذاك أمامنا من سبيل سوى أن نرسم حدود ذاتنا موضحين المركز والإطار في كل ما نأتي، ونذر، متذرعين إلى ذلك بالاجتهاد الدائم على شتّى الصُعدِ وبمختلف الوسائل، وحينئذٍ نستطيع أن نسبح مع التيار وضده، ونزداد مع ذلك قوة ومناعة دون أن نخشى الفرق![1]

وإنما جعلت مظاهر خطورة عدم ترشيد الفراغ مدخل إلى ذاتية الفرد وإدراك جذور كثير من فراغاتنا وأسبابها ومظاهرها.

---

(١) بكار، عبد الكريم: فصول في التفكير الموضوعي، دار القلم دمشق، والدار الشامية بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، ص ٧-٨ (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

١- على الصعيد الثقافي

الثقافة هي دستور تتطلبه الحياة، إذ هي أكثر من العلم، بل هي الجسر الذي يعبره بعضهم إلى الرقي والتمدن، والثقافة تتدخل في شؤون الفرد في بناء المجتمع، وتعالج مشكلة القيادة كما تعالج مشكلة الجماهير.[١]

ويذكر العلامة ابن خلدون، في مقدمته، تعريف الحضارة وصلتها بالثقافة بقوله:

"والحضارة الكاملة تفيد عقلاً، لأنها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير المنزل، ومعاشرة أبناء الجنس، وتحصيل الآداب في مخالطتهم، ثم القيام بأمور الدين واعتبار آدابها وشرائطها .

وهذه كلها قوانين تنتظم علوماً، فيحصل منها زيادة عقل"[٢].

الثقافة لغة:

الثقافة هي: ثقف ـ ثُقف الرجل من باب ظرف صار حاذقاً خفيفاً فهو (ثُقْفْ) مثل ضخم فهو ضخم. ومنه المثاقفة [٣]. جاء اختيار الكلمة العربية (الثقافة) من كلمة تثقيف الرماح، القريبة من معنى الحذق، حيث إنها تستخدم في حذق الإنسان أو الفرد للمعارف والفنون، أي إجادة شتى أنواع المعرفة من الفنون أو العلوم أو الآداب وغيره[٤].

والثقافة: هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها. [٥]

بينما تأتي كلمة culture أن تزرع شيئاً ثم تجنيه، وهي عبارة عن ترقية القدرات، أي تنمية قدرات فكرية وفنية معينة للوصول إلى المدينة، كما هي في مصطلح civilization.

---

(١) ابن بني، مالك: مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨ م الطبعة الثانية، ص ٧٤

(٢) ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، دار العودة، بيروت، ص ٣٤٠- الفصل ٣٣

(٣) الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، مصدر سابق ص٨٤

(٤) الحازمي، منصور: ندوة الثقافة ما هي ؟ جريدة الجزيرة، العدد ٣٧٠٠، المحرم ١٤٠٣هـــ

(٥) إبراهيم، مصطفى وزملاؤه: المعجم الوسيط، مرجع سابق ح١ ص٩٨

www.iqra.ahlamontada.com

ويأتي معنى تثقيف الفرد وتعليمه مطابقاً للمعنى الذي جاء في الحديث الشريف: « **ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه** »[1].

أي أن كلمة ثقافة، كما أنها تتضمن معنى تثقيف الفرد بالخبرة النافعة التي تتفق مع أصولنا التشريعية، فإنها تتضمن أيضاً تثقيف الفرد بالمعرفة والخبرة الضارة التي تخالف عقيدتنا ومنهج شريعتنا بقول الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾[2].

ومن هنا، فإنَّ عملية (التثاقف) يمكن أن تتم فيها زراعة أفكار تنسجم مع أغراض المدنية الغربية، وما يدخلها من استعمار ثقافي، يحاول أن يفرغ شخصيتنا من ذاتية مبادئها وفكرها، فيما يثنينا عن تحقيق أغراضنا، مع تمييع شخصيتنا الحضارية، ومحو سماتها الثقافية:

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[3].

وقد تأتي العناصر الممرضة من ثقافة خارجية، فتجمد فاعلية هذه الثقافة في علومها وفكرها وصناعاتها، فتجعلها ترجع القهقرى كما حدث لثقافتنا بشكل عام، عندما دخلت علينا أفكار الغرب وعلومه وثقافته.

إن عدم ترشيد الفراغ وتصريفه في قنواته المناسبة وفي اتجاهات مسددة ليكسب الفرد والمجتمع مناعة ولقاحاً في وجه السموم والأوبئة الفكرية الغازية لعقولنا ولديارنا من كل حدب وصوب، لاسيما وأن الطبيعة النفسية يستهويها كل جديد

---

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، مصدر سابق، ج١، ص٤٤٣ رقم الحديث (١٢٩٢-١٢٩٣).

(٢) سورة الممتحنة: الآية (٢).

(٣) سورة التوبة: الآية (٨).

www.iqra.ahlamontada.com

وطريف، وكلما مالت النفس إلى الاسترخاء أو الخواء كانت أكثر انجذاباً إلى احتضان واعتناق ما هو جديد عليها .والنفس مولعة بالغريب العجيب وإن كان خرافة فتميل لصديقه فالفراغ بكل اعتباراته هو وضع ملائم لتحقيق الاسترخاء الفكري، أو هشاشة الضابط القيمي لدى الفرد و الأمة، وهنا تكمن خطورته، إذا ما تركت هذه الذوات والنفوس والعقول الخاوية عرضة لاجتياح العاصفة الفكرية الوافدة بإلحاح من المجتمع الغربي.

في مجالات الثقافة والفن والآداب والأزياء.... وغيرها، من خلال وسائل الاتصال بالسياحة والإعلام الجذابة بأشكالها الزاهية وألوانها البراقة التي تحاصر الفرد المعاصر من كل مكان، عبر الصحيفة والمجلة الزهيدة الثمن، أو المجلة الأنيقة المنظر أو عبر الإذاعة الناعمة الصوت، أو عبر التلفاز والقنوات الجميلة الصورة والألوان، وعبر السينما والفيديو وعبر شبكات الإعلان والدعاية والتي تحيط بالفرد من كل الاتجاهات.

لابد لنا من رؤية متوازنة بين جوانب أمورنا، وذلك لكي نحتل دورنا في ركب الحضارة والتقدم الحاليين، ولا بد في هذا من استخدام المعرفة ووسائلها، وأن نبتعد عن كل عوامل اليأس! لأنَّ ذلك ليس من ديننا.

وأعتقد أن مكونات ثقافتنا ـ ولدى كل أمة هي واحدة ـ وأهم هذه المكونات . الإسلام واللغة والقيم والمفاهيم السائدة والمتوارثة.

وسأكتفي هنا بالإشارة إلى خصائص ثقافتنا ولابد أن نعرفها والتي ميزتها عن غيرها من الثقافات وهذا يحتاج إلى بحث مفرد ولكننا نشير إلى رؤوسها تبصرة وتذكرة. فهي«الربانية، الأخلاقية، الأممية، العالمية، التسامح، الواقعية، الوسطية ـ التكامل، والثبات والتصور، الشمولية، الإيجابية، التوازن.

أ – مفهوم الثقافة:

لو استعرضنا فكرة الكثيرين منا عن مفهوم الثقافة، نجد أن أغلبنا يدرك مسألة اتصال مفهوم الثقافة بمفهوم الحضارة. ولكن الإشكال ينشأ عن القول بأن مفهوم الثقافة

www.iqra.ahlamontada.com

مختلف عن مفهوم الحضارة، كالأقوال التي تردد خطأ أن مفهوم الحضارة أهم من مفهوم الثقافة.

أو القول بأن الثقافة تنحصر في الإنجازات الفكرية، بينما يشتمل مفهوم الحضارة على جميع الإنجازات المعنوية والمادية معاً... وغيرها من الاجتهادات الخاطئة.

إن مثل هذه التفرقة، في المفاهيم الكثيرة عن علاقة الثقافة بالحضارة، أو بين جوانب الثقافة من مادية أو فكرية... قد نتجت عن اجتهادات فكرية للعلماء الغربيين، وإن قصور الوعي بأسباب هذه التفرقة أو الاختلاف، يوقع أبناؤنا من طلاب المعرفة في حالة من بلبلة الأفكار نحو العلوم الحديثة، علماً بأن ما تأتي به مثل هذه التعريفات الغربية يكون غير منسجمٍ مع أصولنا الفكرية نحو هذا العلم، مما يشكل إعاقة لجهود أبنائنا في التحصيل في مجالهم، كما يعرقل إضافاتهم في تحقيق الخبرة والتطبيق لما يحقق صالح أمتنا العربية والإسلامية وخصوصاً في العلوم الإنسانية الهامة في مسيرة تقدمنا.

والحضارة، في حقيقتها، إنما تمثل القيم الثقافية المحققة في هذه الحضارة، وهناك رباط وثيق بين الحضارة والثقافة، وإن أي تفكير في مشكلة الحضارة هو في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة.

لقد تم استخدام مفهوم الثقافة مع الكتابات الأنثروبولوجية (علم الإنسان) خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كموضوع محوري للأنثروبولوجي. فقد كانت نظرية تطور المجتمعات الإنسانية من الأسباب التي حثت الكثير على طرح مسألة تفسير تباين الثقافات من أجل بحثها منهجياً[1].

وقد استخدم العلماء لفظتي الثقافة والحضارة بمعنى مفهوم واحد، وأخذوا يؤرخون للأنثروبولوجي الثقافية culyural-Anthropology وهو الفرع الذي يجعل الثقافة

---

(١) سفر، محمود محمد: دراسة في البناء الحضاري – كتاب الأمة بمركز البحوث قطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ ص١٣٨.

www.iqra.ahlamontada.com

(منطلقاً للتحليل والتفسير للأنثروبولوجي) وقد اعتاد كبار العلماء، أثناء هذه الدراسات، أن يطلقوا مفهومي الثقافة والحضارة بمعنى واحد.

كان ذلك في نهاية القرن الثامن عشر بالنسبة للأنثروبولوجية الاجتماعية، التي تركز على دراسة البناء الاجتماعي والنظم والأنساق الاجتماعية في التركيب الاجتماعي ومسألة تشابكها باعتبارها كلاً مترابطاً.

وقد وقع بعض الدارسين في أخطاء التفرقة بين الجانبين المادي والمعنوي للحضارة، وكان قد لجأ إليها العلماء لأسباب نظرية وعلمية، فرأى بعضهم، خطأ، أن الثقافة هي الجانب المعنوي في الحضارة، كاللغة والفكر وما إليهما، بينما يمثل مفهوم الحضارة الجانب المادي الملموس منها كمظاهر العمران والصناعات والأدوات . ومنهم من لجأ إلى تقسيم الثقافة ـ وهذا أكثر صحة ـ إلى جانبين:

ثقافة مادية materiai-culture، وثقافة غير مادية non materiai-culture فبينما يشتمل النوع الثاني على اللغة والأفكار[1]. والقيم والتقاليد والمعرفة، فإن الثقافة المادية تشتمل على الأشياء كالآلات والعدد والسيارات والمصانع والمباني ووسائل الزراعة المختلفة .إن الحضارة تحققٌ للثقافة في صورتها الاجتماعية والحقيقة أنّ الفصل بين الجانبين ـ كما يدلنا الواقع الاجتماعي ـ هو فصل تعسفي[2]. لولا الأسباب العلمية النظرية، إذ نجد أن كلا النوعين مرتبط بالآخر ارتباطا عضوياً، ومتسقاً. وقد ترجع هذه الأسباب العلمية وتحليلاتها لبيان أهمية عالم الأفكار وأسبقيته عن عالم الأشياء، وذلك للاعتماد عليه في عملية بدء النهوض الحضاري كأمر أساسي[3].

---

(١) ابن نبي، مالك: مشكلة الأفكار، ترجمة بسام بركة، أحمد شعبو، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٨م- مرجع سابق ص٣٨.

(٢) إسماعيل، زكي محمد: الأنثروبولوجية والفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٢٦.

(٣) الملقي، هيام: ثقافتنا في مواجهة الفكر الحضاري، دار الشواف، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥ م ص ١٧ -١٨.

www.iqra.ahlamontada.com

الثقافة في المفهوم الغربي:

يقول إدوار تايلر[1]: إنّ (الثقافة) أو الحضارة بمفهومها الواسع ـ هي ذلك الكل المركب، الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات التي يكتسبها الإنسان، بوصفه عضواً في مجتمع[2].

والثقافة: مشتق من اللفظة الإنكليزية (culture) من الكلمة اللاتينية (cultura) وتعني الفلاحة والتهذيب. أما الكلمة العربية، فهي تأتي من ثَقِف بمعنى حذقَ وفطن. وهناك شبه اتفاق بين علماء الأنتروبولوجيا على التعريف الأول للثقافة الذي أعطاه. أ. ب. تايلور في كتابه "الثقافة البدائية" ١٨٧١إذ عرف الثقافة بقوله ـ كما سبق ـ الثقافة ... هي ذلك "الكل المركب" وقد استمر هذا التعريف . لعدة عقود مسيطراً، إلى أن ظهر الخلاف منذ ربع قرن مع تعريف جديد للثقافة، مع العالمين الأمريكيين ر. بيلز (Beals .r) وهويجر (h.hoijer) فقد عرفا الثقافة بأنها "تجريد مأخوذ من السلوك الإنساني الملاحظ حسياً، ولكنها ليست هي ذلك السلوك" وإلى يومنا هذا، مازال هناك اتجاهان في تعريف الثقافة: اتجاه واقعي يرى أن الثقافة هي "كل" (whole) يتكون من أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع أو بجماعة معينة من البشر، واتجاه تجريدي يرى الثقافة مجموعة أفكار يجردها العالم من ملاحظته للواقع المحسوس، الذي يشتمل على أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع أو بجماعة معينة . وقد

---

(١) تايلر، ألفرد، إدوارد: (E، alfred،taylor) فيلسوف إنكليزي، عمل أستاذاً في جامعة أكسفورد .كان في بداية حياته ينتمي إلى المدرسة المثالية (Idealism) ثم تحول إلى الأفلاطونية، وأصبح من أهم المراجع في الفكر الأفلاطوني، من مؤلفاته أفلاطون:الإنسان وعمله " ١٩٢٦" تعقيب على تيماوس أفلاطون " ١٩٢٨- الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مرجع سابق، ص١٤٥.

(٢) إسماعيل، محمد زكي: الانتروبولوجيا والفكر الإسلامي، شركة مكتبات عكاظ، الرياض، در، دت، ص١٢٥.

www.iqra.ahlamontada.com

استخدم البعض معنى الثقافة بمعنى الحضار (civilisation) باعتبار أن الحضارة هي الثقافة في مرحلتها المتقدمة. وأحياناً أطلق على الثقافة المادية اسم "المدنية" كما فعل ماكيفر (mackiaver) حيث ربط بين "القيم" والثقافة من جهة، ومن الجهة الثانية بين "النظام التقني" و"المدنية" وقال في تعريفه الذي أصبح مشهوراً إن المدنية هي "الوسائل" التي يتم من خلالها الوصول إلى "الغاية" والغاية هي الثقافة [1]. وأرى أن المدينة هي الأخذ بالوسائل التي تعكس مستوى ثقافة مجتمع ما في عصر مهين.

وأما هيغل[2]فإنه يرى في تعريف الثقافة يحمل معنى واسعاً يمتد ليشمل (كل ما ينتجه الإنسان ابتداءً من التقنية حتى الشعر، بما في ذلك السياسة والدين والفلسفة) أي يشمل هذا التعريف كل ظروف النشاط الذي يمارسه الفرد أثناء محاولته التسامي بذاته إلى مستوى الكلي، أي بمعنى تسامي ثقافته الذاتية إلى مستوى ذات المجتمع وثقافته. لأن الثقافة عند هيغل ليست سوى عملية ترقي الذات الفردية بحيث نتسامى إلى مستوى الأنا الكل أو الأنا الإنسانية، وهو ذلك الأنا الشامل الذي يستوعب في ثناياه كل روح العصر[3].

إن الثقافة الإسلامية التي نؤمن بها، وندعو إليها أساساً في ثقافتنا هي الأصالة، فهي ليست مجرد كلمة تقال، ولا دعوى تدعى، إنها حقيقة ثابتة، لها معان تقوم عليها ودلائل عنها والأصالة مؤشر أو مفتاح لمجموعة من المعاني الكبيرة يجب التنبيه عليها:

١- ضرورة المعرفة والفهم لثقافتنا:

وأول هذه المعاني التي تتطلبها الأصالة هي المعرفة والفهم: فهم هذه الثقافة بخصائصها الذاتية، ومكوناتها الأساسية، فهمها من مصادرها الأصيلة، وليس من المصادر الهامشية أو المدخوله، أو المخوّلة، أو الواهية .

---

(١) الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مرجع سابق، ص١٦٨.

(٢) شتا، السيد علي: نظرية الاغتراب، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤ م ص ٤٨-٥٩.

(٣)مرجع نفسه ص ٤٨-٥٩.

www.iqra.ahlamontada.com

٢- الاعتزاز بالانتماء الإسلامي:

وثاني ما تتطلبه منا هو: الاعتزاز بانتمائنا إلى الإسلام المؤثر الأول في صنع هذه الثقافة والتي وجهها وجهته، وصبغها صبغته: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[1].

٣- العودة إلى الأصول:

وثالث ما تطلبه منا الأصالة أن نعود إلى أصولنا وجذورنا العقدية والفكرية، والأخلاقية، نستمسك بعراها، ونتشبث بأهدابها، ونحول اعتزازنا النظري والعاطفي إلى سلوك عملي.

إن الاعتزاز مطلوب ولا شك، ولكنه يصبح فاقد القيمة، عديم الجدوى، إذا لم يتحول إلى عمل.

٤- الانتفاع الواعي بتراثنا:

ومن علائم الأصالة أن نجتهد في الانتفاع بتراثنا الغني، والغوص في خضمه الزاخر، لاستخراج لآلئه وجواهره، في الدين والأخلاق والعلم وسائر المواريث البناءة، التي خلفها الآباء للأبناء، والأجداد للأحفاد.

ب – عناصر الثقافة:

من أجل توضيح أشمل لجوانب الثقافة، فإن الثقافة هي تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة وعبقريات متقاربة، وتقاليد متكاملة وأذواق متناسبة، وعواطف متشابهة...

وبعبارة جامعة: هي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة، ويحدد قطبيها: من موضوعية ابن خلدون وروحانية الغزالي... ومن عقلية أبو حنيفة[2] وروحانية

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٣٨).

(٢) أبو حنيفة (نعمان بن ثابت) (٨٠-١٥٠هـ) (٦٩٩-٧٦٧م) إمام المذهب الحنفي وأعظم أئمة مذاهب المجتهدين الأربعة بالشرع الإسلامي، ولد بالكوفة، عاصر بعض معمري الصحابة، آخذ عن=

www.iqra.ahlamontada.com

الشافعي[1] ويجوز أن تقول من عقلية ديكارت[2] وروحانية جان دارك[3]. فالثقافة، على ضوء ظروفنا النفسية والتاريخية، هي التركيب العام لتراكيب جزئية أربعة هي:

الأخلاق، الصناعة، المنطق العملي، والجمال[4].

هذه العناصر الأربعة هي التي تعبر عن الواقع الاجتماعي لناتج الثقافة والحضارة، سواءً في وضعها الراهن أوفي اطراد تطورها.

والثقافة بما تتضمنه من فكرة دينية أنتظمت فيها الملحمة الإنسانية في جميع أدوارها من لدن آدم، لا يمكن لنا أن نعتبرها علماً يتعلمه الإنسان، بل هي محيطة به، وإطار يتحرك داخله فالفكرة الدينية تحمل وتغذي جنين الحضارة في أحشائها وهي الوسط الذي تتكون فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر، كما تتشكل في هذا الوسط كل جزئية من جزئياته تبعاً للغاية العليا التي رسمها المجتمع لنفسه، ربما في ذلك الحداد والفنان والنجار والراعي والعالم والإمام... وهكذا يترتب التاريخ.

=التابعين والإمام جعفر الصادق، تاجر وتولى التدريس والفتيا في الكوفة، استدعاه المنصور لتولي القضاء في بغداد فرفض فأمر به إلى السجن فكان يساط كل يوم حتى توفي في السجن، هو أول من فصل الفقه إلى أبواب وأقسام، وصاحب الاجتهاد في الفقه والفرائض بالقياس والرأي . تخرج على يدي فريق من المجتهدين رووا عنه ونشروا مذهب القياس في عشرات المؤلفات، له الفقه الأكبر، ومستند أبي حنيفة - مجموعة من المؤلفين: المنجد في الإعلام، مرجع سابق، ص١٤.

(١) سبقت ترجمته

(٢) ديكارت، رينية، descartes rene (لاهاي، تـوران ١٥٩٦م – ١٠٠٤هـ ستوكهولم ١٦٥٠م-١٠٦٠هـ) فيلسوف رياضي فرنسي منحدر من عائلة ميسورة وبورجوازية، درس عند اليسوعيين في الكولاج ده لانليش (١٦٠٤-١٦١٢)، تردد طويلاً قبل أن يختار مهنة تناسبه. من مؤلفاته- بحث حول العالم أو حول النور – بحث في الإنسان، -فلسفته: طبعت بالازدواجية والتناقضات هي ميتا فيزيقية وعلمية، مثالية، مادية وسيطية وحديثة، في آن معاً . – ألفا، زوني إيلي: موسوعة أعلام الفلسفة، مراجعة جورج نخل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م ح١ ص٤٥١ (بتصرف).

(٣) جان دارك (Jennedarc) (١٤١٢م-١٤٣١م) بطلة فرنسية قديسة حاربت لتحرير بلادها من الإنكليز فقبض عليها وأحرقت في روان – مجموعة من المؤلفين، المنجد، في الإعلام، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية عشرة ١٩٨٢ ص ٢٠٧.

(٤) ابن نبي، مالك: مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص ١٠٢ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

١ - الأخلاق:

العنصر الأخلاقي في الثقافة والحضارة يكون من واقع ثقافتنا الإسلامية لأن اعتبار الدين مرتبطاً بالأخلاق، وبأن الأخلاق قسمة الخلاق «**إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم**»[1].

إذ الروح الخلقية هي منحة من السماء إلى الأرض يأتيها مع نزول الشرائع عندما تولد الحضارات ... الأخلاق مكتسبة عند عموم الأئمة وعلماء الأمة وليست فطرية محددة والدليل « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** »[2].

وقال (ﷺ): « **وإن الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً** »[3].

وبمعنى آخر فإن حضارة الشعوب تقوم على عنصر الأخلاق، وإن الفكرة الدينية ما هي إلا الرحم أو الوسط الذي ينمو فيه جنين الحضارة[4].

٢ - الجمال:

أما العنصر الجمالي في الثقافة والحضارة فهو موجود في جوهر الفكر الإسلامي، وذلك لأن صنع الله للكون كله قائم على مفهوم الجمال، وإن علماء المسلمين الذين اهتموا بالنفس الاجتماعية [5]، أمثال الإمام الغزالي رحمه الله، فقد عنوا بدراسة الجمال وتأثره بالروح الاجتماعية. وتتلخص أفكارهم في أنه لا يمكن تصور الخير منفصلاً عن الجمال.

وقد جرت تغيرات على جوانب الثقافة الإسلامية، نتيجة تأثرها بثقافة الغرب الاستعمارية، وذلك لأن الحضارة الغربية المعاصرة، أعطت للفلسفة الجمالية من اهتمامها الشيء الكثير.

---

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، مصدر سابق، ح٩ ص٢٠٣، رقم الحديث (٨٩٩٠).

(٢) الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين، كنز العمال، مصدر سابق، ح٣ ص١٦ رقم الحديث (٥٢١٧)، وعند البخاري في الأدب المفرد (لأتمم صالحي) رقم الحديث (٢٧٣).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: الأدب المفرد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٢٧ رقم الباب ١٨٠، رقم الحديث (٣٨٦).

(٤) ابن نبي،مالك: مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص٧٩ (بتصرف).

(٥) المرجع نفسه، ص٧٢(بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

٣- الصناعة:

ففي جانب التوجيه الفني والصناعي، وهذا يمثل دعوى للعودة إلى ما كنا عليه في تراثنا الفكري.

كل ما يصطنعه الإنسان لبقائه وتحسين هذا البقاء صناعة (من مناهج وأفكار وأدوات)، حيث تعتبر الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم تدخل في مفهوم الصناعة وحتى عمل الراعي يعتبر صناعة، كما أن هذا المعنى الضيق عن الصناعة، قد جاءنا بفعل الاستعمار والغزو الثقافي وغزوه لعالم الأفكار لدى مضمون ثقافتنا، عن طريق سلب المعرفة مما يؤدي للاغتراب الفكري لدينا في هذا الجانب، فأصاب ثقافتنا المرض الجديد الذي استعصى لدينا، وهو مرض (التعالم) فلم يعد العلم يقتنى ليصير ضميراً فعالاً لدى الأفراد، بل لكي يكون آلة للعيش يحقق فيها حاجاته ومطامعه، أو ليصعد منصة الجاه ويكون شخصية اعتبارية، فيحتل المراكز الوظيفية في المجتمع، وفي هذا تحقيق للجانب التافه من طلب العلم.

٤- المنطق العملي: (البراغماتي)

وهذا يختلف عن مفهوم المنطق التطبيقي كمنهج تكشف نتائجه عن صحة مقدماته وتحددها حسب (بيكون) وهو ربط العمل بوسائله ومقاصده، إذ المقاييس تستمد معاييرها من الوسط الاجتماعي وما يشتمل عليه من إمكانيات.

وليس المقصود بتلك صناعة مقياس نظري لاستخراج ناتج من مقدمات، ولكن المنطق العملي يعني استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة.

إن العقل التطبيقي يعتمد على الإرادة والانتباه والتصرف في الوقت والمال والعلم، ولكن أكثر ضروب نشاطنا وسلوكنا الإسلامي تتسم الآن بالشلل وانعدام الفاعلية في الجانبين الخاص والعام، وهذا الانعدام يذهب جزء كبير منه في العبث، وفي المحاولات الهازلة.

www.iqra.ahlamontada.com

والسبب افتقاد الضابط الذي يربط بين الأشياء وأهدافها. ولعدم وجود منطق عملي في سلوكنا الإسلامي فإن الفرد لا ينقصه منطق الفكرة، ولكن ينقصه منطق العمل والحركة[1].

ونجد أن الكتب الثقافية قد تعرضت للمفهوم الثقافي والمشكلة الثقافية إلى كثير من العوامل المعاصرة التي أخذت تفرض وجودها في ثقافتنا، دون استئذان، مثل أهمية الوقت كعنصر دخل في مضمون الثقافة المعاصر، كما يلعب دوراً هاماً في تسابق المجموع الدولي نحو بلوغ الحضارة. كما تشير إلى موضوع الإرادة، وعلى أهمية الأخذ بالمقاييس والقواعد من واقع قيم ثقافتنا. أي التوجه نحو الأفكار حتى لا نضيع في متاهة الإبهام والغموض والشك، وحالات الفراغ والترف العقلي واللهو والعبث.

ونأمل من ثقافتنا ودورها في المنعطف التاريخي الخطير الذي نعيشه، سواء بالنسبة الراهنة أو في ضوء مصيرنا، وأملنا في أن نرى جيلنا هذا قد وضع حداً فاصلاً بين عهدين: عهد الفراغ والكساد والخمول وعهد العمل والنشاط والحضارة.

ج – واجب المثقف:

إن عملية التثقيف هي عملية تربوية قديمة، تبدأ بالفرد والأسرة ثم الجماعة فالمجتمع . ولكن المجتمع المثقف الحضاري اليوم أصبح له علاقة كبيرة بقنوات الثقافة وطرقها وأشيائها الحديثة ويعتبر التعليم ومراحله جزءًا من عملية تثقيف الفرد في المجتمع، أي أن الثقافة الجديدة، كعمل حضاري، يتناول المجتمع وأفراده عن طريق الوسائل المتاحة، الكتاب، والصحف، والكمبيوتر، والمجلات والتلفاز والإذاعة وعبر جميع الوسائل الممكنة.

وهناك ناحية هامة وهي أنّه، بعد هذا الانفتاح الثقافي وتقدم وسائله، أصبح الفرد اليوم ـ القادرـ مضطراً إلى الرجوع إلى أمهات الكتب الدينية والعلمية والأدبية، لكي يعرف ما يحدث في العالم من اتجاهات فكرية مختلفة نحو مجال الدين والفن

---

(١) ابن نبي،مالك: مشكلة الثقافة، مرجع سابق، : ص ٧٨-٨٢ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

والأدب. وقد يتكون لديه موقف من هذا كله بعد هذا الانفتاح الثقافي: فما هو واجب المثقف الفرد؟.

هل ينبغي للفرد أن تنحصر اهتماماته الثقافية في نطاق الفرد والأسرة وحرفته وما يتعلق بمهنته ومسؤوليته داخل المجتمع ؟.

هل ينبغي له أن يحيط من كل علم بطرف؟.

ماذا ينبغي له أن يفعل لكي يساهم مع مجتمعه في ملء الفراغ الثقافي بيننا وبين غيرنا؟.

ماذا ينبغي للفرد القادر أن يفعل من أجل تنمية ثقافته للوصول بمجتمعه إلى مرحلة البناء ولا يقتصر على الاستهلاك؟.

ماذا ينبغي للفرد العادي أن يفعل اتجاه صيانة أشيائه التي أخذ يستخدمها في بيئته وفي عمله وفي مزرعته؟ وبشكل عام، فإن على المتعلم والمثقف الإيجابي واجباً كبيراً في الإطلاع والعمل الحثيث من أجل بناء مجتمعه، بما ينمي قطاع مفكري الأمة، كما أن على علماء الدين أيضاً، واجباً كبيراً في هذا الإطلاع الثقافي الجديد، وذلك لكي تكون آراؤهم واجتهاداتهم متلائمة مع الواقع الجديد مصلحاً له الذي أصبح المجتمع يعيشه، ولكي تؤدي، آراؤهم هذه، وظيفتها السليمة في وصول المجتمع ككل إلى أهدافه.

هذا، بالإضافة إلى مراعاة ظروف هذا العصر الذي من أبرز سماته التخصص العلمي وتفجر المعلومات، فإنّ من واجب علماء الأمة أن يفهموا قضايا العصر ومشكلاته، ويستطيع المجتمع الوصول إلى أهدافه بتضافر وتعاون علمائه وباحثيه على تفهم مسؤولياتهم من جهة ومسؤوليات العلماء الآخرين لتلبية احتياجات المجتمع من جهة أخرى، أي بتضافر جهودهم داخل المنظومة الاجتماعية .

ولقد أصبح من الواجب الاهتمام بكل علم من العلوم الجديدة وصناعاتها التي تسد حاجة من حاجات المجتمع التي أخذنا نعيشها في واقعنا، وتؤثر فينا، والعمل

www.iqra.ahlamontada.com

بإخلاص لتوظيف هذه العلوم توظيفاً سليماً يتفق مع مبادئنا وقيمنا. ويمثل كل من هذه العلوم ثغرة من ثغور الإسلام.

ومن هنا يأتي تكتيل الجهود مجتمعه من أجل إثبات وجودنا وذاتيتنا نحو الحضارات الأخرى، ويكون ذلك عن طريق أشرف مسؤولية كرم الله بها الإنسان، وهي مسؤولية العلم، و لكن العلم متوقف على القراءة والإطلاع، فالقراءة هي رحم العلم، وبالعلم والفكر تتم عمارة الأرض[1].

ويعتبر الإمام الغزالي رحمه الله من أحد علمائنا البارزين الذين خدموا علوم عصرهم، وإن محبته الشديدة لعلوم عصره جعلته يهجر الأستاذية ورئاسة المدرسة النظامية والعلم، ليتفرغ للتفكير في تلك العلوم، وقد استطاع أن يتفهم الفلسفة، كما استطاع أن يكشف مقاصد الفلاسفة ويظهرها بوضوح أكثر من أهلها. ومن هنا فإن واجب علمائنا أيضاً دراسة التحديات والأمور المعاصرة دراسة علمية تساعدنا على اتخاذ البصيرة في أمرنا.

د – سد الفراغ الثقافي:

لعل من أهم الأخطاء التي ارتكبناها في العصر الحالي نقل العلوم الإنسانية والاجتماعية من الغرب بحرفيتها، مع أن بعضها علوم قيمة، ويبدو هنا ظاهراً للعيان أن تخلفنا وفراغنا في العلوم الإنسانية والاجتماعية ليس أقل من تخلفنا وفراغنا في العلوم التقنية، إن لم يكن أخطر منها.

ولهذا تعد الثقافة من أهم العلوم الاجتماعية والإنسانية، حيث يعتبرها بعض العلماء مفتاح كرامة النوع الإنساني، ويملك إمكانية مساعدة الإنسان على الخروج من الحيرة التي أوقعنا بها (عصر التقدم الآلي).

وهو علم أهم من الأدب والأعمال المصرفية العالمية، كما شهد بذلك (كارلتون) أحد المؤرخين الكبار في العصر الحديث وقد سمعنا عن التحول الذي طرأ على

---

(١) سعيد، جودت: اقرأ وربك الأكرم، دن، دم، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ص ٧-١٢ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

بعض المجتمعات المتخلفة، لتصبح بعد خططها الثقافية أو ما يسم بثورتها الثقافية - في مصاف الدول المتقدمة، كما هو الحال بالنسبة لليابان[1]، أو الثورة الصينية أو بعض دول شرق آسيا أو جنوب أفريقيا، التي ابتدأت في منتصف القرن الماضي .

وما يهمنا في هذا المجال هو أن نبرز أن من طبيعة العلوم ولاسيما العلوم الاجتماعية والإنسانية أنها مترابطة، وقد يتوالد بعضها من البعض الآخر[2].

لقد انحرفت مسيرتنا الحضارية في الماضي القريب عن منهج الله وتشريعه في إقامة الحضارة، فوقعت ببعض الأخطاء التي تسببت في انحدار مسيرة البناء الثقافي قليلاً قليلاً، بعد وقوعنا بأمراض حضارية كانت سبباً لحالة ترهل الثقافة والحضارة وضعف كيانها وذاتها.

هـ - الفراغ الثقافي والاستعمار الغربي:

لقد ورثنا من ماضينا وما كان فيه من صفحات ناصعة مشرقة، ورثنا أيضاً نظماً سياسية وثقافية واجتماعية، أصابها في الفترة الأخيرة مرض الفراغ والجمود والركود، الذي كان نتيجة للجهل والتخلف وسبب له أيضاً، ولما جاء الاستعمار اغتنم حالة الفراغ هذه صفعاً في كل الأطر، استبدل بالكيان الاجتماعي عادات أخرى ونظماً سياسية واقتصادية واجتماعية وتعليمية وثقافية، توافق أغراضه وأهدافه في تطويع تبعيتنا لمسيرته الثقافية.

وكانت هذه النظم التي زرعها ذات أطراف عدة عاجزة عن تفجير الطاقات واستثمارها، بل لقد صاغها الاستعمار قبل أن يرحل عن بلادنا، لكي تقتل طاقات هذه الشعوب وتمنعها من الحركة، وتخرج الفرد المسلم من دائرة الاهتمام بأمته، وتعتقله

---

(١) سفر، محمود محمد : دراسة في البناء الحضاري - كتاب الأمة، بمركز البحوث، قطر، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ص١٧.

(٢) فهيم، حسين: قصة الأنتربولوجية، الكويت المجلس الوطني للثقافة والآداب، سلسلة المعرفة، ١٩٨٦ ص ٢٦٩.

www.iqra.ahlamontada.com

بدائرة الاهتمام بالذات، لكي لا يكون أمامه سوى عدم المبالاة وتصور الإمكانيات والوسائل الثقافية التي تقيده عن الحركة والتفكير.

وما عمل به الاستعمار من صبغ عقلية أهالي المستعمرات بلون ثقافته، هذا إلى جانب الطائفة المثقفة من أبناء تلك البلاد، بل جهل الكثير من رجال العلم والفكر فيها لجوهر الحضارة وإغفالهم الناحية الروحية والأخلاقية والأدبية التي تعد جوهر الحضارة، وعدم إدراكهم أن هذه الحضارة كما يقرر بعض كبار رجال الفكر في الغرب في طريق الانهيار. ونضيف إلى ذلك أن الكثيرين من المثقفين، لدينا يجهلون مدى سمو الحضارة الإسلامية، فإذا بنا نعلم تلاميذنا "أن والد العلوم الطبيعية هو دالتون[1]، وأن والد العلوم التطبيقية هو نيوتن[2]، وأن والد علم الأحياء هو داروين[3]".

(١) "دالتون " جون، Dalton (١٧٦٦-١٨٤٤) كيميائي وفيزيائي إنكليزي، يعتبر أول من أنشأ النظرية في الذرة، وضع قانون " النسبات المتعددة" في الكيمياء وقانون امتزاج الغازات في الفيزياء، إليه ينسب الدالتونيم، وهو مرض العين الذي يمنع التمييز بين مختلف الألوان . - مجموعة من المؤلفين، المنجد في الإعلام، مرجع سابق، ص٢٧٩ (بتصرف).

(٢) "نيوتن" إيزاك (١٦٤٣-١٧٢٧) Newton tsac . عالم طبيعي إنكليزي، تخرج من جامعة كمبردج، ثم شغل منصب أستاذ فيها، عام ١٦٦٦، وفي عام ١٧٠٣ أصبح رئيساً للجمعية الملكية، يعتبر نيوتن مؤسس علم الحركة، أو الميكانيكا، وواضع قانون الجاذبية الكونية، وكان له تأثير كبير على النظرية المادية الميكانيكية، وكان لمنهجه العلمي ولمكتشفاته أثر في الفلسفة، وكانت له فلسفة خاصة تركت هي أيضاً أثراً، من مؤلفاته: المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية(١٦٨٧، والبصريات ١٧٠٤)- مجموعة من المؤلفين:المنجد في الإعلام، مرجع سابق ص ٦٢٠ (بتصرف).

(٣) "داروين"، تشارلز (١٨٠٩-١٨٨٢) Darwin cnarles عالم أجناس وفيلسوف إنكليزي بدأ بدراسة الطب في أدنبرة، ثم ترك هذا الحقل لأنه لا يلبي كل حاجته إلى المعرفة وانتقل لدراسة اللاهوت في كمبردج، ولكن تركها بعد فترة، من مؤلفاته: أصل الأنواع، تفسير الحيوان والنبات في حالة التدخين " تسلسل الإنسان والانتخاب الطبيعي .- الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص٢٢٠(بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

وقد آن أن نعلمهم أن هؤلاء جميعاً تتلمذوا على علوم المسلمين وأن نعلم أبنائنا فضل الخوارزمي[١] على الرياضيات، وفضل ابن سينا[٢] على الطب وفضل الغزالي[٣] وابن رشد[٤] وابن خلدون[٥] وغيرهم على العلوم.

وأن هؤلاء وغيرهم من آلاف العلماء قد شع فضلهم من خوارزم وبخارى وسمرقند وبغداد والكوفة وحلب ودمشق والقاهرة والقيروان وقرطبة وغرناطة إلى أواسط أوربا.

---

(١) الخوارزمي: الحسن بن الحارث الحيوبي ويقال (المحبوبي، الخوارزمي، رياضي، في سيزكين، من علماء القرن الرابع الهجري، توفي بعد سنة ٥٥١هـ -١١٥٦م . آثاره: الاستعصاء في الجبر والمقابلة، الاحتساب، الاستعصاء والتجيس في عام الحساب
- حميدان، زهير: أعلام الحضارة العربية الإسلامية، في العلوم الأساسية والتطبيقية، منشورات وزارة الثقافة في سوريا، ١٩٩٥ مج١ ص٣٠٧ (بتصرف).

(٢) ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧) فيلسوف وطبيب، عربي اللغة، أيراني المنشأ، ولد في أفشنة قربيخارى، وتوفي في همذان، تعود شهرة ابن سينا في الدرجة الأولى إلى خصب إنتاجه، وسهولة أسلوبه، ووضوح عرضه للقضايا التي اقتبسها من مصادر مختلفة، وجمع بينها أبرزها بقالب شيق، امتزجت فيه الحكمة اليونانية بالحكمة المشرقية، فقد حاول أن يقيم مذهباً فلسفياً يجمع بين مبادئ الإسلام وتعاليم أفلاطون وأر سطو، من مؤلفاته: كتاب المعرفة، كتاب الشفاء، كتاب القانون . - الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص٨ (بتصرف).

(٣)الغزالي: سبق ترجمته

(٤)ابن رشد (١١٢٦-١١٩٨م) فيلسوف عربي، ولد في قرطبة (بإسبانية) من أسرة اشتهرت بالعلم، وتوفي في مراكش برع في اللغة والشعر والطب والفلسفة وعلم الكلام ومختلف أنواع العلوم، كان واسع للإطلاع، وقد برع في الطب والفلسفة بشكل خاص، عرف بالغرب على أنه شارح أر سطو، فالنص اللاتيني لمولفات أر سطو الكاملة يحتوي على شروح للأصل العربي الذي فقد، وقد ساعدت شروحه الأرسطية على فهم أر سطو، ونشرت نفوذه في الغرب بين اليهود والمسيحيين والت إلى قيام المدرسة الرشيدية، من مؤلفاته تهافت التهافت، فصل المقام فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال . - الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص٦(بتصرف).

(٥) ابن خلدون (١٣٣٦-١٤٠٦) م مؤرخ وفيلسوف وعالم اجتماع عربي، ولد في تونس درس المنطق والفلسفة والفقه والتاريخ، عين والياً ثم ووزيراً للكتابة ثم سفيراً، ثم رحل إلى مصر في مرحلة ثالثة ودرس في الأزهر، وتولى قضاء المذهب المالكي حتى وفاته، سبق ابن خلدون علماء الغرب وفلاسفته في التأليف في فلسفة التاريخ، ويعتبره الكثيرون المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، من مؤلفاته (مقدمة كتاب العبر) التي اشتهرت باسم (مقدمة ابن خلدون) - الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص٥(بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

كان من الطبيعي أن يؤدي ذلك الفراغ الثقافي بالبعض منا إلى الاتجاه إلى ملئه بمبادئ ومعلومات ونظريات وفلسفات غريبة عنا دخيلة على بيئتنا، سواءً كانت مبادئ وفلسفة الديمقراطية الغربية الرأسمالية أو كانت مبادئ وفلسفة الكتلة الشرقية أو النظام الاشتراكي[1].

و- الفراغ الثقافي والاستبداد:

إن الاستبداد السياسي لا ينفك عنه، غمط الكفايات، وكسر حدتها، وطرحها في مهاوي النسيان ما أمكن، ذلك أن المستبد يغلب عليه أن يكون مصاباً بجنون العظمة، وربما اعتقد أن كل كفاية إلى جانب عبقريته الخارقة صفر لا تستحق تقديراً ولا تقديماً...

وإذا أكرهته الظروف على الاعتراف بكفاية ما، اجتهد في بعثرة الأشواك أمامها واستغل سلطانه في إقصائها أو إطفائها.

علماً أن حظوظ الأمم من الكفايات متساوية، أو متقاربة، وأن أولي النباهة والمقدرة عند أي بلد في الغرب لا يزيدون كثيراً عن أمثالهم في أي شعب في الشرق....!!

كل ما هنالك أن قياد الجماهير في الغرب أخذ طريقه الطبيعي إلى أيدي الأذكياء الأكفاء[2]... أما في الشرق مثلاً فإن القياد ـ بأسباب مفتعلة ـ ضل طريقه عن أصحابه المستحقي له، وسقط في أيدي الفارغين التافهين والعجزة ... (إلا ما رحم ربي).

وهذه الأسباب المفتعلة يقيمها ـ عن عمد ـ الاستبداد الإداري والسياسي حيث يظهر ويسود. إن المستبد يؤمن بنفسه قبل أن يؤمن بالله ... ويؤمن بمجده الخاص قبل أن يؤمن بمصلحة الأمة ..... ومن هنا يعول على الاتباع المتغانين فيه، يحشدهم حوله، ويرفض الاستعانة بالكفايات التي لا تدين بالولاء له، ولا يبالي بحرمان الأمة أو الدين

(١) متولي، عبد الحميد: الشريعة الإسلامية كمصدر أساسي للدستور، منشأة المعارف، الإسكندرية طبعة ثالثة، ١٩٩٠م ص ٢٩٣-٣٩٤ -(بتصرف).

(٢) كما هو مزعوم.

www.iqra.ahlamontada.com

أو الدنيا من مهارتهم. وتأخر العالم الإسلامي في القرون الأخيرة مرجعه إلى انتشار هذا الوباء...

فإن منع الفرد القوي عن القيام على الأمانات العامة تضيّع له ولها، تضييّع ينطق بلسانه بهذه الشكاة:

لم لا أسَلُّ من القراب وأغمدُ لم لا أجَرِّدُ والسيوفُ تجرَّدُ ؟

أو كما قال الآخر، كاشفاً عن عواقب حرمان الأمة منه فيما ينوبها من أزمات:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغرِ !!

وطبيعة الفرد الكفء كراهية الهوان والتحقير .

إن الملكات الإنسانية العالية في ندرة المعادن النفيسة من ذهب وماس ولؤلؤ ومرجان وإضاعتها خسارة يعز معها العوض المكافئ. وانهيار التاريخ الإسلامي في القرون الأخيرة يرجع إلى ذوبان الكفايات وسط عواصف من الهوى والجحود . وإلى استعلاء نفر من الرجال الذين تقوم ملكاتهم النفسية على إحسان الخطف والتسخير، وربط الاتباع بهم على أساس المنفعة المعجلة!!.

وشؤوننا المادية والأدبية من عدة قرون تدور حول هذا المحور، فبينما كانت أوربا تنقض من خمولها، وتهب الرياح رخاء في أرضها، ويجد العباقرة الفرص مضاعفة أمامهم ليفكروا ويكتشفوا ويخترعوا... وبذلك تمهد الطريق أمام الذكاء الإنساني الرفيع كي يسير ويشدَّ وراءه القافلة الحانية عليه المعجبة به! .

في ذلك الوقت نفسه، كان الشطار عندنا من الأمراء والعمد يتنازعون على حكم المدائن والقرى، ومؤهلاتهم للسيادة المنشودة لا تعدو القدرة على سحق الخصوم...!!

فكيف تصلح أمة تتكتل جماعاتها حول عصبية السلطان بدل أن تتجمع حول مثل عالية، ومبادئ نبيلة؟.

لقد جنت علينا هذه الأحوال يقيناً!. وجنينا من طول بقائها في أمتنا تأخراً في المظاهر الأولى للعمران، بل هو تأخر في مجال الإجادة والابتكار[1].

---

(١) الغزالي، محمد: الإسلام والطاقات المعطلة، مرجع سابق، ص ٥٠-٥٢ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

ر- أثر الثقافات الرديئة:

بعض الأطعمة يورث من يتناوله صداعاً في الرأس، واسترخاء في الأعضاء، وانقباضاً عن الأعمال... وبعض ألوان المعرفة يترك في النفوس من التطير والخمول مثلما تتركه هذه الأغذية الردئية في الأجسام!!

وحقيق بنا أن نفحص مصادر المعرفة التي توجهنا، وأن نتدبر فعلها في مشاعرنا وأفكارنا...

لا، بل نستيقن أولاً مبلغ ما فيها من حق! فمن يدري؟ ربما كانت وهماً لا سناد له.. وما أكثر الأوهام التي تسير الناس، وتجعلهم ينشطون إلى سراب خادع، أو يرعبون من خيال مختلق.

والمجتمع الإسلامي من أزمنة متطاولة ضللته أحكام خاطئة، واستولت عليه صور ذهنية وقلبية ما أنزل الله بها من سلطان .

فكم من أشياء دُرست على أنها دين، فإذا فحصتها وجدت أنها هراء، أو وجدتها اجتهاداً محدوداً لأحد الباحثين ليست له قداسة الدين، ولا حرمة الخروج عليه .

إننا أحوج الأمم إلى غربلة الاجتهادات والعادات والموروثات التي تشيع بيننا، ومقاضاتها إلى اليقين من كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وأحسب أن هذه الغربلة ستجيء قريبة من النتيجة التي ذكرها الشاعر:

لو غربل الناسُ كيما يعدموا سقطاً ... لما تحصل شيء في الغرابيل.!!

لقد نهانا الله عن إتباع الظنون القائمة، أو التقليد الأعمى، أو احترام الخرافات القائمة، وأفهمنا أننا مسؤولون عن حواسنا حتى لا يفتنها عن الحق خداع، ولا يجرها إلى الباطل تقليد.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [1].

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٣٦).

www.iqra.ahlamontada.com

وقال في تفكير أهل الكتاب: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[1].

وقال في تفكير عبدة الأوثان: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[3].

ونريد أن يكون الغذاء العقلي والروحي والثقافي للأمة الإسلامية والفرد المسلم نابعاً من اليقين، بعيداً عن الأباطيل، مستقيماً مع مناهج الاستدلال العقلي والعلمي، التي يحترمها أولو الألباب..!

وفي ميدان العلم حقائق بلغت حد اليقين، وفيها نظريات أقرب إلى الرجحان، وتعتبر موضع قبول محدود... وكذلك الأمر في بعض اجتهادات في التشريع.

يبدو أننا إذا نظرنا إلى الأوراق المشحونة بما يسمى علوم الدين، وجدنا شيئاً كثيراً جداً مما يبرأ منه الإسلام، ولا يعترف به من قريب أو بعيد، وهذا التخبط ينتقل من صحائفه إلى الناس، فيكون بعثرة لقواهم، أو تقييداً لها.

ذلك إنهم ينصاعون إليه لنسبته إلى السماوية، وهو في الحقيقة مصنوع في الأرض، و لم يترل من السماء.. ولما كانت الحماسة للعمل، والرغبة في إجادته تتولدان عن العقائد الشائعة، والأفكار العامة.

فمن حقنا أن ننظر، ما الذي يكون هذه العقائد وينشئ هذه الأفكار[4].

---

(١) سورة النساء: الآية (١٥٧).

(٢) سورة النجم: الآية (٢٣).

(٣) سورة النجم: الآية (٢٨).

(٤) الغزالي، محمد: الإسلام والطاقات المعطلة، مرجع سابق، ص ٥٨-٦١(بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

ح- أبعاد تغريب الثقافة الإسلامية:

للثقافة ماضي وحاضر ومستقبل، ولابد أن تكون الصلة والتفاعل قائمين ونشيطين من هذه الجوانب من الثقافة، وذلك ليتم العطاء السليم بين ماضي الثقافة وحاضرها، لما يمكن أن تكون عليه في مستقبلها. وقد درج نمط الفكر المعاصر على تسمية ماضي أية ثقافة تراثاً، ولكننا نعتبر أن الثقافة هي سلسلة متصلة في معطياتها، ويتناسب عطاؤها حسب مرحلتها التاريخية والمؤثرات التي أحاطت بها[1]. وقد كان للثقافة الغربية المعاصرة وما أتت به علومها الحديثة من اتجاهات اجتماعية أثرهما الواضح في مسيرتنا الثقافية، وما نحن عليه الآن من معوقات التحرك الحضاري.

علماً بأن الاستعمارلم يكن هو المتسبب الوحيد في عرقلة تقدمنا الحضاري بل تعاونت معه عيوب في أنفسنا، وفي ضعفنا الثقافي والحضاري الذي كنا عليه، ولم نستدرك أمره في مرحلة نهوضنا، فكانت تلك العيوب بمنزلة الثغرات التي استطاع الاستعمار وقوى التغريب والتشريق أن ينفذوا من خلالها إلى ذاتيتنا وكياننا، وتتسرب عاداتهم وأفكارهم إلى أفكارنا وإلى صفوفنا.. ومن أخطر ما قام به الغرب هو وضعنا داخل مظلته وأسلاكه حيث أحكم حصارنا بها ليحول دون تحرك فعالياتنا الاجتماعية والثقافية، التي تجسد وحدتنا الفكرية والحضارية والاقتصادية والاجتماعية ثم استمرار أعماله بالغزو الحديث بعد تطوير طرقه وأساليبه من الاستعمار المباشر، الذي راج كثيراً في هذا الزمان: كالهيمنة الاقتصادية، والعولمة الثقافية، والضغط السياسي، وأفاد العملاء الذين يتسترون بأعمالهم العادية وطرقهم المألوفة ليتحسسوا قضايا الشعوب، أو إثارة المشكلات وبث الفرقة والاختلاف في الصفوف.

ط – الانفتاح الفكري:

(الانفتاح الفكري) تكوين من تكوينات الفرد المسلم الثقافي، والعودة إلى منابع ذاته ووجوده الحقيقية..[2] فالفرد إما أن يكون مغلق الذهن، أو فارغ الهدف، فتلك هي

---

(١) ليس كلها ... إذ منها الثابت المستمر ومنها المتغير المرحلي .

(٢) (عقيدة الإسلام في قوته، وقوة المسلمين في مجتمعهم، وسعة ما يملكون من ثروة أخلاقية واقتصادية في بلادهم).

www.iqra.ahlamontada.com

قمة المأساة.. لأن الوعي الثقافي والفكري بكل سبله وروافده هو المقدمة الطبيعية للوعي بالأشياء... الذي يغلقون نوافذ معرفتهم يموتون بالجدب، والذين يرتعشون أمام الجدل الحيوي هم الذين لا يملكون ذرة من اليقينيات... قد يتاح للدارس المستوعب لشمولية الإسلام أن يرى في هذه حواراً عميقاً مع كل الزمن بأضلاعه المثلثة...

الماضي والحاضر والمستقبل... إن القرآن الكريم لم يغرس رؤوس أتباعه في حاضر نبت عن ماضيه... ولا في ماضي منقطع عن مستقبله... لقد أصّل لوضعية إنسانه العقدي حواراً رافضاً، لأن الانفتاح الفكري وحده هو الذي يتيح للموجود أن يتسلح بالوعي. مع الماضي المتمعن بكل أوتاره وأوضاره، وحواراه طامحاً مع المستقبل بكل آماله وأحلامه، وحواراً واعياً كذلك مع الحاضر... بكل رفضه للهابط الخابط... وبكل عناقه للصاعد الواعد... من أحلام المستقبل وآثار الماضي بلا تفريط...

أ - أبعاد الانفتاح الفكري:

يبدو (الانفتاح الفكري) قضية صحيحة .أذن... وهو ليس صحيحة لمجرد أنه مجال (قابل) يأخذ من هنا وهناك، ولكنه قضية صحيحة .لأنه مجال قابل وفاعل معاً... بمعنى أنه يفتح جهاته الأربع على كل أضلاع الزمن وماضيه وحاضره ومستقبله. وعلى كل أضلاع الثقافات قديمها وحديثها...

أولاً: لأنه من خلال هذا الجدل الوجودي والفكري يصوغ رؤيته على وهج التجربة وليس على مجرد الإحساس.

ثانياً: لأنه ليس مطالباً بأن يعي مناهج الفكر لكي يكون واعياً بها ثم لا شيء، ولكنه يعي.. ويتمثل... ويستوعب... ويعاني، لكي يندفع بكل هذا الوعي وبكل هذا التمثل وبكل هذا الاستيعاب وبكل هذه المعاناة إلى خوض معركته الفاصلة، واعياً. ومقابلاً!!.

www.iqra.ahlamontada.com

ب – الانفتاح الفكري جهد وكدح:

إذا كان (الانفتاح الفكري) في غير الإسلام ترفاً فهو في الإسلام كدح نمائي.

وإذا كان (الانفتاح الفكري) في غير الإسلام ضياعاً وخلخلة فهو في الإسلام مرابطة وأعداد... وإذا كان (الانفتاح الفردي) في غير الإسلام بحثاً عن هوية تائهة فهو في الإسلام تعميق لجذور هوية غير قابلة للانفراط... هذا هو الفرق.

إن التعرف قد يكون بعض مناهج الشاعر الباحث عن حدائق الإلهام.. إن الضياع والفراغ قد يكون بعض مناطات التافهين الذين يرتعشون فرقاً تحت شمس التحديد.

كما أن البحث عن الذات وهي في قبضة الذات قد يكون بعض مأساة الفارغين.

ولكن قضية الكدح الغائي[1] ولكن قضية المرابطة والأعداد، ولكن قضية تأكيد الهوية... وتعميق جذورها هو بالفعل كل هموم العقائديين... وهذا هو الفرق.

ج – البعد عن التجمد:

إن (الانفتاح الفكري) لا يعني عناق الفعل في مرحلة واحدة من مراحل التطور ثم يتكلس.. أي لا يمكن أن يكون انفتاحاً على مرحلة واحدة ثم يغلق نوافذه بتجمد... إن نهر الفكر دائم التجدد، ودائب الاندفاع، وهو مع كل مشرق شمس يحمل إلى حواريه مزيداً من الطهارة ومزيداً من الجدة... ولكي يكون الإنسان العقائدي ـ وهو الفرد المسلم على مستوى قضيته، فإنه مطالب بلا هوادة بأن يعيش في قلب عصره وقلب كل العصور في وقت معاً... أي أنه مطالب بأن يعي ثقافة عصره ليدبر حواره مع مفردات هذا العصر، ومطالب كذلك بأن يعي ثقافة العصور انطلاقاً من قضية مسلمة هي أن الثقافة شجرة جذورها غائصة في تربة الزمن، وفروعها ضاربة في آفاق العصور المستخدمة... فإن الوعي بثقافة العصر يعي اقتداراً على معايشة المقولات ولكن الوعي

---

(١) الغائي: الهادف، أغيا الأمر ــ بلغ الغاية. غياً جعل له غاية، وغائياً ــ إبراهيم، مصطفى وزملاؤه: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٧٦.

www.iqra.ahlamontada.com

بثقافة الماضي يعني اقتداراً على تأصيل المقولات وليس مجرد الإفضاء بهذه المقولات...

عارضة خطيرة:

قد نشتبك هنا مع قضية خطيرة: هل يعني الانفتاح الفكري تبديل العقائد والأفكار والثوابت تماماً كما تستبدل الآراء والاجتهادات؟

أبداً.. لأن جوهر الفكر الإسلامي لا يستميل ولا ينكفئ إلى نقيضه، ولكن هذا الجوهر الفكري قابل باستمرار لمواجهة أن يقال بأكثر من لغة، وأن يندثر بأكثر من رداء... قد يكون الشكل العلمي الأكاديمي هو المنطق الصوابي لجوهر هذا الفكر الإسلامي في مرحلة أخرى... قد يكون الشكل الجدلي هو المنطق الصوابي لهذا الجوهر في مرحلة ثالثة... إلا أن هذا التشكيل لا يعني على الإطلاق استمالة لون إلى لون... وإنما هو يعني فقط اقتدار هذا الفكر على استيعاب كل التكوينات وإذا كان عصر المنطق العلمي يتطلب مقولات علمية، وكذلك يتطلب عصر الفلسفة مقولات فلسفية... هكذا يكون دعاة العصور الأولى ودعاة عصرنا الراهن ملتقين على كلمة الإسلام ولكنهم يذهبون في شروحهم وتفاسيرهم واجتهاداتهم وطرائق جدلهم مذاهب شتى، ومن هنا كان ثراء هذا الفكر الإسلامي... إن ثقافة عصر من العصور تفرض بالضرورة أن يتسلح الداعية بل الفرد المسلم بمنطق هذه الثقافة، ولقد أحاول أن أخاطب الشباب بمنطق الكهول فيصيبهم ويصيبني الإحباط، فلماذا أحاول أن ألوي عنق التاريخ فأفرض على مرحلة منطق بلا تبرير؟؟

فقط ينبغي أن أقبض على جذوري، ولي بعد أن أضعها على ما شئت من الأصعدة فكرياً وفلسفياً وفنياً.. و(الانفتاح الفكري)[1] يجري أبعد من هذه الأشواط.. إنه يعيد

---

(١) لا بد أن نتحدث عن الفكر الإسلامي ما تحدد أولاً مفهومه وأسسه حتى لا تتزلق وراء ألفاظ التحديث المعسولة والمحبوكة فنخرج عن مضمون الفكر ويجعل منه قضية نظهر الثوابت ونبين المتغيرات فيه. حتى لا يطول الحديث أردت الإشارة فقط.

الفكر: مجموع الظواهر النفسية المتعلقة بالإدراك والتأمل والتصور والتخيل. وقد يطلق على العقل والذكاء من حيث هما فاعلا الإدراك ــ النتاج الفكري لشخص أو لأكثر من شخص واحد.

www.iqra.ahlamontada.com

تقييمه لذاته في حومة هذا الجدل الوجودي... إنه يقوم بمراجعة شاملة عند كل منحنى من منحنيات طريقه الصاعد، ربما ليتيح لذاته أن تعيد تقييم خطواتها أولاً بأول، وربما ليقيس مسافات الاستمرار والجمود في رحلته العارجة.

وآمل أن لا يحرجنا شعورياً مصطلح الاستمرار فنحن أولى به وهو أولى بنا... إن التطور لا يعني (كما يفهمه الساذجون) انتقالاً من الأبيض للأسود... ولكنه يعني دائماً انتقالاً بالأبيض من مجرد البوح إلى حقيقة الفعل، يعني الاندفاع بالأبيض من مساحة الوطن إلى مساحات كل البقاع، يعني تناول الأبيض من منظور معاصر ومثقف في مواجهة تناول هذا الأبيض من منظور وراثي ومعصوب.

د - احتواء الإسلام للزمن:

وحين يعيد تقييمه لذاته ليطور إمكانية هذه الذات إنما يندفع في مسار صوابي موائم لطبيعة الإسلام كعقيدة قابلة لاحتواء الزمن بأضلاعه المثلثة: الماضي... والحاضر... والمستقبل... وموائم لطبيعة الإسلام كعقيدة قابلة كذلك للتعامل مع كافة الثقافات، يقيناً منا بأن مضمونها الحضاري يرفض أن يكون جباناً ممتلئ بعناصر الكتامل والاستمرار والانفتاح... وموائم أيضاً لطبيعة الإسلام كعقيدة مقاتلة مجاهدة وليست فارغة ساكنة، بمعنى أن الفكر الإسلامي يبغي إلى شاطئ نجاة واحد... لأنه يلج الخضم وأنواء الطبيعة هو قدره المنذور. إنه تبحر من عراك إلى عراك، ومن جدل إلى جدل، ومن حوار إلى حوار أشمل حضارياً.. كذلك كان الفكر الإسلامي منذ مطلعه وهكذا ينبغي أن يكون.. أنها ليست نظرية في السياسة، وليست نظرية في الاقتصاد، وليست نظرية في الحرب، وليست نظرية في الاجتماع.. فحسب بل مع ذلك كله بناء عقدي يمتد من علاقة الفرد بالفرد والفرد بالكون والأرض بالقوة الخالقة المتعالية غير المحدودة (الله) سبحانه وتعالى.

هـ - تكامل الانفتاح:

إن إطار الواقع الإسلامي لا يعني أن نكب على نوعية فكرية جامدة، وإنما على نوعيات صاعد بعضها على بعض، ومتعال بعضها على بعض ومتمم بعضها لبعض...

www.iqra.ahlamontada.com

أي أن ما يسمى سياسة، واقتصاداً، وفلسفة واجتماعاً، يصبح بالضرورة بعض مفردات الفكر الإسلامي من وجهة انفتاحية، فليس حواراً عقدياً ما ينهض على استقطاب نوع وإهمال أنواع... قد يكون حواراً من أي لون نسميه ما شئنا من الأسماء. ولكنه لن يرقى إلى مستوى التنظير العقائدي في عالم كل ما فيه خاضع لمنطق النظرية، وهادف إلى غائية التأصيل...

وإذ يصح الانفتاح الفكري بهذا المعنى، أو قل من هذا المنظور مكوناً أولياً من مكونات الفرد المسلم ويصبح الجدال لا في وجود هذا الانفتاح أو عدمه... وإنما فقط من أي وإلى أين... وتصبح ثقافتنا نحن بهذه الوضعية الصوابية فكراً متعايشاً في شرايين عصره المائج، حاملاً أحلام غده المأمول في أهداب يومه المائج المتوشح بأمسه الرائع... ونصبح نحن جيل الراية المقتحم.. الذين يرقبون بالعنفوان كل لحظات التاريخ[1].

ح- إلى متى:

إلى متى يبقى هذا الأخذ والرد، والشد والجذب؟ إلى متى تبقى الأمة الإسلامية المترامية الأطراف صريعة فراغ وحيرة وبلبلة لا آخر لها؟.

إلى متى يحتدم الجدال النظري أو الدموي، حول القيم التي تنبعث عنها، والمثل التي تهفوا إليها؟.

أمسموح لليهود أن يعالنوا بدينهم في إسرائيل، ويتجمعوا من بقاع الدنيا القصية حول وهم مزعوم أو أفكار موهومة؟ ومحظور مثل ذلك على المسلمين وحدهم؟

أمسموح للغرب أن يرسموا صلبانهم حول ألوف الأعلام، وأن يملؤوا أفواههم بنسبهم الثقافي والروحي في كل بلد؟ ومحظور وممنوع ذلك على المسلمين وحدهم؟ ثقوا أن كل جيل ينشأ مزعزع العقيدة، فارغ الثقافة والمثل، غامض الهدف هيهات أن

---

(١) الأعرجي، زهير: الشخصية الإسلامية، مؤسسة إعلامية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢-١٩٨٢م ص ١٣٧- ١٤٢ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

يفلح. فكيف يضيق المجال للمبادئ الثقافية، لئلا تأخذ امتدادها الحق، ثم ترتقب أمة صالحة؟ أو نهضة ناجحة؟ إن كل عمل يقوم على إقضاء الإسلام، واستبعاد وحيه، والتهجم على هديه، يستحيل أن يكلل إلا بالعار لا بالغار. ومن ثم فلن تنجح أبداً في بلاد الإسلام دعوة أو فكرة تدوس عقائده وشرائعه ومثله وتهمل أوامره ونواهيه.

وهنا يصبح لنا أن نتساءل كيف يمكن ملء وسد ذلك الفراغ؟. إن الإجابة على هذا السؤال ليست بالصعوبة بمكان على المثقف والقارئ، فلا ريب أنه يستطيع أن يتبينها فيما كتبنا من السطور وفيما بين السطور، وما علينا الآن إلا أن نزيدها بياناً.

الفراغ الثقافي:

إن ملأ الفراغ إنما يكون بمعالجة مركب النقص الذي انتاب نفوس وعقول الكثيرين من مثقفينا، بل ومن بعض رجال الفكر والعلم فينا، ولبلوغ الهدف ـ فيما نرى ـ وسيلتان:

الأولى: العناية بالدراسة والتدريس لأبنائنا تاريخ الحضارة العربية الإسلامية للوقوف على مدى سموها ومدى فضلها على الحضارات الأخرى وعلى علمائها، بحيث لا تقتصر دراسة التاريخ الإسلامي على الغزوات والحروب وأخبار الأمراء، بل يجب العناية ببيان دور التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في بناء الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والدنيا بكل أشكال الحضارة التي كانت ترفع راية المبادئ الأخلاقية والإنسانية والقيم القيمة، ونشر حضارة عظيمة، وإنقاذ الشعوب من نير استبداد الحكام الطغاة والبغاة، وذلك كله فيما شهدته الدنيا في حضارتنا .

الثانية: لتحقيق ذلك الهدف العناية بدراسة وتدريس الأبناء والشباب من هذه الأمة، (تاريخ العلوم والفنون و المناهج التطبيقية) كنه الحضارة وعناصرها ومقوماتها وبيان مواضع النقص والضعف في الحضارة الغربية فيما يشهد به فلاسفة الغرب وكبار مفكريه الذين يرون أنها تسلك طريق الانهيار، وأن نعلم أبناءنا ما يصح أن تأخذه وما يجب أن تنبذه من عناصر تلك الحضارة .

www.iqra.ahlamontada.com

إن الجهل بذلك كله من شأنه أن يؤدي بالكثيرين إلى الإعجاب الذي يبلغ حد الإفراط– بحضارة الغرب، وهو إعجاب لا مسوغ له، ثم من شأنه أن يذيب شخصيتنا وذواتنا، فإذا بنا نرى بعض رجال فكرنا وغالب رجال مجتمعنا يتزينون بالزي الغربي، ونرى شبابنا يميلون إلى الأدب الأجنبي أكثر من ميلهم إلى الأدب العربي.

وإذا كنا نرى العناية بدراسة الحضارة العربية الإسلامية وبأمجادنا وماضينا، فليس ذلك لكي نضع رؤوسنا على وسادتها المريحة، ونحلم في سباتنا بأحلام سعيدة، ثم بعد اليقظة نحلق في سماء الماضي على متن طائرة الخيال فليس هذا من الإسلام:

﴿ لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[1]. و﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾[2].

٢- على الصعيد الأخلاقي:

الأخلاق: هي علم موضوعه أحكام قيمية تتعلق بالأعمال والغايات الإنسانية التي توصف بالحسن أو القبح. من أجل بلوغ الخير وتحقيقه .

والأمر الأخلاقي: هو ما يتفق وقواعد الأخلاق أو قواعد السلوك المقررة في المجتمع .وعكسه غير أخلاقي[3].

ولدى التأمل وإمعان الفكر يتضح لنا أن الخلق صفة فطرية في النفس – مكتسبة– ذات أثر في السلوك محمودة أو مذمومة .

فالأخلاق منها ما هو محمود، ومنها ما هو مذموم، والدين يدعوا إلى محمود الأخلاق، وينهى عن مذمومها، ونستطيع أن نقيس مستوى الخلق النفسي عن طريق قياس آثاره في سلوك الفرد فالصفة الخلقية الماثلة في النفس مستقرة بها إذا كانت ذات صفة حميدة كانت آثارها حميدة وإذا كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة. وعلى قدر قيمة

---

(١) سورة النجم: الآية (٣٩)

(٢) سورة التوبة: الآية (١٠٥)

(٣)مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ح١ ص ٢٥١

www.iqra.ahlamontada.com

الخلق في النفس تكون آثاره في السلوك، إلا أن توجد أسباب معوقة أو صوارف صادرة عن ظهور آثار الخلق في السلوك .

نتساءل عن الحكمة من إلتزام فضائل الأخلاق واجتناب رذائلها ؟

فنلاحظ أن الحكمة هي ضبط السلوك وتوجيهه وفق مقتضى العقل السليم والدين القويم .

وفي الحكمة أمران:

١- الضبط الذي فيه المنع عن الانطلاق والوقاية من الانحراف .

٢- التوجيه الذي فيه تحديد الاتجاه نحو الخير، والدفع إلى السعي نحو بلوغه .

أ – المفهوم الأخلاقي:

جمع خلق وهو السجية، والعادة، والطبع، ويردّها البعض إلى ملكة أو حسٌّ تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدم فكر وروية وتكلف، فغير الراسخ من صفات النفس كغضب الحليم لا يكون خلقاً، وكذا الراسخ الذي يكون مبدأ للأفعال النفسية بعسر وتأمل، كالبخيل إذا حاول الكرم وكذا ما تكون نسبته إلى الفعل والترك على السواء . والأخلاق هي علم تقييم السلوك، وموضوعة الفضائل والرذائل وطبيعتها وظهورها وكيفية اقتنائها أو توقيتها، ومن ثم كان قيام هذا العلم على تشكيل قواعد السلوك، وكان تقسيم البعض للأخلاق إلى نظرية وعملية، **الأول علم معياري، والثانية هي تطبيقاته** . وتتفرع عن الأولى مذاهب ونظريات، منها الوضعي، والروحي والتطوري، والإلهي ـ اللاهوتي، والرواقي، والأبيقوري، والمادي، والمثالي، ولكنها تلتقي جميعاً في نتائجها العملية، أي في الآداب السلوكية التي تنتهي إليها .

والأخلاق في اللغات الأوروبية من Mores وEthica اللاتينيين، وكلتاهما من أصول يونانية ونعبر عن الأولى في العربية بالأخلاق وعن الثانية بالأدب . morals، sittn،morales [(١)].

---

(١) الحفني ــ عبد المنعم : المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مرجع سابق ص٣١

www.iqra.ahlamontada.com

كلنا يميز بين الخير والشر، صواب أو خطأ، حق أو باطل . وهذا التمييز والحكم متداول بين الناس، وضيعهم ورفيعهم، في عظيم الأعمال وحقيرها، على ألسنة التجار والصناع في تجارتهم وصناعتهم، على لسان الحاكم في المسائل القانونية والسياسية.ولكن هذا التمييز لا يبلغ من الدقة والحقيقة كما هو شأن العالم. بل وحتى الأبناء في ألعابهم، فما معنى الخير والشر ؟ وبأي مقياس أقيس العمل فأحكم عليه بأنه خير أو شر ؟-لأن نميز الخير من الشر حقيقة يتطلب تأملاً وتفكيراً دقيقاً قائماً على العقل التصوري

أولاً[1]- وأيضاً نرى الناس يختلفون اختلافاً في الغايات التي يطلبونها، فمنهم من يطلب المال، وآخرون يطلبون الجاه والسلطة، وغيرهم يطلبون الشهرة، وغيرهم يطلبون العلم وفريق يطلب الشهوة وبعضهم لا غاية عندهم يزهدون في كل هذه الأشياء ويوجهون آمالهم إلى حياة مجرد الحياة .

وأغلب القوم زهوا بالأشياء ووجهوا الآمال إلى حياة أخرى اشتاقوا إليها وعملوا من أجلها ترقى فيها نفوسهم وفيها ينعمون .

فهل لحياة الناس غاية واحدة نهائية هي لهم غاية غاياتهم، وهي التي ينبغي أن يطلبوها وهي التي تقاس بها الأعمال، فالعمل إذا قرب منها كان خيراً وإذا بعد عنها كان شراً، وما هي هذه الغاية النهائية ؟

عن كل هذا يكون على صعيد الأخلاق فهو علم يوضح معنى الخير والشر، ويبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضاً، ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصدها الناس في أعمالهم، وينير السبيل لعمل ما ينبغي[2].

---

(١) هذا مذهب أهل العقل أما ما يذهب إليه أهل الشرع (على الدليل الشرعي) .

(٢)أمين، أحمد: الأخلاق، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٤، ص ١٢(بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

الفرد بين الخير والشر:

الإسلام يعتمد في إصلاحه العام على تهذيب النفس الإنسانية قبل كل شيء باعتبارها مبدأ الأفعال، فهو يكرس جهوداً ضخمة للتغلغل في أعماقها وغرس تعاليمه في جوهرها حتى تستحيل جزءاً منها .

ومع ذلك فالشرائع لن تخرج عن طبيعتها في اعتبار النفس الصالحة هي البرنامج المفضل لكل إصلاح والخلق القوي هو الضمان الخالد لكل حضارة، فالنفس المختلة، تثير الفوضى في أحكم النظم، وتستطيع النفاذ منه إلى أغراضها الدنيئة، والنفس الكريمة ترقع الفتوق في الأحوال المختلفة ويشرق نُبْلُها من داخلها، فتحسن التصرف والمسير، وسط الأنواء والأعاصير إن القاضي النزيه يكمل بعدله نقص القانون الذي يحكم به، أما القاضي الجائر فهو يستطيع الميل بالنصوص المستقيمة، وكذلك نفس الإنسان حين تواجه ما في الدنيا من تيارات وأفكار ورغبات ومصالح .

ومن هنا كان الإصلاح النفسي الدعامة الأولى لتغليب الخير في هذه الحياة .

فإذا لم تصلح النفوس أظلمت الآفاق، وسادت الفتن حاضر الناس ومستقبلهم، ولذلك يقول الله (عز وجل) :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [1].

ويقول المولى سبحانه وتعالى ـ معللاً هلاك الأمم الفاسدة:

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [2].

---

(١) سورة الرعد: الآية(١١)

(٢) سورة الأنفال: الآية(٥٢، ٥٣)

www.iqra.ahlamontada.com

والدين الإسلامي – في علاجه للنفس ابتغاء إصلاحها – ينظر إليها من ناحيتين:

إن فيها فطرة طيبة، تهفوا إلى الخير، وتسر بإدراكه، وتأسى للشر وتحزن من ارتكابه، وترى في الحق امتداد وجودها وصحة حياتها .

وأن فيها – إلى جوار ذلك – نزعات طائشة، تشرد بها عن سواء السبيل، وتزين لها فعل ما يعود عليها بالضرر، ويسف بها إلى منحدر سحيق .

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (١)

إن وظيفة الأذن أن تسمع، ما لم يصيبها صمم، والعين وظيفتها أن تبصر، ما لم يلحقها عمى، ووظيفة الفطرة أن تستقيم مع الحق، وتتدافع إليه تدفع الماء من صبب، ذلك ما لم يطرأ عليها تشويه، يلوي عنانها ويثنيها عن وجهتها الأولى إلى الكمال والخير والفضيلة .

وهذه الطوارئ المفسدة للفطرة، قد تتكون من رواسب القرون الماضية، أو من تقاليد البيئات الساقطة، أو من كليهما معاً، وهي شديدة الخطر فيما تجره على الفطرة البشرية من علل، وجهاد المصلحين الحقيقي يقوم على كفاحها وكسر حدتها، وإنقاذ الفطرة البشرية من علل، وجهاد المصلحين الحقيقي يقوم على كفاحها وكسر حدتها، وإنقاذ الفطرة من غوائلها، حتى تعود إلى صفائها الأصيل وتؤدي وظيفتها الحقة، وقد شرح الإسلام طريق ذلك .

فبعد أن تقرأ في كتاب الله الآية: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الشمس: الآية (٧-١٠)

(٢)سورة الروم: الآية (٣٠)

www.iqra.ahlamontada.com

يظهر في الآية أن الدين هو الفطرة .وتقرأ قوله تعالى: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[1].

الإيمان لا الإلحاد، والتقوى لا الفجور، ووحدة المتدينين على ربهم لا تفرقهم فيه، هذه النصائح هي باب العودة بالفرد إلى فطرته المستقيمة .

ذلكم موقف الإسلام من فطرة الإنسان الطيبة، ونهجه في تدعيمها .

أما عمله مع طبائع الفرد الشريرة الأخرى، فهو التنبيه إليها، والعمل على أسلاس قيادها، وجعله خاضعاً لتصريف العقل الرشيد، ومنطق الفطرة الطيبة .

أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى بعض الطباع بقوله: « **يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان، الحرص على المال والحرص على العمر** »[2].

وقوله صلى الله عليه وسلم « **شر ما في الإنسان جبن هالع، شح خالع** »[3].

وقوله عليه الصلاة والسلام« **لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحبَّ أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا الترابُ، ويتوب الله على من تاب** »[4].

وأول ما يلفت الإسلام نظر المرء إليه، أن الجري مع الهوى، والانصياع مع وساوسه التي لا تنقضي، لن يشبع النفس، ولن يرضي الحق، فالنفس كلما ألفت موطناً لشهواتها أحبت الانتقال منه إلى موطن آخر . وهي في رتعها الدائم لا تبالي بارتكاب الآثام واقتراف المظالم . ولابد من التفريق بين أهواء النفس المحرمة ومطالبها المعقولة المقررة، فإن كثيراً من المتدينين يخلط خلطاً سيئاً بين الأمرين، وذلك أن الفرد إذا

---

(١)سورة الروم: الآية (٣٢، ٣١)

(٢)مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم،، ح٧ شرح النووي، مصدر سابق ص ١٣٨ رقم الحديث (٢٤٠٩)

(٣)أبو داود، سليمان بن الأشعث: مصدر سابق ح٣ ص١٧، رقم الحديث (٢٥١١)

(٤)البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق البغا، مصدر سابق، ح١ ص٢٢٣٢ رقم الحديث (٦٠٧٥)

www.iqra.ahlamontada.com

كانت له مطالب من متاع الحياة وسعتها التي لاحرج فيها، فأُفْهِمَ خطأ أن هذه المطالب من الرذائل المحظورة فستكون النتيجة أن يقبل على هذه المطالب المحتومة بضمير من يستبيح الجرائم، ويرضى بالتدلي إليها وضميره في الحقيقة ضحية خطأ شنيع .

ولكنه مادام قد فهم أنه أصبح مسيئاً، وأن الرذيلة جزء من حياته، فسينقل منها إلى عمل منكرات أشد، أي: منكرات حقيقية في هذه المرة !

وقد لاحظ الإسلام هذه الناحية، فنص في صراحة في القرآن على إباحة الرغائب السليمة للنفس، وترك لها فرصة التوسع الطيب، وعد التدخلة بالخطر والتحريم والتضييق على النفس - في هذه الدائرة الكريمة - ريناً لعمل السوء والفحشاء ! لأنه مدرجة إلى عمل السوء والفحشاء .

قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

يكره الإسلام أن تعالج الغرائز بالكبت العنيف، وأن تتملق بالإسراف البالغ، ويشرع لها المنهج الوسط، بين الإفراط والتفريط .

إن الإسلام يحترم الفطرة الخالصة، ويرى تعاليمه صدىً لها، ويحذر الأهواء الجامحة، ويقيم السدود في وجهها، والعبادات التي أمر بها هي تدعيم الفطرة، وترويض للهوى، ولن تبلغ هذه العبادات تمامها وتؤدي رسالتها إلا إذا كانت كلها روافد لتكون الخلق العالي، والمسلم المستقيم .

ب - الوقاية من الفراغ الأخلاقي:

إننا عندما اتصلنا بالغرب في أثناء القرنين الماضيين، وشعرنا بضرورة الاقتباس منه والنقل عنه، كانت أفهامنا من الصّغار - ولا أقول من الغفلة - بحيث لم تلتفت إلا للتوافه والملذات والمظاهر ... فالحرية التي تشبثنا بها وجعلناها هدفاً، ليست هي

---

(١)سورة البقرة: الآية (١٦٩)

www.iqra.ahlamontada.com

حرية العقل في أن يفكر ويجد ويكتشف بل حرية الغريزة في أن تطيش، وتنزو، وتضطرم ... !!

وسرعان ما احتلت الملابس الغربية أجسامنا، والأثاث الأوربي بيوتنا، والعادات الفرنسية في الأكل والنوم – أحوالنا والتقاليد الإنكليزية علاقاتنا ...

أما تألق الذهن أو.جودة التفكير، وإطلاق القوى البشرية من مرقدها تسعى وتربح .. فذاك شأن آخر

ومن السهل على القردة أن تقلد حركات إنساناً ما ...!! كما أن الببغاء تستطيع أن تعيد الصدى ..!!

أنظن بهذا التقليد وهذه العادات السخيفة نتحول من تخلف بشراً ؟؟ ولقد رأينا المسنين من الرجال والأحداث من العيال، يأخذون عن الغرب الكثير من مظاهر المدنية الحديثة، وهي مظاهر نبتت خلال مدنية الغرب أو الشرق الشيوعي، إنها شيء آخر غير حضارة الغرب التي ارتفع بها واستفاد منها، فهل بهذا الأخذ الغبي الأعمى رفع خيستهم، أو دعم مكانتهم ؟ كلا، إنهم ما زادوا به إلا خبالاً ...

وكل العالم سوانا حرص على تقاليده الخاصة في اللباس والطعام وما إليها، وعب من مناهل المعرفة الحقيقية ما غير حالته تغيراً تاماً . أما نحن فقد هجرنا الموضوع إلى الشكل، بل تخبطنا فيما ندع وننقل على حساب ديننا وتراثنا وتاريخنا وعاداتنا، فلم نصنع شيئاً .

والحرية التي تريدها ليست الحرية في استطاعة إنسان ما أن يلهو كيف شاء !! .

فما قيمة صحافة تملأ أذواقها بهراء لا يصلح فاسداً، ولا يقيم عوجاً ؟.

فما قيمة أمة تصرف طاقات أبناءها في تيسير الخنا وإباحة الخمر والزنا ؟؟ .

الإنسانية، عندما تطلب حقوقها من الحياة الآمنة العادلة الكريمة، الحياة التي تتكافأ بها الدماء، وتتساوى الفرص، وتكفل الحقوق، وينتفي منها البغي، ويمهد فيها طرائق

www.iqra.ahlamontada.com

التنافس والسبق أمام الطامحين والأقوياء، ويمهد طريق الاندثار والاستخفاء أما التافهين الفارغين السفهاء فلا يكون لهم جاه، ولا يقدس لهم حمى.!! [1]

٢- الانحراف [2]:

تثبت الأحداث يوماً بعد يوم أن البنية الخُلقُية على درجة من الهشاشة، فهي لارتباطها بالثقافة والسياسة والظروف المعيشية المختلفة، تتسربل بالليونة والمرونة، ومن ثم فإن إمكانات ضمورها وتدهورها تظل حاضرة، من خلال التحويرات والتأويلات التي تجتاحها والشعور بالاغتراب هو الآخر يحمل أخلاقنا وأرواحنا أعباء ثقيلة، تنوء بها . إن الذي ينظر في سير العظماء يجد أنهم دائماً يملكون طاقة كبرى على التميز والتأبي على الانجراف في التيار، والامتناع عن الخضوع للحدود التي ترسمها المعطيات السياسية والاقتصادية، وبالتالي فإنهم يندفعون دائماً نحو مستقبل مفتوح. إن التأبي الخلقي، يعني تجاوز الدلال الزائفة القائمة على جاه مصطنع، وحفنة من مال، وشيء من متاع، والتي تراوح فيها المجتمعات، وترهن كل إمكانات تفتحها لديها .

التأبي الخلقي يعني أن ننمي ببطء القدرة على ترميز القيم السائدة، حيث نكف عن رؤية الأشياء في ضوء المعايير القائمة، ونصير إلى طرح أسئلة جديدة عن معنى الحياة عامة، وعن معنى حياتنا خاصة. وسيعني هذا بالطبع سباحة ضد التيار، كما يعني وقوع بعض الخسائر الشخصية، لكن العواقب تستحق التضحية .

أ – أقسام الانحراف: ينقسم إلى:

١- ينقسم الانحراف عن الحق في المفاهيم الفكرية .(التصور)

---

(١) الغزالي، محمد: الإسلام والطاقات المعطلة، مرجع سابق، ص ٥٥ /٥٧ .(بتصرف).

(٢) الانحراف: ابتعاد أو شطط عن الهدف الحقيقي، وخروج عن الدين والعرف في ممارسة الوظائف الحياتية . " أي خروج عن المعايير الاجتماعية، أو التنظيمات المجتمعية ".

– جابر: سامية محمد: الانحراف الاجتماعي، بين نظرية علم الاجتماع والواقع الاجتماعي، دار المعرفة، الإسكندرية ص٢٨٥

www.iqra.ahlamontada.com

٢- الانحراف عن الحق في التطبيقات السلوكية .(الفعل)

أما الانحراف عن الحق في المفاهيم الفكرية فيرجع إلى عدة أسباب:

أ – فمنه ما يكون ناشئاً عن خطأ فكري بحت، أدى إليه غموض الحقيقة، أو قصور النظر، أو جهل بطريقة البحث السليم، أو حصر التفكير في جانب من جوانب البحث حيث الحقيقة موزعة في جوانب شتى من الساحة، وبذلك لا تستبين الحقيقة على وجهها الصحيح فيكون الانحراف عن الحق .

وقد يكون المخطئ في هذا السبب مخلصاً في طلب الحقيقة، إلا أنه لم يسلك السبيل الموصلة إليها، لعجزه وضعف قدرته أو لتقصيره وتهاونه واستعجاله النتيجة.ما من أحد يفعل الشر مختاراً –كما قال سقراط.

ب – ومنه ما يكون ناشئاً عن اتباع غير بصير وتقليد أعمى، دفع إليه تعصب ذميم، أو ثقة عمياء، أو تعطيل لأدوات البحث والمعرفة، وذلك ينشأ عن جهل أو تقصير أو هوى.

ج – ومنه ما يكون الباعث عليه هوى من أهواء النفس، أو شهوة من شهواتنا، أو مطلب من مطالبها فتزين له أهواؤه ومطالبه صورة من صور الباطل، فتجعله ينادي بأنها هي الحق، وكثيراً ما يحس بأنها مزينة له زوراً وبهتاناً، ولكنه يتغافل عن الحقيقة ويصرف نظره عنها، حتى لا تظهر له فتنغص عليه لذاته، وتعكر عليه صفو أهوائه وشهواته .

١- **الانحراف عن الحق**: الانحراف عن الحق أياً كان ظلم، لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه، والظلم قد يكّون ظواهر الانحراف عن الحق وقسوة القلب عن قبول دعوته، وقد يكون من ظواهر فقدان خلق الرحمة وقسوة القلب ناجمة عن ذلك . وقد يكون من ظواهر فقدان العلم والمعرفة فالفراغ والجهل تعبيران عن ذلك .

والغالب في أصحاب الانحراف أنهم لا يكونون مخلصين في طلب الحقيقة والبحث عنها، ولكنهم يحاولون أن يجدوا لانحرافهم في السلوك فلسفة فكرية مزينة

www.iqra.ahlamontada.com

بالأصباغ والألوان الفكرية الخادعة، ليبرروا بها انحرافهم، وهؤلاء عبادٌ أهوائهم وشهواتهم، ومن الصعب جداً إرجاعهم إلى الحق عن طريق إقناعهم به وتبصيرهم بوجهة المشرق، إذا هم مكابرون مجرمون، وليسوا بجاهلين ولا ضالين عن سبيل الحق .

٢ـ وأما الانحراف عن الحق في التطبيقات السلوكية فيرجع الى أحد سببين:

الأول: الانحراف عن الحق في المفاهيم الفكرية .

الثاني: غلبة الأهواء والشهوات ودوافع النفس، على سلطان الإرادة، والانحراف بهذا السبب وحده لا يشكل خطراً كبيراً على الحق، ما لم يعم وينتشر وتمتد ظلمته إلى البصيرة، فتغشى عليها وتطمس عنها وجه الحق فلا تراه .

والمنحرف عن الحق في التطبيقات السلوكية بغلبة الأهواء والشهوات ودوافع النفس، كثيراً ما يكون صيداً قريب المنال من أيدي المجرمين الشياطين، الذين يزينون الباطل الخادم لأغراضهم، فيوقعونه في شباكهم، ويسخرونه في سبلهم، ويزينون له الباطل بفلسفاتهم الملونة الخادعة حتى يعتقدها ويؤمن بها ويقاتل من أجلها، وعندئذٍ يكون أداة طيعة في أيديهم، وسلاحاً من أسلحتهم، وجندياً مسخراً لأهوائهم .

وأكثر جنود الشياطين المجرمين، هم من المنحرفين عن الحق في تطبيقاتهم السلوكية، بغلبة الأهواء والشهوات ودوافع الأنفس، ومن المنحرفين عن الحق في المفاهيم الفكرية، الذين نشأ انحرافهم بسبب خطأ فكري بحت، أو بسبب تقليد أعمى واتباع غير بصير .

ب – العلاج:

١- قد يكون من العسير جداً علاج المنحرفين عن الحق في مفاهيمهم الفكرية، تأثراً بأهواء نفوسهم وشهواتهم، استجابة لانحرافهم الخلقي .

وقد لا يكون لهم دواء إلا التبرؤ والعزل الكلي عن المجتمع، على أن من واجب الدعاة أن يبصروهم به عن طريق الإقناع بالبراهين والحجج الدافعة، وبالأساليب المناسبة .

www.iqra.ahlamontada.com

وعن طريق الترغيب والترهيب، لإقامة الحجة عليهم، وعسى أن يستجيب منهم ذو خير، وينتفع برؤية الحق منهم منتفع، ويخاف من مخالفته خائف، ويطمع بإتباعه طامع .

٢- أما المنحرفون عن الحق في مفاهيمهم الفكرية بسبب خطأ فكري بحت - وهم مخلصون في طلب الحقيقة - أو بسبب اتباع غير بصير وتقليد أعمى، فمسؤولية أصحاب الحق الدعاة إليه في اتخاذ الوسائل المختلفة لعلاجهم مسؤولية كبرى، لأن الأمل بإصلاحهم وإقناعهم بالحق كبير . ويبدأ داعي الحق بالتودد والتأنيس، حتى يزيل حجاب الوحشة، ويستدرج إلى الألفة، ويكتسب الثقة، ثم ينتقل إلى استخدام الطرائق الحكيمة للتبصر بوجه الحق، ومن الخير أن يتخذ طريق الإقناع والمناقشة الهادئة الحكيمة .

فإن كان المنحرف عن الحق صادقاً فعلاً في طلب الحق والبحث عنه، إلا أنه أخطأ سبيله إليه، فإنه سيسهل إقناعه متى عرفت سلسلته الفكرية التي انتهت به إلى الخطأ، وعندئذٍ يبصر بالمزالق التي جعلته ينحرف فكرياً، ويؤخذ بيده إلى سواء سبيل البحث، فإذا وصل إلى معرفة الحق عن طريق المناقشة، وجد نفسه وجهاً لوجه أمام امتحان خلقي، بعد أن اجتاز مرحلة تحول فكري .

أ - فإن كان من ذوي الخلق الكريم رجاعاً إلى الحق سارع فأعلن رجوعه إلى الحق وأخذ به، دون أن يجد عقبات في نفسه تصدّه عنه .

ب - وإن كان في أخلاقه انحراف أ وكبر أو عناد أو تعصب أو عجب بالنفس أو نحو ذلك، صعب عليه أن يعلن رجوعه إلى الحق واعترافه به، وصار له شأن آخر بعد سقوطه في الخطأ والتزامه له، وقامت في نفسه عقبات متعبة من الرجوع إلى الحق، رغم أنه كان مخلصاً في طلب الحق أولاً .

وتختلف ظواهر سلوك هذا الصنف من الأفراد تبعاً لاختلاف نسب ما في نفوسهم من انحرافات خلقية، فمن متربص قليلاً، ومن متربص طويلاً، ومن محتال

www.iqra.ahlamontada.com

مراوغ ليوافق بين إرضاء ضميره وإرضاء نفسه، ومن مصر مكابر يعجز عن اجتياز عقبات نفسه، وهكذا فمن الناس من يتهرب من إعلان رجوعه إلى الحق، ويحاول تعليق البحث، ثم يتراجع تراجعاً ضمنياً على مراحل، حتى نسي الناس موقفه السابق أخذ يعلن مذهبه الجديد موهماً بإعلانه أنه هو ما كان يراه قديماً، وأن شيئاً لم يتغير لديه . وغيرها من أصناف .

ولمعالجة هذه الأصناف من الناس طرائق وأساليب شتى تحتاج إلى ذكاء كثير، وحكمة وافرة، وصبر كبير، ونفس طويل، ولا يستطيع اتخاذها والصبر عليها إلا قلة من الناس .وهي في معظمها حيل حكيمة تستدرج من كان من أقسام هذا الصنف من حيث لا يشعر، حتى يعلن الحق بنفسه، ظاناً أن أحداً لم يفرضه عليه، ولم يكن له فضل بتبصيره به، وإنما وصل إليه ببحثه. ومن الخير لداعي الحق والدال عليه – حتى عرف أن وجه الحق قد أشرق في فكر من يقنعه به، أن يكف عنه، ويتركه فترة من الزمن، وليحذر من إحراجه بأية كلمة تمس جانب كبره وعجبه بنفسه، إنه سيجده بعد حين من الذين ينادون بالحق الذي بصّره به، ومن الذين يدعون إليه، لأن كرامته الموهومة لم تمس بما يجرحها، بخلاف ما لو غمز جوانب نفسه المستكبرة بشيء يجرحها، فإنه حينئذٍ يدفعه إلى الإصرار على باطله، من حيث يريد إقناعه بالحق[1].إن تقويم الخُلق يبدأ بوقايته وذلك بمصاحبة أهل الفضل والأخيار ومجانبة أهل الرذائل والأشرار . «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي** »[2]

وقال سيدنا عمر رضي الله عنه (عليك بإخوان الصدق، تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء) [3] وقال الإمام علي كرم الله وجهه:

وصاحب تقياً عالماً تنفع به ... فصحبة أهل الخير ترجى وتطلب

---

(١) حبنكة الميداني، عبد الرحمن حس: الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م ج١ ص٧٠٩-٧١٤ بتصرف

(٢) الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، مصدر سابق، ج٤ص٦٠١ رقم الحديث (٢٣٩٥)

(٣) الماوردي , علي بن محمد: أدب الدنيا والدين , مصدر سابق , ص ١٦٥.

www.iqra.ahlamontada.com

وإيــاك والفســاد لا تصــحبنهم ... فصــحبتهم تعــدي وذاك مجــرب
وأحـــذر مؤاخـــاة الـــدنيء فإنــه ... يعدي كما يعدي الصحيح الأجرب
واختر صـديقك وأصـطفيه تفـاخراً ... إن القـرين إلى المقـارن ينسـب [١]

إنّ الحرية ليست ذات بنية ثورية، وإنما هي ثمرة النضج البطيء الذي نحـرزه علـى صعيد تقويتنا لإراداتنا وعلى صعيد فهمنا لواجباتنا ومسؤولياتنا . والتـأبي يحتـاج في أول ما يحتاج إلى الشعور بالتحرر الداخلي من استعباد الملذات والمطـامع الصـغيرة، وعلى مقدار ما نحصل عليه من ذلك نتمكن من إيجـاد صـياغة جديـدة لعلاقاتنـا بمـا حولنا، وصياغة رؤية جديـدة للحاضـر والمسـتقبل وهـذا وحـده هـو الـذي يمكـن أن يسمى تقدماً أخلاقياً.

إن ارتباط المسلم بالمنهج الرباني الأقوم، يعني دائماً الارتباط بثوابت تشده إلى عـالم المثل والقيم، وهو عالم مرتبط بكل الأزمنة، كما أنه مرتبط بالجوهر الإنسـاني الأعمـق، وذلك كاف لإغـلاق العديـد مـن أبـواب الخضـوع لأحكـام البيئـة ومقتضـيات العـيش الصعب [٢].

٣- انكماش القيم الإنسانية:

إن أخص ما يميز المجتمع السليم الراقي، المجتمع الفاضـل، المجتمـع السـعيد هـو التماسك والترابط. المجتمع الفاضل هو الذي يتعارف أبنـاؤه فـلا يتنـاكرون، ويتحـابون فلا يتباغضون، ويتعاونون فلا يتخاذلون، ويتعاملون فيما بيـنهم بالعـدل والرحمـة، فـلا يبغي بعضهم على بعض، ولا يقسو بعضهم على بعـض، فـلا ينسـى الواجـد المحـروم، ولا يهمل القادر العاجز، ولا يأكل الكبير الصغير ، ولا يعتدي القوي على الضعيف .

---

(١)تنسب إلى سيدنا علي رضي الله عنه , و لم أجده في ديوانه – فاطمة، أبو الخير: الآداب الإسلامية، مرجـــع سابق، ص٢٥١

(٢) بكار، عبد الكريم: العيش في الزمان الصعب، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـــ ١٩٩٩م ص ٢٦-٢٨(بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

وشر ما يصيب المجتمع هو التفكك والضعف بين الأبناء، وانكماش القيم بغلبة الأنانية على أنفسهم فيذكر الفرد نفسه وينسى أخاه، ويقول كل واحد: نفسي، نفسي، مصلحتي، مصلحتي، ولا يبالي أن يجعل من الناس قرابين تقدم لإله أطماعه وشهواته.

شر ما يصيب المجتمع: أن يقول كل فرد فيه: لي ولا يقول: علي ... أن تتضخم " أنا " في نفسه على حساب غيره. فينظر إلى نفسه نظرة استعلاء واستكبار، وإلى الناس نظرة الازدراء والاحتقار.

ومثل ذلك في الشر أن يفقد الفرد إحساسه بذاته، وشعوره بكرامته، وبما وهبه الله من قوة، وما أتاه من نعمة، وحينئذٍ تموت في نفسه الحوافز الكريمة، والبواعث الطيبة .

ولا ينمو في جوانحه إلا الشعور بالضعف والهوان والضياع والفراغ، وهي مشاعر قتّالة للفرد، وبالتالي هدّامة لصرح المجتمع. وإذن لا بد أن يقف الفرد عند حد، يحس بذاته وكرامته إحساساً لا ينال من ذات غيره وكرامته وحقه باعتباره إنساناً وبذلك يعمل أبناء المجتمع معاً، ويسيرون إلى الهدف المشترك جنباً إلى جنب، متعاونين على البر والتقوى، متواصين بالحق والصبر .

والمجتمع في حاجة إلى ضوابط تحكم علاقاته ومعاملاته بعضها لبعض، فلا تطغى الغريزة على العقل، ولا القوة على الحق، ولا الهوى على الواجب، ولا المنفعة الخاصة على المصلحة العامة وهذه الضوابط لا تؤدي مهمتها إن لم تكن ضوابط أخلاقية، مبعثها النفس، ومصدرها الضمير وصلتها العقل، لهذا كان كل بناء أو إصلاح أو تغيير اجتماعي لا يقوم على إصلاح الأنفس وإيقاظ الضمائر، وتربية الأخلاق، أشبه ببناء على كثبان من الرمال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [1]

ومما لابد من الإشارة إليه في انكماش القيم الإنسانية .

ــ الاستبداد يشل القوى:

الحكم الذي يسود بعض بلاد الإسلام يكون طرازاً منكراً من الاستبداد والفوضى ...

---

(١)سورة الرعد: الآية (١١)

www.iqra.ahlamontada.com

تنكمش فيه الحريات الطبيعية، وتخور القوى المادية والأدبية، ويسيطر على موازين الحياة العامة نفر من الجبابرة، أمكنتهم الأيام العجاف أن يقلبوا الأمور رأساً على عقب.

وأن ينشروا الفزع في القلوب، والقصر في الآمال، والوهن في العزائم والفراغ في الهمم والصدور ... والحكم الاستبدادي تهديم للدين وتخريب للدنيا، فهو بلاء يصيب الإيمان والعمران جميعاً، وهو دخان مشؤوم الظل، تختنق الأرواح والأجسام في نطاقه حيث امتد، فلا سوق الفضائل والأدب تنشط، ولا سوق الصناعة والتجارة والزراعة تروج !! ومن هنا حكمنا بأن الانكماش للقيم حرب على الله وحرب على الناس .

وأن الخلاص منها شيء لا مفر منه لصلاح الدنيا والآخرة ....

وقد أصيب الإسلام في مقاتله من استبداد الحاكمين باسمه . إن المستبدين في مناصبهم نباتاً شيطانياً لا نوضع له بذور، ولا تحفّ به رغبة، ولا تشرف عليه موازنة أو مشورة .. !!!.

وعندما يوضع رأس فارغ على كيان كبير، فلا بد أن يفرض عليه تفاهته وأثرته، .. وفراغه ...

ومن هنا تطرق الخلل إلى شؤون الأمة " فوقعت في براثن الاستعمار الأخير، فحكام الأمة كانوا في واقع أمرهم حرباً على الأمة الإسلامية "، أو كانوا في أحسن أحوالهم تراباً على نارها، وقتاماً على نارها. فلولا خلوها وشأنها لاستطاعت الدفاع عن نفسها، متخففة من أعباء هؤلاء الحكام، ومن جنون العظمة الذي استولى عليهم.!!.

ثم إن الإسلام ينكر أساليب العسف التي يلجأ إليها أولئك المستبدون في استدامة حكمهم، واستتباب الأمر لهم ... إنه يحرم أن يُضرب إنساناً ظلماً، أو أن يسفك دمه ظلماً فما تساوي الحياة كلها شيئاً إذا استرخصت فيها حياة فرد . قال رسول الله (ﷺ) «**زوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم**»[1].

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، علل الترمذي الكبير، ح٢ ص٥٧٩ لأبي طالب القاضي، تحقيق حمزة مصطفى، مكتبة الأقصى، عمان الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

www.iqra.ahlamontada.com

فأشدُ الجرائم نكراً، أن يقتل امرؤ من الناس توطيداً لعزة ملك أو سيطرة حاكم ...

وقال (ﷺ) « **يجيء المقتول يوم القيامة آخذاً قاتله – وأوداجه تشخب دماً – عند رب العزة – جل شأنه – فيقول: يارب! سل هذا، فيم قتلني ؟ فيقول: فيم قتلت فلان ؟ قال: قتلته لتكون العزة لفلان ... قال: هي لله تعالى** »[1].

وفي التعذيب دون القتل يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « **من جرد ظهر مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان** »[2].

ويقول أيضاً (ﷺ): « **ظهر المسلم حمىً، إلا بحقه** »[3].

يعني أن المسلم لا يجوز أن يمس بسوء أبداً، إلا أن يرتكب ذنباً أو يصيب حداً، فعندئذٍ يؤخذ منه الحق الثابت في دين الله .

إن الجو المليء بما يصون الكرامات، ويقدس الدماء والأموال والأعراض هو الجو الذي يصنعه الإسلام للناس كافة، وهو بداية الجو الذي يحسنون فيه العمل والإنتاج .

فحيث تسود الطمأنينة، ويختفي الرعب، ينصرف العامة إلى تثمير أموالهم، وتكثير ثرواتهم، لأنهم واثقون أن حصاد ما يغرسون لهم ولذراريهم، فهم غير مدخرين وسعاً في العمل والإنتاج ..

إلا أن هذه النية الوادعة الآمنة المشجعة على الكدح والكسب تقلصت رقعتها في الأمة الإسلامية خلال القرون الأخيرة !! .

ترى: وقع الفلاحون والصناع وأهل الحرف المختلفة في براثن أمراء يحكمون بأمرهم لا بأمر الله . فكانت عُقبى الترويع المتجدد النازل على رؤوسهم أن أقفرت البلاد، ويبس نبتها وعم الخراب أرجاءها..!!

---

(١) الهندي: المتقي، حسام الدين: كنـــز العمال، مصدر سابق، ح١٥ ص٣٠ رقم (٣٩٩٣٢).

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، حققه حمدي السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م، ح٨ ص١١٦ رقم الحديث (٧٥٣٦)

(٣) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، السلفية، ح١٢، ص٨٥، رقم الحديث (٦٧٨٥)

www.iqra.ahlamontada.com

ونستطيع أن نلقي نظرة عجلى على تاريخ الأمة الإسلامية في بلد من بلاد المسلمين أمة انفرط عقدها فليس يمسكها شيء . وضاع أصلها فلا تستحي من سلوك وتشبثت بها الفتن طولاً وعرضاً، فهي كحريق هائل، كلما ظن أنه انطفأ في ناحية اندلع في ناحية أخرى .. !!

ومن البديهي أن تمحق أسباب العمران بله مظاهر الحضارة في أتون هذه الفوضى الضاربة ..!!

البديهي أن تضطرب شؤون الري، وأن يفر الفلاحون من زراعة الأرض، وأن يعيش أهل المدن وكأنهم يستعيرون أعمارهم يوماً بيوم .

فإذا نظرت إلى أي بلد من البلاد الإسلامية البائسة كان صورة لأقطار الأمة الباقية المنتشرة بين المحيطين، فأي مستقبل ترقبه لمثل هذه الأمة التي عز فيها الداء، واستفحل الخطب [1].

ج- الفراغ الحياتي:

إن الفراغ الحياتي هو جهل الفرد وظيفته فيها، جهل بالإنسان نفسه، وبحسن قيمته، وتشويه حقيقته ..! فإن المغالي المنحرف يسيء تصور الملكات والشهوات الإنسانية، وينظر إليها نظرة ازدراء ...

وقد ينحصر تقويمه للفرد في أنه تخلق (جسده)من نطفة قذرة، وينتهي إلى جيفه قذرة، وهو بينهما حامل بول وعذرة ...! صحيح أن الناحية التكوينية المادية في الإنسان لا تخرج عن هذا النطاق . ولكن الإنسان ليس هكذا فقط، فأن الله بنفخ الروح فيه أنشأه خلقاً آخر، خلقاً مكرماً بما أودع الله في بنائه المعنوي من خصائص وأسرار..خلقاً إذا ما بلغ نماؤه الصحيح، كما تنمو الشجرة من بذرتها السوية، فاق الملائكة، وحلق في الملأ الأعلى .

---

(١) الغزالي: محمد: الإسلام والطاقات المعطلة، مرجع سابق، ص ص ٤٦ - ٤٨(بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

وربما كانت الحملة على الإنسان كسراً للغرور الذي يشيع بين جم غفير من الناس، وكفكفة لشرور الكبر والاستعلاء التي تفسد الأخلاق الخاصة والعلاقات العامة، وتهيئة لعوامل التربية التي تستهدف تهذيب الإنسان، بإزالة ما يشينه، وتنمية ما يزينه ..

والفرد بلا ريب بحاجة إلى الحساب الدائم، والرقابة الدقيقة، ولفته إلى عيوبه كي يتركها خير لاشك فيه..!.

إلا أن الأمر انقلب مع المدينين الأغرار - إلى الضد - فإنهم لم يفلحوا في إزالة الزوائد الضارة وحسب، بل اجتاحوا الأصل نفسه، تراهم قد فقدوا الثقة بما عندهم ...

ثم بعدها ذهبت عزة النفس حتى أصبحوا عالة على الناس ثم ذهبت كذلك الشخصية الحرة المستقلة ... إلا أن هذه الطاعة الغريبة محقت الإرادة الحرة، والتفكير الحر معاً .

بينما الإسلام أتم للإنسان رسالته من احترام ملكاته، وإقرار شهواته .. لابد من إنماء مواهبه العالية، وترك رغائبه الطبيعية تتناسب وفق مقتضيات الفطرة السليمة ..

لابد من تهيئة الجو الخاص والعام كي يسلم الكيان البشري كله من العاهات العارضة والسدود العائقة ..

وربما يتساءل الفرد: ما معنى إقرار الشهوات، وتركها تنساب ؟؟

الجواب: إن الحياة على هذه الأرض لا تتصل مواكبها، ولا يطرد نشاطها، ولا يرتفع مستواها، وتزدهر حضارتها إلا بوقود من هذه الشهوات المتقدة ...

أترى بقاء الجنس الإنساني مكفولاً بشيء آخر وراء هذه الغريزة الكامنة في الذكر والأنثى ..؟

أترى اتساع العمران واطراد مسيره، إلا آثاراً لجملة من الطبائع المستترة وراء نشاط الناس وأمانيهم ...؟

غاية ما هنالك أن الدين ينظم عمل هذه الطباع القوية، ويحسن توجيهها إلى أهدافها ...!

www.iqra.ahlamontada.com

فبدلاً من أن تتحول مياه النهر إلى فيضان مدمر يهلك الحرث والنسل، تخرج منه في سواقٍ منظمة، وقنوات محكمة، وتوزيع متساوٍ، وتتحكم في ضبطها وتوزيعها سدود وقنوات، وبهذه الوسيلة تتحول الصحارى إلى بساتين زاهرة وحقول مثمرة، ترتقب منها الجني الحلو، ومن الحبوب والفواكه..! كذلك يصنع الإسلام بالغرائز الإنسانية . أما هذا الكون بجميع كنوزه، وذخائره وطاقاته فهو مسخر للإنسان، ميسر لمنافعه قال تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

ومن ثم فموقف الفرد منه موقف الإيجابية المطلقة، التي لا يتعاظمها من علوه وسفله شيء . وهذا حق، فالأرض الذلول والنجوم المسخرات تبين أنه منح سيطرة كاملة على هذا العالم الرحب .

ومن حق الفرد أن يرجع البصر كرتين في أرجاء الكون ليتعرف مقدار ما أوتي، فينتفع بما علم ويكشف خبء ما جهل، فإذا لم يستعذ منه اليوم مهد الطريق للإفادة منه في غير قريب أو بعيد.سلبية مطلقة أمام الله، وإيجابية مطلقة أمام الكون .

هاتان حالتان تصطبغ بهما نفس المسلم الموصول بالقرآن المرتبط بروحه المتأثر بإيحائه ..

وأسمع لقول الله سبحانه وتعالى ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾[2].

إن الصلاة ـ وهي الكتاب الموقوت ـ بإذن الله بقصرها حين يضرب ـ يسافر ـ في الأرض، لأن الضرب في الأرض عبادة ترتبط بسيطرة الإنسان على الكون، وهيمنته على

---

(١) سورة الجاثية: الآية (١٣).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٥٦).

www.iqra.ahlamontada.com

هذه الحياة الدنيا ... ولو أن الصالحين من المسلمين عرفوا منطق كتابهم في تقويم الفرد، وتقرير حظوظه من السيادة الدينية والمادية والأدبية، لانساحوا في أنحاء الشرق وأطراف المغرب ينظرون ويكتشفون كما فعل الدعاة والمجاهدون من رجالات القرن الأول .. لكنهم فرغوا حياتهم وحقروا أنفسهم، وقعدوا وتضاءل العالم كله في أعينهم، فأصبح حركة عقيمة بين دورهم ومساجدهم، حركة يقطعها الموت، وهي أشبه ما تكون به ..!!

على حين انطلق غيرهم /الغربيون، الشرقيون (الصين)-حتى الهنود/ يخترقون القفار ليعلموا ما بعدها ! ويخترقون الفضاء ويصورون ما به، ويركبون البحار ليدركوا ما وراءها .!

كأنما هم وحدهم الذين كلفوا من عند الله بالتمكن في أرضه، والسيطرة على خلقه !!

المسلمون ـ إثر فراغ حياتهم ـ قيد العجز أطرافهم ـ وسرى الخدر في مشاعرهم وأفكارهم . فاستكانوا حيث ولدوا، وحسبوا الدنيا لا تعدو حدود بلدانهم التي عرفوها!. أما غيرهم فلم يخاصم الحياة، بل صالحها ... ولم يجهل مكانته فيها بل وطدها ووطنها .... ولم يصطنع حجباً على خصائصه النفسية والفكرية والأخلاقية، بل غشى منبعثاً من فطرة الله التي فطر الناس عليها .

ما سر هذا القصور ؟

ما سر هذا التخلف ؟

إنه الفراغ الحياتي . (إنه الكفر بالفرد)

هـ- فساد عاطفة التدين:

العاطفة صلة بين الفرد المؤمن وبين عقيدته وإيمانه وعمله، فالطاعة: سمة يقذفها الله في قلب الفرد، وعلى مُحيا الفرد، وتظهر أثارها على الجوارح قال تعالى:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ

www.iqra.ahlamontada.com

ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [1]

والقلب الطائع غالباً ما يكون رقيقاً مثل أفئدة الطير، وفي القلب الرقيق المؤمن الصافي تلتقي عواطف الحب لله ولرسوله ولعامة المسلمين، وتجتمع فيه رواسخ العقيدة وتنيره أركان الإيمان، فإذا به ذائق لحلاوة الإيمان قوي بقوة عقيدته، راسخ كرسوخ الجبال مع الإيمان ينهزم النفاق، ومع العمل الصالح المقيد يولي الفراغ هارباً.

فالفرد المؤمن ليس عبداً لمصلحته يداهن هذا ويتمسح بذاك من أجل مصلحة زائفة ومتاع قليل، والطاعة هي التي تقي الفرد عن الانسياق وراء الشهوات، والغرق في مستنقع الرذيلة والإباحية، فالإسلام بتعاليمه وآدابه وطاعاته قادر على أن يصلح الفاسد ويزكي النفوس، ويطهر الأرواح ويهذب الطبائع، ويقيم مجتمعاً متجاوباً، متناسقاً متشاوراً، لا تفسده الانحرافات الحادة التي يتصادم فيها الأفراد، فتعوق سيرهم، وتوقع بينهم العداوة والبغضاء، وأهم تعاليم الإسلام وأبرزها هو ما يتجه إلى خلق العاطفة الوجدانية الدينية المتجاوبة مع الأفراد الباقين المحسة بأحساسهم والشاعرة بهم ....هذه العاطفة من شأنها أن تجعل الفرد جزءً من الجماعة يسعد بسعادتهم ويشقى بشقائهم، وهذا ما يشير إليه الرسول (ﷺ) « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**[2] ».

إنها توجد بين الذات المشفقة والذات المتألمة .إن الفرد الذي تصل عواطفه ومشاعره إلى هذا الحد هو الفرد الذي تعمر به الحياة، وتسعد به الجماعة، إنه فرد لا يسيء إلى الناس بقول أو عمل، وكيف يكون فارغاً وهو يحمل العاطفة المتصلة

---

(١)سورة الفتح: الآية (٢٩)

(٢) المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي:مختصر صحيح مسلم، تحقيق البغا، دار العلوم الإنسانية، دمشق، در , د ت، ص٥٣٤رقم الحديث(١٧٧٤)

www.iqra.ahlamontada.com

بالأفراد الآخرين ؟ تلك العواطف التي تنقل إليه ما يتأثر به الناس من خير أو معروف أو طاعة ....

ولو تتبعنا سلوك الفرد المؤمن لوجدناه يقيم الصلاة مع الناس على أساس أنه جزء منهم، إذا رأى فقيراً أعانه ومحزوناً خفف عنه وهش له، وإن رأى بائساً قربه وساعده وتحمل عنه، وإن رأى موجعاً تألم وساهم في تخفيف وجعه وألمه وشكواه .. وهكذا... فهو لا يقف عند هذا إنه يظل قلق الضمير موجع القلب، إن لم يشارك مشاركة فعالة فيما يخفف هذه الآلام أو يذهب بها وأنى للناس أن يكون مجتمعهم من هذه اللبنات السليمة التي يأخذ بعضها بجانب بعض ويستند بعضها إلى بعض « **إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضهم بعضاً** » [1].

إن كثيراً من الناس في فساد عاطفي ديني، إنهم يعيشون في أنفسهم لأنفسهم، يفعلون كل ما يهيء لهم الراحة والاطمئنان، ولو كان على حساب من حولهم، لأن الناس لا مكانة لهم عندهم فليرض الناس أو يسخطوا، إنهم لا يشعرون بسخط أو رضى ولو شعروا بشيء من هذا أو ذاك لما التفتوا إليه ولا اهتموا له، وليس أقتل للفرد وللأمم ولا أفسد لحياتهم من أن يسود فيها هذا الشعور الانعزالي، فيصبح قوة مسيرة لأفرادهم، كل فرد يتجه إلى ما يرضي أهواءه ويشبع نزعاته، ولو أدى إلى قلق الجماعة وإزعاجها. إن الذي يصاب بداء فساد العاطفة الدينية قد تموت في كيانه الخصائص الاجتماعية التي تقوم عليها بناء المجتمع، إنه لا يشعر نحو الناس بشيء من الحب أو العطف أو المشاركة الوجدانية أو التسامح أو غير ذلك من الصفات التي يتبادلها الناس فتؤلف بينهم وتشد بعضهم إلى بعض ...

وحين تجف وتزول وتفسد العواطف وينضب معينها، يتعرض الفرد والمجتمع كله لفراغ أخلاقي وبلاء عظيم ويصحح فإذا هو في وجه عاصفة هوجاء تأتي على كل شيء

---

(١) عبد الباقي، محمد فؤاد: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٦م ج ٢ ص ١٩٥، رقم الحديث ١٦٧٠

www.iqra.ahlamontada.com

فيه .ولقد نبه النبي (ﷺ)إلى هذا الخطر، وأنذر به، حيث قال: « **ألا أنبئكم بشراركم ؟**» قالوا: بلى، إن شئت يا رسول الله. قال: «**فإن شراركم الذي ينـزل وحده ويجلد عبده ويمنع رِفْدَهُ** »، قال « **أفلا أنبئكم بشر من ذلكم؟**» قالوا: بلى، إن شئت يا رسول الله . قال: «**من يَبْغُضُ الناس ويبغضونه** . قال: **أو أنبئكم بشر من ذلكم ؟**» قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله . قال: «**الذين لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة، ولا يغفرون ذنباً**»، قال: «**أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟**»قالوا: بلى يا رسول الله . قال: « **من لا يُرَجَى خَيْرُهُ ولا يُؤْمَنُ شَرُّهُ** »[1].

أحاديث تمثل لوحة أخلاقية متكاملة احتاجت الفلسفة الأخلاقية إلى آلاف الصفحات لتصل إلى هذه المبادئ العامة للفضيلة والخلق النبيل .

ز- الإرادة وأمراضها:

إنما تكون الإرادة القوية خلقاً محموداً إذا كانت مقرونة بالعلم والعقل والحكمة في التصرف، وإلا كانت سلاحاً خطيراً ضاراً . فحين تكون الإرادة قوية ومقرونة بالعلم والعقل الدرّاك، تكون تصرفاتها الشخصية والاجتماعية تصرفات حكيمة نافعة . وحين تكون الإرادة ضعيفة، أو غير مقرونة بالعلم والعقل الدرّاك، فإن تصرفاتها الشخصية والاجتماعية تكون في الغالب تصرفات غير حكيمة وغير نافعة.[2]

جاء في كلام العرب (**إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى**)[3] وهو مطرف كما جاء في " لسان العرب "لابن منظور . المنبت هو الذي يحث دابته حثاً شديداً، حتى تعطي كل ما لديها من قوة على الجري، وبذلك تهلك وتنقطع في بعض الطريق،

---

(١) الطبراني سليمان بن أحمد: المعجم الكبير، مصدر سابق ح١٠ص٣١٨، رقم الحديث(١٠٧٧٥)، وقيل في المجمع أن فيه عنبس بن ميمون وهو متروك /مجمع الزوائد، ح٨، ص١٨٣

(٢) حنبكة الميداني، عبد الرحمن حسن: الأخلاق الإسلامية، مرجع سابق ح٢ ص١٢٣

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي: فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، ح١١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومحي الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة، د.ت، ص٢٩٧

www.iqra.ahlamontada.com

فيكون صاحبها منبتاً، أي: منقطعاً في طريقه، فلا هو قطع الأرض التي يريد اجتيازها، ولا هو أبقى دابته التي يعلو ظهرها[1].

المجالات التي تحتاج إلى قوة الإرادة:

يحتاج الفرد إلى قوة الإرادة ضد:

١- كل عوامل الانحراف والتثبيط، من داخل نفسه، أو مما يأتيه ليؤثر عليه من الخارج.

٢- ضد أهواء نفسه وشهواتها، ووساوسها .

٣- ضد كل دوافع نفسه ونوازعها التي قد تميل إلى الجنوح، ويدخل في ذلك فتنة الأولاد والنساء والمال والجاه والحكم، إلى آخر الأمور التي تدخل في زينة الدنيا .

٤- ضد ميل نفسه إلى الدعة والراحة والفراغ، الدافعين إلى الكسل والفوضى .

٥- ضد مخاوف نفسه المختلفة، وضد ما ينزل به فعلاً من مصائب يجب أن يعالجها بالصبر والسلوان، وضد ما يفوته من خيرات كان يرجوها .

٦- ضد تطلعات أوهام النفس إلى الأماني التي ضاعت مع الماضي، والتي لا يمكن تحققها في المستقبل، أو من المستبعد في مجرى العادات تحققها في المستقبل .

٧- ضد وساوس شياطين الإنس والجن .

٨- ضد المخاوف الحاضرة فحظرها الشجاعة وضدها الجبن .

أمراض الإرادة:

تمرض الإرادات والقلوب كما تمرض الأبدان، ويصيبها العطب والفساد وتتسلل إليها جراثيم العلل المختلفة، فتهلكها وتذهب قواها، وقد صرح القرآن في كثير من الآيات بهذه الأمراض فقال: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾[2].

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، مصدر سابق، ح٢ ص٩٥-٩٦(بتصرف)

(٢) سورة البقرة: الآية (١٠)

www.iqra.ahlamontada.com

تسللت الجراثيم إلى قلوبهم فأصابتها بالعلل، والمرض ينشئ المرض، والانحراف يبدأ يسيراً والعطب يبدأ قليلاً ثم لا يلبث إلا أن يستشري . والمرض كما قال العلماء: كل ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة من علة أو نفاق أو تقصير في أمر الله [1].

فاهتزاز الذات مرض: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ [2]

أي شك وريب ونفاق . وهناك أمراض أخرى فالغرور مرض والفراغ الأخلاقي مرض، والذلة مرض، والكسل مرض، تنظر إلى هذه الأمراض التي في القلوب فتراها تفعل بها الأفاعيل، تمرغها في الأحوال وتزيدها رجساً على رجس .

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [3]. و﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [4]

وقد عبر القرآن الكريم عن ظلمة السجايا والطبع والانحراف بالمرض لأنه يفتك بالإرادة والعقل والفهم والأخلاق والاعتدال كما تفتك الجراثيم بالجسد .

قال ابن الأعرابي: أصل مرض النقصان . يقال: بدن مريض أي ناقص القوة، وقلب مريض أي ناقص الاعتدال والفهم والإرادة .

وقيل: المرض إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها واعتدالها، وأرض مريض إذا كثر بها الهزج والفتق والقتال . قال أوس بن حجر [5]:

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق سيد بن إبراهيم، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٣م ج١ص٤٩

(٢) سورة المائدة: الآية (٥٢).

(٣) سورة التوبة: الآية (١٢٥).

(٤) سورة الحج: الآية (٥٣).

(٥) أوس بن حجر (٩٨-نحو ٢ق هـ، ٥٣٠- نحو ٦٢٠م) . ابن مالك التميمي، أبو شريح: شاعر تميم في الجاهلية، أو من كبار شعرائها، وهو زوج أم زهير بن أبي سلمى، كان كثير الأسفار، عمر طويلاً و لم يدرك الإسلام . في شعره حكمة ورقة، له ديوان شعر . - الزركلي، خير الدين: الأعلام، مرجع سابق، ج٢ص٣١.

www.iqra.ahlamontada.com

تـرى الأرض منـا بالفضـاء مريضـة   معضـــلة منـــا بجمـــع عرمـــرم

وأي مريض فيه انحراف عن الصواب [1]، فالآثام على هذا انحراف عن الصواب وهي أمراض، تبعد الفرد عن المنهج الصحيح وتغطي على إشعاعات الفهم وأضواء الحكمة، وصدق الله ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [2].

فيصبح الإدراك ضالاً، والفهم سقيماً، والذوق مراً، فتستهويهم الضلالات وتتناولهم الشياطين بما كسبوا ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ۝ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [3]

وبعد الصد والانحراف وبعد الصحة للآثام يأتي التزيين وتمكين للانحراف: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ [4].

فهي أي النفس مستعدة للعماء، لأنها طمست منافذ الإدراك فيها، ومشيئته سبحانه وتعالى نافذة وفق سننه التي طبعت النفس البشرية عليها في حالة الاهتداء والعماء ومن ثم يقول القرآن عن الذين لا يؤمنون بالآخرة : ﴿ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [5]

فنفذت سنة الله فيهم في أن تصبح أعمالهم لهم وشهواتهم مزينة لهم حسنة عندهم فهم يعمهون، لا يرون ما فيها من شر وسوء ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [6].

---

(١) مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، عدد ١٤، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ص ٢٦٧نقلاً عن مصائر التمييز ج٤ ص٤٩٣.

(٢)سورة المطففين: الآية (١٤).

(٣) سورة الزخرف: الآية (٣٦).

(٤) سورة النمل: الآية (٤).

(٥) سورة النمل: الآية (٤).

(٦) سورة الأنعام: الآية (١٠٨)

www.iqra.ahlamontada.com

وهذه طبيعة خلق الله الناس بها، أن كل من عمل عملاً واعتقده وشغل قلبه به فإنه يستحسن ويدافع عنه، فإن كان على الهدى رآه حسناً وإن كان على الضلال رآه حسناً كذلك ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [1]

نعم زين له سوء عمله فتعاطاه انقياداً لشهوته وإعراضاً عن صواب الحق لاستيلاء شهوته عليه.

لا شك أن الفراغ انحراف في البنية الفكرية، وتعديات في البيئة الاجتماعية وتجاوزات في الأخلاقيات الإنسانية . النفس الفارغة تثير الفوضى والخلخلة في أحكم النظم تستطيع النفاذ فيه إلى أغراضها الدنيئة ومن هنا كان الإصلاح الأخلاقي الدعامة الأولى ببناء ومجتمع قوي، فإذا لم تصلح النفوس أظلمت الآفاق، وسادت الفتن في حاضر الناس ومستقبلهم، إن النزعات الطائشة لا بد أن تشرد بالمجتمعات عن الجادة، وتزين لها فعل ما يعود عليها بالمحق والخسران المبين، حتى تصرفها عن كل نافع مفيد وصدق الله

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾ [2].

إن الطباع الرديئة تحاول دائماً الإلحاح على أصحابها بعوج السلوك بين الحين والحين، وهي في رمقها الدائم للآثام لا تبالي بارتكاب الفراغات الدينية والسلوكية والاجتماعية ومن الذي يبقى على تقويمه الحسن وينجو من الارتكاس في الدنيا السافلة . فالأمم والأفراد التي تمرض بتلك الآثام لا بد وأن تذوق ما تذوق من هوان وتتجرع من ألوان العقاب . **لماذا ؟** .لأنها وقعت في الآثام وعتت عن أمر ربها:

---

(١) سورة فاطر: الآية (٨).

(٢) سورة الأعراف: الآية (١٤٦)

www.iqra.ahlamontada.com

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ (1).

ومن استقرأ التاريخ أنبأه بالخبر اليقين وجاءه بالحق المبين ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (2).

﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (3).

ما انهارت الحضارات السابقة وفسدت مجتمعاتها إلا بشرودهم عن السبيل الصحيح.

٣- على صعيد الإنتاج والاقتصاد

١- الاقتصاد: من (قَصَدَ) الطريق – قصداً، استقام . وفي الأمر: توسَّط لم يفرط ولم يُفرِّط وفي النفقة: لم يسرف ولم يقتر (4).

٢- الإنتاج: نتج – نتجاً ونتاجاً: فهو ناتج، والشيء: تولاه حتى أتى إنتاجه.

وفي المثل: « إن العجز والتواني تزاوجا فأنتجا الفقر » والشيء: ظهر نتاجه(5).

فإن التواني أنكح العجز بنة ... وساق إليها حين أنكحها مهرا

فراشاً وطيئاً ثم قال لها اتكي ... فقصرا كما لاشك أن تلدا فقرا(6)

إذا الاقتصاد في اللغة معناه القصد، أي التوسط والاعتدال، ومنه(ﷻ):﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ (7)وقوله سبحانه: ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾ (8).

---

(١) سورة الطلاق: الآية (٩)

(٢) سورة التغابن: الآية (٥)

(٣) سورة الحشر: الآية (١٥)

(٤) مصطفى إبراهيم وزملاءه: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج١ص٧٤٢

(٥) المرجع نفسه: ص٩٠٦

(٦) الأصفهاني: الراغب الحسين بن محمد : الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق محمود بيجو، دار اقرأ، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م /١٤٢٢ هـ، ص٢٧٦

(٧)سورة لقمان: الآية (١٩)

(٨) سورة المائدة: الآية (٦٦)

www.iqra.ahlamontada.com

ومنه أيضاً قوله (ﷺ): « **ما عال من اقتصد** »[1] وعرّفه العز بن عبد السلام: بأنه رتبة بين رتبتين، ومنزلة بين منزلتين " [2].

الأولى هي التفريط (التقصير)، والثانية هي الإفراط (الإسراف) " وللاقتصاد أمثلة في استعمال مياه الطهارة، فلا يستعمل من الماء إلا قدر الإسباغ (الإتمام والكفاية) ويطلب الإسلام من المسلمين الاقتصاد في العبادة وفي الموعظة، وفي الأكل والشرب، وقد قال تعالى ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [3].

وكذلك الاقتصاد في الإنفاق.قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [4].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [5].

وقالوا: (وقالوا عليك بالسداد والاقتصاد ولا وكسَ ولا شطط) [6].

هذا هو التعريف، اللغوي للاقتصاد، لكنه ليس بعيداً عن التعريف الاصطلاحي، ولا سيما في نطاق الأمثلة المتعلقة باستخدام المياه، وبالأكل والشرب، والإنفاق إذ الاقتصاد بمعناه الاصطلاحي هو: دراسة سلوك الفرد في إدارة الموارد النادرة وتنميتها لإشباع حاجاته[7]

---

(١)رواه الطبراني في الأوسط، الجامع الصغير للسيوطي (٢/٤٩٤)دار الفكر، بيروت ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م – الطبراني، سليمان بن أحمد: المعجم الأوسط، مصدر سابق، ح٥، ص٣٤٤، رقم ٥٠٩٤ وقال الهيثمي: في أسانيد هم إبراهيم بن مسلم ــ وهو ضعيف، مجمع الزوائد، مصدر سابق، ح١٠ ص٢٥٢

(٢)ابن عبد السلام، العز: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠-١٩٨٠م ح٢/ص٢٠٥

(٣) سورة الأعراف: الآية (٣١)

(٤) سورة الإسراء: الآية (٢٩)

(٥) سورة الفرقان: الآية (٦٧)

(٦) الجاحظ، عمرو بن بحر، البخلاء، دار المطبوعات الحديثة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، ص٢٦٧

(٧) المصري، رفيق يونس: أصول الاقتصاد الإسلامي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ١٩٩٣ص١١-١٢ (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

هل هناك مشكلة اقتصادية ؟ .

كل فرد أو أسرة أو مجتمع ينعم في هذه الحياة الدنيا بنوعين من الموارد:

١- موارد حرة: (غير مملوكة لأحد) غير محدودة، مثل الهواء وأشعة الشمس، فكل واحد يأخذ كفايته من أوكسجين الهواء، ومن ضياء الشمس، بدون أن يتزاحم الناس على امتلاك مثل هذه الموارد، وبما أنها هبة الله كافية، ليس فيها تكاليف إنتاج، وليست منتجات ينتجها الفرد، وليست مملوكة لأحد فإنه لا ثمن لها، مع أن قيمتها كبيرة حاسمة في حياة البشر .

٢- موارد محدودة، مثل الماء والغذاء والكساء، فبعض الناس قد يحرمون الماء فيعطشوا، أو من الغذاء فيجوعوا،أو من الكساء فيعروا . ثم يتفاوت الناس في مدى تلبية حاجاتهم من هذه الموارد، فبعضهم يقتصر على الضروريات وآخرون يلبون الحاجيات، وآخرون يتبارون في مقدار ما يشبعون من الكماليات .

هذه الموارد المحدودة هي التي توصف بأنها اقتصادية، ولها كلفة وثمن، فالقدر الذي يملكه الإنسان من هذا الثمن هو القدر الذي يستطيع به الصعود في سُلَّم حاجاته [1].

إن الناس في الدنيا، أفراداً وجماعات، يواجهون مشكلة اقتصادية، وبلاؤهم في هذا بمقدار عقولهم ووعيهم، وحل المشكلة الاقتصادية بأصلها وفروعها هو من وظائف علم الاقتصاد والعلوم كلها، ومن بينها الاقتصاد، إنما تسعى إلى تعظيم المنافع وتحجيم المضّار .

ولا أظن بعد هذا أن مسلماً يشك في أهمية الدراسات الاقتصادية للمسلمين، أفراداً وجماعات، شركات وحكومات . ولئن كان علماء أصول الفقه يقولون منذ القدم بأن النصوص الشرعية محدودة، والوقائع أو النوازل غير محدودة، فإن علماء الاقتصاد ينسجون قولاً على غرارهم، فيقولون بأن الموارد محدودة والحاجات غير محدودة . وهذا لا يمنع من أن تتحدد الحاجات بحسب الموارد، ولا أن تتحدد الموارد بحسب

---

(١) المصري، رفيق يونس: أصول الاقتصاد الإسلامي , مرجع سابق, ص١٤

www.iqra.ahlamontada.com

الحاجات، فالموارد قابلة للتنمية، والحاجات قابلة للتحديد . ويستطيع الفرد أن ينمي موارده، وينمي معها حاجاته، كما يستطيع أن يهمل موارده ويجهلها، ويتقوقع على حاجات قليلة محدودة .

ولو لم تكن هناك عداءات ومنافسات، لربما مال عاقل إلى الزهد، ولكن واقع الحياة والتبصر بسننها، لا بد وأن يدفع إلى اختيار تنمية الموارد والحاجات وإعمار الدنيا، وتعظيم المنافع بالتفكير في الإنتاج وفي توزيع الموارد على الاستخدامات، وفي مدى إمكان إحلال واحد محل آخر، لاستخلاص أعلى مردود بأقل كلفة . وهذا ليس إلا من جلب المنافع ودرء المفاسد وتحصيل أعلى المنفعتين (إن لم يمكن الجمع بينهما) وارتكاب أخف الضررين (إن لم يمكن اجتنابهما معاً) . وتحصيل المنفعة الراجحة إذا اقترنت بمضرة مرجوحة، واجتناب المضرة الراجحة ولو اقترنت بمصلحة إذا كانت هذه المصلحة مرجوحة، هذا هو لباب أصول الفقه عند علماء الأصول وجوهر المشكلة الاقتصادية عند علماء الاقتصاد[1].

وقال يزيد بن المهلب:" مايسرني أني كفيت أمر الدنيا كله لئلا أتعود العجز" وقال الراغب الأصفهاني:

" إن الفراغ يبطل الهيئات الإنسانية، فكل هيئة بل كل عضو ترك استعماله يبطل "[2]

ب – الإنتاج:

الإنتاج يستغل الموارد ويخصصها، ويشبع الحاجات، ويخلق الدخول . سأوضح هنا هذه الأمور بشكل مختصر: عوامل الإنتاج: عوامل الإنتاج قسمان: مستقلة، تابعة .

المستقلة فهي: الأرض، والعمل، ورأس المال . التابعة فهي: المخاطرة، والزمن .

١-الأرض: دعا الإسلام إلى استغلال الأرض، بالزرع أو بالغرس أو بالبناء قال تعالى:

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[3].

---

(١) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، الذريعة إلى مكارم الشريعة، مصدر سابق، ص٢٧٦

(٢)المصري، رفيق يونس، أصول الاقتصاد الإسلامي، مرجع سابق ص١٨

(٣) سورة هود: الآية (٦١).

www.iqra.ahlamontada.com

قال الجصاص: (وفيه الدلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغرس والأبنية) [1].

وقال رسول الله (ﷺ): « **ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طائر، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة** » [2].

وقال رسول الله (ﷺ): «**من كانت له فصل أرض فليزرعها، أو ليزرعها أخاه** » [3]

وقال رسول الله (ﷺ):« **إن قامت الساعة، وبيد أحدكم فسيلة (شتلة، نخلة صغيرة) فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل** »[4] .

ولقد حث الإسلام على إحياء الموات:قال رسول الله (ﷺ): «**من أحيا أرضاً ميتة فهي له** »[5]

وأجاز الإسلام إقطاع الأرض والمعدن، لأجل الإحياء، قال أبو يوسف: لا أرى أن يترك (الإمام) أرضاً، لاملك لأحد فيها ولا عمارة حتى يقطعها الإمام، فإن ذلك أعمر للبلاد وأكثر للخراج) [6]. وقال عمر رضي الله عنه: " من عطل أرضاً ثلاث سنين لم يعمرها، فجاء غيره فعمرها فهي له "[7]. وقيل الصناعات أربعة أشياء " الحياكة، والزراعة، والبناية، والسياسة "[8]

٢-**العمل**: العمل في الإسلام مفهومه واسع، فهو يتضمن عمل الأجير الخاص، الذي يعمل لواحد فقط، كالموظف في مؤسسة عامة، أو العامل في مصنع، كما يتضمن عمل الأجير العام (المشترك) الذي يعمل لأكثر من واحد، كالخياط والصباغ والنجار، كما

---

(١) الجصاص، أحمد بن علي: أحكام القرآن: دار الكتاب العربي، بيروت بلا تاريخ ورقم ح٣-ص١٦٥.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق البغا، مصدر سابق، ح٢، ص٧٦٢، رقم الحديث (٢١٩٥).

(٣) مسلم: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مصدر سابق، ح١٠، ص٤٣٩ رقم الحديث(٣٩٠٠).

(٤) الجرجاني، عبد الله بن عدي: الكامل في الضعفاء، مصدر سابق، ح٦ص٢٢٩٤.

(٥) البيهقي، أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، دار المعرفة، بيروت، در، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ح٦ ص٩٩.

(٦) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم: الخراج دار المعرفة، بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩، ص٦١.

(٧) أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم:الخراج،مصدر سابق، ص٦١

(٨) الراغب، الأصفهاني، الحسين بن محمد: الذريعة، مصدر سابق، ص٢٧٨.

www.iqra.ahlamontada.com

يتضمن من يتقاضى أجره مبلغاً مقطوعاً، أو حصة من الناتج .أو الربح والعمل بالمفهوم الاقتصادي ينصرف إلى العمل في المنشآت الإنتاجية غير الإدارية .

في الحث على العمل آيات وأحاديث كثيرة قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [2].

وهذه دعوة للمسلمين لامتلاك الوسائل العلمية والمعنوية والمادية التي تجعلهم من العالم في مكان الصدارة والقيادة قال رسول الله (ﷺ): « **ما أكل أحد طعاماً قط، خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه الصلاة والسلام كان يأكل من عمل يده** [3]».

ويفهم بعضهم أن في هذه دعوة إلى العمل اليدوي، وأرجح أن المقصود هو الدعوة إلى العمل، بالاعتماد على النفس، وإلا فإن العمل الآلي لا يمكن التفكر له، مادام يؤدي إلى زيادة الإنتاج . لاسيما إذا كانت الآلة من ابتكار المجتمع المستخدم لها .

ذم الإسلام البطالة . وذم السؤال ودعا ولي الأمر لإيجاد فرص العمل، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه " أن رجلاً من الأنصار أتى النبي يسأله، فقال (ﷺ): «**أما في بيتك شيء ؟**» قال: بلى، حِلس[4] نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقَعْب[5] نشرب فيه الماء . قال: ائتني بهما.فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله (ﷺ) وقال: «**من يشتري هذين**» ؟ قال رجل: أنا آخذهما بدرهم . قال: «**من يزيد على درهم**» ؟ مرتين أو ثلاثاً . قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه . وأخذ الدرهمين، وأعطاهما الأنصاري، وقال: **اشتر**

---

(١) سورة التوبة: الآية (١٠٥)

(٢) سورة الأنفال: الآية (٦٠)

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق البغا، مصدر سابق، ح٢ ص٦٧٨ رقم الحديث (١٩٦٦)

(٤)حلس: كساء.

(٥)قعب: قدح.

www.iqra.ahlamontada.com

بأحدهما طعاماً، وانبذه [1] إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به، فشد رسول الله (ﷺ)عوداً بيده، ثم قال رسول الله (ﷺ):«**هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة . إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع [2]، أو لذي دم موجع [3].**»

ويقول (ﷺ)«**لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوي**» [4] وهذا يدفع الأفراد إلى العمل والإنتاج، ويمنعهم من الكسل والاتكال على الآخرين، وقد كان رسول الله (ﷺ)يدعو ويقول: « **اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع** »[5] .

ويقول (ﷺ): « **أحرص على ما ينفعك** »[6] يقول العز بن عبد السلام: " وعلى الجملة فلا ينبغي لعاقل أن يخطر بقلبه، ولا يجري على جوارحه، إلا ما يوجب صلاحه أو يدرأ فساداً، فإن سنح له غير ذلك فليدرأ ما استطاع "[7] .

والعمل الذي يتعدى نفعه إلى الآخرين أفضل من العمل الذي يقتصر نفعه على صاحبه، لذلك فضل العلم على نوافل العبادة . ومن المبادئ التي دعا الإسلام أنه لا خير في عمل لا ينبني على علم ولا في علم لا ينبني عليه عمل وهذا يعني ترشيد العلم والعمل واجتناب إضاعة الوقت، في علم لا ينفع، أو في عمل على غير علم ولا هدى، كما حض الإسلام على إتقان العمل، فقال (ﷺ): « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه** »[8] .

---

(١)انبذه: ادفعه.

(٢)دين ثقيل وكثير

(٣)أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود على المنهل العذب المورود، للإمام الشبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ ح٩ ص٢٧٧، ٢٧٨ . وأخرجه أحمد وابن ماجه و الترمذي .

(٤)البيهقي، أحمد بن الحسين: السنن الكبرى، مصدر سابق، ح٧ ص١٣

(٥)مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مصدر سابق، ح١٧ ص٤٣ رقم الحديث ٦٨٤٤ ــ جزء من حديث

(٦)ابن ماجه، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، مصدر سابق، ح٢ ص ١٣٩٥ ــ رقم الحديث ٤١٦٨ (جزء من حديث)

(٧)ابن عبد السلام، العز: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مصدر سابق ح٢ص٢١٢

(٨) العجلوني، إسماعيل بن محمد: كشف الخفا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ح١ ص٢٨٥، رواه أبو يعلى والعسكري والبيهقي بلفظ أخر .

www.iqra.ahlamontada.com

والمعيار المعتمد في الإسلام لاختيار العاملين: هو: الخبرة، الأمانة، فيجب دائماً تولية الأصلح، فهذه أمانة ومخالفتها خيانة .

فقد قال (ﷺ) « **من ولِّي رجلاً على عصابة، وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين** »[1] .

ومن العوامل المساعدة على زيادة الإنتاجية: التخصص وتقييم العمل قال الشاعر:

يا باري القوس بريـاً ليس يحسنه   لا تظلم القوس أعط القوس باريها[2]

والتخصص في العلوم والصنائع إنما يكون بحسب الاستعداد . قال الراغب الأصفهاني [3]:

لما احتاج الناس بعضهم إلى بعض، سخر الله كل واحد منهم، لصناعة ما يتعاطاها وجعل بين طبائعهم وصنائعهم مناسبات خفية، واتفاقات سماوية يؤثر الواحد منهم حرفة من الحرف .

حرفة من الحرف، ينشرح صدره بملابستها، وتطيعه قواه بمزاولتها، فإذا جعل إليه صناعة أخرى فربما وجد متبلداً أو متبرماً بها، وقد سخرهم الله تعالى لذلك لئلا يختاروا بأجمعهم صناعة واحدة فتبطل الأقوات والمعاونات، ولولا ذلك لما اختاروا من الأشياء إلا أحسنها، ومن البلاد إلا أطيبها، ومن الصناعات إلا أنظفها، ومن الأعمال ألا أرفعها، ولتناجزوا على ذلك، ولكن الله تعالى بحكمته جعل كلاً منهم مجبراً في صورة مخير . فالناس إما راضٍ بصنعته لا يريد عنها حولاً كالحائك والذي يرضى بصنعته ويعيب الحجام الذي يرضى بصنعته ويعيب الحائك، وبهذا أنتظم أمرهم كما قال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [4].

---

(١) رواه الحاكم في صحيحه . السياسة الشرعية، ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٤٦/٢٨ طبعة السعدية ١٣٩٨هـ.

(٢) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، أسرار البلاغة، تحقيق أحمد المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ص١١٩.

(٣) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد: الذريعة إلى مكارم الشريعة، مصدر سابق ص٢٧٠.

(٤) سورة المؤمنون: الآية (٥٣)

www.iqra.ahlamontada.com

وإما كاره لها يكابدها مع كراهيته إياها، كأنه لا يجد لها بدلاً، وعلى هـذا دل قولـه (ﷺ): « **كل ميسر لما خلق له** »[1].

بل صرح (ﷻ) بقوله: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾[3].

ولهذا قال عليه (ﷺ):«**لن يزال الناس ما تباينوا، فإن تساووا هلكوا** »[4] .

فالتبـاين والتفـرق والاخـتلاف، في نحـو هـذا الموضـع، سـبب الالتئـام والاجتمـاع والاتفاق، كاختلاف صور الكتابة وتباينها وتفرقها الـتي لولاهـا لمـا حصـل لهـا نظـام، فسبحان الله ما أحسن ما صنع، وأحكم ما أسر وأتقن ما أدبر . ولهذا قيل: من حق مـن قيض له صناعة مباحة، فرزق منها، أن يراعيها، على مـا يجب وكمـا يجـب[5]، وعليه قوله (ﷺ):« **من رزق من شيء فليلتزمه** »[6].

وقال ابن حزم الأندلسي: " من شغل نفسه بأدنى العلـوم، وتـرك أعلاهـا، وهـو قـادر عليه، كان كزارع الـذرة في الأرض الـتي يجـود فيهـا البُـر، وكغـارس الشـعراء (ثمرهـا حامض تميل إلى الإبل) حيث يزكو (ينمو) النخل والزيتون[7].

قال العز بن عبـد السـلام: " اعلـم أن الله تعـالى خلـق الخلـق، وأحـوج بعضـهم إلى بعض، لتقوم كل طائفة بمصالح غيرها .... "[8]

---

(١) أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، مصدر سابق، ج٤ ص٢٩٩ رقم الحديث (٤٧٠٩)

(٢) سورة الزخرف: الآية (٣٢)

(٣) سورة الإسراء: الآية (٨٤)

(٤) البيهقي، أحمد بن الحسين: شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعـة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ج٦ ص٥٠٦ رقم الحديث /٩٠٨٤/.

(٥) الأصفهاني، الراغب، الذريعة إلى مكارم الشريعة، مصدر سابق ص ٢٧٠-٢٧١.

(٦) المناوي، محمد المدعو بعبد الرؤوف، فيض القدير، مصدر سابق ج٦ص١٣٦، رقم الحـديث ٨٧٠٢ فيـه محمد بن عبد الله الأنصاري قال الذهبي الهم أي بالموضع وهو ضعيف وقد ضعفه الأزدي ورواه عنه أيضاً ابن ماجه قال الحافظ العراقي بسند حسن وممن خرجه لابن ماجه والديلمي وغيره .

(٧) ابن حزم، علي بن أحمد: الأخلاق والسيرة في مداواة النفوس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠-١٩٨٠.

(٨) الأصفهاني، الراغب، الذريعة إلى مكارم الشريعة مصدر سابق ص٢٦٢.

www.iqra.ahlamontada.com

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾[1].

والزمن عنصر مهم من العناصر التي تمكن الناس من العمل والإنتاج، فكل عمل يحتاج إلى زمن، فلا يجب إضاعته، فهو في حكم المال، ونحن منهيون عن إضاعة المال، قال رسول الله (ﷺ): «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال، عن شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيم أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به**»[2] .

والعمر فرصة زمنية منحت الفرد إبتلاء، والدنيا فرصة زمنية منحت للبشر جميعاً وللزمن في الإسلام قيمة مالية في المبادلات، فللزمن حصة من الثمن، كما قال الفقهاء، ويجب أن نستغل أوقات الفراغ فيما هو نافع ومفيد، لا في اللهو أي لهو، فليس يحمد من اللهو إلا اللهو المفيد في جهاد أوصلة، وقد بينت هذا في موضع آخر من هذا البحث . الإسلام، بمنعه السرف والترف والتبذير، يساعد الفرد على تحرير جزء من ماله للإنفاق الإنتاجي، بدل الاستهلاكي .

وكذلك شرع للناس أن يعملوا أفراداً أو جماعات في شكل شركات، وندبهم إلى الشركة لما فيها من التعاون والتقوى على الإنتاج، الكبير الذي ساد مجتمعاتنا الحديثة.وقال (ﷺ): « **يد الله على الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خان أحدهما صاحبه رفعها عنهما**»[3] .

وفي حديث آخر قدسي (**أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه**)[4].

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٣٢).

(٢) الهندي، المتقي، حسام الدين: كنز العمال، مصدر سابق، ح١٤ ص٣٧٩، رقم الحديث ٣٩٠١٢.

(٣) الدار قطني، علي بن عمر:سنن الدار قطني،ج٣، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ص٣٥ رقم الحديث (١٤٠).

(٤) المصدر نفسه، ح٣ ص٣٥ رقم الحديث (١٣٩).

www.iqra.ahlamontada.com

٣- **المال**: أمر الإسلام بتشغيل المال وعدم كنزه وتعطيله، كما نهانا عن تعطيل الأرض، ينهانا عن حب المال والسلع واحتكارها . ومفهوم الكنز في الإسلام يقول فيه الإمام الغزالي رحمه الله: خلقهما (النقدين) الله تعالى لتداولهما الأيدي (....) فإن من كنزهما فقد ظلمهما، وابطل الحكمة فيهما، وكان كمن حبس حاكم المسلمين [(١)].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [(٢)].

وقدور وفي اللغة: كنز المال: جمعه وادخره . والكنز المال المدفون[(٣)]

وفي الاصطلاح الفقهي يقول ابن العربي: سبعة أقوال: أ ـ المجموع من المال على كل حال، ب ـ المجموع من النقدين، ج ـ المجموع منهما ما لم يكن حلياً، د ـ المجموع منهما دفيناً، هـ ـ المجموع منهما ما لم تؤد منه الحقوق، وـ المجموع منهما ما لم ينفق يهلك في ذات الله [(٤)].

والمعنى الخامس هو قول جمهور العلماء، فلا بد من إخراج زكاة المال، والنقود إذا زكيت، أخذت الزكاة في أكلها، بمعدل ربع العشر، ولم تنفك عنها حتى تنخفض إلى ما تحت النصاب .

ولكن المال إذا زكي فلا يعني أنه يجوز بعد ذلك حبسه، بل يستجب تحريكه واستغلاله.

- عوامل الإنتاج التابعة:

عوامل الإنتاج التابعة تشمل: المخاطرة، والزمن، وهما من العوامل التابعة، لأن كلاً منهما لا ينتج وحده، بل ينضم إلى عمل أو مال أو أرض، فيزيد في حصة العامل الإنتاجي " المستقل " في الناتج .

---

(١) الغزالي، محمد: إحياء علوم الدين، مصدر سابق، ح٤ص٨٩ .

(٢)سورة التوبة: الآية (٣٤)

(٣)مصطفى إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، مرجع سابق ح٢ص٨٠٦

(٤) ابن العربي، محمد بن عبد الله: أحكام القرآن، بتحقق محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ح٢ص٩٢٨.

www.iqra.ahlamontada.com

١- المخاطرة:

كل المشروعات تحتاج، بدرجات متفاوتة، إلى مخاطرة . وبعض المشروعات مخاطرتها عالية .

مع حاجة الناس إليها، فـ " المنازل الرفيعة لا تنفك عن مخاطرة " [(١)] ولابد من أن يتحلى الناس بروح المخاطرة، ومن أن يركبوا المخاطر للإنتاج والتنمية . فالمخاطرة، كما هو معلوم، هي عائد المنظم، وقد عود الإسلام الناس على ركوب المخاطرات، فمنعهم من اكتساب أي عائد للمال بدون مخاطرة، فالقرض ذو الفائدة " المضمونة " لا يجوز القيراض بحصة من الربح الاحتمالي، وتكون المخاطرة على رب المال، فإذا خسرت الشركة وقعت الخسارة المالية عليه، وسمح الإسلام لصاحب المال القابل للإيجار، كالآلة والدابة وسواهما، بأجر مقطوع، أو بحصة من الربح، ويتحمل صاحب هذا النوع من رأس المال المخاطرة، لأنه يبقى في الإيجار مالكاً للمأجور، في حين أن المقرض ينقل ملكية مال القرض إلى المقترض الذي يصبح متحملاً للمخاطرة .

وكذلك للمشروعات الزراعية، ندب الإسلام الناس إلى تحمل المخاطرة، فإذا أصاب الزرع نقص لا يمكن دفعه كان لهم ثواب.قال رسول الله (ﷺ): « **ما من مسلم يغرس غرساً، إلا كان له ما أكل منه صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير له فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقه**»[(٢)]

وهذا الأكل قد يكون نتيجة الحصول على المال بطريق غير مشروع،كالبيع أو التبرع، وقد يكون بطريق التعدي لا يمكن دفعه، فهذا الطريق الثاني هو موضوع المخاطرة غير التجارية. وبالطريق الأول يكون له العمل مصدر ربح وثواب في آن معاً.

---

(١) الأصفهاني، الراغب، الحسين بن محمد : الذريعة إلى مكارم الشريعة، مصدر سابق . ص ٢٨٥.

(٢) مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، مصدر سابق، ح١٠ص٤٥٧، رقم الحديث ٣٩٤٥.

www.iqra.ahlamontada.com

ومن العوامل المساعدة على ركوب المخاطر ما نسميه"التأمين الإسلامي" أو الضمان الاجتماعي" أو " التكافل الاجتماعي " فإذا خسر المسلم في عمله، أو تعرض لجائحة، أو كارثة، لم يترك هملاً، ولا سُدًى، بل يلقى المعونة والمواساة من المجتمع والدولة .

ولابد أن يهتم المسلمون اليوم لإيجاد صيغ تأمين حديثة تعاونية، لا تؤمن الأفراد من الفقر فحسب، بل من الضرر أيضاً، بحيث تعيدهم إلى مستواهم السابق من الغنى والكفاءة الإنتاجية .

٢- الزمن:

لا ريب أن الزمن من العوامل الإنتاجية، ومن الموارد الاقتصادية التي حبانا الله بها، فالبشر لا يعملون إلا خلال الزمن، والعامل يزيد إنتاجه بالزمن وقد يأخذ أجره على الزمن والأرض تنتج بالعمل وبمرور الزمن والعقار المؤجر يمنحك منفعة في كل وحدة زمنية ويزداد الأجر بزيادة الزمن، والمال المقدم قراضاً لا يعطي ربحاً إلا بالعمل ومرور الزمن . والفرد الذي يستغل زمنه (عمره، وأوقاته) أكثر إنتاجاً من الفرد الذي يضيعه أو يفرط فيه، والله سبحانه سيحاسبنا عن أعمارنا فيما أمضيناها وأفنياها وأبليناها، ولاسيما عن الأعمار المنتجة (أيام الشباب والقوة والعطاء) ونحن في الإسلام منهيون عن اللهو، الذي لا يحمد منه إلا ثلاثة، وهذه الثلاثة هي أشبه باللهو المنتج منه باللهو العابث .

قال رسول الله (ﷺ): « **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ** »[1]

وقال أيضاً(ﷺ): « **من قتل عصفوراً عبثاً عج[2] إلى الله يوم القيامة يقول: يارب إن فلاناً قتلني عبثاً، ولم يقتلني لمنفعة** »[3]

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق البغا، مصدر سابق، ج٤، ص٢٢٢٤، رقم الحديث (٦٠٤٩)

(٢) رفع صوته . المعجم الوسيط، مرجع سابق ج٢ ص٥٩٠

(٣) الهندي، المتقي حسام الدين: كنز العمال، مصدر سابق، ج١٧ ص٣٧-٣٨ رقم الحديث(٣٩٩٧١)

www.iqra.ahlamontada.com

وقال أيضاً(ﷺ): « **ليس من اللهو محمود إلا ثلاثة: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته امرأته، ورميه بقوسه ونبله** »[1].

وقال سيدنا عمر رضي الله عنه: " إني لأكره أن أرى أحدكم سبهلاً[2]، لا في عمل دنيا، ولا في عمل آخره "[3]. وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال "إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في عمل دنيا ولا آخرة "[4] وكذلك الأمة التي يكون متوسط عمر الفرد (العمر المتوقع له عند الولادة) فيها كبيراً نسبياً، نتيجة الغذاء والصحة، والتي تستغل الزمن، هي أكثر تقدماً من الأمم التي تضيع أوقاتها في أعمال ضارة أو عقيمة أو قليلة النفع، ولكن الزمن ليس من الموارد الاقتصادية (العوامل الإنتاجية) المستقلة، فلا يباع منفصلاً، ولكنه إذا تجسد في عمل أو مال أو حق أو دين كان له أثر في زيادة الإنتاج، وكانت له حصة إضافية من الربح أو الناتج .

ح ــ الفراغ والإنتاج:

الفرد المؤمن بالإسلام لا يساق إلى العمل الدنيوي سوق القطعان . لا يدفعه إليه قهر أو ضغط، أو رقابة من سلطة تنفيذية تشهر عليه سيف التهديد بالجوع والحرمان أو عذاب الهون . كما يعرف عند بعض الأنظمة، وإنما يندفع المؤمن إلى العمل بحافز من نفسه، وباعث من ذاته، بإيحاء ينبعث من داخله لا سوطاً يسوقه من الخارج . ذلك الباعث الذاتي هو الإيمان وبمهمته في عمارة الأرض والسيادة على الكون. إن الفرد المؤمن يوقن أن السعادة في الدنيا والآخرة موقوف على العمل . والجنة في الآخرة ليست جزاء لأهل البطالة والكسل والفراغ، بل لأهل الجد والعمل والإتقان: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[5].

---

(١) النسائي، أحمد بن شعيب: سنن النسائي، شرح السيوطي، مصدر سابق، ح٧ ص٢٣٩

(٢) سبهلاً: فارغاً . السبهل الرجل الفارغ . جاء سبهلاً: فارغاً لاشيء معه، يمشي سبهلاً: يجيئ ويذهب في غير شيء . السبهل: الأمر أو الشيء لا ثمرة فيه يقال: ذهب أمره سبهلاً

(٣)الهيثمي، علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت ح٤ ص٦٢

(٤)المصدر نفسه ح٤ ص٦٣

(٥) سورة الزخرف: الآية (٧٢).

www.iqra.ahlamontada.com

وقال سبحانه ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

ولا يذهب الظن بالفرد والمجتمع أو الوهم بأحد، فيحسب أن ارتباط السعادة والفوز بالعمل مقصور على الآخرة وحدها، فإن قوانين الله في الجزاء واحدة، ورب الدنيا والآخرة واحد، فالله تعالى يقول: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[4].

وسنة الله التي أخبرنا القرآن أنها لا تتبدل ولا تتحول - لا تسمح لفارغ أو قاعد أو كسول أن يظفر بما يريد، أو يحقق ما يأمل، بل إن سنن الله في الكون في الدنيا لا تفرق في الجزاء على العمل بين مؤمن وكافر .. فمن عمل أجر، ومن قعد حرم، مهما كان دينه أو اعتقاده. وبهذا يدفع المؤمن إلى العمل دائماً، حتى لا يصادم سنن الله في الكون فتصدمه، فيكون من الهالكين.

والفرد المسلم لا يكتفي بالاندفاع الذاتي إلى العمل، بل يهمه أن يتقن عمله ويجوده، ويبذل جهده في إحكامه وإحسانه، لإيمانه العميق، واعتقاده الجازم أن الله يشاهده في عمله، ويراه في مصنعه ومتجره ومزرعته، أو في أي حال من أحواله، وقد

---

(١) سورة السجدة: الآية (١٧).

(٢) سورة الكهف: الآية (٣٠).

(٣) سورة آل عمران: الآية (١٣٦).

(٤) سورة الزلزلة: الآية (٧-٨).

www.iqra.ahlamontada.com

وضح الإسلام هذا الشعور بقول الرسول (ﷺ): « **أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1].

وهذا حال المؤمن في كل عمل من الأعمال – لا في العبادة وحدها أن يؤدي العمل كأنه يرى الله، فإن لم يبلغ هذه المنزلة فأقل ما عليه أن يشعر أن الله يراه، وشعار الفرد المؤمن في أداته لعمله: إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي .

وربه لا يرضيه منه إلا أن يقوم بعمله بصورة كاملة متقنة، وهذا ما علمه نبي الإسلام: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»[2].

عملاً أي عمل من أعمال الدنيا أو من أعمال الآخرة . وهناك خلقان أصيلان يتوقف عليهما جودة العمل، وحسن الإنتاج، وهما: الأمانة، والإخلاص، وهما في المؤمن على أكمل صورة وأروع مثال.

فالصانع المؤمن مثلاً ليس همه مجرد الكسب المادي من صنعته، أو إرضاء صاحب المصنع إن كان يعمل عنده بأجر. ولكنه أمين على صنعته يخلص فيها جهده، ويرقب فيها ربه، ويرعى حق إخوته المؤمنين وهم له أو لياء، وعليه رقباء، ويرجوا بعد ذلك جزاء الله في الآخرة: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3].

إننا كثيراً ما نشهد نحن بأعيننا أو من خلال وسائل الإعلام أو نقرأ بالصحف، أو نسمع من حديث الناس، ما تعانيه المؤسسات العامة في البلاد الإسلامية من أجهزة تتوقف مع كونه جديدة . وأدوات تخرب لإهمال القائمين عليها على صيانتها، ومصالح تعطل، مع حاجة الأمة إليها وأعمال يكفيها يوم تستغرق أياماً، وأعمال

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق البغا، مصدر سابق، ح١، ص٢٧ رقم الحديث (٣٦- ٥٠).

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين: شعب الإيمان، ج٤، مصدر سابق، ص٣٣٥، رقم الحديث (٥٣١٣).

(٣) سورة التوبة: الآية (١٠٥).

www.iqra.ahlamontada.com

يكفيها بضع سنين تطول دهراً، ونتيجة ذلك أن مشروعات نافعة تفشل، وجهوداً مخلصة تبعثر، وأموالاً طائلة تضيع، وأن الإنتاج العام بعد ذلك كله يتدهور أيما تدهور، وما ذلك إلا لفقدان الأمانة والإخلاص، وفراغ وخراب الضمائر، عند أولئك الذين لا يرجون لله وقاراً، ولا يحسبون للآخرة حساباً . الفرد المؤمن يتمتع في حياته حين يعمل لملء فراغه العام يكون في سكينة النفس، وطمأنينة القلب وانشراح الصدر، وبسمة الأمل، ونعمة الأمن الرضا، وروح الصفاء والمحبة، ولا ريب عندما يكون كذلك يظهر هذا الأثر على الإنتاج . فإن الفرد الشارد الفارغ المضطرب القلق اليائس الحاقد على من حوله، قلما يحسن عملاً يوكل إليه، أو ينتج إنتاجاً يقنع ويرضي .

هذا أمر واضح لا يحتاج لدليل أو لكثير جهد أو بيان .

- أثر الإيمان في الإنتاج .

والفرد المؤمن الصادق يقف عند حدود الله، وينتهي عما نهاه، وينأى بنفسه عن ارتكاب الموبقات، والانغماس في أوحال المحرمات، وإرسال العنان للشهوات إن إيمانه يأبى عليه أن يفرغ طاقته في سهر عابث، ولهو حرام، يأبى عليه أن تجري وراء قدح يفور بالخمر، أو صحبة يدور بينهم لغافات إدمان، أو مائدة تدور بالخمار أو جسد يمور بالفتنة.

وبذلك يظل محتفظاً بحيويته وطاقته الجسدية والعصبية والعقلية والنفسية، فلا يصرفها إلا في العمل الصالح أو ما يعين عليه من لهو بريء .

وهذا كسب كبير للفرد نفسه، ولأسرته وأولاده، وللمجتمع الذي يعيش فيه، وللحياة الإنسانية عامة إننا لو أحصينا ما تستهلكه الشهوات المحرمة، والموبقات المحظورة، والملاهي الآثمة التي يجتنبها المؤمنون الصادقون العاملون ـ من الطاقات الإنسانية والمادية ـ لبلغت حداً هائلاً يفوق ما تتبعه الحروب المدمرة والأوبئة الفتاكة والكوارث المخربة، ولكن الإلفة والعادة هما اللذان هونا على الناس هذه الخسائر

www.iqra.ahlamontada.com

الفادحة، التي تصاب بها الإنسانية كل يوم، بل كل ساعة [1]، لو تسألنا كم في عالمنا الإسلامي أناس يتعاطون الخمور وغيره وكم ينفقون من أموال وكم يكلفون دولهم في كل عام، بسبب تخلفهم عن العمل، فانظر ما تجد هذا في الخمور وحدها فكم تبلغ مغارم سائر الموبقات وكم تبلغ مصاريف الفراغ وأثره على الإنتاج . ؟!

- **الزهد والإنتاج:**

الزهد في اللغة: الرضا بالقليل، ومنه الزهيد: الشيء القليل . وزهد في الشيء يزهد زهداً وزهادة: رغب عنه، أو رضي بيسير منه[2]. الزهد الذي دعا إليه الإسلام هو الزهد في المحرمات والمكروهات والشبهات، والزهد بما في أيدي الناس، حفظاً للمؤمن من الأخلاق السيئة، وتحلية له بكل خلق حسن.

والزاهد الحقيقي لا يقعد عن الكسب والعمل والإنتاج، فهذه مصادر قوة المجتمع الإسلامي، وتقوي الإنسان على طاعة الله، وعلى إخراج الزكاة وسائر الصدقات النافلة. وعلى تجهيز جيوش المسلمين. كما أثر عن أثرياء الصحابة ولذلك قال رسول الله (ﷺ): « **ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال، وإضاعة المال، ولكن الزهد أن تكون بما في يد الله تعالى أوثق منك بما في يديك** »[3].

ويقول العز بن عبد السلام: "ليس الغنى بمناف للزهد" [4]ويقول: "الزهد في الشيء خلو القلب من التعلق به، مع الرغبة عنه، والفارغ منه، ولا يشترط خلو اليد منه، ولا انقطاع الملك عنه، فإن سيد المرسلين، وقدوة الزاهدين، مات عن فدك والعوالي ونصف وادي القرى وسهامه من خيبر، وملك سليمان الأرض كلها، وكان شغلهما بالله

---

(١) القرضاوي، يوسف: الإيمان والحياة ن، الدار المتحدة . دمشق، الطبعة الخامسة عشرة ١٤١٢ هـ ١٩٩١م ص ٢٥٩-٢٦٠ (بتصرف).

(٢) مصطفى، إبراهيم، وزملاؤه : المعجم الوسيط، مرجع سابق، ح١ص٤٠٥.

(٣) ابن الأثير، المبارك بن محمد: جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، دمشق، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م . ح٤ ص ٦٧٠.

(٤) ابن عبد السلام، العز: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مصدر سابق، ح ص ٢/٢٢٣.

www.iqra.ahlamontada.com

مانعاً لهما من التعلق بكل ما ملكا"[١] ولقد يغرق بعض الناس في الخيال، فيتصورون الفرد المؤمن درويشاً في زاوية " أو راهباً في مغارة أو صومعة، متبتلاً للعبادة، منقطعاً عن الحياة، وهذه كارثة الفراغ على العمل والإنتاج . وقد ذكر أن عمر بن الخطاب (ﷺ) رأي قوماً قابعين في ركن من المسجد بعد صلاة الجمعة فسألهم: (من أنتم) ؟ فقالوا: نحن المتوكلون على الله. فعلاهم عمر بدرته ونهرهم وقال: لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة. وأن الله يقول:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[٢].

د- الشباب والفراغ والإنتاج:

إن الشباب هو عماد المستقبل، وهم القوة الداعمة لحضارة الأمم وتقدمها لأنهم عبارة عن طاقات. جبارة تتفجر في عطاءً وحياة وسط العالم، وذلك لأنها مرحلة من أقوى واخصب مراحل العمر، وكما يسمونها فهي مرحلة الإنتاج. وهذا السن من العمر بالذات حرصت الحركات والأحزاب الوضعية على استغلاله لأن أي تغير يطرأ على الشباب يعتبر تغيراً للأمة وحضارتها وما كان التغيير الذي حدث في عهد النبي (ﷺ) إلا بإتباع شبان من سن (٩-٤٠) سنة قامت على أيديهم الدولة الإسلامية وأصبحوا قادة العالم يحكمونه.. لأنهم عرفوا قيمة الشباب وعلموا كيف توجه حماسة الشباب بما يعود عليهم بالنفع وأما ما نحن عليه اليوم "فإن الكثيرين من شباب اليوم فارغوا النفوس والقلوب والرؤوس فلا علم ولا عمل، ولا دين ولا إيمان، وهم لا يجيدون إلا ترجيح الحواجب وتصفيف الشعر واختيار الملابس والتشبه بالممثلين والممثلات، ولا عمل لهؤلاء الشباب إلا ارتياد المحلات العامة والاندفاع وراء الشهوات .... وقال أبو

---

(١) المصدر نفسه، ح ٢, ص ٢٢٣.

(٢) سورة الجمعة: الآية (١٠).

www.iqra.ahlamontada.com

الدرداء[1] (رضي الله عنه): "إذا اصبح الرجل، اجتمع هواه وعمله وعلمه، فإن كان علمه تبعاً لهواه، فيومه يوم سوء، وإن كان عمله تبعاً لعلمه. فيومه يوم صالح"[2].

فهذا هو حال أغلب شبابنا مع الأسف. ولذلك نجد أن عدد المسلمين اليوم أكثر من مليار مسلم ولا أثر على الساحة العالمية سوى الانتصارات الرياضية. والمهرجانات الخطابية. ولولا أن من الله علينا بالعودة والصحوة الإسلامية القليلة الضئيلة لعم البلاء وطم لأن الدعوات الإسلامية عرفت كيف توجه الشباب وتوظف حماسهم .

والناظر إلى الغرب وواقع الشباب وواقع الشباب المسلم فيه يدرك قيمة الانحطاط الإنتاجي الذي يظهر في حله وترحاله حيث أن الصرعات الفراغية بدأت تسيطر عليهم بكثرة وبدأ فيروسها ينتقل إلينا بسرعة وذلك لما يعيشه الشباب العربي والمسلم من خواء روحي وفراغ عقلي.

ليس محلاً للجدل إن قلنا بأن المجتمعات العصرية تعول في بناء اقتصادها وتنمية مواردها المالية بنسبة عالية على استثمار الفراغ وتوظيفه في الوجوه الإنتاجية والتنموية. ومن ثم كان العالم الغربي يولي اهتماماً بالغاً بالفراغ الوقتي، قناعة منه بأنه يتيح للفكر الإنساني قدرة أوسع وأعمق على ابتكار الجديد، وتطوير ما هو كائن، وتحسين ما هو موجود، والبحث عن صورة أفضل للحياة وهذه القناعة هي التي حدت بالباحثين الغربيين أن يتناولوا الفراغ باعتباره قيمة اجتماعية إيجابية، ورصيداً

---

(١) أبو الدرداء (....-٣٢هـ =.....-٦٥٢م) عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، صحابي من الحكماء الفرسان القضاة، كان تاجراً ثم انقطع للعبادة، واشتهر في الإسلام بالشجاعة والنسك، وفي الحديث " عويمر حكيم أمتي " و " نعم الفارس عويمر " مات بالشام - الزركلي، خير الدين: الأعلام، مرجع سابق، ح٥ ص٩٨(بتصرف).

(٢) البيانوني، أحمد عز الدين: الهدى والضلال، مكتبة الهدى، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م ص٥١.

www.iqra.ahlamontada.com

عزيزاً لإفادة مجتمعهم بل إن الغربي الأمريكي "فرانك جوبو" يعتبره شرط التقدم ونتيجته في آن واحد.

٤- على الصعيد التربوي

أ- المفهوم التربوي:

التربية: رَبَّ الولد ـ ربّا: وليه وتعهده بما يغذيه وينميه ويؤدبه [١]. والأدب: أدبَ: فلان أدباً: راضى نفسه على المحاسن. و ـ (أَدّبه): راضه على ما حسن الأخلاق. و ـ جازاه على إساءته. والأدب: بياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي[٢]. قال تعالى:

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾[٣].

وربا يربوا بمعنى زاد ونمى. وإننا نجد من الممكن أن نقف على عناصر التربية:

أولهما: المحافظة على فطرة الفرد ورعايتها.

ثانيها: تنمية مواهب الفرد واستعداداته كلها.

ثالثها: توجيه هذه الفطرة والمواهب نحو صلاحها وكمالها اللائق بها.

رابعها: التدرج في عملية التربية. وهذا ما أشار إليه البيضاوي[٤](شيئاً فشيئاً) والراغب[٥](حالاً فحالاً).

---

(١) مصطفى إبراهيم وزملاءه: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ح١ ص٢٢١.

(٢) المرجع نفسه، ح١ ص٣٢١.

(٣) سورة الروم: الآية (٣٩).

(٤) البيضاوي (٦٨٥هـ - ١٢٨٦م) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي، أبو سعيد، قاض، مفسر، عالم بالفقه والأصلين والعربية والمنطق والحديث، من أعيان الشافعية. ولد في المدينة البيضاء – قرب شيراز – من تصانيفه الكثيرة (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) طبع ويعرف بتفسير البيضاوي . – نويهض، عادل: معجم المفسرين، مؤسسة نويهض، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م، ح١ ص٣١٨ (بتصرف).

(٥) الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل، توفي سنة ٥٠٢هـ العلامة الماهر، المحقق الباهر كان من=

www.iqra.ahlamontada.com

ثم استخلص من هذه النتائج التالية لفهم التربية:

١- أن التربية عملية هادفة، لها أهدافها وغايتها وأغراضها .

٢- إن الله سبحانه وتعالى هو المربي الحق على الإطلاق: خالق الفطرة وواهب المواهب، وهو الذي سن السنن لنموها وتدرجها وتفاعلها كما أنه وضع أحكاماً لتحقيق سعادتها وكمالها وصلاحها.

٣- إن التربية تقتضي برامج وخطط متدرجة تسير فيها الأعمال التعليمية والتربوية وفق ترتيب تصاعدي ينتقل معها الفرد من حال إلى حال ومن مرحلة إلى أخرى ومن طور إلى طور. فالتربة عملية نمو (ديوي).

يخلط البعض ما بين "التربية والتعليم" فيرى أنهما بمعنى، والواقع ليس كذلك .

فالتربية إعداد وتوجيه وتسليك، بحيث ينتقل المتعلم من مرحلة العلم إلى مرحلة العمل أو بعبارة أخرى أن يتخلق الفرد بأخلاق العلم الذي يتعلمه، فيزداد استقامة وصلاحاً كلما ازداد علماً. أما التعليم فهو كشف المجهول بالفرد، وتعريفه له، ليتعلم بعد جهل وليعرف ما لم يكن يعرف، فهو إن تعلم صار "عالماً".

ومجرد العلم بالشيء لا يعني ولا يستلزم العمل به، فأكثر الناس يعلمون أن الله حق ولكنهم لا يعبدونه، بل يكفرون به، ويتركون دينه، ويعلمون أن "الصدق" و"الأمانة" .... الخ، شرف ومكرمة، وهم في الواقع يكذبون.. ويخونون... ويعملون عكس ما يعلمون... لذلك توعد الله عز وجل هؤلاء، الذين خالفت أعمالهم علومهم، بالعذاب الشديد، وشنع عليهم بقوله تعالى:

﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١].

-أذكياء المتكلمين وكان من حكماء الإسلام، وهو الذي جمع بين الشريعة والحكمة، وكان حضه من المعقولات أكثر. من مصنفاته: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ومعارج القدس في مدارج معرفة النفس وغيرها . - الأصفهاني، الراغب: الذريعة إلى مكارم الشريعة، مصدر سابق، ص٥، ٦ (بتصرف).

(١)سورة البقرة: الآية (٤٤).

www.iqra.ahlamontada.com

فالفرد الذي لا يعمل بعلمه، كوعاء يحفظ الماء للغير، ولا يشرب هو منه شيئاً، وكالشمعة يذوب هو، ليضيء للغير الطريق وكما قال أحدهم: لا يكن أحدكم كالمنخل يعطي غيره الدقيق النقي... ويحتفظ لنفسه بالنخاله..."[1].

ب- أهمية النظام التربوي وعوامله ووظائفه:

أ - أهميته:

التربية وثيقة الصلة بمفاهيم الأمة الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية وغيرها، وذلك لأنها تنبع منها وتوضح معالمها وتترجم عن آلام الأمة وآمالها، وتشترك في تحقيق أهدافها، كما تعني بالجانب العملي التجريبي، ولقد اهتم بالتربية منذ عهد سقراط وأفلاطون اللذين رفضا فلسفة زمانهما ونادیا بالمثالية في تربية الطفل في كل أطوار حياته. كما اهتم المسلمون بالتربية منذ ظهور الإسلام. فالإسلام يدعو إلى العلم والمعرفة. ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[2].

ويعرّف الإمام الغزالي التربية: المقصود من تأديب الصبي أن يقوى على طاعة الله، وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى.

ومن علماء التربية حديثاً: "جون ديوي" (john dewey) يعرف التربية بأنها عملية دائمة لتعديل الخبرة وإعادة تنظيمها بشكل يزيد في معناها وفي قدرة المرء على توجيه الخبرة التالية .

ويقول هيلبرت[3] (Hirbert): إن وظيفة التربية كلها يمكن تلخيصها في كلمة

---

(١) كنعان، محمد أحمد: سبيل النهضة منهج وهدف، دار البشائر الإسلامية , الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ص ١٢٢-١٢٣.

(٢) سورة العلق: الآية (١).

(٣) هيلبرت:ديفيد: (hildert david) (١٨٦٢-١٩٤٣) عالم رياضة ومنطق ألماني، محاضر في جامعة كونغزبرغ من عام ١٨٨٦م وجامعة غوتنغن من عام ١٨٩٥م، اشتغل بنظرية المتغيرات الجبرية والأعداد الجبرية وأسس الرياضيات. والمنطق الرياضي، له كتاب(أسس الهندسة) ١٨٩٩م لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيتيين، الموسوعة الفلسفية، إشراف يوزتنال يودين، ترجمة سمير كرم، مرجع سابق ص ٥٦٠(بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

واحـدة هـي تهـذيب الـنفس أو هـي بنـاء الأخـلاق . ويعـرف سـتيوارت ميـل[1] Stewartmill: أنها جميع ما نقوم به من أجل أنفسنا وما يقوم به الآخرون من أجلنـا بغاية الاقتراب من طبيعتنا[2].

ويمكن إظهار التربية فيما يلي:

أ – فيما يتعلق بنمو ذاتية الفرد وشخصيته:

١- بناء النفس التي ترتكز على منهج الله ومعرفتـه وتحققـه ونقلـه في صـورة حيـة إلى المجتمع.

٢- حث الفرد على التمسك بالأخلاق القويمة الإسلامية وتصـريف أمـوره الذاتيـة بمـا يتفق مع الشريعة الإسلامية وفائدته وفائدة المجتمع.

٣- تدرب عقلية الفرد على أن يكون يقظاً فطناً وتنمي ما لديه من ملكات وقدرات.

٤- تحصينه بالثقافة الصحيحة التي تجعله سليم الجسم ويشغل وقت فراغه بمـا يعـود عليه بالفائدة.

ب – فيما يتعلق بالعلاقة الإنسانية:

١- احترام الإنسان المسلم بشكل خاص والإنسانية بشكل عام .

٢- تكوين الأسرة واحترامها كهيئة اجتماعية وإسعادها بالترابط الأسـري المفعـم بـالود والمحبة والبر وتحمل المسؤولية .

٣- العمل على صداقة الناس ومحبتهم وتقديرهم والتمتع بالحياة الاجتماعية مع إلتزام قواعد السلوك والآداب العامة .

---

(١) ميل، جون ستيوارت : (mill jonn stewart) (١٨٠٣-١٨٧٣) فيلسوف ومنطقـي واقتصـادي إنكليزي، من دعاة الوضعية . مؤلفاته الرئيسية هي نظام المنطق، ١٨٤٣، مبادئ الاقتصـاد السياسـي، ١٨٤٨، كان في الفلسفة من اتباع هيوم وبركلي وكونت والقائل بالمنفعة في الأخلاق " باعتبار المنفعـة غاية السلوك الإنساني . ولكنه قال بالمنفعة العامة عكس جيرمي بنتام القائل بالمنفعة الخاصة .

– لجنة من العلماء والأكاديميين السوفيتيين، مرجع سابق، ص٥١٨(بتصرف).

(٢) محمد حسنين، مصطفى، وزملاؤه: علم الاجتماع، وزارة المعارف، السعودية، الطبعة الثالثة، ص١٠٥.

www.iqra.ahlamontada.com

ج – فيما يتعلق بالكفاءة الإنتاجية:

١- اختيار المهنة المناسبة وإتقانها.

٢- اعتزاز الفرد بالقيم الأخلاقية والاجتماعية لمهنته وأثر ذلك في القيم.

٣- اتخاذ السياسة الحكيمة في صرف الفرد لأمواله وعدم تمكين الغير من استغلاله.

د – فيما يتعلق بتكوين الفرد الصالح:

١- تكيف الفرد في مجتمعه مع التمسك بتعاليم الإسلام والقيم والأخلاق الإنسانية وتشكيل حياة الفرد وحياة المجتمع بصورة تضمن لهما السعادة.

٢- العمل على التقدم العلمي والثقافي والاقتصادي ليرتفع الدخل القومي معه لإتاحة تكافؤ الفرص والتعاون وإنكار الذات وتحمل المسؤولية.

٣- القيام بالنشاط الاجتماعي والتربوي عن طريق الخدمة العامة والدعوى والعمل على تصحيح الفساد في المجتمع عن طريق تفهم الدين الإسلامي والنظام الاجتماعي والسلوك الاجتماعي الإسلاميين.

٤- احترام القانون والأعراف ضمن ما يقره الإسلام ـ رأي الغير مع التسامح وتقرير مبدأ الشورى والطاعة والتواضع وتقبله لواجباته الوطنية.

٥ – التحقق من الدعاية المغرضة والإشاعات والعمل على تقييدها لإبطال مفعولها.

٦- المحافظة على موارد الثروة للأمة والدراية بالأمور الاقتصادية.

٧- الاهتمام بالعلم واعتبار الفرد نفسه عالمياً.

ب – عوامل التربية: الأسرة، المدرسة، المجتمع، الأمة.

١- دور الأسرة: بدورها في السنوات الأولى للطفل، لأنه عاجز عن إدراك وتفهم اتجاهات المجتمع، فتتحمل مسؤولياته وتعمل على التوفيق بين تصرفاته وما يرضي المجتمع، والأسرة هي البنية الأولى، والمدرسة الأولى التي تضع القواعد الأساسية للتربية والتي يكون لها تأثير عميق ودائم لأنه قليل الخبرات ومستعد لقبول الخبرات الجديدة.

www.iqra.ahlamontada.com

٢- يكن الطفل للأبوين الاحترام والتقدير، لأنهما قدوة ومثل أعلى، لذا يتأثر كثيراً بأخلاقهما وآرائهما، وتربية الأم لا يستغني عنها، فهي تحمي طفلها من كل ما يضر جسمه وعقله ووجدانه وتزود الأسرة الطفل بالعوامل النفسية والثقافية، كما يتأثر بالعلاقات بين أفراد الأسرة من حب أو كراهية أو تعاون أو تنافر وأنانية.

٣- يتأثر الطفل بعوامل وراثية عن الوالدين أو خصائص مكتسبة غير وراثية، وتنطبق الوراثة على النواحي الخلقية، مثل الطول ولون الشعر والعينين كما يتأثر بالوراثة في استعداداته الفطرية العصبية والنفسية مثل الاتجاه العلمي أو الأدبي.

٤- يرى البعض أهمية دور المنزل ويشمل الأسرة والأصدقاء وتتوفر فيه العادات الاجتماعية الحسنة والبيئة الاجتماعية الصالحة.

٥- الطفل الصغير لا يفرق بين ذاته والعالم الخارجي المحيط به ولا يفرق بين نفسه وأمه. فهي مصدر الغذاء والوقاية والدفء، وعندما يكبر يتسع عالمه وخبراته وتكثر العوامل التي تؤثر في تربيته ويدرك ما هو جزء من ذاته وما هو ليس منها. وتظهر شخصيته لأن الشخصية لا تنمو إلا عن طريق العلاقات الشخصية.

٦- للأسرة أثر كبير في غرس الفضائل الدينية، فللدين أثره في التربية إذ برز المبادئ الأخلاقية، ويتميز المسلم عن غيره بفضائل أخلاقية وحسن سيرته ومثله العليا.

ج ـ دور المدرسة في التربية:

عندما يكبر الطفل ويستطيع تحمل المسؤولية يكون مستعداً لتقبل الأساليب التربوية المنظمة المقصودة، والتي تصل إليه عن طريق المواد الدراسية أو عن طريق المنزل. والتربية المقصودة تربي الطفل بصورة إرادية. كما يتأثر بالتربية غير المقصودة عن طريق المدرسين وكل من يتصل بهم خارج المدرسة. وهي تربي الطفل بصورة لا إرادية، وتزود المدرسة الطفل بما يأتي:

١- المعرفة الدينية على أيدي متخصصين فيزداد وعياً وإدراكاً لها.

٢- تنقل التراث القديم وتنقيه من أوجه النقص الموروثة فيه.

www.iqra.ahlamontada.com

٣- تتوفر في المدرسة عوامل لا تتوفر بالمنزل، إذ تقوم التربية بها على قواعد وضعها الفنيون وتقدم المعلومات بما يتناسب مع مراحل التعليم المختلفة.

٤- تهتم المدرسة بإيجاد التوازن بين مختلف عناصر البيئة الاجتماعية. وفي المدرسة يستقل الطفل عن أبويه، وهذا يؤدي إلى تحرره من قيود والديه النفسية. والمدرسة تمكنه من أن يدرك حقوقه وحقوق غيره، ولا يتعلم ذلك من فراغ بل في وسط يحافظ كل من فيه على حقوقه الذاتية، ويحاول سلب حقوق الآخرين.

٥- المدرسة ضرورية للطفل لأنها مرحلة وسط بين الأسرة والمجتمع . ففي الأسرة يلقى العناية والرعاية وفي المجتمع يلقى المنافسة القوية ويعطي قسطاً من الوقاية حتى لا يواجه بالمجتمع فيفشل ويصعب علاجه. والمدرسة لا تغني عن المنزل، كما أن المنزل لا يغني عن المدرسة.

٦- المدرسة الحديثة تعتمد على الخبرات الشخصية، وتهتم بالتلميذ وتراعي الميول. والتربية في المدرسة الحديثة تكون في جو من الحرية وتدفع الطالب إلى البحث والتجديد وإجراء التجارب وكسب المهارات والإبداع وتقدم له الكتب ومصادر الثقافة المختلفة، وتعمم جمعيات النشاط كل هذا لتأهله ليتلاءم مع المجتمع عند ما يتخرج. وتثبت فيه المثل الأخلاقية العالية وتنمي فيه صفات المواطن الصالح.

٧- تشرك المدرسة الحديثة أولياء الأمور في إدارة المدرسة عن طريق مجالس الآباء وتقديم الخدمات للمدرسة ومساعدتها مالياً وفنياً وتقديم الدراسات للأبوين لإعدادهم لمهمة تربية أولادهم وتتعاون المدرسة مع المجتمع بإقامة المعارض والحفلات. وقد تسهم في نظافة الحي ومحو الأمية والإرشادات الصحية وترشد إلى علاج ما تراه ضاراً. كما تقيم دراسات خاصة لمن هم على وشك الزواج لدراسة نفسية الطفل وصحته والعناية به والتدريب على العمل المنزلي وواجباتهم نحو الحياة المستقبلية.

www.iqra.ahlamontada.com

٨- يرى البعض أن دور المدرسة يجب أن يكون مبكراً حيث البيئات الفقيرة ففي المدرسة يجد الطفل الهواء النقي والشمس الساطعة والنوادي والملاعب وكل ما يفتقر إليه في منزله كما أنه من الأفضل التوسع في إنشاء دور الحضانة لاتجاه المرأة للتعليم والعمل وعدم تفرغ المرأة لطفلها، على أن يلقى الطفل فيها الحنان الذي افتقده لانصراف الأم للعمل.

د ــ دور المجتمع:

يختلف دور المجتمع تبعاً للاستعداد الشخصي والعوامل الوراثية، والفرد يتكيف بما يتفق مع البيئة الاجتماعية ومتطلباتها وما بها من صفات وخصال، فيتصف أفراد المجتمع الصحراوي بالشجاعة والصبر والتجلد، على حين يتصف سكان المجتمع الزراعي بالراحة والهدوء. والتربية تكيف اجتماعي إذ تشكل حياة الفرد بالشكل الذي يوافق عليه المجتمع ويقره. وهذا التكيف يكون مع كل النظم الاجتماعية من أسرة ودولة ونظم دينية واقتصادية وغيرها من النظم، لأن الحياة غير مجزأة. والمؤثرات التي تؤثر في الفرد هي:

أ – الكتب والصحافة:

الكتب والمجلات والصحافة تلقن الفرد المعلومات وتراثه الثقافي ومبادئ المجتمع. أي أنها تبدأ في تشكيله بالصورة التي يرغبها المجتمع . وللصحافة والمجلات والكتب خطورتها ولذلك تراقبها الدولة نظراً لما بها من آراء قد تغير المجتمع وتخربه.

ب – الإعلام: (إذاعة، تلفاز، سينما، مسرح).

تقوم وسائل الإعلام بنقل ثقافات العالم وتزود الناس بالأفكار والآراء والخطب، والنشرات والبرامج. هذا إلى جانب البرامج الفنية والترفيهية وتقوم المدارس بعمل إذاعات خاصة بها. بمثل هذا تقوم المسارح ودور السينما منها دورها في إذاعات

www.iqra.ahlamontada.com

خاصة بها. وبمثل هذا تقوم المسارح ودور السينما منها دورها في الثقافة العامة وعلى الدولة مراقبتها لأن انحرافها يحطم أخلاقيات المجتمع.

إذاً دور المجتمع بارز في مد الأفراد بالعادات والتقاليد والمثل العليا وما يربطه بغيره ويتفاهم معه عن طريق اللغة والكتابة، والمجتمع يقدم الخبرات المتعددة المتنوعة والتي يتبادلها الطبيب مع المهندس، مع المدرس والعامل مما يجعل الفرد ينمو متكاملاً من جميع الجوانب الجسمية والعقلية والروحية والخلقية والعاطفية والجمالية والاجتماعية. كما ينمي القدرات والخبرات . والمجتمع يهيئ للفرد العمل الذي يتناسب مع مؤهلاته وقدراته. كما أن المجتمع يربي في الفرد الشعور بالمسؤولية مما يجعله مواطناً صالحاً.

هـ - دور الأمة:

كان انتماء الفرد قديماً للمجتمع الذي يعيش فيه وحالياً صار انتماؤه للأمة، يشعر ويتألم ويسر بما يحدث لأخيه في أقصى بقاع الأرض. وساعد على ذلك:

١- انتشار وسائل المواصلات المختلفة مما سهل الانتقال. والإذاعة والتلفاز جعلت الفرد يعرف كل ما يدور في العالم ويتأثر به.

٢- انتقال الكتب والمجلات والصحف بين الدول مما سهل الاطلاع على أحدث الأفكار وعقد المؤتمرات والندوات واللقاءات الثقافية والتبادل الثقافي.

٣- تستطيع التربية إزالة الأفكار المتأخرة التي تدور حول نظام الطبقات النظرية العنصرية، لأن الجميع أبناء لأب واحد وأم واحدة ودين واحد.

ج - وظائف التربية:

تختلف وظائف التربية من مجتمع لآخر، بل ومن زمن لآخر. ففي مصر الفرعونية اهتمت التربية بالفنون والصناعات وإقامة المباني الضخمة، كالمعابد والأهرامات، واستطاع الفرد بما وصل إليه من علوم وتقدم زراعي أن يحيا سعيداً في دنياه. لاعتقاده بالبعث، تمسك بالخلق الفاضل يرضي الآلهة كما اهتم بالتحنيط وبالمقبرة ليعش من جديد.

www.iqra.ahlamontada.com

بينما في اليونان، نجد وظيفة التربية تختلف عنها في مصر، بل وتختلف وظيفة التربية في مدينة أثينا اليونانية عنها في إسبرطة اليونانية الثانية، ففي مدينة أثينا وظيفة التربية الدعوة إلى السلام وطاعة القانون واحترام الأقلية رأي الأغلبية . بينما في مدينة إسبرطة كانت التربية تعد الفرد ليكون جلداً شجاعاً، وتتركه في العراء ليقاوم الظروف القاسية. كما كانت تثقفه بالعلوم وتعده للحرب، وتطبق القانون بصرامة.

وعند العرب قبل الإسلام، قامت التربية بالتركيز على ما هو ضروري لحفظ الحياة، والحث على التمسك بالعادات الفاضلة كما وجد بعض التطرف في قيمهم كالعصبية ووأد البنات ثم جاء الإسلام وجعل هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس.

وإذا كانت وظائف التربية قديماً تختلف من مجتمع لآخر بل ومن مكان لآخر في داخل المجتمع الواحد، فأنها حديثاً تختلف أيضاً ففي اليابان كانت وظائف التربية تتجه اتجاهاً عسكرياً، والطاعة التامة للإمبراطور وهو شخصية مقدسة، والإخلاص التام للوطن والتضحية بالروح في سبيله.

وفي ألمانيا النازية كانت التربية تتجه اتجاهاً عسكرياً أيضاً، وأن الشعب الألماني أول شعوب العالم ويجب أن يسود العالم وإطاعة الزعماء والولاء للوطن، وبعد هزيمة كل من ألمانيا واليابان في الحرب العالمية الثانية، تغيرت وظائف التربية فيهما بعض الشيء.

وفي إنكلترا تتجه التربية للاهتمام بالأجسام القوية والتمسك بالعقيدة . وتمهد للوظائف التي قد يلحق بها وإطاعة القانون واحترامه.

وفي الولايات المتحدة تهتم التربية بتهيئة الفرد للحياة العملية وليكون رجل أعمال ناجح. وتتيح له الحرية في العمل وفي السياسة.

وفي روسيا تتجه التربية إلى نشر اللادين. وصب الفرد في قالب مادي، والقضاء على الأفكار المعاصرة، والخضوع لنظام الحكام بدون مناقش، وتعذيب كل مخالف.

www.iqra.ahlamontada.com

والتربية عند المسلمين تهيئ الفرد لينال سعادة الدنيا والآخرة. فمن اتخذ من الإسلام ديناً. وجعل من فضائله وتعاليمه هادياً ودليلاً حقق الله له الخير في الدارين[1].

فما يراه المربي صالحاً في مجتمع لا يعمل على تطبيقه في مجتمع آخر.

نظراً لاختلاف البيئة الطبيعية والاجتماعية. ووظيفة التربية كما يراها البعض أنها بالنسبة للمجتمع تحفظ التراث الثقافي . وبالنسبة للفرد تطبع الصورة الاجتماعية فيه، أي أنها وسيلة يغرس بها المجتمع القواعد الأساسية لبقائه في نفوس الأفراد، فإذا كانت الأفكار مادية كانت الوظائف مادية، وإذا كانت معنوية تدور حول الفضائل والمثل العليا كانت الوظائف كذلك. إن هذا الزمان هو زمان (المواطن العالمي) يدفعه إلى أن يجوب الأرض معلماً ومتعلماً وآخذاً ومعطياً. ومهمة التربية أن تؤهل الشباب لذلك...

٢ـ التربية الإسلامية:

أ – أغراضها وأهدافها: تهدف التربية الإسلامية إلى الإيمان بالله والخضوع له والعمل على إرضائه، والتمسك بالأخلاق الكريمة والخصال الحميدة، وعدم الإيذاء، وحب الخير، وترتكز أهدافها على ما يلي:

أولاً: تربية الفرد على ضوء مكانته وطبيعته.

ثانياً: تربية الدعاة.

ثالثاً: تربية الأمة.

رابعاً: دعوة الناس إلى التوحيد.

أولاً: تربية الفرد على ضوء الإسلام مكانته وطبيعته

ينظر الإسلام إلى الفرد نظرة واقعية، ويقوم بتربيته من جميع النواحي الروحية والاجتماعية والعلمية والعملية، ويعالج طبيعته على حسب طاقتها، ومقوماتها، ويسمو بالنوازع الفطرية. ويعمل على توازن شخصية الفرد مع مجتمعه، وتقوم التربية الإسلامية بما يلي:

---

(١) ومما يستحسن تضيف أنماط ووظائف التربية حسب المذاهب والملل لا حسب الأمم والدول وإن كان الواقع يفرض علينا الحالة الثانية.

www.iqra.ahlamontada.com

١- إعداد الفرد خليفة في الأرض: لقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١].

والإنسان يسجد لله تعبداً وشكراً والروح تهتدي بطبيعتها إلى خالقها. ولقد أعده الله للاضطلاع بهذه المهمة فقد خلقه في أحسن تقويم وزوده بالعقل والمعرفة كما زوده بالإيمان والسلوك. كل ذلك ليعمر الأرض ويستغل ثرواتها ويحاول أن يفسر الكون ويرى عجائب الله في خلقه فيزداد إيماناً ويعبده شاكراً له من الأعماق وليحيا على الأرض حياة سعيدة . قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[٢].

٢- إعداد الفرد المكرم:

لقد كرم الإسلام الفرد وفضله على كثير من المخلوقات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٣].

الإسلام يدرك تمام الإدراك جوانب الفرد وأنه يتركب من روح ومادة، والتربية الإسلامية تعمل على أن يكون الإنسان سيد المخلوقات كما أراد الله له. وهذا الإنسان يرى في عجائب الكون ما يجعله أكثر إيماناً، والمؤمن يتميز بالصبر وبالتواضع ولا يهين كرامته، ويعمل لدنياه وآخرته. ولم يقتصر إكرام الله للإنسان على جنس دون جنس، فهم جميعاً متساوون لأنهم من أب واحد.

٣- إعداد الإنسان ليتحمل المسؤولية:

الفرد مسؤول مسؤولية تامة عن عمله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة: الآية (٣٠).

(٢) سورة النحل: الآية (٩٧).

(٣) سورة الإسراء: الآية (٧٠).

(٤)سورة المدثر: الآية (٣٨).

www.iqra.ahlamontada.com

والله سبحانه وتعالى جعل لديه ما يميز بين الخير والشر: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1].

والتربية الإسلامية تتميز بالواقعية وسهولة التطبيق، وتدرك جوانب الخير في الإنسان وجوانب الشر فيه أيضاً وعليها أن تنمي ميول الخير فيه وتجعله يسيطر على جوانب الشر، وعلى المربي أن يدرك الفروق الفردية وان ما يصلح لهذا لا يصلح لذاك. وتحض المسلم على ألا يأتمر إلا بأمر الله، ولا ينصاع لأوامر أحد فيما يغضب الله بتحمله المسؤولية، والإسلام ليس بمعزل عن الحياة وإنما كل فرد في المجتمع المسلم له عمله، وعليه واجباته، لا يتسامح معه في شيء إلا بقدر مشروع. ويقدم المسلم على العمل بشجاعة وبقوة. فهو يدرك تمام الإدراك أن ما أصابه لم يكن ليخطئه.

وما أخطاه لم يكن ليصيبه. ولذلك فهو لا يحزن على ما فاته ولا يفرح بما آتاه.

ثانياً: تربية الدعاة

الدعوة للإسلام واجبة على كل مسلم. ويجب على الداعي أن يكون قدوة ومثالاً مشرفاً للمسلم من حيث التصرفات والمعاملات والصفات. كما يجب عليه أن يسلك الطريق المؤدية إلى تحقيق غرضه واجتذاب الناس إلى دعوته. وليس كل فرد يستطيع أن ينجح في هذه المهمة نجاح الآخرين، فعن الرسول (ﷺ) قوله: «**كل امرئ مهيأ لما خلق له**»[2].

ويشترط في الداعي أن:

١- يجيد المناظرة، حاضر البديهة، يقظاً ذكياً، نظراً لما يقابله من أفراد يختلفون عنه في الأفكار والثقافة وما هم عليه من مكر وإجادة المناورة.

٢- يكون قوى الجسم سليم الحواس، ليتحمل المشاق وكثرة الترحال.

---

(١)سورة الإسراء: الآية (٣٦).

(٢) الحاكم، محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت، در، د ت، ح٢ ص٤٦٢ في كنز العمال للهندي ح١ ص١١٠ رقم الحديث (٥١٢) «**أعملوا فكل ميسر لما خلق له**».

www.iqra.ahlamontada.com

٣- لا يكون هدفه الكسب المادي، بل يعمل عن امتناع، وبذلك يستطيع أن يقنع غيره، وأن يقرن الأقوال بالأفعال.

٤- أن يتمسك بالصبر، فالطريق ليس مهداً، وقد يتعرض لأنواع مختلفة من الإيذاء.

٥- يقتدي بالرسول عليه (ﷺ) في شجاعته الأدبية عندما قال لعمه أبي طالب « **والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته** »[1].

٦- لا ينظر للحياة بيأس، وعليه أن يكون الأمل رائده، فلا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس.

٧- لا يتعالى ولا ينسى عبوديته لله. ولا يدعي عندما ينجح في رسالته أنه يعلم الغيب وأن الله اصطفاه، ويستغل سذاجة أتباعه.

٨- يكون ملماً بعادات وتقاليد المجتمع الذي يدعو فيه إلى الإسلام . وأن يبرز أن الإسلام يحث على العلم والمعرفة وأنه صالح لكل زمان ومكان، وحبذا لو كانت لديه معلومات طبية ليقدم لهم الشفاء فيستميل قلوبهم، وأن يكون ملماً باللغات واللهجات وتاريخهم وحضارتهم.

٩- ألا يحاول الإكراه في الدين، بل يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، وألا يدخل في متاهات الجدال مع الذين يريدون إضاعة الوقت، وأن يكون طريقته في التفاهم قائمة على الإقناع والتسامح وتقديم كل المساعدات المختلفة للآخرين.

ثالثاً: تربية الأمة:

يقاس مدى رقي الأمة بما لديها من ثقافة متنوعة متقدمة، وبالتربية الصالحة وإذا كان الإسلام يهتم بتربية الفرد، فإنه يهتم أيضاً بتربية الأمة، الأمة التي ترعى أفرادها وتعمل على رفع شأنهم، الأمة التي تقيم علاقات طيبه وتكافئ مع الأمم الأخرى،

---

(١) ابن سيد الناس، محمد بن محمد: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت ص١٢٤.

www.iqra.ahlamontada.com

وتكون لها قدوة صالحة تكون مثالاً طيباً على عظمة الدين الإسلامي. والعلاقات الاجتماعية بين أفراد الأمة عديدة، وتشمل كل متطلبات الحياة من نظم سياسية وعلاقات اجتماعية واقتصادية وقضائية وأخلاقية وغيرها. ويمكن حصر أهم هذه العلاقات فيما يلي:

أ – تماسك أفراد الأمة ليكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

ب – أن تجمع الزكاة لأنها حق معلوم للسائل والمحروم.

ج – جمع الصدقات وتوزيعها عل الفقراء والمحتاجين.

د – أن يقام العدل بين الإفراد.

هـ- لا فرق بين فرد وآخر.

و – أن يسود التعاون الذي يقوي المجتمع ويرفع مستواه، وان يكون قائماً على البر والتقوى.

ز – أن يكون الحكم قائماً على المساواة بين الناس لا فرق بين غني وفقير.

ح– أن تسود المحبة والمودة بدلاً من الحقد والكراهية.

ط– ألا يذل الفرد بل يحترم كالإنسان كما يحترم أفكاره.

ي– ألا تقام القيود على الفكر.

ك– ألا يكون استبداد سياسي أو استبداد إداري وأمرهم شورى بينهم.

ل – الحض على الجهاد والدعوة.

م- ألا يكون الزور وشهادة الزور.

كما يحض الإسلام على الوفاء بالعقود وبالصدق والدعوة له، وأن تكون الأمة الإسلامية يقظة وقوية لترد كيد الأعداء وهجماتهم عليها، أما إذا اجنحوا للسلم فلتجنح لها، لقوله تعالى : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1].

---

(١)سورة الأنفال: الآية (٦١).

www.iqra.ahlamontada.com

دعوة الناس إلى التوحيد:

إنها الهدف الأساسي للتربية. يجب أن يعمل لها كل فرد وجماعة وأمة مسلمة. لهذا حث الإسلام على الجهاد والقتال في سبيل الله. ولهذا حارب الإسلام الشرك في أي مكان وفي أية صورة والدعوة إلى التوحيد يسأل عنها كل فرد يوم القيامة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾(١).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾(٢).

ب – وسائل التربية الإسلامية:

تختلف الأساليب وتتطور كما تتأثر في الوقت نفسه بما يدركه المربي من فروق فردية بين الأشخاص وما تقتضيه هذه الفروق من تنوع في الأسلوب. ومن هذه الوسائل:

١- العمل والتكرار

٢- المحاولة والخطأ،

٣- الحوار.

٤- استعمال الحواس.

٥- القصص وضرب الأمثال.

٦- مراعاة الاستعدادات الفطرية والنفسية.

٧- القدوة الصالحة.

٨- الاتصال بمصادر العلوم.

٩- التأمل.

١٠- لنصح والإرشاد.

١١- التربية اللغوية واستخدام تعدد الألفاظ في احتواء المفهوم.

---

(١)سورة الزخرف: الآية (٤٤).

(٢)سورة النساء: الآية (٤٨).

www.iqra.ahlamontada.com

ج – خصائص التربية الإسلامية:

تختص التربية الإسلامية بالأمور التالية:

١- التربية الجسمية.	٤- التربية العقلية.	٧- التربية الروحية.
٢- التربية الأخلاقية.	٥- التربية العاطفية.	٨- التربية الجمالية.
٣- التربية الاجتماعية.	٦- التربية العملية.	

٣-الفراغ التربوي:

ولن أتحرج أن اذكر هنا صور للخلل التربوي الذي نشأ عن عدم وجود تربية حقيقية:

أ- الأمة الفارغة (تربوياً) يلاحظ فيها صور شتى هي:

الأثرة، واحتباس الفرد داخل إحساسه بنفسه وحدها، وهو إحساس تحده من جهاته الأربع المطالب الدنيوية، وهذا الإحساس يمتد رغباً أو ينكمش رهباً وفق ظروف خارجة عن الإرادة.

ب- السلبية شيمة الجماعات المتخلفة ؟؟

١- فهي تسكن أو تضطرب مع صحو الجو أو غيمه، دون أن يكون لها أثر ما في(تكييف)الجو الذي تحيا به.

٢ – في القرى ترى الناس يعيشون في قماقم من الفتور والقصور في طلب ما يحتاجون والرجال والنساء يجمعهم خطأ التصور لمعنى الحياة، ولديهم مجموعات من الأحكام الخاطئة في شؤون الدين والدنيا.

٣- في البيئات المختلفة. يدور جل النشاط الإنساني على مشاعر بدائية، دون هيمنته للدين إن وجد، فترى جماهير الناس يديرون مجتمعاتهم على محاور بسيطة تافهة، وليس الصراع على ضرورات العيش هو الذي يصبغ علاقاتهم ـ مع الضنك الواقع بهم ـ وإنما هو الصراع على تسمية علماء النفس (الشعور الإيجابي بالذات). الغيبة التي تغشو في مجالسهم، والخصومات التي تريق دماءهم، والعادات التي ترهق

www.iqra.ahlamontada.com

أعصابهم، وتبدد أموالهم، تلك جميعاً مظاهر لعلة واحدة، رغبة النفس في إثبات وجودها في نطاق الأساليب التي يمليها ضعف المعرفة وخطأ الحكم.

هـ - المدن بعد أن غلبت عليها قشور المدنية الغربية، فماذا ترى:

الانزواء النفسي الضيق، والأثرة عينها، وانشغال كل امرئ بقضيته الخاصة، وعاطفه الجوار بين سكان البيت الواحد مهدومة، والبيوت الآن تضم أسراً كثيرة، ولو أن روح التعاون والألفة سادتهم، لحققت لهم خيراً كبيراً في معايشهم، بَلْه ثواب الله!! .

وإذا انطلقت في الشارع فإن عينك تقع على كلمات وكلمات يكتبها أصحاب وسائل النقل على سيارتهم، وقد ألتفت عجباً وأنا أقرأ على إحدى العربات كلمة (كَيْداهم) فيم الكيد أيها المالك الأحمق؟ وقد تجد آخر يكتب كلمة (توكلت على الله) أو (في رعاية الله) وهي كلمات من الطلاء نقشت على لوح جامد لا تساوي عند صاحبها شيئاً إلا في منظر يريد إخفاءه أو كلمة يريد إظهارها.

إن الإيمان ليس خطأً جميلاً تزخرف به وجوه المحال، بل هو جذور تتغلغل في القلب، وتمتد فروعها في السلوك، وتبدو ثمراتها في الأخلاق والمعاملات.

وهو ما نفقده في مجالات التربية عندنا وفي صميم الحياة، وطقوس العبادات يمكن استصحابها مع أسوأ ما في النفس الإنسانية من أطماع ورذائل يعد أن هذه الطقوس لا قيمة لها عند الله.

٤ - حاضر العالم الإسلامي:

تسود عالمنا ضلالات شتى انحدر بعضها إلينا مع مواريث الانحلال الذي اعترى التربية الإسلامية منذ قرون وهذا ما يجب الاعتراف به.

فكم من جهل سمي علماً، ومن بدعة سميت سنة، ومن انحراف سمي استقامة، ومن شهوة سميت ديناً. وهكذا انتشرت بيننا عناوين مزيفة، ومفاهيم مشوهة. جعلت المنكر معروفاً والمعروف منكراً.

www.iqra.ahlamontada.com

وإلى جانب هذه الموروثات تسربت مع حضارة الغرب المقتحم الغازي ضلالات أخرى، زادت الأمة العليلة مرضاً: فالفوضى حرية، والعلاقات الجنسية المنكورة تسمى حباً، أو صداقة، والكفر بالله يسمى تقدمية.

وإقرار الدنية في الخلق والسلوك يسمى واقعية ومحاولة العودة إلى الإسلام تسمى رجعية.

وتضطرب موازين الأمور بين التيارين، فسجن المرأة من المهد إلى اللحد دين، وحشرها في كل ميدان حضارة، وكلا الأمرين في نظرنا وهم في الدين، وكذب على الحضارة.

التعليم الديني في المدارس الإسلامية دين، والتعليم المدني كما يعرف في المدارس الأخرى حضارة وكلا الأمرين تدليس على الدين وافتراء على الحضارة.

إن التربية الصحيحة المجدية أكبر شأناً من أن تحصر بين تقاليد الأقدمين، وبين مزاعم المحدثين المأخوذين ببرق الغرب وانتصار الفرد الفكري في بلادنا، وتحسين الحسن، وتقبيح القبيح، يتطلب تفجير أنهار من المعرفة تروي ظمأ الناس إلى ما يُذهب جهالتهم.

إن بلاد الإسلام تعرضت لقحط وفراغ تربوي علمي مروع منذ مئات السنين.

إن لكل مجتمع معالم يقف عندها، وشعائر يكلف بتوقيرها، والمجتمع المسلم لايبني حياته إلا على يقين بإله واحد، ولا نرسم خطوط مجتمعنا وآفاق أنفسنا إلا وفق هدايات الله سبحانه وتعالى كما بلغها رسله الأكرمون، وكما أوضحها وفصلها سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم!!

ومن ثم فلن نقبل البتة إشاعة وفكرة الإلحاد والفاحشة في حياتنا.

ولن نقبل البتة حذف الصلاة والزكاة والصيام والحج من أعمالنا.

ولن نقبل البتة إهدار أحكام الله في مختلف قضايانا، وسائر شؤوننا.

ولن نقبل أبداً أي سياسة تربوية، أو اجتماعية تخفف من قبضة الجماهير على دينها.

www.iqra.ahlamontada.com

أو تهون عليها استخفاء متعلقات الإيمان من أرجاء الحياة العامة .

٢- الفراغ في النظام التعليمي:

إن الفتنة بالحضارة الغربية جعلت بعض المثقفين من معلمين وتلاميذ يتساءلون:إن الغرب كافر وجاحد، ومع هذا فهو قوي متحضر متمكن في الأرض... وهو بالرغم من عدم تدينه فهو ذو أخلاق....

ونحن بالرغم من أننا أصحاب دين ـ ضعاف متخلقون، وفضلاً عن ذلك فنحن أمة بلا أخلاق.. ؟

إن الفتنة بهذا الأمر تجعل ثقة هؤلاء المتعلمين ضعيفة بدينهم فيتجهون إلى ترك الدين والاحتذاء بعقل الغرب حين انسلخ عن دينه ليتقدم ويتحضر.

ومن أجل هذا ينبغي توضيح الخطأ في طرفي المعادلة، الذي لم يكن أثره واضحاً يوم بدأت الفتنة.

صحيح إن الغرب جاحد وكافر وهي تجمع في أيديه كل أسباب القوة والتحضر والتمكين في الأرض، ولكن هذا الكفر أو الجحود ليس عديم الأثر، كما يتوهم البعض من المتعلمين لأول مرة..

فالحقيقة أن الكفر له تأثيران عميقان في كيانها كله . أحدهما قريب صاحب هذه الحضارة منذ مولدها، ويزداد معها على الدوام .والآخر ينتظرها في نهاية المطاف...

أما الأول فهو القلق النفسي والعصبي والفكري، لأن الله الذي فتح عليهم أبواب كل شيء لما نسوا ما ذكروا به: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[1].

فالقلق هو سمة غالبة على هذه الحضارة منذ يومها الأول، ولكن حصيلته تزداد وضوحاً يوماً بعد يوم. وتقول الإحصاءات إنه أخذ في الازدياد، سواء في صورة

---

(١) سورة الأنعام: الآية(٤٤)

www.iqra.ahlamontada.com

أمراض نفسية وعصبية، أو جنون أو انتحار، أو إدمان على الخمر والمخدرات، أو جنوح إلى الجريمة، أو تمزق في علاقات الأسرة وعلاقات المجتمع... الخ.

أما التأثير الثاني الذي ينتظر هذه الحضارة، في نهاية المطاف، فهو الانهيار الذي تنبأ به كثير من (عقلاء) تلك الحضارة نفسها، وإن كانوا لم يملكوا لأنفسهم الفكاك، لأنهم ينذرون غيرهم بالخطر وهم أنفسهم في داخل هذا الكيان المنهار.

إن الحضارة الغربية لن تنهار بالسرعة التي يتخيلها بعض الناس حين نتكلم عن الانهيار، والسبب في هذا أنها تحمل من أسباب القوة والإيجابية ما يؤخر الانهيار المحتوم.

إن هذه الحضارة منطوية على قوة العلم، وقوة الصبر والجلد على العمل، وعبقرية التنظيم، والروح العملية في دراسة المشاكل والبحث عن حلول لها، كما تحمل تيسيرات نافعة في كثير من جوانب الحياة، تحاول أن ترفع الجهد عن كاهل الإنسان وتحمله للآلة... وكل هذه قوى تمسك بالكيان المتساقط، وتمنعه من السقوط السريع، رغم كل (الأوزار) التي تدفع به إلى الانهيار، ومع كل هذا فإنها لا تستطيع أن تحول و النهاية المحتومة، لأنها من سنن الله.

أما قضية (الأخلاق) فقد تكشفت عن كونها أخلاقاً (نفعية)، وليست أخلاقاً حقيقية، إنها جميلة المظهر ولكنها عديمة الجذور، لأنها لا تتصل بالمعين الحقيقي للأخلاق ـ وهو الدين ـ ولذلك أخذت تذوي....

ونرى هذا الجيل الغربي ينسلخ تدريجياً من تلك الأخلاق وينزلق إلى الجريمة، وإلى الفوضوية وانعدام المبالاة... وهذه النسبة آخذة في الازدياد.

ومن الجدير بالذكر أن عالمنا الإسلامي في الوقت الحالي كثرت فيه الأمراض، نتيجة تبعيتنا للغرب في مناهجه عامة، وبعدنا عن عقيدتنا أو اغترابنا عن ديننا وتعاليمه، الذي فيه قوام أمرنا ورشده، ما يحقق لنا سعادة الدارين.

يعتبر مفهوم الاغتراب نوعاً جوهرياً في الفكر الغربي المعاصر، وإن أول من قام باستيعاب هذه الظاهرة المفكر الغربي (هيغل) الذي استطاع أن يوضح هذا في فكره

www.iqra.ahlamontada.com

وفلسفته، مما أتاح لهذه الظاهرة الدخول إلى علم الاجتماع المعاصر[1]، وقد بحث هذه الظاهرة علماء آخرون تأثروا به، مثل: ماركس، وفرويد ودور كاريم، كما نفذ الواقع الاغترابي في البناء الاجتماعي المعاصر العديد من العلماء غيرهم أمثال: توكنيل وزمل وماركيوز[2]... وبالرغم من أن دراساتهم العلمية قد ألقت الضوء على هذه الظاهرة الاجتماعية، فقد أوضح كل منهم جوانب اغترابية مضيفاً إلى المعرفة جانباً من جوانب الاغتراب في مجتمع معاصر.

قد ساعدت جهود علمائنا المسلمين، التي بذلوها في إلقاء الضوء على عملية الفهم النسقي، والإحاطة بأبعاد الواقع الاجتماعي، وإدراك المعارف الحقيقية.. ساعدت هذه الأعمال كثيراً على توضيح سوء الفهم الذي يواكب الاهتمام بعناصر مفهوم الاغتراب، كل على حدا ومن قبل العلماء الغربيين.

أما كيف تسرب الفراغ إلى نظامنا التعليمي:

عندما أخذ الغرب في تقدمه فإن مجتمعاتنا لم تلتفت إلى هذه النهضة، ولم تأبه بها، ولم يهتم بها العلماء والباحثون، فتقدم العالم ونحن واقفون في مكاننا، وسلك ركب القوم الطرق الجديدة المفيدة، وبقينا نحن عل طريقتنا مغتربين لما عندنا، نحسب أن الدنيا لا تزال كما كانت أيام القوة والمنعة، وأن علومنا وجهالتهم لا تزال كما وصفها البطل أسامة بن منقذ في كتاب (الاعتبار)، وقد وصف علماؤنا في المرحلة الأخيرة من عمر حضارتنا الإسلامية والتي تمثلت في عهد الحكم العثماني الأخير وعالمنا الإسلامي في القرن العشرين بأنها كانت قرن الجمع والتقليد. حيث انتهى وقت الزرع والحصاد، وجاء موعد الخزن، أو موعد اللهو ـ الفراغ، ففي القرن التاسع عشر

---

(١) شتا، السيد علي: نظرية الاغتراب، مرجع سابق ص ٣٣ وما بعدها.

(٢) ماركوز، هربرت (m arcuse herbert) برلين ١٨٩٨(م ١٣١٥هـ /١٩٨٩م-١٤٠٩هـ) فيلسوف أمريكي، ألماني الأصل درس في جامعة كولومبيا وهارفرد ثم بوسطن، من مؤلفاته: الثقافة والمجتمع – العقل والثورة – البعد الجمالي.

- ألفا، زوني إلي: موسوعة أعلام الفلسفة، مرجع سابق، ح٢ ص ٤٣٥ (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

جمعت الثمرات وخزنت مكدسة مختلطة في مَعْلَمْات (دوائر المعارف) مثل: (الإتقان في علوم القرآن) و(المزهر في علوم اللغة) و(نهاية الأرب وصبح الأعش) وغيرها. ومر القرن الماضي ونحن أفضل ما تقدمه حضارة الغرب نقلها وتوضيحها وإقامة الواقع عليها..

وفقد الابتكار تماماً، وصار العلم تكراراً وإعادة، وصار الفقه أحكاماً بلا دليل، والفقيه راوية بلا اجتهاد، والنحوي حافظاً بلا ملكة، والبلاغة أبعد شيء عن صناعة البيان، والأدب صار مقتصراً على حكم ابن الوردي، وقصائد عصر الضعف والخذلان، ونسي شعر جرير والفرزدق وأبي تمام وأبي فراس و البحتري[1].

وفراغنا التعليمي يتمثل بالتالي:

إن أساس كل منهج تعليمي هو التركيب والتأليف في عالم الأشخاص حيث يقوم الاهتمام التربوي الخلقية لكل العناصر... بمعنى فإن التعليم هو برنامج تربوي لتوجيه العناصر الثقافية في عالم الأشخاص داخل البناء الاجتماعي بما يتفق وسمو الغاية، دون أن ينتج عن ذلك أورام ثقافية. وفي حالات التأخر والفراغ التعليمي الحضاري، تصبح هذه العلوم وصناعاتها لا تتفاعل معها كي تؤدي وظيفتها. وتنغلق على نفسها، مما يؤدي إلى كسادها.

وإذا كان التعليم فارغاً عندما لا يرتبط بأهداف وقيم المجتمع العليا، لكي تكون وسائل إلى غيرها من الأهداف. وإن قصر معنى التعليم عندنا، والتنكر للعلوم التي تتعلق بالأنفس وقوانين الحضارة، فلم يمكننا هذا من استعادة القدرات العلمية من أجل مواصلة الأبحاث التي قام بها أجدادنا في مجال هذه العلوم لإتمام إخضاعها.

---

(١) الطنطاوي، علي، موقفنا من الحضارة الغربية، جريدة الشرق الأوسط، دين وتراث، العدد (٣٤٩٥٩) ١٩٨٨/٦/٢٣ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

ـ إن فعالية نظامنا التعليمي في ضمور:

ومن مظاهر الفراغ التعليمي عندنا أن "مناهج التعليم القديمة في القرون الأخيرة انحصرت في دراسات لغوية وأدبية وفقهية، ولم تعد تدرس في معاهد التعليم المختلفة، أية مناهج علمية تجريبية، وأصبح تراثنا في هذه المجالات كأنه ليس تراثنا، ومن هنا كانت الحرف التي نشأت في العالم الإسلامي، والصناعات التي بدأت فيه معتمداً على التقليد والمحاكاة والنقل. وهذا يظهر أن التعليم في أيامنا فقد جانبه التجريبي المتصل بالحياة، وفقد الحضور الذهني الذي يتساءل أي نوع من التعليم يلزم لوظيفة اجتماعية معينة، ومعنى هذا أن التعليم في بلادنا قد فقد ارتباطه أن يكون له مهمة اجتماعية معينة محددة كماً ونوعاً ضمن سياسة تخطيطية سليمة تهدف إلى النهوض بالأمة على أساس هويتها، ومع فقدان العلم التجريبي فقدنا الحلقة في السلسلة التي تصلنا بالتقنية المعاصرة .

ظهور ازدواجية التعليم:

ولكي يأمن الغرب على نفسه من صحوتنا المرتقبة، عمل الغرب على أن يستنبت في أرضنا الفكرية والعلمية ما يسمى بازدواجية التعليم، التي هي عبارة عن نقل العلوم والمعارف الجديدة التي وضعها الغرب من أجل تنفيذ خططه في تحقيق تبعيتنا للغرب ومنتجاته الفكرية والصناعية ونتيجة لحالة جهلنا وضعفنا هذه، أقبلنا على هذه العلوم والمعارف نأخذها بشكل حرفي، وكان نتيجة ذلك تجزؤ معرفتنا وتشتتها، أي فقدانها لتكاملها الوظيفي ومن ثم تكريس حالة الفراغ من خلال عملية التطور التي رعت نموها هيمنة العولمة والاستعمار، ولم تأخذ من التقدم النافع إلا جزيئات وقضايا صغيرة ليست مهمة"(١).

إن ما يدرس في جامعاتنا من العلوم هو الأفكار التي عجنتها الأمم الغربية ثم قذفت بها إلينا لعدم نفعها، أو لأنها أدت وظيفتها، فلا يصل إلينا إلا بقايا وفضلات

---

(١) الملقي، هيام: ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري، مرجع سابق، ص (١٦٧).

www.iqra.ahlamontada.com

استغنوا عنها، واستبقوا لأنفسهم مالا نفكر فيه، ذلك لأن الغرب لا يعطي أسرار علومه لنا، هذا من جهة .ومن جهة أخرى فإن انبهاء أبناء الأمة بالمكنة الغربية، مع اقتناعهم بقوة مركزها يجعلهم يقلدون هذا المركز، ويعملون على محاكاته، لأن المغلوب مولع بتقليد الغالب، لذلك تجد المحتكين بالتكنولوجيا الغربية خاصة الشباب أكثر ولعاً بالنموذج الغربي، حيث يمثل المظهر التكنولوجي عامل تقليد لشبابنا لهذا النموذج وفكرة الصيغ التي يطرحها الغرب[1].

ومرد ذلك أن التقدم في العلوم التكنولوجية الحديثة يجعل طبيعة الإعداد في الجامعات الغربية، وجامعاتنا خاصة، يجعلها معنى إيدولوجياً، فهي علوم عالمية من جهة، كما أنها تحمل تأكيداً عملياً بمركزية الغرب فيها.

وأيضاً إن انتشار ازدواجية التعليم كان من نتيجة زيادة إهمالنا للعلم التجريبي، الذي أضعفناه في فترة ترهل مسيرتنا الثقافية والعلمية.

وكان من الأولى لنا أن نرجع إلى ذاتيتنا، فنتبصر بعيوبنا ومحاسننا وإمكانياتنا والمعوقات التي تعترض طريقنا، ونقوم بأسلحة علومنا وثقافتنا لكي تتوجه معارفنا وصناعاتنا فيما يقوي ذاتنا العلمية والمادية والسلوكية وغيرها.

بالإضافة لما تعاني الجامعات العربية من عزلتها عن المجتمع، ويظهر جلياً من كليات العلوم الإنسانية.

١- كليات الآداب بصفة خاصة. تبدو منعزلة تقريباً عن حركة الإبداع الأدبي في العالم العربي ويشكل هذا عاملاً أساسياً من عوامل الأمية الثقافية التي تستشري في المجتمع العربي.

٢- اغتراب المجتمع من جراء إغتراب ثقافته وتعليمه التي أصبحت مفروضة على المجتمع بشكل مباشر أو غير مباشر. ويرجع أسباب ذلك لتبعيتنا للغرب في تعليمنا وثقافتنا ومشاريعه وأهدافه وأعماله السياسية وغير السياسية.

---

(١) قلاله، محمد سليم، التعريب في الفكر والسياسة والاقتصاد، دار الفكر، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ص ٦١ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

٣- العزلة المفروضة على الجامعة، حيث عدم تمكينها من المشاركة في قيادة المجتمع.

٤- العزلة المفروضة على الجامعة من حيث عدم إتاحة الفرصة لإقامة الندوات فيها لمشاركة الأساتذة من خارج الجامعة، نظراً لأن مثل ذلك يمر بسلسلة طويلة من الإجراءات الروتينية[1].

وهكذا نجد أن ضعف الإمكانيات المخصصة، بالإضافة إلى القيود المفروضة عليها من الخارج، تجعلها عاجزة عن أداء وظيفتها الفكرية والثقافية والتعليمية.

٥- عوائق استغلال الفراغ

نستعرض بعض الأنشطة الحرة التي حرمها الإسلام أو حذر من خطورتها ويمارسها الفرد أحياناً خلال ساعات الفراغ، أو الإجازات القصيرة، أو الطويلة، بعيداً عن مراقبة الأولياء وإشراف المربين والموجهين، ثم ندرس آثارها السيئة، ومخاطرها على.

١- مستقبل أبناء الأمة وسلوكهم:

القيام برحلات مع رفاق السوء إلى المصايف والشواطئ والمنتزهات دون إشراف تربوي:

وقد حذر الإسلام من صحبة الأشرار الذين يثيرون الشهوات الكامنة، ويشجعون على التفلت من القيم الخلقية، ودعى الرسول المربي (ﷺ) إلى صحبة الأخيار، واجتناب جليس السوء، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك: إما أن تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد: يحرق بدنك أو ثوبك، أو تجد منه ريحاً خبيثة** »[2].

---

(١) الملقي، هيام: ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري، دار الشواف، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ص ص١٤٣-١٨٥(بتصرف)

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، مصدر سابق، ح٢ ص٦٨٩، رقم الحديث(١٩٩٥)

www.iqra.ahlamontada.com

٢- السهر الطويل:

في مجالس الأغاني الماجنة، أو الأشرطة المصورة المخلة بالآداب، أو القنوات المختصة ببث الفساد والرذيلة بين أفراد الأمة رجالاً ونساءً، أو اللغو المحرم والسخرية من الآخرين، وقد حذر الله سبحانه من مثل هذه المجالس المثيرة للشهوة والمؤثرة على سلوك الشباب. فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1].

كما نهى ربنا سبحانه عن مجالس اللغو فقال في صفات المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾[2].

ودعا الإسلام إلى حفظ اللسان عن تداول الكلمة الفاسدة فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم** »[3].

٣- الاستغراق في اللعب دون رعاية تربوية:

ودون ضبط للوقت، مما يؤثر على أداء الواجبات الدينية والتعليمية المكلف بها.

٤-اللعب بالنرد و الورق:

وهو لعب محرم لأنه يؤدي إلى قتل الوقت بدون نفع ويثير الخصومات ويترتب عليه مضار صحية وسلوكية، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال (ﷺ): «**من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله** »[4].

---

(١) سورة لقمان: الآية (٦).

(٢) سورة المؤمنون: الآية(٣).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق البغا، مصدر سابق، ح٤، ص ٢٢٤٤، رقم الحديث (٦١١٣).

(٤) الحاكم، محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، مصدر سابق، ح١ ص٥٠.

www.iqra.ahlamontada.com

٥- التجول في الشوارع والأسواق:

ويكون بدون مبرر مقبول أو هدف نافع سوى هدر الوقت والحياة، وتتبع العورات، وحب الاطلاع، ولهذا ينهى القرآن الكريم عن النظر إلى المحرم لأنه، يريد الزنى فقال سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1].

كما حذر الهادي النذير من معاصي الجوارح حينما تستخدم في أغراض فاسدة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: « **كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لامحالة: فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، اليد زناها البطش والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه** »[2].

٦- الجلوس في المقاهي:

تقدم أن أفضل أوقات الفرد ما يقضيه في عبادة الله تعالى وذكره وشكره، بيد أنه لا حرج عليه في وقت يقضيه في لهو مباح، استجابة لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها، إذ يعملون، ويمرحون ويمزحون ويلعبون ويضحكون .قال النبي (ﷺ): « **إياكم والجلوس على الطرقات** ». فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها . قال: « **فإذا أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقها** ». قالوا وما حق الطريق ؟ قال: «**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن منكر** »[3].

نهى الشارع عن أمور من اللهو واللعب،ويقع بعضها بين الأفراد بعضهم بعض،كالنهي عن لعب النرد، وجزاء اللاعب بذلك، وألحق فريق من الفقهاء بعض

---

(١) سورة النور: الآية (٣٠)

(٢) مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، مصدر سابق، ح١٦ ص٤٢٢ رقم الحديث (٦٦٩٦)

(٣) البخاري , محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري , ج٢ , مصدر سابق , ص ٨١٣, رقم الحديث (٢٣٣٣)

www.iqra.ahlamontada.com

اللعب أو اللهو بتلك اللعب (الورق) ولعبة الطاولة وكذلك الجلوس على جوانب الطرقات ـ دون الوقوف عند الحدود الشرعية ـ للنظر و للتدخين ـ مع خلاف العلماء في حكمه ـ وشرب الشيشة (الأركيلة) ولا يخفى ما في ذلك من هدر للوقت، بما هو ضار بالخلق والصحة والمال، كما أنه لا يناسب مكانة المسلم بحال من الأحوال، وشرب المفتر حرام، قال رسول الله (ﷺ): «**إن من الحنطة خمراً ومن الشعير خمراً ومن الزبيب خمراً ومن العسل خمراً، وأنا أنهي عن كل سكر**»[1].

وكل ما سبق الإشارة إليه من الأنشطة التي يمارسها المسلم أحياناً تعد محرمة شرعاً، ولا فائدة منها، وهي أنشطة غير خاضعة لتخطيط، ولا يشرف عليها الأولياء أو المربون، ولهذا كانت مخاطرها جسيمة، وأضرارها عظيمة.

ومن أبرز أخطار هذه الأنشطة الحرة وأضرارها على مستقبل المسلم وسلوكه ما يلي:

١- عدم تحقيق أية منفعة تربوية أو ثقافية أو اجتماعية، أو نفسية من خلال مثل هذه الأنشطة الحرة، لخلوها من أي هدف، أو معنى سوى إشغال الوقت وإضاعته سدى.

٢- انطلاق الشباب للأنشطة دون مراقبة أو إشراف يفسح المجال للعنصر الفاسد من الأصدقاء أن يؤدي دوره، ويصول ويجول فيشجعهم على المفاسد، ويجرهم إلى العادات الضارة كالتحدث عن مفاتن الفتيات المنتشرات حولهم في المنتزهات والشواطئ أو الشوارع والأسواق، وكتناول المفترات والدخان، والإكثار من المزاح الثقيل، مما يؤثر على سلوك الشباب الآخرين، فيعودون أسوأ حالاً مما خرجوا عليه، وهو واقع مشاهد ومؤلم.

٣- كثيراً، ما تفوت على المشاركين في الأنشطة الحرة أوقات الصلاة لاستغراقهم في الألعاب مما يعودهم مستقبلاً على التكاسل عن الصلاة أو إهمالها.

٤- التساهل في كشف العورات عند ممارسة السباحة والرياضة وخلال النوم.

---

(١)ابن حنبل، أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد، مصدر سابق ج٤ ص٢٧٣ رقم الحديث (١٧٩٤٠)

www.iqra.ahlamontada.com

٥- قضاء جزء طويل من وقت الفراغ في مطالعة الكتب المنحرفة والقصص الإجرامية، والغرامية.

٦- الإرهاق الشديد في الاستغراق في ممارسة الألعاب المتنوعة دون حساب للوقت بدلاً عن الترويح والمتعة النفسية.

٧- التعرف من خلال المشاركة في الأنشطة الحرة على عناصر من الشباب لا تتكافأ معه من حيث المستوى الثقافي والاجتماعي والأخلاقي، مما يحمله مستقبلاً على التأثر بهم، وترك الدراسة والتسيب معهم.

٨- تنتهي أكثر أنواع الألعاب الحرة على نتائج مؤلمة بنزاع حاد، وخصام عنيف بين الأطراف، لتفوق طرف على آخر أو تحايل البعض لتحقيق المكاسب.

تلك هي أهم الآثار السيئة، والعواقب الوخيمة التي تبرز من خلال تلك الأنشطة الحرة التي يمارسها بعض المسلمين اليوم. ولهذا فإن الإسلام يعتبر مثل هذه الأنشطة محرمة، لثبوت ضررها انطلاقاً من حرصه على نعمة الوقت لدى المسلم ومسؤوليته عنه، وحسن استثماره بما ينفعه في الدنيا والآخرة، وقد جاءت النصوص الشرعية الواضحة في تحريمها والتحذير منها.

ومن المؤسف والمؤلم أن يعمد بعض المسلمون إلى الإجازات للسفر إلى بلاد الكفر بحجة النزهة أو الترفيه، والتمتع بالجو اللطيف والمناظر الخلابة، وهم يدركون الخطر الفكري والسلوكي لذلك، حين يعيشون فترة من الوقت في مجتمعات منحرفة لا تلتزم بدين أو خلق فتغلب عليهم أهواءهم وشهواتهم بعد أن يسول لهم الشيطان، ويملي لهم، ما لم يكونوا محصنين بعقيدة واعية، وسلوك مستقيم، ويعود هؤلاء المسلمون، إلا من رحم ربك وقد باعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل، يتحملون أوزاراً ثقيلة من اقتراف الكبائر،

واتباع الأهواء:﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾.[١]

---

(١)سورة القصص: الآية (٥٠)

www.iqra.ahlamontada.com

وقد حذر القرآن الكريم أولياء الأمور من الغفلة والتقصير في رعاية أهليهم بما يوقعهم في عذاب الله يوم الحساب، فقال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾.[1]

ولهذا ينبغي على أولياء الأمور ودعاة الإصلاح والتربية والسلوك أن يضعوا حداً للأنشطة الحرة مالم تكن مرتبطة برعاية صالحة أو إشراف تربوي سليم، لأنها نذير خطر، وذريعة مساؤي-فساد، ورد المخاطر مقدم على جلب المنافع .

ومن هنا تبرز لنا أهمية الأنشطة المنظمة والهادفة التي يجري تخطيطها ومراقبتها وتقويمها من قبل الأشراف التربوي والموجهين المختصين والخطباء الموفوهين والأئمة في المساجد، لاستثمار أوقات الفراغ لدى الشباب المسلم.

٦- المبادئ التربوية لعلاج ظاهرة الفراغ

أ – وضع سياسات محكمة للإنشاء الدائم أو البناء المستمر:

الإجازة فرصة مناسبة، ومنحى طيبة يستثمرها رجال الدعوة والتربية والتعليم لاستكمال تكوين ونوعية شخصية الفرد المسلم، وتحقيق استقامته على منهج الله عقيدة، وخلقاً وسلوكاً وثقافة، وعطاء وذلك من خلال الخطط والبرامج المتنوعة التي ينظمونها ويشرفون على تنفيذها لتحقيق الأهداف التالية:

١- استثمار وقت الفراغ في برامج مفيدة وممتعة تصرف الشباب المسلم عن الألعاب الحرة واللهو الباطل

٢- تعزيز الالتزام بالمنهج القرآني، عقيدة وعبادة وسلوكاً ووعياً .

---

(١)سورة التحريم: الآية (٦)

www.iqra.ahlamontada.com

٣-دعم القدرات، والمواهب العلمية، والفنية، والمهنية لدى الشباب المسلم وصقلها بما يحقق تطويرها، لتلبية حاجات المجتمع، وخطط التنمية .

٤- توثيق العلاقات الأخوية، وروح التعاون بين المسلمين، وتعميق مفاهيم المساواة والإيثار والتواضع.

٥- تعويد الفرد المسلم على حب النظام والطاعة المشروعة، والشعور بالمسؤولية .

٦- تدارك التقصير الثقافي في برامج الدراسة المنهجية الصعبة .

٧- تعزيز قدرات المسلم البدنية والفنية، ليكون المؤمن القوي، والجندي الماهر، والمنافس الشريف .

تلك هي أهم الأهداف العامة لاستثمار الفراغ لدى المسلمين من خلال استراحاتهم ولاشك أن تحقق هذه الأهداف تتطلب تخطيطاً دقيقاً لبرامج الأنشطة المتنوعة التي يجب أن تجمع بين هدف الترويح السليم، وبين المردود التربوي والثقافي .

كما يتطلب أيضاً إشرافاً اجتماعياً واعياً في جميع الخطوات التنفيذية للبرامج المرسومة، وأن يتم اختيار المشرف القدوة الصالحة، من حيث إلتزامه بالمنهج الإسلامي، وحرصه على مراقبة الأبناء والشباب مراقبة صحيحة ووعاية، حتى يتمكن من تحقيق المردود التربوي، والثقافي للأنشطة الموجهة والهادفة ضمن كل نوع منها، لتكون أمامنا الصورة الواضحة عن آثارها المفيدة وثمراتها الناتجة .

١- في مجال التوعية الإسلامية:

تعمل برامج التوعية ورسالة المسجد على تكوين الشخصية المتكاملة والواعية للشباب بما يعزز تعلقه بمبادئ الإسلام، وتحركه لنشر الدعوة الإسلامية، ومقاومة الغزو الفكري المسموم .

٢- في مجال الأنشطة الثقافية:

في برامج المحاضرات العلمية والتربوية، والمسرحيات الإسلامية الهادفة، ومطالعة الكتب العلمية والأدبية النافعة، والمشاركة في إصدار المجلات والنشرات الدورية، وفي

www.iqra.ahlamontada.com

المسابقات الثقافية المتنوعة ما ينمي المدارك الفكرية، ويوسع آفاق المعرفة لدى المسلم خلال فراغه، كما تصرفه هذه البرامج عن التأثر بالإعلام المسموم الذي يؤذيه في عقيدته وسلوكه، وتضعف ثقته بأمته ووطنه .

٣- في مجال الأنشطة الاجتماعية:

فهي تحقق الآثار الطيبة والثمار اليافعة من خلال إقامة المعسكرات التدريبية والرحلات العلمية والزيارات الاجتماعية، والترفيهية إذا توفرت فيها المراقبة الواعية والإخلاص في الجهد، والتنظيم الدقيق، كما نهيء المناخ الإسلامي الطيب للشباب المسلم مع الجلساء الصالحين، والرعاية التربوية الصادقة، وتحفظه من العادات الضارة، أو المخلة بالآداب، وتبعده عن قرناء السوء وتنمي فيه روح الألفة، والتعاون، والعطاء .

٤- في مجال الأنشطة الرياضية:

تبدو أهمية النشاط الرياضي في تحقيق المردود التربوي من خلال الترويح البريء والنشاط المفيد، والتعويد على الانضباط والنظام، والتنافس الودي، وتنمية الشعور بالاستعداد للجهاد، وذلك من خلال الأنشطة الرياضية المتنوعة، والهادفة التي يرعاها المدربون الصالحون الحريصون على إقامة الصلوات في أوقاتها، والتجمل في اللباس الرياضي الساتر والنظامي، وتعويد الشباب على التحلي بالآداب الإسلامية النبيلة .

٥- في مجال التدريب المهني والتعليمي:

تتضمن برامج الأنشطة للشباب إقامة دورات تدريبية على وسائل التقنية الحديثة، وبعض المهن المفيدة التي تشجع عليها خطط التنمية، وخاصة فيها دورات الحاسب الآلي والكمبيوتر وغيرها في مجال الإصلاحات الكهربائية والنجارة والسباكة وإصلاح السيارات، والخط العربي، والرسوم الفنية كما تتضمن هذه البرامج خلال الفراغ بعض الدورات التعليمية لتلافي التقصير في بعض المواد العلمية الصعبة كاللغة العربية، واللغات الأجنبية والرياضيات وفق الرغبات المقدمة .

www.iqra.ahlamontada.com

إذاً: إن التربية والتعليم المستمرين هما الحل الناجع لعلاج مشكلة (الفراغ) التي يعاني منها كثير من الناس . من الواضح إن الإحساس بالفراغ، والإحساس بقيمة الوقت من جملة المنتجات الحضارية .

الفراغ يضع الفرد في مواجهة نفسه، وهذه حالة صعبة للغاية، كما أنه يجعل المرء، يشعر بإنعدام وجود مسوغ لوجوده، وهذا دفع أعداداً كبيرة من الشباب إلى القيام بأعمال وتصرفات شائنة وضارة بهم، وبالمصالح العامة .وقد أدرك الفرنسيون قبل غيرهم خطورة ذلك . فأنشأت (الجبهة الشعبية) في فرنسا عام ١٩٣٦/ وزادت أوقات الفراغ، وشغلت الثقافة منزلة فيها [(١)].

إن كثيراً من الأعمال الجليلة في التاريخ ما كان لها أن ترى النور لولا تمتع أصحابها بالفراغ، وقلة المشاغل، وهكذا فالوقت الذي هو شرط لازم لإنجاز أي شيء، يمكن في حالة انحطاط الثقافة العامة أن يكون وسيلة لتدمير كل شيء وحياة الصغار والكبار .

التربية والتعليم والتثقيف الذاتي، يحول (الفراغ) من نقمة إلى نعمة، ومن أداة هدم إلى وسيلة بناء، لكن ذلك يحتاج إلى جو ثقافي، يحاصر ذوي الكسل الذهني والفوضويين، ويشعر أولئك الذي يبطنون نوعاً من العداء للمعرفة ينتابهم لقصورهم.

---

(١) بكار، عبد الكريم: حول التربية والتعليم، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢، ٢٠٠١، ص١٤٢ .

www.iqra.ahlamontada.com

الفصـــل الرابـــع

النظرة الإسلامية للفراغ وتمييزها عن النظرة الغربية

تمهيد:

١- الفراغ في الحياة التوجيهية العامة .

٢- القواعد الأساسية (قاعدة الربط).

٣- أعداؤنا يدركون أهمية الفراغ .

٤- وسائل الأعداء في إغراقنا في الفراغ .

www.iqra.ahlamontada.com

تمهيد

إن تكوين الفرد المسلم ليس افتراضاً عشوائياً من جهة،لأن ذلك يحيل القضية إلى مجرد تأويل ..

وليس تجريداً ميتافيزيقياً من جهة أخرى، فإن ذلك يحيل القضية إلى مجرد تخييل... إن تكوينات الفرد المسلم ما هي إلا بعض عناصر القاعدة الشمولية التي هي الإسلام.. الجوهر واحد.. ولكن تنمو هنا في عرض، وتطفو هنا على سطح، وتأتلق هنا في إطار. والشجرة دائماً تخاطب الحياة في مظاهر من الفروع والأوراق... وأي عضو كثرت رياضته قوي، وخصوصاً على نوع تلك الرياضة، بل كل قوة هذا شأنها فمن استكثر من الحفظ قويت حافظته ومن استكثر من الفكر قويت قوته المفكرة، ولكل عضو رياضه تخصه، فللصدر القراءة، فليبتدئ فيها من الخفية إلى الجهر بتدريج،وكذلك رياضة اللسان. وكذلك المشي بالتدريج شيئاً فشيئاً"[1].

يقول الرسول (ﷺ): «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[2].

مغبون فيهما كثير من الناس، أي ذو خسران فيهما كثير من الناس، قال بعض العلماء: النعمة ما يتنعم به الإنسان ويستلذه، والغبن: أن يشتري بأضعاف الثمن، أو بيع بدون ثمن المثل، فمن صح بدنه، وتفرغ من الأشغال العائقة، ولم يسع لصلاح آخرته، فهو كالمغبون في البيع، والمقصود أن غالب الناس لا ينتفعون بالصحة والفراغ، بل يصرفونهما في غير محالهما، فيصير كل واحدٍ منهما في حقهم وبالاً! ولو أنهم صرفوا

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر: الطب النبوي، تحقيق سيد إبراهيم، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩١م، مصدر سابق ص١٩٢.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق البغا مصدر سابق، ج٤ ، ص٢٢٢٤، رقم الحديث (٦٠٤٩).

www.iqra.ahlamontada.com

كل واحدٍ منهما في محله لكان خيراً وأي خير .قال الإمام ابن الجوزي[1]: قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، فمن استعملهما في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم لكفى[2].

أ ـ النظرة الإسلامية للفراغ:

إن الملاحظة الأولية للمتتبع لآيات الكتاب وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم يدرك، أنه لا يوجد أية إشارة أو إيماءة إلى وجود وقت مستقطع من حياة المسلم يمكن وصفه بتعبير العصر وقت الفراغ، وهو مصطلح يترجم المفهوم المعاصر القائم على وصفين أساسيين:

أولهما: اتصافه بالتحرر من بعض الواجبات وحرية اختيار بعض النشاطات.

ثانيهما: انعدام شرطية توظيفه على أساس الإنتاج والمردودية المادية... والاجتماعية بما في ذلك المردودية الأخروية. ومرد إثارة هذه الملاحظة أمران اثنان:

أولهما: أن العمر الإنساني ليس ملكاً للإنسان. وإنما هو ملك لله تعالى، استخلف فيه الإنسان ليوظفه في النهج الذي أمر به وربطه بسر وجود هذا الكون، ويمكن استمداد ملكية الله لعمر الإنسان من خلال الآيات الكريمات:

﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾[3].

---

(١) ابن الجوزي: عبد الرحمن بن الجوزي (١١١٦ــ١٢٠٠) ولد في بغداد، فقيه حنبلي ومؤرخ، له المنتقم في تاريخ الأمم ـ مجموعة من المؤلفين:المنجد، مرجع سابق،ص٩.

(٢) أبو غدة، عبد الفتاح: قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق ص٣٢.

(٣) سورة الزمر: الآية (٦٢).

www.iqra.ahlamontada.com

والعمر والحياة نعمة من الله ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[1].

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[2].

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾[3].

ونتيجة لملكية الله لعمر الإنسان حرم الإسلام تحريماً قاطعاً، أن يهلك الإنسان حياته ووقته وعمره، بأي صورة كانت ولأي سبب كان، ويذكر في هذا المجال، إن الانتحار جريمة منكره في عرف الإسلام ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[4].

رغم أنه لم يقتل سوى (عمره ووقته) والذي هو وفق المفهوم الوضعي اللاديني ملكه الخاص على خلاف التصور الإسلامي الذي لا يعترف للإنسان بملكيته لحياته وعمره، وإنما هو مستخلف فيه حسب قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[5].

فكذلك عمر الإنسان وحياته، وهو الأمر الذي يفسر مسؤولية الإنسان عن ماله وعمره أمام خالقه يوم يلقاه، كما ورد ذلك في الحديث «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين أكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به**»[6].

---

(١) سورة النحل: الآية (٥٣).

(٢) سورة النحل: الآية (١١٤).

(٣) سورة البقرة : الآية (٢٨).

(٤) سورة النساء: الآية (٢٩).

(٥) سورة الحديد: الآية (٧).

(٦) الهندي، علاء الدين، بن حسام الدين: كتر العمال، مصدر سابق ج ١٤، ص ٣٧١، وعند الترمذي، كتاب صفة القيامة (٢٤١٨) حسن صحيح.

www.iqra.ahlamontada.com

وبناء على ما تقدم ندرك أن المفهوم الإسلامي لوقت الفرد لا يسمح بتاتاً بالحرية الكاملة والتصرف المطلق في حياته بالشكل الذي ترتاح إليه نفسه وترتضيه، وهذا أحد مفترقات الطرق بين المفهوم الإسلامي والمفاهيم الغربية قاطبة .

ثانيهما: إن الفرد المسلم مطالب باستفراغ الوقت كله في عبادة الله وطاعته، وهي الغاية النهائية من خلقه وإيجاده ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

ومهمة العبادة في الإسلام تأخذ بعدها العميق والعريض الشامل والمتمثل في (كل ما يحبه الله ويرضاه من أقوال وأفعال)[2] فينطوي تحت هذا المعنى مختلف الأنشطة، عمل وفكر، وسكون وحركة، وجد ومرح، وقتال وأكل وشرب ونوم وعلم، وكافة نشاطات الإنسان عبارة عن تنويعات على وتر واحد وهو العبادة.

ويصبح الاختلاف بين نشاط وآخر لا يكمن في جوهر وإنما يتجلى في مظهر لا يتناقض في الحقيقة وإنما يتباين في الهيئة.

وهذه الآية الكريمة تمدنا بقاعدة إسلامية هامة وتلك "أن الفرد لا يمكن أن يعيش وقتاً بدون تكليف" وبالتالي فهو في كل حال من أحواله المعيشية "مأمور ومنهي" أي يحمل تكليفاً ورسالة، ولا يمكن أن يكون ثمة وقت هو فيه حر من التكليف، وبالتالي، هو حر في التصرف فيه كيف يشاء، وبأي شيء كان دون أن يأخذ بالاعتبار المقاييس الشرعية المميزة بين ما هو مشروع أو غير مشروع، فهو في أقل الأحوال مكلف بالابتعاد عن منطقة الحرام، فلا يسمح له بصرف أقل ما يمكن تصوره من الزمن والعمر في منطقة الممنوع، فهو ينقلب فقط بين مقامات الواجبات والسنن والمباحات، وهي منطقة العبادة بمفهومها الشامل والجامع .

---

(١) سورة الذاريات: الآية (٥٦).

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم: كتاب العبودية، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ص٣، تحقيق محمد هيثم عزب، دار القلم لتراث، القاهرة، ١٩٨٦م ص (٤).

www.iqra.ahlamontada.com

وفي السياق نفسه يفهم الحديث النبوي الشريف: «**إن لزورك[1] عليك حقاً،وإن لزوجك عليك حقا**»[2].

والحديث يكشف فساد تصور وقت الفراغ بالمفاهيم الغربية، حيث وصف الحديث هذه النشاطات بأنها: حقوق أي تكليفات للفرد المسلم، وليس له حرية مطلقة في التصرف فيها كيف يشاء بل إن التربية النبوية كانت تصل إلى الحد الذي يثير الدهشة في هذا المجال كما ورد في حديث رسول الله (ﷺ) مع نفر من الصحابة الكرام يشتكون له عدم قدرتهم على الصدقة الواسعة فقال (ﷺ): «**.... وفي بضع أحدكم صدقة**». يا رسول الله! أيأتي أحدُنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»[3].

فكان تحري الحلال في المأكل والمشرب والملبس و الجماع من العبادة التي يؤجر عليها المسلم، وفي مقابل كل ذلك تكون هذه الأحوال مجردة من طابع العبادة إذا تناولها المسلم في محيط الحرام الممنوع.

وفي المجال نفسه يفهم حديثه (ﷺ) لسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) «**... وإنك مهما أنفقت من نفقةٍ فإنها صدقةٌ، حتى اللقمةَ التي ترفَعُها إلى فيِّ امرأتكَ ..**»[4].

---

(١) زارَه ــ زَوْراً ــ وزيارة، ومزاراً: أتاه في داره للأنس به أو الحاجة إليه. (ج) زوائر وزُوَر.

- إبراهيم، مصطفى وزملاؤه: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٠٨.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق البغا مصدر سابق، ح١، ص٦٤٧، رقم الحديث (١٨٧٣).

(٣) مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، مصدر سابق،ح٧، ص٩٣، رقم الحديث (٢٣٢٦) (جزء من حديث).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق البغا، مصدر سابق، ص٩٢٢، رقم الحديث (٢٥٩١) (جزء من الحديث).

www.iqra.ahlamontada.com

فلا تخلو هذه المداعبة الزوجية من الأجر والثواب فهي صدقة يثاب عليها المسلم، فليست وقت فراغ وإنما هي وقت عبادة تصرف مستحقاتها للعبد كاملة، باعتبارها صدقة.

١- الفراغ في الحياة التوجيهية العامة

أ - نعمة الفراغ:

قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[١].

أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، ولزوجك عليك حقاً، فآت كل ذي حق حقه.

يحرص الإسلام على استثمار الفراغ لدى الفرد، وكذلك على حسن توزيع الوقت بين العبادة والعمل الجاد والترويح عن النفس.

وإن كان الإسلام قد أباح الترويح عن النفس، إلا أنه يجب ألا يسترسل الفرد في الترويح عن نفسه في أوقات فراغه، وذلك حتى لا يضيع الفراغ هباء وحتى لا يؤثر ذلك على عبادته وعمله ومقدار إنتاجه.

فنعمة الفراغ في الإسلام وسيلة لغاية، فالفراغ وسيلة اجتماعية وتربوية بغرض تجديد نشاط الفرد وحيويته ولإشباع حاجاته البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية

---

(١) سورة القصص: الآية (٧٧).

www.iqra.ahlamontada.com

والروحية وبما يتفق مع أصول ومبادئ الشريعة الإسلامية، مع مراعاة ألا يطغى وقت الفراغ على عبادته أو عمله.

لقد أهتم الإسلام بنعمة الفراغ، من خلال التأكيد على أهميته وعلى نشاطاته البناءة.. وفيما يلي أورد بعض النصوص والأحاديث التي تؤيد الترويح - والاستفادة من الفراغ - عن النفس.

١- الرماية: «**إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي**»[1]. وحديث «**ارموا وأنا معكم كلكم**»[2]

٢- المصارعة: «**أن ركانة صارع النبي (ﷺ) فصرعه النبي (ﷺ)**»[3].

٣- الفروسية: قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[4].

٤- الجري: كما فعل النبي (ﷺ) مع السيدة عائشة رضي الله عنها.

٥- القول المباح (المزاح) فقد ورد أن رجلاً أتى إلى الرسول (ﷺ) فقال: يا رسول الله احملي، قال النبي (ﷺ): «**إني حاملك على ولد ناقة**». قال: وما أصنع بولد الإبل؟ فقال النبي (ﷺ): «**وهل تلد الناقة إلا النوق**»[5].

٦- إشاعة السرور والفرح بين الصغار «**يا أبا عمير ماذا فعل النقير ؟**» [6].

---

(١) ابن حنبل، أحمد المسند، ج٤، المكتب الإسلامي، بيروت، در، د ت، ص ١٥٧.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق البغا مصدر سابق، ح٢، ص٩٧٧، رقم الحديث (٢٧٤٣).

(٣) ابن هشام، عبد الملك: سيرة ابن هشام، تحقيق القا وزملاؤه ، ح١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م، ص ٤٢٨.

(٤) سورة الأنفال: الآية (٦٠)

(٥) الترمذي، أبو عيسى: الشمائل المحمدية، تحقيق عزت الدعاس، دار الترمذي، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥، ص (١١٦)، رقم الحديث (٢٣٩).

(٦) البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد ، مصدر سابق ، ص ٨٩ ، رقم الحديث (٢٦٩) .

www.iqra.ahlamontada.com

وغيرها من أعمال الترويح عن النفس .

ب – من مظاهر اهتمام الإسلام بالوقت:

١- أفهم الإسلام أن الوقت هو الحياة، فالذين يفرطون في أوقاتهم إنما يفرطون في أعمارهم وحياتهم، وكل يوم يمضي يقربنا من النهاية المحتومة ثم إنه لا يعود. يقول الإمام الحسن البصري[١] رحمه الله: "ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي مناد: يا بن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فأغتنمني فأني لا أعود إلى يوم القيامة"[٢]

كما أفهم المفرط أنه سيأتي عليه وقت يندم على تفريطه ويتمنى لو أتيحت له الفرصة مرة أخرى ليراجع نفسه، ولكن ذلك يكون بعد فوات الأوان. يقول الله تعالى حكاية عن المفرطين يوم القيامة:

﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٣].

ويقول تعالى أيضاً: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[٤].

٢- أفهم الإنسان أن العمر محدود وأنه مهما طال قصير:

دنياك ساعات سراع الزوال ... وإنما العقبى خلود المآل

فهل تبيع الخلد يا عاملاً ... وتشتري دنيا المنى والضلال

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الشرنوبي، عبد المجيد: شرح حكم الإمام ابن عطاء الله السكندري، تحقيق البزم، دار ابن كثير، دمشق، ص ٨٥، وساقه ابن رجب الحنبلي في لطائف المعارف حديث موقوف.

(٣) سورة المنافقون: الآية (١٠ــ ١١).

(٤) سورة فاطر: الآية (٣٧).

www.iqra.ahlamontada.com

وقال الله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[1].

وقال تبارك وتعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾[2].

٣- بين الإسلام للمسلمين ما في البكور من بركة وفائدة وما في التسويف من ندم وحسرة،قال (ﷺ): «**اللهم بارك لأمتي في بكورها**»[3].

ولما أخبر عن رجل ينام الليل كله حتى يصبح قال (ﷺ): ـ ذلك الرجل ـ «**بال الشيطان في أذنه**» [4]

– الإسلام فوق الفراغ:

نعم، الإسلام من حيث هو مبادئ لا يتوقف اعتباره على مكان أو زمان معينين، ولا على جيل من البشر.. فالإسلام بما اشتمل عليه من مبدأ " الحركة " يعيش مع الفرد المتحرك،وفي العالم المتغير المتطور، فهو لا يؤزم[5]بالغرب أو الشرق، إذ طالما كانت له طبيعة الموجود الخالد، ولا يضار بالهجوم عليه من هنا وهناك، لأنه لا يقبل الفناء ... فخلود الإسلام في رسالته، ورسالته "التوازن" التوازن في قيادة الفرد لنفسه، والتوازن في علاقة أفراد الأسرة الواحدة بعضهم ببعض، والتوازن في علاقة الأفراد جميعاً، مابين جار قريب وبعيد، وما بين حاكم ومحكومين ولكن الذي يجوز أن يؤزم ولا أدري إذا كان يمكن أن يصرع في يسر أيضاً هو المسلم.. المسلم هو إذاً، موضوع الهجوم في

---

(١) سورة الروم: الآية (٥٥).

(٢) سورة النازعات: الآية (٤٦).

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، مصدر سابق، ح٣ ص ٥١٧، رقم الحديث (١٢١٢) وقال حديث حسن.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، مصدر سابق، ح١ ص ٣٧٤، رقم الحديث (١٠٩٣).

(٥) يؤزم: (أزم) على الشيء: لزمه وواظب عليه.

ـــ مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ح١ ص١٦

www.iqra.ahlamontada.com

حملات الغرب وهجمات الشرق..والآثار السلبية لهذا الهجوم تنال منه إن قدر لها أن يصيب أكثر ما تنال من الإسلام.

والسؤال الذي يجب أن يلقى الآن هو:

إذا كانت حملات الغزو الفكري تجد فراغاً عند المسلمين ـ حال دون ملئه حتى الآن ركود الفكر الإسلامي، وعدم قيامه بالدور الإيجابي في حياتهم المعاصرة، فما هي النسبة التي يملأها (الإصلاح الديني ـ الصحوة الإسلامية) الحديثين من هذا الفراغ؟؟ .

إن مستقبل الإسلام في الأمة الإسلامية يتحدث بناء على جواب هذا السؤال، وهذا الجواب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع (الوعي والتوجيه)الذي يوعى ويوجه به المسلم في العالم الإسلامي .

والوعي والتوجيه في العالم الإسلامي، لم تعِ الحركات التحريرية والجهادية التي قامت أول الأمر لمنازلة الهيمنة العالمية للغرب ولا ما صاحبها من ثقافة إسلامية عامة، وتخلف الوعي عن هذه الحركات، ولم تعن بتوجيه الشباب الإسلامي الذي عمل معها، ولذا بقي هذا الأمر "شعاراً" و "نسبة" فقط، يحمله المسلم كعنوان له، ولا يدرك من إسلامه إلا أنه ينتسب إلى المجتمع الإسلامي فحسب ونتج عن هذا التخلف تلك "الانفصالية" التي أرادها الغرب الصليبي الصهيوني منذ أن وضع قدمه في بلادنا الإسلامية، وهي الانفصالية في توجيه المسلم، وبعبارة أخرى هي "دَفعُ" الإسلام عن أن يكون ضمن معرفة وثقافة المسلم المعاصر، ونشأ عن هذه الانفصالية ذلك الفراغ عند المثقفين من المسلمين. ولم يستطعْ نمو الحركات الدعوية أن ينال من هذه الانفصالية، بل العكس كلما تقدمت هذه الدعوات خطوة نحو "ملء الفراغ" كلما اتسع البعد في هذه الانفصالية، لأن الغرب ومن يسايرهم كانوا يضعون سدوداً أو شروطاً لتحول دون تلك الغاية والهدف.

وتحولت بذلك الدعوات والحركات السياسية التنويرية إلى حركات عزل الإسلام

www.iqra.ahlamontada.com

عن الحياة العملية العامة للجماعات المسلمة، بعد ما أصبحت حركات و"استقلالية الثقافة والسياسة" ثم نفد الفكر الغربي الاستشراقي الإلحادي والمادي منه، إلى "البعد الذي أوجدته الانفصالية السابقة، وكلما بعد الطرف الإسلام في هذه الانفصالية، كلما نفذ الفكر الغربي السابق، وكلما قرب إلى دائرة "الفراغ" المتخلف، بل كلما اقتحمته وملأ منه جزءاً بعد جزء، واستمرار هذا الوضع يحتاج إلى تصفية ماضي وحاضر الهيمنة الغربية على الثقافة والتوجيه. حتى يضعف أثرها السلبي في التوجيه وتحتاج إلى تربويين من صنف آخر، ولا يعيشون على آثار مدرسة ديوي وزملائه وإنما يفهمون معنى الفرد المسلم فهماً صحيحاً، وأنه يعيش على ماضي بروح الحاضر متطلعاً إلى المستقبل. أصبحت ثقافة الدعوات التنويرية المادية بديلاً عن الثقافة الإسلامية الأصيلة. فقطعت جذور المسلم بهويته وألبس ماهية جديدة منفصلة عن روح الإسلام فلا هو قادر على مجاراة تغيرات الواقع المادي ولا هو يحتفظ بهويته.

هنا ندرك تمام الإدراك أن آثار الفراغ في حياة المسلمين أخطر منها في أي مجتمع آخر، بالنظر إلى موقع الأمة المهزوز ـ سياسياً واقتصادياً ـ في عقد المنظومة الدولية العالمية، فانتماؤنا إلى العالم الثالث، وكوننا نمثل الدم الرخيص إرهاقاً وإزهاقاً ـ مقارنة بأي دم آخر!!.

كل ذلك يعد محفزاً للخروج بهذه المشكلة من حيزها المغيب إلى العالم الخارجي بلبوس شفاف وصريح.

ج ـ الفراغ في التوجيه:

١- الفكر والوعي والتوجيه أشبه بالماء. ينتقل من أعلى إلى أدنى.. وعندما كنا الأعلى.. كان فكرنا.. وكان وعينا.. وكان توجيهنا.. وقبل كل شيء كان ديننا.. وعلمنا.. ينتقل إلى غيرنا إلى الأدنى... وعندما صرنا الأدنى.. عندما رضينا بالسفح دون القمم .. نزل إلينا كل وافد وكل رافد .. يحمل معه بعض الخير.. لكنه يحمل

www.iqra.ahlamontada.com

شراً كثيراً بل شراً مستطيراً، يحمل مع الماء الزبد والغثاء ويحمل داخل الماء الكثير من السموم...! هذا تصوير أو تقريب. وهناك آخر:

إن الإنسانية في امتدادها المختلفة أشبه بالأواني المستطرقة.. فإن كان ثمة "امتلاء" في جانب وفراغ في جانب آخر.. انتقل السائل من الامتلاء إلى الفراغ. ولقد عاش العالم الإسلامي فترة امتلاء بعد امتداد نور الإسلام وفيضه فيه.. فكان "يفرغ" في الآخرين.. ثم ارتد وانحسر... فعاش فترة "فراغ" فكان للآخرين أن يفرغوا ما عندهم فيه والفرق في الحالين:

أننا أفرزنا الخير و أفرغناه إلى غيرنا، وان غيرنا أفرز "الشر" و"أفرغه" إلينا.

ولقد كانت هناك عوامل ساعدت على انتقال "الغزو الفكري إلينا" وكانت هناك وسائل أو مجاري حملت إلينا هذا الغثاء وكانت هناك نتائج لهذا أو ذاك .

أولاً: عوامل انتقال الفكر الغربي إلينا (الغزو الفكري، العولمة الفكرية).

كانت عوامل انتقال الفكر الغربي منها ما هو مخطط له ومرسوم، ومنها ما جاء عفواً بغير تخطيط، لكنها تجمعت لتساعد على انتقال هذا الفكر الجديد لتجد له مكاناً في عالمنا الإسلامي، لم تكن ظروفنا مماثلة لتلك الظروف التي قامت في الغرب، لم يكن عندنا حجر على القلوب والعقول، لم يكن عندنا اضطهاد للعلم والعلماء، لم تقم في بلادنا محاكم تفتيش.. تحاكم الضمائر والوجدان وتحكم بالحرق والتعذيب والسجن والتشريد... ومع ذلك قامت عندنا عوامل أخرى بعضها خارجي وبعضها داخلي بعضها عفوي وبعضها عمدي. إن أوروبا التي نهضت بالعلم في القرن الثامن عشر لم تستبدل الدين بالعلم. لأنها في الأصل لم تكن تعيش حياة دينية وإنما خزعبلات كنسية ثارت عليها.

www.iqra.ahlamontada.com

العامل الأول: نهضة الغرب:

ذلك أن نهضة الغرب المادية واكبت وأعقبت وأنجبت العلمانية، أو فصل الدين عن الدولة، ومن ثم أخذت ذلك شعوراً بأن التحضر والتمدن ومناهضة التخلف لا يكون إلا بطرح الدين خلف الظهور، وإلا فلم نهضت أوربا، وبغض النظر عن مدى صحة ذلك من ناحية الحقيقة والواقع، فإن الذين خرجوا من مجتمعات التخلف الذي فرض على الأمة الإسلامية وشاهدوا مجتمعات التقدم والتحضر تخلفوا في (لا شعورهم) هذا المعنى من حيث لا يشعرون وظنوا بدينهم غير الحق ظن الجاهلية. فما بالك إذا أضفت إلى ذلك العوامل الأخرى.

العامل الثاني: تخلف الأمة الإسلامية:

وهو عامل داخلي في مواجهة الهجمة الخارجية السابقة . وبغض النظر عن أسباب هذا التخلف... فقد كان واقعاً قائماً، كان ثمة تخلف فكري، بعد فترة من النشاط الفكري الذي لم يشهد له العالم مثيلاً والذي أنتج علوماً عديدة في كافة الميادين. ولعل هذا التخلف بدأ مع البعد شيئاً فشيئاً عن النبع الصافي الذي كان يستقي منه الأولون:

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[1].

وكان ثمة تخلف حضاري ومادي... وفي كل الجوانب... نتيجة انصراف الخاصة والعامة إلى شهواتهم وترك مصالح الناس، ونتيجة الصراع على مناصب الحكم والجاه التي صاحبت نكبات وويلات. كان التخلف حقيقة واقعية، وإذا كان تخلف في جانب.. وتقدم في جانب آخر فلا بد أن يعد الفكر الأعلى إلى الأدنى كما قدمنا.

العامل الثالث: الهيمنة العالمية:

كان التخطيط ومازال في المسألة الإسلامية الإجهاز على العالم الإسلامي ويكون من خلال أمرين: المزيد من تقطيع أوصال الدولة الإسلامية. بالاحتلال العسكري لمناطق

---

(١)سورة النور: الآية (٤٠)

www.iqra.ahlamontada.com

إسلامية أو الهيمنة المطلقة على بعضها وتقسيمها. والبحث عن إحياء المعضلات فيها.

وإسقاط الدول الإسلامية وإلغاء أي حكم إسلامي أو تجمع إسلامي وقد حرص الغرب على أن لا تقوم للإسلام وللمسلمين أي قائمة في أي مكان.كما يتمنون ويخططون ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

العامل الرابع: الهزيمة النفسية للأمة الإسلامية:

إن ما نراه في عالمنا الإسلامي هزيمة نفسية خطيرة... كرست في نفوس المسلمين أن الغالبين هم الأعلى، بما يحملون من حضارة مادية أوتوا أسبابها وإذا كان المغلوب مولعاً بتقليد الغالب فقد قلد المغلوبون الغالبين... قلدوهم في كل شيء مع اختلاف الظروف واختلاف التكوين ومن ثم كان تقبل التقاليد الغربية بغضها وغضيضها... أمراً غير مستغرب .

العامل الخامس: الغزو الفكري التبشيري:

الذي أنهى المرحلة الأولى وهي تنصير المسلمين إنما يعيش الآن في المرحلة الثانية هي إخراج المسلمين عن دينهم بوسائل مختلفة، وتحت أسماء خادعة رقيقة:

التغريب، التحديث، التمدين، التحضر، التغير الاجتماعي......

وعملت هذه الأفكار في مجالاتها وشقت طريقها في مجاريها.

ثانياً: وسائل نقل الأفكار أو مجاريها:

١- المستشرقون.

٢- المبشرون.

٣- المبعوثون والعاقلون للفكر الغربي من أبناء المسلمين .

وهؤلاء كانوا أخطر الوسائل ومازالوا، لأنهم عادوا يحملون ألقاباً علمية وضعتهم لمساعدة المنحطين ـ في مناصب التوجيه وأعقبها نظر الناس إليهم أنهم قدوة مع إسقاط أي مناعة أو تحفظ قبلهم لأنهم علماء وباحثون.

www.iqra.ahlamontada.com

٢ـ عزلة (المعاهد والمدارس والكليات الدينية):

هناك فراغ آخر في الحياة التوجيهية العامة، في حياة الفلاح والعامل، وسببه عزلة التوجيه الديني عن الحياة الجارية، وهي عزلة وسمت عزلة في ظل الاستعمار، أو عاون على بقائها الاستعمار، وأصبحت حياة الأمة خالية من أي توجيه صالح يعالج لها مشاكلها اليومية .

والمشكلات الأخرى التي تأتي بها الحضارة الحديثة، وخضع أبناؤها للأنانية في حل مشاكلهم، وللتيارات السطحية التي تحمل الدعاية المغرضة ضد الإسلام وأهله .

ويتقلص الإسلام من جديد في حياة العامة كما يتقلص في ثقافة المثقفين، كما يضمحل في حياة المتعلمين وصارت حياة الأمة تحت تأثير الصدفة، وتحت ما يجد من صراعات فكرية توجيهية من وقت لآخر.

وتعقدت حياة الفرد وزادت مشكلاته في الأسرة بسبب فهم تعدد الزوجات، والطلاق، وتوزيع الحصص قبل الوفاة وفهم التوكل على الله وأثر ذلك على مستقبل الأسرة.

- اضطرب رأي الفرد في التعاون الاقتصادي، واستبدل القرض الحسن بالربا وأمثاله.
- واضطرب الفرد في الصلة بين العامل وصاحبه في إشكالية الشراكة.
- وأصبح الاحتكار هو لعبة السوق وصناعة التجارة... الخ.

أدت إلى سوء فهم لهذه المشكلات... ولا يرفع سوء الفهم هذا في حياة الأمة إلا توضح موقف الإسلام من كل مشكلة من المشكلات.

ولقد عملت كثير من المنظمات على حل تلك المشكلات في نفس الفرد، لأن هذه المشكلات متشابكة اشتباكاً قوياً مع نوع الاعتقاد "الإيمان" الذي يسكن نفس كلاً منهم من قبل بعضه اختلط فيه العادة والأعراف وبعضه اختلط به الجهل والخرافة، وغشى عناصره سوء الفهم، أو سوء التبصير. وكان ذلك نتيجة الفراغ الذي ذكرناه.

www.iqra.ahlamontada.com

هو أمر يترتب بدوره على عزلة التوجيه الإسلامي عن الحياة الجارية.

وكلا النوعين من الفراغ: في حياة المثقفين أو في حياة العامة، أتاح الفرصة لغير الإسلام في التوجيه، وفي التطبيق العملي في الحياة.

واتجاه الصليبية في الدراسات الاستشراقية للإسلام، والفكر المادي الإلحادي والآن العولمة الثقافية أن اتخذوا ـ بحكم طبيعتهم ـ من المثقفين أو من الذين يباشرون شؤون التثقيف مجالاً لنشاطهم والمثقفين وغيرهم من طبقات الأمة، لأنه كما يزعمون لهم جانب أكاديمي وجانب شعبي.

ولو أن التوجيه الإسلامي في مقابل هذا الأمر متتابعاً وله دعاة يزداد عددهم بتقدم الزمن، وكان متنوعاً في مجال الفكر الأكاديمي، وفي مجال الدعوة الدينية، لرجح جانب الإسلام في الاحتكاك بالغرب كله ولاستطاع بعد فترة قصيرة في حياة الأمة ـ أن يملأ الفراغ سواء في حياة العامة أو حياة الخاصة.

ولكن ما نخشاه: أن ينقطع التوجيه ويتوقف الإصلاح في الفكر الإسلامي، وظهوره من فترة إلى أخرى ومن صحوة إلى مثلها، مضافاً إلى قلة الأعوان، وضيق نطاقه، يجعل من الصعب التنبؤ بالنتيجة الأخيرة لهذا الاحتكاك.

وإن كان يجعل من السهل تصور طول الزمن الذي سيمر به كفاح الإسلام، وكذا تصور المرارة التي يحملها هذا الكفاح إليه:

أما أنه من الصعب التنبؤ بالنتيجة الأخيرة لهذا الاحتكاك.فإن يقظة الوعي الإسلامي وإن كانت لا تقوم في غالب الأحيان على فهم سليم للإسلام أو على قوة الإيمان به إلى حد التضحية في سبيله، بل تقوم أكثر على تعصب المسلمين له. كمصدر ينتسبون إليه وتزايده، كما اشتدت صليبية الغرب ضغطاً على المسلمين، ولا يسهل احتمال سقوط المسلمين في هذا الاحتكاك.

أما طول الزمن الذي يجب أن يمر به كفاح المسلمين، وأما شدة المرارة التي ينتظر

www.iqra.ahlamontada.com

لهم أن يذوقوها في صراعهم مع أعدائهم، فذلك مرتبط بوضع الإصلاح والتوجيه في الفكر الإسلامي قوة وضعفاً والمدعو بالإرادة السياسية وهذا الإصلاح مرتبط بالقائمين بشأنه و بالمؤسسات الإسلامية، التي لها طابع البحث أو الدعوة في مجال التعاليم الإسلامية[1].

١ــ الغرب وقيمة الإسلام كمصدر توجيه في الحياة:

يخضع الغرب هذه القيمة والحكم عليها إلى اتجاهاته في الحياة، والى نظراته وآرائه، لأنها في نظرهم هي اتجاهات الحياة الحضارية التي تمثل الصورة الراقية لحياة الإنسان!

ولا يسلك العالم الغربي مسلك المسلمين في التدليل على قيمة الإسلام في صلته بالحياة بحال المجتمع الأول على عهد الرسول (ﷺ) وصحابته... إذ هذه الحالة التي كانت للمجتمع الأول لا تقوم في نظرهم دليلاً على القيمة التوجيهية للإسلام، كجملة من المبادئ والوصايا في حياة الإنسان.

إن سيادة المسلمين إذ ذاك ـ كما يذكرون ـ كانت بالسيف والقوة، ولم تكن نتيجة للروحية والتوجيه الديني! ثم إنها كانت لفترة قصيرة، انحطت بعدها أفهامهم ومداركهم، وسقط مستواهم في الحياة والتوجيه، مما يدل على أن الإسلام كدين، غير عملي وغير مثمر!

(فالعالم الغربي) إذن (لا يقيمون) الإسلام من نفس تعاليمه ومبادئه، ومن علاقة هذه التعاليم بطبيعة الإنسان، وتوجيهه كفرد، وتوجيه مجتمعه، كما (يقيم) كل دين أو مذهب فلسفي عند تقديره والحكم عليه!! إنهم لا يريدون أن يسلكوا هذا الطريق، رغم أنهم يدعون أن بحثهم في الإسلام يقوم على أساس علمي وربما يرون غير مشاركين غيرهم من العلماء الأوربيين أن الطريق العلمي في بحث الإسلام هو إنكار قيمته

---

(١) البهي، محمد: الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار، مرجع سابق، ص٥٠٦-٥٠٨ (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

مقدماً، وليس تقديره من ذاته ولذاته بغض النظر عن الشروح الإنسانية التي جمعت حوله، وليست من مقوماته الذاتية في شيء!

وتخلص هذه الدراسات الاستشراقية للإسلام، في جوانبها الثلاثة:

في الأسس التي قامت عليها، وفي تقدير مصادر الإسلام، وأخيراً في (تقييم) الإسلام كدين .

إلى أن نوصي المسلمين بالأمور الآتية:

- إن المجتمع الإسلامي، في صلته بالإسلام، لم يكن على نحو قوي إلا في فترة القرون الأولى، التي أوجدت نوعاً من التلاؤم بين الحياة فيه وتعاليم الإسلام !! وبعد مضي هذه القرون، اتسعت الفجوة بين الطرفين، بين المجتمع الإسلامي كمصدر توجيه في الحياة، وكلما تطورت الحياة بالمجتمع الإسلامي بفعل العوامل الخارجية و الثقافية والسياسية والاقتصادية كلما تخلف المسلمون

من أن يجاروا تطور الحياة لهذا المجتمع! ومازالت الفجوة تتسع،حتى أعلنت دول الشرق والغرب الإسلامية مقر الإسلام والمسلمين ـ إبعاد الإسلام عن مجال الحياة العامة، وتركه في ضمير الفرد مستوراً، لا يعبر عنه الفرد إلا لنفسه فقط، وفي غير إعلان أو حماس.

إن التخلف عن تنفيذ تعاليم الإسلام تمليه الضرورة الاجتماعية، تحت ضغط ظروف الحياة المتجددة التي لم يستطيع الإسلام أن يكفيها في ضوء تعاليمه، ولم يستطيع أن يلائم بين تعاليمه وبينها والتشديد في تعاليم الإسلام معناه إذن: (العزلة) في الحياة و (التخلف) في استخدام وسائل الحضارة، والترحيب بالجهل والمرض والفقر والفراغ للسكان المسلمين، على نحو ما هو الحال ببلاد العالم الإسلامي وخاصة التي تطبق الإسلام، أفليست هي النموذج في تطبيق الإسلام.

- إن التطور، وهو قانون الحياة العام الذي لا مفر من الخضوع له، يجب أن

www.iqra.ahlamontada.com

يستخدمه المسلمون في إسلامهم ليسايروا العالم الغربي الحديث، ولينجوا من أسباب الضعف والفساد، ويجب لهذا أن يتطوروا بالإسلام نفسه ... كدين !! .

وهنا يقترحون هذه السبل لإتمام عملية التطور:

١- يجب في تطور الإسلام كدين، أن يستعان فيه بالمسيحية.

٢- يجب في تطور الإسلام أن يجاري المسيحية في هدفها.

٣- الجماعات الإسلامية ـ كي تتطور ـ يجب أن تسير وفق المثل الغربية.

وطريق ذلك:

أ - أن يبعدوه عن الحكومة والدولة، والسيادة العامة.

ب- عن علاقة الأفراد بعضهم ببعض.

ج- أن ينحوا عنه، مظاهر القوة المادية والمعنوية وأسبابهما، الزكاة والصدقات والجهاد والرغبة برد العدوان..

د - أن ينحوا عنه مظهر (الذاتية والشخصية، والاستعلاء الذاتي) المتمثل في عدم قبول ولاية غير المسلم على المسلم.

هـ- أن ينحوا عنه كذلك تأكيد الدفع إلى الحياة الحيوانية، هذا الدفع الممثل في إباحة تعدد الزوجات إلى أربع.!!

و - وأخيراً وليس أخراً ـ أن ينحوا منه التفريق بين الذكر والأنثى في الميراث، وفي حق الطلاق وغيرها.

رأينا الآن، أن الإسلام منذ الحملات الصليبية للعالم الإسلامي، يواجه صليبية هذا الغرب جنباً إلى جنب مع مواجهة سلطانه السياسي والاقتصادي والعسكري.. وهذه الصليبية الصهيونية ليست هي الشريعة المسيحية السمحة وإنما هي (روح السيطرة والانتقام) من الإسلام.

لماذا لم تتطور إفريقيا التي نبذت الإسلام وتنصرت منذ أكثر من خمسمائة عام، بل

www.iqra.ahlamontada.com

ماذا عن أثيوبيا البيت المسيحي العريق.؟ وماذا عن دول أمريكا اللاتينية وتخلفها وفقرها وعجزها الذي لا نجد في بلاد المسلمين له مثيلاً؟

ومما يواجهه عالمنا الإسلامي اليوم، بعد انتشار الفكر المادي والحملات التبشيرية ويأتون اليوم بالعولمة بكل أشكالها ونرى ثمارها ـ أن حلت الشعوبية محل الرباط الإسلامي، وبرزت الحدود والفواصل وخلقت خلقاً بالوطن الإسلامي دون أن تعتمد اعتماداً دقيقاً على المكان الجغرافي أو خصائص الجنس وإنما تعتمد أولاً على الحدود "المفترضة" التي وضعها المستعمر وقواها حتى يحول بذلك دون الترابط النفسي والاجتماعي والديني بين الشعوب الإسلامية في الآمال والكفاح، قبل أن يحول دون الاختلاط المكاني أو الزماني.

ويضاف إلى حساب خسائر المسلمين في مواجهتهم للغرب بكل أشكاله (الفراغ) الذي خلقه ركود الفكر الإسلامي في نفوس المعاصرين من المسلمين والذي هيأ فرصة لقبولهم تحريف غزاة الفكر الغربي للإسلام باسم الدراسات أو قبولهم أفكار مادية بإسم العلم ثم ترويج وقبول بفكرة هي حروب صليبية جديدة أسموها الحرب على الإرهاب.

وهذا الفراغ في نظري أشد خطراً على الإسلام، من الهجوم المباشر الصليبي أو الغربي عليه.

ب ـ الغرب والفراغ:

الفرد الغربي بما له من فلسفات نقدية، وتخصص علمي وعملي، يجد نفسه في ورطة، فمذهبه الطبيعي قد جعل له سلطاناً على قوى الطبيعة ـ وهو في ظن ووهم ـ لم يسبق إليه لكنه قد سلبه إيمانه في مصيره هو ومصير العالم.

والإنسان العصري قد تغشاه نشاطه العقلي، النفسي، الحسي، كف عن توجيه روحه إلى الحياة الروحانية الكاملة أي إلى حياة روحية تتغلل في أعماق النفس، فهو في

www.iqra.ahlamontada.com

حلبة الفكر في صراع صريح مع نفسه... وهو في مضمار الحياة الاقتصادية والسياسية في كفاح صريح مع غيره، وهو يجد نفسه غير قادر على كبح أثرته الجارفة، وحبه للمال حباً طاغياً تقتل كل ما فيه من نضال سام شيئاً فشيئاً، ولا يعود عليه منه إلا تعب الحياة، وقد استغرق في الواقع أي في مصدر الحسن الظاهر للعيان، فأصبح مقطوع الصلات بأعماق وجوده، تلك الأعماق التي لم يسبر غورها بعد، وأخف الأضرار التي أعقبت فلسفته المادية هي ذلك الشلل الذي اعترى نشاطه، والذي أدركه (هكسلي) Hixley[1] فأعلن سخطه عليه.

فالفرد المعاصر إذن ـ سواء أكان من أصحاب الفلسفة العقلية، أم من أصحاب فلسفة الحسّ والواقع، أم من أنصار الاشتراكية، أو من دعاة العولمة ـ لا يجد لنفسه، استقراراً، ولا اطمئنانا وهو في قلق مستمر واضطراب ما مع نفسه أو مع غيره.

وتتطبع نظرة الفرد الغربي في حضارته الغربية إلى الكون والحياة والغاية من وجود الإنسان بالنظرة المادية، وتترك هذه النظرة أثرها في فلسفته وعقيدته التي أضعفت وأصغرت من أثر الدين بالسلوك البشري كما تنكرت علومه مفاهيم عقيدة التوحيد .

وإن مثل هذا التصور المادي يخالف السنن الكونية في النفس البشرية ومعنى الحياة، كما تطبع أثرها على المدارس الغربية في التحليل النفسي والطب النفسي ونتيجة لذلك ترى تصور الفرد في مجتمعه يقيم بنيانه على دافع النهم النفسي الحسي، أكثر من التدبر الفكري ولابد أن ينشأ عن مثل هذا السعي عادةً السباق بين أصحاب

---

(١)هكسلي، تومس هنري (١٨٢٥ –١٨٩٥م) (huxley thomas henry) فيلسوف إنكليزي من اتباع المذهب الطبيعي، كان صديقاً لتشارز داروين ومن اتباعه، ومدافع عن نظريات داروين، وله أعمال بارزة في علم الأحياء، والتشريح المقارن، وعلم الإنسان، وفي حقل الفلسفة كان من اتباع ديفد هيوم ومن مؤلفاته: مكان الإنسان في الطبيعة هيوم حياته وفلسفته – الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص ٣٢٠ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

الدوافع المتشابهة، ويصاب مثل هؤلاء بنوع من التكالب والصراع مع الحياة ومغرياتها وألوان ترفها وملذاتها، كما تنشر هذه المجتمعات الحروب والخصومات والصراعات والنعرات والعصبيات على المستوى الخارجي.

إن الفرد مفطور على غرائز ترافقها آمال ومطامع نفسية غير ذات حدود، فهي لا تكف عن الطلب والمتابعة، والرغبة بالحياة والتملك، أو السطو والتسلط مهما نالت ما يكفيها ويفنيها، فلو أوتي ابن آدم وادي من ذهب لابتغى إليه ثانياً.

إن من يبحث عن صورة الحياة القائمة اليوم في فيافي الغرب، يزداد دراية ومعرفة بأحوال هذا العالم وأوضاعه اليوم، وكثير منا. اطلع أو سمع على الإحصائيات التي تتكرر كل عام عن أعداد المنتحرين في الولايات المتحدة أو في السويد أو الغرب، والتي تزداد عاماً إثر عام، حيث وباء الانتحار والقلق استشرى في صفوف الأثرياء والمترفين والمثقفين أكثر مما ظهر في بيوت الفقراء والجهال والعاطلين.

والكثيرون يعرفون أزمة الهيبين والمشردين وجمعيات المنحرفين، وأرباب الشذوذ النفسي والجنسي، ومشاكل المخدرات، وتطوير وسائل الانتحار... كما أن كثيراً منا قد أدرك هيستريا الفلسفات الجنونية البعيدة عن ضوابط المنطق والعقل، وكلها تعبر عن آثار الضياع عن معرفة معنى الحياة إن حديث الناس في الغرب بعضهم لبعض عن الانتحار لم يعد يثير أي غرابة أو اشمئزاز ولا يقبل من باب اللباقة أي تدخل أو اعتراض!...

إن مثل هذا الوباء النفسي (الفراغ) الذي ملأ ديار الغرب بالعيادات النفسية، وجعل التحول إلى مهنة التطبيب النفسي، أيسر السبل إلى أعظم ثروة إنما هو ثمرة طبيعية لضياع وفراغ معنى الحياة عند هؤلاء، وبطبيعة العلاقات بين أفراد المجتمع وأخلاقياتها، في المجتمعات المادية، حيث إن كل فرد فارغ مغترب في ذاته منعزل عن محيطه، والعلاقات بينه وبين الآخرين قائمة على المصلحة المادية المتبادلة وليس

www.iqra.ahlamontada.com

على العلاقة الإنسانية التي شرعها الله بين الناس وبين أفراد الأسرة وبين علاقات القربى والجوار، فقد تم فقدان ما يسمى بالروابط الاجتماعية السليمة في المجتمع المحلي.

إن هذا الفراغ الديني، هو الذي يفسر خضوع كثير من الناس في تلك المجتمعات، لدين لا يسايره العقل ولا يؤيده العلم، إذ أنهم يرون في الخضوع له ما يشبه المسكن لآلامهم وإضراباتهم النفسية والروحية حتى وإن ظلت عقولهم محجوبة عن فهمه والاقتناع به.

بمعنى آخر، فإن الاستسلام لدين لا يتفق معه العقل، مبعث لمشكلة سلوكية نفسية روحية تربوية ثقافية اجتماعية وهذا ما يفسر انشطار المجتمعات الغربية تجاه ذلك إلى قسمين:

قسم يخضع لدين لا يساير العقل، وقسم آخر فضل البقاء مع مقتضيات المنطق والعلم البعيدين عن احتياجات الإنسان الحقيقية.

لاشك أن العالم الغربي في العصر الراهن قد أقام نظماً مثالية على هذه الأسس ولكن التجربة بينت أن الحقيقة التي يكشفها العقل المحض لا قدرة لها على إشعال جذوة الإيمان القوي الصادق.

تلك الجذوة التي يستطيع الدين وحده أن يشعلها وهذا هو السبب في أن التفكير المجرد لم يؤثر في الناس إلا قليلاً، في حين أن الدين استطاع دائماً أن ينهض بالأفراد ويبدل الجماعات بقضها وقضيضها، وينقلهم من حال إلى حال . ولهذا لا تجد الحكومات التي اغترب عنها الدين إلا سبيل الإرهاب لغرض طاعة القوانين الوضعية على الجماهير...

إن مثالية الغرب لم تكن أبداً من العوامل الحية المؤثرة في وجودها، ولهذا أنتجت ذاتاً ضالة فارغة أخذت تبحث عن نفسها بين فلسفات لا تعرف التسامح، وكل همها استغلال الفقير لصالح الغني، والاستفادة من ضعف الضعيف لخدمة القوي.

www.iqra.ahlamontada.com

٢- القواعد الأساسية:

وإذ أقدم هذه الفقرة لأهل الفكر والغيرة والدعوة إلى الإسلام وعليه والأمة الإسلامية، أن يعملوا جهدهم على تعميق فكرة هذا الركن العظيم في حياة الأمة والجماعات الإسلامية، وأن يُغذوا به أجيالهم منذ النشأة، كما يغذونهم بأركان الإيمان والإسلام، فإذا لم تكن لدى المسلمين جميعاً القناعة الكافية والعقيدة الراسخة بضرورة استعادة قوتهم ووحدتهم، وأن مصالحهم العظمى مرتبطة بها.

فإن هذه الروابط المنشودة ستظل أملاً غير مقترن بعمل، فالفكر هو الخطوة الأولى. فالاعتقاد الراسخ، فالعاطفة المحركة المنيرة الباعثة، فالإرادة الموجهة الآمرة، فالعمل المسوق بكل هذه القوى الداخلية، وعندئذٍ يستخدم الفرد طاقات جسده وينفقها في مجالات حركته، فلنبدأ بالفكر، تأسيساً وتوضيحاً وتكاملاً، ولنرسخ العقائد قبل شحن العواطف وآثارها بغير وعي. كذلك علمنا القرآن في ترتيله المنجم.

من المؤكد يقينياً أن الفرد إذا ارتبط بروابط اعتقاديه، وروابط روحية، وروابط فكرية، وروابط تاريخية، وروابط اجتماعية، وروابط رياضية... منذ سن الوعي و التمييز إلى أن تدرج يافعاً والى أن ترعرع شاباً، إلى أن أصبح رجلاً، إلى أن انحدر شيخاً وكهلاً... فإن الفرد يصبح بلا شك عنده من مناعة الإيمان، وبرد اليقين، وحصانة التقوى... ما يجعله يستعلي على الجاهلية، ويهزأ بها...بكل تصوراتها واعتقاداتها ومبادئها وأضاليلها... بل يكون ثورة شعواء على كل من يقف من نظامه موقفاً معادياً، أو ينال من مبادئه الخالدة نيلاً حاقداً!! لماذا؟

لأن الفرد ارتبط بالإسلام عقيدة، وارتبط به عبادة، وارتبط به خلقاً، وارتبط به نظاماً وتشريعاً، وارتبط عملاً وتطبيقاً، وارتبط به دعوةً وجهاداً، وارتبط به ديناً ودنيا، وارتبط به مصحفاً وسيفاً، وارتبط به فكرة وثقافة.

وهذه أهم الروابط التي تحقق الخير كل الخير للفرد،فلنحرص عليها وعلى تنفيذها

www.iqra.ahlamontada.com

ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، عسى أن نرى الفرد والجماعة في عداد المؤمنين الأبرار ومن زمرة المتقين الأطهار: **والروابط هي على الوجه التالي:**

أ – قاعدة[1] الربط[2] العقدي:

من خلال تجارب الأيام والتاريخ تظهر لنا حقيقة ناصعة واضحة بينة وهي أن المسلمين ما اجتمعوا يوماً وكان لهم عز إلا حول (عقيدة الإسلام) فلا الدعوات الإقليمية ولا النزعات العرقية، ولا الدعاوي المذهبية، ولا النعرات الشعوبية، ولا المستجلب من غرب وشرق، يمكنها أن تجمع المسلمين وقد أكدت التجارب أن تلك الدعوات قد فرقت الوطن الواحد، وما نراه من واقع الأمة أمامنا في لبنان، والأفغان، والصومال وهنا وهناك . وقد أكد فيما مضى ابن خلدون:

أن العرب ـ المسلمين ـ لا يتجمعون إلا حول عقيدة دينية،وتلك هي التي جمعتنا وتجمع صفوفنا، وأسباب التشرذم والتفرق والتخلف لا منجاة منها إلا بالعقيدة وتلك شهادة التاريخ، فإن هذا الشرق لا يبرأ من النهم المسعور، والانكباب على الجنس إلا في الفترات التي تملكته فيها العقيدة، فاستنفذت طاقته المذخورة في آفاق أعلى من محيط الجسد، وأثمن من دفعة الغريزة، حين تحولت هذه الطاقات إلى فتوحات لا مثيل لها في التاريخ، وحركة علمية وفكرية واقتصادية وروحية أضاءت النور للإنسانية الحائرة الغارقة في الظلمات. حين ذاك كان كل شيء في موضعه المعقول فلا استبداد ولا كبت ولا إهمال ولا مبالغة ولا سعار.

---

(١) قاعدة: (القاعدة) من الناء: أساسه، و- الضابط، أو الأمر لكي ينطبق على جزئيات .
مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، مرجع سابق ح٢ ص ٧٥٥

(٢) الربط: (ربط الشيء: شده، فهو مربوط، - جأشه -رباطة: اشتد قلبه فلم يفر عند الفزع، وربط الله على قلبه: ألهمه أياه وقواه . المرجع نفسه: ح١ص٣٢٣

www.iqra.ahlamontada.com

ونحن اليوم في حاجة إلى العقيدة تنظف النفوس وترفع من أهدافها، وفي حاجة إليها تملأ الفراغ المدمر القاتل، فراغ الجهد، فراغ الأهداف، فراغ الزمن.

إن النفس الإنسانية كالمملكة المترامية الأطراف قيادة رابطها قلبها وجنودها هم أعضاء الجسد وجوارحه فالذي يفكر به القائد ويقره يأمر جنوده به فيتحركون ويسعون لتنفيذ الأمر. وهكذا قلب الإنسان.فالذي يشغله ويفكر به هو الذي ينعكس على الجوارح وتعمل به، وهنا تستبان خطورة العائق. لاستغلال الفراغ في القلب فإذا كان القلب خاوياً فارغاً انعكس ذلك على الجوارح فأصبح الفرد لا يعرف قيمة الحياة ولا هدفه فيها ولا قيمة للزمن ولا كيف يستغله لأنه

يتحرك من فراغ بخلاف ما لو كان القلب ممتلئاً بالإيمان والأخلاق القلبية فإنه يتحرك من هذا المنطلق وهذا ما قرره المناوي رحمه الله حين قال:

"إن الإنسان إذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغاً ولم يبق قلبه فارغاً بل يعشعش الشيطان ويبيض ويفرخ فيتولد فيه نسله توالداً أسرع من توالد كل حيوان ومن ثم قيل الفراغ للرجل غفلة وللنساء غلمة[١]" [٢].

فإن ما حصل ويحصل للمسلمين لم يكن نتيجة أنهم مسلمون، إنما بسبب الخواء التدريجي الذي حل بكل مفاهيم ومبادئ ومثل الإسلام الرئيسية،نتيجة الانحراف الطويل، والفراغ الكبير الذي فرغ مفهوم (لا إله إلا الله) و (الله أكبر) من مدلولهما الحقيقي، أو حوّل الإسلام كله إلى تقاليد خارجة من الروح.

---

(١) غلمة: شدة الشهوة للجماع، أو هيجان الشهوة بين المرأة والرجل ـ مصطفى إبراهيم، وزملاؤه: المعجم الوسيط مرجع سابق، ح٢ص٦٦٦ ولسان العرب ح٢ص١٠١٠.

(٢) المناوي، محمد المدعو بعبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصدر سابق ح٢ ص ٢٩٠.

www.iqra.ahlamontada.com

- سؤال يطرح نفسه أين وصلت الأمة الإسلامية والبشرية؟

بعد أن أفلتت من رابط الدين والعقيدة ومن حكم الدين ولم تتقيد بعقيدة ثابتة، ونادت بالتطور الأخلاقي والتفلت الديني والتيارات الفكرية وتقديس العادات والتقاليد والعنصر، لقد ظهرت أثاره ـ في أشد الدول رخاء من حيث المادة فكانت:

١- سوءاً في التوزيع، ثراء فاحشاً من ناحية وفقراً مدقعاً من ناحية، ترفاً من ناحية، يقابله حقد غيض في قلب الفقير مما يجعل المجتمع على شفا بركان مهدد بانقضاض طبقة على طبقة .

٢- الكبت والقمع والخوف في الأمم التي أدعى بعض حكامها أنهم يريدون عدالة التوزيع، فقامت المجازر على الطريق، وسالت الدماء، حتى تناقص عدد المسلمين، في الاتحاد السوفياتي سابقاً وفي يوغسلافيا وغيرها.

٣- الانحلال النفسي والخلقي الذي يؤدي إلى تدمير الحياة المادية ذاتها، لأن الحضارة لابد لها من ضمان يجمعها، ومؤيدات تحفظها فإذا غرقت الأمة في وحل الجنس وعفن الثروات الحيوانية.

فإنها تزول، والتاريخ خير شاهد، لقد اندثرت أثينا عندما عبدت الشهوة، وكذلك ذهبت الإمبراطورية الرومانية التي استغرق بناؤها ألف عام وسقطت روما على يد ضربات من قبائل متوحشة همجية من الوندال والهون وذلك بعد أن ألهّت روما فينوس الزانية كآلهة الجمال، وباخوس السكير كإله للخمر، وكيوبيد الذي تقول أساطيرهم الموروثة عن اليونان أنه ابن أفروديت ـ آلهة الحب التي زنت من ثلاثة آلهة ـ فأصبح كيبوبيد إلهاً للحب.

www.iqra.ahlamontada.com

٤- القلق[1] العصبي، والتمزق النفسي، والأمراض النفسية والعصبية والجسدية والقرح المعدية، والشذوذ الجنسي، وانفصام الشخصية وازدواجية الذات، والانتحار الذي أصبح ظاهرة خطيرة في المجتمعات المترفة، خاصة في قطاعات الفنانين والفنانات، والأمراض الجنسية حتى خصصت مئات المستشفيات للأمراض الجنسية كالزهري والسيلان، والإيدز .

تقول دائرة المعارف البريطانية أن في أمريكا يخصص للأمراض الجنسية أكثر من الأمراض بمجموعها عدا السل.

المسلمون اليوم أكثر الناس يعيشون في فراغ...

وتفرحهم أرقام الإحصائيات عندما يسمعون أن رقمهم العالمي مليار ومائتا مليون مسلم، ولكن مع الأسف إحصائية أسماء من غير مسمى... فاسم المسلم أحمد ولكن ليس بمحمود الصفات. واسم المسلم عبد الله ولكن ليس عبداً، فهي أسماء من غير مسمى وأصبح همهم كيف يأكلون ويشربون وكيف يصرفون شهواتهم وملذاتهم حتى تحقق فينا المثل أن "ديننا دنانيرنا، ونساءنا قبلتنا وبطوننا آلهتنا" ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فلا مبالاة للوقت، ولامبالاة للزمن، ولامبالاة للحظات، وأعداؤنا يخططون وينفذون ويسيطرون على العالم باستخدام كل أسلحة الزمان فهل من متحرك.

---

(١) القلق: هو الاضطراب والانزعاج، في اللغة، مقولة وجودية في الاصطلاح، وهو الشعور الأساسي للوجود في العالم، ينبثق من شعور الآنية، ألها ملقاة هناك في العالم، ومرغمة على الاختيار، وأن الخطر يتهددها، ويكشف عنها القلق الموجود لذاته، ويعرض عليه أن يحققها، ويضع الإنسان وجهاً لوجه أمام نفسه باعتباره لم يوجد بعد، وإنما سيوجد بواسطة الاختيار، والاختيار حرية ومخاطرة، والقلق يقترن بالإمكان والحرية .

- الحنفي، عبد المنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مرجع سابق، ص٦٥٩.

- القلق: حالة انفعالية معقدة تصيب الإنسان، وتنطوي على عنصر أساسي هو الخوف من موضوع غير معين أو محدد . - الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق ص٤٤٥.

www.iqra.ahlamontada.com

وتأتي الرابطة العقدية فتصنع مفهومات وقناعات واسعات، تدخل في حسابها الحياة كلها بكل أبعادها الحالية والمستقبلية، حتى الأبدية، ونلاحظ من هذه الأبعاد ما يلي:

أ – البعد الفكري والنفسي والروحي.

ب- بُعد الواقع الجاري.

ج- بعد المستقبل في الحياة الدنيا.

د – بعد المستقبل الآخر الآتي بعد الموت.

هـ- تصحيح الرؤية لدوائر اللذات والآلام العاجلة وأسباب تحصيلها.

و – تصحيح الرؤية لدواء إمكانات الأسباب في تحقيق المطالب، ضمن سلطان المقادير الغلابة التي لا وسيلة لمقاومتها وللمؤمن هنا موقف فكري وعملي تجاه القضاء واتخاذ الأسباب التي أمر الله باتخاذها، والمفهومات الإيمانية (للربط العقدي) في نقاط كثيرة عن المفهومات المادية التي تنحصر تصوراتها ضمن حدود الحياة الدنيا،وتسيطر عليها الأنانيات التي تطغى في معظم أحوالها على الحق والواجب والخير والفضيلة[1].

ب- الربط الروحي:

لم يدع الإسلام وسيلة تربوية نافعة لا ضرر فيها إلا واستخدمها في مختلف مجالات التربية، ومنها التربية الروحية، وذلك لأن الناس أصناف، فمنهم قد تلائمه وسيلة من الوسائل وتتناسب مع خصائصه النفسية والفكرية في حين أنه قد لا تجدي معه وسيلة أخرى، وحركة الإسلام الإصلاحية لابد أن تأخذ بكل الوسائل لتلائم كل الأفراد ولدى البحث عن الوسائل التي اتخذها الإسلام لاكتساب الربط الروحي

---

(١) حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن: الأمة الربانية الواحدة، مؤسسة الريان، بيروت، الطبعة الثانية،١٤١٦هـ- ١٩٩٦م ص٨١-٨٢ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

ولإلزام الأفراد والجماعات بالمنهج الأخلاقي الذي رسمه للناس، تظهر لنا مجموعة من الوسائل، منها الوسائل التالية:

- الوسيلة العملية والرياضة النفسية:

إن التدريب العملي والممارسة التطبيقية ولو مع التكلف في أول الأمر، وقسر النفس على غير ما تهوى، من الأمور التي تكتسب النفس الإنسانية العادة السلوكية طال الزمن أو قصر .

وقد عرفنا في النفس الإنسانية استعداداً فطرياً لاكتساب مقدارٍ ما من كل فضيلة خلقية وبمقدار ما لدى الفرد من هذا الاستعداد تكون مسؤوليته، ولو لم يكن لدى النفوس الإنسانية هذا الاستعداد لكان من العبث اتخاذ أية محاولة لتقويم أخلاق الناس والقواعد التربوية المأخوذة من الواقع التجريبي تثبت وجود هذا الاستعداد واعتماداً عليه يعمل المربون على تهذيب سلوك الشباب والأجيال التي يشرفون على تربيتها، وقد ورد في الأثر «**إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحرى الخير يعطه ومن يتقى الشر يُوقَّهُ**»[1]. «**مازال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب صديقاً**»[2]..

ومن ذلك يظهر أمران:

١- تربية الخلق[3].

٢- وقابلية النفس للتعديل بالممارسة والتدريب العملي.

- الانغماس في المجتمعات الصالحة:

من وسائل اكتساب الربط الروحي الانغماس في المجتمعات الصالحة، وذلك لأن من طبيعة الفرد أن يكتسب من المجتمع الذي ينغمس فيه ويتعايش معه، ما لديها من

---

(١) الهندي، المتقي حسام الدين: كنز العمال، مصدر سابق، ح١٠ ص٢٣٩، رقم الحديث (٢٩٢٦٦).

(٢) ابن حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد، مصدر سابق، ح١ ص٦٤٩ رقم الحديث (٣٧١٩).

(٣) أجمع مفكرو الإسلام على أن الأخلاق مكتسبة بالتربية وليست نظرية – (الفارابي، مسكويه، الغزالي).

www.iqra.ahlamontada.com

سلوك وأخلاق وعادات وتقاليد، عن طريق المحاكاة والتقليد والسراية [1]، وبذلك تتم العدوى النافعة أو الضارة، وفي الأمثال: إن الطبع للطبع يسرق.

ويضاف إلى ذلك أن الدافع الجماعي الموجود في الفرد الإنساني، يجعله إذا انخرط في سلك مجتمع جماعي ضمن آلة متحركة عاملة تقسره قسراً ذاتياً على أن يستحسن ما تستحسنه، ويستقبح ما تستقبحه، وعلى أن يتقبل التدريبات العملية التي تمارسها الجماعة، وبذلك يكتسب الفرد طائفة كبيرة من الأخلاق والسلوكيات التي تتخلق بها الجماعة .ويضاف إلى ذلك عامل التكرار مع الزمن الذي تغدو به المكررات عادات متمكنة في الفرد، وللذات جذور عميقة في قرارة نفسه.

هذا بخلاف المجتمعات المنحرفة فإنها تؤدي هذا الدور نفسه، ولكن في اتجاه معاكس تماماً، لذلك كان من واجبات التربية النافعة الربط والتوجيه والإلزام بمصاحبة الأخيار والبعد عن الأشرار.

ومن الممكن تلخيص التأثير الجماعي على الفرد بالعناصر التالية:

١- السراية (المحاكاة والتقليد) التي تفعل فعلها العميق في كيان الفرد، وهي من خصائص الاجتماع، وكلما كبر المجتمع كان تأثيره على الفرد الذي ينخرط فيه أكثر.

٢- القوة المعنوية الجماعية، التي يخشى الأفراد عقوباتها المادية والمعنوية، ويرجون مثوباتها المادية والمعنوية.

٣- جاذبية الجماعة لعنصر التقليد والمحاكاة الذي يوجد عند الأفراد.

٤- عنصر المنافسة، وهو من خصائص الجماعة.

---

(١) السراية: دب تحتها ويقال سرى فيه السم والخمر، وسرى فيه عرق السود _ مصطفى، إبراهيم وزملاؤه:المعجم الوسيط، مرجع سابق ج١ ص٤٣٠

www.iqra.ahlamontada.com

٥- رغبة الأفراد بتقدير الآخرين ومحبتهم له وهذا الدافع لا يتحرك إلا في وسط الجماعة، فاستغلاله من خصائص الجماعة.

٦- حاجة الأفراد للتكيف مع وسطهم الاجتماعي لتسهيل إشباع حاجاتهم ونماء شخصيتهم.

هذا وقوة الجماعة الخيرة يوجد نظيرها في الجماعة الشريرة الخبيثة، يضاف إليها من النفس بفطرتها إلى الأهواء والشهوات التي ترافق رذائل الأخلاق وقبائح الأفعال، لاسيما إذا كان مخالط الأشرار غراً صغيراً غير مضرس في الحياة، وسلطان الغرائز والأهواء فيه أقوى من سلطان العقل والأخلاق والوازع.

- القدوة الحسنة:

القدوة الحسنة هي المثال الواقعي للسلوك الخلقي الأمثل، وهذا المثال الواقعي قد يكون مثالاً حسياً مشاهداً ملموساً يقتدي به، وقد يكون مثالاً حاضراً في الذهن بأخباره وسيره، وصورة مرتسمة في النفس بما أثر عنه من سير وقصص وأنباء من أقوال وأفعال.

والقدوة الحسنة تكون للأفراد على صفة أفراد مثاليين ممتازين، وتكون للجماعات على صفة جماعات مثالية ممتازة.

وسر تأثير القدوة الحسنة في اكتساب الفضائل والربط الروحي يرجع إلى عدة أسباب أهمها.

١- إن القدوة الحسنة تولد في الفرد المحروم من أسباب هذا المجد حافزا قوية تحفزه إلى تقليد القدوة الحسنة، ومحاكاتها في أخلاقها وسلوكها، وعن طريق التقليد في الفضائل تكتسب الفضائل لأن الممارسة التقليدية تتحول إلى عادة متمكنة، وهذه تتحول إلى خلق مكتسب ولو أن مجد القدوة الحسنة قد ضعف في المجتمع الذي تعيش فيه، بسبب الانحراف الخطير في هذا المجتمع، وضعف تأثيره عند كثير من الأفراد.

www.iqra.ahlamontada.com

٢- إن المثال الحي المرتقي في درجات الكمال، يثير في نفس البصير العاقل قدراً كبيراً من الاستحسان والإعجاب والتقدير والمحبة، ومع هذه الأمور تتهيج دوافع الغيرة لديه.

٣- إن القدوة الحسنة المتحلية بالفضائل الممتازة تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة [١].

ووجه القرآن الكريم بصراحة تامة إلى القدوة الحسنة، فقال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢].

- المجتمع الإسلامي السوي:

اعتمد على المجتمع الإسلامي السوي، لما له من سلطة معنوية فعالة ومؤثرة على نفوس الأفراد. وترجع السلطة المعنوية إلى أن الفرد جزء من المجتمع الذي يعيش فيه، وله من مجتمعه مصالح كثيرة مادية ونفسية وبما أن الفرد كائن اجتماعي. ولا يستطيع أن يعيش عيشاً سوياً سليماً إلا ضمن مجتمع من الناس، كان ارتباطه بالمجتمع نابعاً من حاجته إليه، والحاجة لشيء ذي إرادة تجعل لهذا الشيء سلطاناً على من كان بحاجة إليه، إذ هو لا يحقق هذه الحاجة من نفسه ما لم يكن راضياً، عندئذٍ يسعى ذو الحاجة إلى تحقيق رضاه حتى ينال منه حاجته.

وقد ملأ الإسلام المجتمع الإسلامي بالمناسبات المتكررة الدورية،التي يجتمع فيها المسلمون على سلوك واحد، الأمر الذي من شأنه أن يملي على الأفراد وقائع السلوك الكريم.

---

(١) حبنكة الميداني،عبد الرحمن حسن: الأخلاق الإسلامية ، مرجع سابق، ج١ ص٢٠٧-٢١٦(بتصرف)

(٢) سورة الأحزاب : الآية (٢١)

www.iqra.ahlamontada.com

ويدربهم على كل فضيلة نفسية وعملية، ويشجع السابقين المتنافسين في الخيرات على تنمية أمثلة الكمال الخلقي والربط الروحي في المجتمع.

والمجتمع الإسلامي السوي يلاحق الفرد إلى أصغر الدوائر الاجتماعية التي يعيش فيها، مبتدئاً من أكبر المؤسسات الاجتماعية النظامية وغير النظامية، ومنتهياً بمجتمع لا يلتقي فيه إلا اثنان، زوجان، أو أخوان، أو شريكان، أو والد وولده، أو صاحب وصاحبه، إذ يجد الفرد من كل هذه الدوائر الاجتماعية الإسلامية ما يكون عليه رقيباً، وله محاسباً، ومؤنباً، وناصحاً، وآمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، ومعاقباً بالهجر والمقاطعة إذا لزم الأمر.

وحينما تلتقي مجموعة الوسائل المتخذة لاكتساب الربط الروحي والإلزام بمنهج الإسلام الرباني ضمن الأسس الإسلامية التربوية العامة، تتهيأ الظروف والشروط الممتازة لضمان صلاح أكبر نسبة من الأفراد.

يمكن أن نخلص إلى الأشياء التالية:

١- يجب أن يرتبط الفرد بأركان الإيمان، والحقائق الغيبية، وبكل ما ثبت يقيناً عن طريق الخبر الصادق من اعتقادات وغيبيات...

٢-إن ارتباط الفرد بالعقيدة الإلهية... مما يجعل الفرد ينشأ على المراقبة لله، والخشية منه والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع، والتزام منهجه في كل ما يأمر وينهي، بل يكون عنده من حساسية الإيمان، وإرهاف الضمير.. ما يكف عن المفاسد الاجتماعية،والوساوس النفسية والمساوئ الخلقية... وبهذا ينصلح خلقياً ويرتقي روحياً... ويكتمل عقلياً ويستقيم سلوكياً.

٣- الربط الروحي هو أن تتصف روح الفرد بالصفاء والإشراق، وأن يتفجر قلبه بالإيمان والإخلاص، وأن تسمو نفسه في أجواء الطهر والروحانية....

www.iqra.ahlamontada.com

والمنهج على الشكل التالي:

أ - ربط الفرد بالعبادة.

ب- ربط الفرد بالقرآن الكريم.

جـ- ربط الفرد بالمساجد.

د- ربط الفرد بذكر الله.

هـ- ربط الفرد بالنوافل.

و - ربط الفرد بمراقبة الله تعالى.

تلكم أهم بنود المنهج الإسلامي في ربط الفرد المسلم روحياً، وتكوينه إيمانياً وخلقياً.

٣- الربط الاجتماعي:

من الثابت تجربة وواقعاً أن سلامة المجتمع، وقوة بنيانه وتماسكه. مرتبطان بسلامة أفراده وإعدادهم. ومن هنا كانت عناية الإسلام بتربية الأفراد اجتماعياً وسلوكياً. حتى إذا تربوا وتكونوا وأصبحوا يتقلبون على مسرح الحياة أعطوا الصورة الصادقة عن الإنسان الانضباطي المتزن العاقل الحكيم.

ومما يجب على الفرد منذ نعومة أظفاره التزام آداب إسلامية واجتماعية فاضلة، و أن يعود نفسه أصول نفسية نبيلة تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة، وتنبعث من الشعور الأخوي العميق ...

ليظهر الفرد في المجتمع الإسلامي على خير ما يظهر به من حسن الأخلاق، والتعامل الأخوي والأدب الاجتماعي والاتزان الفعلي والتصرف الإنساني الحكيم ويمكن أن نوجه الفرد إلى وسائل تؤدي إلى التربية الاجتماعية الفاضلة في أمور أربعة:

١- غرس الأصول والاتجاهات النفسية النبيلة.

٢- مراعاة حقوق الآخرين.

www.iqra.ahlamontada.com

٣- التزام الآداب الاجتماعية العامة.

٤- المراقبة والنقد الاجتماعي.

ولا يخفى ما في هذه الوسائل من تقويم أخلاق الفرد سلوكياً، ومن إعداده اجتماعياً ومن تكوينه نفسياً... ليكون اللبنة الصالحة في تكوين المجتمع الفاضل، وإيجاد الأمة المثالية الصالحة... وهذا هو منطلق الإسلام في الإصلاح والبناء.!!

ولكن ما المقصود بربط الفرد اجتماعياً ؟ وما هو علاقة هذا الربط بالفراغ؟ ..

المقصود بربط الفرد اجتماعياً هو أن يسعى أصحاب المسؤولية التربوية والدعوية.

في ربط الفرد منذ أن يتفهم الأشياء وحقائقها... ببيئة اجتماعية نظيفة صالحة... يكتسب منها التزكية لنفسه والطهر لقلبه والتثبيت لإيمانه والعلم النافع لعقله والأخلاق الفاضلة الصحيحة لجسمه، والتوعية الإسلامية لفكره، والجهاد الصادق لدعوته، والإشراق الرباني لروحه، والاندفاع الإيماني لدينه...

ولكن ما هي هذه البيئة الاجتماعية الصالحة التي تكسب الفرد هذه الصفات الكريمة، وتجعل منه هذا الفرد المثالي الواعي الصالح...

أرى أنها متحققة في ارتباطات ثلاثة:

١- ربط الفرد بالمرشد.

٢- ربط الفرد بالصحبة الصالحة.

٣- ربط الفرد بالدعوة وبالداعية.

١- ربط الفرد بالمرشد (القدوة) [1]:

مما لا يختلف فيه اثنان أن الفرد إذا ارتبط بعالم مرشد (قدوة) مخلص صالح، فاهم للإسلام على حقيقته، مندفع له مجاهد في سبيله، مطبق لحدوده وأحكامه، وقاف عند

---

(١) لا يقصد هنا بالمرشد في الصيغة الصوفية ولا بالصيغة الحزبية إنما هو الفرد الذي يحمل العلم والتربية والدعوة المخلصة (القدوة) .

www.iqra.ahlamontada.com

أوامره وزواجره، لا تأخذه في الله لومة لائم، لا يختلف اثنان في أن هذا الفرد يكتمل إيمانياً وخلقياً، وينضج عقلياً وعلمياً، ويتكون جهادياً ودعوياً، ويتربى بشكل عام على العقيدة الراسخة، والإسلام الكامل...

ولكن لو أجَلْنا النظر يميناً وشمالاً وتتبعنا أحوال من يتصدون للإرشاد، وتربية النفوس فماذا نجد:

نجد الأكثر ـ يا للأسف ـ يعطون لمستمعيهم ومريديهم وتلاميذهم الصورة المشوهة عن الإسلام، أو يعطون جانباً معيناً من الإسلام، ويهملون الجوانب الأخرى...

فمن أمثلة إعطاء الصورة المقلوبة عن الإسلام قولهم:

"إن الإسلام ليس فيه منهج حياة بل هو منهج عبادة"

"لا يجوز للمسلم السالك أن يتدخل في السياسة أو في الأمور الاجتماعية عليه خاصة نفسه".

"إذا رأيت شيخك متلبساً بالمعصية فعليك ـ أيها المريد ـ أن تعتقدها طاعة".

"الشيخ منزه عن الوقوع في المعصية لكونه متصفاً بالحفظ والحماية والعصمة".

"المريد لا يتخلى عن الرذائل ولا يتحلى بالفضائل، ولا يصل إلى الله حتى يعترف لشيخه عن كل موبقة ومعصية ارتكبها، وعن كل ذنب اقترفه".

"المريد إذا لم يقر لشيخه بكل شيء ـ علمه به وبأحواله وأفعاله ـ عن خاطرة السوء يكون مناقضاً للبيعة".

إلى غير ذلك من هذه الأقوال التي تناقض الشريعة وتخالف الإسلام.

ومن أمثلة من يأمر بجانب من الإسلام ويهمل الجوانب الأخرى:

- من يركز توجيهه وعنايته على إصلاح النفس وتزكيتها، ويهمل جانب المجتمع وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومناهضة الجهل والجاهلين والظلم والظالمين. والفساد والمفسدين...

www.iqra.ahlamontada.com

من يهتم للمظهر الإسلامي والتكوين العبادي والروحي .. ويهمل جانب التعاون والتكافل والعمل، والتجمع الإسلامي، لإيجاد المجتمع المسلم في الأرض .

- من يوجه كل اهتمامه بتبليغ الدعوة إلى الله تعالى، ولا يكترث من قريب أو بعيد بأي عمل أو نشاط يؤدي إلى بناء المجتمع الصالح. ومنهم.. ومنهم...

علماً أن الإسلام كلٌ لا يتجزأ، وأحكامه التشريعية لا تقبل التقسيم والانفصال والتجزئة، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾[1].

فالمرشد الرباني، والعالم الواعي الناضج هو الذي يمثل القدوة الصحيحة عن الإسلام هذه طائفة من أقوال كبار هؤلاء الأئمة المرشدين، والعلماء الربانيين:

- يقول الإمام العارف الشيخ عبد القادر الجيلاني[2] في كتابه "الفتح الرباني"

"كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة، طر إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة، ادخل عليه ويدك في يد الرسول (ﷺ)"[3].

"ترك العبادات زندقة، وارتكاب المحظورات معصية، لا تسقط الفرائض في حال من الأحوال"[4].

---

(١) سورة البقرة: الآية (٨٥)

(٢) عبد القادر الجيلاني (٤٧١-٥٦١هـ = ١٠٧٨-١١٦٦م) عبد القادر بن موسى ابن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي: مؤسس الطريقة القادرية . من كبار الزهاد والمتصوفين، ولد في جيلان (وراء طبر ستان) وانتقل إلى بغداد شاباً سنة ٤٨٨هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أسلوب الوعظ وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر . له كتب (الفنية لطالب طريق الحق) (الفتح الرباني) (الفيوضات الربانية) . ـ الزركلي، خير الدين: الأعلام، مرجع سابق، ج٤ ص٤٧ (بتصرف).

(٣) الجيلاني، عبد القادر: الفتح الرباني،بولاق، مصر، ١٣١٦هـ، ص٢٩.

(٤) سرور ،طه عبد الباقي: التصوف الإسلامي والإمام الشعراني، مطبعة نهضة مصر ١٣٧٢هـ، ص٧٠-٧٥ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

ويقول الإمام سهل بن عبد الله التستري[1]: "أصول طريقنا سبعة: التمسك بالكتاب، والاقتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى، وتجنب المعاصي، ولزوم التوبة، وأداء الحقوق"[2].

ويقول الإمام الرباني الجنيد[3] رحمه الله: مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة، الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم"[4].

ويقول أبو يزيد البسطامي[5] رحمه الله لبعض أصحابه "قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية وكان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهد، فمضينا إليه، فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى بزاقة تجاه القبلة، فانصرف أبو زيد ولم يسلم

---

(١) سهل بن عبد الله التستري:(٢٠٠-٢٨٣هـ =٨١٥-٨٩٦م)سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد: أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال . له كتاب في (تفسير القرآن) و(رقائق المحبين) وغير ذلك- الزركلي،خير الدين: الأعلام، مرجع سابق، ح٣ ص١٤٣

(٢) القشيري، عبد الكريم بن هوازن: الرسالة القشيرية،تحقيق عبد الحكيم محمود،دار الفرفور، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م ص٧٩-٨٠ (حاشية).

(٣) الجنيد البغدادي (.....-٢٩٧هـ =...... ٩١٠م) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم: صوفي، من العلماء بالدين . مولده ومنشأه ووفاته في بغداد . أصل أبيه من نهوند، وكان يعرف بالتواريري نسبة لعمل التوارير . وعده العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، وله دواء الأرواح غير مطبوع . ـــ الزركلي، خير الدين: الأعلام، مرجع سابق، ح٢ ص١٤١ (بتصرف).

(٤) القشيري، عبد الكريم بن هوازن: الرسالة القشيرية، مصدر سابق ص٩٦ .

(٥) أبو يزيد البسطامي: (١٨٨-٢٦١هـ = ٨٠٤-٨٧٥م) طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد، ويقال بايزيد: زاهد مشهور، له أخبار كثيرة . كان ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر، نسبته إلى بسطام (بلدة بين خرسان والعراق) أصله منها، ووفاته فيها قال المناوي: وقد أقررت ترجمته بتصانيف حافلة . ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية . - الزركلي، خير الدين: الأعلام، مرجع سابق، ح٣ ص٢٣٥ (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

عليه، وقال: هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب رسول الله (ﷺ) فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه[1].

فما أعظم العالم المرشد حين يقيس نفسه بالحق، ولا يقيس الحق بنفسه.. وما أعظم قدوته عند الناس حين يعطيهم الإسلام منهاجاً شاملاً عاماً سواء ما يتعلق في العقيدة والتشريع، أو ما يتصل بالدين والدولة، أو ما يرتبط بالتزكية والجهاد، أو ما يختص بالعبادة والسياسة أو ما يتعلق بقوله الحق وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فما على الفرد إلا أن يبحث عن عالم (قدوة) مرشد رباني تجتمع فيه هذه الصفات وتكتمل في شخصية هذه المفاهيم.. حتى إذا ارتبط به الفرد أعطاه التلقين الإسلامي الصحيح المتكامل، ووجه قلبه وفكره وروحه إلى منهج الإسلام الشامل وربطه بالحق والشرع وتوجيهات السلف، لا بوجوده الفاني وشخصه غير المعصوم.

ولاشك أن الفرد حين يرتبط بالقدوة الواعية، بالشكل الذي بيناه، ويلتقي بالمرشد العالم الرباني بالحال الذي وصفناه... فيكون الفرد على تقوى وطاعة الله عز وجل، وينشأ على الإخبات لله سبحانه والجرأة في الحق ويدرج على التعبد في المحراب مقارعة الأعداء في ميادين الجهاد والوغى، وعندئذٍ يندفع إلى إقامة حكم الله في الأرض بحرارة الإيمان، وتخوف الإسلام، واندفاع الشباب، وحصيلة الوعي، ونتيجة الفهم، واستشعار المسؤولية.

فبهذا الربط الذي اكتمل، وبمعالجة هذا الفراغ الذي تلقنه، يصبح الفرد على يد هذا المرشد الرباني لبنة صالحة في الكيان الإسلامي العام.

نحن بين أمرين:

١- عالم صالح حبس نفسه عن الناس ... فأصبح الوصول إليه متعذر.

---

(١)القشيري، عبد الكريم بن هوازن: الرسالة القشيرية، مصدر سابق ص٧٦

www.iqra.ahlamontada.com

٣- عالم وصولي مدعي عزّ نفسه ونمزها في عواطف الناس ... فأصبح الهرب من تأثيره مستقبح.

٢- ربط الفرد بالصحبة الصالحة:

ومن العوامل الهامة في ملأ فراغ الفرد إيمانياً ونفسياً، وإعداده خلقياً واجتماعياً... ربط الفرد بالصحبة الصالحة المؤمنة، ليكتسب منها ما ينمي شخصيته من روحانية مشرقة،وعلم نافع، وأدب سام، وأخلاق قويمة...

الأخوة والصحبة في الدين أعلى مراتب الأخوة والصحبة وأعظمها و أكبرها، وهي رباط اجتماعي لا يماثله رباط آخر ولا يقاربه، حتى الرباط بين الوالد وولده، وبين الأخ في النسب وأخيه، وبين الزوج وزوجته بدون توافق في الدين يعتبر رباطاً واهياً ضعيفاً إذا قورن برباط الدين، ولذلك يحارب الأخ أخاه والولد أباه، والزوج زوجته في سبيل الدين ومن أجل مرضاة الله، والمراد بالصحبة في الدين الصالحة، أن يكون الفرد المسلم عميق الإيمان بربه سريع الاستسلام لشريعته، قوي الصلة بخالقه، يحب ما أحب الله، ويبغض ما يبغضه، له سلطان على هواه، لا يشرك به أحداً، ولا يؤثر على مرضاته والداً ولا ولداً. فهو بذلك عبد ربه، وأسير حبه، وواقف عند حدوده، وضارع ذليل إليه في جميع شؤونه.

ومن هنا ينطلق بنور حبه لله فيحب كل عبد يحب الله ويعبده، ويصافي كل إنسان يؤمن بالله ويوحده ويجد في قلب كل مسلم روضة من الإيمان تجذبه إليه وتربطه به.

فالصحبة الصالحة لا تنشأ من التكليف، بل من التعريف، ورباط الدين يجمع بين المؤمنين كما يجمع نور الشمس بين المبصرين، والذي يؤمن بالله ويحب حب المخلصين يحب من أجل الله جميع المؤمنين.

والأخوة الإيمانية الصادقة حين يتشبع بها الفرد وتتشبع بها الأسرة أو المجتمع أو الأمة، فإنها تحدث تغيراً اجتماعياً عميق الأثر، عظيم الخطر، بعيد المدى في آثاره ونتائجه.

www.iqra.ahlamontada.com

ولذلك أمتن الله على المؤمنين بأن جعلهم إخواناً متحابين كما أمتن عليهم بأن جعلهم مؤمنين مخلصين، وقدم التفضل بالأخوة على التفضل بالإيمان، لتعظيم فضل الأخوة، وأنه لا تقل عن فضل الإيمان إلا بمقدار ما يقل الفرع عن الأصل، مع شدة الارتباط فيما بينهما. قال تعالى:

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ﴾[1].

ولابد أن نلحظ هنا في الفرد المسلم ظاهرة التكامل بين الربط بالمرشد الرباني، والربط بالصحبة الصالحة لأن التناقض ما بين التوجيهين،والانفصام ما بين الربطين يؤدي في أغلب الأحيان إلى خطرين عظيمين بالغين:

١- الازدواجية في التوجيه.

٢- الانحراف في السلوك.

وأعني بالازدواجية في التوجيه أن الفرد الذي يزكي نفسه على يد مرشد رباني واعٍ، ثم يصاحب أناساً ليسوا على درجة من الوعي الإسلامي والفهم الدعوي الكامل.. فالفرد قد يتأثر بهم، ويأخذ عنهم، وينجذب إليهم، ويتقبل أفكارهم، لكونه لم يتمكن بعد من النضج العقلي والثقافي الذي يجعله يستطيع أن يصحح الخطأ ويعالج الأمر، فعندما يكون الفرد قد تأثر بفكرين وأخذ عن تيارين: تيار واعٍ فاهم وتيار قاصر جاهل، فعندئذٍ يقع في حيرة متزايدة وصراع فكري ونفسي أليم.. لا يدري أين يتجه؟ ولا يعلم أين يسير؟

وأعني بالانحراف في السلوك أن الفرد حين يرى المرشد الرباني أو الجماعة الإسلامية الواعية.

---

(١)سورة آل عمران:الآية (١٠٣).

www.iqra.ahlamontada.com

يعطون إسلاماً وتوعية يختلف كل الاختلاف عن إسلام وتوعية الصحبة التي خالطها وأخذ عنها.. لاشك أن الفرد يتأثر بهذا التناقض، ويعيش في دوامة من التساؤلات، والبلبلة، والأفكار ـ وهذا يكفيه فراغاً ـ قد تؤدي به في بعض الأحيان إلى الانحراف في السلوك والعقيدة نتيجة ردود الفعل لهذه المتناقضات.. إذن فالتكامل بين الربط بالمرشد ـ القدوة ـ والربط بالصحبة الصالحة ـ الأخوة ـ هو من أكبر العوامل في تكوين شخصية الفرد، وإعداده النفسي والخلقي..

حتى لا يعيش الفرد في عالم المتناقضات، وانفصام الشخصية، والتحيز، والصراع النفسي، وبناء عليه فعلى الفرد أن يبحث عن نوعيات من الأصدقاء لنفسه ولولده ولمن هو مسؤول عنهم من جنس الأشخاص الذين يتربون على يد المرشد الرباني الواعي الفاهم ـ القدوة والمثل. وبهذا يكون الربط أحكم، والتأثير أقوى، والتكامل في بناء شخصية الفرد أعظم وهذه توجيهات الإسلام وتحذيراته من قرناء السوء ورفاق السوء والفساد، لنعلم كيف اهتم الإسلام بالصحبة الصالحة وأمر بها، وركز عليها ؟.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾[2].

وقال (ﷻ): ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[3].

---

(١)سورة الفرقان: الآية (٢٨-٣٠)

(٢) سورة ق: الآية (٢٧)

(٣) سورة الزخرف: الآية (٦٧)

www.iqra.ahlamontada.com

وقال رسول الله (ﷺ): **«المرء على دين خليله، فلينظر المرء من يخالل»**[1].

وقال رسول الله (ﷺ): **«مثل الجليس الصالح و السوءِ، كحامل المسك ونافخ الكير،فحامل المسك إما أن يُحذيك، (يعطيك) و إما أن يبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة.ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك،وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»**[2].

ورحم الله من قال:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي

ربط الفرد (بالعمل والجهد) بالدعوة والداعية:

لكي نسير في طريق استعمال الروابط في وعي وتؤدة ونجاح، ولكي يثبت الفرد المسلم للعالم أصالة المنهج الإسلامي وضرورته في جعل الحياة طيبة وصالحة، ولكي نكون عمليين في دعوة الناس إلى الإسلام وترغيبهم في مبادئه، وإقناعهم بأنه الخط الوحيد الموصل إلى حضارة نظيفة مشرقة، وإلى سعادة دائمة شاملة، ولكي نكون الربط الفردي بالعمل والجهد لابد من القيام بواجبنا الدعوي والاجتماعي نحو الإنسانية عامة والمسلمين خاصة إن المبادئ والأفكار العظيمة لا تعني كثيراً إذا لم تتمثلها نفوس عظيمة وتماهت بها أعماق رهيفة. هكذا كان شأن الرعيل الأول.

لكي نفعل ذلك لابد من أن نبدأ نحن بأنفسنا حتى يكون سلوكنا وعملنا دليلاً ملموساً، وآية ناطقة بصدق دعوتنا وجمال إسلامنا، وكمال منهجنا ونجاح نظامنا... وهذا ما يجب الاهتمام به ابتداء. وإلا فجهدنا كله ضائع وعملنا في فراغ..

---

(١) الجرجاني، عبد الله بن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال . مصدر سابق، ج٣، ص١٠٧٤

- الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، مصدر سابق، ج٤ ص٥٨٩ رقم الحديث (٢٣٧٨) قال أبو عيسى حديث حسن غريب

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق البغا، مصدر سابق، ج٢، ص٦٨٩، رقم الحديث ١٩٩٥و ج٤، ص١٩٧٧ رقم الحديث (٥٢١٣)

www.iqra.ahlamontada.com

حياتنا مليئة بالشعارات، ومزدحمة بالدعوات البراقة، وأمواج المذاهب فيها متلاطمة، وإفرازات العقول الإنسانية للآراء والأفكار والفلسفات لا تتوقف من يوم أن خلق الله الإنسان وستظل كذلك حتى تقوم الساعة فمع كل هذه الشعارات وتلك الدعاوي والمذاهب والأفكار والفلسفات فإن البشرية في تاريخها الطويل لم تهنأ بطيب الحياة ولم تجد برد السعادة، ولم تشعر بالأمن والاستقرار إلا حين تجود عليها رحمة الله برسول يتلقى من الله فيوضات النبوة من علم وحكمة ونور، ويقوم بين الناس داعياً إلى حياض الله ودينه وفيوضاته ورحماته، ثم يجتمع من حول الرسول أفراد أو جماعات يتلقون عنه ما تلقاه هو عبد ربه وتنصهر عقولهم وقلوبهم ومشاعرهم ووجدانا تهم في بوتقة دين الله ونوره وتشرق في نفوسهم أنوار معرفة الله وحبه، وتتطهر بواطنهم وظواهر هم من كل أسباب الشرك والشر والدنس والأثرة والإخلاء إلى الدنايا والرذائل .

هنا تجد البشرية سعادة لا يستطيع لسان وصفها. وتجد أمناً واستقراراً وحياة طيبة لا يحلم أحد بأفضل منها. إن العقول الفذّة لا تكفي لتجعل من الفرد مؤمنا مخلصاً. وإنما النفس الطيبة فإذا آمنت النفس استخدمت العقل في تبرير إيمانها والقيام بوظائفه وموجباته ولكي نكون الربط العملي فلابد من البدء بأنفسنا... لابد من التجربة والملاحظة حتى يثبت لنا عملياً أن الدين كذلك ـ وهو ثابت لاشك فيه ـ ثم بعد ذلك نعرض على الناس أدويتنا ونقول لهم:

هانحن أولاء أصحاب الأجسام أقوياء أسوياء، خير الناس حالاً، وأعزهم جانباً، وأطيبهم نفساً، وأحسنهم استقراراً بسبب استعمالنا لهذه الأدوية الوقائية العلاجية والمقوية، وجميعها تشملها كلمة واحدة هي "الإسلام" إن المعلم الذي يلقي على الطلاب درساً في مزايا الصلاة وحلاوتها، وما تسبغه على الوجه من نور، وعلى النفس من رضا، وعلى الروح من شفافية، بينما هو مظلم الوجه، عكر النفس،غليظ الروح،

www.iqra.ahlamontada.com

إنما يثبت بفعله وحاله أن ما يقوله كلام يصلح لأن يكون مادة لأكل العيش أكثر مما يصلح أن يكون مادة لإصلاح النفس.

والواعظ والخطيب الذي يدعو الناس إلى الإسلام ليصلح حالهم، وتطهر نفوسهم، وتقوى روابطهم، بينما هو مليء بالحقد، ساعٍ في الفساد، راتع في الهوى، متجبر على خلق الله، لا يشعر عمله ولا خلقه، ولا سلوكه بأنه مسلم، ما هو إلا تاجر يتاجر بدين الله، ويشتري بآياته ثمناً قليلاً، ويضل بعمله أكثر مما يهدي بقوله، ولا أظنه يهتدي على يديه إنسان والشواهد قائمة...

والطبيب الذي يعالج الناس من أضرار الدخان - ومفاسد الخمر، وأمراض الجنس المحرم وهو فيها فارس حلبته ومغوار ميدانه يضرب أسوأ المثل للإنسانية في الكفر بما يدعو إليه، وفي التدني إلى الهاوية التي يرشد الناس إلى البعد عنها .من هنا يكون بداية الربط.

من تغيير أنفسنا. فإن صدقنا في هذا التغيير ونجحنا فإننا حينئذٍ نستطيع أن نغير كثيراً، ولن يكون التغيير بأيدينا إنه بيد الله تعالى يجريه على أيدينا، حين نصدق ونثبت، ونعلن هذا التغيير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

ومن المعلوم يقيناً أن الفرد حين ينشغل في أوقات فراغه في العمل الجاد في الأعمال الدعوية، والواجبات الإسلامية والتبليغية... وحين يمارس عملية الاتصال بالآخرين، والالتقاء معهم والتحدث إليهم... فنكون قد اشغلنا فراغه في أمور يعود نفعها على نفسه، وآثارها الطيبة على أمته ومجتمعه.. وفي الوقت نفسه نكون قد مكنا في الفرد النزعة الاجتماعية التي تطلق مواهبه، وتكوِّن شخصيته، وتهيؤه ليكون جندي الحق ورجل الإسلام والدعوة.

---

(١) سورة الرعد: الآية (١١).

www.iqra.ahlamontada.com

- ما علاقة هذا الربط بالفراغ ؟:

في هذه المرحلة الهامة التي ينتقل الفرد من التوجيه إلى التثبت ثم إلى التطبيق من الفراغ إلى العمل من الناحية النظرية إلى الناحية التطبيقية العملية في إعداد نفسه اجتماعياً، وتكوين ذاته دعوياً...

ويحسن بالفرد في بدء هذا التكوين والملأ:

١- أن يرتبط بداعية مخلص مجرب... عنه يتلقى التوجيه، ومنه يتقن أصول العمل، وبصحبته يمارس الجانب العملي في الطاعة والدعوة. ومن هنا كان أثر صحبة رسول الله (ﷺ) في الصحابة الأبرار.

٢- أن يتدرب الفرد عملياً على أن يمارس الدعوة ودعوة الآخرين إلى الخير بنفسه دون مصاحبة مرشد أو مرافقة رقيب.

٣- المراجعة والمحاسبة عن المراحل الذاتية والدعوية فإن كانت إيجابية طولب بالمزيد وإن أخطأ فيتوجب على المرشد إرشاده إلى معالم الحق وطريق الصواب..

هـ ـ الربط الترفيهي[1]:

أول ما يلحظه الناظر في أصول الإسلام وشريعته وفروعها أنها عاملت الفرد على أساس مراعاة غرائزه النفسية وحاجاته الجسدية، بحيث كفلت له قدراً وافياً وكافياً لإشباعها مع تحديد الضوابط والمجالات لتصريفها وإمتاعها، ولم يكن الإسلام ذلك

---

(١) رفه: رفهاً ورفوها: أصاب نعمة وسعت في الرزق . أَرَفَه: توسع في المطعم والمشرب والملبس واستجم واستراح/ المعجم الوسيط، مرجع سابق ح١ص٣٦٣، الرفاهة، والرفاهية والرفهينة: رغد العيش . والرِّفْه: أقصر الورد وأسرعه، وهو أن تشرب الإبل الماء كل يوم . والإرفاه الادّهان والترجيل لكل يوم . ورفه عنه: كان في ضيق فنفس عنه، ورفّه عن غريمك ترفيهاً: أي نفس عنه . ويأتي بمعنى الترفيه — الترويح: روّح: وراح روحاً: اهتو وطاب ...، والأريحي الرجل الواسع الخلق النشيط إلي المعروف، يرتاح لما طلبت . ويراح قلبه مسروراً ... والراحة ضد التعب، واستراح الرجل: من الراحة . وفي الحديث:" أرحنا بها ... " رواه أبو داود: ح٢٩٦/٤كتاب الأدب باب في صلاة الكلمة وحسن إسناده العراقي . وأحمد ٣٦٤/٥، والخلاصة لذلك يكون الترفيه: إدخال السرور والبهجة على النفس والتنفيس عنها وتجديد نشاطها .

www.iqra.ahlamontada.com

العدو المتسلط على طبيعة النفس الإنسانية، يقمعها ويحاربها، كما هي دعاوي أرباب الغزو الفكري وأذيالهم من أبناء أمتنا، بل هو دين يتعامل مع النفس البشرية بحسب فطرتها السوية، يواكبها ويسير معها بدون انفلات وإطلاق أو كبت وتضييق:

لكن الإسلام دين وسط، والفضيلة وسط بين رذيلتين، التوازن صبغة الإسلام على امتداد شرائعه وفروعها وتقنياته، يسر وسهولة، لا يهدف إلى تضييع طاقات الفرد أو إهمالها، ولكن يدعوه إلى الاستفادة في إطار مطبوع بالاعتدال، ومصون من الإسراف أو الإفراط أو التفريط.

وعن تقرير هذه الالتفاتة الإسلامية لحقوق النفس وحاجتها الفطرية، وعن منطلقات الإسلام في إقراره بحق النفس من اللهو المباح والترويح ليس الإسلام دين قمع للغرائز وإنما تنظيم إشباعها في أحسن صورة بحيث لا تقع الإشباعات المختلفة في تناقض بينهما أو مع الوظيفة الكبرى للإنسان في الوجود. قامت نظرة الإسلام إلى مبدأ الترفيه على قاعدتين هامتين:

أولاً: واقعية الإسلام:

فإن من خصائص هذا الدين الذي رضيه الله لهذه الأمة أنه دين واقعي، بمعنى أنه يعيش واقع الإنسان وظروفه من حيث إنه مخلوق مزدوج، وفيه عنصر سماوي يتمثل في النفخة من روح الله العلي القدير، وفيه عنصرٌ أرضي يتمثل في مكونات جسده الترابية، وللجانب السماوي أشواقه وتطلعاته العليا، وللجانب الأرضي مطالبه ورغائبه الدنيا.

ومن حيث إنه ذكر وأنثى تختلف حاجات وميول كل منهما وطبيعته الفيزيولوجية (التكوينية)، ومن حيث إنه فرد مستقل في نفسه أو فرد مشترك مع غيره. ومن حيث إنه يتأثر بما ينتابه من أحداث الحياة ضيقاً وكآبة أو سروراً واستبشاراً. ومن حيث إنه يعيش على الأرض ويأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتزوج ويتناسل، ويحب

www.iqra.ahlamontada.com

ويكره، ويصح ويمرض، ويحزن ويفرح.

كل هذه الأمور ـ وكثير من غيرها . رعاها الإسلام. وكيَّف أحكامه الفرعية تبعاً لها حتى تنطلق مسيرة الحياة في توازن مستمر لا تتعطل أو تتهدد مصالح العباد وهذا معنى أن الإسلام دين واقعي.

أي أنه يعيش واقع الفرد بكل ظروفه وملابساته، وذلك جزء من نظرة الدين العظيم إلى الفرد والكون والحياة. ولا تعني بالواقعية الإسلامية الرضا بالواقع، أو أن الإسلام يطوع مبادئه لتوافق الحياة على أي شكل أو لون، أو أن الواقعية هي الاعتماد على الواقع الذي تدركه الحواس فقط ونبذ كل مالا تؤيده التجربة!!

ولكن نعني بقولنا: الإسلام دين واقعي: أي إنه يتعامل مع الإنسان ككائن واقع وليس ككائن مفترض وأنه يعيش واقع الإنسان، والوقوف معه على أرض الحقيقة والواقع الذي يعيشه في الحياة الدنيا. بهدف أن ينهض بواقعيته إلى الحقيقة التي لا ريب فيها ليحصل بها كمال وجوده.

فلم يتصور الإسلام الإنسان ملكاً يمشي على الأرض ولا يلتبس بمقتضيات التكوين المادي فيه، وإنما اعترف به كله، مادته وروحه، عقله وشهوته، عواطفه وغرائزه، فلم يبلغ نوازع الجسد وشهوات النفس فيه، وإنما اعترف بها من حيث المبدأ ومن حيث إنهما شعور في النفس لا ينبغي مصادرته أو منعه قال تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ...﴾ [1].

لكنه في الوقت الذي اعترف فيه الإسلام بالواقع البشري على حقيقته لم يسمح للإنسان أن ينطلق من هذه الشهوات إلى آخر مدى حتى تستعبده أو تخرج به عن إنسانيته فيضر بنفسه ومجتمعه، وإنما نظم له كيف يستمتع بلذاته، وكيف يستفيد بحياته

(١) سورة آل عمران:الآية (١٤).

www.iqra.ahlamontada.com

في غير كبت أو حرمان، فمثلاً الشهوة الجنسية.لم ينظر الإسلام إليها على أنها رجس من عمل الشيطان، كما تذهب إلى ذلك بعض المذاهب المتزمتة، وإنما يقرر الإسلام أن هذا الأمر قد زين للناس، فلا نكران له ولا مطاردة ولا رهينة عنه، ثم يرسم له الطريق المشروع الذي يكون مباحاً في داخله، محرماً فيما وراءه، وهو طريق الزواج الذي ندب الإسلام إليه، وجعله سنة، ومنع الانقطاع للعبادة والرهبنة. إن الزواج ليس فعلاً جنسياً كما هو شأن الحيوان. لأن طبيعة الإنسان جعلت منه كائنناً لا يمكن أن يكتب له البقاء إلاّ من خلال الأسرة التي ترعى الفرد وتسهر عليه لأمد طويل .

والأسرة ما كان لها أن تكون بالفعل الجنسي وحسب وإنما بالزواج.. إن الفعل الجنسي يحقق التكاثر عند جميع الكائنات الحية ولكن الزواج (الأسرة) يحقق للإنسان وحدة البقاء .. ولهذا نجد أن الفكر الأوربي انتبه مؤخراً لهذه الظاهرة التي كشفت عن اقتراب انقراض النوع الأوربي من الجنس البشري لانحسار ظاهرة الزواج إلى أدنى حدودها.. ولولا زواج الأوربيات٧٠٪ منهن بالغرباء أفارقة ـ آسيويين لكان على أوربا السلام من عقدين.. والأمثلة على واقعية الإسلام لا تنحصر في بحث خاص فضلاً عن هذه الإشارة العابرة من بحثنا هذا.

ثانياً: شمولية الإسلام:

فقد أحاط الإسلام الفرد بتشريعات من جميع جوانبه، ونفذ إلى أغوار طبيعته وخصائصه، دون أن يُغفِل ناحية أو يهملها لحساب أخرى: جسمه.. وروحه.. وعقله ... أشواقه وغرائزه.. أفكاره ووجداناته.

وذلك ناشئ أساساً مما اختص الله به هذا الدين من صفة الشمول التي امتدت حتى استوعبت شؤون الحياة وبعد الممات: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[١].

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٣٨).

www.iqra.ahlamontada.com

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[1].

ولذلك يجد الفرد في هذا الدين ما يحقق حاجة جسده ويسمو بفكره وروحه، ويهذب عواطفه وغرائزه، إنه يجد فيه ما يجعله يعيش حياة متوازنة مستقرة دون ميل أو شطط ودون أن يشعر في يوم من الأيام بأن جانباً من جوانب حياته قد أغفلته الشريعة، ولم تقل فيه كلمتها.

ولا غرو[2] فنظرة الإسلام إلى الفرد ليست نظرة بشر قاصر أو عقل محدد،إنما وحي الله الذي أحصى كل شيء عدداً وأحاط بكل شيء علماً، ولذلك كانت هذه النظرة نظرة محيطة مستوعبة، وذلك عكس الأديان والنحل والفلسفات التي تنتشر على ظهر الأرض في هذا العصر، فهي وإن كانت تزعم أنها تهدف إلى راحة الفرد وإسعاده إلا أن معرفتها جميعاً بالإنسان معرفة قاصرة وناقصة غير محيطة ولا مستوعبة، لأن كل واحدة منها تنظر إليه من زاوية خاصة، أو من جانب معين دون أن تراعي الجوانب الأخرى أو تلحظها باهتمامها وفي ذلك ما يشط الفرد ويفسد حياته.

ومن أهم الوسائل النافعة التي وضعها الإسلام في ربط الفرد ترفيهياً. هو إملاء فراغهم بأعمال جهادية، وتدريبات عسكرية،وتمرينات رياضية ونشاطات ذهنية ومطالعات ثقافية. كلما سنحت لذلك فرص، أو تهيأت ظروف..

ذلك لأن الإسلام بمبادئه السمحة، وتعاليمه السامية جمع في آن واحد بين الجد واللهو البريء، ووفق بين مطالب الروح، وحاجات الجسم، واعتنى بتربية الأجسام وإصلاح النفوس على حد سواء .والفرد المسلم أولى بالعناية بهذا الإعداد الصحي، والتكوين الجسماني...

---

(١) سورة النحل: الآية (٨٩).

(٢) الغرو: العجب، يقال لاغرو: لاعجب . مصطفى إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج٢ ص٦٥٨.

www.iqra.ahlamontada.com

وذلك لثلاثة أسباب:

الأول: للفراغ الكثير المتيسر له.

الثاني: لوقايته من الأمراض والأسقام.

الثالث: لتعويده منذ الصغر على تمارين الرياضة وأعمال أمجاده الجهادية.

- طاقات من نصوص الشريعة في اهتمام الإسلام بالترفيه والترويح.﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

وقال (ﷺ): « **المؤمن القوي خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف ...**» [2].

- وقال (ﷺ): «**كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال مشي الرجل بين الفرضين (للرمي) وتأديبه فرسه،وملاعبته أهله،وتعليمه السباحة**»[3].

فقد كان رسول الله (ﷺ) يمزح ويداعب، ولكن لا يقول إلا حقاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا، قال:« **إني لا أقول إلا حقاً**»[4].

كما أذن (ﷺ) للحبشة أن يلعبوا بسهامهم وحرابهم على عادتهم في مسجده الشريف، وأذن لعائشة أن تنظر إليهم وهو يقول (ﷺ): «**دونكم يابني أرفدة**[5]»[6]

وكما أباح (ﷺ) الغناء للنساء وضرب الدف في المناسبات وأيام الأعياد، وعلله بيسر الإسلام وسماحته، كما حث على زواج الأبكار وعلله بما يكون من الملاعبة بين البكر وزوجها . (**أفلا جاريةً تلاعبُها وتُلاعبك**) [7].

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٦٠).

(٢) ابن ماجه، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، مصدر سابق، ح١ ص٣١ رقم الحديث ٧٩.

(٣) الهيثمي ، علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد ، مصدر سابق ، القدسي ، ج٥ ، ص ٢٦٩.

(٤) الترمذي، محمد بن عيسى:سنن الترمذي، مصدر سابق، ح٤ ص٣٥٧ رقم الحديث(١٩٩٠) وقال أبو عيسى (هذا حديث حسن صحيح)

(٥) لقب للحبشة

(٦) مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، مصدر سابق، ح٦ ص٤٢٥، رقم الحديث(٢٠٦٢)

(٧) البخاري: محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق البغا، مصدر سابق، ح٢، ص ٦٨٧، رقم الحديث ١٩٩١.

www.iqra.ahlamontada.com

ولكن لابد من مرعاة المنهج وحدوده المرسومة:

١- إيجاد التوازن:

لا يصلح أن يكون الربط الترفيهي للفرد على حساب واجبات أخرى يكلف بها، ويدعى إليها ويطلب في حقه تنفيذها... كأن يشغل جل وقته في اللعب بكرة القدم، وإتقان فن المصارعة، أو مزاولة أعمال السباحة، أو التدريب على الرماية أو المقدرة على ركوب الخيل... وغيرها على حساب حق الله في العبادة، أو حق نفسه في تحصيل الرزق والعلم، أو حقوق أخرى حق الأبوين أو حق الإسلام.

٢- مراعاة حدود الله:

فعلى الفرد أن يراعي حدود الله في ترفيهه وترويحه في الأمور التالية:

١- في اللباس:

أن يكون اللباس ساتر للعورة لحديث رسول الله (ﷺ) «**لا تبرز فخذيك ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت**»[1].

٢- في المكان:

أن لا يكون الترفيه والترويح في أماكن مشبوهة، لحديث الرسول (ﷺ) «**إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات ...**» [2].

وأية شبهة أعظم حين يزاول الفرد نشاطه الترفيهي في بيئات الانحلال والفساد... كأن يمارس السباحة على الشواطئ المختلطة أو المسابح المختلطة حيث التكشف الفاضح، والعري الممقوت، أو يغدو إلى منتزهات يقام في ساحتها المنكر، وترتشف في أرجائها الخمور... تلكم أهم الظواهر الارتباطية في صيانة عقيدة الفرد، والحفاظ

---

(١) الحاكم، أبي عبد الله، محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، مصدر سابق، ج٤ ص ١٨٠-١٨١

(٢) مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، مصدر سابق، ج١١، ص٢٩ رقم الحديث (٤٠٧٠)

ـ البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، مصدر سابق، ج١، ص٣٧، رقم الحديث (٥٢)

www.iqra.ahlamontada.com

على سلوكه واتزانه. وتكامل نفسيته وشخصيته، وتصحيح تصوره وأفكاره، وتقوية جسمه وأعضائه... بل هي من أكبر العوامل في تربية الفرد منذ نشأته على الإيمان الراسخ، والخلق الفاضل والعقل الناضج، والنفسية المتزنة، والفكر الواعي والسمعة الاجتماعية النظيفة الطاهرة....

بعد أن تحدثنا طويلاً عن قاعدة الارتباط وأثرها الفعال في فراغ الفرد، وتربيته وتكوينه واستقامته فلابد من الوقوف على قاعدة أخرى وهي قاعدة التحذير وهذه القاعدة لا تقل أهمية وتأثيراً على القواعد الأخرى التي سبق الكلام عنها بل هي من العوامل الأساسية التي تغسل مخ الفرد من الأفكار العفنة، والمفاهيم الضالة الباطلة... بل تجعل من وعيه وإيمانه حصناً يرد عنه أفكار الضالين، وميوعة المتحللين، ومصاحبة المنحرفين والشاردين!! وتجدر الإشارة هنا إلى حقيقتين بعد ذكر التحذيرات:

الأولى: التحذير الدائم للفرد يتأكد في قلبه كراهية الفساد والشر، ويورث في نفسه النفور من ظواهر الزيغ والانحلال...

الثانية: التعرية لظواهر الزيغ والإلحاد تزيد الفرد عزماً وتصميماً في تحمل المسؤولية، مع التوجيه والتعلم في البعد عن الشر والتخلي عن الباطل ... بعد تبيان هاتين الحقيقتين ندخل لنذكر التحذيرات ، علماً أن قاعدة التحذير إذن ليست من ابتكارات التربويين ولا المربين، ولا من عنديات الفلاسفة الاجتماعيين، وإنما هي طريقة القرآن الكريم في تكوين الأفراد، ومنهج السنة النبوية في تربية المجتمع..

وصدق الله العظيم القائل: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[1].

---

(١)سورة الإسراء:الآية (٩)

www.iqra.ahlamontada.com

وصدق رسول الله الكريم القائل: «**عليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي وعضوا على نواجذكم بالحق**»[1].

وأهم هذه التحذيرات:

١- التحذير من الردة.

٢- التحذير من الإلحاد.

٣- التحذير من اللهو المحرم.

٤- التحذير من التقليد الأعمى.

٥- التحذير من رفقة السوء.

٦- التحذير من مفاسد الأخلاق.

٧- التحذير من الحرام.

٣- أعداؤنا يدركون أهمية الفراغ

تمهيد:

هناك أوجه شبه واختلاف كثيرة بين أنشطة ومجالات الفراغ والترويح في دول الغرب. فساعات العمل والفراغ وأنشطة الفراغ والترويح التي تمارسها الفئات العمرية المختلفة ومشكلات الفراغ والإبداع هي متشابهة في هذه الدول.

إلا أن سياسة الفراغ والترويح في دول الغرب تشرف عليها الدولة بالتعاون مع جهات القطاع الخاص في حين تسيطر الدولة سيطرة كاملة على سياسة وأنشطة الفراغ والترويح في الدول الشرقية ولا يحق لمؤسسات أو منظمات القطاع الخاص التدخل في قضايا الفراغ ومجالات استثماره.

---

(١)الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين، مصدر سابق، ج١ ص٩٦(جزء من الحديث)

www.iqra.ahlamontada.com

وفي الدول الغربية تستقل أنشطة العمل عن أنشطة الفراغ، فالمواطن هنا لا يمارس أنشطة الفراغ والترويح خلال ساعات عمله في حين يستطيع المواطن في الدول الاشتراكية ممارسة أنشطة الفراغ والترويح خلال ساعات العمل كقيام الفرد في الدولة الاشتراكية بلعب الشطرنج أو كرة المنضدة (الطاولة) أو كرة القدم خلال فترات الاستراحة التي تتخلل ساعات العمل[1].

أ- سياسة وأنشطة الفراغ في الدول الغربية:

تترك أنشطة الفراغ في دول الغرب آثارها الواضحة والمستقرة على أساليب الحياة وأنماط المعيشة لشعوبها وتحديد طبيعة فعالياتهم وأنشطتهم اليومية بأنواعها الإنتاجية والاستهلاكية وترسم معالم استقرار السكان ونموه واتجاهاته الديمقراطية.

وأنشطة الفراغ في هذه الدول لا تعتبر في الوقت الحاضر أنشطة روتينية وجامدة، تتخلل حياة الأفراد والجماعات بل تعتبر أنشطة اجتماعية متميزة تخضع للدراسة والبرمجة والتخطيط وتحتاج المزيد من الجهود البشرية والطاقات التكنولوجية والأموال الطائلة.

ذلك أن مسألة الفراغ في هذه الدول تحتل مركزاً حساساً في الميزانيات العامة للزمن[2].

الزمن الذي ينبغي أن يستثمره الأفراد في أنشطة العمل وأنشطة الفراغ استثماراً جيداً يؤدي دوره في رفاهية المجتمع وطمأنينة الفرد وتطوير شخصيته والشعور باستقلاليته، لذا فقد أصبح الفرد يفكر بأمور فراغه طيلة أيام السنة ويحاول الاستفادة من أوقاته الحرة ليس خلال عطل الأسبوع.

---

(١) الحسن، إحسان محمد: الفراغ ومشكلات استثماره، مرجع سابق، ص٤٧ (بتصرف)

(٢) المرجع نفسه، ص٤٦ (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

والعطل والإجازات الرسمية فحسب بل خلال أيامه الاعتيادية أيضاً خصوصاً بعد انتهائه من عمله الإنتاجي ومسؤولياته الاجتماعية ، وهنا أخذ الفرد ينظم فعالياته اليومية بطريقة تتلائم مع أنشطته الترويحية والإبداعية إذ بانت فعاليات العمل مستقلة عن فعاليات الفراغ والترويح.

لكن أهمية الفراغ المتنامية وزيادة الطلب على الأنشطة المتنوعة للفراغ تجسد نفسها في معظم دول أوربا الغربية وأمريكا في كمية الأموال التي تنفقها العوائل الأوربية على أنشطة الفراغ ومجالاتها المختلفة فمثلاً ازدادت نفقات الأسرة الأوربية الواحدة على أجهزة الفراغ كالتلفاز (والسي دي) والسيارات والقوارب الشراعية والدراجات النارية والمسجلات والإذاعة إلى ثلاثة أصناف عما كان عليه في العقود الماضية ، ومثل هذه الزيادة في النفقات تتماشى مع ارتفاع مستوى المعيشة للدول الغربية، فكلما ترتفع مستويات المعيشة ترتفع كمية المصروفات على أجهزة وخدمات الفراغ والترويح.

وهذا الاتجاه في زيادة المصروفات على أجهزة وخدمات الفراغ مستمر ودائم خصوصاً بالنسبة للفئات السكانية التي تقل أعمارهم عن /٤٠سنة /.

ومن جهة أخرى تنعكس الأدوار المتنامية التي تؤديها أنشطة الفراغ لأبناء الدول الغربية في كمية الأموال والاستثمارات الحكومية والأهلية التي تخصص لها.

فالمواطنون الغربيون بكافة أنحداراتهم وميولهم لا يعترضون على زيادة الضرائب المفروضة عليهم شريطة أن تنفق هذه الضرائب على تنمية وتطور أنشطة الفراغ التي يمارسونها خلال أوقاتهم الحرة.

وقد شهدت معظم الدول الغربية زيادة النفقات الحكومية المصروفة على مشروعات الفراغ والترويح أو المشاريع المتعلقة بالاستفادة من أوقات الفراغ بصورة غير مباشرة كالمشروعات الثقافية والتربوية ومشروعات الحدائق والمنتزهات العامة

www.iqra.ahlamontada.com

والمساحات المائية .

ففي بريطانيا مثلاً تخصص الحكومة ١٥٪ من ميزانيتها العامة لمشرعات الفراغ والترويح، حيث أنفقت الحكومة في عام ١٩٧٧، /٤٥٠ مليون باون إسترليني/ على مشروعات الفراغ خصوصاً الثقافية التقنية والرياضة والشبابية.

وبجانب النفقات الحكومية على أنشطة الفراغ هناك النفقات الأهلية على هذه الأنشطة التي لا تقل أهميتها بأية صورة من الصور عن النفقات الحكومية، ففي دول أوربا الغربية هناك الآلاف من الجمعيات والنوادي وأماكن العبادة والمؤسسات الثقافية والترويحية والسياحية الأهلية التي تستثمر الأموال في أنشطة الفراغ ذات الطابع التجاري أو الطابع الترويحي غير الربحي.

واستثمار مثل هذه الأموال في مشاريع الفراغ والترويح قد أدى دوره في تطوير أنشطة الفراغ وتمكين المواطنين جميعاً من ممارستها والاستفادة منها.

وتركز معظم أنشطة الفراغ في دول الغرب على سد وإشباع حاجات الأفراد لها. لذا فهي نشاطات فراغ فردية يكلف بعضها نفقات باهظة ويكون مردودها الإيجابي أو السلبي للفرد أكثر من الجماعة، وتتميز أنشطة الفراغ والترويح في الدول الغربية بالتنوع والاختلاف فهي تشبع جميع الأذواق والاتجاهات وتتفق مع مواقف وقيم ومصالح الأشخاص الذين يمارسونها.

وأنشطة الفراغ في الدول الغربية يمكن تقسيمها إلى قسمين أساسيين:

أ- أنشطة فراغ إيجابية وأنشطة فراغ سلبية:

تتمثل أنشطة الفراغ الإيجابية بالمطالعة، ومشاهدة التلفاز، وسماع الإذاعة، وطلب العلم، والمعرفة من أجل الإطلاع، وتوسيع المدارك، والسياحة، والاصطياف، والراحة، والاستجمام، والتفكير، والتأمل والألعاب الرياضية، والأعمال الأدبية، والفنية، وصلة الأرحام ،والتردد على المكتبات العامة، وزيارة الأماكن الدينية والتاريخية والأثرية.

www.iqra.ahlamontada.com

وهناك أنشطة الفراغ السلبية التي تتمثل بالنوم، والمكوث في البيت، والمحادثة المملة، وتناول المهدءات والمخدرات والمسكرات، والتسكع في الأزقة والشوارع والساحات العامة، وشرب الخمر والمفتر، ولعب القمار، والتردد على أصدقاء السوء، والنوادي الليلية المبتذلة ومحلات البغاء، والعربدة، ومطالعة الصحف والمجلات الخلاعية، ومشاهدة القنوات الإباحية وعروض الأزياء وأفلام الجنس، واقتناء الكتب المثيرة للجريمة والصخب والجنس، والمراهنة في سباق الخيل والكلاب والألعاب الرياضية، والانغمار في الدعارة والحب الرخيص والخلاعة والمجون[1].

ومن الجدير ذكره في هذا الصدد أن نسبة عالية من الشعوب الغربية لا تستطيع الاستفادة من أوقات الفراغ. ولا تعرف كيف تستثمرها في تطوير ذاتيتها وأحوالها العامة: لأسباب منها.

١- أن دول الغرب متباينة في مساحاتها الجغرافية وعدد سكانها ومستوياتها الاقتصادية ولابد أن تكون مختلفة في أنماط معيشتها وأساليب حياتها الاجتماعية. كما تكون مختلفة في تسهيلات الفراغ المتاحة لشعوبها.

٢- عوامل ارتفاع مستويات المعيشة وتطوير أساليب وإمكانيات الحياة الحديثة وشيوع استعمال وسائل تسهيل الحياة تؤثر تأثيراً مباشراً في صحة الأفراد وتكييفهم النفسي والعقلي للبيئة التي يعيشون فيها.

٣- عدم معرفة الأفراد بهذه الأنشطة ومجالاتها الخلاقة وعدم قدرتهم على اتخاذ القرارات إزاء اختيار وتفضيل أنشطة ترويحية على أنشطة أخرى.

٤- تطور تكنولوجيا الأجهزة التي تسهل طرق الحياة وأساليب المعيشة تجعل الأفراد ملتصقين بهذه الأجهزة وبعيدين عن المشاركة في نشاطات الفراغ والإبداع.

---

(١) الحسن، إحسان محمد: الفراغ ومشكلات استثماره، مرجع سابق، ص٤٩ (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

ب ـ سياسة وأنشطة الفراغ في دول أوربا الشرقية:

عند دراسة سياسة وأنشطة الفراغ في دول أوربا الشرقية ينبغي علينا القول بأن الدولة هي التي توجه وتنظم وتسير نشاطات العمل والفراغ في هذه الدول بصورة مباشرة أو غير مباشرة. فأغلبية القوى العاملة تمارس أعمالها ونشاطاتها الوظيفية في مكاتب ومصانع ومزارع وتعاونيات القطاع العام، في حين تعمل معظم القوى في الدول الرأسمالية في مشروعات ومؤسسات القطاع الخاص[1].

وتتوفر في دول أوربا الشرقية والدول الاشتراكية سابقاً ظاهرة الاستخدام الكامل للقوى والطاقات البشرية.

ومن الجدير بالذكر أن كمية وتوزيع أوقات الفراغ على المواطنين تعتمد على مجموعة من المتغيرات أهمها أوقات وجداول العمل، و المشروعات والخطط الحكومية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وأخيراً ترى في قوانين وظرف العمل في هذه الدول تراها تريد مواكبة دول أوربا الغربية وتقليدها بأقصى سرعة كدول الاتحاد السوفييتي سابقاً ومن يريد مسايرته بخطط ووعي ودقة كالصين مثلاً. في مختلف قطاعات وفروع الإنتاج. غير أن زيادة إنتاجية الدول وما صاحبها من رفاهية اقتصادية خلال فترات مختلفة نتجت من تقليص أيام العمل الأسبوعي من ستة أيام إلى خمسة أيام. وقد سبب هذا الإجراء قلة ساعات العمل وزيادة ساعات الفراغ لجميع العاملين من أبناء المجتمع بغض النظر عن أعمارهم ومهنهم وخلفياتهم الاجتماعية.

كما تعزى المساهمة الجماعية في أنشطة الفراغ إلى عامل الاقتصاد في النفقات حيث أن المشاركة الجماعية في أنشطة الفراغ تكلف المجتمع نفقات مالية أقل من المشاركة الفردية في أنشطة وميادين الفراغ والترويح.

---

(١)الحسن، إحسان محمد الفراغ و مشكلات استثماره.مرجع سابق. ص٥٢ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

فالمساهمة الجماعية في فعاليات الفراغ كالسفر من أجل الراحة والاستجمام مثلاً أو الزيارة من أجل الاطلاع وطلب الثقافة والمعرفة أو ممارسة الألعاب والفعاليات الرياضية الجماعية لابد أن توفر في النفقات المالية المخصصة لهذه الفعاليات وفي نفس الوقت تقوي الروح الجماعية بين الأفراد وتعطي المجال للملايين بالمشاركة الفعالة في أنشطة وبرامج الفراغ والإبداع، وبجانب أنشطة الفراغ الجماعية هناك أنشطة الفراغ الفردية التي اتسعت أنواعها ومجالاتها بتقدم دول أوربا الشرقية في مستويات المعيشة والحياة الاجتماعية وارتقاء الحياة الاجتماعية وارتقاء الطموحات الحضارية والثقافية لشعوبها.

فالمواطن الآن في هذه الدول يستطيع التمتع بأنشطة الفراغ المختلفة بكل حرية إذ يستطيع مثلاً شراء سيارة خاصة أو بناء دار صيفي للراحة والاستجمام أو السفر للخارج أو مزاولة الألعاب الرياضية بأنواعها المختلفة أو مزاولة الفنون الجميلة وغيرها [1].ومما زاد فيها أنواع الفراغ السلبي بعد تدهور اقتصادها ومواردها وديونها.

١ــ أعداؤنا والفراغ:

أ ــ اليهود[2] والفراغ:

أبدأ مع اليهود والفراغ مع البروتوكول الثاني عشر:

- سنلهي الجماهير بأنواع شتى من الملاهي والألعاب لملء الفراغ، وسندعو الناس للدخول في مباريات شتى في كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما إليها[3].

---

(١) محمد الحسن، إحسان: الفراغ ومشكلات استثماره، مرجع سابق، ص٥٥ (بتصرف).

(٢) هي ديانة العبرانيين المعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة ليكون لهم نبياً، لكن اليهود حرفوا وغيروا وبدلوا، إما تحريف من حيث الكتاب والصورة، وأما تحريف من حيث التفسير ولتأويل .

- الموسوعة الميسرة، في الأديان والمذاهب المعاصرة، مرجع سابق، ص٥٦٥ (بتصرف).

(٣) شلبي، أحمد: اليهودية ، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة ١٩٨٤ ص٣٩ وما بعدها (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

إن أعداءنا يدركون أهمية الفراغ وكيفية ملئه واستغلاله بما فيه صلاح أنفسهم ومصالحهم فلذلك نلاحظ أنهم قد أضلوا الأمم والشعوب بما يضيع من أعمارهم وأوقاتهم وأنهم ساووا البلاد والعباد بهذه المخططات الوقتية.

فأعداؤنا وعلى رأسهم اليهود وضعوا الخطط والبرامج ليشغلوا أوقات فراغنا بما يلهينا حتى جاء في نص **البروتوكول الثالث عشر أن اليهود قالوا:**

"ولكي نبعد (أي الحكومات العالمية) عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد سنلهيها أيضاً بأنواع شتى من الملاهي والألعاب ومزجيات الفراغ والمجامع العامة وهلم جراً".

ثم يقولون: "وسرعان ما نبدأ الإعلان بالصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى في كل أنواع المشروعات كالفن والرياضة وما يليها".

ثم قالوا عن هذه الملهيات: "هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشباب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه،وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعاً معنا بسبب واحد: "هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة"[(١)].

لقد كانت هذه الأفكار حبراً على ورق ولكنها اليوم دم وحبر على واقع، سود هذا الحبر أفكارنا ومبادئنا وحتى حياتنا وأصبح شعب كالكيان الصهيوني لا يزيد على بضع ملايين نسمة يتحكمون بالشعوب الإسلامية كلها وهم يزيدون على أكثر من مليار مسلم وزيادة هذا نافلة، على أن الكيان الصهيوني رابع دولة في العالم من حيث القيادة. يجب أن لا نعطي عدونا أكبر من حجمه الحقيقي ولا أن نتوهم قوته الذاتية ..

---

(١)التونسي، محمد: الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، تحقيق عباس العقاد الطبعة السادسة ص١٥١

www.iqra.ahlamontada.com

إن الكيان الصهيوني ما كانت ليكون أو أن يقوى ويستمر ويطغى إلاّ بوقوف قوى الهيمنة العظمى وراءه وأمامه ومعه

وهناك إحصائية توضح لنا مدى إنتاجية العامل فيها بالأسبوع حيث إنها تقارب ساعات مماثله باليابان وأمريكا

الدولة / السنوات	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠
الكيان الصهيوني	٤٢,١ سا	٤٠,٣ سا	٣٨,٣ سا
اليابان	٤٣,٣ سا	٤١,٣ سا	٣٨,٨ سا
أمريكا	٣٩,٨ سا	٣٩,٥ سا	٣٩,٧ سا

إن اليهود لم يتوقفوا عن تنفيذ مخططاتهم طوال ألف سنة ولكن عندما أصبحت بريطانية عظمى بالاستعمار وأمريكا عظمى بالاقتصاد الحربي عندها فقط استطاع اليهود تحقيق مصالحهم.

ونلاحظ من الجدول أن قيمة الوقت للعمال الصهاينة إنما هو محسوب لديهم بالدقة في الإنتاج وذلك لأنهم لا يتحركون من فراغ بل يتحركون لشغل الفراغ لدى الأمم والشعوب حتى تلتهي البشرية بالملهيات والألعاب ومزجيات الفراغ كما نصوا على ذلك في البروتوكولات.

كما نلاحظ جلياً أن كل التحركات التي يفتعلها الكيان الصهيوني واليهودية والصهيونية العالمية إنما يدفعها لذلك دينها ومعتقداتها التلمودية للسيطرة على العالم وأنهم متمسكون بدينهم أشد التمسك متحصنون على أنفسهم أشد التحصن حتى أنه عند إعلان الكيان الصهيوني، أصبحت الحال أكثر سوءً، وكما لو أن القحط لم يكن كافياً، منعت الأحزاب الدينية عن الحكومة، أن تستورد غير اللحم المذبوح على الطريقة الطقسية اليهودية، الأمر الذي جعل اللحم بعيداً عن متناول الناس. وقد ساءت الحال إلى حد دفعت وزير التموين "دوف يوسف" وهو من أنصار التقنين و"ذو ميل

www.iqra.ahlamontada.com

نباتي"، إلى الاستقالة "[1].

وقد أثار هذا الكتاب ضجة في الكيان الإسرائيلي وأوربا وقد عمدت السلطات الإسرائيلية إلى طرده من فلسطين بعد تأليف هذا الكتاب .

وكل معتقد على وجه الرضا وإن كان باطلاً إن تمسك بمعتقده ودافع عنه وأثبت جدارة وجوده فإنه لاشك سيثبت نفسه. هذه نافلة على أن اليهود علموا من أين تؤكل الكتف حيث عمدوا إلى إشغال الناس بالملهيات والأمور الجانبية التافهة حتى انتصروا وتغلبوا عليهم. إن ضعف الأمة أفسح المجال لتأثير الملهيات الإسرائيلية زاد على ذلك انحراف الإرادة السياسية عن وظيفتها الطبيعية والشرعية.

ولكن مع ذلك أملنا بالله وبنصره كبير .

واعتقادنا جازم بوعد الله بأن الغلبة للمؤمنين إن أخذوا بالأسباب وما النصر إلا من عند الله .

ب ـ المسيحية (النصرانية) [2] والفراغ:

يقول الكُتَّاب المسيحيون: تدريب للمسيحيين على التضحية وحب الفداء. تحسَّر المتأخرون عما فاتهم في عهد الاضطهاد من صنوف التعسف والقسوة وفاتهم ركب التضحية وحب الفداء. فقرروا أن يضحوا بمتعهم. إذ فاتهم أن يضحوا بدمائهم ولجؤوا للتفرد بالجبال، والابتعاد عن ضجيج الحياة، والحرمان وتعذيب الجسم بالجوع

---

(١) ديروحي، جاك: المافيا في إسرائيل،دن ، دم،د ت، الطبعة الأولى، ص٣٩.

(٢) النصرانية: هي الشريعة التي أنزلت على سيدنا عيسى عليه السلام، مكملة لرسالة سيدنا موسى عليه السلام، متممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التهذيب الوجداني والرقي العاطفي والنفسي، لكنها سرعان ما فقدت أصولها وانحرفت، مما يساعد على امتداد يد التحريف إليها حيث ابتعدت عن صورتها السماوية الأولى، لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية - الموسوعة الميسرة مرجع سابق، ص٤٩٩ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

والعطش وخشن الثياب. والتبتل وعدم الزواج. والعكوف على العبادة تقديراً للسيد المسيح، وبخاصة أنهم أدركوا بطلان هذا العالم وخداع مظهره الخلاب[1].

وليس الالتحاق بالرهبنة شيئاً يسيراً، فطالب الالتحاق يختبر ويمر بتجارب حتى يعترف الرهبان بأنه مستحق، وحينئذٍ يرقد على ظهره أمام الهيكل ويصلي الرهبان عليه صلاة خاصة. مضمونها أن هذا الرجل قد ترك العالم كأنه مات، ولم يعد يحسب ضمن أبناء هذا العالم أي ضمن العلمانيين[2].

وأورد هنا بعض الأقوال حول الفراغ بما يلي:

أ – الفتور الروحي:

يقول عوض سمعان: (يستهين بعض المؤمنين بالفتور الروحي بدعوى أنه ليس خطيئة، فيهملون الصلاة أحياناً ويقومون بها بطريقة آلية أحياناً أخرى . ويهجرون كلمة الله يوماً ويطالعونها دون شغف أو اهتمام يوماً آخر ـ وهذه الحالة كثيراً ما تقودهم للسقوط في الخطيئة بمجرد تعرضهم لها كما قادت كثيرين من قبل ـ ثم يورد أمثلة في خطية سيدنا داوود وهذا غير صحيح ـ فيجب علينا إذاً أن نتجنب الفتور الروحي، لئلا نقع تحت نير الخطية دون أن ندري. وإذا كان أحدنا لم يختبر هذا النير بعد، فليبتعد عن كل السبل المؤدية إليه بعيداً جداً[3].

أما إذا وجد واحد منا نفسه (فارغ الروح) يجتاز في الفتور المذكور دون قصد منه. فيجب أن لا يستسلم ـ للفراغ ـ والكسل والتراخي بل أن ينهض في الحال ويسرع إلى الرب.

---

(١)شلبي، أحمد: المسيحية، مكتبة النهضة المصرية،الطبعة الثامنة ، ١٩٨٤، ص٢٤٤.

(٢) شلبي، أحمد: المسيحية، مرجع سابق ص٢٤

(٣) سمعان، عوض: أسباب الخطية، نداء الرجاء ،حمص الطبعة الثالثة ،١٩٨٨ص٦٩، ٧٠ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

أخيراً يجب ألا يغرب عنا . إن الفتور الروحي الذي نستهين به أحياناً، هو أمر لا يطيقه الرب على الإطلاق، لأنه يدل على التردد في العلاقة معه. ولذلك قال الرب لملاك كنيسة لاووكية:

"أنا عارف أعمالك. إنك لست بارداً ولا حاراً. ليتك كنت بارداً أو حاراً. هكذا لأنك فاتر ولست بارداً ولا حاراً. أنا مزمع أن اتقيأك من فمي"[1].

كما حرضنا الرسول بالوحي قائلاً: (كونوا... غير متكاسلين في الاجتهاد. حارين في الروح، عابدين الرب، فرحين في الرجاء، صابرين في الضيق.. مواظبين على الصلاة) [2].

أما عن الفراغ وأوقاته يقول سمعان[3]: "إن أوقات الفراغ كثيراً ما تجلب الضرر على الناس لأنهم إن لم يستثمروها في عمل الخير، اندفعوا لعمل الشر فيها، إذ أن الفراغ بمعنى الخلو من كل شيء، ليس له وجود في الطبيعة على الإطلاق.

فالماء يندفع إلى الطلمبات لكي يملأ الفراغ، الذي يحدث فيها بارتفاع صماماتها، والرياح تهب من مكان إلى مكان لكي تملأ الفراغ أو التخلخل الذي يحدث في هوائه، بسبب انخفاض الضغط الجوي هناك.

والوحي الإلهي يحذرنا من التراخي والكسل، كما يحرضنا على العمل والاجتهاد فقد قال: (بالكسل الكثير يهبط السقف وبتدلي اليدين يكف البيت) [4]وإن يدي الكسلان ترتخيان، فضلاً عن ذلك فإنه يفتقر إلى رغيف الخبز[5]. وفي الأمثال المعروفة لدينا يقال: رأس الكسلان معمل للشيطان).

---

(١) سفر رؤيا٣: ١٥

(٢) سفر رؤيا ١٢: ١٠

(٣) سمعان، عوض: أسباب الخطيه،مرجع سابق،ص٩٣

(٤) سفر الجامعة: ١٠، ١٩

(٥) سفر أمثال: ١٨: ٢٩، ٦، ٢٠

www.iqra.ahlamontada.com

ومن ثم يجب أن يضع كل منا أمامه عملاً هاماً يستثمر فيه أوقات فراغه ويوجه إليه كل ما لديه من قوة ونشاط، إذ فضلاً عن أنه بذلك يعمل عملاً نافعاً لنفسه ولبني جنسه معاً. فإنه يتجنب هجمات الخطية لأنها إذا دنت منه لا تجد إلى نفسه سبيلاً، ومن الأعمال النافعة النشاط الروحي (مثل العبادة والصلاة ودراسة حكمة الله وتفهمها والتفكير فيها والعمل على نشرها والنشاط الاجتماعي مثل زيارة المستشفيات والملاهي ومساعدة المحتاجين والمعوزين من الناحيتين الأدبية والمادية) والنشاط الثقافي (مثل دراسة العلوم والأدب والخطابة والتأليف والترجمة) والنشاط الفني مثل الرسم والتصوير والأشغال اليدوية والنشاط الرياضي (مثل التمرينات الرياضية والرحلات) كما يجب أن يكون اهتمام كل منا بالعمل الذي يقوم به اهتماماً شديداً، حتى يظل ثابتاً وراسخاً في طريقه لأن مزاولة أي عمل بشيء من التراخي أو التهاون لا يعود علينا بفائدة ما، وليس هذا فحسب بل ويعرضنا أيضاً لأخطار الخطية المتنوعة. فليكن كل منا له عمل عظيم ينصرف إليه بكلياته وجزئياته دون أن يبالي مما يحيط به من معضلات، إذ بذلك يقدم أجل الخدمات لنفسه ولبني جنسه، وفي الوقت نفسه ليحيا بعيداً عن الصغائر والتوافه جميعاً[1].

ج ـ النورانيون والفراغ:

إن النورانيون[2]:حركة مؤسسها آدم وايزهاوبت. الذي ارتد عن المسيحية ليعتنق المذهب الشيطاني..

---

(١) سمعان، عوض، أسباب الخطية، مرجع سابق ص ٩٦(بتصرف).

(٢) النورانيون: هم جماعة نظمها وايزهاوبت سنة١٧٧٦م لوضع المؤامرة موضع التنفيذ وكلمة النورانيين تعبير شيطاني يعني (حملة النور) وتتكون من ذوي القدرات والفنون الذين يتم اصطيادهم من العالم ولكن مع مرور الزمن انتقل نشاطهم إلى الخفاء والسرية وأصدر وايزهاوبت تعاليمه إلى اتباعه بالتسلل إلى صفوف الماسونية وتكوين جمعية سرية في مكتب التنظيمات السرية إلى يومنا هذا.

- غاي كار، لوليام: أحجار على ورقة الشطرنج، در، دت ، مقتطف من بعض الصفحات (بتصرف)

- النورانية: بنت راشدة من بنات الماسونية الكثيرات، ولها جهود متفرقة في إخراج الدولة اليهودية من نطاق التخطيط إلى نطاق العمل . ـ الزعبي، محمد علي: الماسونية في العراء، دم،در،د ت، ، ص١٧٣

www.iqra.ahlamontada.com

ولقد كان هذا الرجل ذا عبقرية وقدرة على التخطيط حتى أنه عرف أن سر إهلا الأمم والشعوب هو في إيجاد ملهيات لها... حتى تضعف السيطرة على حياتهم وتف همة التحكم بزمانهم ووقتهم ولقد جاء في نص خطته الرهيبة:

١- استعمال الرشوة بالمال والجنس للوصول للسيطرة على الأشخاص الذين يشغلو المراكز الحساسة على مختلف المستويات في جميع الحكومات "وهذا الهدف تحقق بكامله فلقد جندت الماسونية كثيراً من ذوي القدرات والكفاءات في جماعتها حتى أنها استطاعت تجنيد بعض الرؤساء والمديرين وأصحاب الامتيازات في الدول بسبب الإغراء والرشوة المالي والجنسي، وكل هذه الأسباب متعلقة بالفراغ حيث أن الرشوة والجنس وعبادة المال منشؤها من الفراغ النفسي الذي هو أحد أنواع الفراغ.

ونتابع خطتهم بقولهم:

٢- يجب على النوارنيين الذين يعملون كأساتذة في الجامعة والمعاهد العلمية أن يولوا اهتمامهم إلى الطلاب المتفوقين عقلياً والمنتمين إلى أسر محترمة.

٣- مهمة الشخصيات ذات النفوذ التي تسقط في شباك النوارنيين والطلاب الذين تلقوا التدريب الخاص هي أن تتم استخدامهم كعملاء بعد إحلالهم في المراكز الحساسة خلف الستار لدى جميع الحكومات بصفة خبراء أو اختصاصين".

٤- العمل على الوصول إلى السيطرة على الصحافة وكل أجهزة الإعلام الأخرى[1].

فهؤلاء جميعاً وأمثالهم عرفوا كيف يستغلون الفراغ وإن كان استغلالهم سيئاً، ولكنهم استفادوا منه واستغلوه.

---

(١)غاي كار، لوليام: أحجار على رقعة الشطرنج،دار النفائس، بيروت، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٢١هـ ٢٠٠٢م، مرجع سابق ص١٠-١٢

www.iqra.ahlamontada.com

د- الرأسمالية[1] والفراغ:

لم يقتصر تأثير الثقافة الغربية الرأسمالية الجديدة ونهضتها الصناعية، وماحو ته من تقنية عالية على مجتمع الغرب، بل عم أثرها على الجماعات البشرية الأخرى، واقترن تأثيرها التكنولوجي والثقافي والاجتماعي بمصالح أيديولوجية وسياسية معينة.

إن أيدلوجية مصالحها تلك كانت تختفي وراء إنتاجيتها المربحة، فأخذت تضغط هذه بثقلها الثقافي والمادي على المجتمعات الأخرى، في عملية تثاقف تفقدها طبائعها الأصلية وعاداتها التقليدية، وروح الاكتفاء الذاتي الذي كان يعبر عن أخلاقياتها قبل عمليات التحديث المعاصرة مما كرس حالة الاغتراب عندها. يقول تعالى:

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾[2].

كما أن من طبيعة هذه التكنولوجيا أن يقترن بها صناعة رأي عام يكشف حاجات كاذبة تتفق مع المصالح الاجتماعية والثقافية الخاصة،بغض النظر عن حاجات الأفراد الحقيقية.

ولو أمعنا النظر في أعمال كثير من الشركات العالمية وما تملكه من عقلانية التنظيم والتقدم التي تتفوق على ما تملكه الشعوب والجماعات البشرية، لوجدنا أنها تلعب دوراً كبيراً في احتواء قدرات الشعوب، أي إماتة قدراتها عن طريق الاستهلاك

---

(١) **الرأسمالية**: هي نظام اجتماعي واقتصادي، يقوم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج،في المجتمع الصناعي، وحرية السوق، والمبادرة الفردية، ويرى أصحاب هذا المذهب أن الفصل بين العمل ورأس المال أصلح وسيلة لزيادة الإنتاج وتحقيق الرخاء والعدل، وأن المنافسة الحرة تنشط الاقتصاد وتحسن جودة الإنتاج وتحافظ على مستوى الأسعار . - الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مرجع سابق، ص٢٥٥-٢٥.

(٢) سورة الممتحنة:الآية (٢).

www.iqra.ahlamontada.com

لإمكانياتها في عمليات الاحتواء التي تقوم بها من خلال مشاريعها التي تكون مدعومة بقوة التنظيم والوسائل التكنولوجية المعاصرة.

ذلك لأن ما تملكه تلك الأيدلوجيات العالمية، من إمكانيات تكنولوجية وتنظيمية متفوقة وخبرات علمية وفنية ورصيد مادي يجعل من تفوقها عاملاً ضاغطاً على إغفال كثير من الدعوات واندثار لكثير من العادات وأموت لمظاهرها الثقافية المرتبطة بها. ومن هذه المظاهر: القيم الخلقية، والعقائد الدينية والمبادئ الإنسانية.

بالإضافة إلى الاعتماد على النفس واستقلال إمكانيات البيئة، التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعواملها التاريخية والجغرافية، ورثته جيلاً عن آخر سواء في المجال الاجتماعي أو الديني أو الاقتصادي أو العمراني.

ومن الأمثلة على مثل هذا في العصر الحديث انتشار (موضة) عرض الأفلام والمسلسلات التي تنتجها شركات أجنبية لتعرض في البلاد العربية والإسلامية، مستخدمة أخلاق الغرب في تحقيق التغريب وتفكك عرى أخلاقياتنا الإسلامية.

وأيضاً المشاريع التي تنفذها شركات أجنبية في بلادنا العربية والإسلامية، مستخدمة العمالة المحلية في تحقيق أعمالها، لتحقيق غاياتها الخاصة بها.

وقد ساعد هذا على تحقيق الغزو الاقتصادي والفكري والاجتماعي، عوامل التقسيم السياسي في عالمنا الذي نتج عنه تفكك عوامل وحدته الاقتصادية والفكرية والاجتماعية. التي كان ينعم بها في الماضي قبل أن يملأ الغرب الرأسمالي فراغنا.

٤- وسائل الأعداء في إغراقنا في الفراغ

إن هناك خطرين يتهددان الفرد والمجتمع المسلم، يحرمانهم من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والوجهة التي بناها الإسلام في أتباعه المؤمنين:

أولاً: ما تقدمه مناهج التعليم والتربية المفرغة من الإيمان بالله والعمل الخالص له

www.iqra.ahlamontada.com

سبحانه، وبناء المجتمع الإسلامي على الأرض القائمة على مفاهيم الطبيعة، والجبرية وصراع الأجيال، وصراع الحضارات، والصراع الطبقي والتفسير المادي للتاريخ، والخضوع للشهوة والجنس، ووصف الإنسان بالحيوانية المفرطة. هو ما يسمى بالاتجاه الموضوعي والعملي في التربية.

ثانياً: ما تقدمه وسائل الراحة والتسلية. من منتزهات وحدائق ومسار وقنوات تلفزيونية، وروايات وغيرها من مفاهيم ضالة مضلة، وشبهات وافتراءات، وسموم وأوهام، وأساطير وخرافات، هذه المفاهيم التي تستنكرها قيم الإسلام الحقيقية، والتي تحقق ذلك التمزق الخطير بين الرجل والمرأة، والزوج والزوجة، والابن والأب، والتي تجعل السرقة والرشوة والاختلاس والخطف والتآمر والقمار وغيرها من وسائل مشروعة للثراء والغنى والكسب[1].

لقد طوت أمتنا الإسلامية قروناً عديدة واجتازت عقبات كؤوداً، وهي مشدودة الأواصر بهذه المبادئ الروحية والفكرية، محكمة النسج بتلك الروابط المادية والأدبية.

يصعد الجد بها ويكبو، وتمر بها الأيام سعدٍ ونحس، وهي تعرضت وتتعرض لأخبث غزو عرفته منذ وجدت، فإذا هذا النازي الجديد يصوب قذائفه بمهارة ودأب نحو مبادئنا ومواريثنا وديننا وثقافتنا، ويبذل آخر ما لديه من دهاء وعنف لجعل الأمة برمتها في ناحية، وجعل تعاليمها وتشريعها وخلقها وأمانيها وآمالها في ناحية أخرى غير ما تؤمن به وتحن إليه.. إنه يحول بين المرء ونفسه... إنه يحول بين الأمة وروحها، وضميرها وتاريخها ورسالتها..

وهو بهذه الحيلولة يحكم على الأمة بالموت البطيء أو السريع أو المفاجئ على قدر ما يلقى من نجاح في كيد أو إحكام في قوة.

---

(١) الجندي، أنور: كيف يحطم المسلمون قيد التبعية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ص٥٨ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

أجل... إن القضاء على مبادئنا وميراثنا ومثلنا ـ نحن المسلمين هو التمهيد الحاسم للقضاء علينا إلى الأبد.

فنحن إذ قلنا إن الإسلام دعاء لمبادئنا فذلك لأن الإسلام ينطوي على خير ما في مبادئ التشريعات الكبرى ويزكيها، كما أن هذه الأحكام تنطوي على خير ما في المبادئ الإنسانية من عناصر تنظيم الحياة الإنسانية.

على أننا إذا نظرنا، محاولين التحقق من واقعنا مع أخذ العبر من تاريخنا نجد مآسي جمة قد حاقت بنا وبرسالتنا، وتركت وتترك غضوناً عميقة في محياناً وملامحنا.

فمن الخارج تعرضت الأمة لغزوات وغزوات متعاقبة مازالت تلح عليها منذ قرون إلى أمسنا وحاضرنا بأثواب مختلفة وبتسميات متعددة. ومن الداخل تعرضت الأمة لأجيال من المفسدين الذين كانوا يعملون على تحطيمها، وهم المسؤولون عن إصلاحها.

وكان أكبر همٍّ للمغيرين من الخارج، وللمفسدين من الداخل، أن يدمروا أولاً كل المبادئ التي تحفظ كيان الأمة وتكفل حياتها وتسد فراغها. ثانياً ـ أن يفككوا الإنسان من الداخل بإثارة الريب والشك في عقله والفصل بينه وبين المنظومة الاجتماعية وتراثها.

ولا يمكن الحديث عن الفراغ دون ذكر المجالات والوسائل التي اعتمدها أعداء الأمة في إغراقها فيه:

أهم وسائل الأعداء في إغراقنا في الفراغ:

أ ــ الوسائل الداخلية:

١ – التعليم والتربية:

إن لأعدائنا وسائل لتفرض علينا سلطانها على كثير من البلاد الإسلامية، وسوف

www.iqra.ahlamontada.com

نكشف الستار عن أهم هذه الوسائل والطرائق... ليعلم الشباب ماذا يريد الأعداء منا ليملؤا الفراغ ويتحكموا في رقاب الأمة؟ وما هي خططهم ووسائلهم في ذلك؟.

الوسائل التي يتخذها الأعداء في تفريغنا من الداخل في أمور:

١- في الدسائس الفكرية.

٢- في التعليم الذي يوجهونه.

٣- في وسائل الإعلام التي يسخرونها.

١ – في الدسائس الفكرية:

من أهم ما يحرص عليه الأعداء، ولاسيما الذين فُرضوا على بلاد الإسلام بقوة الحديد والنار.... من أهم ما تحرص عليه تضليل الجيل الإسلامي الناشئ بفكر غير إسلامي، وتوجيه غير أخلاقي... ليرتبط الجيل بهم،وينقاد لأفكارهم،وينفذ في المستقبل جميع مخططاتها،ويندفع بقوة في الدعوة إلى مبادئهم...

– وما أمريكا والتعليم الديني في بلاد الإسلام ببعيد ـ ولاشك أن لهؤلاء الأعداء زمرة من العملاء، وطبقة من الدعاة... متصفة بالمكر والدهاء، ومزودة بأساليب الإغراء والتضليل.. ما تستطيع التأثير بها على عقيدة الأفراد، وأخلاق البلد!! .

وإن هؤلاء الزمرة المفتونة بالأعداء لهم أساليب ومسالك في الإفساد والتضليل، وها نحن أولاء سنوردها باختصار:

١- ترغيب من يتتلمذ على أيديهم بالحضارة الغربية.... ووجه الترغيب: أن أصحاب هذه الحضارة والمبادئ ما وصلوا إلى قمة المجد والقوة إلا بعد أن فرغوا أنفسهم عن الدين جانباً، وجعلوه في المعبد فقط.

٢- تشكيك الشباب المسلم في صلاحية الإسلام،كقولهم: إن الإسلام قد انتهى دوره، واستنفذ أغراضه.. فلم يعد صالح لعصر الذرة والتقدم العلمي.

٣- إقناع الجيل بأن الإسلام فيه أحكام ظهر فيها ظلم المرأة... أو مسألة الحجاب...

www.iqra.ahlamontada.com

عمل المرأة... الميراث... وغيرها... فلا يمكن للفرد أن يصل إلى حقوقه كاملة إلا أن يتحرر من قيود الدين والأخلاق والأعراف.

٤- الاختلاط والصداقة والحب، يدفع المراهقين والشباب والشابات لتصعد الغرائز ويجعل الالتقاء بالمرأة أمراً مألوفاً عادياً!!.

٥- الكبت الجنسي والانطواء الغريزي والفراغ... يولد في الجيل أمراضاً نفسية عصبية.. وليس ثمة من حل إلا الانطلاق في حمأة الشهوات، والاسترسال وراء الملذات.!!

إلى غير ذلك من هذه الأساليب المضللة، والأقاويل الخبيثة... في ملء الفراغ عندنا لهدم حصوننا وقلع ثوابتنا في عقيدتنا الربانية. تشويه التاريخ الإسلامي عامة والعربي خاصة ودسّ الضلالات والأكاذيب لغرس النقمة والدونية في نفوس الأجيال ليبحثوا عن بدائل يدارون بها إحاطاتهم.

٢- في التعليم الذي يوجهونه:

يريدون التعليم الذي يواكب مصالحهم ويحرص الأعداء في بلاد الإسلام أن يوجهوا التعليم والتربية بشكل مباشر أو غير مباشر منهجاً وتعليماً وتوجيهاً... من أجل ماذا ؟.

من أجل أن يتوجه الجيل الناشئ المتعلم بالوجهة غير الإسلامية أو إسلامية بغير مضمون الإسلام التي لها يسعون، وفي سبيلها يناضلون.. بل من أجل أن ينشأ الجيل المسلم فارغ العقيدة والخلق، محطم الشخصية والكيان، مزعزع الثقة بالتاريخ والأمجاد...

لاشك أن السبل التي ينتهجونها هي خطوات مرحلية ومدروسة، وسوف تتعرض لأهمها:

أولاً: حصر التعليم الديني معنوياً ومادياً:

أما حصره مادياً التقليل من مدارسه وبتقليل ساعاته، وبتطوير مناهجه، وبتضييق

www.iqra.ahlamontada.com

موارده، وبإسناد تدريسه إلى غير المختصين... كل ذلك ليتسع فراغنا ويخدم أفكار أعدائها وزمرتهم فينا.

وأما حصره معنوياً فالحرب الإعلامية على علماء الإسلام إما بالاستهزاء والسخرية والتهم والافتراء لمن يقوم على أمره وتدريسه، وبالتفرقة بين أساتذة الإسلام، فيما بينهم وبين أساتذة المواد الأخرى... تقديراً وتكريماً واهتماماً...

الغاية منه لينفر الطلاب والناس من الدين وأهله ورجاله وعلمائه، ويقبلون على سواه... من حيث يشعرون أولا يشعرون !! .

٢- البعثات الخارجية:

سواء كانت هذه البعثات الرسمية أو غير الرسمية. وذلك بإرسال البعثات العلمية والتربوية. إلى العالم الغربي للتخصص بالعلوم الطب والهندسة والتربية وعلم الاجتماع... وغيرها. فالطالب المبتعث إذا كان فارغاً من الدين والخلق فإنه يتأثر بالفكر والعادات الغربية أو الشرقية ثم يتطبع لعاداتهم وأخلاقهم وسلوكهم، وينسلخ عن كل مبادئ أو موروث دعا إليه الإسلام وحافظت عليه العادات السليمة. فحين يعود إلى أمته فإنه يغدو ناقماً حاقداً غريباً يريد تغيير أمته إلى ما جاء به ومتحمساً للغرب والشرق وفي هذا انحرافه ودماره، بل انحراف ودمار المجتمع بأسره!!.

٣- المدارس الأجنبية:

إن وجدت هذه المدارس بمثابة قنوات لتنصير المسلمين... أو إخراجهم من الدين فقط . وعليه نصت بعض مؤتمرات التبشير، وعلى هذا نفهم إنشاء الكلية الإنجيلية في بيروت، وإنشاء الجامعة الأمريكية في مصر. إن هذه المدارس الموجودة في بلادنا تريد أن تثبت أفكاراً مستغربه قد تكون مألوفة في البيئات التي أرسلتها وبنتها، ولكنها منكورة أشد النكر بالنسبة لما نعرف من طبيعة ديننا وحياتنا. وإن هذه المدارس أطلقت ألوفاً من الألسنة تصيح بصوتها وتعزف على أوتار معارفها.

www.iqra.ahlamontada.com

أمثال: بأن العقل شيء والدين شي آخر ـ إن الدليل يفسد الإقناع ـ تحرير المرآة من سلطان الدين والحجاب وآداب الإسلام... وغيرها.

وقد بدأت طريقة التدريس في هذه المدارس مبكرة لتخريج الأساتذة المتطبعين بأفكارها وأخلاقها حتى إذا وسد الأمر إليهم في مهمات التعليم والتدريس قاموا بتفريغ مبادئ هذه المدارس على طلابهم ومدارسهم الجديدة.

٤- تطوير المناهج التعليمية:

لقد سبق ذكرها في ـ فصل سابق، ولكن مما يجدر الإشارة به هنا. نجد هذا التطوير وضع في الأصل ليخدم الهيمنة الغربية والسياسة العالمية (العولمة) بكل أبعادها وتصوراتها....

أو ليخدم الفكر الغربي إذا كان أكثر المسلمين منحازين إلى الأسلوب الغربي وفي هذا الاتجاه يقوم التطوير بأداء مهمته في غسل مخ الجيل المسلم من المقتدرات السائدة، والأخلاق الإنسانية الفاضلة، وهدم كل المثل والقيم التي بينه المجتمع الإسلامي عليه. ونذكر على سبيل المثال أن أمريكا تدعو بل تأمر بتطوير مناهج التعليم الديني في الكثير من الدول الإسلامية.

٥ – المسؤولية الإعلامية:

أضحى الإعلام وخاصة المرئي منه، وسائل مهمة وخطيرة في أيامنا المعاصرة، وهي من أكثر وسائل الترويج انتشاراً وشيوعاً وشعبية، مما ساعد على انتشارها في كل مكان.

ومما يجدر الإشارة له خطورة هذه الوسائل. منها:

١- قتل الوقت وإضاعة العمر والمال.

٢- إشغال الفرد والأمة عن أداء واجباتهما المهمة.

٣- الإسهام في تقطيع الأواصر والوشائح بين الأمة.

www.iqra.ahlamontada.com

٤- زرع عدم الثقة والشك بين الأفراد.

٥- تمزيق الأسرة الواحدة.

٦- تعليم العادات السيئة والبيئات الشاذة والمنحرفة.

٧- تسهيل عملية الاختلاط وطرحها حتى تكون عادة.

٨- عرض النموذج السيئ والهابط .

٩- التعود على رؤية المنكرات وعدم إنكارها.

١٠- الإسهام بشكل مباشر في هبوط المستوى المعرفي لدى طلاب العلوم والمعارف.

١١- تشويه شخصيات الإسلام في عقول الناشئة والمشاهدين.

١٢- بناء ثقافة مشوهة عند الأبناء.

١٣- إظهار الفاسقين والفاجرين والعصاة في موقع الصدارة في المجتمع وفي مواطن القمة والنجومية منه!؟

١٤- تثبيت بعض المصطلحات الباطلة في أذهان الأمة.

١٥- التركيز على مظاهر المباريات الرياضية مع إهمال عرض جوانب الأعداد والاستعداد والتدريب على الجد والجهاد.

١٦- التركيز على خروج المرأة سواء كانت تصلح له أو لا تصلح.

١٧- التركيز على مظاهر القوة عند الغرب.

١٨- تشويه قضايا المسلمين وإهمالها وتفريغها من مضامينها.

١٩- تثبيط الشباب وإلقاء الرعب في قلوب الأمة من أعدائها .

٢٠- هدم الحواجز الدينية والاجتماعية والنفسية بيننا وبين أعدائنا وخاصة اليهود "التطبيع" ولو نظرنا نظرة فاحصة في الإنتاج الإعلامي الذي تنتجه القنوات الإسلامية عامة من برامج مرئية أو مسموعة أو مقروءة... (إلا ما رحم ربي). لرأيناها في خدمة من ارتبطوا بهم فكراً وعقيدة وخلقاً..

www.iqra.ahlamontada.com

بل لتنفيذ مخططات من يجرون وراءهم، ويمتثلون أوامرهم، ويعطونهم ولاءهم... ومن أهم ما يسعون إليه. إشاعة الفاحشة.. والإغراء بالجريمة والتشكيك بالعقيدة... والتحطيم للمثل والأخلاق.

من أجل ماذا ؟ من أجل تفريغ الجيل، ليحمل وليملأ في نفسه روح العداوة والكراهية لدينه ومقدساته وأمجاده ومثله العليا وأخلاق آبائه المثلى .

ب- الوسائل الخارجية:

لا بد إن أردنا الحديث عن الوسائل الخارجية لابد من ذكر المجالات التي وُظّف منها من طرف النظم المناهضة للأمة ومحاربتها في طرح المنهج الإسلامي. وقبل الخوض في بعض التفصيلات عن هذه الوسائل. يجدر بنا شرح هذا النظام، حتى نتمكن من الوصول إلى تعريف تقريبي لمفهوم العولمة. ينبغي أن نعرج على المحاولات الساعية حثيثاً لجعله شاملاً للعالم بأسره، وكيفية اعتماده على الغزو الاقتصادي عبر القارات والقوميات.

واستبق التساؤل حول مفهوم هذا النظام، وأبين بعض التعاريف لمفكرين مختصين به ـ فالعولمة: Glopaization أو التدويل أو الكوكبة مصطلح يعني في كثير من اللغات الأوربية مفهومات يشتق من الجذر Glope وتعني بالإنكليزية الكرة أو الكرة الأرضية، إذ الأصل.

اللاتيني Glopus يعني كرة، وتعني كلمة Glopal باللغة الألمانية عالمي أو عام، والكلمة بمفهومها الغربي تختلف عما نفهمه نحن ونسعى إليه، فالغرب يعني مفهومه عندهم سيطرة العالم الغربي على بقية أجزاء العام فكرياً وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً. قال بعض العلماء المختصين: العولمة تعني تحول العالم بأسره إلى وحدة واحدة مترابطة خاضعة لنفس القوانين والمثل، وترتفع وتيرة معدلات العولمة حتى تصل إلى مرحلة السيطرة العالمية الكاملة، بعد التخلي عن المطلقات كلها، بما فيها الإنسان نفسه

www.iqra.ahlamontada.com

ثم يتحول العالم إلى حالة المصنع فيما بعد الأيديولوجية، أي قتله بهدف زيادة الإنتاج، ثم تحدث مرحلة الانفتاح بعد مرحلة الثورات الاشتراكية[1].

أما ذروة تطور النظام العلماني العالمي الجديد، فهي ما أطلقوا عليه اسم "الاستهلاكية العالمية" بديلة الإمبريالية العالمية، حيث ساءت حالة المصنع والسوق الكبير، فيها تُعظّم المنفعة المادية، واللذة الحسية، وتفتح الحدود، وتختفي القيم، وتبرز أهمية الديمقراطية المزعومة، إذ هي أداة النظام الجديد، وتضعف الدول القومية الصغيرة، وتلغى مفاهيم الإنسان والتاريخ والقيمة القومية، تلك المبادئ والمفاهيم التي توصل إليها "فوكوياما" في كتاب "نهاية التاريخ" حيث انتصار الليبرالية الغربية، فالتاريخ قد وصل إلى نهايته كما يزعمون، وانتهى الصراع الهيجيلي والماركسي، وستنتهي كل التنبؤات ويستوي البشر، وتختفي الاختلافات الذاتية والحضارية والإنسانية [2].

وبكلمة موجزة فإن هذا النظام إلحادي معادٍ للإنسان والدين والمجتمع والتاريخ . لذلك كان اصطدامه مع الشرق العربي الإسلامي. وهو يدرك أن طبيعة هذا الشرق لاتقبل المساومة على أسس نفسية وفكرية ودينية ترسخت منذ زمن بعيد.

أما هوية النظام الجديد، فهي مجموعة الشركات والصناعات، والمصارف والبيوتات التي تخدم في النتيجة ما يسمى بالاقتصاد العالمي، إنه نظام شره، يلتهم من الماديات أكثر من طاقته أو تلبية حاجاته المتزايدة. وعلى ذلك فتبدو ملامح الخطر الشديد واضحة بين جوانبه. وهي:

١- لأن النظام الجديد لا يحمل حقاً صفة الدولية.

٢- لامكان للعالم الثالث فيه من حيث المشاركة والحقوق.

٣- نظام عدواني متمثل بالهيمنة للاستكبار العالمي.

---

(١) حسون، علي : محاضرات في الغزو الثقافي الغربي، الإحسان، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـــ ٢٠٠٢م ص٣٣(بتصرف)

(٢)حسون، علي : محاضرات في الغزو الثقافي الغربي، مرجع سابق ، ص:٣٦(بتصرف) .

www.iqra.ahlamontada.com

٤- نظام عدواني متمثل بالاعتداء على الطبيعة، وتدمير البيئة.

٥- نظام عدواني متمثل بانتهاك حقوق الإنسان.

٦- نظام عدواني متمثل بتهديد الحياة بكاملها.

٧- نظام عدواني متمثل بالاعتداء على حقوق الفقراء ويركز الثروة بأيدي الأغنياء .

٨- نظام يحتقر المستضعفين والمعوزين.

٩- يجعل من النشاط الاقتصادي، نشاطاً مركزاً بيد مجموعة رأسمالية قليلة العدد.

هكذا توضحت بعض الشيء معالم صورة النظام الجديد الذي تتزعمه الولايات المتحدة بعد أن تحول العالم إلى قوة وحيدة القطبية، وهذا يعني ما يلي:

١- الإخلال بالتوازن الاستراتيجي الذي كان قائماً جزئياً بين المسلمين والعدو الصهيوني الغاصب.

٢- تصاعدت الأمركة في العالم، واخترقت المنظومة القيمية الأميركية الغربية، أحلام وعقول الكثيرين، رغم كل ما تعانيه أميركا من أزمات اجتماعية واقتصادية.

٣- سيطرة الولايات المتحدة على مصادر الطاقة.

٤- تعزيز القدرة العسكرية الأميركية، في الوقت الذي لا تتمكن أطراف النظام الأخرى من المنافسة.

٥- القضاء على الشرعية الدولية وفرض شرعية القوة العسكرية والاقتصادية التي يسيطر عليها القطب الأميركي ويوجهها وفق مصالح خاصة.

٦- العمل على منع انتشار الأسلحة النووية، وبذل أقصى الجهود، كي لاتصل أسلحة الدمار الشامل لأيدي المسلمين والعرب، والتغاضي في الوقت عن ترسانة الكيان الإسرائيلي النووية.

٧- تزعم أميركا الحملة ضد ما تسميه "الأصول الإسلامية" تحت شعار مكافحة الإرهاب.

www.iqra.ahlamontada.com

٨- بروز الشركات متعددة الجنسيات.

٩- ظهور المتحمسين لهذا النظام في عالمنا الثالث، وفي العالم العربي والإسلامي بشكل خاص. من المنهزمين والجشعين وضعاف النفوس الفارغين.

والنتيجة، تدخل الولايات المتحدة بقوة في شؤون العالم، وانفرادها باتخاذ القرارات تحت راية الأمم المتحدة، وطرح فكرة "فوكوياما" عن نهاية التاريخ بانتصار الليبرالية الغربية كنهاية للصراع الأيديولوجي القائم، ثم فكرة "هاتننتون" عن صدام الحضارات، حيث لم ينته التاريخ بعد، وأنموذجه الصراع بين الحضارات، حيث المرحلة الأخيرة من تطور النزاع في العالم الحديث.

ويمكن تلخيص آثار هذا الخطر الداهم لعقر دارنا كما يلي:

١- تحول العالم إلى مصنع، لذا اقتضى الأمر ضرورة تقدم الشعوب بشكل تصبح به بالنسبة لهم شبه منتجة شبه مستهلكة، إذ كيف لبدوي الصحراء أو الهندي الأميركي أو حتى القروي النائي، أن يستهلك سلعهم بما فيه الكفاية دون تحسين أوضاعه الاجتماعية، فلا يبقى عائقاً يهدد هذا النظام بالفشل والإفلاس.

٢- يجب أن يتم هذا التحول، تحت مظلة البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، داخل إطار هذا النظام، ولا يسمح بالتنمية المستقلة التي تحدث ثغرة فيه، وتعرقل نمو شركاته.

٣- ظهور ما يسمى بالنخبة المحلية المدافعة عن هذا النظام، من المنهزمين وأصحاب الجشع المادي في البلاد الإسلامية بشكل خاص، ومن هنا ندرك السبب في تدفق ملايين الدولارات إلى بعض هذه البلاد، لتمويل المشاريع، وخاصة بعد اندلاع حرب الخليج.

٤- انتشار الإباحية والعري والجنس الفاضح وصناعة اللذة وأفلام هوليود بشكل وفير.

٥- تكريس تبعية بعض العرب لأميركا.

٦- إضعاف أهمية دور النفط كسلاح.

www.iqra.ahlamontada.com

٧- الانتقال من فكرة التوازن الاستراتيجي بين العرب والعدو الصهيوني إلى فكرة توازن المصالح، مما عكس مفهوم الصراع العربي اليهودي.

٨- اختلال التوازن العسكري الجزئي، الذي كان بين العرب والعدو الإسرائيلي.

٩- ازدياد الخلل في التوازن الديموغرافي في داخل فلسطين المحتلة وفي دول المحيط.

١٠- حمل العرب على إنهاء النظام الإقليمي العربي، واستبداله بطروحات جديدة، الشرق أوسطية أو سواها.

- عولمة الإعلام:

إن الإعلام، هو الوسيلة الكبرى في تحقيق ونشر العولمة، فبعد أن تحولت الدول القوية المغلقة، إلى دول عالمية مفتوحة بفعل الأسواق المشتركة والشركات متعددة الجنسيات وبعد ثورة الاتصال والإعلام والمعلوماتية، برزت أهمية الإعلام.

لكن كان للتعليم خطورته من ناحية "تكوينية" و "تشكيلية" لعقل المستقبل وقلبه... فقد صار للإعلام ـ بوسائله المختلفة خطورته وتأثيره... على عقل اليوم وقلبه مع مشاركته في صياغة عقل الغد وقلبه...

ولئن كان التعليم يمتد إلى قطاع "الطلبة" فإن الإعلام يمتد إلى جميع القطاعات... ماكان منها متعلماً وما كان غير متعلم، ما كان منها قارئاً وما كان غير قارئ، بل ما كان منها راغباً وما كان منها غير راغبٍ، ليشارك بكل الإمكانات والحواس على صياغة الرأي العام صياغة خاصة تتقبل معها العولمة...

فالعالم اليوم قد تحول إلى ساحة تتنافس فيها أدوات الصراع والمنافسة، وقد تمكنت شبكة (CNN) الأميركية من كسب ثقة المشاهد العالمي أثناء حرب الخليج وحرب الأفغان وبعدها، لتصبح قوة هيمنية نفسية تستحوذ على أفكار المشاهدين. وقد ظهرت فجأة لتغطي حينها الأحداث لوحدها من المنظور الأميركي، وكان العالم يتلقفها. وقد تم ذلك بسرعة هائلة، عبر أقمارها الخمسة، ومنظوماتها المؤلفة من شبكتين، عالمية ومحلية، ومراسلين في كل المناطق الملتهبة من العالم. وبذلك أبطلت

www.iqra.ahlamontada.com

دور المعلق الصحفي، حتى أن الغرب والشرق نفسه قد تضايق.

١- التلفاز: من الوسائل الخطيرة التي غزت كل البيوتات تقريباً... ومعها القنوات الفضائية لتنقل إلى الناس داخل بيوتهم ما يرغبون ومالا يرغبون، بغير استطاعته منهم تجنب هذه الوسيلة أو توقيف بعض برامجها، وباعتمادها على حاستين خطيرتين في وقت واحد: السمع والبصر...

٢- ليتخللاهما إلى الفؤاد: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾[1].

إن انتشار التلفاز الأمريكي من خلال قنواته الكثيرة في كل أرجاء العالم ـ وأصبح إنتاجه هو المعيار الكلي الكوني وانتشرت المسلسلات المحلية الأميركية في أرجاء العالم، وطفت مشاهد الرياضة والبطولة والفائزين، وجرى التركيز على جيل المراهقين غير الناضجين، وانخفض المستوى الثقافي إلى درجة كبيرة، يقول "روجيه غارودي" في فصل من كتابه (الهدامون) الصادر عام ١٩٩٢ [2]. "وعن طريق البلاهة الخائفة للألعاب والمسابقات المتلفزة التي تلوح بإغراء الحصول على المال بسهولة، وصولاً إلى الأخبار التي تخضعنا إلى تأمل كوارث العالم بغباء، مروراً بأفلام الصور المتحركة اليابانية، وهي كلها تنحو بانتهازيتها التجارية إلى جعل الجمهور كالأطفال، دون تقديم ما يساعد على فهم نهاية الألف الثانية، إلا بالجرعات التي تعالج الدواء بالداء، وبعد الحادية عشرة ليلاً، أي الأفلام الإباحية. وهكذا أتى الإعلام بعد عصر العولمة باضمحلال الأخلاق، وهذا ما يتحدث عنه المثقفون الغربيون، وهم يشكون من واقع الإعلام في مجتمعاتهم، وقد وصف بعضهم نهاية القرن العشرين، بأنها عودة متجددة لزمن الرومان، حيث عصر فساد التاريخ وتدهوره. وفي فرنسا، أصبح الحدث

---

(١) سورة الأنعام:الآية (١١٣)

(٢) حسون، علي: محاضرات في الغزو الثقافي الغربي، مرجع سابق ص٤٢

www.iqra.ahlamontada.com

التلفازي سلعة يتحكم بها المستهلك وتناسب ذوقه، وأصبحت الأخبار والاستعراضات مسنداً للإعلانات التي تتحكم بتمويل البرامج وانتقاء مقدميها، إنه لاغرابة في ذلك، لأن معظم وسائل الإعلام العالمية تديرها كارتلات صهيونية ضخمة، بدءاً بإمبراطورية روبرت مردوخ التي تملك معظم وسائل الإعلام في الولايات المتحدة وأستراليا وبريطانيا، وصولاً إلى إمبراطورية اليهودي "ماكسويل" التي لا تنشر الحقائق والدليل الحرب الشعواء التي تشنها على "روجيه غارودي. وعلى قساوسة مثل الفرنسي الأب"بيير[1]" عندما تجرأ على فضح السياسة الصهيونية والأوهام التوراتية. لقد فقدت عروض الحروب والآثار المدمرة التي تجلبها جميع مالها من معان سامية وإنسانية، وأصبح المشاهد يستمتع برؤية ذلك الدمار، وبقتل الأبرياء وبتر أعضائهم، ولا يلفت نظره، سوى السلاح المستعمل وحداثته، والشركة التي تصنعه والجانب الفني منه.

إن الأرض الإسلامية استبيحت إعلاميا بشكل هائل بعد تقدم تكنولوجيا الاتصالات من أقمار صناعية وفضائيات تلفازية وإنترنت وفاكس وحاسوب وغيرها، وبقي دور وكالات الأنباء العربية والإسلامية ضعيفاً أمام الوكالات الأجنبية الضخمة مثل "رويتر[2]" و " يونايتد برس[3]" و " آسوشاتيد برس [1]" و " A.F.P[2]"غيرها من التي يأخذ منها إعلامنا دور المتلقي ولا يسهم في صنع الحدث، وألخص فأقول:

---

(١) بايل، بيير (١٦٤٧-١٧٠٦) bayle piere فيلسوف فرنسي، كان من فلاسفة حركة التنوير الفرنسية، عمل أستاذا للفلسفة بكلية سيدان وجامعة روتردام، ويعتبر بايل من أهم وأبرز الشكاكين في أواخر القرن السابع عشر، وكان لكتابه ((القاموس التاريخي النقدي)) اثر كبير في القرن الثامن عشر، فاعتبره جيفر سون من بين أهم مائة كتاب ينبغي أن يكونوا في مكتبة الكونغرس، ومن مؤلفاته (القاموس التاريخي النقدي) -الحاج، كميل: الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ص٩٢.

(٢) وكالة رويتر الإنكليزية: مؤسسها جوليوس باول رويتر هو شخص يهودي كان اسمه حتى عام ١٨٤٤م إسرائيل بيتر جوزافات (JOSAPHAT ISRAEL BETR) ـ سعد الدين، محمد منير: الإعلام قراءة في الإعلام المعاصر والإعلام الإسلامي، مرجع سابق ص١٣٠ (بتصرف)

(٣) (اليونايتد برس) وكالة الأنباء الأمريكية (U.P.I) لقد أسس ف عام ١٩٠٧م سكرابيس وردي ويلسون هوارد، وكالة أنباء تحت اسم سكرابيس هوارد يونايتد برس، على أنقاض وكالة أنباء ضعيفة، وفي عام=

www.iqra.ahlamontada.com

لقد أفرزت العولمة تحديات مصيرية على الأمة الإسلامية، خاصة على النطاق الاعلامي وهذه التحديات **تتطلب ما يلي:**

١- الحرية الإعلامية ضمن حدود النظام العام.

٢- إعادة الثقة.

٣- تقوية الكادر الإعلامي مهنياً وفنياً.

٤- التضامن العربي الإسلامي.

٥- تعزيز جميع وسائل الإعلام بشكل أفضل.

إن المخطط الذي يعمل النظام العالمي الجديد على تطبيقه علينا، يرسم لاستيعاب كافة الدول الإسلامية إضافة إلى العدو الصهيوني، وجمعها معاً في داخل النظام، وبذلك يُقبل الكيان الصهيوني في المنطقة ويعمل لإفشال أي تضامن ضد الكيان الصهيوني، وهذا ما نلحظه بشكل واضح عند تعطيلهم مجرد انعقاد مؤتمرات عربية أو إسلامية ناجحة، وتكريس المصلحة الفردية والقطرية، وإضعاف الأقوياء. واختلاق

=١٩٠٩م أسس وليام واندلف هيرست وكالة أنباء تحت اسم وكالة اليونايتد انترناشيونال - غنمية، زياد: السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية، دار عمّار، عمان ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص٢٤

(١) اسوشتيديرس: (A.P) في ١٩٠٠م اتخذت وكالة اسوشتيديرس وضعاً جديداً بعد أن كانت مشكلة من خمس صحف في الولايات المتحدة الأمريكية يومية لتأسيس وكالة أنباء اسوشاتيديرس في عام ١٨٤٨م بتحويلها إلى شركة تعاونية شملت معظم الصحف والمجلات الأمريكية الشهيرة التي كان معظمها تحت السيطرة الصهيونية .- غنمية، زياد: السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية، مرجع سابق، ص٢٤ (بتصرف)

(٢)هافاس (A.F.P) لقد اسست في فرنسا على يد اليهودي هاشيت في عام ١٨٥١وكان مديرها العام في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية اليهودي هوارس ميتالي، وكان أحد اليهود من عائلة هافاس قد أسس من قبل في عام ١٨٣٥م وكالة أنباء هافاس، التي أصبحت فيما بعد الوكالة الرسمية للدولة الفرنسية وكان يديرها قبل الحرب العالمية الثانية اليهودي شارل لويس هافاس - غنمية، زياد: السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية، مرجع سابق، ص٢٤ (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

الأعذار، لضرب كل من تتوفر لديه إمكانيات النهوض، وتكريس النزعة العنصرية وإثارة النعرات الطائفية والمذهبية حتى يستمر النظام.

وأخيراً إيهام العالم بخطورة الأصولية الإسلامية وإتهامها بالإرهاب والتغاضي عن إرهاب الكيان الصهيوني والولايات المتحدة الأميركية، في ضربها السودان والعراق وأفغانستان وغيرها. بناء على المعطيات السابقة، يعاد صياغة المنطقة ويتحكم النظام العالمي بالصراعات المحتمل نشوبها، لأنه نظام لا يقبل الفوضى الشاملة التي تؤثر على عملية البيع والشراء والإنتاج والاستهلاك بل ينبغي استمرار النزيف، شرط أن لا يسمح لأحد بالانتصار في المناطق الساخنة.

إن لابد لهم من استخدام الترغيب والترهيب، في عملية إعادة صياغة النخبة المهزومة نفسياً، المفرغة عقدياً، وإغرائها بالمناصب والرشوات والدعم، وإقامة مراكز البحوث والصفقات والبرامج الثقافية التي تزيد من معدلات العلمنة والأمركة في الفرد والمجتمع.

ومن جهة أخرى تخويف الجميع مما دعوه بالإرهاب الإسلامي، فتستعين تلك الفئة الجشعة المنهزمة نفسياً بالعون الدولي، متخذة إياه ذريعة من أجل حمايتها، وطلب العون من ذلك النظام الدولي الخارج على القانون، والمرتدي جلد الحمل لكن يحمل قلوب الذئاب، متذرعاً بأنه النصير الأقوى للعدالة والديمقراطية.

كيف نواجه هذه الهجمة الإعلامية العالمية؟

إن سياسة منع بعض وسائل الإعلام، وحجبها عن الفرد والمجتمع، قليلة الجدوى، في مناخ لم يتحصن الفرد بعوامل أخرى، ومن هنا بروز العامل الذاتي، وخاصة الدين والرجوع إلى المنبع الصافي الجذور القوية، واستعادة الثقة بالدين والتاريخ والتراث، وتعبئة الأمة معنوياً، وقد كان لهذا العامل دوراً أساسياً في الماضي القريب والبعيد لمواجهة مخططات الأعداء، ويحرك هذا العامل مساراً يتجه إلى جانبين:

www.iqra.ahlamontada.com

الجانب الأول: ثقافي:

كان له دوره في إفشال المخططات الصهيونية والصليبية السابقة وفي إفشال التطبع وتوسيع جبهة المعارضة، مما أدى إلى التفاف الشارع حول هذه الجبهة وخاصة في مصر والأردن.

وستمنى الصهيونية العالمية بالفشل الذريع مستقبلاً عند محاولاتها الاختراق الثقافي رغم كل الوسائل التي تجهزها، وسوف تنتصر الثقافة الإسلامية المستندة إلى الدين الإسلامي عمقاً وحضارة.

عندما نأخذ بأسباب القوة والمنعة والنصر.

الجانب الثاني: الجهادي .

ذروة وسنام الإسلام الاستشهادي منه والدعوي، والشهادة أهم أسلحة المجاهدين سواء في فلسطين أو جنوب لبنان أو في العراق أو غيرها.

إذاً العامل الديني يحرك هذا الجانب، ومنه نتبين صعود التيارات الدينية في أواخر القرن العشرين مما يشكل أهمية كبرى نسبة للصراع بيننا وبين العدو .

وقد أجمع الخبراء الاستراتيجيون على أهمية العامل المعنوي، وقد يطرح مفكرو الغرب أفكاراً جديدة تقضي المواجهة مع الإسلام، مساندة لعدونا الكيان الإسرائيلي ومشروعها التوسعي الاستيطاني العدواني والهيمنة اليهودية، وافتعال مقولة المواجهة مع الإسلام، لإيجاد عدو جديد بعد انهيار الشيوعية، المهم أن لا ينزلق العرب والمسيحيون كرد فعل غير مدروس، ويفوتوا الفرصة على أعدائهم الذين يتهمون الحضارة الإسلامية بالتفسخ والتخلف.

إن العولمة، لن تلغي الصراع العربي الإسلامي الإسرائيلي، إلا إذا كانت عادلة، وهذا ما لم يكشف عنه حتى وقتنا الحاضر وهو لا يبدو في ملامح الأفق، لا من قريب ولا من بعيد، بل الذي يبدو هو العكس تماماً. ولكن لماذا يطرح الصراع مع الإسلام الآن؟

www.iqra.ahlamontada.com

إن هذا الطرح يكمن في معرفتهم الحقيقية للحضارة الإسلامية، وبأنها سوف تنتصر في العالم،وهم يحاولون نشر ثقافتهم واستهلاكيا تهم، إذ كل أمة تحاول نشر رسالتها، لكن يبقى الإسلام هو الحضارة الحقيقة، لذا ينبغي أن يكون الحوار... والتفاعل بين الثقافات والحضارات حواراً هادفاً موثراً بناءً يقوم على قاعدة الاحترام المتبادل، بالمعنى الأخلاقي الرفيع، بالمدلول الحضاري السامي، كما يجب أن يقوم الحوار والتفاعل بين الثقافات والحضارات على قواعد اجتمع البشر على صحتها وسلامتها وانعقد اجتماع الإنسانية على اعتبارها القانون الذي يحكم المجتمع الدولي.

إن من أهم الأهداف التي لجأ إليها الغرب في طرحه شعار العولمة، التشهير بالإسلام والمسلمين، من خلال حملات التشويه من استشراق وتبشير، وافتراءات المفرطين والمرتدين والمتغربين، وقد طرح هذا الشعار، ودعا العالم للتجمع من أجل الوقوف أمام ما يتصورونه الخطر القادم أي الإسلام الذي رأوا فيه تهديداً لحضارة الإباحة والجينز والبانكي والديمقراطية وغيرها. المزيفة الفوضوية.

لن تأتي العولمة دون تخطيط وتدبير، فمنذ أن أصبحت أميركا، متفردة بالقوة الاستراتيجية الاقتصادية والعسكرية والسياسية، أصبح من المسلَّم به، أن يتجه الفكر الأميركي الإمبريالي، نحو تقنين مسار الشعوب والأمم، وتطلعاتها المتعددة الجوانب، وكان لابد لهذا التوجه، من خلق مفردات ومصطلحات، تعيد قولبة الفكر الإنساني، وعلى رأسها مصطلح التطبع الذي بدأ منذ اتفاقية السلام بين مصر و الكيان الصهيوني ـ "كامب ديفيد" حيث خلقت الثقافة الأميركية، تحت شعاره، شرخاً واسعاً وفراغاً هائلاً بين المثقفين والمتعلمين من أبناء أمتنا، وعملا على تعميق هذا الشرخ وتوسيع هذا الفراغ، عقدت المؤتمرات المحمولة من قبل الأوساط اليهودية (مؤتمر كوبنهاكن)، وأصبح المروجون لهذا التطبع، يطرحون شعارات الصلح والتعاون وغيرها مع العدو الإسرائيلي، طالما يخدم ذلك، القرية الكونية الإنسانية التي تجمع طاقات شعوب الأرض، في قنوات واحدة تصب جميعها لمصلحة إلغاء الأديان والثقافات والأديان

www.iqra.ahlamontada.com

والقوميات والمبادئ والمثل وغيرها.

ومن وسائل الأعداء في إغراقنا في الفراغ:

فكرة نشر الثقافة الخفيفة وفكرة اللغة العامية في أسلوب الكتابة وفي أحاديث الإعلام وغيرها،كل ذلك... بدعوى أن ذلك يجاري الواقع من جهة، أو يدعو الإعلام وغيرها، كل ذلك.. أو يدعو إلى تخفيف الانفصالية بين الشرق والغرب من جهة أخرى!!.

وكل هذه الأفكار وغيرها تقوم على وضع حجاب كثيف بين ماضي الشعوب والمجتمعات الإسلامية في تاريخها وإسلامها وكفاحها وبطولاتها، وبين حاضر هذه الشعوب حتى لا تستطيع أن تستند إلى ذلك الماضي يوم أن يعتدي عليها أو تسلب حقوقها.

على أن الغرب قد وضع خطته هذه في توجيه الفكر الإسلامي وجهة ملائمة له، وعمل على ضغط الثقافة الإسلامية: بالتقليل من شأنها وإبعادها عن مجال التثقيف، والتخفيف من شأن حملتها، بتقديرهم تقديراً مادياً متواضعاً في الدوائر الضيقة التي يسعون للتوظف فيها....

لم يمنعهم شيء أن يضعوا مثل ذلك في السياسة التي يدير الغرب بها الشعوب الإسلامية الأخرى.

- إثارة المشكلات في العالم.. متذرعاً بإحصاءات ومصالح ومزاعم واعتبارات تتلاعب في تقديرها الأهواء، ليحول وجودها دون تكتل شعوب الشرق على أساس من الإسلام.
- استمرار الكيان الصهيوني كدولة صهيونية عنصرية يهودية.. ليحول وجودها دون تكتل هذه الشعوب على أساس من مقومات الدين واللغة والتاريخ والمصالح والأهداف المشتركة. وقد تم الإعلان عن دولة إسرائيل اليهودية في مؤتمر العقبة على أرض عربية وبحضور عربي.

www.iqra.ahlamontada.com

- **مسألة القدس**: ليست سوى عمل سياسي استعماري غربي صليبي صهيوني، لتحقيق فكرة الكتلة الصليبية، والمقاصد الصهيونية. في إبعاد المسلمين عن مهد الإسلام وعزته.

- وما مشكلة (كشمير) و (الشيشان) و (الأفغان) و (البوسنة والهرسك) و (السودان) و (العراق) إلا وسائل أخرى للحيلولة دون نمو الدول الإسلامية وتقدمها عسكرياً وسياسياً واقتصادياً. وخلق هذه المشكلات عندما أصبحت هذه الدول ذات قوة وشكيمة يحسب حسابها.

والحقيقة إن الحضارة الغربية المسيطرة اليوم على البشرية، لن تنهار بالسرعة التي يتخيلها بعض الناس حين نتكلم عن الانهيار. والسبب في هذا أنها تحمل من أسباب القوة الإيجابية ما يوفر عدم الانهيار المحتوم.

إن هذه الهيمنة الغربية منطوية على قوة العلم، وقوة الصبر والجلد على العمل، وعبقرية التنظيم، والروح العملية في دراسة المشاكل والبحث عن حلول لها، كما تحمل تيسيرات نافعة في كثير من جوانب الحياة، تحاول أن ترفع الجهد عن كاهل الأفراد وتحمله للآلة... وكل هذه قوى تمسك بالكيان المتساقط، وتمنعه من السقوط السريع، رغم كل الأوزار التي تدفع به إلى الانهيار.

ومع كل هذا فإنها لا تستطيع أن تحول دون النهاية المحتومة، لأنها من سنن الله.

السؤال الأهم: هل سيكون للمسلمين دور في التعجيل بهذا الانهيار أو بعده ..!!؟

www.iqra.ahlamontada.com

الفصل الخامس

المدلول الإسلامي لوقت الفراغ

١- قيمة وقت الفراغ.

٢- كيفية استغلال الفراغ.

٣- المتحسرون على نعمة الفراغ.

٤- المراقبة والنقد.

٥- عوامل مساعدة على الاستفادة من الفراغ.

٦- الصالحون يربون أبناءهم على استغلال الفراغ.

٧- أقسام السائرين إلى الله بحسب استغلال الفراغ.

٨- فوائد استغلال الفراغ.



www.iqra.ahlamontada.com

١ـ قيمة وقت الفراغ

إن المنطق الأصيل لتحديد مفاهيم الألفاظ في الثقافة الإسلامية مرده الأول إلى لغة العرب، فلا تمنح أية قيمة ولا ينال أدنى مصداقية كل مدلول لفظ معين، ما لم يستمد ويستوح من جذور العربية بما فيها من لغات ولهجات. ومن ثم كانت الحقيقة الشرعية والاصطلاحية لكل مادة لغوية منبثقة أساساً من المفهوم الوارد في اللغة. قال (ﷻ): ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾[1].

قال ابن عباس وقتادة: فإذا فرغت من صلاتك ﴿فَٱنصَبْ﴾ أي بالغ في الدعاء وسله حاجتك. وقال ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل. وقال الكلبي: إذا فرغت من تبليغ الرسالة ﴿فَٱنصَبْ﴾. أي استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات. وقال الحسن وقتادة أيضاً: إذا فرغت من جهاد عدوك، فانصب لعبادة ربك. وعن مجاهد: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من دنياك، ﴿فَٱنصَبْ﴾ في صلاتك، ونحوه عن الحسن، وقال الجنيد: إذا فرغت من أمر الخلق، فاجتهد في عبادة الحق [2].

إذاً ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾. أي إذا فرغت من تبليغ الدعوة، أو من الجهاد، أو مشاغل الحياة وعلاقاتها، فأتعب نفسك في العبادة، واجتهد في الدعاء، واطلب من الله حاجتك، وأخلص لربك النية والرغبة. وهذا دليل على طلب الاستمرار في العمل الصالح والخير والمثابرة على الطاعة، لأن استغلال الوقت مطلوبٌ شرعاً. وإن الله يكره العبد البطال ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ أي أقبل على الله، واجعل رغبتك إلى الله وحده،

---

(١) سورة الشرح: الآية (١-٨).

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع الأحكام القرآن، ج٢٠، مصدر سابق، ص ١٠٨-١٠٩.

www.iqra.ahlamontada.com

وتضرع إليه راهباً من النار، راغباً في الجنة، ولا تطلب ثواب عملك إلا من الله، فإنه من الجدير التوجه والتضرع إليه، والتوكل عليه[1].

ويقول الزمخشري: في تفسيره لهذه الآية (لما عدد عليه نعمه السالفة ووعوده الآنفة، بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها و أن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على أن لا يخلي وقتاً من أوقاته منها، فإذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى) [2] والآية الكريمة تحث الفرد المسلم على المواظبة على العمل الصالح واستدامته، وعلى عمل الخير والإقبال على فعله، فعلى العاقل ألا يضيع أوقاته في الكسل والدعة، ويحرص بكل قواه على تحصيل ما ينفعه في الدارين [3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي (ﷺ): «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»[4].

كذا لسائر الرواة، لكن عند أحمد "الفراغ والصحة" وأخرجه أبو نعيم في "المستخرج"من طريق إسماعيل بن جعفر وابن المبارك ووكيع كلهم عن عبد الله بن سعيد بسنده «**الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس**».

ولم يبين لمن اللفظ، وأخرجه الدارمي عن مكي بن إبراهيم شيخ البخاري فيه كذلك بزيادة ولفظه "أن الصحة والفراغ نعمتان من نعم الله" والباقي سواء، وهذه الزيادة وهي قوله "من نعم الله" وقعت في رواية ابن عدي المشار إليها، وقوله "نعمتان" تثنية نعمة وهي الحالة الحسنة، وقيل هي المنفعة المفعولة على جهة الإحسان للغير، والغبن بالسكون وبالتحريك، وقال الجوهري: هو في البيع في السكون وفي الرأي

---

(١) الزحيلي، وهبة: التفسير المنير،ح٣٠، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩١م، ص.

(٢)الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل،ح٤، مصدر سابق،ص٧٧٧

(٣)الزحيلي، وهبة: التفسير المنير،ح٣٠، مرجع سابق، ص٢٩٩

(٤)ابن حجر، أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري،ح١١، مصدر سابق، ص ٢٢٩باب ما جاء في الرقاق، رقم الحديث (٦٤١٢)

www.iqra.ahlamontada.com

بالتحريك، وعلى هذا فيصح كل منهما في هذا الخبر فإن من لا يستعملها فيما ينبغي فقد غبن لكونه باعهما ببخس ولم يحمد رأيه في ذلك. قال ابن بطال: معنى الحديث إن المرء لا يكون فارغاً حتى يكون مكفياً صحيح البدن، فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو المغبون. وأشار بقوله "كثير من الناس" إلى أن الذي يوفق لذلك قليل. وقال ابن الجوزي: قد يكون الإنسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون ـ وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ـ ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل والصحة يعقبها السقم ـ ولو لم يكن إلا الهرم كما قيل:

يسر الفتى طول السلامة والبقا ... فكيف ترى طول السلامة يفعل

يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ... ينوء إذا رام القيام ويحمل[1]

وقال الطيبي: ضرب النبي (ﷺ) للمكلف مثلاً بالتاجر الذي له رأس مال ـ فهو يبتغي الربح مع سلامة رأس المال، فطريقه في ذلك أن يتحرى فيمن يعامله ويلزم الصدق والحذق لئلا يغبن، فالصحة والفراغ رأس المال وينبغي له أن يعامل الله بالإيمان، ومجاهدة النفس وعدو الدين، لربح خيري الدنيا والآخرة. وقريب منه قول الله تعالى: قال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2].

وعليه أن يتجنب مطاوعة النفس ومعاملة الشيطان لئلا يضيع رأس ماله مع الربح. وقوله في الحديث "مغبون فيهما كثير من الناس" كقوله (ﷺ):

---

(١)ابن حجر، أحمد بن علي: فتح الباري/ مصدر سابق، ج١١، ص٣٣٠

(٢)سورة الصف: الآية (١٠)

www.iqra.ahlamontada.com

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[1].

فالكثير في الحديث في مقابلة القليل في الآية. وقال القاضي أبو بكر بن العربي: اختلف في أول نعمة الله على العبد فقيل الإيمان، وقيل الحياة، وقيل الصحة، والأول أولى فإنه نعمة مطلقة، وأما الحياة والصحة فانهما نعمة دنيوية، ولا تكون نعمة حقيقية إلا إذا صاحبت الإيمان وحينئذ يغبن فيها كثير من الناس أي يذهب ربحهم أو ينقص، فمن استرسل مع نفسه الأمارة بالسوء الخالدة إلى الراحة فترك المحافظة على الحدود والمواظبة على الطاعة فقد غبن، وكذلك إذا كان فارغاً فإن المشغول قد يكون له معذرة بخلاف الفارغ فإنه ترتفع عنه المعذرة وتقوم عليه الحجة[2].

وكان ابن عمر يقول (خذ من صحتك) أي زمن صحتك (لمرضك) وفي رواية ليث (لسقمك) والمعنى اشتغل في الصحة بالطاعة بحيث لو حصل تقصير في المرض لا يجبر بذلك، وقوله (ومن حياتك لموتك) وفي رواية ليث (قبل موتك) وزاد (فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غداً) أي هل يقال له شقي أم سعيد، ولم يرد اسمه الخاص به فإنه لا يتغير[3].

وقيل المراد هل هو حي أو ميت. وجاء معناه من حديث ابن عباس مرفوعاً أن النبي (ﷺ) قال لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمساً قبل خمس، حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»[4].

---

(١)سورة سبأ: الآية (١٣)

(٢) ابن حجر، احمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري،ح١١، مصدر سابق، ص ٢٣٠،٢٣١

(٣) المصدر نفسه:ج١١ ص٢٣٥

(٤) المناوي، محمد المدعو بعبد الرؤوف: فيض القدير، ح٢،مصدر سابق، ص١٦،رقم الحديث(١٢١٠)- قال الحاكم في مستدركه على شرطهما، وأقره الذهبي وقال الزين العراقي بإسناد حسن. رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان، وأحمد في مسنده وأبو نعيم في الحلية.

www.iqra.ahlamontada.com

ومن خلال هذه الروايات ندرك بأن حياة الفرد المسلم الجاد هي خط متواصل من العبادات لا يتصور فراغ فيها إلا بالمعنى الذي اخترناه وهو "الوقت الذي ينتهي فيه العبد من عمل الواجبات ويستعد فيه لمزاولة ما يختاره من ألوان المندوبات والمستحبات" والذي يكون فيه للمسلم وقت يخير فيه لمزاولة أي عمل من أعمال البر والإحسان. فالاختيار محدود في منطقة المعروف والبر، ولا يتسع له المجال ليشمل منطقة المكروهات والمحرمات، كما هو مقتضى التعاريف الغربية لوقت الفراغ.قال سيدنا علي كرم الله وجهه: أجموا[1] هذه القلوب. والتمسوا لها طرق الحكمة.فإنها تمل كما تمل الأبدان والنفس مؤثرة للهوى، آخذة بالهوينا، جانحة إلى اللهو، أمارة بالسوء، مستوطنة بالعجز، طالبة للراحة، نافرة عن العمل. فإن أكرهتها أنضبتها، وإن أهملتها أرديتها [2].

قال بعض الحكماء: من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة. ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوة، وإن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان. فابتغوا لها طرائف الحكمة. والحكمة شجرة تنبت في القلب، وتثمر في اللسان. وهي موقظة للقلوب من سنة الغفلة. وللبصائر من سكرة الحيرة. ومحيية لها من موت الجهالة ومستخرجة لها من ضيق الضلالة[3].. وقد أثنى الله سبحانه على الحكمة قال (ﷻ):

﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[4].

---

(١)روضوها أريحوها

(٢)نور الإسلام، مجلة دينية، الأزهر العدد الأول، المجلد الأول، محرم ١٣٤٩، ص١٣

(٣)المرجع السابق ص٧٣

(٤)سورة البقرة: الآية٢٦٩

www.iqra.ahlamontada.com

قيل للإمام الشافعي رحمه الله تعالى: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت تطلبني ثمانية. الله تعالى بالفرض، ورسوله عليه الصلاة والسلام بالسنة، والدهر بصروفه، والعيال بقوتهم، والحفظة بما ينطق به لساني، والشيطان بالمعاصي، والنفس بالشهوات، وملك الموت بقبض روحي[1].

قال الحسن: أدركت أقواماً كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم[2].

كما قيل: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وفي قواعد الفقه المقررة: (الاشتغال بغير المقصود إعراض عن المقصود) [3]. ولا ريب أن أعظم وقت الإنسان هو ما يقضيه في طاعة الله، وذكره وشكره، وحسن عبادته، ففي الحديث: «**ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل**»[4].

وفي رواية ثانية: «**ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة**»[5].

وفي لفظ ثالث: «**ما جلس قوم مجلساً لا يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم**»[6].

---

(١)نور الإسلام،مرجع سابق، العدد الأول. المجلد الأول، السنة الأولى ص٧٧

(٢) ابن عجيبة، أحمد بن محمد: إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عطا،ج٢، دار الفكر، دمشق،در،د ت،ص٢٠٩-٣٥٨

(٣) السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن: الأشباه والنظائر، مصدر سابق، ص١٧٥

(٤) السيوطي، جلال الدين: الجامع الصغير،ج٥، جمع وترتيب عباس أحمد صغير وغيره، محمد هاشم المكتبي، دمشق،در،د ت،ص٣٩٠، رقم الحديث (٧٧٠١)ورمز له بالحسن،قال الهيثمي: رجاله ثقات.

(٥) السيوطي، عبد الرحمن: الجامع الصغير،ج٥، مصدر سابق،ص ٤٩٣، رقم الحديث (٨٠٨٦)ورمز له بالصحة

(٦) المصدر نفسه: ج ٥ص ٤٣٩ رقم الحديث (٧٨٨٦)ورمز له السيوطي بالحسن

www.iqra.ahlamontada.com

فمما لا شك فيه أن الوقت هو رأس مال الإنسان في هذه الحياة، بل هو عمر الإنسان فهو أغلى شيء[1]، فلا بديل له، ولا عوض عنه، فإذا استثمره الفرد في الخير أتى له بخيري الدنيا والآخرة، وإلا فقد خسر خسراناً مبيناً.

الحياة زمن يمضي، ولا يقبل الإسلام أن يمضي زمن في حياة معتنقيه غير منتج نافع، لا يقدم خيراً في حياة الفرد أو المجتمع، لذلك قال (ﷻ):

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [2].

- وأعظم الخيرات محبة الله والتقرب منه ـ وهذا لا يعني ألا يلهو المسلم، أو لا يلعب، فرسول الله (ﷺ) يقول: «**الهوا والعبوا. فإني أكره أن يرى في دينكم غلظة**»[3].

فترويح النفوس إذا سئمت ضرورة: «**إن لجسدك عليك حقاً**»[4].

وجلاؤها إذا ملت باللهو واللعب المباح ويقول (ﷺ): «**خير لهو المؤمن السباحة، وخير لهو المرأة المغزل**»[5].

كما حض الإسلام على تربية الفرس والاعتناء بها أو قات الفراغ. واللهو المحرم، هو كل لهو اقترن بالفجور والفسوق وترك الفرائض والواجبات.والتشاغل عنها بما فيه أي للنفس والجسم وللآخر، كان الصحابة رضي الله عنهم يمثلون النموذج الأمثل للمسلم في حياته بين حاجيات الروح ومطالب الجسد، مستعينين في الحفاظ على

---

(١) ليس الوقت هو الأعلى على الإطلاق وإنما الهدف هو أغلى منه. وما الوقت إلا المجال والوسيلة التي لا غنى عنها لبلوغ الخير.

(٢) سورة النساء: الآية١١٤

(٣) المناوي، محمد المدعو بعبد الرؤوف: فيض القدير،ج٢، مصدر سابق،ص١٦١ رقم (١٥٨٣)

(٤) البخاري (إن لنفسك عليك حقاً) البخاري، صحيح البخاري: ج١،مصدر سابق،ص٣٧٧ رقم (١١٠٢) جزء من حديث ــ مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ج٨،مصدر سابق، ص٢٨٩، رقم ٢٧٣٥ (فإن لجسدك عليك حقاً)

(٥) الجرجاني، عبد الله بن عدي: الكامل في الضعفاء،ج٢، مصدر سابق، ص٥٧٥

www.iqra.ahlamontada.com

هذا الاتزان بالاقتداء والتأسي برسول الله (ﷺ)، مستلهمين من سيرته أخلاقيات الترفيه والترويح المنضبطة بالقدر المناسب البعيد عن الإفراط المفوت لوظيفة الفرد المسلم المقدسة من وجوده من جهة، ومن التفريط المرهق والمعوق للنفس من مواصلة السعي في درب الكمالات والارتقاء الروحي في درجات الإيمان والإحسان من جهة أخرى.

٢- كيفية استغلال الفراغ

وعندما يكون فراغ الأهداف التي تشغلنا، فالعظائم كفؤها العظماء، وعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم وقد صنع المسلمون فيما مضى أمجاداً أذهلت العالم في شتى المجالات، أما نحن الآن في الغالب فما يشغلنا؟ معظم الناس نسي المجد الغابر والتاريخ التليد، والشرف الباذج، بل نسي القدس والأقصى والأفغان، ومن آن لآخر يأتيني طالب يستعطف من أجل نجاح أو من أجل بضع درجات وأسأله ما الذي يشغلك؟.كما تغافل معظم الناس عن صبر السلف وجهودهم التي أنتجت ذلك المجد.

وتأتي الإجابة مهزلة مضحكة مبكية، والأماني كلها من قبيل الشهوات، لأن النفوس صغيرة، والأماني صغيرة وكلها من باب الفناء، يذكرني هذا بأمنية أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن يركب البحر ويموت فيه.ويحقق الله أمنيته فيموت بعيداً، ويدفن تحت أسوار القسطنطينية، وبصحابي قال وهو يدعى ليأخذ نصيباً من الغنائم: ما على هذا اتبعتك ولكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا يشير إلى حلقه ـ بسهم فأقتل ـ ويستشهد كما تمنى بسهم يصيبه في حلقه.

ولقد قضى خالد بن الوليد (ﷺ) عمره يجاهد في سبيل الله، وكان يغبط غيره ممن جالسوا الرسول الكريم (ﷺ) وحفظوا عنه، وعندما انحسر الإسلام بفعل أسباب كثيرة وتقوقع المسلمون في بلادهم في ذلة وهوان فرغ الناس إلا قليلاً منهم من الأهداف السامية. وصار لسان الحال "أهي عيشة" أيام تقضى وآخرها الموت... ومن وراء ذلك

www.iqra.ahlamontada.com

وانهماك في اللذائذ، وتناحر في سبيل تحصيل المال، وتخمة بشتى ألوان الطعام، وقدرة فائقة على الاستهلاك دون الإنتاج، وأصبحنا نهتم بجونا وبلادنا ناسين أن هناك في الغرب وأمريكا واليابان أجواء وأوضاع تشبه مناخنا وأوضاعنا، ومع ذلك فلم يعن ذلك على التقدم والتحضر، لقد أصبحت أجهزة تغيير الجو ـ مكيفات ـ في أماكن العمل في الشتاء أو في الصيف متوفرة، ولم يعد يعوق الإنسان عن بذل الجهد عائق لو صحت النية. ـ ما اضن أن السلف الصالح قد اصطحبوا معهم مكيفات وملطفات في أعمالهم على اختلافها، وبديهي أننا لكي نحط أرجلنا على طريق التقدم لابد من المعادلة الإلهية المتمثلة في قال(ﷻ): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

إن بدء الحركة النافعة والنهضة الشاملة لا يكمن في أكثر الماكينات تقدماً، ولا في أكثر المصانع حداثة، ولكنه يكمن في الفرد- إن المبادئ العظيمة لا تتحقق إلا عندما النفوس العظيمة ـ ومن أهم مصارف استغلال الفراغ الأمور التالية:

١- الحركة الهادفة "العمل والدعوى":

بحيث يستغل الفرد المسلم وقته بالحركة، وهي حركة معينة، ولها خصائص مميزة، وبالتالي فهي حركة هادفة فيها الإخلاص في سبيل الله، تسير وفق منهجه جل علاه، فهي تعود على الفرد بالفائدة المرجوة، فهذا مجال خصب لاستغلال فراغ الفرد، حيث يكون الفرد "حركياً" يحمل كلمة الله إلى كل مكان وينادي بها في كل زمان (منزله ـ مدرسته ـ شارعه ـ وظيفته... الخ). وإذا بلغ الفرد هذه المرتبة فلا يجد الفراغ إليه سبيلاً.

ولنا في صحابة رسول الله الكريم (ﷺ) أسوة حسنة فها هو ذا... أبو أيوب يرقد عند أسوار القسطنطينه وهذا قثم بن العباس (ﷺ) قرابة موسكو وأم حرام ترقد في

---

(١)سورة الرعد: الآية (١١)

www.iqra.ahlamontada.com

قبرص. وهذه بعض زوجات النبي أمهات المؤمنين يرقدن في دمشق، وخالد بـن الوليـد في حمص وعقبة بن عامر في مصر وغيرهم (ﭭ).

فكلهم انطلقوا رجالاً ونساءً من مدينة رسول الله (ﷺ)، وكلهم تحركوا مـن مدرسـة الإسلام، وذلك لاستغلالهم وقتهم بما ينفعهم في دنياهم وآخر تهم، نافلة عن حبهم في العمل والتحرك في سبيل الله جـل عـلاه، إن الله قلـب فتيـة الكهـف وهـم نيـام حتـى لا يفسدوا ففي الدعة والسكون فساد للبدن والنفس والحياة. قال (ﻷ):

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾[1].

٢- المخالطة:

إن الفرد اجتماعي بطبعه، بحيث لا يستطيع أن يعيش بمفرده، فلا بد له مـن خليـل، ولابد له من صديق ولابد له من مجتمع ينخرط فيه ويخالط أبناءه مخالطة قلبية كانـت أم جسدية حسب ظرفها، كما قال الإمـام علـي كـرم الله وجهـه "خـالط المـؤمن بقلبـك وخالط الفاجر بخلقك"[2]. فواضح مـن سـياق الكـلام، أن الداعيـة يخـالط أخـاه الداعيـة مخالطة قلبية، وأما الفاجر فيخالطه مخالطة خلقية، فعلـى الداعيـة أن يخـالط النـاس لا أن يعتزلهم وهذه المخالطة تكـون بضـوابطها وحـدودها الشـرعية تتحقـق الـدعوة إلى الله..... وكما قال طلحة (ﭬ) "إن أقل العيب علـى المـرء أن يجلـس في داره" [3] فاعـدّ طلحة (ﭬ) اعتزال الناس من العيب وأما اعتزال الناس محافظة على إيمانه فقد جهـل طبيعة الدعوة، ولم يفقه معناها عندما يعتزل الـدعاة النـاس والحيـاة إننـا لا نكـون قـد صنعنا شيئاً كبيراً... لقد اخترنـا لأنفسـنا أيسـر السـبل وأقلـها مؤونـة (ولكـن) العظمـة الحقيقية أن تخالط هؤلاء الناس مستعيناً بروح السماحة والعطف..." [4].

---

(١) سورة الكهف: الآية (١٨)

(٢) القرطبي،يوسف بن عبد الله: بهجة المجالس،وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس،ج٢، تحقيق الخولي، دار الكتب العلمية بيروت، در،د ت،ص٦٥١

(٣) ابن سعد، محمد بن سعيد:الطبقات الكبرى،ج٣، دار الفكر، دمشق، دار صادر بيروت،در،د ت، ص٢٢١

(٤) قطب، سيد: أفراح الروح،مرجع سابق ص١٤

www.iqra.ahlamontada.com

فهذا المصرف من خير ما يصرف الفرد به وقته، وهذا المصرف هو مصرف الأنبياء لأوقاتهم، حيث كانوا يتحركون بين البشرية ويخالطونهم. وبما أن ديننا دينِ ميدان ويحتاج إلى فرسان ليبيدوا الشر والأشرار، فحري بالدعاة أن ينتشروا بين الناس داعيناً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجهاد بالتي هي أحسن.

٣- احتواء الإسلام للفراغ:

حين يعيد الفرد تقيمه لذاته ليطور من إمكانية هذه الذات إنما يندفع في مسار صوابي ملائم لطبيعة الإسلام كعقيدة قابلة لاحتواء الفراغ بأضلاعه وأبعاده المختلفة، وملائم لطبيعة الإسلام كعقيدة قابلة كذلك للتعامل مع كافة الثقافات، يقيناً منا بأن مضمونها الحضاري يرفض أن يكون جباناً لأنه ممتلىء بعناصر التكامل والاستمرار والانفتاح..... ومتفق أيضاً بأن عقيدة الإسلام مقاتلة وليست ساكنة، بمعنى أن معارك الفكر الإسلامي ينبغي أن لا تطمئن إلى شاطئ نجاة واحد..... لأن تلج الخضم وأنواء الطبيعة وهو قدرها المنذور... إنها تبحر من عراك إلى عراك، ومن جدل إلى جدل، ومن حوار إلى حوار أشمل حضاري... ومن حوار حضاري إلى حوار أشمل حضارية...كذلك كان الفكر الإسلامي منذ مطلعه وهكذا ينبغي أن تكون إنها ليست نظرية في السياسة، وليست نظرية في الاقتصاد... وليست نظرية في الحرب.. وليست نظرية في الاجتماع.

إنها بناء عقائدي يبدأ من علاقة الإنسان الفرد بخالقه ليمتد إلى علاقة الفرد بالفرد على هذه الأرض، إلى علاقة الفرد بالمجتمع وعلاقته بالكون والأرض، إلى علاقة الفرد والكون والأرض وإن كان هذا لا يتعارض في مجال الفكر مع تسليط الضوء على حكم الإسلام وفي السياسة وفي الاقتصاد وحكمه في الحرب والسلم وحكمه في الاجتماع.

www.iqra.ahlamontada.com

٤- معرفة كيفية استغلال الصالحين لفراغهم:

في تراثنا الثقافي الإسلامي دراسات جيدة لاستغلال الفراغ، وكيفية التخلص من أوضاعه، وكيف يمضي الفرد في طريقه إلى الله عاملاً سعيداً مشرقاً.

وعيب هذه الدراسات أنها كعروق الذهب في باطن الصخور، لا تحصل عليها إلا بعد عناء، وتدبير، وإعمال حيلة! وقد تراكم عليها في عصور الضعف العلمي والسياسي ما جعل أمرها يزداد تعقيداً، حتى ليخيل البعض أن النتائج التي يعود به الباحث أقل قيمة من مخاطر الطلب، بل إن هذه النتائج نفسها قد تفهم على غير طبيعتها ومن ثم الزهد فيها أولى.

سأتولى ذكر بعض أحوالهم وأقوالهم، راجياً أن تكون هذه الأحوال والأقوال إيناساً لمن يأخذون أنفسهم بضروب التربية والتزكية، ووصفاً لمعالم الطريق من أُناس خبراء بها مهرة فيها.

١- يقول ابن عطاء الله السكندري[1]:

(إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس)[2]. التسويف خدعة النفس العاجزة والهمة القاعدة، وعن عجز عن امتلاك يومه فهو عن امتلاك غده أعجز. والتسويف يجيء غالباً من امتداد الأفكار البالية التي يجب الفكاك منها على عجل. ومن طغيان الشهوات التي لا يجوز لمسلم أن يستسلم لها، ويتراخى معها.

إن إرجاء المعركة مع الهوى الغالب، اعتراف بالعجز عن مقاومته أو استهانة بنتائجه المدمرة. ومن الرجولة أن يبدأ المرء ـ اليوم قبل الغد، والصباح قبل الأصيل، هجومه

---

(١)عطاء الله بن أحمد بن عطاء الله بن أحمد، (٠٠٠- ١١٨٦هـ= ٠٠٠ - بعد ١٧٧٢م) الأزهري المكي: أديب، منطقي، مصري، شافعي، تعلم في الأزهر، وجاور بمكة، وألف كتباً منها نفحة الجود في وجدة الوجود. - الزركلي، خير الدين: الأعلام، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٣٦.

(٢)الشرنوبي، عبد المجيد: شرح حكم ابن عطاء الله السكندري تحقيق البزم، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م،ص٨٤، رقم الحكمة (١٨)

www.iqra.ahlamontada.com

على المثبطات والعوائق، وأن يكتسحها من طريقه اكتساحاً، دون إبطاء أو تهيُّب، وكل تسويف لا نتيجة له إلا إطالة عمر الشر وتغير عمر الخير في حياة الإنسان[1]، فانظر المصير مع قول الله (ﷻ):

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[2].

وقال (ﷻ): ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[3].

وفي الحديث: « **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس:الصحة والفراغ** »[4]

٢- ابن عمر رضي الله عنهما ونافع رحمه الله:

كان (ﷺ) يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك[5]. إذاً الصحة والحياة غنيمتان للمؤمن يجب أن يستفيد منهما بأعمال الخير، فلا ينبغي له أن يفرط فيما لا ينفعه في أخرته. وقيل لنافع: ما كان ابن عمر يصنع في منزله؟ قال: الوضوء لكل صلاة والمصحف فيما بينهما هكذا كان (ﷺ) يستغل فراغه استغلالاً إيمانياً من وضوء وصلاة وقراءة قرآن وغيرها.

---

(١)الغزالي محمد: الجانب العاطفي من الإسلام، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م ص١١٨

(٢)سورة آل عمران:الآية (٣٠)

(٣)سورة القيامة:الآية (١٣)

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي: فتح الباري بشرح صحيح البخاري،ج١١، مصدر سابق، ص ٢٢٩باب ما جاء في الرقاق، رقم الحديث (٦٤١٢).

(٥) البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري،ج٤، تحقيق البغا، مصدر سابق، ص ٢٢٢٥، رقم الحديث (٦٠٥٣).

www.iqra.ahlamontada.com

٣- الحسن البصري رحمه الله: يقول:

(ما من يوم ينشق فجره إلا نادى منادٍ من قبل الحق: يابن آدم. أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود مني بعمل صالح فإني لا أعود إلى يوم القيامة) [١] فهذه الروح التي يعيش بها الفرد المسلم! وإلا فإن بطن الأرض خير له من ظهرها!.

٤- القاضي شريح رحمه الله.

خرج على قوم من الحاكة في يوم عيد وهم يلعبون فقال: مالكم تلعبون ؟؟ قالوا:إنا تفرغنا ! قال: أو بهذا أمر الفارغ[٢]، وتلا قوله (ﷻ):

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾[٣].

موقف من عارف صالح لكيفية استغلال الفراغ حيث نصح القوم وأرشدهم إلى العمل النافع الجاد.

٥- عبد الرحمن بن الجوزي (رحمه الله)

كان يأتيه أحياناً في مجلسه بعض البطالين (فارغي النفوس والعقول) ليتحدثوا معه بأحاديث لا تغني ولا تسمن من جوع فيقول عنهم: (فجعلت من المستعد للقائهم قطع الكاغد، وبري الأقلام، وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لابد منها، ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي) [٤].

---

(١) الشنقيطي،محمد الأمين بن محمد، دار المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، ج٣، دار إحياء التراث، بيروت،ص٤٣٨.

- الشرنوبي، عبد المجيد:شرح حكم ابن عطاء الله السكندري تحقيق البزم،مصدر سابق،ص٨٥ وساقه ا بن رجب الحنبلي في لطائف المعارف حديثاً موقوفاً.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: الفتاوى الكبرى،ج٢،دار الكتب الحديثة،القاهرة، ١٩٦٥، ص٤٦٨

(٣) سورة الانشراح: الآية (٨).

(٤) ابن الجوزي، عبد الرحمن: صيد الخاطر، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ص ٢١٠، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م

www.iqra.ahlamontada.com

٦- ابن عقيل النحوي:

(إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعه، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح)[١]. وهنا يضع ابن عقيل خطاً جديداً وهو أنه لا ينبغي للفرد أن يضيع ساعة من وقته وإن فكر بالراحة فليحرك ذهنه وفكره في سبيل تقديم الأفضل له ولمجتمعه ولأمته حتى يسعد معها في حياة طيبة سعيدة.

٧- ابن قيم الجوزية[٢] رحمه الله:

يقول: (أعلى الفكر وأجلها وأنفعها ما كان لله والدار الآخرة)، فما كان لله فهو أنواع.

النوع الخامس: الفكرة في واجب الوقت ووظيفته، وجمع الهم[٣] كله عليه، فالعارف ابن وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت فمتى أضاع الوقت لم يستدركه أبداً !)[٤].

٨- الشافعي رحمه الله[٥]:

قال الشافعي رحمه الله: (صحبت الصوفية، فلم استفد منهم سوى حرفين، أحدهما

---

(١)أبو غدة، عبد الفتاح: قيمة الوقت عند العلماء، مرجع سابق، ص٢٤

(٢) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر الزرعي (ت ٧٥١هـ /١٣٥٠م) فقيه حنبلي من الكبار ذو اجتهادات في المذهب، ومتكلم جدلي، دمشقي المولد والوفاة، تخرج بابن تيمية ونشر علمه حتى سجن معه، قاوم الفلاسفة وأرباب الملل وله: التبيان في أقسام القرآن، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، وإعلام الموقعين.- مجموعة من المؤلفين، المنجد في الأعلام، مرجع سابق، ص١٢.

(٣) الهمة والعزم

(٤) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر : الداء والدواء الجواب الكافي عن سأل عن الدواء الشافي،مصدر سابق، ص٢٧٢

(٥) الشافعي:(محمد بن إدريس) (١٥٠-٢٠٤هـ /٧٦٧-٨٢٠م) إمام ومؤسس المذهب المعروف باسمه،أحد المذاهب السنية الأربعة،أسس علم الأصول، ولد في غزة ونشأ في مكة، درس على الإمام مالك بن أنس في المدينة، سجن ثم عفا عنه الرشيد،قصد الفسطاط (مصر) وتوفي فيها ودفن في سفح جبل المقطم له (كتاب الأم) في (الفروع) و(الرسالة) في الأصول - مجموعة من المؤلفين: المنجد في الأعلام، مرجع سابق، ص٣٨٢.

www.iqra.ahlamontada.com

قولهم: الوقت كالسيف، فإن لم تقطعه قطعك، وذكر الكلمة الأخرى ونفسك إن شغلتها بالحق وإلا شغلتك بالباطل[1].

فوقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، ومادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة المعيشة الضنك في العذاب الأليم. وهو يمر أسرع من السحاب فما كان من وقته لله وبالله، فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته وإن عاش فيه طويلاً فهو يعيش عيش البهائم، فإذا قطع وقته في الغفلة والشهوة والأماني الباطلة، وكان خير ما قطعه بالنوم والبطالة: فموت هذا خير له من حياته، وإذا كان العبد وهو في الصلاة: ليس له من الصلاة إلا ما عقل منها ، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله ولله تعالى[2].

أخيراً من أروع الصور التي عرض فيها الرسول (ﷺ) قيمة الفراغ الكريم:

«ما من يوم طلعت شمسه فيه إلا يقول: من استطاع أن يعمل فيه خيراً فليعمله، فإني غير مكرر عليكم أبدا،....» [3].

إذاً ليس في الوجود أغلى من الوقت، وإن الأوقات لتتفاوت في يمنها وبركتها، وحسن حظها وسعادة جدها، فساعة أعظم بركة من ساعة، ويوم أفضل عند الله من يوم وشهر أكرم من شهر:

هو الجد حتى تفضل العين أختها ... وحتى يكون اليوم لليوم سيداً

ولقد وجهنا رسول الله (ﷺ) إلى قيمة الفراغ وطريق الانتفاع به، فيما ورد عنه في كثير من الأحاديث، مشيراً إلى أن **«المؤمن عبد بين مخافتين: من ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع الله فيه ومن عمر قد بقي لا يدري ماذا يصيب فيه من الهلكات»** وفي

---

(١) أبو غدة، عبد الفتاح: قيمة الوقت عند العلماء، مرجع سابق ص٢٥-٢٦

(٢)أبو غدة، عبد الفتاح: قيمة الوقت عند العلماء، مرجع سابق: ص٢٧

(٣) البيهقي، أحمد بن الحسين: شعب الإيمان،ح٣، مصدر سابق،ص ٣٨٦ رقم الحديث (٣٨٤٠).

www.iqra.ahlamontada.com

رواية أخرى «**المؤمن بين مخافتين:عاجل قد مضى، لا يدري ما الله صانع فيه، وبين آجل قد بقي، لا يدري ما لله قاضٍ فيه**»[1].

فليأخذ الفرد من نفسه لنفسه ومن دنياه لأخرته، ومن الشبيبة قبل الهرم، ومن الحياة قبل الموت.

ب- الطرق التي فتحها الإسلام لاستغلال الفراغ:

هناك أمور حافظ عليها الرعيل الأول وكانت من أكبر الأدلة على استغلال فراغهم، وكانوا حريصين كل الحرص على عدم ضياع أي لحظة من عمرهم...

فقد قال الإمام الأوزاعي رحمه الله تعالى:خمسة كان عليها أصحاب محمد (ﷺ) والتابعون بإحسان: (لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله) [2].

١- العمل على إيجاد الجماعة الإسلامية الصالحة العاملة:

إن العمل على الالتزام مع الجماعة الإسلامية أمرٌ ضروريٌ في وقتنا الحاضر، بغض النظر على أنها مصرف من مصارف استغلال الفراغ، وذلك لأنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب... وواجب علينا بأن ننهض بقواعد المجتمع الإسلامي، والنهوض لا يكون مجهوداً فردياً، بل يجب أن يكون عن طريق الفرد والأسرة والمجتمع الإسلامي.

هذا بالإضافة إلى ما تحويه الجماعة على كثير من الأنشطة والبرامج التي تحفظ الشباب من السيئة والضياع، ومن الفراغ القاتل وهذا ما بينه رسول الله (ﷺ) حيث قال:

---

(١) الهندي،علاء الدين:كنز العمال، ج١،مصدر سابق، ص ١٦١،رقم الحديث(٨٠٨) قال الحافظ العراقي، تخريج الأحياء، ٢: ٢٠٤. والبيهقي في الشعب – عن الحسن البصري عن رجل من أصحاب الرسول (ﷺ)، وفيه انقطاع، وهو حديث ضعيف

(٢) القرطبي، يوسف بن عبد الله: بهجة المجالس،ج٢، مصدر سابق، ص١٤٠.

www.iqra.ahlamontada.com

«عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة »[1].

بيد أنه لا مواربة في أن المسلمين اليوم أصبحوا لا يشكلون أمة واحدة، ولا جماعة واحدة، ذات سيادة واحدة وسلطان سياسي موحد، بل هم اليوم ينقسمون أمماً وشعوباً بل قوميات وطوائف. إذاً فالأمر يحتاج إلى دراسة وفهم، ثم إلى علاج وتغيير. والسؤال الآن هو: كيف نرد المسلمين إلى مفهوم الجماعة الواحدة؟ وكيف نتغلب على الصعوبات التي تحول دون انخراط المسلمين في أمة موحدة الأهداف والسياسات؟.

غير أن البداية في الأخذ بذلك كله، لابد أن نكون في مجال الوعي والتعليم، لابد أن نخلق الوعي الذي ينادي بالوحدة، ويطلبها حثيثاً كأمر ضروري عاجل، ويرى أنها القضية المهمة الملحة، ولا يتحقق مثل هذا الوعي إلا إذا كان هدفاً من أهداف التعليم والإرشاد العام وإلا إذا كان قناعة رئيسية لدى سائر وسائل الإعلام المختلفة، وإلا صار في آخر الأمر أحد معالم السياسة الخارجية لعدد من الدول والجماعات.

هذا الوعي مطلوب منه:

١- أن يعيد إلى الأذهان النموذج الصافي لتطبيق الإسلام، كما طبقه الرعيل الأول في عصرهم الأول.

٢- أن يخلق في وجدان كل فرد مسلم، وفي فكره الشعور والقناعة بضرورة العمل الجاد السريع لمقاومة دواعي الضعف والتخلف التي لحقت بهذا المجتمع الكريم ونالت من هذه الأمة الخيرة المنتقاة.

ولهذا قال ابن المبارك رحمه الله:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا   منه بعروته الوثقى لمن دنا

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، ج٤، مصدر سابق، ص٤٦٦ رقم الحديث (٢١٦٥) وقال أبو عيسى حديث حسن صحيح غريب (جزء من حديث).

www.iqra.ahlamontada.com

وعلي كرم الله وجهه: (كدر الجماعة خير من صفو الفرد) [1].

وقال الشافعي رحمه الله: (ليس لأحد إلا وله محب ومبغض فإذا لابد من ذلك فليكن المرء مع أهل طاعة الله عز وجل) [2] والحق أن الفرد مهما تكن مواهبه، ومهما يكن عطاؤه، فهو محدود الطاقة والقدرة، ما لم يكن معه أعوان يشدون أزره، ويقوون أمره، فالمرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده، قوي بجماعته وأعوانه.

الناس للناس من بدو وحاضرة ... بعض لبعض إن لم يشعروا خدم

٢- إتباع السنة:

يقول أبو بكر الصديق (ﷺ) (لست تاركاً شيئاً كان رسول الله (ﷺ) يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ) [3].

لا أدري لماذا لم تزدهر دراسة الشمائل المحمدية، ولماذا لم تشع معرفة السيرة النبوية بين أنواع العلوم التي احتفى بها الأولون؟؟

كان التاريخ كله علماً ثانوياً في مواريثنا الثقافية، وكان موضوعه مجالاً رحباً للكذبة والمدلسين وأصحاب الخرافة، وكانت حياة النبي (ﷺ) تأخذ جانباً محدوداً من هذا التاريخ، لم، ولم يتصدَ لها من يربط بين فصولها، أو يبرز ضروب الحياة "للدعوة والدولة والأفراد" والحكمة المستكنة في مراحلها وأدوارها، أو يشرح حقيقة الأسوة المطلوبة منها...

كل ما هنالك، جملة من الأخبار والأحاديث والروايات المتفاوتة القيمة، يشرح الحديث منها في نطاق خاص به، دون محاولة لجمعها في صعيد متكامل، تستبين منه

---

(١) المقدسي، أحمد بن قدامة: الآداب الشرعية،ح١، مصدر سابق،ص١٩٦

(٢) النووي، يحيى بن شرف: بستان العارفين، مصدر سابق، ص٤٢

(٣) الخفاجي، أحمد شهاب الدين: نسيمة الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض،ح٢، دار الفكر، بيروت، در،د ت، ص١٨

www.iqra.ahlamontada.com

الصورة الجامعة لخلال النبوة، ومواقفها بإزاء مشكلات الحياة وقضاياها الكثيرة.وقد تقول:ما معنى هذا الكلام وما غايته؟؟.

الجواب أن الكلمات المنقولة عن شخص ما، لها دلالتها التي لاشك فيها. بيد أني أحب أن أحاكم هذه الكلمات إلى حياة هذا الشخص، وطبيعة أعماله منذ ولد إلى أن مات...

فإذا استيقنت من متابعة أعماله أنه كان مجاهداً لا يفتر، رفضت أي كلمة تنسب إليه، وهي توحي بالقعود أو الاسترخاء أو الفراغ.....

وأنكرت كذلك على من يتأسى به وهو كسلان خوّار فارغ، ولو تعلق ببعض النقول المروية عنه، أو أدى بعض الوصايا التي أمر بها يقيناً..

لقد شاهدت وراقبت أناساً وطوائف وجماعات تتصل بالسنة، وتتدارس أحاديث منها كثيرة، أحاديث لا حصر لها!!. ومع ذلك فنصيبهم من الأسوة الحسنة قليل، ذلك لأنهم ربما استوعبوا التفاصيل الجزئية لناحية من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وذهلوا عن الصورة الكاملة، والمعنى الجامع...!!.

وقد يكون استحضار هذا المعنى الجامع متعذراً مع تشعب التفاصيل التي غرقوا فيها... أو الوهم في العلم والمعرفة التي انتابتهم...

ومن هنا كان لابد من تصوير حياة الرسول (ﷺ) للناس تصويراً يُبْدِي بجلاء عبادته وجهاده، وخلقه وقضاءه، وسلمه وحربه، وإقامته وسفره، وسلوكه في بيته ومع الناس، ودعوته ودولته وحياته وآخرته وراحته وعمله... الخ

وعلى ضوء هذه الصورة الشاملة يمشي المسلمون.

وهذه الصورة هي حجر الزاوية في اتباع السنة، ومنها تتفرع سائر الأبحاث التي يعنى بها الباحثون الأخصائيون وحدهم... لأن السنة كما قال ابن تيمية رحمه الله: إن

www.iqra.ahlamontada.com

السنة كما قال مالك رحمه الله "مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق"[1].

٣- عمارة المسجد:

قال (ﷻ): ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[2].

الآية دليل على أن الشهادة لعُمار المساجد بالإيمان صحيحة، لأن الله سبحانه ربط بها وأخبر عنه بملازمتها.

وقد قال أحد السلف: إذا رأيتم الرجل يعمر المسجد فحسنوا به الظن. وقال رسول الله (ﷺ): «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فأشهدوا له بالأيمان**»[3].

قال (ﷻ): ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[4].

وفي رواية يتعهد المسجد قال: (حديث حسن غريب، قال ابن العربي: (وهذا في ظاهر الصلاح ليس في مقاطع الشهادات، فإن الشهادات لها أحوال عند العارفين بها، فإن منهم الذكي الفطن المحصل لما يعلم اعتقاداً وإخباراً، ومنهم المغفل، وكل واحد ينزل على منزلته ويقدر على صفته).

فكل هذه النعوت وصفها الله لمن استغل فراغه في عمارة المسجد، فهو كما أخبر الله عز وجل، بأنه مؤمن وأن مقيم الصلاة ومؤتي الزكاة وأن يخشى الله وأنه من

---

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. الفتاوى الكبرى،ج٢، دار المعرفة، بيروت، مصدر سابق، ص،٣٧٤.

(٢) سورة التوبة: الآية (١٨).

(٣) ابن ماجه، محمد بن يزيد: سنن بن ماجه،ج١، مصدر سابق،ص٢٦٣، رقم الحديث (٨٠٢) .

(٤) سورة التوبة: الآية (١٨).

www.iqra.ahlamontada.com

المهتدين، فماذا يريد الفرد بعد هذه الصفات سوى أن يستغل فراغه ووقته في عمارة المسجد، وهذه المعاني عرفها الإمام البخاري رحمه الله وذلك لأنه كان يردد دائماً:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع　　　فعسى أن يكون موتك بغتة

كم صحيح رأيت من غير سقم　　　ذهبت نفسه الصحيحة فلتة [1]

إن عمارة المسجد من أكبر الأدلة على أن قلب المعمر مفعم بالإيمان، سواءً عمره بتلاوة القرآن أو الاعتكاف أو المحافظة على صلوات الجماعة أو بحضور درس أو عظة أو محاضرة..

وهكذا يستغل الفراغ ويتنوع في استغلاله. ولقد قال الشيخ الإمام الزاهد عبد الباقي ابن يوسف الذي تفقه ببغداد على أبي الطيب الطبري[2]: (قعودي في هذا المسجد ساعة أحب إلي من أن أكون ملك العراقيين ومسألة من العلم يستفيدها مني طالب أحب إلي من عمل الثقلين) [3].

ولقد كان المسجد في عهد رسول الله (ﷺ) هو محل إشعاع العلم وهو مكان إصدار الأمر والتوجيه وهو منطلق الجيوش ومكان توزيع ميراث النبوة، وكان أصحاب رسول الله مديمي الإعمار فيه وهكذا الناس يجب أن يكون المسجد في حياتهم. ـ لا بأس ليس المهم أن نجعل المسجد اليوم كما كان بالأمس مقراً للنشاطات والفاعليات

---

(١) السبكي، تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، ح٢،مصدر سابق،ص١٥

(٢) الطبري: أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم، الحافظ أبو العباس محب الدين الطبري ثم المكي شيخ الإسلام وحافظ الحجاز بلا مدافعة، مولده ٦١٠هـ سمع ابن القيرواني وابن الحميري وغيرهما روى عنه البرزالي وغيره وتفقه بغوص على الشيخ مجد الدين القشيري والد تقي الدين، وصنف التصانيف الجيدة منها في الحديث والأحكام، الكتاب المشهور المبسوط وغيره - السبكي، تقي الدين:طبقات الشافعية، ج ٥،مصدر سابق، ص ٨-٩.

(٣) السبكي، تقي الدين: طبقات الشافعية، ج٣، مصدر سابق،ص٢١٩ ـ القرطبي،محمد بن احمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، ح٨، مصدر سابق،ص٩٠.

www.iqra.ahlamontada.com

العامة النافعة. لكن المهم أن نربط هذه الفعاليات بالروح التي كانت تحرك إرادة أولئك الذين عمروا المساجد ـ.

٤- تلاوة القرآن الكريم:

قال (ﷻ): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾[1].

فقد أثنى الله تعالى في هذه الآية الكريمة على القراء الذين يتلون الكتاب ويعملون به، فيصلون وينفقون ويقومون بأوامره سبحانه قال (ﷻ): ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾[2].

أي أجورهم في مقابل أعمالهم، ولكن ليس هذا ثوابهم فحسب، بل هناك الفضل من الله بالزيادة، يزيدهم بها من لدنه، وهذه الزيادة من فضله لا يعلم قدرها إلا الله ذو الفضل العظيم. ثم أثنى الله على هذه الأمة المحمدية على رسولها أفضل الصلاة والسلام بأنها المصطفاة من بين الأمم المخصوصة بوراثة هذا الكتاب العزيز، وحق لأفضل أمة أن ترث أفضل كتاب عن أفضل رسول، الذي هو إمام الأنبياء والمرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين.ثم صنفهم سبحانه إلى ثلاثة أصناف بالنسبة لأخذهم بالكتاب وتمسكهم به: قال (ﷻ): ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾[3].

وهو التارك لأمر محتم أو فاعل لمنهي عنه محرم، وهؤلاء المخلطون الذين خلطوا عملاً صالحاً وأخر سيئاً، كما قاله السلف. ثم قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وهو المؤدي للواجبات ـ أي ما بينه وبين الخالق سبحانه ـ والواجبات ما بينه وبين

---

(١) سورة فاطر: الآية (٢٩).

(٢) سورة فاطر: الآية (٣٠).

(٣) سورة فاطر ك الآية (٣١).

www.iqra.ahlamontada.com

المخلوقات ـ التارك للمحرمات كذلك، ويقال لهؤلاء: أصحاب اليمين ويقال لهم الأبرار عند مقابلتهم بالمقربين.

ثم قال (ﷻ): ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾[1].

وهؤلاء هم الذين قاموا بجميع الأوامر وتركوا جميع المناهي، وسبقوا بفعل الخيرات وهي النوافل فوق الفرائض وهذه الخيرات، فراح هؤلاء السابقون بالخيرات يتقربون إلى الله بالنوافل فنالوا مقاماً عالياً في القرب قال (ﷻ):

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[2].

وقال (ﷺ): «**أفضل العبادة قراءة القرآن**»[3]. وقال (ﷺ): «**أعبد الناس أكثرهم تلاوة للقرآن**»[4].

إن القرآن الكريم هو الروح الذي يحرك الفرد والمجتمع، وهو مصنع الرجال الذي يخرج الأجيال المؤمنة المجاهدة. كما أنه هو منهاجنا ودستور الأمة الإسلامية. فإذا شغل الفرد المسلم وقته وفراغه بالجلوس مع كتاب الله تعالى قارئاً أو مستمعاً، كان حظه من الأجر والثواب عظيماً عند ربه، وقد قال خباب بن الأرت[5] (ﷺ): "يا هنتاه... تقرب إلى الله بما استطعت، فلن يتقرب إلى الله بشي أحب إليه مما خرج منه"[6] فإن

---

(١) سورة فاطر: الآية (٣٢)

(٢) سورة الواقعة: الآية (١٠)

(٣) الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين: كنز العمال،ح١، مصدر سابق ص٥١١ رقم الحديث (٢٢٦٣)

(٤) المصدر نفسه، ح١ ص٥١٠ رقم الحديث (٢٢٦٠).

(٥) خباب بن الأرت: ابن جندلة التميمي،أبو يحى،صحابي،من السابقين،أسلم سادس ستة،كان قيناً يعمل السيوف،بمكة،عذب ليرجع عن دينه، فصبر إلى أن الهجرة،شهد المشاهد كلها،نزل الكوفة ومات فيها وهو ابن ٧٣ سنة (....ـ٣٧ هـ) = (....- ٦٥٧) - الزركلي،خير الدين: الأعلام،مرجع سابق، ح٢ص٣٠١ (بتصرف).

(٦) ابن تيمية،أحمد بن عبد الحليم: مجموع الفتاوى،ح٣، مصدر سابق، ص ١٩٩.

www.iqra.ahlamontada.com

خير الشواغل التشاغل بالقرآن، سواء في حفظه أم في تفسيره أم بتلاوته...، وهذا ما كان يفقهه عثمان بن عفان(ﷺ): (ما أحب أن يأتي علي يوم ولا ليلة إلا أنظر في الله، يعني القراءة بالقرآن) [1]فنزه سماعك من اللغو الباطل وانشغل بما ينفعك.

نـــزه سماعـــك إن أردت سمـــاع	ذيـاك الغنـــا عـــن هـــذه الألحـــان
لا تـــؤثر الأدنـــى عـــلى الأعـــلى	فتحـــرم ذا وذا ياذلـــة الحرمـــان
إن اختيـــارك للســـماع النـــازل	الأدنـى علـى الأعلـى مـن النقصـان
والله إن سمـــــاعهم في القلـــــب	والإيمـــان مثـــل السـم في الأبـدان
فالقلـب بيـت الـرب جـل جلالـه	حبـــاً وإخلاصـــاً مـــع الإحســـان
فـــإذا تعـــلق بالســـماع أصـــاره	عبـــداً لكـــل فـــلانة وفـــلان
حـب الكتـاب وحـب ألحـان الغنـا	في قلـــب عبـــد لـــيس يجتمعـــان
ثقـــل الكتـــاب عليـــه لمـــا رأوا	تقييـــــده بشـــــرائع الإيـــــمان
واللـــهو خـــف علـــيهم لمـــا رأوا	مـــا فيـــه مـــن طـــرب ومـــن الحـــان
قـــوت النفـــوس وإنمـــا القـــرآن قـــو	ت القلـــب أنـــى يســـتوي القوتـــان
ولـــذا تـــراه حـــظ ذي النقصـــان	لجهـــال والصـــبيان والنســـوان
وألذهم فيه أقلهم من العقل الصحـــ	ـــيح فســـل أخـــا العرفـــان
يالـــذة الفســـاق ليســـت كلـــذة	الأبـــرار في عقـــل ولامـــران[2]

هو كتاب مبارك خلق من الهباء أمة ضخمة، واستبقى على القرون جيلاً من الناس، ما كانوا ليدخلوا التاريخ أبداً لولا نهوض الكتاب بهم.

---

(١) ابن حنبل، أحمد: الزهد، تحقيق محمد شرف، در،د ت،١٩٨١، ص ٤١.

(٢) ابن قيم الجوزية،محمد بن أبي بكر: متن القصيدتين النونية والميمية، ابـــن تيميـــة، القـــاهرة،١٤٠٧هـــ ١٩٨٦م،ص ٢٢٣ -٢٢٤.

www.iqra.ahlamontada.com

وليس فضل القرآن على العرب وحدهم، فإن العالم أجمع جنى أكرم الثمـرات مـ هذا الكتاب العظيم، ذلك أن تعاليمه أعادت بناء الإنسانية من جديد، وأزالت مـا خلفتـ القرون الأولى من عوج في عقلها وفؤادها.

والوجهة التي انساق إليها العالم منذ ظهور القرآن هي التي أنشأت المنطق الحـديثـ وحررت أساليب المعرفة، وأمكنت من السيطرة على الكون.

ولولا مـا شـرع القـرآن مـن طـرق النظـر الصـحيح، والعمـل الطيـب، لظـل العـ يتدحرج مع الرومان والفرس واليونان حتى يبلغ الحضيض... ولكن الله برحمته وبره ـ أنقذ أهل الأرض من هذا المصير الأغبر.وأنزل القرآن الكريم ليكون فجراً جديداً علـى الخليقة، تستأنف في هدايته سيراً أرشد، إلى غاية أكرم.

﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْـوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُو ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْتَـدْنَـا لَهُمْ عَذَا أَلِيمًا﴾[1].

هذا القرآن كتاب مبارك... وبركته تعود إلى غزارة الحقـائق الـتي تضـمنها، وروعـ المنافع التي كفلها... والمسلمون يشعرون بهذا، غـير أن شـعورهم يأخـذ طريقـاً مهمـ ساذجاً، يجعل صلتهم به لا تعدو التعبـد بالألفـاظ والتـوقير المـادي للـتلاوة المجـرد وهم ينتظرون الرحمة من القرآن على نحو مستغرب!.

يقول (ﷻ): ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]

فإذاً المسلمون يحسبون الرحمة المرجوة هنا شـيئاً يفـيض مـن الآيـات في مجلـ القراءة، كما تنبعث الحرارة من الموقد أو كما تنسكب الحيـاة مـن النبـع، ثـم يحسبو

---

(١)سورة الإسراء: الآية (٩-١٠)

(٢)سورة الأعراف: الآية (٢-٤)

www.iqra.ahlamontada.com

هـذه الراحـة سـتعمل تلقائيـاً في إسـعاد البائسـين وإفـراح المحـزونين وهـذا تصـرف مقلوب، فالرحمة المرجوة تجيء من تعرض الناس لمعانيه، يلتمسون فيها مخرجاً من الحيرة وقراراً من القلق، تجيء من تأمل القارئ والسامع في هذه الحكم البالغة التماساً لدواء يتداوون به، أو توجيه ينقادون إليه.. إنها لا تسيل في مجـالس الأحيـاء والأمـوات فتصيب الغافلين، وتنال المعرضين، كلا، إن رحمة القرآن الكافيـة فيـه يظفـر بهـا أهـل الوعي والتدبر والعمل.

ولا غناء في مصحف في جيب، ولا في مصحف معلق على جدار....

ولا غناء في همهمة قارئ مذهول، ولا مطرق تملأ الأصوات أذنيه، ولا فقه عنده...!!

والقرآن يبني الأفراد والمجتمع والأمم بطريقتين: إحداهما أعظم من الأخرى.

الأولى: صوغ الأنفس على معرفة الله، واستشعار عظمته، والتهيؤ لملاقاته، يوم يقـوم الناس لرب العالمين..

الأخرى: الأحكام المحددة التي فصلها، وطلب من عباده إنفاذها، سـواء في أحـوالهم الخاصة، أم في شؤون الأسرة والمجتمع والدولة.

وإنما قلنا: إن الأولى أعظم من الأخرى لأن ضمانات الخير في مجتمع مـا لـيس في قيام بعض التشريعات، أو سيادة طائفة من القوانين الصادقة!.

فربما أمكن احترام القوانين من ناحية الشكل، مع تشعب الفساد في الباطن.

والقرآن الكريم يعالج الأمم بما يوفر لها سلامة الجوهر، واستقامة الطبيعة، ومن ثم حفلت السور بفنون لا تحصى من العظات، التي تقيم الحياة الباطنيـة علـى دعـائم مـن التقوى والخشوع والإخلاص...

إن مادة القانون الشرعي في العقوبات الخاصة وشتى الأحكـام الجزئيـة لا تسـتغرق بضع صفحات، أما مئـات الصـفحات الباقيـة في القـرآن الكـريم فهـي تسـتهدف دعـم اليقين، وتثبيت شعبه في أعماق النفوس.

www.iqra.ahlamontada.com

والجيل الذي أنشأه القرآن من أربعة عشر قرناً لا يمتاز بشيء إلا بهذا السناء[1] التي تخلل جوهره من صدق علاقته بالوحي الأعلى..

إنه كان طراز نقياً من البشرية الرفيعة، هبط على الدنيا يومئذ، وكانت ملوثة بركام فوق ركام من الدجل والسخف، والإثم والعدوان، فكان سيداً مطهراً غسل أرجاءه ودلكها دلكاً شديداً، ومازال بها حتى نقاها من رواسب الجاهلية الأولى التي ابتلى بها دهراً.

أما مسلمو اليوم فصلتهم بالقرآن لا تغسل من نفوسهم درناً، بله[2] أن يغسلوا هم أدران الآخرين.

إنهم ـ اتخذوا القرآن مهجوراً، وأقاموا في حياتهم حجاباً كثيفاً بين تعاليم القرآن وبين ما يدعون وما يشتهون وهنا سر العجب العاجب في أن محطات الإذاعة والتلفاز ومحطات الفضاء في تل أبيب ولندن وباريس وواشنطن وغيرها من بلاد الغرب... تستجيد الأصوات، وتملأ بها الاسطوانات والكاسيتات والأقراص وغيرها، وتديرها على آذان وأنظار المسلمين، فيستمعون ويشاهدون مشاهير القراء إلى آيات الله في كتابهم!!. الكتاب الذي أحيا الأولين، ثم أمسى مفروضاً الآن أنه لن يحرك الآخرين.!!

وإلا فلو علم السادة المخرجون والمذيعون أن هذه التلاوة سوف تنبه غافلاً، أو تنشط كسولاً ما استقدموا لها أحداً، ولا أذاعوا منها حرفاً. إنهم يريدون تمويت العبيد لا إحياءهم.!ذاك مصير الروح القرآني الملهم الباني. صرخة في واد، ونفخة في رماد!! أما مصير الشرائع القرآنية الأخرى فإن أكثرها معطل، بل إن العمل بأكثرها يعد ـ في نظر الأجيال المعاصرة ـ نكسة إنسانية، ورجعة إلى الخلف...!![3] والأخطر من ذلك

---

(١)السناء: (السنا) مقصود ضوء البرق، والسناء من الرفعة ممدود. والشيء الرفيع- الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح، مصدر سابق ص ٣١٨

(٢) بله: رجل (أبله) بين (البله) و(البلاهة) وهو الذي غلبت عليه سلامة الصدر - المصدر نفسه: ص٦٥.

(٣) الغزالي: محمد: الإسلام والطاقات المعطلة: مرجع سابق ص ص ٦٢،٦٥ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

قولبة التشريع من الطبائع البشرية وتطويعها لتوافق الأهواء تحت شعار التجديد..!وذلك الإهمال المتعمد لجمهرة النصوص أو هي الإعزاز المنتظر لبقيتها. ولا غرابة! فإن الله (ﷻ) إذا قال:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾[1].

وقال الله (ﷻ): ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[2].

فالأوامر في الآيتين سواء.وعندما يتقرر بجراءة وصفاقة هدم بعضها، فإن غبار الهدم سيطوي ما بقي منها ولن يتحمس المجتمع لتقوى الله وسداد القول، إذا كان قد قرر فتح خانات الخمور، وأشرف على تسعير أصنافها، وميز الأنواع الفاخرة من الأنواع الرديئة....حتى لا يغش السكارى....

والخلاصة: أن القرآن الكريم كتاب مز هود التوجيه، معطل الأحكام في بلاد الإسلام. ولو جدَّ المسلمون معه لكان لهم شأن آخر.

٥- الجهاد في سبيل الله:

الجهاد "الطاقة والمبالغة"[3] ـ المغالبة على الأرجح ـ واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل. فالجهاد إذاً هو المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب واللسان أو ما أطاق من شيء. ويكون الجهاد بمعناه الاصطلاحي الإخلاص الكامل في أداء الواجب، سواء أكان ذلك في النية أم في العمل. وفي المدلول الإسلامي هو التفاني في خدمة الدين لنشر الدعوة، وإعلاء كلمة الله. وكما يكون بالنفس والمال والسلاح، كذلك يكون بالحوار والمناقشة والإقناع.

---

(١) سورة المائدة: الآية (٩٠).

(٢) سورة الأحزاب: الآية (٧٠).

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب،ج٣،مصدر سابق ،ص ١٣٥.

www.iqra.ahlamontada.com

قال (ﷻ): ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[1].

أي جادلهم وأقنعهم بالقرآن إن الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام... فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون في الله لومة لائم[2]. فقد قال الإمام علي كرم الله وجهه: (الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصين، وجنته الوثيقة[3]...).

إن الجهاد يمثل بلا ريب، قمة معاني العبودية لله (ﷻ)، ولامجال في هذا المقام لسرد النصوص التي تؤكد هذه الحقيقة، والتي تتحدث عن الكيفية التي يجب أن يكون عليها حال المجاهدين لاسيما أثناء قيامهم بالجهاد. ولكن فلنكتف من ذلك بالوقوف على مضمون هاتين الآيتين:

يقول الله (ﷻ) وهو الذي وعد المجاهدين بالنصر إن هم استقاموا على أمره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].

ويقول (ﷻ): ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[5].

يقول ابن تيمية: (إذا كان مقصود القتال أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين)[6].

---

(١) سورة الفرقان: الآية (٥٢).

(٢) العسل، إبراهيم حسين: الجهاد الإسلامي أحكام وتطبيقات، دار بيروت المحروسة، بيروت،الطبعة الأولى،١٤١١هـ/١٩٩١م، ص١٦ (بتصرف).

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: السياسة الشرعية، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٥٦م ص١٢٣.

(٤) سورة الأنفال:الآية (٤٥).

(٥) سورة الأنفال:الآية (٩).

(٦) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: السياسة الشرعية، مصدر سابق، ص١٢٤.

www.iqra.ahlamontada.com

والجهاد هو معركة يخوضها المسلمون لتحرير ودفع العدوان الخارجي، ولتأمين الحرية الدينية، والعدالة الاجتماعية لجميع الناس. فأين واقعنا المؤلم من هذا الذي يأمرنا الله به، وهو الاستعانة على الثبات في صفوف القتال وثغراته بالإكثار من مراقبة الله تعالى والدوام على ذكره، وبالإكثار من التضرع إلى الله تعالى والاستعانة به والاستغاثة به، بحيث تبدو سيما العبودية لله تعالى على جميع المجاهدين على اختلاف مراتبهم وأحوالهم؟

أين هذا الذي يوجهنا إليه الله تعالى ويأمرنا به، من الانغماس الكلي الخانق في حمأة الشهوات والأهواء والتعلق بأثقال الحياة، مما يتنافى كل المنافاة مع شأن الجهاد وصفة المجاهدين؟ إننا نتكلم هذه الأيام كثيراً عن الجهاد، ونستلهم الرد على القوى العالمية التي ترمي وتدفع إلى السيطرة علينا والهيمنة على مقدراتنا أو الاستسلام باسم السلم، من الرجوع إلى أحكام الجهاد ومبادئه. فهلا وقفنا وقفة المعتبر أو الفرد المنطقي مع ذاته على أقل تقدير أمام قول من شرع الجهاد ودعا إليه.

﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[1].

وأمام قول الحق سبحانه: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2].

أما اليوم... فمن يدري ؟ لعل بيننا أشبالاً لأولئك الأسود، من صحابة رسول الله والتابعين يصغون من جديد إلى كتاب الله وأحاديث رسول الله ووصايا السلف الصالح بكل وجداناتهم ثم يضعونها في حياتهم موضع العناية والتنفيذ، كما أصغى إليها الأجداد وحافظوا عليها ووضعوها موضع التنفيذ، فيعيد هؤلاء التاريخ نفسه ويتحقق

---

(١) سورة محمد:الآية (٧).

(٢) سورة آل عمران:الآية (١٦٠).

www.iqra.ahlamontada.com

نصر الله لعباده التائبين الصادقين. قد قال رسول الله (ﷺ): «**أمتي أمة مباركة لا يدرى أولها خيرٌ أو آخرها خير**»[1].

ومما يضاف إلى ما سبق من كيفيات لاستغلال الفراغ:

١- عمل الواجبات وترك الانحرافات:

منها انشغال القلب بما يقربه لرضوان الله تعالى ومحبته: كالصلاة والذكر والصيام والصدقة وبر الوالدين وصلة الرحم... وغيرها.

حتى يكون تفكير الفرد كله لله، فإذا رأى فاكهة تذكر فاكهة أهل الجنة، وإذا استلقى على فراش وأطفأ الأنوار تذكر ظلمة القبر وهكذا....، فهذا هو صاحب الهم الأخروي. كما كان ابن عمر رضي الله عنهما حين شرب ماءً بارداً فبكى. فقيل له: ما يبكيك ؟ قال:ذكرت آية من كتاب الله قال (ﷻ):

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[2].

قال: فعرفت أن أهل النار لا يشتهون إلا الماء البارد.

وقد قال (ﷻ): ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾[3].

فهذا هو الهم الأخروي القلبي

٢- حب المساعدة وقضاء الحاجات:

وعندما نعيش لذواتنا فحسب، تبدو لنا الحياة قصيرة ضئيلة، تبدأ من حيث بدأنا نعي[4]، وتنتهي بانتهاء عمرنا المحدد!. أما عندما نعيش لغيرنا، فإن الحياة تبدو طويلة

---

(١) الهندي، تقي الدين بن حسام الدين: كنز العمال،ج١٢، مصدر سابق،ص١٥٤ رقم الحديث (٣٤٤٥١) (ابن عساكر مرسلاً).

(٢) سورة سبأ: الآية (٥٤)

(٣) سورة الأعراف: الآية (٥٠)

(٤) نعي: (وعى) وَعَى الحديث يعيه (وعياً) حفظه.- الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، مصدر سابق، ص٧٢٩

www.iqra.ahlamontada.com

عميقة، تبدأ من حيث بدأت الإنسانية وتمتد بعد مفارقتنا لوجه هذه الأرض. إننا نربح أضعاف عمرنا الفردي في هذه الحالة، نربحها لا وهماً، فتصور الحياة على هذا النحو يضاعف شعورنا بأيامنا وساعاتنا ولحظاتنا، وليست الحياة بعدد السنين ولكنها بعداد المشاعر[1].

وهذا أبو عثمان شيخ البخاري رحمه الله يقول: (ما سألني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي، فإن تم وإلا قمت له بمالي فإن تم وإلا استعنا له بالإخوان، فإن تم وإلا استعنت له بالسلطان[2].

فهكذا كانوا رحمهم الله يعرفون بماذا يستغلون أوقاتهم، وكيف يقضون حوائج الناس بسعة الصدر وتلبية في كل حين لعامتهم وخاصتهم أما لعامتهم فتقضى جبراً وسعة صدر واستعداداً للتلبية في كل حين، والخدمة الخاصة فتقضى تواضعاً وذلة للمؤمنين على المؤمنين. وهذا مصداق لما كان يفعله السلف رضوان الله عليهم ومنهم الليث بن سعد[3] رحمه الله حيث كان: (يجلس للمسائل يغشاه الناس فيسألونه)، ويجلس لوائح الناس لا يسأله أحد من الناس فيرده، كبرت حاجته أو صغرت " [4].

هذا هو إسلامنا... دين معاش للواقع لا دين نظريات ومثل.... دين حركة وجهاد لا دين خيال وافتراض لهذا يقول النبي (ﷺ) موجهاً للبشرية على التحرك في قضاء

---

(١) قطب، سيد: أفراح الروح، مرجع سابق، ص ٩ .

(٢) ابن قدامة، المقدسي،محمد بن عبد الله بن أحمد: الأدب الشرعية،ج٢، مصدر سابق، ص١٨٩

(٣) الليث بن سعد: (٩٤-١٧٥هـ =٧١٣-٧٩١م) ابن عبد الرحمن الفهمي، بالولاء أبو الحارث، إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً، قال الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به، أخباره كثيرة وله تصانيف ولابن حجر (كتاب الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية) - الزركلي،خير الدين: الأعلام،ج٥، مرجع سابق،ص٢٤٨.

(٤) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان،وأنباء أبناء الزمان،ج٤، دار صادر، بيروت، ص ١٣١.

www.iqra.ahlamontada.com

الحاجة...«**ولأن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته أفضل من أن يعتكف في مسجدي (مسجد المدينة) هذا شهرين**»[1].

وأشار بإصبعه. إن قضاء حاجة الأخر هي في الوقت نفسه قضاء لحاجة الذات.

يقول الرسول (ﷺ): «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**»[2].

٣- المتحسرون على نعمة الفراغ:

كانت حفصة بنت سيرين[3] تقول: (يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب)[4]. إن المتحسرين على نعمة الفراغ وإضاعة الوقت كثيرون... وذلك لأن الذين يستغلون أوقاتهم ويشغلون فراغهم قلة بدليل. ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[5].

فأكثر الناس لا يحسن استغلال وقته بالأعمال الصالحة، وبما أن استغلال الفراغ من أمارات الإيمان وعلامات التقى فلذلك أصبح من يستغل وقته وفراغه قلة من الناس لأن المؤمنين أصلاً قليلون لهذا قال تعالى مبيناً شرط الإيمان لمن استغل وقته وفراغه.. قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾[6].

---

(١) الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: المستدرك، ح٤، مصدر سابق، ص٢٧٠

(٢) مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ح١٧، مصدر سابق، ص٢٤ رقم الحديث (٦٧٩٣)

(٣) حفصة بنت سيرين: سيدة جليلة، من السيدات التابعيات، اشتهرت بالعبادة والفقه وقراءة القران والحديث، روت عن أخيها محمد ويحيى وأنس، وغيرهم. - ابن الجوزي، أبو الفرج: صفة الصفوة، ح٤، مصدر سابق، ص ٢٤-٢٥، (بتصرف).

(٤) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن: صفة الصفوة، تحقيق فاخوري وقلعه جي، ج٤، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، ص٢٤.

(٥) سورة يوسف: الآية (١٠٣).

(٦) سورة يونس: الآية (٦).

www.iqra.ahlamontada.com

وبما أن الليل والنهار يشكلان الزمان، والوقت هو الحياة فإن من استغل وقته في الليل والنهار كان ذلك دليلاً على إيمانه وصدق تقواه وكما قيل أن الَليل والنهار يعملان فيك فكن أنت عاملاً فيهما.

وإن المتحسر على إضاعة الوقت والفراغ يكون على ضربين: - إما أن يكون الفرد لم يستغل وقته وفراغه بما ينفعه في أيام حياته. وفيه قال تعالى واصفاً هذا الصنف:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[1].

- إما أن يكون الفرد قد استغل وقته وفراغه ولكن لم يستغل أفضل العمل في الفراغ والوقت المرشح له لأنه لكل وقت ما يملؤه من العمل. كما جاء في وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما - حين استخلفه قال له: "إن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل، ولله في الليل حقاً لا يقبله بالنهار" [2]. وحتى يتضح لنا المعنى تماماً فإننا سوف نورد في فقرتنا هذه ثلاثة تيارات تحسرت على ضياع الوقت وفقدان نعمة الفراغ وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

أولاً: العصاة ينتبهون لأهمية الوقت والفراغ

يقول يوسف بن الحسين: واصفاً حال سكران غارق في المعاصي ثم تنبه واستيقظ من رقاد الغفلة والفراغ وعرف أهمية الوقت فبادر حياته بالعمل الصالح -: كنت مع ذي النون المصري على شاطئ غدير فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شط الغدير واقفة. فإذا بضفدع قد خرجت.

---

(١) سورة السجدة:الآية (١٢).

(٢) ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٥٦ – ٥٧.

www.iqra.ahlamontada.com

من الغدير، فركبتها العقرب، فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت فقال ذو النون[1]: إن لهذه العقرب لشأناً فامض بنا فجعلنا نقفوا أثرها، فإذا رجل نائم سكران وإذا حية قد جاءت فصعدت من ناحية سرته إلى صدره وهي تطلب إذنه فاستحكمت العقرب من الحية فضربتها فانقلبت وانفسخت ورجعت العقرب إلى الغدير فجاءت الضفدع فركبتها، فحرك ذو النون الرجل النائم ففتح عينيه فقال: يا فتى! انظر مما نجاك الله، هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التي أرادتك، ثم انشأ ذو النون يقول:

يا غافلاً والجليلُ يَحرسُهُ ... من كلِّ سوءٍ يَدبُّ في الظُّلَمِ

كيف تَنَام العُيُونُ من ملك ... تأتِيه مِنّهُ فَوَائِدُ النِّعَمِ

فقال السكران "بعد أن أفاق: إلهي أهذا فعلك بمن عصاك، فكيف رفقك بمن يطيعك؟" [2].

ثم ولى ذاهباً إلى الله فأعلن توبته نادماً على وقته وشرف زمانه الذي ضيعه في الإسراف على الملهيات حتى أنه أقشعر جلده عندما سمع: **كيف تنام العيون عن ملك تأتيه منه فوائد النعم.**

فأعطاه هذا البيت دفعة قوية إلى الأمام وعزيمة على استغلال الوقت بعد أن كان سلبياً في حياته تائهاً في معاشه.

ثانياً: الطائعون يتحسرون على أيامهم:

لقد كان الإمام الرازي رحمه الله صاحب تفسير "مفاتيح الغيب" في أيامه الأولى من طلب العلم مهتما بعلم الكلام حتى إنه بلغ فيه مبلغاً يشار إليه بالبنان ولكن هداه الله

---

(١) ذو النون (أبو الفيض ثوبان المصري) (٢٤٥هـ /٨٥٩م) صوفي من الكبار نوبي الأصل، ولد في أخميم (الصعيد) وحج إلى مكة وقصد الشام، سجن في بغداد ثم أطلق المتوكل صراحة، توفي في الجيزة. هو أول من تكلم في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية، وأبرز من أدخل حال الوجد والحب المطلق في التصوف. وكان ذا فصاحة وحكمة. - مجموعة من المؤلفين: المنجد في الأعلام، مرجع سابق، ص٢٩٩

(٢) ابن قدامة المقدسي، محمد بن عبد الله بن أحمد :مختصر كتاب التوابين، تحقيق الأرناؤوط، دار الخير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩١م، ص٢٣٣.

www.iqra.ahlamontada.com

تعالى بعد ذلك إلى العلوم النافعة والمفيدة التي هي أولى من علم الكلام لطالب العلم أن يتعلمها والتي لو استغل فيها وقته لكان مردودها أكثر خيراً وبركة عليه حتى تحسر على وقته قائلاً:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال

فأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقال(١)

وبيت القصيد في الأبيات هو البيت الأخير حيث يتحسر فيه رحمه الله على أيامه وساعاته التي لم يستفد فيها سوى القيل والقال، ولكنه رحمه الله شد العزم وبادر في الطلب الصحيح ليعوض ما فاته وبلغ أرفع المراتب بعد تصحيح مساره حتى "كان العلماء يقصدونه من البلاد، وتشد إليه الرحال من الأقطار... وقيل فيهم:

خصه الله برأي ... هو للغيب طليعه

فيرى الحق بعين ... دونها حد الطبيعة

فهكذا بلغ المنازل العلا رحمه الله حتى أنه قد ألف _ بعد تحسره على وقته _ أكثر من أربعة وثلاثين كتاباً ومجلداً منها الذي اشتهر به وهو تفسير القرآن الكريم المسمى"مفاتيح الغيب"(٢). جمع فيه الغرائب والعجائب.. كما أنه شرح سورة الفاتحة في مجلد كامل. فهذا المبلغ الذي وصل إليه بعد فطنته وتنبهه بكيفية استغلال فراغه ووقته حتى قيل أنه " إذا ركب مشى معه نحو ثلاثمائة مشتغل على اختلاف مطالبهم في التفسير والفقه والكلام والأصول والطلب وغير ذلك(٣). لكي يسألوه ويستفيدوا من علمه رحمه الله. بعد ما استغل فراغه ووقته أحسن استغلال.

---

(١) الرازي، محمد بن عمر : أصول الدين، دار الكتاب العربي، طبعة ١٩٨٤، ص١٠ .

(٢) الرازي، محمد بن عمر: شرح أسماء الله الحسنى، دار الكتاب العربي، طبعة ١٩٨٤، ص ١.

(٣) الرازي،محمد بن عمر: شرح أسماء الله الحسنى، مصدر سابق،ص٩

www.iqra.ahlamontada.com

٣- الشباب وحسرتهم على ضياع الوقت والفراغ

نقف عند الشباب الغافل في حياته المهدر لوقته، المفسد لفراغه همه اللهو واللعب وهوايته ملء الفراغ الذي يعيشه شعاره فيه قتل الوقت. وقد انتبه إلى أهمية نعمة الفراغ والوقت هذا التابعي الجليل صلة بن أشيم[١]- رحمه الله - وأردت أن أترك لصلة حتى يبين كيفية تحسر الشباب على فراغهم قال: "لقد كنت أخرج إلى الجبان "الصحراء" فأتعّبد فيها، وكنت أمر على شباب يلهون ويلعبون، فكنت أقول لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فجازوا النهار عن الطريق وناموا الليل، متى يقطعون سفرهم؟ وكنت أمر عليهم فأعظهم حتى أني وعظتهم ذات يوم فقلت لهم هذه المقالة: فقال شاب منهم: يا قوم!! إنه والله ما يعني بهذا غيرنا، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام، ثم اتقى فلم يزل يختلف معه إلى الجبان ويتعبد معي حتى مات رحمه الله"[٢].

وإنه لعمري لموقف حري لكل من ضيع وقته وأفسد نعمته وحياته وأهدر أيام شبابه بأن يشد رحال عمره ليسافر إلى الله تعالى في طائرة الأعمال والطاعات. قال تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾[٣].

ولا يسعني أن أقول هنا إلا ما قيل:

---

(١) صلة بن أشيم: الزاهد، العابد،القدوة،أبو الصهباء العدوي البصري، زوج العابدة العالمة معاذة العدوية.

- الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء،مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م ج٣ ص٤٩٧.

(٢) ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن أحمد بن قدامة: التوابين، مصدر سابق، ص٢٤٤.

- ابن الجوزي،عبد الرحمن:صفوة الصفوة،تحقيق فاخوري،دار المعرفة،بيروت،الطبعة الرابعة،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ج٣ ص٢١٦.

(٣) سورة الحديد: الآية (١٦).

www.iqra.ahlamontada.com

وساعة الذكر فاعلم ثروة وغنى　　وساعة اللهو إفلاس وفاقات[1]

وفي نطاق المجتمع الإسلامي والمتحسرون على الإضافة أحاول أن أجمل الحسرات في أثنين:

١- غياب التخطيط الذي يوجهنا إلى وجهة فكرية وسلوكية متناسقة:

لا تجد إذا نظرت حولك أمة بذرت فيها الفرقة الفكرية بنظام وبذكاء مثلما فعل بأمتنا ولا أمة يغيب فيها الهدف العام للجميع حتى لا يعرف كل منا هدفه الأسمى مثلنا.

والأمة الحية فعلاً تدرك أن التلقائية و العشوائية يجب أن تشطب من قاموسها، فهناك جهات متخصصة وأبحاث ولجان، كل همها التخطيط الجيد من الناحية النظرية، والتنفيذ الجيد من الناحية السلوكية العملية وملاحظة الأخطاء، وإلقاء الضوء عليها، واحتواء أخطائها حسب خطط يشترك فيها المربي والأديب المفكر والطبيب والاجتماعي والنفسي، كل ذلك من خلال هوية خاصة لا ترقيع ولا تزوير ولا تنافر ولا تمزق.

وعندنا في بلاد إسلامية كثيرة، نمطان في التعليم يختلفان منذ البداية، أسلوبين في التربية منهجين في التجارة، طريقين في الصناعة.... الخ.

نريد مع الحسرة أن تكون هناك فرص للتجانس والتفاهم، وجمع الأمة " شبابها " حول الهدف الواحد وحسب خطة تجمع شباب الأمة على كلمة سواء، وحبذا لو كان على جميع المستويات علمية ومهنية وسلوكية.... وغيرها فكلما اتسعت الدائرة كلما كان ذلك أدعى للإجابة وأقرب إلى الصواب، فلا تختلف المعطيات من شرق الأمة إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها ومن قلبها إلى أطرافها، مع أن الميادين الرحبة في بلاد الإسلام تحتاج إلى تخطيط ذكي وتنفيذ على مستواه، فأما ترك الأمور على حسب

---

(١) النووي، يحيى بن شرف: شرح الأربعين النووية، دار المجتمع، جدة، ص ١٢١.

www.iqra.ahlamontada.com

الريح أو وفق مقتضيات القدر، ـ إن فهم المسلم للقدر غير فهم الآخرين له ـ فذلك لا يجوز في عالمنا الذي نعيشه، فإن التخطيط جزء من الإسلام إذ يعرف الفرد المسلم ما يقضيه في العمل وما يقضيه في العبادة وما يقضيه في الفراغ والراحة. وتعرف الدول ما تزرع وما تصنع وما تعلم وكيف تربي.

ورسول الله (ﷺ) في حياته في دعوته وفي سلمه وفي حربه وفي دولته وفي أعماله خير شاهد على ما أقول. وحين غاب التخطيط في حياتنا تبددت طاقات شبابنا، واختلفت وجهاته، وبات كل حزب بما لديهم فرحون.

٢- انعدام الطموح:

نتيجة طبيعية عادية من نتائج الفراغ، وشيوع الرتابة وفقدان الأمل، أن يقل التطلع إلى الأعمال الجليلة ويصبح الميل إلى السهل هو الأعم الأغلب.

ويغدو الصعب المجهول مشطوباً وملغى من حياتنا مع العلم بأن كثيراً من المجاهيل والصعاب هي مقدمة لكثير من المعلوم وسبيل إلى بناء الأمجاد.

فمن الصعب بحث الأجداد وعن المجهول بحث الباحثون والعلماء. ولو عاش الناس يطحنون المعلوم ويغربلون ويستمرون السهل، لتهرأ في أيديهم وأصابت حياتهم الرتابة والملل والفراغ.

وأمتنا تخاف المجهول والليل والبحر والظلام والأشباح... ومازال في قرار الكثيرين منها أحلام ورؤى وأقاصيص عن العفريت وأم الغولة وسحال الطبق وأبو اللباد.... الخ

وأمة هذا شأنها يستعصي عليها المجد، ويتفلت من أيديها التقدم والعلم، لقد تسابق العالم إلى العلوم والتقدم والازدهار، وكنا نحن ومازلنا نتسابق في دحض فعلهم، أو الانشغال عنهم أو عدم تصديقهم، أو بعضنا يضع آيات القرآن في غير موضعها حتى يؤيد هذا الرأي أو ذلك وعندما ترى العلماء وهم يبحثون ويكتشفون مجهولات ما في الأرض والسماء والبحر فترفعهم بإعجاب وترى غيرهم يقيمون في الغابات بين الوحوش والحيتان والفيافي والقفار، ونعجب من هذه الجسارة وهذا الطموح.

www.iqra.ahlamontada.com

لا تخلو أمة من علماء وجهلاء ولم يعرف التاريخ ولم تعرف أمة كان أبناؤها جميعاً علماء لا تصدر عنهم خرافة.. إن الأمم تضعف عندما ينحرف قادتها وعلماؤها وليس عندما يخرف جهلاؤها •

وأقول: إنه المجتمع إنها التربية، إنها البيئة، إنها الثقافة....

إنها النفوس الممتلئة بالرغبة في العلم والمعرفة والإبداع ولو كان في ذلك حتفها. فأما شبابنا فإن غاياته تدور حول الوظيفة المرموقة، أو المنصب العالي، أو الراتب الكبير فأما الطموح إلى الغايات العلا أو الأهداف الكبرى فقلما نتجه إليه، وقد سألت كثيراً من أبنائنا عن بعض طموحاتهم وجدت بعضهم غابت عنه كل الطموحات وأصبح مجرداً عن أي شيء منها أو لا يدري....!!

وهناك أمور مساعدة على انعدام الطموح إلى جانب الفراغ العام ومنها:

أ - شيوع روح الكسل والخمول والرضا عن النفس.

ب- العظامية والتغني بالأمجاد.

ج- أحلام اليقظة دون الرغبة الفعلية.

٤- المراقبة والنقد

من المبادئ الهامة في تكوين الفرد سلوكياً، وتربيته اجتماعياً... تعويد الفرد على رقابة الذات والمجتمع، والنقد الديني والاجتماعي البناء لكل من يعايشهم، وينتمي إليهم، ويلتقي معهم، والنصح لكل إنسان يرى منه شذوذاً أو انحرافاً.....

ولو أنك تسمعت الضجة التي تسود أرجاء العالم، وحاولت استبانة معناها ما وجدت إلا بغام[1] الغرائز المهتاجة تريد إثبات نفسها وتحقيق رغباتها.أما منطق الإيمان خلال هذا الضجيج العالي فهو همس لا يكاد يبين.

---

(١) بغام: يقال لكل ذي صوت: بغم صوته: لانَ ورقّ ورد الحديث لفلان: لم يوضحه له فهو باغم.
- مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط،ج١، مرجع سابق، ص٦٤.

www.iqra.ahlamontada.com

إن معرفة جماهير المؤمنين لله كامنة في طواياهم، قد تحركهم إلى رحبات المعابد والمساجد حيناً، وقد تحجزهم عن بعض المحارم حيناً ولكن هذه المعرفة قلما تبقى وضّاحة مع الركض المجهد في ساحة الحياة.

من أجل ذلك حث الإسلام أتباعه المؤمنين به أن يقاوموا هذا الذهول السائد، وأن يتخلصوا من هذه الغيبوبة العامة، وأن يذكروا الله برغم هذه المنسيات، وأن يحاولو الاستضاءة بوجهه سبحانه وتعالى خلال غواشي الدنيا وكرباتها وفراغاتها.أجل، يجب أن ينقذ المسلمون أنفسهم من هذا الفراغ في هذه اللجج المتتابعة، وأول الطريق الإكثار من ذكر الله.

ولكن ما هي الأصول والمراحل في تكوين الفرد على النقد الذاتي والاجتماعي. وحراسة الرأي العام الآن أضع بين يدي الفرد والجماعة والمربين جميعاً أهم هذه الأصول والمراحل حتى يقوموا بمسؤوليتهم بواجب التربية والتكوين والإعداد:

أ - الإحسان والتأمل الذاتي:

الإحسان مراقبة ومشاهدة، والرقابة الإلهية لا تتناول عملاً، وتدع آخر، بل تتناول الأعمال كلها، وليس الإحسان تجويد جزء من العبادات وإهمال أجزاء أخرى قد تكون أخطر وأجل، وإنما الإحسان أداء فروض العين وفروض الكفاية، وتناول شؤون الدنيا وشؤون الآخرة معاً: هو إشراب الحياة الإنسانية حقائق الأمر الإلهي، وإضفاء صبغة السماء على أحوال الأرض.

هذا هو الإحسان يقارن بالأعمال، ويتحول الفراغ إلى خلوص القلب ومهارة يدّ، ونبالة غاية... من اللقمة تضعها في فم زوجتك كي تُبني البيوت على الحب، إلى الرصاصة تطلقها على عدوِّك في ساحة الوغى كي يُبنى العالم على العدل والحق. من الثوب تلبسه لتكتسي به وتتزين فيه، إلى الكفن يختار على نحو معين لتُلفُّ فيه الجثة وتوارى تحت الثرى. الإحسان يشمل الأحوال والأعمال جميعاً، قال تعالى:

www.iqra.ahlamontada.com

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾[1].

ويقول الرسول (ﷺ): «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[2].

إن هذه العبارة تصف حال الفرد يقيم أوامر الله كلها، في شؤون الحياة كافة.

ومجال الإحسان رحب الدائرة. حدوده وظيفة الفرد في الحياة من المهد إلى اللحد..

إن للإحسان جزأين، أحدهما آجل في الدار الآخرة، ولا كلام لنا فيه الآن، والآخر عاجل تلقاه الأمم في حاضر أمرها وتبلوه عياناً.

إننا ـ من الناحية العامة ـ بشر كسائر البشر. لنا ما للناس من أسماع وأبصار وأفئدة.

فلماذا تتعطل حواسنا وأفكارنا، وتنطلق حواس الناس وأفكارهم في كل مجال ؟

لماذا تمس أصابعهم الأشياء فتجود، وتمسها أصابعنا فتضطرب ؟.

لقد كان الناس عالةً على أبنائنا في النواحي العلمية والأدبية والمادية جميعاً فما الذي عرانا حتى أصبحنا لا نحسن استخراج خيراتنا من أرضنا، ولا الاستفادة من معادن أرضنا، ولا بناء السدود والجسور على أنهارنا، ولا تشكيل الآلات وتركيبها في مصانعنا، ولا تطويع أدوات الحرب والسلم لحاجتنا..؟

الحق أن القدرة على الإحسان أعوزتنا، وأن أسباب هذه القدرة في أيدينا لو أردنا وكل تفريط في هذا الميدان أو غيره معناه أولاً انخفاض مستوى المسلمين الفكري والمادي. ومعناه آخر قصور الوسائل التي تنجح رسالتهم، وتحقق غايتهم.

وعندما ينضم إلى هذا العجز، عوج في فهم الدين نفسه، واسترخاء في إجابة عزائمة

---

(١) سورة يونس: الآية (٦١).

(٢)البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق البغا، مصدر سابق ج١، ص٢٧، رقم الحديث (٥٠)

www.iqra.ahlamontada.com

فهنا الطامة. قال (ﷻ): ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[1].

وقال (ﷻ): ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[2].

والجملة الأخيرة يجب أن تكون في السلوك الاجتماعي قانوناً علمياً كالقوانين المقررة في علوم الرياضة والأحياء. إن الإحسان لا يضيع غرسه، ولن تتخلى العناية الإلهية عن أصحابه، مهما كبت بهم الحظوظ، وتعثرت بهم المراحل الأولى.

وليس الإحسان جلودة ذهن طبيعته الغفلة، أو يقظة نفس طبيعتها الركود، إنه خليقة مستقرة، وملكة تتكون من حب الإتقان وهواية الكمال، وإدمان الذكر لله وطول الشعور بمعيته.

وإذا كانت الإجادة العلمية تتطلب مزيداً من الخبرة والدراسة ـ لأن شؤون الحياة دائمة التطور والتغيّر ـ فإن الجو النفسي يتطلب صحواً دائماً، وتعوداً على الطاعات والفضائل وولعاً[3] بما يرضي الله ويقرب من غفرانه، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[4].

---

(١) سورة يونس: الآية (٢٦).

(٢) سورة يونس: الآية (٢٧).

(٣) ولعاً: ولع به (يولع) ولعاً وولوعاً علق به شديداً و- لج في أمره وحرص على إيذائه فهو ولع وهي ولعة
– مصطفى،إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج٢ ص١٠٦٩.

(٤) سورة الذاريات: الآية (١٥ – ١٩).

www.iqra.ahlamontada.com

وطرق الإحسان كثيرة، ولكن من يطيقها؟ إنها تتطلب العزمات الشداد، والصبر الجميل، والهمم البعيدة، والجهاد الدؤوب، وصاحب هذه الخصال أهل لأن يبسط الله عليه كنفه، ويلهمه رشده، وأن يكون أبداً معه.

ب- الحرية والنقد الاجتماعي:

أثناء غياب الحرية عن مجتمع ما، يقل النقاد للأغلاط الكبيرة، أو يختفون، وتضعف روح النقد عموماً أو تتوارى... !! وهذه حال تمكن للفساد، وتزيد جذورها تشبثاً بالبيئة العليلة، وحاجة الأمم للنقد ستظل ما بقي الفرد عرضة للخطأ والإهمال، بل ستظل ما بقي الكملة من البشر يخشون الملام ويخافون الحساب!

ومادامت العصمة لا تعرف لكبيرٍ أو صغير، فيجب أن يترك باب النقد والمراقبة مفتوحاً على مصراعيه !! ويجب أن يحس الحكام والمحكومين بأن كل ما يفعلون أو يذرون موضع النظر الفاحص والبحث الحر...... فإن كان خيراً شجعوا على استدامته.. وإن كان شراً نبهوا إلى تركة وتداركه، وحذروا من العودة إليه، بعد أن يرفع الغطاء عن موطن الزلل فيه.

وقيمة النقد الذاتي أو الاجتماعي في إحسان الأعمال وضمان المصالح لا ينكرها عاقل. وإنما هلكت الأمم الهالكة لأن الأخطاء شاعت فيها دون نكير، فما زالت بها حتى أوردتها موارد التلف. ونحن لا نحب لأمتنا هذا المصير.

إن أغلب الناس إذا أمن النقد لم يتورع عن التقصير في عمله، ولم يستح من إخراجه ناقصاً وهو قادر على إكماله!. وعقل الألسنة عن الكلام في عمل الاستبداد والمستبدين طبع على أمتنا مصالح عظيمة خلال العصور السابقة. إذ طمأن العجزة والمفسدين، وجعلهم يسترسلون في غيهم، فما يفكرون في إطراح كسل، ولا ترك منقصة...!!

www.iqra.ahlamontada.com

أما الحريات التي تقدسها الدول الديمقراطية، فإنها مزقت الأغطية عن كل الأعمال العامة، وجعلت الزعماء ـ قبل الرعاء والأذناب ـ يفكرون طويلاً قبل إبرام حكم، أو إنفاق مال، أو إعلان حرب، أو ابتداء مشروع كبير....

بل جعلتهم في مسالكهم الخاصة يؤجلون من أي عمل يثير القيل والقال حولهم....

ولاشك أن هذه الحريات حاجز قوي دون وقوع العبث بشؤون الأمة، أو نذير بتقصير أجله إذا وقع، ومؤاخذة أصحابه بغير هوادة. حاجة المسلمين إلى الحريات البناءة ـ في تاريخهم الأخير ـ أزرت بهم، وحطت مكانتهم...، على حين نعمت أجناس أخرى بتلك الحريات، فتحركت بقوة، ثم أطرد سيرها في كل مجال فإذا هي تبلغ من الرفعة أوجاً يرد الطرف وهو حسير.

ح- حراسة الرأي العام:

مثل النبي صلى الله عليه وسلم رقابة المجتمع للفرد، ورقابة الفرد للمجتمع بمثال السفينة، ليؤكد لكل فرد مسلم وظيفته الاجتماعية في الرقابة والنقد الاجتماعي، والأخذ على يد العاصي، حتى تسلم للأمة عقيدتها وأخلاقها، ويتحقق لها كيانها ووجودها، وتكون دائماً في مأمن من عبث العابثين، واستبداد الطغاة الظالمين وإفساد الفارغين المعطلين. قال (ﷺ): «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا (اقترعوا) على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً**»[1].

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق البغا، مصدر سابق، ح٢ ص٨٢٥، رقم الحديث (٢٣٦١).

www.iqra.ahlamontada.com

فما أحوجنا إلى أفراد جادين وواعين يغرسون في أنفسهم وأبنائهم ومجتمعاتهم خلق الجرأة والشجاعة وقوله الحق.... فيقوم بواجب النصح، ومسؤولية النقد خير قيام، بل ينطلق في مضمار الدعوة إلى الله، وفي تبليغ رسالة الإسلام، وفي تقويم الاعوجاج والانحراف.... دون أن يأخذه في الله لومة لائم، ودون أن يصده عن إعلان كلمة الحق مستبد أو ظالم.؟!!

د- تنويع البرامج التي تستغل:

إن من طبيعة الفرد وفطرته أنه إذا داوم على عمل معين ولفترة محددة فإنه يمل من هذا العمل، فإذا داوم الفرد على الرياضة أو القراءة أو أي عمل كان، فإنه حتماً يمل منه ما لم يجدد النشاط أو يغيره.

وهذا ما كان السلف رضوان الله عليهم يفقهونه فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان "إذا كل من الكلام قال: هاتوا ديوان الشعراء"[1] وذلك لكي لا يمل من النصح والإرشاد، ولكي لا يصبح هذا العمل الصالح عبارة عن عادة وليس عبادة، وكذلك عكرمة رحمه الله قال: "إني لأخرج إلى السوق فأسمع الرجل يتكلم بالكلمة فيفتح لي خمسون باباً من العلم" [2]. وكان عكرمة رضي الله عنه مثالاً يقتدى به، فلقد كان يطلب العلم أربعين سنة ولكي لا يمل جعل لنفسه وقت ترفيه يخرج فيه للتنزه، أو لقضاء حاجته، لتغير الجو، حتى يعود إلى عمله مرة أخرى وكله حيوية ونشاط.كما أن المحدث شعبة رحمه الله تعالى كان "إذا ضجر من إملاء الحديث ينشد الأشعار"[3] وهكذا كان سلفنا الصالح رحمهم الله يعاملون أنفسهم ويرشدون غيرهم وينوعون البرامج حتى تكون دائمة الإنتاج من دون ملل وكلل.

---

(١) ابن جماعة، بدر الدين عبد العزيز بن محمد: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، الطبعة الثانية ص٧٩.

(٢)مصدر نفسه ،ص٧٩ .

(٣) المطوع، جاسم: الوقت عمار أو دمار، ج٢،دار الوفاء،مصر،الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م ص٨٢.

www.iqra.ahlamontada.com

٥- عوامل مساعدة على الاستفادة من الفراغ

إن هذه الحياة دار ابتلاء، وإن الفرد المسلم مطالب بأن ينجح في هذا الابتلاء مهما وجد إلى ذلك سبيلاً والشرط الأول لذلك أن يتمكن من الفهم العميق للقيم والأفكار، والظروف السائدة في العصر الذي نعيش، والفراغ الذي نملؤه، حيث إن ذلك وحده سيمهد أمامه السبيل لإعداد العدة المطلوبة لمواجهة مجمل التحديات، والصعوبات التي ستتعرض حركته اليومية.

ونظراً لوجود عوامل مساعدة وهائلة في مجال الاستفادة من مجالات الحياة لأشغالها فإن الفراغ سيجد نفسه دائماً قاصراً عن السيطرة على الإنسان، ولم يبق أمام الفرد إلا أن يتلمس الأطر الهامة، والخطوط العريضة التي تشكل حركية الفرد وملامحه، وتبرز قسماته.

١- الطاعات:

من ثمار الطاعة سلامة الروح من التمزق والصراع الداخلي والفراغ، والانقسام بين مختلف الغايات وشتى الاتجاهات، لقد اختصر الإسلام غايات الوجود الإنساني في غاية واحدة هي مرضاة الله تعالى، وركز اهتمامه في العمل على ما يرضيه سبحانه وتعالى، ولا يريح النفس الإنسانية شيء كما يريحها وحدة غايتها ووجهتها في الحياة، فتعرف من أين تبدأ وإلى أين تسير، ومع من تسير، ولا يُشقي الفرد شيء مثل تناقض غاياته، وتباين اتجاهاته، وتضارب نزعاته، فهو حيناً يشرق وحيناً يغرب، وتارة يتجه إلى اليمين، وطوراً يتجه إلى اليسار، ومرة يرضي زيداً فيغضب عمراً وأخرى يرضي عمراً فيغضب زيداً، وهو في كلتا الحالتين حائر بين رضا هذا وغضب ذاك.

إن من العوامل المساعدة الأساسية التي يمكن أن تساعد الفرد على الاستفادة من الفراغ الذي يتحكم فيه، أن يعرف الفرد كيف يقضي على فراغه ويملأ وقته بما فيه

www.iqra.ahlamontada.com

صالحه وصالح النـاس، ومـا أكثـر المجـالات الـتي يقضـي بهـا الفـرد وقتـه.فمـن هـذه المجالات:

بناء على ما سبق الحديث عنه أريد هنا أن أشير إليه أشارة لسبق الكلام عليها:

١- معرفة أهمية الوقت والفراغ.

٢- تلاوة القرآن الكريم.

٣- إتباع السنة.

٤- تذكر الموت.

٥- الزهد في الدنيا.

٦- الخوف من الله سبحانه وتعالى.

٧- صلة الأرحام.

الفرد بطبعه وتكوينه ميـال للاجتمـاع بـالآخرين والتعـاون معهـم وإنشـاء الصـلات الحميمة بهم وهذا ما شجعه الإسلام أيضـاً وقـد أنشـأ العلاقـات الاجتماعيـة الحميمـة والروابط الإيمانية القوية.

هذا وقد نظم وملأ الإسلام هذه الروابط تنظيماً دقيقاً، وهذّب العلاقـات ضـمن أُطـر تسعد الروح وتنعش الحياة، فقد حدد أنواع هذه الروابط وعدد الواجبات نحوها فجعل أول هذه الصلات مع أقرب الناس إلى الفرد.

١- الصلة مع الوالدين فأمر ببرهما وطاعتهما واحترامهما.

٢- الصلة مع الزوجين قائمة على الحب والاحترام المتبادل وأداء كـل منهمـا لواجباتـه تجاه زوجه واحترام حقوقه.

٣- الصلة بالأبناء وجعلها قائمة على الرعايـة والمحبـة والتربيـة مـع العطـف والحنـان والمساواة.

٤- الصلة بالأقارب والأرحام أمر بصلتهم وزيارتهم وتفقدهم وتقديم المساعدة لهم.

www.iqra.ahlamontada.com

٥- الصلة مع الأصحاب والأصدقاء.

٦- الصلة مع المجتمع الواسع[١].

إن حياتنا الإسلامية الاجتماعية تتكون من الأسر والعائلات فإذا تفككت عرى اتصال هذه الأسر والأفراد، وتحللت روابط تلك العائلات فقد ضاع القصد منها، وأصبح كل فرد منعزلاً عن الآخر يهيم على وجهة في الفيافي والقفار، لا يجد له ناصراً ولا يرى له معيناً، وحينئذٍ فلا تجد للحياة نظاماً، ولا للعيش سعادة.

ولهذا كانت صلة الرحم السبيل الأقوى إلى توطيد عرى المحبة، وتوثيق روابط الألفة والوئام، وملء الفراغ والحاجة إلى الاجتماع فمن تجرأ على قطع تلك العلائق وفَصْمِ هاتيك الصلات بين الأقارب، فقد اعتدى على النظام الإلهي ثم لا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً[٢].

- آثار صلة الرحم على ملء الفراغ عند الفرد:

١- السعادة في الحياة والأثر الجميل:

يقول الرسول (ﷺ): **«من سره أن ينسأ له في أثره ويوسع له في رزقه فليصل رحمه»**[٣].

وفي رواية:**«من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره، فليصل رحمه»**[٤].

---

(١) فاطمة، محمد خير: الآدب الإسلامية، للناشئة، دار الخير، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. ص٢٣٦، ٢٣٧ (بتصرف).

(٢)الدجوي، أحمد سعيد: فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، تحقيق عبد الرحيم مارديني، مكتبة دار المحبة. الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م ص ١٢٤ (بتصرف).

(٣)الزبيدي، محمد بن محمد الحسني: إتحاف السادة المتقين، مصدر سابق، ج٦، حاشية ص٣١١.

(٤)البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق البغا، مصدر سابق، ج٢ ص٦٧٦ رقم الحديث (١٩٦١).

www.iqra.ahlamontada.com

٢- إعمار الديار وزيادة الأعمار:

يقول الرسول (ﷺ): «**صلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يعمرن الديار ويزدن في الأعمار**»[١].

تزيد في العمل، وتبارك في الرزق:

يقول الرسول (ﷺ): «**إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجاراً فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم إذا تواصلوا** »[٢].

وفي رواية أخرى: «**إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونوا فجاراً فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون**».

فصلة الرحم تكون بالزيارة والعطف، والسؤال عن الأقارب، والكتابة إليهم للاستفسار عنهم إذا كانوا في جهة بعيدة، وتذكرهم في الأعياد والمواسم، وإرسال بعض الهدايا لهم، ومساعدتهم عند الحاجة، فهي واجبة، وثوابها كثير عند الله، وقد قيل لرسول الله (ﷺ): أي الناس أفضل؟ قال: «**اتقاهم لله، وأوصلهم لرحمه، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر**»[٣].

ب- مزاحمة العلماء:

قال لقمان الحكيم: (يابني، إزحم العلماء بركبتيك، ولا تجادلهم فيمقتوك. وخذ من الدنيا بلاغك، وأنفق فضول كسبك لآخرتك، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالاً، وعلى أعناق الرجال كَلا، وصم يوماً يكسر شهوتك، ولا تصم يوماً يضر

---

(١)الهندي، تقي الدين بن حسام الدين:كنز العمال، مصدر سابق، ح٣ص٣٥٦ رقم الحديث (٦٩١٠).

(٢)السيوطي،عبد الرحمن: جامع الأحاديث،ج٤، مصدر سابق،ص١٠٠،رقم الحديث (١٣٤٩٦)وهو حديث حسن. - وفي كنز العمال ح ٣، مصدر سابق، ص ٣٦٤،رقم الحديث (٦٧٥٩)
- الهندي، تقي الدين بن حسام الدين،كنز العمال،ح٣، مصدر سابق،ص٣٦٤ رقم الحديث(٦٩٥٧) و (٦٩٥٨)

(٣) الغزالي،أبو حامد محمد: إحياء علوم الدين،ح٤، مصدر سابق، ص٥٥.

www.iqra.ahlamontada.com

بصلواتك فإن الصلاة أفضل من الصوم. وكن كالأب لليتيم، وكالزوج للأرملة، ولا تحاب القريب ولا تجالس السفيه، ولا تخالط ذا الوجهين البتة) [1].

وقال الرشيد: وهو يعهد إلى سيبويه بتأديب ابنه المأمون، وإلى الأحمر (علي بن الحسن[2] بتأديب ابنه الأمين، ومن وصيته التي يجب على العلماء والمربين أن يتخذوها نبراساً لهم في تربية أبنائهم ما يأتي: يا أحمر، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين. أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، ورروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، وخذه بتعظيم بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تمرن ساعة بك إلا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده إياها، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة".

لسنا في حاجة إلى أن نذكر ثمرات العلم والتعليم، ومضار الجهل والأمية، فمن المحال أن ترقى أمة من الأمم إلا بتعميم التعليم، ولا وسيلة لإنقاذ الفرد والجماعة من شر الجهل والرذيلة والفراغ إلا بالعلم.

وإذا المعارف أشرقت في أمة نالت أمانيها بغير توان

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾[3].

---

(١) الجاحظ، عمر بن محمد: البيان والتبين، ح٢،دار الكتب العلمية، بيروت، د.ر،د،ت،ص٧٥

(٢) علي بن الحسن (أو المبارك) المعروف بالأحمر (٠٠٠-١٩٤هـ = ٠٠٠-٨١٠ م) مؤدب المأمون العباسي وشيخ النحاة في عصره، كان في صباه جندياً من رجال النوبة على باب الرشيد، وأخذ العربية عن الكسائي، فنبغ وأوصله الكسائي إلى الرشيد، فعهد الرشيد إليه بتأديب أبنائه.

- الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، مرجع سابق، ص ٢٧١.

(٣) سورة فاطر:الآية (٢٨)

www.iqra.ahlamontada.com

وقال رسول الله (ﷺ): «**من سلك طريقاً يلتمس[1] فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة**[2]».

فالذي يتعلم تاركاً متع الدنيا مالئاً لوقته أو مهاجراً من بلده، مسافراً لطلب العلم أو مجاهداً فيه ييسر الله له السبيل إلى سعادة الدنيا وجنة الآخرة فبعلم الحق تعرف رجاحة العقل، وإضاءة الفكر، وتفهم حقائق الأمور، والأخذ بأحسن الأعمال والعادات، والتحلي بأكمل الأخلاق، ويعتاد التفكير العميق، ويقوده إلى الابتكار والاختراع، والنظر والاعتبار بالكائنات والمخلوقات وتغير الأيام وتبدل السنين.

وقال النبي (ﷺ): «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجاذب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعَلَّمَ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلتُ به**»[3].

وقد وصف الغزالي منزلة العلم والعمل في قوله:[4] "فمن علم وعمل بما علم فهو الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماء، فكأنه كالشمس تضيء لغيرها هي مضيئة في نفسها، وكالمسك الذي يطيب عبيره وهو طيب، ومن اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً، وخطراً جسيماً، وليحفظ آدابه ووظائفه ". وقد اعترف الشاعر أحمد شوقي[5] في تفضل العلماء فقال:

---

(١) يطلب.

(٢) ابن ماجه، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، ح١، مصدر سابق، ص٨١ رقم الحديث (٢٢٣)

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق البغا، مصدر سابق، ح١ ص٤١ رقم الحديث (٧٩)

(٤) الغزالي، محمد: إحياء علوم الدين، ج١، مصدر سابق، ص٥٢

(٥) أحمد شوقي: ولد (١٨٦٨م) في أسرة ذات جاه وثراء، تعلم الحقوق وأرسل إلى باريس حيث درس الأدب الفرنسي، عمل مع الأسرة المالكة، نفاه الإنكليز إلى إسبانية، وبقي هناك أكثر من خمس سنوات، عاد بعد=

www.iqra.ahlamontada.com

قــــم للمعلـــــم وفـــــه التبجـــــيلا　　　　كـــاد المعلـــم أن يكـــون رســـولا

أقف هنا ناصحاً ومقدماً بعض الواجبات على كـل طالـب علـم أن يجعلـها نصـب عينيه دائماً:

١- أن يبدأ بتطهير قلبه من الرذائل والمعاصي.

٢- أن يبدأ بتجميل روحه بالفضيلة، والقرب من الله.

٣- أن يثابر على تحصيل العلم.

٤- أن يحترم أساتذته ويبجلهم، ويوقرهم لله، ويعمل على إرضائهم بكل وسيلة.

٥- الجد والدأب في الدرس، ووصل الليل بالنهار في إحـراز المعرفـة، بتحصـيل الأهـم من العلوم.

٦- أن يواظب على الدرس والتكرار في أول الليل وآخره. فإن ما بين المساء ووقت السحر مبارك.

يـــا طالـــب العلـــم باشـــر الورعـــا　　　　وأتـــرك لـــه النـــوم وأتـــرك الشـــبعا

- أن يوطن نفسه على التعلم إلى آخر العمر، وألا يستهين بشيء من العلوم، بل يجعل لكل واحد منها حظه الذي يستحقه.

٣- الهمة العالية:

العبرة بأربعة أشياء "صحة العقيدة، صحة النيـة ، علـو الهمـة، تجـرد القصـد" يقـول الغزالي: (فالكيس يقطع من المسافة بصحة العزيمـة وعلـو الهمـة، وتجريـد القصـد، وصحة النية مع العمل القليل أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ مـن ذلـك، مـع التعـب الكثير، والسفر الشاق، فإن العزيمة والمحبـة تـذهب المشـقة وتطيـب المسـير: والتقـدم،

=الحرب العالمية وكان أقرب الشعور إلى الشعب ومشكلاته،وعد نفسه شاعر الإسلام والعروبة توفي عام ١٩٣٢م تاركاً لأدب العربي ثروة شعرية لا تقدر بثمن.

- طلفاح، خير الله: كنتم خير أمة أخرجت للناس (أولئك آبائي) دار الكتاب العربي، بـيروت، الطبعـة الخامسة، ١٩٧٥م -١٣٩٥هـ ص٨٤٢ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

والسبق إلى الله سبحانه إنما هو بالهمم وصدق العزيمة، فيتقدم صاحب الهمة مع سكون صاحب العمل الكثير بمراحل، فإن ساواه في همته تقدم عليه بعمله) [1].

إن همة الفرد على حسب ما أهمه، وعلوها على حسب مطلبها في الحياة. لذة كل أحد على حسب قدره وهمته وشرف نفسه، فأشرف الناس نفساً وأعلاهم همة وأرفعهم قدراً من لذتهم في معرفة الله ومحبته والشوق إلى لقائه، والتودد إليه بما يحبه ويرضاه[2].

هذه الأمور لا يفعلها إلا الفرد الهمام، لأنها تحتاج إلى عمل جاد ومتواصل لكي يصل إلى مطلبه ومناه من محبة الله والشوق إليه.

وأما إن كان الفرد خسيس الهمة، فإن همته لا تدفعه إلى استغلال وقته وفراغه بما ينفع، بل ترديه في الشهوات والملذات، ولقد وضح أمامنا حال خسيس الهمة بمثال - حيث قال ابن الجوزي:

"هب أن الكلب قال للأسد: يا سيد السباع، غير اسمي فإنه قبيح، فقال له: أنت خائن لا يصلح لك غير هذا الاسم، قال: فجربني، فأعطاه شقة لحم، وقال أحفظ لي هذه إلى غد وأنا أغير اسمك، فجاع وجعل ينظر إلى اللحم ويصبر، فلما غلبته نفسه قال: وأي شيء باسمي؟؟ وما كلب إلا اسم حسن مأكل". ثم يعلق ابن الجوزي قائلاً: "وهكذا خسيس الهمة، القنوع بأقل المنازل المختار عاجل الهوى على آجل الفضائل...فالله في حريق الهوى (والفراغ) إذا ثار وانظر كيف تطفئه"[3].

فإن حريق الفراغ والهوى إن وجد يبعد الفرد عن طريق الحق، ويشغل صاحبه بما لا ينفع وخصوصاً إذا عبد الهوى من دون الله ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [4].

---

(١) الغزالي،أبو حامد محمد:إحياء علوم الدين،ح١،مصدر سابق، ص١٣١ .

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: الفوائد، مصدر سابق، الطبعة الثانية، ص.١٥٠.

(٣) ابن الجوزي، عبد الرحمن: صيد الخاطر،مصدر سابق، طبعة بيروت،الطبعة الثانية، ص ١٨٨

(٤) سورة الجاثية: الآية (٢٣)

www.iqra.ahlamontada.com

فإن من يتخذ إلهه هواه فإنه لاشك في أن يصرف العابد كل ما يملك من وقت ونفس ومال في سبيل إرضاء معبوده وإلهه.

أما الفرد الهمام فإنه ينبغي له أن يملأ فراغه ويحرق هواه، حتى تعلو همته أكثر وترتفع عن المستوى البهيمي في التفكير والتحرك، ويسخر همته في سبيل مرضاة ربه وخالقه ومعبوده سبحانه وتعالى.

د - المطالعة والقراءة :

إن المطالعة مصرف عظيم من مصارف استغلال الفراغ، لنا آثرنا بعض الإسهاب في الحديث والكتابة بموضوعها لأهميتها وفوائدها وكيف كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم – يقرؤون الكتب بالإضافة إلى توضيح المسائل الابتكارية.ويعلمون كيفية الاستفادة والاستغلال من الفراغ:

١- أهمية القراءة:

أ- العلم قبل العمل:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[(١)].

فالمولى سبحانه وضح لنا أهمية العلم قبل العمل، وأمر عباده بالعلم أولاً، ثم العمل ثانياً ليتحرك الفرد بعلمه على بصيرة ومعرفة، وعلى وضوح حتى لا يتخبط في ظلمات الجهل، لهذا قيل "العلم بلا عمل كالشجرة بلا ثمر"[(٢)] وقد سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكثر من كتابة الحديث وطلبه أيسوغ له ذلك ؟ فقال: "ينبغي أن يكثر العمل به على قدر زيادته في الطلب"[(٣)]. وهنا يبين الإمام أحمد أهمية القراءة وذلك بأن يعمل الفرد بما يقرأ ولهذا قال بعض السلف: "كنا نستعين

---

(١)سورة محمد: الآية (١٩)

(٢)ابن تيمية، أحمد بن عبد الرحمن:مجموعة الفتاوي،ج٢، مصدر سابق، ص١٣.

(٣)أبو غدة، عبد الفتاح: قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق، ص٩٤-٩٥.

www.iqra.ahlamontada.com

على حفظ العلم بالعمل له، فترك العمل بالعلم من أقوى الأسباب في ذهابه ونسيانه"(١).

"ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه"(٢).

فهذه هي فوائد القراءة، فكلما ازداد الفرد من قراءته وإطلاعه وتثقيف فكره، وملء فراغه فإنه سوف يكثر علمه ويزداد عمله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾(٣).

ب- القاعدة الفكرية:

المطالعة هي من الضرورة بمكان، حيث يستطيع الفرد من خلالها أن يرد على الشبهات الباطلة، ويفند الآراء الزائفة، وأما من لا يملك مثل هذه القاعدة الفكرية التي تؤهله للانطلاق إلى سماء المعارف الربانية وغيرها، فإنه يعرض نفسه إلى الضلال والضياع والفراغ. قال تعالى:﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ﴾(٤).

أي فأما من كان في قلبه ميل عن الهدى إلى الضلال فيتبع المتشابه منه (٥). ولا يتبع الفرد الضلال إلا لقلة قراءته وإطلاعه وجهله، وأما من كثف المطالعة وحرص على المتابعة وعلى المصادر الصحيحة فإنه حتماً تتكون لديه قاعدة يستطيع أن ينطلق من خلالها، ومن خلال الثقافة التي كونها إلى ملء الفراغ وغذاء الروح والنفس كما قال قدماء المصريين "الكتب غذاء النفوس".

---

(١)ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة،ج١، مصدر سابق،الطبعة الأولى، ١٩٨٢، ص١٢٨.

(٢)المصدر نفسه: ص ٢٠٩

(٣)سورة فاطر: الآية (٢٨)

(٤) سورة آل عمران:الآية (٧)

(٥) الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير،ج١، مصدر سابق، الطبعة الثانية، ص١٨٤ .

www.iqra.ahlamontada.com

ح- الثروة الفكرية قوة للشخصية:

إن كثرة المطالعة والقراءة في الكتب المختلفة، تجعل المجتمع ينظر إليه نظرة إكبار وتقدير. كما قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله وهو يتكلم عن شيخه حماد بن مسلم الأشعري، حيث يقول:

"ما مددت رجلي نحو داره وإن بيني وبينه سبع سكك" [1] وكان كذلك عبد الغني رحمه الله إذا ذكر الدار قطني قال: "أستاذي"[2] وكان عبد الغني إمام زمانه في الحديث.

وقال أبو عثمان المازني: "رأيت الأصمعي وقد جاء إلى حلقة أبي زيد" كان من أئمة الأدب فقبل رأسه وجلس بين يديه وقال: "أنت رئيسنا وسيدنا منذ خمسين سنة"[3].

فما بلغ علماء السلف هذه المنزلة من الاحترام والتقدير وقوة الشخصية إلا بسبب علمهم وكثرة إطلاعه

د- القدرة على التحليل والنقد السليم وإبداء الرأي:

المطالعة والقراءة المستمرة والنظر في بطون الكتب تعطي صاحبها القدرة على التحليل وإبداء الرأي السليم.. وإذا نقد فبعين بصيرة. وهذا ما حدث مع الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى.

ج- اعتياد المساجد:

إن اعتياد المسجد من أكبر الأدلة على أن قلب المعتاد منعم بالإيمان سواء أقامه وعمره بتلاوة القرآن أو بالاعتكاف أو المحافظة على الصلوات أو بحضور محاضرة

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر: الأمثال،مصدر سابق،الطبعة الأولى،١٩٨١، ص٩٠ .

(٢) ابن جماعة، بدر الدين عبد العزيز بن محمد: تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق، ص٨٩ .

(٣) ابن خلكان،أحمد بن محمد: وفيات الأعيان،ج٢، مصدر سابق، ص٣٧٩ .

- ابن حجر: أحمد بن علي: الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان،مطبعة دار الكتب العربية الكبرى،القاهرة، الطبعة الأولى،١٩٠٨،ص٦٣

www.iqra.ahlamontada.com

أو سماع درس، وهكذا يستغل فراغه ويتنوع في استغلاله: ولقد قيل: (قعودي في هذا المسجد ساعة أحب إلي من أن أكون ملك العراقيين) [1].

ولقد كان الأعمش رحمه الله بلغ من العمر سبعين سنة، ولم تفته التكبيرة الأولى (ويقول الراوي) اختلفت إليه أكثر من سبعين سنة فما رأيته يقضي ركعة [2] لأنهم رحمهم الله كانوا حريصين على عمارة المسجد، والتزود منه للدار الآخرة لأن الله تعالى يقول:

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [3].

فكل هذه الصفات نعتها الله عمن استغل فراغه في عمارة بيته فهو كما أخبر سبحانه تعالى بأنه مؤمن وأنه مقيم الصلاة ومؤتي الزكاة وأنه يخشى الله وأنه من المهتدين فما يريد الفرد بعد كل هذه الصفات سوى أن يستفيد من عمره وفراغه في عمارة المسجد وهذه المعاني، عرفها الإمام الجليل البخاري رحمه الله تعالى وذلك لأنه كان يردد دائماً:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع ... فعسى أن يكون موتك بغتة

كم صحيح رأيت من غير سقم ... ذهبت نفسه الصحيحة فلتة [4]

ولقد كان المسجد في عهد رسول الله والخلفاء الراشدين هو منطلق الجيوش، وهو محل إشعاع العلم والمعرفة وهو مكان إصدار التوجيهات والأوامر والحدود، فكان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم مديمي الاشتغال فيه وهكذا يجب على الفرد والجماعة

---

(١)ابن خلكان:أحمد بن محمد: وفيات الأعيان،ج٢،تحقيق إحسان عباس،دار صادر،بيروت،الطبعة الثانية، د، ت،ص٤٠١.

(٢)سورة التوبة:الآية (١٨).

(٣) سورة التوبة: الآية (١٨).

(٤) السبكي، تقي الدين: طبقات الشافعية الكبرى،ج٢، مصدر سابق،ص ١٥.

www.iqra.ahlamontada.com

استغلال فراغهم في إعمار المساجد بالأعمال لتي تعود على الفرد والمجتمع بالخير واليمن والإنتاج.

د – التعاون:

الإسلام دينٌ ينظم الحياة، دعا إلى تعاون الأفراد والمجتمع وحث عليه، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾(١).

وجعله يشمل كل تعاون في الخير معنوياً كان أو مادياً فيشمل التزاور والإقراض وصلة الأرحام وإغاثة المكروب، ومساعدة المحتاج، ورعاية من تعوزهم الرعاية، وإعطاء المعوزين، وإنقاذ المصابين، وسداد المدينين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنشاء الشركات وتنمية المال مع الجماعة والمشاركات وغير ذلك مما يساعد على التكافل مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(٢).

وقد قال (ﷺ) في تعاون المسلم: «**....ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**»(٣).

---

(١) سورة المائدة: الآية (٢).

(٢) سورة البقرة:الآية (١٧٦).

(٣) الترمذي، محمد بن عسى، سنن الإمام الترمذي،ج٤، مصدر سابق، ص ٣٤– ٣٥ رقم الحديث(١٤٢٦) جزء من حديث.

www.iqra.ahlamontada.com

وقال (ﷺ): «**الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»[1].

ولما كان التعاون يؤدي إلى تماسك الأمة ويقوي تكاملها وتساندها ويملأ فراغها ويقضي على شتاتها وفرقتها وحيرتها كان لابد أن يشمل جميع الميادين، وأن يكون في كل شكل من أشكال الحياة، شريطة أن لا يتعارض مع أوامر الله ونواهيه، وأن لا يكون في المنكر والإثم والعصيان، وسواء شمل الجمعيات، أو الروابط أو المشروعات أو البرامج التربوية وغيرها...

والتعاون والتضامن بين الفرد والمجتمع. يقوم على دعامتين:

إحداهما: التعاون الأدبي فيتحقق من خلال قوتين، قوة تعرف الخير والفضيلة وتدعو إليهما بصدق وإخلاص قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[2].

وقوة تستمع وتتقبل بقلوب مطمئنة وصدور منشرحة وألسنة شاكرة وجوارح عاملة: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[3].

بتفاعل القوتين تقوى روح التعاون الجماعية بين أفراد المجتمع المسلم.

ثانيهما: التعاون المادي فأساسه سد حاجة المجتمع، وتفريج كرب المكروبين، والمعونة في تحقيق المصالح العامة التي تنهض بحياة الفرد والجماعة ويعم خيرها الكل على حد سواء.

---

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٤، رقم الحديث (١٤٢٥) جزء من حديث.

(٢)سورة آل عمران: الآية (١١٠)

(٣)سورة الزمر: آية (١٨)

www.iqra.ahlamontada.com

ح – حسن انتقاء الأصدقاء:

يميل الفرد بفطرته، إلى محبة الأصدقاء والانخراط في جو من الصداقة، فيجب على الفرد أن يحذر أصدقاء السوء أو الشباب الضائع الفارغ، لا هَم لهم إلا العبث وضياع الوقت وقتل الفراغ (بل قتل الحياة) دونما هدف صالح من الحياة، وقد أوصانا رسول الله (ﷺ) بذلك وحذرنا القرآن من قرين السوء أجراه على لسان أحد أهل الجنة يوم القيامة، قال تعالى:

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ۝ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[1]

إذ لابد أن نحذر أصدقاء السوء وأن نختار مجالس الصالحين، والرفقة المؤمنة، والأتراب والأنداد الذين ربو تربيةً صالحة عن أبي سعيد الخدري (ﷺ) أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[2].

فلا بد من أشغال أوقات الفراغ. بما يرضي الله تعالى، ويربي النفوس ونحذر مما يدنس نفوسنا أو يضيع أوقاتنا في غير طاعة أو فائدة علمية أو كسب دنيوي حلال. ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

---

(١)سورة الصافات: الآية(٥٠-٥٧)

(٢)الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي،ج٤، مصدر سابق، ص٦٠١ رقم الحديث (٢٣٩٥) وقال:حديث حسن

(٣)سورة النساء: الآية ١١٤

www.iqra.ahlamontada.com

أخبرنا رسول الله (ﷺ) حال أصدقاء السوء وأصدقاء الصلاح فعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه)أن النبي (ﷺ) قال: «**إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً نتنة**» [1].

٦- الصالحون يربون أبناءهم على استغلال الفراغ

كان الصالحون يحذرون من تضيع نعمة الفراغ قال الفضيل بن عياض [2]رحمه الله: "أعرف من يعدُّ كلامه من الجمعة إلى الجمعة"[3] ودخلوا على رجل من السلف الصالح، فقالوا: لعلنا شغلناك: فقال: أصدقكم، كنت أقرأ فتركت القراءة لأجلكم [4]!.

وجاء عابد إلى السري السقطي، فرأى عنده جماعة، فقال:صرت مُناخ البطالين! ثم مضى ولم يجلس. وقد كان جماعة قعدوا عند معروف الكرخي، فأطالوا، فقال:إن ملك الشمس لا يغتر عن سوقها، فمتى تريدون القيام؟!.

فقد كان جماعة من السلف يحفظون اللحظات، وكان داود الطائي يستفُ الفتيت، ويقول: بين سف الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية.

وكان عثمان الباقلاوي دائم الذكر لله تعالى، فقال إني وقت الإفطار أحس بروحي كأنها تخرج! لأجل اشتغالي بالأكل عن الذكر. وأوصى بعض السلف أصحابه فقال: إذا

---

(١)متفق عليه – عند البخاري، محمد بن إسماعيل:صحيح البخاري، تحقيق البغا، مصدر سابق، ح٢ ص٦٨٩ رقم الحديث (١٩٩٥).

(٢) الفضيل بن عياض: (١٠٥-١٨٧هـ =٧٢٣-٨٠٣م) ابن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي: شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصلحاء كان ثقةفي الحديث، أخذ عن خلق منهم الإمام الشافعي، ولد في سمرقند ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير وأصله منها: ثم سكن مكة وتوفي بها من كلامه " من عرف الناس استراح " – الزركلي، خير الدين: الأعلام،ج٥، مرجع سابق،ص١٥٣.

(٣) أبو غدة، عبد الفتاح: قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق، ص٥٩ – ٦٠.

(٤) المرجع نفسه ص٦١.

www.iqra.ahlamontada.com

خرجتم من عندي فتفرقوا، لعل أحدكم يقرأ القرآن في طريقه، ومتى أجتمعتم تحدثتم[1].

- ما يساعد على اغتنام الفراغ:

١- تنظيم الأعمال:

قال الحافظ الذهبي[2]: في ترجمة الإمام ابن سُكينة مد الله له في العمر حتى حدث بجميع مروياته مراراً، وقصده طلاب العلم من سائر الأقطار، وكانت أوقاته محفوظة، وكلماته معدودة، فلا تمضي له ساعة إلا في قراءة قرآن أو ذكر، أو تهجد، أو قراءة الناس عليه، وكان يمنع الناس من التحديث في مجلسه بلغو أو غيبة إنسان أو ما لا فائدة فيه، لا يخرج من بيته إلا لحضور جمعة أو عيد أو جنازة، ولا يحضر دُور أبناء الدنيا في هناء ولا عزاء.

وقال بهاء الدين القاسم: كان أبي (ابن عساكر) رحمه الله مواظباً على الجماعة والتلاوة، يختم كل جمعة، ويختم في رمضان كل يوم، ويعتكف في المنارة الشرقية ـ من جامع دمشق ـ وكان كثير النوافل والأذكار، ويحيي ليلة النصف ـ من شعبان ـ والعيدين بالصلاة والذكر، وكان يحاسب نفسه على كل لحظة تذهب! لم يشتغل منذ أربعين سنة أي منذ أذن له شيوخه بالرواية والتحديث. إلا بالجمع والتسميع حتى في نزهته وخلواته.

ثم قال أبو المواهب: لم أر مثله، ولا من اجتمع فيه ما اجتمع فيه، من لزوم طريقة واحدة مدة أربعين سنة، من لزوم الصلوات في الصف الأول إلا من عذر، والاعتكاف في شهر رمضان وعشر ذي الحجة، وعدم التطلع إلى تحصيل الملاك وبناء الدور، قد أسقط ذلك عن نفسه، وأعرض عن طلب المناصب من الإمامة والخطابة، وأباها بعد أن

---

(١) المرجع نفسه ص ٦٢.

(٢) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء ج٢١، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص٥٠٢ – ٥٠٥ (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

عرضت عليه، وأخذ نفسه بالأمر المعروف والنهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم[1].

٢- الابتعاد عن المجالس الفارغة الخاوية:

قال يحيى بن القاسم مدرس النظامية: كان ابن سكينة عالماً عاملاً، لا يضيع شيئاً من وقته وكنا إذا دخلنا عليه يقول: لا تزيدوا على (سلامٌ عليكم) مسألة، لكثرة حرصه على المباحثة وتقرير الأحكام. وممن حافظوا على الاستفادة من الوقت والفراغ بشكل عجيب، وحال لا يخطر على بال: الإمام ابن تيمية الجد: مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الحنبلي ـ كان إذا دخل الخلاء يقول (عبد الرحمن بن عبد الحليم بن تيمية عن أبيه): اقرأ في هذا الكتاب، وأرفع صوتك حتى أسمع ـ يشير بذلك إلى قوة حرصه على العلم وحصوله، وحفظه لأوقاته [2].

إن شرف معرفة الفراغ وقيمته لا يعرفه إلا الموفقون، ولقد شاهدت ناساً كثيراً لا يعرفون معنى الحياة، فمنهم من أكرمه الله عن العمل والتكسب بكثرة ماله، فهو يقعد في السوق أكثر النهار يشاهد الناس، وكم تمر به من آفة ومنكر ومعصية، ومنهم من يخلو بلعب الطاولة "النرد" أو الشطرنج، ومنهم من يقطع الزمان بحكاية الحوادث والأحداث والمناخ والسلاطين والغلاء والرخص إلى غير ذلك، فعلمت أن الله لم ينعم عليهم بمعرفة شرف العمر ومعرفة قدر الفراغ وأوقات العافية.

وقال أبو بكر بن دُرَيد [3]:

---

(١) أبو غدة، عبد الفتاح: قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق، ص ص٩٦، ٩٧.

(٢) أبو غدة، عبد الفتاح: قيمة الزمن عند العلماء، مرجع سابق، ص٦٧ – ٦٨ .

(٣) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: أبو بكر من أئمة اللغة والأدب، كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. وهو صاحب المقصورة الدريدية – (٢٢٣-٣٣١هـ =٨٣٨-٩٣٣م) ولد في البصرة وجاب البلاد، عُمان وفارس وغيرها،وله الاشتقاق في الأنساب، المقصود والمحدود، والجمهرة، – الزركلي، خير الدين، الأعلام،ج٦، مرجع سابق، ص٨٠ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

النـــــاس مثــــــلُ زمانـــــــهم　　قـــد الحـــذاءِ علـــى مِثَالِـــهْ

ورجـــــالُ دهــــرك مثـــل دهـــــ　　ــــــرك في تقلبـــــهِ وحالـــــه

وكــــــذا إذا فســــد الزمــــــا　　ن جــرى الفســاد علــى رجالــهِ[1]

إذا أراد الله بالفرد خيراً: أعانه بالوقت والفراغ، وجعل وقته وفراغه مساعداً له، وإذا أراد به شراً: جعل وقته وفراغه عليه، وناكره وقته وزمانه وفراغه، وكلما أراد التأهب للعمل: لم يساعده حاله والأول: كلما همت نفسه بالقعود أمامه الوقت والفراغ وساعده الوقت والفراغ للعمل والتحصيل، فكن حِلْفَ عَمَلٍ لا حلف بطالةٍ وبَطَر، وحلس معمل لا حِلْس تلةّ وسمر، فالحفظ على الوقت، بالجد والاجتهاد، وملازمة الطلب، ومُثافَنةَ الأشياخ، والاشتغال بالطاعة والعلم، لاسيما في أوقات شرخ الشباب، ومقتبل العمر، ومعدن العافية، فاغتنم هذه الفرصة الغالية، لتنال رتب الصلاح والعلم العالية، فإنها "وقت جمع القلب، واجتماع الفكر" لقلة الشواغل والصوارف عن التزامات الحياة والترؤس، ولخفة الظهر والعيال:

مـــا للمعيـــل وللعـــوالي إنمـــا　　يســعى إلـيهن الغريــد الغــارد

والحذر كل الحذر من التسويف على النفس، فلا تسوف لنفسك بعد الفراغ من كذا، وبعد (التقاعد) من العمل هذا... وهكذا، بل البدار قبل أن يصدق عليك قول أبي الضمان القيني [2]:

جنـــتني جانيـــات الـــدهر حتـــى　　كـــأني خاتـــل أدنـــو لصـــيد

قصــير الخطــو يحســب مــن رآنــي　　ولســـت مقيـــداً أنـــي بقيـــد

---

(١) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، أديب الدنيا والدين، تحقيق مصطفى السقا، بلا دار نشـر، الطبعة الثالثة، بلا تاريخ، ص١٣٥.

(٢) الأقبيل القيني: (...- نحو ٨٥هـ) =(......-٧٠٤م) ابن خنف من بني القين بن جسر، من قضاعة: شاعر إسلامي، قال الأيدي: له قصائد جياد ومقطعات في أشعار بني القين، صرعته ناقته في بعض أسفاره فمات، وكان أسود اللون - الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، مرجع سابق، ص٦.

www.iqra.ahlamontada.com

وقال أسامة بن منقذ [1]:

مع الثمانين عاث الضعف في جسدي وسادني ضعف رجلي واضطراب

إذا كتبت فخطي خط مضطرب كخط مرتعش الكفين مرتعد

فأعجب لضعف يدي عن حملها من بعد حمل القنا في كبة الأسد

فقل لمن يتمنى طول مدته هذي عواقب طول العمر

فإن أعملنا البدار، فهذا شاهدٌ منا على أننا نحمل كبر الهمة في العلم والعمل.

إذاً كان الصالحون المربون على مر الأيام يهتمون بقضية التربية على استغلال الفراغ بل كان كل همهم أن يوجهوا أبناءهم وتلاميذهم ومريديهم عليه حتى بلغ المقام بابن القيم رحمه الله على أن يتفنن في علاج مسألة الوقت لكي يشوق المتربين على أهميتها حيث قال: "السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة"[2].

كل ذلك من أجل أن يستغل الفرد فراغه وعمره ووقته لكي لا يضيع أي نفس من غير فائدة فيتحسر عليها يوم القيامة.

٧- أقسام السائرين إلى الله بحسب استغلال الفراغ

جعل الله سبحانه العلم حاكماً للفرد، والحق قائداً له وإليه، أن الدنيا إذا وصلت فتبعات موبقة، وإذا فارقت ففجعات محرقة وليس لوصلها دوام، ولا من فراقها بد،

---

(١) أسامة بن منقذ (١٠٩٥-١١٨٨) أمير من بني منقذ أصحاب قلعة شيزر (شمالي حماة) ولد في شيزر وتوفي في دمشق، أديب ومؤرخ من فرسان العرب اشتهر بمعاركه مع الصليبيين، من مؤلفاته: كتاب الاعتبار، والبديع ولباب الأدب. - مجموعة من المؤلفين، المنجد، مرجع سابق ص ٨.

- أبو زيد، بكر بن عبد الله:حليه طالب العلم، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثالثة، ص ص ٦٢- ٦٣ (بتصرف)

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر : الفوائد ، مصدر سابق، ص١٦٤.

www.iqra.ahlamontada.com

فَرُوضْ النفس على قطيعتها، لتسلم من تبعاتها، وعلى فراقها، لتأمن فجعاتها، فقد قيل: (المرء مقترض من عمره المنقرض، مع أن العمر وإن طال قصير، والفراغ وإن تم يسير) [1]. وقال علي بن محمد[2] رحمه الله تعالى:

إذا كَملَتْ للمرء ستونَ حجَّةً ... فلم يحظَ من ستينَ إلا بسُدْسِها

ألم ترأن النصف بالليل حاصلٌ ... وتذهبُ أو قات المقيل بخمسها

فتأخذُ أوقاتُ الهموم بحصَّة ... وأوقات أوجاعٍ تُميتُ بمسِّها

فحاصل ما يبقى له سُدْسُ عمرِه ... إذا صدقته النفس عن عَلَم

وقال بعض السلف: "شتان بين أقوام موتى تحيا القلوب بذكرهم، وبين أقوام أحياء تموت القلوب بمخالطتهم"[3]. والموتى الذين تحيى القلوب بذكرهم بسبب ما خلدوه من ثروة ثقافية معرفية أو علمية سلوكية وذلك من حسن استغلال فراغهم حتى يسمى الرجل منهم "برجل الحقائق" في هذه الحالة كما قال أحد الفضلاء حين مر بقبر عبد الله بن المبارك[4] رحمه الله.

مررت بقبر ابن المبارك غدوة ... فأوسعني وعظاً وليس بناطق

وقد كنت بالعلم الذي في جوانحي ... غنياً وبالشيب الذي في مفارقي

---

(١) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، أدب الدنيا والدين، مصدر سابق، ص ١١٤.

(٢) علي بن محمد، أبو الفتح (ت٣٦٦هـ /٩٧٧م) شاعر، ابن السابق، لقب بذي الكفايتين، (السيف والقلم) وزير ركن الدولة ومؤيد الدولة دست علي الدسائس فعذب ومات سجيناً. - مجموعة من المؤلفين، المنجد، مرجع سابق، ص١٢. - الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، أدب الدنيا والدين، مصدر سابق، ص ١١٤

(٣) ابن قيم الجوزية،محمد بن أبي بكر: زاد المهاجر إلى ربه، دار المدني،جدة، ١٩٨٦،ص٥٨

(٤) عبد الله بن المبارك (١١٨-١٨١هـ) (٧٣٦-٧٩٧م) ابن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن: الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاج صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجاً ومجاهداً وتاجراً، وجمع الحديث والفقه والعربية، وكان من سكان ومات بهيت منصرف عن غزو الروم وله كتاب الجهاد، وهو أول من صنف فيه - الزركلي، خير الدين: الأعلام،ج٤، مرجع سابق، ص١١٥(بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

ولكـــن أرى الـــذكرى تنبّـــه عاقـــلاً إذا هي جاءت من رجال الحقائق[1]

فهؤلاء هم السائرون الذين تحيا القلوب بذكرهم.... وأما من لم يعرف كيف يستغل وقته وأهدر لحظات حياته بكثرة الكلام والطعام والمنام وباع آخرته بدنياه وآثر العاجلة على الآجلة فهو الذي تموت القلوب بمخالطته....

وقد قسم بعض السلف السائرين إلى الله أربعة أقسام:

١- أصحاب السوابق.

٢- وأصحاب العواقب.

٣- وأصحاب الوقت.

٤- وأصحاب الحق.

١ - أصحاب السوابق:

فقلوبهم أبداً فيما سبق لهم مـن الله، لعلمهـم أن الحكـم الأزلـي لا يـتغير باكتسـاب العبد ويقولون: من أقصته السوابق لم تدنه الوسائل، ففكرهم في هـذا أبـداً، ومـع ذلـك: فهم يجدّون في القيام بالأوامر، واجتناب النواهي، والتقرب إلى الله بأنواع القـرب، غـير واثقين بها، ولا ملتفتين إليها ويقول قائلهم:

مـــن أيـــن أرضـــيك إلا أن تـــوفقني هيهات هيهات، ماالتوفيق من قِبَلي

إن لم يكـــن لـــي في المقـــدور ســـابقة فليس ينفع ما قـدمت مـن عملـــي

٢ - أصحاب العواقب:

فهم متفكرون فيما يختم به أمرهم، فإن المرور بأواخرها، والأعمال بخواتيمها،والعاقبة مستورة كما قيل:

لا يغرنـــــك صـــــفا الأوقـــــات فـــإن تحتهـــا غـــوامض الآفـــات

---

(١) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء،ح٨، مصدر سابق ص٤١٩ .

www.iqra.ahlamontada.com

فكم من ربيع تنورت أشجاره، وتفتحت أزهاره، وزهت ثماره،لم يلبث أن أصابته جائحة سماوية، فصار كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وقيل لبعضهم وقد شوهد منه خلاف ما كان يعهد عليه ـ ما الذي أصابك؟ فقال:حجاب وقع، وأنشد:

أحسنت ظنك بالأيام، إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي، فأغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ليس العجب ممن هلك كيف هلك؟ إنما العجب مما نجا كيف نجا؟

تعجبين من سقمي ... صحتي هي العجب

الناكصون على أعقابهم أضعاف من اقتحم العقبة:

خذ من الألف واحداً ... واطرح الكل من بعده

٣- أصحاب الوقت:

فلم يشتغلوا بالسوابق، ولا بالعواقب، بل اشتغلوا بمراعاة الوقت، وما يلزمهم من أحكامه وقالوا: " العارف ابن وقته لا ماضي له ولا مستقبل " ورأى بعضهم الصديق رضي الله عنه في منامه فقال له:أوصني، فقال له: كن ابن وقتك.

٤- أصحاب الحق:

فهم مع صاحب الوقت والزمان، ومالكهما ومديرهما، مأخوذة بشهوده عن مشاهدة الأوقات، لا يتفرغون لمراعاة وقت ولا زمان، كما قيل:

لست أدري: أطال ليلي أم لا ... كيف يدري بذاك من يتقلى ؟

---

(١) سورة يونس: الآية (٢٤).

www.iqra.ahlamontada.com

لـو تفرغـت لاستطـالة ليلـي ولرعـي النجـوم كنـت مخلـى

فـإن للعاشـقين عـن قصـر الليـل وعـن طولـه مـن العشـق شـغلاً[1]

قال الجنيد رحمه الله: دخلت على السري يوماً، فقلت له: كيف أصبحت ؟ فأنشأ يقول:

ما في النهار، ولا في الليل لي فرج فلا أبالي، أطال الليل أم قصرا؟. ثم قال ليس عند ربكم ليل ولا نهار. يشير إلى أنه غير متطلع إلى الأوقات، بل هو مع الذي يقدر الليل والنهار[2].

وإن من أقسام السائرين إلى الله تعالى في طريق حياتهم على قسمين:

١- قسم صرفوا ما فضل من أوقاتهم بعد الفرائض إلى النوافل البدنية وجعلوها دأبهم من غير حرص منهم على تحقيق أعمال القلوب.

٢- وقسم صرفوا ما فضل من الفرائض والسنن إلى الاهتمام بصلاح قلوبهم وعلومهم على الله وحده.

وجعلوا قرة العبادة تعبدهم بأعمال القلوب في تصحيح المحبة والخوف والرجاء والتوكل والإنابة ورأوا أن أيسر نصيب من الواردات التي ترد على قلوبهم من الله أحب إليهم من كثير من التطوعات البدنية[3]. فواضح من هذا الكلام أن هذا القسم من الناس هم أصحاب الهمم العالية، وهم القدوة والأسوة في كيفية استغلال الفراغ، لأنهم جمعوا ما بين أداء النوافل البدنية والاهتمام بتزكية النفوس وترويح القلوب بعد أداء الفرائض وهذا ما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم فهكذا كانوا.... فقهاء علماء في كيفية

---

(١) كعكو، أحمد حسين: هكذا تكلم الأولياء والصالحون،ق،٢، دار الإيمان، دمشق، الطبعة أولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م، ص.(١٧٥)

(٢) كعكو، أحمد حسين: هكذا تكلم الأولياء والصالحون، مرجع سابق، ق٢، ص١٧٥.

(٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الفوائد، مصدر سابق ص١٤٢.

www.iqra.ahlamontada.com

تزكية وتربية أنفسهم، وأهل معرفة في كيفية استغلال الفراغ، وإلا لما رأيناهم وصلوا إلى هذه المرتبة والمنزلة.

وأضرب هنا مثالاً على بعض ما ذكر عنهم:

جاء في وصف سفيان الثوري[1] رحمه الله: "كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم وأجمع على دينه وورعه، وزهده، وتقواه، وهو أحد الأئمة المجتهدين"[2].

وقال الإمام الشافعي فيما رواه حرملة: خرجت من بغداد وما خلفت بها أفقه ولا أورع ولا أعلم من أحمد[3]. فهذان وصفان يدلان كيف كان يستغل الصالحون أوقاتهم سواء كان في العبادة أو في طلب العلم أو في الأمور القلبية فهم لم يتركوا شيئاً، فهكذا كانوا يسيرون إلى الله جل علاه بحسب استغلال أوقاتهم. وهكذا يجب أن يسير الفرد والجماعة إلى الله من بعدهم مقتدين بمن سلفهم من الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين.

٨- فوائد استغلال الفراغ

من خلال ما سبق من البحث يتضح لنا أنه يُشغل الفراغ القلبي بالإيمان ويشغل الفراغ الجسدي بالعمل الصالح، ويشغل الفراغ الروحي بالتفكير والاعتبار، ويشغل الفراغ العقلي بالثقافة والعلم ويشغل الفراغ النفسي بالمحبة والألفة والسلوك الحسن والآن لنتباحث عن فوائد استغلال الفراغ استغلالاً حسناً.

---

(١) سفيان الثوري – أبو عبد الله، ت ١٦١هـ /٧٧٨ م، محدث من الأئمة المجتهدين، ولد في الكوفة وتوفي بالبصرة، أثار اجتهاده جدالاً بعهده، كان الجنيد عميد المتصوفة على مذهبه، له: الجامع الكبير، الجامع الصغير، الفرائض. ـــ مجموعة من المؤلفين:المنجد في الأعلام، مرجع سابق، ص٣٥٧

(٢) ابن خلكان، أحمد بن محمد: وفيات الأعيان،ج٢، مصدر سابق، ص٣٨٦

(٣) السبكي، تقي الدين: طبقات الشافعين الكبرى،ج١، مصدر سابق، ص١٩٩ .

www.iqra.ahlamontada.com

١ - الاطمئنان والسكينة:

إن من فوائد استغلال الفراغ حيث يبث حياة روحية فيها الطمأنينة في النفس الإنسانية، ونبذ الهم والقلق اللذين هما أعدى أعدائها. وذكر الله هو الوسيلة الفعالة للوصول إلى هذا الهدف... الذكر يقضي على الأمراض النفسانية التي يعدل ألم الأسنان التالفة.... والذكر يزيل الهم عن القلب والفم ويجلب الفرح والسرور، ويقوي البدن والقلب ويهيج القلب والوجه وينوره، ويكسو الذاكر مهابة ويلهم به في أمر صوابه وهو أصل موالاة الله ورأسها والغفلة أصل معاداته ورأسها (الغفلة للقلب داء ومرض، والذكر شفاء من كل داء وعرض) [١] كما قال عمر اليافي:

إذا مرضنا تداوينا بذكركمُ ... ونترك الذكر أحياناً فتنتكسُ [٢]

للذكر لذات أحلى من لذات المطعومات والمشروبات، ووجه الذاكر وقلبه يكسى في الدنيا نظرة وسروراً وفي الآخرة وجهه أشد بياضاً من القمر ونوراً.....

الذاكر حي وإن مات، والغافل وإن كان حياً فهو من جملة الأموات.

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم ... وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور [٣]

والذكر روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه.صدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب. وجلاؤه بشيئين: الاستغفار والذكر. فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكماً على قلبه وصدؤه بحسب غفلته وإذا

---

(١) كلكل، محمد أديب، تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر، المطبعة التعاونية، دمشق ص٣٠-٣١ (بتصرف)

(٢) باشا، عمر موسى:قطب العصر عمر اليافي،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،الطبعة الثانية،١٤١٦هـ ١٩٩٦م ص ١٢٠ وفي الديوان ص.

(٣) كلكل، محمد أديب:تنبيه الفكر إلى حقيقة الذكر، مرجع سابق،ص ٣١.

www.iqra.ahlamontada.com

صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل[1].

ومن فوائد الذكر:

١- أنه يعد الذاكر بذكره ويسعد جليسه وهذا هو الفرد المبارك أينما كان والفارغ والغافل واللاغي يشقى بلوغه وفراغه وغفلته ويشقى به مجالسه.

٢- أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها كان أعظم لثمرتها فإن الذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد.

٣- أن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى فالمقصود بها تحصي ذكر الله قال سبحانه:﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [2].

٤- أن الذكر يعطي الذاكر قوة حتى أنه ليغفل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه وقد علم النبي (ﷺ) ابنته فاطمة وعلياً رضي الله عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ويكبرا أربعاً وثلاثين لما سألته الخادمة وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمه فعلمها ذلك وقال: «**ألا أدلكِ على ما هو خير لك من خادم**» [3].

وقيل أن من داوم على ذلك وجد قوة في نومه مغنية عن خادم.

وقد يخيل إلى البعض أن الاسترسال في الهم والقلق حالة نفسية لا علاقة لها بالبدن، ولكن التجارب العلمية أثبت أن الاستغراق في الهم والتمادي في القلق والسباحة في الفراغ حالات نفسية سرعان ما تضعف الجسم وتصيبه بشتى الأمراض.

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣٠- ٣٣.(بتصرف).

(٢) سورة طه: الآية (١٤).

(٣) مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ح١٧، ص ٤٨، رقم الحديث(٦٨٥٦.) جزء من حديث.

www.iqra.ahlamontada.com

ومصدر الهم والقلق والفراغ هو استشعار الفرد بضعفه أمام أحداث الحياة ولكن الإيمان القوي بالله الذي له التصرف في هذا الكون والاعتماد عليه يلقي في نفس الإنسان طمأنينة وقوة تتضاءل أمامهما هموم الحياة بحيث يراها شيئاً تافهاً.

وقد اعترف بهذه الحقيقة الدكتور (بريل Prill إذ قال) إن المرء المتدين حقاً لا يعاني قط مرضاً نفسياً).. ويقول (ديل كارينجي Del، Karengi): أن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي، وأن يشفيا هذه الأمراض) [1].

وذكر الله هو أثر من آثار الإيمان بالله، وهو غذاء روحي يمد الفرد بما يحتاجه من سكينة واطمئنان وهذا ما صرح به القرآن:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[2].

وإن كان لي أن أظهر من فوائد استغلال الفراغ ونحن المسلمين في مواجهة موجة المادية وهي تنتشر عسى أن تخسر وتنكسر على نفسها، بعد أن دخل العالم بما يشبه اليقين أن سعادة الفراغ في هذا الكون لا تتحقق إلا بالرجوع إلى حقيقة الدين والارتشاف من رحيق الإيمان.

فاللذائذ الفانية التي يتهافت عليها الناس لا توفر لهم الهناء والسعادة، ولمعان الذهب وبريق المادة لا يؤمن للفرد نوراً يطمئن إليه، ومهما أوغلوا في حطام الدنيا وتكالبوا عليه أو سرقوا في شهواتها فشأنهم معها كالذي يشرب من ماء البحر كلما أزداد منه شرباً كلما ازداد عطشاً، أو كمثل العطشان الذي يرى السراب يحسبه ماء وما هو بماء، ولذلك أدرك الفرد والجماعة بعد طول الطواف أن السعادة تنبع من داخل الإنسان ولا ترد إليه من الخارج.....

---

(١) طبارة، عفيف عبد الفتاح، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة والعشرين،١٩٨٨، ص ١٧٧-١٧٨

(٢) سورة الرعد: الآية (٢٨)

www.iqra.ahlamontada.com

٢- الحركة والاستقرار:

قال الشيخ زروق[1] رحمه الله في قواعده: (النسك الأخذ بكل مسلك من الفضائل من غير مراعاة لغير ذلك، فإن رام التحقيق في ذلك: أي النسك فهو العابد، وإن مال للأخذ بالأحوال فهو الورع، وإن آثر جانب الترك طالباً للسلامة فهو الزاهد، وإن أرسل نفسه في مراد الحق فهو العارف، وإن أخذ بالتخلف والتعلق فهو المريد).

وقال ابن عجيبة رحمه الله: (قد تنوعت أجناس الأعمال بتنوع الأحوال الباطنة. أو تقول: أعمال الجوارح تابعة لأحوال القلوب، فإن ورد على القلب قبض ظهر على الجوارح أثره من السكون، وإن ورد عليه بسط ظهر على الجوارح أثره من الخفة والحركة، وإن ورد على القلب زهد وورع ظهر على الجوارح أثره وهو كد وتعب، وإن ورد على القلب معرفة وشهود ظهر على الجوارح أثر وهو راحة وركود، إلى غير ذلك من الأحوال وما ينشأ عنها من الأعمال) [2].

إن المؤمن يوقن أن السعادة في الآخرة والنجاح في الأولى موقوف على العمل. الجنة في الآخرة ليست جزاء لأهل البطالة والكسل والفراغ، بل لأهل الجد والعمل والحركة والإتقان: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [3].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [4].

---

(١) أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي، أبو العباس، فقيه محدث صوفي، من أهل فاس، تفقه في بلده وقرأ بمصر والمدينة، وغلب عليه التصوف متجرد وساح، له تصانيف في التصوف، من كتبه (شرح مختصر خليل) في فقه المالكية والقواعد في التصوف – الزركلي، خير الدين: الأعلام، مرجع سابق، ج ١، ص ٩١، (بتصرف)

(٢) ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد: إيقاظ الهمم في شرح الحكم، البابي الحلبي الطبعة الأولى، ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ ص ٢٩-٣٠.

(٣) سورة السجدة: الآية (١٧).

(٤) سورة الزخرف: الآية (٧٢).

www.iqra.ahlamontada.com

وإنما يندفع الفرد المؤمن إلى الحركة كحافز من دينه وإيمانه ومبادئه، وباعث من ذاته، بإيحاء ينبعث من داخله لا سوطاً يسوقه من الخارج، ذلك الباعث الذاتي هو الإيمان بالله وبرسالة السماء، وبمهمته في عمارة الأرض والسيادة على الكون. ليكون بعدها الهناء والسعادة والاستقرار النفسي والاطمئنان الروحي.وقد ذكر كتاب الله الإيمان مقروناً بالعمل والحركة في أكثر من سبعين آية من آياته، وهي تهدف إلى كل ما تصلح به الدنيا والدين، وما يصلح به الفرد والمجتمع، وما تصلح به الحياة الروحية والمادية معاً.

حتى لا يذهب الظن وتأخذ الأوهام بنا، فنحسب أن ارتباط السعادة والفوز بالعمل والحركة على الآخرة فقط، وسنة الله الخالق للكون لا تتبدل ولا تتغير - لا تسمح لفارغ أو قاعد أو كسول أن يظفر بما يريد، أو يحقق ما يأمل، بل سنته سبحانه وتعالى لا تفرق في الجزاء على العمل والحركة بين مؤمن وكافر... فمن عمل أُجر، ومن تعد حرم مهما كان اعتقاده أو دينه وبهذا يندفع الفرد المؤمن إلى الحركة والعمل دائماً. حتى لا يصادم سنن الله في الكون مصادمة فيكون من الهالكين وتخرجه من استقراره وهناءه وسعادته والفرد المؤمن - مجتمعاً من الجماعة المؤمنة - يتمتع في حياته باستقرار وهناء وسكينة نفس، وطمأنينة القلب وانشراح الصدر، وبسمة الأمل والرجاء، ونعمة الأمن والرضاء، وروح الصفاء والإلفة والمحبة، لا ريب أن هذه الحالة تكون من فوائد استغلال الفراغ. في الحركة والعمل والإنتاج.فإن الحركة تنتج والاستقرار يحقق الأمن أما الكسول والمضطرب والشارد والقلق واليائس والحاقد على نفسه والناس والحياة كلها، قلما يحسن العمل أو يعمل عملاً يقنع ويرضي. هذا أمر يُعرف بأدنى مراقبة، لا يحتاج إلى استقراء العالم، ولا برهنة الفيلسوف.

www.iqra.ahlamontada.com

٣- أثر استغلال الفراغ في الإنتاج:

الفرد المؤمن لا يكتفي بالاندفاع إلى العمل، بل يهمه أن يُجَوده، ويتقنه ويبذل جهده لإحسانه وإحكامه، لشعوره العميق، واعتقاده الجازم أن الله يرقبه في عمله، ويراه في مصنعه أو في مزرعته أو في حال من أحواله، وأنه تعالى «**كتب الإحسان على كل شيء**»[1].

وقد فسر بني الإسلام هذا الإحسان في جانب العبادة وكل جانب فقال (ﷺ) «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[2].

هذا هو الأثر وهذه هي الفائدة من استغلال الفراغ، لأن المؤمن إن استغل أي أمر أحسن استغلاله وشعار المؤمن دائماً في أدائه لعمله: إني أرضي ربي وأطيعه.وربه سبحانه وتعالى لا يرضيه إلا أن يقوم بعمله ويستغل ذاك الخير في صورة كاملة متقنة، وهذا مما علمنا إياه نبي الإسلام للمسلمين: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»[3]. عملاً أي عمل من أعمال الدنيا أو من أعمال الآخرة.

وهناك خلقان أصيلان يتوقف عليهما جودة الاستغلال لأي عمل، وحسن الإنتاج وهما الأمانة، والإخلاص، وهما في الفرد المسلم على أكمل صورة وأروع مثال.فالصانع المسلم مثلاً ليس همه مجرد الكسب المادي من صنعته أو إرضاء صاحب المعمل إن كان يعمل عنده بأجر ولكنه الأمين على صنعته.المخلص في جهده. المراقب لربه، المراعي حقوق إخوانه وهم له أولياء، وعليه رقباء، مع الرجاء من الله بالجزاء: قال تعالى:

---

(١)ابن ماجه، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة، ح٢، مصدر سابق، ص ١٠٥٨، رقم الحديث (٣١٧٠).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل:صحيح البخاري، تحقيق البغا، مصدر سابق، ح٢ ص٦٨٩ رقم الحديث (١٩٩٥).

(٣) البيهقي، أحمد بن الحسين: شعب الإيمان،ج٤، مصدر سابق، ص٣٣٥، رقم الحديث (٥٣١٣).

www.iqra.ahlamontada.com

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1].

٤- الإحساس الجميل بقيمة الفراغ:

الفرد المسلم أعمق الناس إحساساً بقيمة ونعمة الفراغ، إن الله سبحانه وتعالى سائله يوم القيامة عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ فهو لهذا يحذر أن يمر وقته ويضيع عبث، أو يبعثر في مهب الرياح الهوج.

إنه رأس ماله الوحيد فكيف يصرفه ويضيعه ويبقى صفر اليدين مفلساً؟ إن الفراغ نعمة يجب أن تشكر بالانتفاع به، ولا تكفر بالتفريط فيها.وقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: (إن الليل والنهار يعملان فيك فأعمل فيهما)[1] الفرد المؤمن يشعر كل يوم تشرق شمسه أو ينشق فجره، يناديه بصوت جهير: (أيها الإنسان أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود مني واغتنمني لعمل الصالحات فإني إذا ذهبت لا أعود أبداً) وهو الذي يخشى أن تنفلت الأيام من يديه وتضيع الفرص وهي خاوية من ملئها بالعمل والإنتاج، فلا يؤخر عمل اليوم إلى غد، لأن للغد عمله الذي يشغله، فلا يتسع لعمل غيره من الأيام.

والفرد المسلم حريص على أن يكون يومه خيراً من أمسه، وغده خيراً من يومه، وأن يطيل حياته ـ بعد موته ـ بطول أعماله، ويمد عمره بامتداد الجميل من آثاره، إن المسلم يحرص كل الحرص على أن يخلف وراءه علماً نافعاً، أو عملاً طيباً، أو صدقة جارية، أو ذرية صالحة، أو مشروعاً مثمراً، وعلى قدر ما يمتد ويبقى الأثر الذي يخلفه وعلى قدر ما ينتفع به المسلمين تكون مثوبته عند الله.

---

(١) سورة التوبة: الآية (١٠٥).

www.iqra.ahlamontada.com

هذا الإحساس الذي دفع بأبي الدر داء ـ صاحب رسول الله ـ يغرس شجرة الجوز وهو في الشوط الأخير من رحلة العمر فيقول له بعض أصحابه:أتغرس هذه الجوزة وأنت شيخ كبير، وهي لا تثمر ألا بعد كذا وكذا من السنين ؟ فيقول لهم أبو الدرداء: وماذا علي أن يكون لي ثوابها ولغيري ثمرتها ؟وهو الذي جعل أخر أيامه يغرس شجرة مثمرة ويقول: غرس لنا من قبلنا فأكلنا، ونحن نغرس ليأكل من بعدنا [١].

٥- تنمية الشعور بحب الخير والعطاء:

ومن فوائد استغلال الفراغ الأنشطة الاجتماعية الهادفة التي شرعها الإسلام للتأكيد على اهتمام الفرد المسلم بإخوانه ورعاية شؤونهم زيارة الأرحام والأصدقاء والمرضى، ومساعدة الضعفاء والمتضررين، وتفريج كروبهم، وتقديم العون لهم، لإزالة ما يتعلق بالنفس الأمارة بالسوء من الشح والأنانية وعدم المسؤولية، وهذا ما كان يقوم به المسلمون في نشاطهم الاجتماعي الطيب، تلبية للهدي النبوي الشريف الذي شجع المسلم على الاهتمام بشؤون المسلمين والإحسان إليهم[٢]ومن ذلك قول النبي (ﷺ): «**من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**»[٣].

كما روى أبو هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**من عاد مريضاً، أو زار أخاً له في الله ناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً**»[٤].

ويؤكد على تنمية الشعور بحب الخير والعطاء والعون لإخوانه المؤمنين ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا**

---

(١) كعكو، أحمد حسين: هكذا تكلم الأولياء الصالحون،ق٢، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٢)كرزون: أحمد حسن: الشباب وأوقات الفراغ، دار ابن حزم، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ،١٩٩٨م،ص ٢٧

(٣) البيهقي، أحمد بن الحسين: شعب الإيمان،ج٧، مصدر سابق، ص٣٦١، رقم الحديث(١٠٥٨٦)، (إسناد ضعيف)

(٤) الترمذي: محمد بن عيسى: سنن الترمذي،ج٤، مصدر سابق،ص٣٦٥ رقم الحديث (٢٠٠٨) وقال: حديث حسن غريب.

www.iqra.ahlamontada.com

يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[1].

إضافة إلى ما سبق فهي تنمي خبرة الفرد وتصقل مواهبه وتكشف له عن أمور ما كانت معلومة.

٦- تنمية علو الهمة:

قال بعض الحكماء: نكح العجز التواني فخرج منهما الندامة، ونكح الشؤم الكسل فخرج منهما الحرمان. وقال بعض الشعراء:

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها ... هواناً بها كانت على الناس أهونا

فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن ... عليك لها فاطلب لنفسك مسكناً

وإياك والسكنى بمنزل ذلة ... يعد مسيئاً فيه من كان محسناً [2]

وقال بعض الحكماء: تجنبوا المُنَى، فإنه تذهب ببهجة ما خولتم، وتستصغرون بها نعمة الله عليكم.فعلو الهمة الفضل بها ظاهراً والأدب بها وافراً.

فلأنه باعث على التقدم، وداع إلى التخصيص، أنفة من خمول الصنعة، واستنكاراً لمهانة النقص، ولذلك قال (ﷺ): «**إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها**»[3].

وروي عن عمر بن الخطاب (ﷺ) أنه قال: (لا تصغرن هممكم، فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم)[4]. وقال بعض الحكماء: (الهمة راية الجد). وقال

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري،ج٢، تحقيق البغا، مصدر سابق، ص٣٠٨،ص ٨٠٥ رقم الحديث (٢٣٢٠).

(٢) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب: أدب الدنيا والدين، مصدر سابق، ص٣٠٨.

(٣) الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين: كنز العمال،ج١٥، مصدر سابق، ص٧٧٠، رقم الحديث (٤٣٠٢١).

(٤) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب: أدب الدنيا والدين، مصدر سابق ص٣٠٧.

www.iqra.ahlamontada.com

بعض البلغاء:(علو الهمم بذر النعم) وقال بعض العلماء: (إذا طلب الرجلان أمرا، ظفر به أعظمهما مروءة) وقال بعض العلماء: (من ترك التماس المعالي بسوء الرجاء، لم ينل جسيما) [1]. وقال المتنبي:

لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يفقر والإقدام قتال

وله أيضاً:

وإذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الأجسام [2]

والخلاصة: أن كل حركة لصالح الفرد والجماعة أو حيوان، هي مأذون فيها شرعاً إذا فعلتها لوجه الله فهي ثمار نعمة الفراغ "عبادة".

فتستطيع أن تخرج من بيتك في الصباح وتعود عند العصر مثلاً وقد كتب لك جميع وقتك عبادة وتصور معي أن إلقاء السلام عبادة وصدقة وعيادة المريض وزيارة الأخ في الله عبادة وأن تبتسم في وجه أخيك عبادة وصدقة، والكلمة الطيبة صدقة، ومصافحة أخيك صدقة، وأن مسح رأس اليتيم عبادة، وصلة الرحم عبادة، وبر الوالدين عبادة، وإغاثة الملهوف عبادة، وقضاء الحوائج عبادة، ومساعدة المحتاج عبادة، ولو أن تحمل معه شيئاً يثقل عليه حمله....مع أنك لم تصل غير الظهر ولم تقرأ قرآناً، ولم تذكر الله بلسانك...... أليست هذه سعادة وتجارة مع الله تعالى غفل عنها أكثر الناس وحرموا نفعها وآثارها؟!!

---

(١) المصدر نفسه: ص٣٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٣١٠.

www.iqra.ahlamontada.com

الفصـــل الســـادس

طبيعة الحل الإسلامي للفراغ

١- علاج الفـراغ

أ- شغل أوقات الفراغ

١-علاج الفراغ الفردي

٢-علاج الفراغ الجماعي

٢-نتائج الحل الإسلامي للفراغ

-الفرد السوي المولادة الجديدة.

-الأسرة الإسلامية المثالية

-المجتمع الصالح

٣- اقتراحات تربوية لا بد منها .

أ- المسجد وأنشطته

ب- رعاية الأسرة المسلمة.

www.iqra.ahlamontada.com

علاج الفراغ

ينطلق الإسلام في دعوته إلى استثمار الفراغ باعتباره خيراً هاماً في حياة الفرد المسلم، وزمناً طويلاً من عمره جديراً بالاستفادة منه، وعدم التفريط به، فهو يدعو المسلم إلى استغلال الفراغ بما يعود عليه بالمنفعة الدينية والدنيوية وبما يقدم خدمة للفرد المسلم، والمجتمع الإسلامي، أما إضاعة الوقت الفراغ سدى، أو إشغاله بما فيه الضرر فإنه خسارة لا يمكن تداركها، لأن الوقت الغائب لن يعود، والندم على ما فرط المرء فيه لن ينفعه شيئاً.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1].

بين أنهم حرّموا من تلقاء أنفسهم ما لم يحرم الله عليهم، والزينة هنا الملبس الحسن، والطيبات من الرزق، لما طاب كسباً وطعماً. أي من لذيذ الرزق، وقيل من حلاله، مع عد الطغيان حيى لا تحملكم سعة المال والعافية والفراغ إلى التجاوز إلى ما لا يجوز. قال تعالى:

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾[2].

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٣٢)

(٢) سورة طه: الآية (٨١).

www.iqra.ahlamontada.com

حتى لا تذهب أعماركم وأوقاتكم وشبابكم في الكفر والمعاصي قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[1].

قال ابن عمر رضي الله عنهما: (الطيبات الشباب والقوة، مأخوذ من قولهم ذهب أطيباه، أي شبابه وقوته)[2].

والإسلام حين يحرم هدر الوقت سدى فإنه يضع الخطوط الرئيسية لاستثمار الفراغ، بما فيها الفائدة والمصلحة، فهو يدعو المسلمين إلى اغتنام فرص الحياة في طاعة الله، وتلقى العلم النافع والجدية في العمل، واكتساب المهارات الفنية النافعة وتجنيد طاقات الأمة ومواهبها لخدمة الإسلام وأهله، ويحظر على أبنائها كل لهو فارغ، أو لعب باطل يهدر الوقت، ويفتك بالدين والخلق. فجدير بأبناء الأمة أن يعرفوا أهمية الفراغ، ويسعون لاستثمار فراغهم بكل ما هو مفيد لهم ولمجتمعهم، سعياً وراء مرضاة الله، وتقرباً إليه، ثم تحقيقاً للمنافع التربوية والمكاسب الشخصية التي يحصلون عليها، حتى يلقوا الله سبحانه بمزيد من العمل الصالح، فينالوا به تكريم الله مع عباده الصالحين حين يخاطبهم بقوله جل وعلا:

﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾[3].

وليحذر أبناء الأمة من إضاعة العمر سدى، أو تحمل الأوزار باقتراف المحرمات، أو الغفلة عن الواجبات أو التقاعس عن الفضائل والمنافع، حتى لا يندموا يوم القيامة

---

(١) سورة الأحقاف: الآية (٢٠).

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج ١٦، ص ١٩٩ ــ ٢٠٠.

(٣) سورة الحاقة: الآية (٢٤)

www.iqra.ahlamontada.com

على ما فرطوا في جنب الله، أو يتحسروا على ما تحسر به المنافقون والكفار الذين أخبر عنهم (ﷻ) بقوله :

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾[1].

وقد جاءت وصية النبي (ﷺ) للمؤمنين جميعاً في وجوب الاستعداد بالعمل الصالح، والزهد في متاع الدنيا.فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله (ﷺ) بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**».

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك)[2]. وإذا كان الناس يزينون الوقت بالذهب لأهميته، فإن الوقت والعمر والفراغ في ميزان المسلم أغلى من الذهب حين يحسن استثماره، فينتفع به في الدنيا والآخرة.

وفيما يلي نوضح طبيعة العلاج الإسلامي للفراغ الذي انطلق فيه الإسلام لاستثمار الفراغ لتحديد بعدها معالم الطريق الأسلم والمسار الأطيب في ممارسة الأنشطة الهادفة:

أ- شغل أوقات الفراغ:

لم يكتف الإسلام بالتوجيه لإشغال وقت الفراغ كنعمة عظيمة أضاعها كثير من الناس، ولم يغتنموا فرصتها، بل وضع المسلم أمام المسؤولية الكاملة يوم الحساب الأكبر لسؤاله عن وقت الفراغ كجزء من عمره كيف شغله واستثمره، وبماذا ملأه، هل بما هو حق ومفيد أو بما هو حرام وباطل، ففي الهدي النبوي قال رسول الله (ﷺ):

---

(١) سورة الزمر: الآية (٥٦)

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ج٤، مصدر سابق، ص٢٢٢٥، رقم الحديث (٦٠٥٣).

www.iqra.ahlamontada.com

«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسألَ عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»[1].

كما يحضنا رسولنا الأكرم (ﷺ) على اغتنام الفراغ وفرص الحياة، بما يحقق أهداف التربية الإسلامية، وخدمة المجتمع المسلم. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي (ﷺ) قال: **«اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»**[2].

ولم تنحصر مسؤولية الفرد في إشغال وقت فراغه بما هو نافع وممتع... بل هو أيضا مسؤولية أولياء أمور أبناء الأمة ورجال العلم والدعوة والتربية الذين يجب عليهم أن يبذلوا قصارى جهدهم وجهادهم في وضع البرامج والخطط المفيدة لاستثمار الفراغ لدى أبناء الأمة انطلاقاً من مفهوم الإسلام ومن مسؤولية الجماعة نحو الفرد. لحديث رسول الله (ﷺ): **«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»**[3].

ولعل هذه المسؤولية الفردية والجماعية تضع الأمة على طريق الحق والرشاد، وتفتح لهم آفاقاً جديدة في ممارسة الأنشطة النافعة. وتصرفهم عن اللهو والعبث وارتكاب المعاصي والمنكرات المحرمة.إن إشغال المسلم وقت فراغه فيما ينفع وقاية له مما يضر.

---

(١) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة: الجامع الصحيح سنن الترمذي، ج٤، مصدر سابق، ص٦١٢ رقم الحديث (٢٤١٧) وقال حديث حسن صحيح.

(٢) المناوي، المعروف بعبد الرؤوف: فيض القدير، ج٢، مصدر سابق، ص١٦، رقم(١٢١٠)، قال الحاكم في مستدركه على شرطهما، وأقره الذهبي في التلخيص واغتر به المصنف فرمز لصحته، وهو عجيب ففيه جعفر بن برقان أورده الذهبي نفسه في الضعفاء والمتروكين وقال قال أحمد يخطئ في حديث الزهري، وقال ابن خزيمة لا يحتج به وقال الزين العراقي بإسناد، (رواه أحمد في الزهد).

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج١، مصدر سابق، ص٢٩٦، رقم الحديث (٨٥٣) (جزء من حديث).

www.iqra.ahlamontada.com

١- علاج الفراغ الفردي:

إن ملء فراغ الفرد يعطي الفرد المسلم بعداً حضارياً عظيماً، ويجعله قادراً على ابتداع نموذج حضاري للبشرية.

ويخلق من ذلك الفرد المبعثر ملكاً يمشي على الأرض إن ملء الفراغ للفرد لا يمكن أن يتم إلا بتوافر قاعدة فكرية أصيلة ونظام إلهي اسمى من نتاج آية خلايا دماغية لإنسان ما.

وهذه القاعدة الفكرية وهذا النظام لايتوافران إلا في الإسلام...

لكون الإسلام نظاماً إلهياً تكتمل فيه مفردات التشكيل **أولاً**.

ولكون الإسلام تكويناً يستوعب جميع المفردات **ثانياً**.

فهنا لا إفراط ولا تفريط، ولا تخلق ولا تجميد... بل تقدير وترتيب وانفتاح وتجديد.....

والفرد في الإسلام مركز علاقات وعصب مواصلات... علاقة الفرد بالله سبحانه و.... علاقة الفرد بالكون.... علاقة الفرد بالمجتمع.

فالعلاقة الأولى ملأها الإيمان والروحانية والعلاقة الثانية ملأها الفكر والعقل والتأمل والعلاقة الثالثة ملأها الأخلاق والثقافة.

وهي بمجموعها تشكل في النفسية الإسلامية عقدة ـ دافع ـ التقوى.

وملء الفراغ في هذا الدين مقادير موزونة.... فالحب ميزان... والحزن والفرح حدود... والعبادة مواقيت زمنية ومكانية والفكر محطات عقلية زمانية... والعمل عبادة... وذكر الله عمل بلا صدور.. ضمن إطار الطاقة الإنسانية. والفرد في التشكيل الإسلامي هادف:

بمعنى أنه يسعى لضبط مفردات وأركان حياته ليكون التشكيل ممتلئاً أمام خالقه وبارئه رب العالمين

www.iqra.ahlamontada.com

والفرد الإسلامي مؤسسة متنقلة في الدعوة والفكر والإعلام... وهذه المؤسسة تحمل في جهازها أرقى رسالات السماء وأعظم كتب الله (القرآن).

إن الفرد المسلم لـه أسـس يرتكـز عليهـا في تثبيـت أركـان ومـلء فراغـه الحيـاتي والسلوكي

هذه الأسس يمكن إجمالها كالآتي:

١- الفكر.

٢- الروح.

٣- العاطفة.

٤- الجسد.

٥- القيادة والحركية الإيجابية.

٦- الهدف.

٧- التقوى.

هذه الأسس ليست متحاجزة بل متفاعلة فيما بينها، وإلغاء أي منها يؤدي إلى نقـص في التشكيل وضمور في الأداء... إن استثمار هـذه الأسـس اسـتثماراً موضـوعياً متناسـقاً كفيل بصياغة التكوين وعلاجه وتحرير الشكل مـن أدران فراغـه وجاهليتـه ومشـتقاتها وأوحال الفراغ ومنزلقا ته.

١ – الفكر:

فكر (التفكير) التأمل والاسم (الفكر) و(الفكـرة) والمصـدر (الفَكْـر) بـالفتح وبابـه نصر. و (أفْكَر) في الشيء و(فكّر) فيه بالتشديد و (تَفَكْر) فيه بمعنـى. ورجـل (فِكِّـير) بوزن سكيت كثير التفكر[1].

---

(١) الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، مصدر سابق، ص٥٠٩.

www.iqra.ahlamontada.com

- التفكر (الفكر) هو وسيلة اكتساب المعارف غير البديهية، وغير الحسية [1]. وهو ثمر العقل والتفكير.

إن الله سبحانه وتعالى خالق الكون والإنسان حين قرر أن التفكير واجب من واجبات الإسلام، وطريق يوصل ذلك الفرد إلى الإيمان بالله سبحانه، يظهر أن بفطرة الفرد حاجة غريزية للفكر. وأن في عقل الفرد من جهة أخرى فيض غريزي من الفكر.... وهذا الفيض فيه عطاء وفيه ثمر..

إن الفكر الشريف إذا ازدوج بالهدف ونبت في شخصية الفرد المسلم... كان ذلك الإنسان شاهداً على الناس بمعنى انفصال الشاهد عن المشهود. ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2].

ولقد نظم الإسلام حياة الفرد على أساس الاعتراف بشطرين: الروحي والمادي. هذين الشطرين اللذين إذا توحدا وانسجما كان منهما الإنسان قادراً على أن يرتفع إلى مرتبة الملك بما فيه من قوى الروح، والقادر على أن يهبط إلى مستوى الحيوان بما فيه ويتأثر به.

ويأخذ منه ويعطيه مجتمع فيه الأقوياء والضعفاء، والأخيار والأشرار والأغنياء والفقراء. مجتمع تعارض فيه مصالح بعض الأفراد مصالح بعضهم الآخر، وتصطدم هذه المصالح الخاصة في أحوال كثيرة مع المصلحة العامة، ولابد لنظام رباني ذي نظرة شاملة إلى الوجود حتى ينظم هذا المجتمع على النحو الذي يحمي ضعفاءه من أقويائه، ويؤمن أخياره من أشراره، ويعدل بين أغنيائه وفقرائه ويرسم للأفراد حدوداً يقفون عندها في ممارستهم لحرياتهم الشخصية وللمجتمع حدودٌ لا يتعداها في

---

(١) حبنكة، عبد الرحمن حسن: الأخلاق الإسلامية، ج١، مرجع سابق، ٣١٩.
(٢) سورة البقرة: الآية (١٤٣).

www.iqra.ahlamontada.com

تقييده لحريات الأفراد وقد اشتمل الإسلام على كل هذا.فلم يدع المجتمع للأهواء تتحكم في تركيبه، وللنزعات تتقاذف أجزاءه، بل اشتمل على نظام للاجتماع فصل في الحدود التي تلتقي عندها حرية الفرد والحدود التي تبتدى بها مسؤولية المجتمع، وفصل فيه دور الفرد في الأسرة، ودور الأسرة في المجتمع، وواجبات كل من الفرد والأسرة والمجتمع وحقوقه، واشتمل على نظام الاقتصاد يكفل توزيع الثروة العامة بالعدل، وبحيث تباح لجميع فئاته أن تنعم بمستويات من العيش متقاربة لا تتسع فيما بينهما المسافات ـ التي تحمل على أن يحل الصراع بدل التعاون ـ بين الطبقات[1].

وأشتمل على نظام في القضاء يتمتع بمستوى من الاستقلال والنزاهة لا يحاربه فيه نظام، واشتمل على نظام في السياسة نعرف منه كيف يكون العمل السياسي خدمةً وعطاءً وعملاً من أجل الشعب، بدل أن تكون تجبراً ولصوصية، واستغلالاً للشعب، وكان واقعياً في كل ما اشتمل عليه من نظم، فلم يضح في سبيل مثل عليا طوبائية[2]بالمصالح الاجتماعية الواقعية.

والإنسان ـ باعتباره فرداً في مجتمع ـ موضوع جذب ودفع بين نظريتين في الاجتماع متضادتين كانتا ـ ولا تزالان ـ تتصارعان بغية الغلبة على المجتمعات الإنسانية. نظرية تنادي بأن المجتمع هو الحقيقة النهائية المطلقة، وترى أن على الفرد أن يفنى في المجتمع، وتنكر أن يكون للفرد أي دور قيادي في المجتمع فتهمل الفرد، ولا تأبه لهمومه ومطامحه وحاجاته العامة والخاصة، وتمثل هذه النظرية في العصر الحديث الفاشية والنازية والماركسية.

---

(١) الأعرجي، زهير: الشخصية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٠٩، (بتصرف).

(٢) طوبائية: (utopique) من يتصفون بالتفكير أو النهج الطوباوي: ــ ما يتصف بالطوباوية أي انفصال المأمول عن المعقول ــ بجموح الخيال والبعد عن الواقع مع نسج خيالي لاوجود له في عالم الحقيقة. ــ الحلو، عبده: معجم المصطلحات الفلسفية، فرنسي ــ عربي، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م ص١٧٦.

www.iqra.ahlamontada.com

ونظرية أخرى تنادي بأن الفرد هو الحقيقة النهائية المطلقة، وما على المجتمع إلا أن يهيء جميع فرص النمو والازدهار للفرد، وإن حطم ذلك مصالح المجتمع، لأن جميع المظاهر الاجتماعية والقيم السياسية لن تخلق إلا للإسهام في ازدهار الفرد ازدهاراً كاملاً، ويمثل هذه النظرية مبدأ الليبرالية الأحرارية، والفوضوية[1].

أما الإسلام فلم يتبن هذا الاتجاه ولا ذاك، لأن كلاً منهما يأخذ جانباً من الحقيقة الواقعية ويهمل جانبها الآخر، فيتردى في الضلال، الإنسان كائن ذو رغائب، ومطامح، وقدرة على الإبداع، والإنسان عضو في مجتمع يكسب منه ويعطيه، ويفيده من ذاته، ويستفيد منه، هذا هو الواقع الموضوعي الذي يفرض نفسه بإلحاح.

والنظام الشامل إما أن يهمل أحد وجهي هذا الواقع ويعتني بالآخر فيدخل في العبث، لأن النظام وجد من أجل الإنسان ولم يوجد من أجل النظام، وإما أن ينكر أحد وجهي الواقع ويعترف بالآخر فيدخل في الخرافة التي تنكر الواقع وتنطلق في سماوات التجريد، وإما أن يعترف بكل وجهي الواقع فيكون نظاماً إنسانياً، لأنه النظام الذي يهيء للإنسان فرص الازدهار في نطاق ذاته ومن نطاق المجتمع وهذا ما صنعه الإسلام فقد وازن بين الإنسان فرداً والإنسان عضواً في المجتمع وهيأ لكل منهما مجالاً من الحرية يتيح له أن ينمو وأن يكون عامل ازدهار للآخر[1].

(وكما أشتمل على نظم تنسق مختلف وجوه النشاط الإنساني لمعتنقيه على الصعيد الفردي والاجتماعي، اشتمل أيضاً على نظام للسلام والحرب حدد فيه موقف معتنقيه من سائر المجموعات الإنسانية التي اتخذت لنفسها في الحياة دنيا غير الإسلام. فلم يجعل من مؤيديه أمة ذات روح عدوانية تهدد حريات الشعوب الأخرى وأمنها، كما لم يجعل منهم أمة لا كيان لها ولا شخصية، يستطيع كل معتدي أن يستند لها ويسومها الخسف، بل حرم على المسلمين كل لون من ألوان العدوان، وأقام بعد ذلك -

---

(١) محمد حسنين، مصطفى وزملاؤه: علم الإجماع، مرجع سابق، ص ١٤١، (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

علاقة المسلمين بسواهم على أساس أن لكل جماعة بشرية تريد الاتصال بالمسلمين من أجل التعاون معهم على الحق والخير والعدل، فعلى المسلمين من أجل التعاون معهم على الحق والعدل أن يهموا معها مهما استطاعوا في نشر ألوية الحق والخير والعدل، وإن كل جماعة بشرية تريد الاتصال بالمسلمين لتسترقهم على الصعيد السياسي، والاقتصادي أو الثقافي، أو عليها جميعاً، فعلى المسلمين ألا يقابلوا هذه الجماعة بذرة واحدة من التسامح بل عليهم أن يحاربوا هذا العدوان في جميع الميادين وبكل ما يقدرون عليه من أموال وأنفس وعتاد)[1].هذا هو فكر الإسلام وهذه هي آراؤه في الفرد روحاً وعقلاً وعلاقة اجتماعية.... والفكر مفرد من مفردات الفراغ الفردي... وعنصر أساسي من عناصر الملء والتشكيل. انظر إلى قول الله (ﷻ) في التفكير:

﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ﴾[2].

وقال (ﷻ): ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

وقال (ﷻ): ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمۗ﴾[4].

وقال (ﷻ): ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5].

هنا العبادة والتفكير في إطار واحد.. لا عبادة بدون تفكير... ولا تفكير بدون عبادة..

في التفكير يستشف الفرد حلاوة الإيمان، وفي الإيمان يستشف الفرد حلاوة الاتصال بالله تعالى ولا تترجم مفردات الإيمان إلا بالعبادة.

والتفكير المحطة النهائية المؤقتة لكل تجربة وعمل يخوضها الفرد، والمحطة التي يسترجع فيها الضمير حساباته السابقة مع نفسه، ومع الناس ومع الله...

---

(١)الأعرجي، زهير: الشخصية الإسلامية، مرجع سابق، ص١١٠-١١١(بتصرف)

(٢) سورة سبأ: الآية (٤٦).

(٣) سورة: الأنعام: الآية (٥٠).

(٤) سورة الروم: الآية (٨).

(٥) سورة النحل: الآية (٦٩).

www.iqra.ahlamontada.com

والتفكير أداة التطور والعمل وعنصر الحضارة والرقي... وبالتفكير يستطيع الفرد أن يتجاوز الفراغ ويزيل أخطاء الحاضر ويتخطى مساوئ الماضي ويرسم في ذهنه صورة المستقبل.

والذات الإنسانية الإسلامية... شخصية مفكرة... عاقلة... مدركة... عاملة، تمتلك الوعي وتمتلك الإيمان وتمتلك القابلية على العطاء الفكري بخصوبة وبإخلاص وتمتلك القدرة على استنباط معطيات الواقع وتحليله ووضع مفردات هذا الواقع كل في زاويته وموضعه..وقادرة على استقراء صيغ الحاضر وعبر الماضي وتطلعات المستقبل.... والفرد المسلم ليس مغلق الذهن... لأن انغلاق الذهن معناه الفراغ الفكري والشلل النصفي الذي يصيب الفرد المسلم.

فالفكر والروحية نصفان يكمل أحدهما الآخر... وبالفكر نستطيع استكشاف معاني الآيات والإيمان.. وبالروحية نستطيع مد حبل الوصال مع الخالق سبحانه وتعالى ورسوله والمؤمنين.

٢- الروح: (الروحية)

إن الفرد المؤمن بالله يمتلك شعوراً غريباً يجعله يقترب أكثر فأكثر من سر الوجود، كلما تفكر في خلق السماوات والأرض والمخلوقات أو قام الليل وتهجد لله... وكل طاعة لله سبحانه وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الشعور بالخشوع وعن القلوب التي تعيش هذا الشعور بالقلوب الوجلة:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1].

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٢-٣-٤).

www.iqra.ahlamontada.com

والروحية (الروحانية) الشفافة هو ذلك التصعيد الإنساني المتسامي للنفس والروح... وتلك الارتعاشة الوجدانية التي تعقب كل صلاة وعلم وعمل لله وطاعة..

انظر إلى هذه المناجاة ولاحظ كيف تعمل عملها في رفع روحية الفرد:

(إلهي كلما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك.. وكلما آيستني أوصافي أطعمتني منتك. من كانت محاسنه مساوئ.. فكيف لاتكون مساويه مساوئ.. ومن كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه دعاوى ؟.

(إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك..

حتى يكون المظاهر لك ؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل عليك ؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك.إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليها بالأنوار، وهداية الاستبصار، حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك مصون السر عن النظر إليها مرفوع الهامة عن الاعتماد عليها، إنك على كل شيء قدير)، إن التصعيد السلمي للروح يتم بذكر الله والكون صامت والناس نيام.. لأن مناجاة الله في بحر الكون الهائل، امتثال أمام الخلق سبحانه وكشف حساب وغفران ذنوب [1].

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[2].

بالطاعة والعمل الإسلامي لهما انصباغات نورانية ربانية ينصبغ بها الفرد عقلاً وقلباً وروحاً، وانصباغات ينصبغ بها وجهه وسائر جسده. قال (ﷻ):

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[3].

---

(١) الأعرجي، زهير: الشخصية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١١٩.

(٢) سورة الإسراء: الآية (٧٩).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٣٨).

www.iqra.ahlamontada.com

وبهذه الانصباغات الربانية والروحانية، يتحلى الفرد الطائع عن الفراغات الكثيرة من نقائص ورذائل، ويتحلى بالكمالات والفضائل، والى هذا دعا كتاب الله تعالى العباد: قال (ﷻ): ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1].

فبين الله سبحانه للناس أن ما شرعه لهم في الدين، وأمر به من العبادات، ليس من باب الإحراج لهم، والاشتداد عليهم، ولكن من باب تطهيرهم وتزكيتهم، وتكميلهم، وترقيتهم، وتحليتهم. فالطاعات طُهرة للطائع وتخلية، وتكميل له وتحلية.

الفرد اليوم بحاجة إلى ثقافة روحية. وهذا المجتمع وذاك العالم المادي الذي كان ومازال تحت تأثير اعتقاد جازم بأنه يتقدمه المادي المطرد قد بلغ مرتبة الكمال، ولكن الأحداث السابقة في القرن الماضي قد بدلت بعض الشيء من هذا الاعتقاد.

فالرقي المادي الذي وصلنا إليه لم يؤت ثمرته الفعلية من إسعاد الناس بل على العكس جلب التعاسة والخراب والفراغ الناجمة عن الحروب المتلاحقة، فلا زال القوي يفترس الضعيف، ولازال الاستدمار (الاستعمار)ينشب مخالبه في صدور الدول الضعيفة، ولازالت الأجناس يكره بعضها البعض، وهذا كله يدلنا على إفلاس الحضارة المادية الخالية من القيم الروحية[2].

والإسلام أتى بأسس روحية تكفل الاستقرار والسلام والإخاء وراحة الضمير لسكان الأرض أفراداً وجماعات، وهي ويا للأسف لا تزال مجهولة لكثير من المسلمين والشعوب الأخرى ومفكري الإنسانية الذين يبحثون عن الوسائل لنشر السلام والمحبة ليملأ الإسلام عالمنا المضطرب وهذا ما نريد أن نوضحه على أن الإسلام هو دين الإنسانية في المستقبل العاجل.

---

(١) سورة المائدة: الآية (٦).

(٢) طبارة، عفيف عبد الفتاح: روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين: مرجع سابق، ص١٥٩(بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

٣- العاطفة:

تمثل العواطف والمشاعر أهم الفطريات الإنسانية التي رُشت بذورها الأولى في طبائع جميع الناس، وأن العواطف والمشاعر تسيطر على جميع شؤون الإنسان مدى عمره. إذاً: العاطفة نزعة فطرية تتأثر بالمكتسبات والخبرات الإنسانية..وهي شعور إنساني مركز نحو شيء ما.. قد يكون حيا بطبيعته المادية أو بذكره...[1]

والعاطفة في الإسلام مفرد من مفردات (الفراغ) الشخصية... وتوجيه العاطفة نحو هدف ما عمل كبير في حياة الفرد... فالعاطفة الهادفة تجعل الإنسان وهو في أسمى حالاته العاطفية إنساناً يمتلك زمام نفسه ويمتلك رباط جأشه وهذا ما سعى إليه الإسلام فعاطفة الفرد مرهونة بذرات تفكيره... ومنسجمة بانسياب مع شفافية روحه الصاعدة بشوق إلى السماء... تلك العاطفة التي تجعله وهو في أزكى لحظات الخشوع عيناً تفيض بالدمع وقلباً يفيض بالحنان والرهبة... ولساناً يفيض بالشكر والثناء لخالق الأرض ورافع السماء...

تلك العاطفة التي جعلت من عبادة الله سلوى وتضرع وخشوع...

﴿۞ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾[2].

ألم يأن لهؤلاء الذين أضاء الإيمان عقولهم، وتمكنت العقيدة من نفوسهم، وتبين لهم الحق متجسداً في أشرف رسالات السماء، أن يفجر هذا الإيمان في نفوسهم موجاً من العاطفة ويشيع فيها انفعالاً خاصاً يتفق مع طبيعة ذلك الإيمان وجوهره، حتى تمتلئ قلوبهم بالخشوع للحق والانقياد إلى أوامره ونواهيه[3] .

---

(١) الأعرجي، زهير: الشخصية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١١٢.

(٢) سورة الحديد: آية (١٦).

(٣) الأعرجي، زهير: الشخصية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١١٣.

www.iqra.ahlamontada.com

بهذا يعلن الإسلام عن ضرورة ازدواج الفكر والروح والعاطفة، واجتماع العقيدة وما تتطلبه من ألوان الانفعال والإحساس، حتى تدب الحياة في العقيدة وتصبح مصدر حركة وقوة دفع وليست مجرد فكرة عقلية لا يخفق ولا يستجيب لها الحس ولا تتدفق بالحياة.

فالعواطف الإسلامية دائماً نتيجة المفاهيم والأفكار الإسلامية وانعكاسات انفعالية لها. ولهذا نجد أن الإسلام يهيئ كل مبدأ من مبادئه وكل مفهوم من مفاهيمه ليكون ينبوعاً لعاطفة خاصة تنسجم مع ذلك المفهوم أو تلك العقيدة، وتتفق وإياهما، كما وجدنا في الآية الكريمة كيف ربط الإيمان بالشريعة الحقة والخشوع لها.

هذا الخشوع الذي هو لون من الانفعال العاطفي يتطلبه ذلك الإيمان ويصبح بدونه فارغاً عن أية فعالية إيجابية. والسبب في هذا الربط بين المفاهيم والعواطف في الإسلام واضح كل الوضوح، لأن الإسلام لا يريد المفاهيم والأفكار بمعزل عن العمل والتطبيق، وإنما يريدها قوى دافعة لبناء حياة كاملة في إطارها وضمن حدودها، ومن الواضح أن الأفكار والمفاهيم لا تصبح كذلك إلا حين تتخذ أشكالاً عاطفية وحين تخلق الانفعالات التي تناسبها والعواطف التي تساندها، لتتخذ هذه العواطف موقفاً ايجابياً في توجيه الحياة العملية والسلوك العام.

فمفهوم المساواة ـ مثلاً ـ الذي هو من أهم المفاهيم التي بشر بها ومارسها الإسلام، لا يمكن أن يثمر في الحقل العملي الثمر المطلوب ما لم تنبثق من هذا المفهوم عاطفة كعاطفة الأخوة العامة التي عمل الإسلام لإيجادها في نفس المسلم وربطها بمفهومه الخاص عن المساواة، ليصاغ المفهوم في شعور عاطفي دفاق قادر على الحركة والتوجيه طبقاً لمتطلبات المفهوم !.

وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نرتب ما يلي:

أولاً: إن العقيدة الإسلامية كما يجب أن تكون قاعدة فكرية لشخصية الفرد المسلم وحجر الزاوية في تفكيره ومفاهيمه، كذلك يجب أن تكون قاعدة للعواطف التي تنشأ

www.iqra.ahlamontada.com

عليها ذاتية الفرد، وتنمي فيها الثبات بمختلف الوسائل والأساليب، لأن العواطف التي يرتضيها الإسلام للفرد المسلم هي العواطف الفكرية التي ترتكز على مفاهيم فكرية معينة.

وقد عبر القرآن الكريم تعبيراً رائعاً عن العقيدة الإسلامية بصفتها الينبوع الصافي الأساسي لأعمق العواطف في النفسية الإسلامية وملء فراغها، إذ قال سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1].

فالعقيدة الإسلامية ينبغي أن تكون في نظر المسلمين ينبوعاً لأعمق العواطف في نفس المسلم لعاطفة الحب العميق لله ورسوله وللإسلام ورسالته التي تسمو على كل عاطفة، وتهون في سبيلها كل العلائق، علائق الأبوة، والبنوة، والأخوة، والزوجية، والعشيرة.

وعلائق المال، والتجارة، والسكن، ويقوم على أساسها التقدير العاطفي لكل موقف ولكل واقع.

ثانياً: إن الإسلام قائم على مزج الفكرة بالعاطفة، ولكن شريطة أن يتوفر في تلك العواطف الطابع الإسلامي، بأن تكون قائمة على مفاهيم فكرية معينة تتفق ووجهة نظر الإسلام العامة وأما العواطف السطحية المائعة التي لا تستند إلى مفهوم، والتي يثيرها الإحساس أكثر مما يثيرها الفكر، لأن انتشار هذه العواطف المنخفضة يؤدي إلى سيطرتها في المجتمع وهذا يشكل خطر على الأفراد والجماعات التي تحاول أن

---

(١) سورة التوبة: الآية (٢٤).

www.iqra.ahlamontada.com

ترتفع بمستواها الفكري، والتسامي عن المشاعر المرتجلة والأحاسيس الساذجة. إن العاطفة الإسلامية تعبير شعوري عن مفهوم أقره الإسلام، وأوجب العمل به... والعاطفة في الإسلام هادفة بمعنى أن الفرد المسلم هادف بفكره وعاطفته وروحه.. يسعى إلى تحطيم كل الكيانات الساعية إلى تفريغه وتذليله وتركيعه لغير خالق الإنسان. إن امتزاج العاطفة بالفكر يجعل الفراغ الفردي ذا مقدرة على امتلاك البعد الحضاري لأن الفراغ ملأ من شخصية الفرد النابعة من معاناة الفكر وطموح العاطفة...

فالعاطفة النبيلة محرك فاعل للسلوك والفكر السليم قائد أمين له إلى بر الخير والسعادة، والعواطف الخالية من الفكر والمفتقرة للهدف ليست أكثر من ضبط عشواء واندفاعات.

٤- الجسد:

إن الجسد في الإسلام له حق وعليه مسؤوليات:

وقد وضع الإسلام في الأجساد تشريعات خاصة تقيها من العلل وتحفظها من الأمراض، وذلك كما للصلة المتينة بين الجسد والروح والقلب والفكر، ولأن صاحب الجسد العليل لتتاح له الفرصة للسير في مضمار الحياة، والقيام بواجبه الديني والإنساني كعضو في الهيئة الإنسانية فالإنسان المريض ضعيف الإرادة، واهي الأعضاء، مضطرب التفكير، عصبي المزاج لا يستفيد من المجتمع الإنساني كما يستفيد منه الأصحاء الأقوياء [(١)] لذلك مدح الله في القرآن قوة البدن مع سلامة النفس ومتانة الأخلاق في قوله تعالى على لسان ابنة شعيب عن موسى (عليه السلام):

﴿يَـٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾[(٢)].

---

(١) طبارة، عفيف عبد الفتاح: روح الدين الإسلامي. مرجع سابق، ص٤٣٠ (بتصرف).

(٢) سورة القصص: الآية (٢٦).

www.iqra.ahlamontada.com

وبالجسد يستطيع الإنسان تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى، وبه يؤدي الفـرد الطاعـات لله سبحانه وتعالى، وأثار القرآن الكريم ميزة قوة الجسد البدنية وجعلها ميزة محمودة قال سبحانه في معرض حديثه عن (طالوت):

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

لقد بين المولى سبحانه أن سبب اختياره لطالوت وتفضيله علـى قومـه اليهود هما:

١- بسطة العلم وهو السعة في العلم الذي يكون به جودة الفكر وتدبير شؤون الأمة .

٢- بسطة الجسد وهو الكمال الجسماني المستلزم لصحة العقل والفكر والروح.

ولقد أشار الرسول (ﷺ) إلى ميزة المؤمن القوي قال (ﷺ): «**المؤمن القـوي خـير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير**»[2] .

فالإسلام كما يظهر يمزج المنافع الروحية بالمنافع الجسدية، فـرض الـدين إعطـاء الجسد حظاً من الرياضة وتـرك المجـال متسـعاً للاسـتزادة منهـا. ولكـن أشـترط عـدم الإجهاد الذي يخرج الرياضة عـن معناهـا الحقيقـي جـاء في القـرآن: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3].

ليتأهل الأخذ به لسعادة روحـه وسـعادة بدنـه.واليـوم، اعتـبرت تقويـة الأجسـاد مـن موجبات تقوية العقل والفكر وسعة الصدر حتى قالوا "العقل السليم في الجسم السليم" فيصبح الفرد في الإسلام اكبر داعيـة إلى تقويـة الأجسـاد. ـ كمـا يصـح القـول الجسـم السليم في العقل السليم ـ

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٤٧).

(٢) مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ح١٦، مصدر سابق، ص٤٣١ رقم الحديث (٦٧١٦).

(٣) سورة البقرة: الآية (٢٨٦).

www.iqra.ahlamontada.com

٥-القيادة والحركية والإيجابية:

الشخصية الإسلامية تمتلك مقومات... لأن هذه المقومات ليست مفروضة من الخارج، إنما هي مقومات ذاتية تنبع من الإحساس الجسيم بالمسؤولية الملقاة على الفرد.. والقيادة تعني امتلاك الفرد زمام نفسه والقدرة على توجيه الآخرين وقدرته على التصرف في اللحظات التي تستدعي حزماً وقوة وسعة تفكير وبعد نظر. وإذا ما توفر عنصر القيادة في الشخصية الإسلامية فسرعان ما يتنافى عنصر الحركية والإيجابية. وإذا ما اقتربت زوايا هذا المثلث، القيادة الحركية، الإيجابية. ازدادت فرص اكتمال البناء للفراغ الفردي[1].

٦- التقوى:

مأخوذة من الوقاية، وهي ما يستر الرأس، اتخاذ ما يحفظ مما يخاف ويحذر. والتقاة بمعناها، وتقوى الله (ﷻ): أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من عقاب وقاية تقيه منه، وذلك بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه. قال (ﷻ):﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[2].

وحق تقاته: تقوى تليق بجنابه سبحانه وتعالى. والآيات في الأمر بالتقوى كثيرة توجب التزام تقوى الله عز وجل بالقول والفعل، وأن تقوى الله عز وجل سبب النجاة من الشدائد وجلب الرزق الحلال، وأن من التزم تقوى الله عز وجل جعل الله في قلبه وروحه ووجهه نوراً يعرف به الحق فيتبعه ويميز الباطل فيجتنبه، فيستمطر بذلك غفران الله وغفرته ورضوانه. إن الفرد المسلم يكرم ويشرف بتقوى الله، وإن من كان تقياً كان كثير الخير في الدنيا ورفيع الدرجة في الآخرة.

---

(١) الأعرجي، زهير: الشخصية الإسلامية، مرجع سابق، ص١٢٧(بتصرف).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

www.iqra.ahlamontada.com

والنوازع الخيرة إذا اقترنت بالإيمان والإسلام عم خيرها لأصحابها وغيرهم عزة النفس والإباء والشجاعة، لأنها تكون مع الإسلام خاضعة لضوابط الرقابة الإلهية لا للأهواء الشخصية. وقال (ﷺ): «**إن الدنيا حلوةٌ خضرةٌ وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا. الحديث**»[1].

والتقوى بناء حاجز قوي بين النفس والمعصية وتوحيد النفس والعقل توجيهاً لله سبحانه وتعالى.. وهي مفرد مهم من مفردات الشخصية الإسلامية وبها يصبح البناء جاهزاً وعامراً لسد فراغات الفرد الذاتية. لأن التقوى تجعل الفرد في أمن وأمان من الخوف والحزن يوم القيامة وفي الدنيا، والنصر والتوفيق في هذه الحياة:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [2]

﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [3].

وأولياء الله المؤمنون المتقون الناصرون لدين الله.وفي معرض تنوير البصر والبصيرة قوله (ﷻ): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[4].

والفرقان ما يفرق بين شيئين ملتبسين أو أشياء مشتبهة، فثمرة التقوى هي نور في العقل والقلب والروح الذي يفرق بين الحق والباطل، واختيار طريق السعادة والنجاة، وهذه التقوى وفيها صفات المتقين وأثرها في الفرد والجماعة. فإن القرآن الكريم قد أولاها عناية فائقة ويدعوا إليها كما جاء في الآية الكريمة التي تدل على عمق الروحية الإسلامية: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ﴾[5].

---

(١) مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ج١٧، مصدر سابق، ص٨٥ رقم الحديث(٦٨٨٣)(جزء من حديث).

(٢) سورة يونس: الآية (٦٢).

(٣) سورة يونس: الآية (٦٤).

(٤) سورة الأنفال: الآية (٢٩).

(٥) سورة البقرة: الآية (١٩٧).

www.iqra.ahlamontada.com

ولو أن الفرد والجماعة عرفوا التقوى وقاموا بواجبهما لانطفأت ثورة الفراغ والشر وساد اليمن والبركة والإسلام في ربوع الحياة.

٧- الهدف:

الفرد المسلم يمتلك الهدف. والهدف في المفهوم الإسلامي ليس غاية الغايات، لأن غاية الغايات هو الفوز برضا الله وهو غاية وليس هدفاً.(الهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) والهدف جسر للغاية. والفرد المسلم هادف غايته الفوز برضى الله تعالى. والهدف هنا هو تحقيق خلافة الله في الأرض وتحقيق إرساء مفردات الفرد المسلم والمجتمع المسلم والدولة الإسلامية. والغاية هي الرضا المطلق في الزمن المطلق لخالق الوجود المطلق..

ولكن بجانب هذا يهدف الإسلام من الصلة بين العبد وخالقه إلى أهداف ثلاث أيضاً وهي:

تربية الضمير الإنساني، الحصول على السعادة النفسية، شفاء النفس من أمراضها.

١- تربية الوازع الإيماني :

الوازع الإيماني القوي الذي يكون للفرد بمثابة مرشد لسلوكه في الحياة يبصّره بعواقب فعاله وإذا كان هذا الوازع يضعف أحياناً، فإنه كذلك ينمو ويشحذ بالتربية الفردية والاجتماعية ويختلف باختلاف الأفراد والشعوب قوة وضعفاً، وإن أكبر مقومات الوازع هو الاعتقاد بإله قادر يحاسب على الكبائر والصغائر ويطلع على ما تكنه السرائر.وقد وضح القرآن الكريم إلى الوازع في قوله (ﷻ):

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[1].

---

(١) سورة ق:الآية (١٦).

www.iqra.ahlamontada.com

وهذا الحديث الداخلي صوت الوازع الذي لا يخفى على الله سبحانه وتعالى.وقال العلماء: إن كلمة "المسلم" تؤدي معنى كلمة ـ وازع وشاهد وحاكم ـ لأن قول الإنسان: أنا مسلم، معناه أسلمت نفسي لله، أي أُسلم له فكري وباطني وظاهري، أي صرت عبداً خالصاً له.

﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[1].

والقرآن يقول: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[2].

وقد فسر المفسرون الحافظ هنا: الرقيب وقال بعضهم: إن المراد بالرقيب هنا هو الوازع.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل   خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة   ولا أن ما تخفيه عنه يغيب[3]

أما القضاء على الفراغ الفردي واستبداله بالسعادة والسعادة ثمرة من الاتصال بين الفرد وخالقه والفرد اليوم تعمى عليه الطريق التي توصله إلى هذه السعادة فيظن أنها في إرضاء شهواته ما وسعه امكانه. ولكن السعادة الحقيقية ليست في إشباع هذا الفراغ من الشهوات لأنها جميعها فانية. فالمال يضيع، والصحة تضمحل، والعمر يفنى، والمتاع الحياتي لا بقاء له، ثم إن المصائب قد تقع فتكدر صفو الحياة ولكن يجب أن لا تهدم هذه الأمور سعادتنا الدنيوية. لأن العامل الأول لسعادتنا هو ذلك الاتصال بربنا سبحانه وتعالى، وإن الله معنا على الدوام، فهو يحمينا ويرحمنا ويؤيدنا. استمراراً لما سبق يمكن أن نسأل ما هي الأسباب الرئيسية لما نسميه الفراغ الفردي؟

---

(١) سورة الزمر: الآية (٢-٣).

(٢) سورة الطارق: الآية (٤).

(٣) كعكو، أحمد حسين: خطب الجمعة، التراث الإسلامي، حلب الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ص٢٤.

www.iqra.ahlamontada.com

إن من الأسباب الرئيسية لهذا الفراغ الخوف والقلق والكبت والتردد والشك والغيرة والأثرة والسأمة والحقد وغيرها.عمل كثير ممن يشتغلون بالعلاج النفسي والاجتماعي وقد ينجحون في تقصي أسباب الاضطراب الذي يسبب الفراغ، ولكن يفشلون في معالجة هذه الاضطرابات لأنهم لا يلجؤون في علاجها إلى بث الإيمان بالله في نفوس هؤلاء المرضى. والجدير بالذكر أن كتاب الله عالج أمراض الإنسان بما قال الله (ﷻ):

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وفيما يلي سنعرض بعض ما جاء في كتاب الله في تقرير هذه المعالجة:

أ- الإيمان بالله وأثره في سلوك الفرد:

الإيمان بالله هو عماد الحياة الروحية، ومنبع كل طمأنينة نفسية، ومصدر كل سعادة فالإيمان بالله يطلق النفس من قيودها المادية، فتتعالى على الشهوات ولا تبالي بالمنافع والمضار الخاصة، فيسعى الفرد لنفسه ولأمته وللناس جميعاً ضمن قوانين الحق العامة وسنن الخير الشاملة.

فكل ما في الإنسان من خير ونبل وتضحية وإيثار وإنكار للذات مستمد من إيمانه بالله والإيمان بالله ينير لنا ظلمات هذه الحياة، ففي ساعة اليأس يتذكر الفرد المؤمن أن هناك ملاذاً يلجأ، إليه وإن ربه قادر على معونته، فليس هناك ما يدعو إلى اليأس والجزع، فتطمئن نفسه، وتصغر أمامها الأهوال وتهون المصائب.

والله يخبر المؤمنين بأن يد المعونة والتأييد ممدودة لهم:﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٨٢)

(٢) سورة التغابن: الآية (١١).

www.iqra.ahlamontada.com

فالفرد المسلم في هذه الحياة وسط تيار جارف من الآلام والمصاعب، فمن لم يؤمن بالله ويتخذه ملجأ ومعزياً في المصائب ومساعداً في المتاعب كان أشقى الناس في حياته، بخلاف المؤمن الذي يحيا حياة طيبة بالإيمان كما صرح بذلك القرآن:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

ب- ذكر الله وأثره في النفس الإنسانية:

من أهداف الحياة الروحية بث الطمأنينة في النفس الإنسانية، ونبذ الهم والقلق[2] اللذين هما أعدى أعدائها، وذكر الله هو وسيلة فعالة للوصول إلى هذه الطمأنينة.

إن انشغال الفكر بالهموم المادية أو المعنوية، وتشتت العقل تحت تأثير القلق على المستقبل وتجاه مختلف أحداث الحياة، كل هذه الوساوس والأفكار تعصف بالفرد وتجعله عاجزاً عن القيام بواجباته، ومصدر الهم والقلق هو استشعار الفرد بضعفه أمام أحداث الحياة ولكن الإيمان القوي بالله الذي له التصرف في هذا الكون والاعتماد عليه يلقي في نفس الإنسان طمأنينة وقوة تتضاءل أمامها هموم الحياة بحيث يراها شيئاً تافهاً.

وذكر الله هو أثر الإيمان بالله، وهو غذاء روحي يمد النفس الإنسانية بما تحتاجه من سكينة واطمئنان وهذا ما صرح به القرآن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[3].

---

(١) سورة النحل: الآية (٩٧).

(٢) القلق ليس عدواً للنفس بل مظهرٌ من مظاهر فعاليتها فهو ليس بحد ذاته خيرًا أو شراً وإنما موضوعه، فالخوف من عقاب الله قلق يدفع الإنسان لانتهاج سبيل الفوز برضاه.

(٣) سورة الرعد:الآية (٢٨).

www.iqra.ahlamontada.com

وذكر الله له أثر كبير في تربية النفس، فالذي يذكر ربه ويتصور عظمته يخشع قلبه ويلين، فلا يصدر عنه من الأفعال إلا كل خير، لأنه يعلم أن الله مطلع عليه بينما الذين يعرضون عن تذكر خالقهم وينزلقون في غمرة هذه الحياة يكون ذلك داعياً لقسوة قلوبهم التي ينتج عنها الشر ولذلك حذر الله من الوصول إلى هذه الحال المقيتة:

﴿أَلَمْ يَأْنِ(١) لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾(٢).

أي طمأنينة تشعر بها عند ذكر الله. وأي فيض من إحساس سام يغمر نفس الفرد وينشله من وحدة هذه الحياة المادية إلى حياة أخرى تستشعر حلاوتها ! انه ذكر الله، ذلك الذي به يمسح ما في النفس من الهم والضيق والحزن والفراغ.

ج – خشية الله وأثرها في مجابهة البشر:

إن ما يعانيه العالم اليوم من تدهور في الأخلاق وانكباب على الرذائل وانتشار الإجرام بسبب غفلة الفرد عن خالقه وعدم استحضار عظمته التي تجعل في القلب رهبة تحول بينه وبين الميل إلى الشر.فخشية الله من الدعائم التي قامت عليها الحياة الروحية لأنها تسمو بالفرد إلى كل خير، لذلك جاءت الشرائع تسعى لغرس هذه النزعة في نفوس الأفراد مبينة ما يؤدي إليه غضب الله من العقاب الدنيوي والآخروي.

ولولا خشية الله لاسترسل الفرد في شروره، و انكب على شهواته، غير مقيم لمصلحة الغير أي اعتبار. ولما نظمت في ذلك كل القوانين والحدود التي شرعت للمحافظة على الإنسان من عدوان الغير، وهذا ما يعاني منه عالمنا، والإسلام بجانب ما شرعه من العقوبات والزواجر التي تردع الإنسان عن اقتراف الشر لم يهمل تذكيره

---

(١) الم يأن: ألم يأت الوقت.

(٢) سورة الحديد: الآية (١٦).

www.iqra.ahlamontada.com

لخشية الله والمعية معه، لأن ذلك أدعى إلى طاعته سبحانه وتعالى وسلوك الطريق المؤدي إلى رضائه والفوز بنعيمه، والآيات القرآنية شاهدة على ذلك:

وقال (ﷻ): ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾[1].

وقال (ﷻ): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾[2].

وقال (ﷻ): ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾[3].

ففي كل فرد عواطف وميول للعمل الصالح تشجعها المكافأة الحسنة والوعد الصادق بنيل فضل الله ومما جاء في القرآن قوله (ﷻ):﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[4].

وقال (ﷻ): ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾[5].

إن خشية الله المقرونة بالمعرفة والرجاء هي أقوى المؤثرات في أعمال الفرد فهي تربي الوازع الإيماني وتجعله فرداً صالحاً في المجتمع الإسلامي.

د- الاستغفار وأثره في علاج النفس:

الفرد المؤمن المراقب لله سبحانه في كافة أعماله تقل أخطاؤه لا محالة، ولكن قد تزل قدمه فيأتي بعمل لا ينبغي صدوره عنه فيذكر الله فيرى مبلغ خطيئته فيقلع عنها نادماً مستغفراً، فالعبد قد يخطئ لكن عليه إذا أخطأ أن يؤوب إلى رشده وأن يزيح ما

---

(١) سورة النور: الآية (٥٢).

(٢) سورة الملك: الآية (١٢).

(٣) سورة البينة: الآية (٨).

(٤) سورة الأعراف: الآية (٥٦).

(٥) سورة الأنبياء: الآية (٩٠).

www.iqra.ahlamontada.com

علق به من إثم، ثم يستأنف طريقه إلى غايته المنشودة ، لهذا يلتمس الله للمخطئ عـذراً على معصية ويحرضه على طلب المغفرة المؤدي إلى محاسبة النفس ومراقبـة الله الـتي تحيي موات الوازع.

والإسلام يجعل فرصة التطهر والتخلص من الآثام والأوزار ممزوجة بالتزود من الخير، فيجعل عمل الخير تكفيراً للإثم.وفي ذلك ما فيه من الحث على عمل الخير، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾(١).

ويقول (ﷻ): إن الحسنات تؤدي إلى المغفرة: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

ويقول الرسول (ﷺ) في هذا المعنى: «**واتبع السيئة الحسنة تمحها**»(٣).

فإيمان الفرد بأن الله يغفر الذنوب. جميعاً: وأنه إذا استغفره غفر له.والقرآن الكريم يجعل الاستغفار من المعصية والإقلاع عنها وسيلة لنيل المتاع الحسن والسعادة والطمأنينة في الحياة الدنيا قال الله (ﷻ): ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾(٤).

هـ - التوبة إلى الله وأثرها في تقويم الأخلاق:

التوبة في اللغة هـي الرجـوع والاعـتراف والنـدم والإقـلاع، والعـزم علـى ألا يعـود الإنسان إلى ما اقترفه (٥).

---

(١)سورة هود:الآية (١١٤)

(٢)سورة التوبة: الآية (١٠٢)

(٣)الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة: الجامع الصحيح سنن الترمذي، مصدر سابق، ح٤ ص٣٥٥، رقم الحديث ١٩٨٧. وقال عنه حديث حسن صحيح (جزء من حديث)

(٤) سورة هود: الآية (٣).

(٥) مصطفى إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، ح١، مرجع سابق، ص٩٠.

www.iqra.ahlamontada.com

وإذا أضيفت للفرد أريد بها رجوعه عن المعاصي والزلات والندم على فعلها.

والتوبة أولاها القرآن عناية فائقة، ورددها في كثير من الآيات منها قول الحق (ﷻ):

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[1].

وقوله (ﷻ): ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

فالتوبة إذاً هي من أهم الدعائم الخلقية ، فكل تأخير فيها هو انحلال في الشخصية الإنسانية، وكل إسراع وصدق فيها هو إصلاح للنفس وسبب قوي للقضاء على الشر.

والتوبة في الإسلام هي وسيلة تغيير الأفراد أنفسهم وهي سلاح خلقي عظيم، ففيها الندم والتغيير والتحول.

و- ابتغاء رحمة الله وأثرها في القضاء على التشاؤم:

لاشيء يضر بالفرد مثل التشاؤم، فهو من أخطر الأمراض التي تصيب النفس وتعصف بها وتقعدها عن العمل، وكثيراً ما يجرها إلى الهلاك ويجعلها ترتمي في الأخطار لأن الحياة تصبح في نظرها جحيماً لا يطاق. لنفترض أن هناك فرداً متشائماً نظر إلى هذا الكون فوجده مليئاً بالتعاسة والشقاء، وبالضعف والمرض، وبالخطايا والآثام، وبالأحزان والآلام، وليس فيه أمنٌ وسلام، ولم يكن عنده أمل في المستقبل ولا ثقة به، واستسلم لهذه الاتجاهات التشاؤمية وترك السعي في الحياة.

وأخيراً اعتزم الخلاص منها فقتل نفسه، هل يجني من ذلك إلا الخسران ؟.إن هناك ظروف وفراغات ومصائب تنصب على الفرد فتجعله ينظر إلى الحياة نظرة شؤم، لكن النفس المؤمنة بالله المترقبة لرحمته لا يغادرها الأمل من تلك الرحمة الإلهية ، وبهذا

(١) سورة المائدة: الآية (٣٩).

(٢) سورة الأنعام: الآية (٥٤).

www.iqra.ahlamontada.com

الأمل والإيمان تعالج مشاكلها مستعينة بالصبر والحكمة مترقبة انفراج الأزمة التي يتخبط فيها، ولهذا دعا القرآن الأمة جميعاً إلى طلب الرحمة من الله، وأن تكون مقصدهم قال تعالى:

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(1).

وقال (ﷻ): ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(2).

إن ما دعا إليه الإسلام من شأنه أن يكون شفاء عالجاً لأرواح الملايين المحرومين من متع الحياة، فإن ابتغاء رحمة الله إذا سيطرت على تفكير الفرد تجعله لا ينظر نظرة رغبة واشتهاء إلى من يفوقه ثراء وجاهاً لأن مقصده في الحياة يعلو على هذه المظاهر الخلابة الزائلة الفارغة.والله سبحانه وتعالى يعلق نيل رحمته من أصحاب الصفات الكريمة الذين أطاعوا الله في كل ما أمر به (ﷻ). ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(3)

وقال (ﷻ): ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾(4).

والفرد الذي سعى على الدوام لنيل رحمة الله لا توهن نفسه أية خيبة أمل أو أية معصية تداهمه، فهناك قوة روحية تدخل إلى نفسه العزاء مما يقاسيه من متاعب وآلام وفراغ، وبعكس ذلك الذي يغفل عن هذا المقصد أو يقنط من رحمة مولاه وخالقه قد تلتبس عليه سبل النجاح فيقع في مواطن الخطر وبالفراغ الداخلي وكتاب الله يفطن ليقول:

---

(١) سورة يونس: الآية (٥٨).

(٢) سورة الزخرف: الآية (٣٢).

(٣) سورة الأعراف: الآية (٥٦).

(٤) سورة الأعراف: الآية (١٥٦).

www.iqra.ahlamontada.com

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾(١).

فيا أيها الفرد المعذب المتشائم الذي تتلاطم بك أمواج هذه الحياة يمم وجهك نحو مولاك وخالقك، واطلب رحمته لتصل إلى شاطئ الأمن والأمان، فإن رحمة الله لا يعجزها شيء في الوجود، وهي قريبة منك إذا سألت الله أن يمنحك إياها. وفعلت ما تستحق عليه نيلها.

ز- عبادة الله وأثرها في تحرير الفرد من الطغيان:

عبادة الله هي أقصى غاية التسليم والخضوع والتذلل لله سبحانه مع طاعته، وهذا يقتضي عدم الطاعة والخضوع لأي كائن على هذه البسيطة لأنهم كلهم عباد الله سبحانه، وهذا ما بينه القرآن الكريم ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ﴾(٢). وقال (ﷻ): ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ﴾(٣).

وعليه فلا يجوز لفرد أن يعلو في الأرض ويتجبر ويتكبر ويقهر العباد حتى يخضعوا له ويذعنوا لأمره وينقادوا لجبروته يأمرهم بما يشاء وينهاهم عما يريد كما فعل الملوك والكهنة قديماً ، والذين يخضعون لأمثال هؤلاء الطغاة إنما يشركون بالله، ويساهمون في نشر الفساد والشر والطغيان. فالدين الإسلامي حين أمر بعبادة الله فإنما يقصد من ذلك أن يحرر الفرد من العبودية التي لازمته السنين الطوال من ملوك الأرض وزعمائهم الطاغيين ورؤساء الدين المتألهين، وأن ينزع من ذهنه ذلك الوهم بأنهم من عنصر أفضل، وأن بيدهم النفع والضر ، ولهذا يقول الله (ﷻ):

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ﴾(٤).

---

(١) سورة الحجر: الآية (٥٦).

(٢) سورة يوسف: الآية (٤٠).

(٣) سورة الأنعام: الآية (١٠٢).

(٤) سورة المائدة: الآية (٧٦).

www.iqra.ahlamontada.com

وأن الفراغ الذي أصاب الناس مرده عدم فهمهم هذه الحقيقة لذا نراهم ألهـوا بعـض أفراد جنسهم الذين علوا في الأرض واستذلوا البشر وساقوهم إلى التناحر والتخاصم والتحزب، وجعلوا الإنسانية شيعاً يحارب بعضها بعضاً ، ولهذا يدعوا الله عباده أجمعين ـ بقطع النظر عن ألوانهم وأجناسهم وشرائعهم ـ إلى التوجه إلى عبادته وحده:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

ح – الشكر لله وأثره في سعادة الفرد والمجتمع:

عرف العلماء الشكر لله بأنه: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناء واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة وعلى جوارحه انقياداً وطاعة[2].

الفرد الشاكر هو من يكون لسانه مشتغلاً بالحمد والثناء على ربه معترفاً له بنعمه، ويكون قلبه مملوءاً محبة لله على هذه النعم وشهوداً بأنها منه إحسان وفضل، وتكون أعضاؤه مشتغلة بطاعة الله استسلاماً له وانقياداً وطاعة قال (ﷻ):

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢١-٢٢).

(٢) طبارة، عفيف عبد الفتاح: روح الدين الإسلامي، مرجع سابق، ص١٩٣.

(٣) سورة البقرة: الآية (١٧٢).

www.iqra.ahlamontada.com

والشكر لله مظهر من مظاهر عبادة الله سبحانه وتعالى لذلك دعا القرآن الكريم إلى التخلق به في كثير من الآيات مثل قوله (ﷻ): ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[1].

والشكر لله يطهر النفوس، ويقربها من الله، ويوجه إرادتها إلى الوجهة الصالحة في إنفاق النعم في وجوهها المشروعة، ولهذا قال (ﷻ): ﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ﴾[2].

ومنفعة الشكر تعود إلى نفس الشاكر. أما كفران النعم فيعرضها للزوال لأنها تجعل الفرد غير مبال بها. قال (ﷻ): ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾[3].

فالشكر من دعائم سعادة الفرد والأمم، والتقلب عنه لا يجلب غير الدمار النفسي وخراب البلاد، حبذا لو فهم الفرد الشكر وتفهمته الشعوب وعملت به لتحصل على السعادة التي تنشدها وهي عنه غافلة.

ط- التوكل على الله وأثره في بث السكينة في الفرد:

أفلحت الحضارة في تيسير العيش المادي والترفيه الظاهري عن الناس، ولكنها فشلت في بث السكينة والطمأنينة ومعالجة الفراغ في النفس، فلا يزال القلق والخوف بشتى صوره: الخوف على مستقبلها الاقتصادي والاجتماعي، والخوف من الفشل، والخوف على الصحة، وغير ذلك، تفعل فعلها السيئ في النفس البشرية.

---

(١) سورة الزمر: الآية (٦٦).

(٢) سورة لقمان: الآية (١٢).

(٣) سورة النحل: الآية (١١٢).

www.iqra.ahlamontada.com

وقد أظهر علم الطب النفسي وعلم اجتماع الفراغ الجديدين أن سلسلة طويلة من الأمراض، من الفراغ النفسي إلى الفراغ العسكري يمكن في كثير من الأحوال ردها إلى متاعب نفسية لا بدنية ولا مادية، وليس سوء الصحة الاجتماعية التي تعتري كثيراً من الناس إلا ستاراً لمخاوف عميقة القرار. وإن في الإسلام عاملاً نفسانياً للقضاء على الخوف (الفراغ) وهو ما أمر به من التوكل على الله وتفويض الأمر إليه وعبادته.

قال (ﷻ): ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[1].

والقرآن يقر بأن الإيمان يجب أن يصاحبه التوكل ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

وكذلك يقول: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3].

والإسلام يحمل البشرى للمتوكلين ويعدهم الفضل من الله ونيل بركاته. وهذه الآية الكريمة تمسح ما في نفوس المؤمنين من الخوف (الفراغ) وتمدهم بقوة روحية يستطيعون بها التغلب على فراغهم وقلقهم وخوفهم:

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[4].

ولكن هناك من يظن أن التوكل[5] على الله وكما يتبادر إلى بعض الأذهان أن التوكل يضعف الهمة للعمل ويؤدي إلى الكسل، ويمد شرايين الفراغ، فهم التوكل على

---

(١) سورة هود: الآية (١٢٣).

(٢) سورة المائدة: الآية (٣٢).

(٣) سورة التغابن: الآية (١٣).

(٤) سورة الشورى: الآية (٣٦).

(٥) التوكل: اقتدار الضعيف بالقوي لإتمام الفعل وليس توكيلاً له للقيام به.

www.iqra.ahlamontada.com

أنه (تواكل) والقرآن الكريم يقول: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

فالتوكل على الله هو زاد روحي للتغلب على الفراغ الفردي من خوف وقلق وغيرهما، وهو الذي يعطي الفرد المؤمن بسمة أمام أحلك الساعات التي تمر به ويهبه سكينة النفس التي حرم منها كثير من سكان هذه الأرض.

ي- الإخلاص لله يسمو بأعمال الفرد:

الإخلاص لله هو أن يأتي الفرد بأعمال نقية، لا يشوبها رياء، قياماً بالواجب، سواء في العبادات أو سائر الأعمال، قاصداً بذلك وجه الله ورضاه. فالإخلاص من الصفات الروحية التي تسمو بالفرد إلى منزلة رفيعة من الخلق الإنساني، فأهواء النفس والرياء والغايات الشخصية، يحاربها الإسلام ليحل محلها الإخلاص لله. ولهذا أولاه الإسلام اهتماماً خاصاً وقرنه بالعبادة. قال (ﷻ):

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[2].

وقال (ﷻ): ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾[3].

ولما كانت الأعمال الخالصة لله وحده لابد لها من سابق نية وعزم نجد الإسلام يهتم بالنية ويجعلها محوراً تدور عليه أعمال المؤمن. قال رسول الله (ﷺ): «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، .... الحديث**»[4].

والإسلام يرقب بعناية فائقة ما يقارن أعمال الأفراد من نيات، وما يلابسها من عواطف وانفعالات. وقيمة العمل ترجع إلى طبيعة البواعث التي تمخضت عنه.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٥٩).

(٢) سورة البينة: الآية (٥).

(٣) سورة الزمر: الآية (٢).

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ج١، مصدر سابق، ص ٣ رقم الحديث (١) جزء من حديث.

www.iqra.ahlamontada.com

وإن صلاح النية وإخلاص الفؤاد لله سبحانه وتعالى، يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي، فيجعلانه عبادة متقبلة.

وإن خبث الطوية، يهبط بالطاعات المحضة، فيقلبها معاصي شائنة فلا ينال الفرد منها، بعد التعب في أدائها، إلا الفشل والخسران.

وأن القلب الفارغ من الإخلاص المقفر منه، لا ينيب قبولاً، كالحجر المكسو بالتراب لا يخرج زرعاً.والقشور الخادعة، لا تغني عن اللباس الرديء شيئاً. قال رسول الله (ﷺ): «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى أعمالكم و قلوبكم**»[1].

فعلى قدر نقاء السريرة، وسعة النفع تكتب الحسنات.

والإخلاص يسطع شعاعه في النفس البشرية، أشد ما يكون تألقاً في الشدائد المحرجة، إن الفرد عندها ينسلخ من أهوائه، ويتبرأ من أخطائه، ويقف في ساحة مولاه أواباً، يرجو رحمته ويخاف عذابه.

قد صور القرآن الكريم فزع الفرد عند الفراغ والحيرة، وانقطاعه إلى ربه يستجير به، ليخرجه من مأزقه الذي وقع فيه: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾[2].

والعلل الناشئة عن فقدان الإخلاص كثيرة وهي إذا استفحلت استأصلت الإيمان، وإذا قلت تركت به ثُلُماً شتى، ينفذ منها الشيطان. لكن المفروض على الفرد المسلم أن يضحي بالأغراض، والعلاقات والشهوات في سبيل الله، لا أن يذهل عن وجه ربه في سبلها.

---

(١) ابن ماجه، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، ج٢، مصدر سابق، ص ١٣٨٨، رقم الحديث (٤١٤٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٦٣-٦٤).

www.iqra.ahlamontada.com

ك- الدعاء وأثره الروحي:

الدعاء من مستلزمات العبودية والعبادة إذ هو الصلة والصلاة التي تربط بين العبد ومولاه.

والدعاء فطري في الإنسان فهو يشعر بالحنين إلى الله يفزع إليه عند الشدائد، ويتضرع إليه عند النوائب لكشف السوء عنه، فهو ضعيف أمام تقلبات الحياة وأحداثها لا يجد قوة لضعفه وسداً لحاجاته غير الدعاء. لذا أمر الله (ﷻ) به فقال:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1].

والدعاء علاج لكثير من أمراض النفس، فالفرد بطبيعته محتاج في حل مشكلاته لأن يفضي بدخيلة نفسه إلى أخ حميم وصديق مخلص. يخفف عنه بعض الذي يجده من الحزن والقلق والهم، فإذا أفضى الإنسان المحزون إلى ربه ما يعانيه ويكابده، وطلب منه ما يبتغيه فإنه يشعر بطمأنينة ونفحة روحية تنشله مما هو فيه من الضيق والهم والفراغ، وذلك لأن الإيمان يقتضي الاعتقاد التام بأن الله قريب منه مجيب دعوته كما أخبر بذلك القرآن.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[2].

وقد شرع الإسلام الدعاء لأسباب كثيرة منها السمو الروحي والترفع عن شهوات الجسد الضارة والارتفاع عنها إلى درجات الكمال، بجانب ما يطلبه الداعي من فضل الله وتيسير أموره وكشف الضر عنه، ولهذا يعلم الله المؤمنين كيف يدعونه بما ذكره على لسان أنبيائه الصالحين:

---

(١) سورة غافر: الآية (٦٠).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٨٦).

www.iqra.ahlamontada.com

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾[1].

وقال (ﷻ): ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾[2].

هذه بعض الأدعية التي ذكرها الله لنا لندعوه بها وبمثلها في فترات الفراغ القاسية طلباً للارتقاء الروحي. هذه هي فائدة الدعاء الذي فيه الفرج للنفوس والتثبت للأرواح والمنشط للأعضاء التي أشرفت على الهلاك وهو الذي يمحو الخوف ويهب الطمأنينة والراحة للنفس.

إن المفردات السابقة التي أتينا على ذكرها هي مفردات أساسية في علاج الفراغ الفردي في بناء الشخصية الإسلامية، ولابد أن يكون التوجيه إسلامياً حتى نستطيع تثبيت ركائز الإسلام في الفرد المسلم، حتى تتوفر لدينا المقدرة على البناء الصحيح.

٢- علاج الفراغ الجماعي:

إذا تبين لنا من خلال ما سبق علاج الفراغ الفردي، فتعال نفكر فيما عسى أن يكون من سبيل لتحقيق علاج الفراغ الجماعي (المجتمعي) والوصول إلى ذلك، فالعلاج المجتمعي لا يكون إلا وفق ما يتهيأ من العوامل المادية و الفكرية والخلقية والمدنية في المجتمع، فكما لا يمكن أن تكون الشجرة منذ أول أمرها إلى أن يتم نماؤها، شجرة ليمون أو برتقال مثلاً، ثم إذا آن أوان إثمارها انقلبت شجرة تفاح أو رمان، كذلك العلاج الإسلامي للفراغ الجماعي فإنه لا يظهر بطريقة خارقة للعادة، بل لابد لإيجاده وتحقيقه من أن تظهر أولاً حركة شاملة مبنية على نظرية الحياة الإسلامية وفكرتها، وعلى قواعد وقيم خلقية وعملية توافق روح الدين الإسلامي وقوائم طبيعته، يقوم بأمره رجال يظهرون استعدادهم التام للاصطباغ بهذه الصبغة المخصوصة من

---

(١) سورة إبراهيم: الآية (٤٠).

(٢) سورة الأحقاف: الآية (١٥).

www.iqra.ahlamontada.com

الإنسانية، ويسعون لنشر العقلية الإسلامية ويبذلون جهودهم في بث روح الإسلام الخلقية في المجتمع.

ثم يقوم على هذا الأساس نظام للتعليم والثقافة يهيئ رجالاً سالكين سلوك الإسلام الخاص، ويتخرج بفضله المؤمنون والفلاسفة المسلمون، والعلماء المسلمون الحاذقون في العلوم الطبيعية والاقتصادية والمالية، والذين لهم حظ وافر في القانون والسياسة وفي كل فرع من العلوم والفنون، من الذين امتزجت الفكرة الإسلامية بلحومهم ودمائهم، والذين تثقفت أذهانهم واتسعت مداركهم اتساعاً يؤهلهم لتدوين نظام للأفكار والنظريات ومنهاج كامل للحياة العملية مبني على مبادئ الإسلام وقواعده، والذين آتاهم الله من الموهبة والمقدرة ما يمكنهم أن يقارعوا به أئمة الفكر ممن لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ويجاذبونهم بحبل حتى يبسطوا سلطان سموهم ومعرفتهم الفكرية والعقلية، ثم تأخذ هذه الحركة تنمو صعداً، مع مالها من السيادة الفكرية والعقلية، مكافحة ومقاومة للفراغ الباطل المعوج السائد في المجتمع الإنساني، لأنه في مثل هذا الكفاح والبناء يعمل العاملون لذلك وحاملوا لوائه مع الصبر على ما يجدونه من مصاعب ومصائب وشدائد، ويبذلون حياتهم بكل صبر وجلد وإخلاص وعزم قوي.

- هذا هو طريق العلاج الإسلامي والسبل الفطرية لتحقيق فكرة المجتمع الإسلامي.

- المنهاج المخصص للعلاج الجماعي:

- يحسن بي الآن أن آتي ببيان يتضح به كيف يحدث تغيير جوهري في أساس الحياة الإسلامية الاجتماعية وكيف يؤسس بنيانها من جديد لتشييد صرح العلاج الإسلامي للفراغ، وكذلك أعرض عليكم المنهاج العملي المخصوص الذي يصعد بنا إلى المرتقى الذي نطمح إليه بأبصارنا في هذا الكفاح.

www.iqra.ahlamontada.com

الدين الإسلامي في الحقيقة هو عبارة عن الحركة التي تريد بناء صرح الإنسانية بأسره على منهج الله الواحد الأحد، وهذه الحركة جارية على سنن واحد منذ أقدم عصور التاريخ. وقدوتها وقادتها هم صفوة رجال الإنسانية الملقبون برسل الله، فإن أردنا القيام بهذه الحركة والعمل والعلاج على تسييرها، فلا بد لنا من إتباع هؤلاء القواد القدوة وُقفُوّ آثارهم، لأنه ليس، ولا يمكن أن يكون لهذا النوع من العلاج والحركة من برنامج عملي غير ذلك، وحينما نشرع بهذا الصدد في تتبع معالم الأنبياء عليهم السلام، والبحث عن آثار حياتهم تعترض سبيلنا عقبة عظيمة، فإن كتب التاريخ لم تحفظ لنا سيرة أولئك الرسل وعما قاموا به من عمل وما اتبعوه من خطة إلا نزراً قليلاً لا يروي الغليل ولا يشفي العليل. ولكن أقول إن حياة سيدنا ومولانا الرسول النبي الأمي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، المباركة هي المرجع لاجتلاء وجه الحقيقة في هذا الشأن، لأننا لا نجد فيما نسب إلى سواه من الأقوال عيناً ولا أثراً من تلك المراحل والأدوار، فلم يبق من بين الرسل إلا رسول الإسلام فإن محمداً (ﷺ) ـ هو القدوة والقائد الوحيد من بين هؤلاء القدوة في هذه الحركة، فإننا نجد في سيرته الجليلة منهجاً شاملاً لهذه القضية من أول عهده بالدعوة والتربية إلى قيام المجتمع الإسلامي، من علاقة الفرد وعلاقة الجماعة إلى بناء الدولة ونظم الحياة ـ نجد في تاريخ حياته الكريمة معلومات تفصيلية مسندة وافية عن سائر هذه الأمور والفراغات. وها أنا أعرض صورة إجمالية لمنهاج العمل المختار في هذا العلاج، مستقياً من ذلك المنهل الصافي، ومستنداً إلى ذلك المرجع الوحيد، وبالله التوفيق.

فالذي يعرفه القاصي والداني أن العالم كان مصاباً – كما هو الحال – بأمراض خلقية وعمرانية ودينية واقتصادية واجتماعية تقتضي طبيباً نطاسياً [1] يعالجها ويخفف من آلامها.

---

(١) نطاسياً: (النطاسي) العالم الماهر و ا لطبيب الحاذق. – مصطفى، إبراهيم وزملاؤه: المعجم الوسيط، ج٢، مرجع سابق، ص ٩٣٠.

www.iqra.ahlamontada.com

فقام محمد رسول الله (ﷺ) في الناس يدعوهم ويهيب بهم بملء صوته أن يعبدوا الله وحده ويجتنبوا الطاغوت فقد كان الناس على أصناف متعددة من الفراغ فهناك فراغ عقائدي كما كان في فارس وروما وهناك فراغ اقتصادي ممقوت بين طبقات الأمم، وفراغ أخلاقي ذميم فاشٍ في سائر الأقطار، وأما في بلاد العرب فأكثر وأكثر، فهي بحاجة إلى قدوة بارع حاذق بأدواء الأمم. فإن القوم كان قد عمهم الفراغ الفكري وغشيهم الفراغ الأخلاقي وتسلط عليهم الفراغ الاجتماعي فقراً وفوضى، كان هذا كله ولكن الهادي الذي أرسله واصطفاه الله من بين عباده لهداية البشر، قام يدعوهم ويرشدهم إلى ما فيه صالح العباد والبلاد.

وذلك أن كل نوع من أنواع الفراغ والفساد الاجتماعي والخلقي الذي يحدث في المجتمع الإنساني إنما ينشأ ما يراه الإسلام على علة أساسية واحدة، وهي أن يجعل الإنسان نفسه مستقلاً بأمره غير مسؤول أمام أحد ، ومادام هذا الفساد يسري في عروق الحياة الاجتماعية. لا يمكن أن ينجح أي مشروع للإصلاح الظاهري في اقتلاع جراثيم الشرور الفردية أو الاجتماعية فإن سدت ثلمة ظهرت بجانبها ثلمات أخرى، فلا سبيل إلى الشروع في مهمة الإصلاح الحقيقي إلا بأن تجرد العقول من هوى الاستقلال بنفسها وشهوة الأنانية الكاذبة ويُلقّن تلقيناً:

أن هذه الدنيا التي نعيش فيهالا يجري أمرها من غير منظم وسلطان عليها وقاهر لها، بل له الملك هو القاضي والحاكم المتصرف في شؤونها، فالعقل والقلب والشعور بالحقيقة الواقعية يقتضيان أن تطأطأ الرأس أمامه، جلت قدرته وتعالى شأنه، وتكون له عبداً قانتاً مطيعاً لأوامره. فهذا أصل كل الإصلاح وأسه، من وعى هذا الأساس يقوم ويؤسس من جديد بنيان السيرة الفردية والنظام الاجتماعي كله على طراز خاص، وبذلك يُحَلُّ جميع ما حدث من المشاكل في المجتمع البشري، وبذلك يفك كل ما يحدث من المعضلات في الحاضر والمستقبل، وذلك بأسلوب فذ مبتكر لم يسبق له

www.iqra.ahlamontada.com

مثيل. قام الرسول محمد (ﷺ) بهذا الإصلاح الأساسي من غير تهيؤ سابق ومن غير أن يأتي بأعمال تمهيدية للشروع في هذا المقصد الأسمى. بل دعا الناس إلى ذلك مباشرة، ولم يؤثر أن يسلك طرقاً ملتوية للوصول إلى الغاية المنشودة من هذه الدعوة بأن يأتي بادئ ذي بدء بشيء من الإصلاح السياسي والاجتماعي يستهوي به النفوس ويسحر الألباب.

حتى ينال بذلك شيئاً من القوة الحاكمة فيتدرج من خلالها إلى الغاية المنشودة التي أراد أن يدعو الناس إليها. لا، لم يكن هذا ولا ذاك، والذي نشاهده أن عبداً من عباد الله قام في بطحاء مكة وصاح في أهلها بصوته أن لا إله إلا الله، ولم يلتفت إلى شيء دون ذلك طرفة عين، فالطراز المخصوص من الحكمة والأباة والتدبر ، الذي لا مندوحة عنه في القيام بالدعوة والإصلاح والعلاج، وتنظيم شؤونها، يقتضي أن يكون الشروع في العمل بالدعوة إلى هذا التوحيد الخالص من غير تمهيد ولا مواربة.

فنظرية التوحيد هذه ليست بقصيدة دينية فحسب، بل إنما تقتضي هذه النظرية على نظام الحياة الاجتماعية المبني على أساس فراغ الإنسان (الفرد) من خلال استقلال الفرد بأمره أو حاكمية غير الله وألوهيته، وتنقلع بها هذه الشجرة الملعونة من جذورها وينهدم هذا البنيان من أساسه ويقوم وينهض بنيان جديد على أساس آخر غير هذا الأساس.

هذا هو سبيل العلاج الاجتماعي الذي يريده الإسلام - والله اعلم - وهذا طريقه، وعلى هذا الطراز والقاعدة يبتدئ، وبمثل التدرج يترقى.

أقول هنا ما يحتاجه العلاج ما يلي:

١- إيمان صادق بالله

٢- شعور إسلامي مخلص وفي

٣- خيفية كاملة وانقطاع إلى المطمح.

٤- عزم راسخ.

www.iqra.ahlamontada.com

٥- تضحية بالعواطف الشخصية

٦- تجرد عن الأماني والآمال الذاتية.

يحتاج العمل إلى كل ذلك.

فمثل هذا العمل لا يقوم به إلا أمثال هؤلاء الرجال، ولا يقدر على إنجازه والاضطلاع بأعبائه إلا من كان على غرارهم وسجيتهم.

إن محاولة ملء الفراغ الجماعي لا يمكن أن يتم إلا إذا توافرت عناصر العلاج في نفس ذلك الفرد والمجتمع حتى يكون البناء صلداً لا تهزه الأعاصير ولا تزعزعه الزوابع ولا تجرفه السيول...

والعلاج والمداواة حض عليها الإسلام وبلورها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وأبو ذر وغيرهم رضوان الله عليهم. وكل المسلمين الذين سقوا بعرقهم ودمائهم ومدادهم أرض الإسلام، وهو يتفجر دوماً في قلوب المؤمنين. وفي نفوس الهداة المهديين. الذين كانت أعناقهم لله طائعة مجاهدة في سبيله.

إن اجتماع العناصر الأربعة بالإضافة لما سبق: (الفكر، الروح، الجهاد، الجسد) في شخصية الفرد المسلم الذي يتشكل منه المجتمع الإسلامي كفيل بخلق أولئك الرجال وذاك المجتمع.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[1].

---

(١) سورة النور: الآية (٣٧-٣٩).

www.iqra.ahlamontada.com

المبادرة ...المبادرة: فقد روى عن بعض الصالحين أنه قال:(يتوسد المؤمن ما قدم من عمله في قبره، إن خير فخير، وإن شراً فشر، فاغتنموا المبادرة، رحمكم الله في المهلة).

وقال آخر: (أدركت أقواماً يستحيون من الله في سواد الليل من طول الهجعة، إنما هو على الجنب فإذا تحرك قال: ليس هذا لك، قومي خذي حظك من الآخرة)[1].

إذاً: لابد من وضع سياسات محكمة للإنشاء الدائم والبناء المستمر، فإن شحن الفراغ بالواجبات والانتقال من عمل إلى آخر، ولو من عمل مرهق إلى عمل مرفه هو وحده الذي يحمي المجتمع من علل التبطل ولوثات الفراغ، وأحسب أن المجتمع يستطيع الخلاص من مفاسد كثيرة لو استطاع التحكم بالفراغ، لا بالإفاده منه بعد أن وجد، بل بخلق الجهد الذي يستنفذ كل طاقة، ويوجد الناس إلى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم، فلا يبقى مجال يشعر فيه أمرؤ أنه لا عمل له، ومن قديم عرف المصلحون بطلانه وفراغ الأنفس ذريعة للفسوق والفساد فقيل:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

٢- نتائج الحل الإسلامي

١- الفرد السوي والموالادة الجديدة:

الفرد هو اللبنة، التي يتكون منها البناء الأسري والاجتماعي كله، ولهذا اشتدت عناية الإسلام به في مراحل حياته كلها ولم يبخل عليه بالتشريع والتوجيه لأنه أساس الأسرة والمجتمع ، فإذا صلح الفرد صلحت الأسرة وإذا صلحت الأسرة صلحت الجماعات والأمم.

---

(١) ابن الجوزي، عبد الرحمن: صفه الصفوة، ح٢، مصدر سابق، ص٢٤١.

www.iqra.ahlamontada.com

ويكون الفرد سوياً صالحاً حتى تحقق فيه سورة العصر بشروطها الأربع فقد اعتبرها القرآن شروط النجاة من الخسران والهلاك في الدنيا والآخرة ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[1].

فالمؤمن هو صاحب الأمن وهو أولى من غيره، فإذا انعدم الإيمان انعدم الأمن، فيصبح الفرد مضطرباً قلقلاً لا يستقر على شيء، قال تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[2].

وعندما ينعدم الأمان، يصبح موت الفرد خير من حياته، وهذا ما بينه القرآن الكريم عندما وصف الكفار بالأموات، ووصف المؤمنين بالأحياء ووصف عملية الهداية بأنها نقلة من الموت إلى الحياة قال تعالى:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3].

فالفرد بلا إيمان فرد ميت، هو فارغ القلب والضمير والمشاعر والأحاسيس، فارغ العقل والفكر والبصر، فارغ الأخلاق والنفس، فارغ المزاج فارغ الروح.

فالفرد (الكافر...) أياً كانت وجهته ومذهبه مزود بآلات استعمال قابلة للهدى، لكنه قد عطلها واستعملها في غير طريق الحق، زوده الله بها، فصرف قواه كلها إلى الحياة

---

(١) سورة العصر: الآية (١-٣).

(٢) سورة الحج: الآية (٣١).

(٣) سورة الأنعام: الآية (١٢٢).

www.iqra.ahlamontada.com

الدنيا ولم يرد غيرها [1].

(وعملوا الصالحات): فهو ثمرة الإيمان، ومظهره العملي، فالإيمان ليس مجرد إدراك ذهني أو انفعال عاطفي إنما هو حقيقة مشتركة من المعرفة والانفعال والنزوع، تدفع بالفرد إلى عمل الخير وترك الشر، فالعمل والطاعة وسيلة لإيجاد الفرد السوي.

(وتواصوا بالحق) وصيغة التواصي تدل على تفاعل بين طرفين، ومعنى هذا أن يوصي المرء غيره بالحق ويقبل منه الوصية به، وهذا يعطينا أن القرآن الكريم خاطب الإنسان وهو في مجتمع يأخذ منه ويعطيه، ولا يتصور راهباً في.. صومعة أو منقطعاً في فلاة، وبهذا لا يكتفي القرآن من الفرد المسلم أن يكون صالحاً في نفسه، سليم العقيدة، صحيح العبادة، حسن المعاشرة، ثم يدع الحق مغلوباً، والباطل غالباً والمعروف ضائعاً والمنكر ظاهراً قاهراً وهو لا يحرك ساكناً، ولا ينطق صامتاً، ولا يبذل جهداً. إن المسلم لابد له أن يعيش جندياً للحق يؤمن به ويحبه، وينصره، ويدعوا إليه، وهذا أساس من أسس الإسلام[2].

(وتواصوا بالصبر). والصبر هو: تحمل النفس مكاره الحياة، وعدم الجزع لنوائب الدهر ونكباته، فهو دواء شافٍ لمن ملك الحزن نفسه، والبلسم المعافي لمن قبض الجزع زمام عواطفه، بل هو عين الراحة، وينبوع الفرح ومبيد الهموم ومزيل الغموم ولا سبيل إلى ما علق بالمرء من الأحزان إلا التمسك به والتعلق بأهدابه فهو ركن حصين في محاربتها، وعماد قويم على دفعها[3].

بذلك كله يحمل الفرد نفسه على حب الخير لنفسه وللناس ليكون برهاناً على صدق إيمانه وحسن إسلامه وبالتالي ليتحقق الفرد السوي.

---

(١) محمد الحسين، محمد ياسر: الطاعة والمعصية وأثرهما على الفرد والجماعة، مرجع سابق، ص٢٨٤(بتصرف).

(٢) القرضاوي، يوسف: الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص١٨٩(بتصرف).

(٣) الدجوي، أحمد سعيد: فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، مرجع سابق ص٤٣.

www.iqra.ahlamontada.com

ما أحوج الإنسانية إلى ذلك الفرد السوي، وما أحوج المجتمع المسلم إلى هذا الزاد العظيم، وما أحوجهم إلى نفوس قوية بالإيمان صادقة باليقين ملتزمة بالعهد تجاهد في سبيل الله، ولا تخاف لومة لائم، حتى ترد موجة الضعف العاتية وتيار اليأس القاتل، ولن يكون إلا بتربية جيل وقر الإيمان في قلبه، وصدق في عزمه، وتجلى في فؤاده برد الهداية، ونور اليقين، وصبر الرجال.

وإلا أيتصور أحد أن فارغ النفس يكون فارساً في الميدان، أو يتصور أن متغلب الكرامة دنس الذيل يحمي الحرمات والأعراض. هل نحن في زمن العجائب أو في عصر الغرائب، العظماء خونة، والجبناء قادة، والمنافقون سادة، والمنحرفون هواة فنانون، والسارقون أمناء، والظالمون رحماء، والطاغون حلماء، هل أصبحت المسميات مختلفة فأطلق على المستقيم معوج، والعصامي منحرف، والمفكر مجنون، والمثقف جاهل، والخبير منحرف؟!.

وهل تبدلت القيم فأطلق على المومس فاضلة ونجمة، والقديسة معقدة، والفاجرة مدنية مهذبة، والمنحلة مؤدبة. هل أصبح المذكر مؤنثاً والمؤنث مذكراً، والمجهول معلوماً، والمعلوم مجهولاً، وكان صارت أصبح، وأصبح أضحت أمسى، نعم وألف نعم.

إن من يحسون أصبحوا مرضى بالحساسية، ومن لا يحسون أصبحوا مرضى بالتبلد، أصبح الخاصة مرضى بالنفاق والدجل والمحاباة، والعوام مرضى بالتصفيق والهتاف، والذلة والمسكنة، والمصلحون مرضى بالإحباط والإخفاق والعجز، والدعاة مرضى بالسطحية والارتجالية والعفوية.

أصيب الناس بفقد الربان الماهر(الفرد السوي)والدليل الناصح والمثل القويم، والنطاسي البارع، والمرشد الأديب. فكيف لا تتبدل القيم، وتتغير المفاهيم، وتنقلب المعايير ؟!.

www.iqra.ahlamontada.com

إن من يتصور ذلك كالطالب من الماء جذوة نار، إنه ند آن للمسلمين أن يعوا قرع الحوادث وهدير النكبات وقد آن لهم أن يميزوا الخبيث من الطيب، والهدى من الضلال، والرشد من الغي، وصدق الله العظيم:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[1].

وما أطال اليوم إلا صحوة تهدر وفجراً يطلع وشمساً تبزغ، ونوراً يشرق، يبشر بالخير وينادي بأمل يرتقب.

٢- الأسرة الإسلامية المثالية:

هي التي تظلها المعاني التي جعلها الإسلام أهداف الحياة الأسرية وثمراتها وهي: السكن الروحاني والنفساني. بالأسرة تنمو روح الألفة والمودة والرحمة ما بين الزوجين والأبناء. فالزوج (الأب) حين يفرغ آخر النهار من عمله، ويركن عند المساء إلى بيته، ويجتمع بأهله وأولاده، ينسى عناء العمل وهموم الحياة التي أعثرته في نهاره، ويتلاشى الفراغ والتعب الذي كابده في سعيه وجهاده.

وكذلك المرأة حين تجتمع مع زوجها، وتستقبل عند المساء رفيق حياتها، وهكذا يجد كل واحد منهما في ظل الآخر سكنه النفسي، وسعادته الأسرية، وصدق الله العلي القدير عندما صور هذه الظاهرة بأبلغ بيان، وأجمل تعبير فقال (ﷻ):

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

---

(١) سورة الحديد: الآية (١٦).

(٢) سورة الروم: الآية (٢١).

www.iqra.ahlamontada.com

وفي الأسرة المثالية يتعاون الأفراد على بناء الأسرة وتحمل مسؤوليتها.... فكل فرد فيها يكمل عمل الآخرين، فالمرأة تعمل ضمن اختصاصها، وما يتفق مع طبيعتها وأنوثتها وذلك في الإشراف على إدارة البيت، والرجل يجد ضمن اختصاصه، وما يتفق مع قدراته، وذلك في السعي إلى طلب الرزق الحلال وحماية الأسرة من عوادي الأيام، ومصائب الزمن، وفي كل هذا تقوم الأسرة المثالية الإسلامية.

إن الأسرة الكريمة العزيزة، محض أبطال وأساس رجال ونساء ومنبع طهر وفضيلة وكرامة وخير، قد حرص الإسلام على أن تختار اللبنة الطيبة للأسرة الكريمة لتجنب زلازل الآثام العاتية ونكبات الغرائز الماحقة، ولاحظ القرآن نزعات النفس البشرية وميول الغرائز الإنسانية الجامحة، فعالجها بدوائها الناجع فربما تتوفر الشروط الكريمة في فقير أو تكون عند قليل المال في السبيل: ﴿ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[1].

يغنه الله في نفسه فقد يكون غناء النفس أجدى بكثير من غناء اليد. يغنه الله بعمله وكده يغنه بدينه وأمانته وعفته وخلقه وفضل الله يؤتيه من يشاء.إن الأسرة العليلة والبيوتات الهابطة هي التي تؤثر القشور على اللب وتستبدل الأدنى بالذي هو خير.وتسير وراء السراب الخادع والوهم الزائف والعادات البالية والأفكار السقيمة تأسرها الكلمة ولا يروقها الفعل، يلفتها المظهر ولا يشغلها المخبر، يأخذها التشبه ولا يعجبها التربية، يبهرها الغرور ولا تسعى إلى الحقيقة حتى صارت حياتها مسخاً من أهواء ونزعات. وسقطاً من شهوات وأطماع ليس لها همة حتى ترتفع ولا أساس حتى تقوم ولا عمد حتى تعلو ولا خلق حتى تسمو ولا عقيدة حتى تحيا.

---

(١) سورة النور: الآية (٣٢).

www.iqra.ahlamontada.com

أما أصحاب العقائد الربانية وأرباب المبادئ الإسلامية فلهم مع الأخلاق شأن ومع الإيمان صحبة ومع الفضيلة لقاء يعايشون الحقيقة ويخاطبون الفطرة، نفوسهم كبيرة وغاياتهم عظيمة وآمالهم عريضة شموس تبدل الليل وصبح يخلف الظلام..

إذا وزنتهم الحياة وزنوها وإذا قارنتهم الأيام رحموها هداية في الزمان وحكمة في الأيام ومثل على مر التاريخ يموت الناس ولا يندثرون وتنقضي الأيام ولا يزولون. أيوزنون بمال لا. أيقارنون بجاه كلا[1].

وكان من دعاء الصالحين المتقين في القرآن الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[2].

والمتقون رجالاً ونساءً يطلبون من الحياة عزها، ومن الأيام طهرها، لهم غاية، ويسيرون إلى هدف، ينقبون عن الفضيلة كما ينقبون عن المعادن النفيسة، وهذا شأن من عايش الإيمان، بضاعتهم لن تبور.

إذا ضمن حال دون تكوين وتشكيل الأسرة الكريمة والبيت القدير، يحول بين آيات الله أن تتحقق وسفنه أن تعمل. نعم ما جدوى حياة بغير خلق إنها تجلب الشقاء، وما فائدة أيام بغير سعادة إنها خيال وأوهام، وما غناء علاقات ووشائج بغير هناء ورجولة وقرار. إنه العذاب والضياع والفراغ.

٣- المجتمع الصالح:

يهدف الإسلام إلى تشكيل وتكوين الجماعة الصالحة، كما يهدف إلى تكوين الفرد الصالح والأسرة الصالحة، وهما بلا شك أساس متين لصلاح المجتمع المنشود. والجماعة الصالحة هي التي تربط أفرادها وأسرها بمبادئ الإسلام وقيمه العليا. وتجعل مبادئ الإسلام المثلى حياتها، ومحور وجودها.

---

(١) الواعي، توفيق يوسف: سلوك المسلم، مرجع سابق ص٣٣(بتصرف).

(٢) سورة الفرقان: الآية (٧٤).

www.iqra.ahlamontada.com

إن للمجتمع الصالح قانوناً يسير عليه، وقد ينبع من ذاته، وقد يقتبسه من غيره، وقد يدله عليه نبي أو رسول. ودائماً هذه المبادئ تكون طيبة الذكر خالدة الأثر شذية الرائحة تشفي من الداء كما يشفي الدواء ويطهر من الكروب كما تطهر العقاقير. وتعطي القوة كما يعطيها الغذاء والطعام. وتورث الراحة كما تورثها السعادة، وتمنح الأمن كما تمنحه الطمأنينة، وبعض القيم تلزم الفرد ويحتاج إليها كما يحتاج إلى الهواء والماء، فإذا انفصل عنها كان ذلك مثل انفصال الروح عن الجسد، أو الدماء عن الشرايين، يهلك الفرد ويورده الحتوف.

يعيش الفرد المسلم في مجتمعه في دنياه واضح الهدف، معتدل الخطو، مستقيم الدرب عنده من إيمانه زاد ومن تعاليمه نور، بصّره قرآنه، وعلّمه رسوله، وأعطاه عبرة القرون وتجارب الأمم والمجتمعات ليعد لكل موقف عدته، ولكل أمر جوابه، ويحث الإسلام الفرد أن يسعد أسرته، ويرعى ولده، ويعطي بنيه حتى يكفيهم، ويسعدهم ويرضى رغباتهم بالمعروف.

تستقيم الحياة إذا استقام السائرون فيها والقاطنون عليها، وتعوج إذا اعوجوا وتلتوي إذا زاغوا، وصدق الله العظيم ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾(١).

وكان من فضل الله ومن كرمه ومنه، أنه مَنَّ على البشرية بهداة مهتدين ودعاة مخلصين، لم يطلبوا مالاً، ولم يظلموا أحداً، أو يقتلوا نفساً، بل كانوا رسلاً مبشرين ومنذرين، ودعاة ميسرين لا معسرين، وهداة ناصحين لا مضلين، ملؤنا الأرض عدلاً، ونوراً، وأمناً، وسلاماً، وعملاً واجتهاداً، ولكن الباطل عز عليه أن ينهزم والشيطان كبر عليه أن يندحر، فعمى على الهداية، ولبس على الناس وأوحى إلى أوليائه، وجمع ضربه، ونظم جنده، ونصب حبائله، وذرّ سمومه، وألقى شباكه، واستطاع أن يأخذ جولة، وأن يسودَ زمنا، ويعلوا أحقاباً، فترك الناس لأنفسهم، ودلهم على أهوائهم.

---

(١) سورة الصف: الآية (٥).

www.iqra.ahlamontada.com

ووسع فراغهم، وأيقظ أطماعهم، وحرك شهواتهم، فتعارضت الأهواء والمصالح وتنافست الأطماع وتناصرت الشهوات ، وشقيت الأنفس، وخبثت النفس واشمأزت الأرواح، وسارت البشرية، تجر بسلاسل الخداع والمكر والدهاء والكهانة لتعبد غير الله سبحانه. ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾[1].

...تتلفت ولا منقذ، وتستغيث ولا مجير، (ماضياً وحاضراً) إلا هداية السماء في شعورها القويم، الذي يفجر في النفوس طاقات البر والخير، والمودة والإخاء والإحسان، فنسمع رسول الإنسانية محمد (ﷺ) يلقن البشرية التعاليم الخالدة في المجتمع الصالح بالوصية المضيئة فيقول (ﷺ):

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته. ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[2].

فنرى أن الرسول (ﷺ) يجسد في الحديث أخوة المجتمع في الإسلام ويعلمنا الأخوة عملية واقعية، ذات تأثير في حياة المجتمعات لأمور.

أولها: أن يعطي كل ذي حق حقه لا يظلمه، بل يعطيه ويرضيه ويحافظ على ماله.

ثانيهما: أن يكون له معواناً على الخير لا يسلمه إلى الشر أو النوائب أو الفراغ ولا يبتعد عنه في الشدة

ثالثها: أن يسد حاجة أخيه ويكفيه ما أهمه، ويدفع عنه ما ألم به، ويكون له عوناً على أمره ورهن إشارته وطلبه.

رابعها: أن ينفس كربته، ويداوي جراحه، ويزيل غمه وهمه، ويدخل عليه السرور.

---

(١) سورة الغاشية: الآية (٤، ٥).

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ج٢، مصدر سابق، ص٨٠٥، رقم الحديث (٢٣١٠).

www.iqra.ahlamontada.com

خامسها: أن يشد عليه، ويحفظ سره ويستر عورته، ويضمد جراحه، ويغفر زلته
ولا يعين عليه شيطانه، وهو بهذا يكون مسلماً، ويستحق أن يُعد من مجتمع المسلمين
ويوصف بصفة الإيمان.ولاشك أن هذا يتطلب مستوى معيناً من التربية، وقدراً كبيراً من
الفهم والإخلاص والإيمان، حتى نصير النفس سيالة بالخير مفعمة بالمعروف، سباقة
إلى الإحسان والبر، وهذا القدر وهذه الدفعة، لا يعطيها إلا الإيمان، ولا تمنحها إلا
رسالات السماء. وأهم القيم الإسلامية في هذا المقام هي:

التجمع على العقيدة:

فالمجتمع الإسلامي ليس مجتمعاً قومياً ولا إقليمياً، وإنما هو مجتمع عقائدي
مجتمع فكرة وعقيدة.

يدين بالإسلام، فهو الأساس الأيدلوجي لهذا المجتمع[1].

وهو ليس عقيدة تكتفي بالاستقرار في الوجدان ولا فكرة يمتلئ بها الذهن فحسب
بل هو عقيدة تفضي إلى شريعة، عقيدة صلبة يقوم على أساسها نظام كامل يهدف إلى
إقامة الحياة المتوازنة المطمئنة على دعائم من معرفة الله وفي ظل من رضوانه.

هذا المجتمع الصالح له اهتمامات كثيرة، وأهداف عظيمة ليرقى الإسلام بالمجتمع
إلى درجة الصلاح والمثالية والكمالية، والذي يهدف الإسلام إلى تحقيقه هو:

١- **احترام العمل الصالح.**

٢- **الدعوة إلى الخير**

٣- **الجهاد والمجاهدة في سبيل الله**

٤- **تثبيت الأخلاق.**

إذاً إسلامنا يهدف أن يعيش المجتمع جميعاً متوادين، متحابين، يسعى كل
منهم في مصلحة الجميع، حتى تسود العدالة وتنتشر الطمأنينة في النفوس، و

---

(١) القرضاوي، يوسف: الخصائص العامة للإسلام، مرجع سابق، ص ١٩١ – ١٩٢ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

التضامن فيما بينهم، كما يحرص عل سلامة المجتمع، ليعيش الكل في وئام ووفاق، لا منازعات بينهم ولا خصومات، كما يحرص على سلامة الفرد وأن يعيش في هذه الدنيا سعيداً يألف ويؤلف، يكرم ولا يؤذي. ويخرج منها فائزاً رابحاً.

٣- اقتراحات تربوية

أأشرق على فؤاد الفرد شعاع من نظام الإسلام وتربيته المحكمة في هذا المجال ؟.

النظام الذي لم يبهت [١] بعد في مجتمعنا المعنى برغم جهود الفسقة والعصاة.

النظام الذي يربط المسلم بالله من الفجر إلى العشاء ، في حلقات موقوتة من العبادة التي تصلك بالمسجد وأخوة لك فيه، وتردك إلى مولاك ؟.

إن هذا النموذج في هذا النظام ليس إضاعة للحياة ولا بعثرة للوقت !!

إنه الطريق الوحيد لملأ الفراغ وتجديد الحياة، والنجاة من سجن الأثرة وشقاء الأنانية.

أجل إنه الإسلام... يزحم حياة الفرد بالواجبات:

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾[٢].

بعض الناس يتساءل: ما هذا ؟ يقظة تتبع يقظة، وصلاة تتبعها صلاة، وصيام وزكاة وصدقات، ثم جهاد وبذل ومعه كفاح وصبر !!. ما الذي يبقى للفرد بعد ذلك لنفسه وحياته ؟.

---

(١) يبهت:(بهت) أخذه بغتة. - الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، مصدر سابق، ص٦٦.

(٢) سورة طه: الآية (١٣٠).

www.iqra.ahlamontada.com

لقد ضاعت حياة الفرد كلها من أجل الله، وتكاليفه، فماذا بقي له ؟؟ وهذا التساؤل يزدادُ طبعاً عندما يلمح خطوط الحياة الجادة التي يرسمها الإسلام مثل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1].

والإسلام يسارع إلى طمأنة الفرد على نفسه، ومصالحه، وحاضره الذي يحبه، فإن قصد الله أقصرُ طريق إلى تأمين النفس... والعمل له أضمنُ وسيلةٍ لتحقيق رغائبها.

قال (ﷻ): ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[3].

وقال (ﷻ): ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[4].

وقال (ﷻ): ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[5].

إن الإسلام هو الدين الفذ، الذي شرح بإسهاب جميع المبادئ التربوية التي تصارع أهواء النفس، وترد غوائلها، وإن آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى تكون ثروة إنسانية طائلة وإنها من الوفرة بحيث تعجز الشهوات مهما طفحت عن اختراقها، كما تعجز مياه الفيضان مهما علت عن اجتياز السدود السامقة المنيعة..

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢١٨).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٥٢).

(٣) سورة إبراهيم: الآية (٧).

(٤) سورة محمد: الآية (٧).

(٥) سورة الحشر: الآية (١٩)

www.iqra.ahlamontada.com

إن التربية والتهذيب هما الطريق الوحيد للتقدم والسمو. لأن نفس الفرد موضوع عناية الإسلام ما بقي حياً ينشد الحق ويستزيد من الخير والرفعة.. ومعنى هذا أنه لابد من أخطاء تقع، ثم يلحقها التصحيح، والتقويم، حتى يمكن إفراغها في قالب أفضل، وعندما توضع في القالب الجديد، ستبدو بها هنات، أو ينكشف عوج لم يكن ملحوظاً من قبل، فيراد تصحيحها وتقويمها.

وعندما يظن أن نصيبها من التجويد قد تم، ينكشف من آفاق، لكمال ما يجعلها بحاجة إلى المزيد من التربية والتحسين.

ولن يستريح أحدٌ من عبء هذه المجاهدة ولاما تستبقه من وقوع الخطأ، والفرار منه وربما أفاد الفرد دربةً بحفر الطريق، ومساوئه، ومتاهاته من طول ما يعاني في سبيل الحق.

بل إن أبصر الناس بالحياة، وأعرفهم بأهلها أولئك الذين تمرسوا بصعابها، وتعرضوا لأهوالها، وعثروا وأقاموا، وفشلوا ونجحوا، وسالموا وخاصموا..ووصلوا إلى النهاية بعد خبرة عميقة بأسباب الصعود والانحدار.!!

إذاً سنتعرف على تلكم الوسائل التربوية الهادفة والبرامج الإيجابية التي شرعها الإسلام لاستثمار الفراغ لتكون مشعل هداية، وأداة إصلاح وتربية لأبناء الأمة بعون الله تعالى. فتعالج فراغهم بتنمية الروح الإيمانية، وتزود فراغهم الفكري بالثقافة النافعة.

لقد شرع الله للمسلمين منهاجاً ونظاماً فريداً متكاملاً للحياة الفاضلة، فرض فيه فرائض وواجبات، وسن سنناً وآداباً حسب درجة أهميتها ومردودها التربوي في بناء شخصية الفرد المسلم، وأوضح لنا أهدافها السامية، ومقاصدها الشرعية، وكما حدد المحرمات والمعاصي والمنكرات وحذر من آثارها الضارة على الفرد والمجتمع.

وقد استهدفت أركان الإسلام وفرائضه غايات نبيلة وآثاراً طيبة في إعداد شخصية المؤمن للحياة الإسلامية الصحيحة، فالصلاة لدعم الصلة بين العبد وربه في عبادته

www.iqra.ahlamontada.com

وطاعة أوامره واجتناب نواهيه، والصوم سبيل لتحقيق التقوى والإخلاص لله في السر والعلن، والزكاة تطهير للمال وتزكية للنفس البشرية، وتحقيق للتكافل الاجتماعي، ويشهد المسلم في رحلة الحج إلى بيت الله العتيق منافع عظيمة تعزز هدايته، وتدعم روح الأخوة والتعاون بين المسلمين، وتعرفة معنى الطاعة والعبودية الخالصة لله ومتعة العبادة وحلاوتها في الدنيا والآخرة بعيداً عن زخارف الدنيا وزينتها.

كما يعرفنا الإسلام على الحكمة الشرعية من تحريم الخبائث ومنع المنكرات والفواحش، ويبين لنا آثارها السيئة على الدين والعقل والنفس والخلق والمال .ومن خلال هذه المصالح الشرعية والمقاصد النافعة التي استهدفتها الأحكام التشريعية، نستطيع أن نحدد المنطلق السليم لكل نشاط مفيد أو فاسد من خلال مردوده وآثاره ومما لا ريب فيه أن هذه الفرائض التي شرعها الإسلام هي أرقى أنواع الأنشطة وأعمها وأسماها هدفاً، وأعظمها نبلاً وشرفاً، وأفضلها وسيلة لاستثمار الفراغ، بل هي تستوجب تفريغ أو ملء الوقت بالعمل المناسب له لأهميته في تكوين الفرد وسلوكه الاجتماعي.

بيد أننا نكتفي باستعراض بعضاً منها، لصلتها المباشرة في برامج الأنشطة وخططها التربوية لملء وقت الفراغ لدى الفرد.ومن أهم هذه الوسائل الهادفة والأساليب التربوية ما يلي:

أ- المسجد وأنشطته ورسالاته:

المسجد مهوى أفئدة المسلمين، وقرة أعينهم، ومرتع إيمانهم، ومركز نشاطاتهم، وملتقى إخوانهم، ومنتدى ثقافتهم، ومهبط الرحمات الإلهية عليهم. ولا ريب أن المسجد يشغل جزءاً كبيراً من حياة المسلم ووقته، حيث ينشأ فيه النشأة الصالحة، ويتعلق قلبه بحبه لما يلمس من آثاره العظيمة على شخصيته وسلوكه، ويشعر بسمو رسالته الطاهرة.

www.iqra.ahlamontada.com

وتستغرق أداء رسالة المسجد في الصلاة وقراءة القرآن الكريم والذكر والتعلم أغلب أوقات الفراغ فراغ المسلم في الليل والنهار ، وفراغه كله قلبياً وفكرياً وعقلياً وجسدياً، ليبلغ بها مقاماً محموداً عند ربه، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله (ﷻ) ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ۝٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾[1].

وقوله (ﷻ): ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾[2].

ولهذا كان أعظم أعمال المسجد حلاوة حضور صلاة الجمعة والجماعة فيه حين يلبي نداء المؤذن، ويترك وراءه هموم الدنيا ومتاعبها، فيهدأ خاطره، وتقر عينه، وترتاح نفسه، وهذا ما كان يلجأ إليه النبي (ﷺ) إذا حز به أمر قال: «**قم يا بلال فأرحنا بالصلاة**»[3].

وإن ما نكتسبه في المسجد من نفحات وخيرات واستعدادات يساعدنا ليس فقط على نسيان هموم الدنيا بل على مواجهتها بما يناسبه من الحل والتصدي ويقول (ﷺ)في آثار الصلاة على نفس المؤمن وقلبه «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[4] .

كما أن رسالة المسجد تتجلى في المشاركة بحلقات تحفيظ القرآن الكريم وحضور مجالس القرآن والعلم، ومطالعة الكتب الإسلامية التي ترسخ العقيدة الصحيحة، وتفرز السلوك المستقيم وتنمي المدارك الفكرية والإيمانية، ولهذا شجعنا الرسول الكريم على حضور حلقات العلم في بيوت الله.

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٧٨- ٧٩).

(٢) سورة طه: الآية (١٣٠).

(٣) أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، ج٤، مصدر سابق، ص٣٨٥، رقم الحديث (٤٩٨٦).

(٤) النسائي، أحمد بن شعيب: سنن النسائي، ج٧، مصدر سابق، ص٦٢.

www.iqra.ahlamontada.com

فقد روي عن رسول الله (ﷺ) أن قال: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، تلون كتاب الله، ويتدارسون بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»[1].

وقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم يتسابقون في هذا المضمار، مستثمرين الفراغ المتوفر لديهم لتلاوة القرآن وحفظه ومدارسته. فقد روى أن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال عن نفسه: "جمعت القرآن فقرأته كله في ليلة، فقال رسول الله (ﷺ): «**إني أخشى أن يطول عليك الزمان، وأن تمل. فاقرأه في شهر**».

فقلت: دعنى أستمتع من قوتي وشبابي قال: «**فاقرأه في عشرة**».

قلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي قال: «**فاقرأه في سبع**» قلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي «**فأبى**»[2].

وكان الرسول المربي (ﷺ) يريد اعتداله في أداء العبادة حتى لا يمل فينقطع عن تلاوة القرآن الكريم.

كما أن التقاء الفرد المسلم بإخوانه يومياً عدة مرات في رحاب المسجد الطاهر، مدعاة لنشر روح التعارف والتعاون والمودة، وقضاء حوائجهم، والإصلاح بينهم، وتقديم النصح والعون لهم.

فقد قال (ﷺ): «**كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس**».

قال (ﷺ): «**تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه، صدقة**».

قال (ﷺ): «**والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة**»[3].

---

(١) مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ج١٧، مصدر سابق، ص٢٣-٢٤، رقم الحديث (٦٧٩٣) (جزء من حديث).

(٢) ابن ماجه، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه، ج١، مصدر سابق، ص ٤٢٨، رقم الحديث (١٣٤٦).

(٣) مسلم، مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ج٧، مصدر سابق، ص٩٦ رقم الحديث (٢٣٣٢).

www.iqra.ahlamontada.com

ولأهميَّةِ رسالة المسجد في حياة المسلم، وعظيم تأثيرها على المجتمع الإسلامي شجع الإسلام على ارتياد المسجد والتعلق به، فقد جاء في حديث الرسول الأعظم (ﷺ) أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**ورجل قلبه معلق في المساجد**»[1].

كما طلب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن يشهد المؤمن بإيمان من اعتاد ارتياد المساجد، لأن التعلق بالمسجد وحب ارتياد المسجد دليل الإيمان الصحيح، وأمارة الوعي والصدق والإخلاص فقد كان رسول الله (ﷺ) يقول: «**إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان**» [2].

قال تعالى:﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[3] .

فإن هذا يدل دلالة قاطعة على دور المسجد في تكوين شخصية المسلم وتربيته التربية الصالحة وهذا ما يستدعي المشرفين على الأنشطة في يومنا هذا بترغيب المسلمين بارتياد المسجد والتمتع بنشاطاته المتنوعة ورسالته السامية.

المسجد دعامة قوية من أهم الدعائم التي قام عليها المجتمع الإسلامي في عهد الرسول (ﷺ)، ولا يزال الأمر كذلك وسيظل ركناً أساسياً في بناء المجتمع الإسلامي في حاضر المسلمين وفي مستقبلهم، إذ بغير المسجد لا يقوم بناء المجتمع الإسلامي على أسس صحيحة في صورة متكاملة، وبغير المسجد لاتصل حركة المد الإسلامي إلى مداها الذي يجب أن تصل إليه، فتسمع الدنيا كلمة الله، ويُبلغ دينه إلى كل من على الأرض من عباد الله الذين خلقهم ورزقهم ليعبدوه مؤمنين به وبملائكته ورسله وكتبه.

---

(١) البخاري، محمد ابن إسماعيل، صحيح البخاري، ج١، تحقيق البغا، مصدر سابق، ص٢٢٧، رقم الحديث (٦٢٩).

(٢) سبق تخريجه ص (   ).

(٣) سورة التوبة: الآية (١٨).

www.iqra.ahlamontada.com

وبغير المسجد لا يتربى المسلمون التربية الربانية المحمدية في بيت الله وعلى هدى من كتابه الكريم وكلماته وهدي رسوله الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله عليه وسلامه.

في الختام أحب أن أؤكد أن المسجد جزء هام من أهم مكونات المجتمع المسلم. ولا يستطيع هذا المجتمع المسلم أن يؤدي وظيفته ويملأ فراغه في الحياة والإحياء إلا في المساجد.

وإذا أصبح المسجد على نحو ما يجب أن يكون أو على نحو أمثل منه وأحسن، فإن المتوقع بل الأكيد أن تكون حالة الفرد المسلم والمجتمع المسلم كله على النحو الأحسن وعلى الصورة الأمثل.

وإذا كان المجتمع المسلم يشكو الآن من انحراف وفراغ الشباب فيه عن جادة الإسلام فإن عودة هؤلاء الشباب إلى الجادة وتربيتهم على الأخلاق الإسلامية السوية إنما يبدأ في المسجد.

وإذا كان للمجتمع المسلم مشكلات تعترضه من أي نوع كانت هذه المشكلات فإن أسلوب التغلب على هذه المشكلات إنما يبدأ في المسجد.

وإذا كان المجتمع يحس بأنه مقصر في نشر الدين الإسلامي والتبشير به في البشرية كلها، وتعليمه لأبنائه، فإن تلافي هذا التقصير، وإن الانطلاق الحقيقي بدعوة الإسلام إلى العالم كله إنما يبدأ من المسجد.

ب- رعاية الأسرة المسلمة وإشرافها:

إن المنهج التربوي الإلهي موضوع ليعمل في كل بيئة، وفي كل مرحلة من مراحل النشأة البشرية، وفي كل حالة من حالات النفس الإنسانية الواحدة... وهو موضوع لهذا الفرد الذي يعيش في هذه الأرض، آخذ في الاعتبار فطرة الإنسان وطاقاته واستعداداته، وقوته وضعفه، وحالاته المتغيرة التي تعتريه.

www.iqra.ahlamontada.com

كذلك لا يهيم مع الخيال فيرفع هذا الكائن فوق قدره وفوق طاقته وفوق مهمته التي أنشأه الله لها يوم أنشأه. كما أنه لا يحتقر دوره في الأرض أو يهدر قيمته في صورة من صور حياته...

الفرد هو هذا المخلوق الكائن بعينه، بفطرته وميوله واستعداداته. ويأخذ المنهج الإلهي بيده ليرتفع به إلى أقصى درجات الكمال المقدر له بحسب تكوينه ووظيفته، ويحترم ذاته وفطرته ومقوماته، وهو يقوده في طريق الكمال الصاعد إلى الله...

ومن ثم فإن المنهج الإلهي موضوع للمدى الطويل ـ الذي يعلمه خالق هذا الإنسان ومنزل هذا القرآن ـ ومن ثم لم يكن متعسفاً ولا عجولاً في تحقيق غاياته العليا من هذا المنهج.

إن الدين الإسلامي يسير هيناً ليناً مع الفطرة، يدفعها من هنا، ويردعها من هناك، ويقومها حين تميل، ولكنه لا يكسرها ولا يحطمها. إن يصبر عليها صبر العارف البصير الواثق من الغاية المرسومة.

أي طمأنينة ينشأها هذا التصور ؟

وأي سكينة يفيضها على العقل والقلب والروح ؟.

إن الإسلام لا يعتمد على العقوبة في إنشاء مجتمعه النظيف، إنما يعتمد قبل كل شيء على الوقاية. هو لا يحارب الدوافع الفطرية ولكن ينظمها ويضمن لها الجو النظيف الخالي من المثيرات المصطفة. الفكرة السائدة في منهج التربية الإسلامية في هذه الناحية، هي تضييق فرص الغواية، وإبعاد عوامل الفتنة، وأخذ الطريق على أسباب التهيج والإثارة. مع إزالة العوائق دون الإشباع الطبيعي بوسائله المشروعة...

إن تعاليم الإسلام لم تكن نظرية تذوب عن الوقائع إنما كانت سلوكاً عملياً لم يشذ عنها إلا النادر الذي لا يقاس عليه، لا يبطل القاعدة التي جعلها الإسلام غايته وحققها في واقعه وفي ضمير الفرد يغرس الإسلام الطمأنينة والأمن والسلام.. الطمأنينة التي

www.iqra.ahlamontada.com

تنشأ من إطلاق القوى الصالحة البانية، ومن تهذيب النزوات والنزعات، لا من الكبت والتنويم والخمود.

الإسلام الذي يعترف للفرد بوجوده وبنوازعه وأشواقه ويعترف في الوقت ذاته بالجماعة ومصالحها وأهدافها.. كلها في توافق واتساق...

إن الزواج هو الطريق الطبيعي لمواجهة الفراغ الجنسي الفطري وهو الغاية النظيفة لهذه الميول العميقة، فالإسلام يعترف بذلك الميل حقيقة واقعة، لابد من مواجهتها بحلول واقعية إيجابية... هذه الحلول:

١- تيسير الزواج والمعاونة عليه.

٢- تصعيب السبل الأخرى للمباشرة الجنسية وإغلاقها نهائياً.

والزواج هو الغاية النظيفة لهذا الميل الفطري. فيجب أن تزول العقبات من طريق الزواج لتجري الحياة على طبيعتها وبساطتها

١- العقبة المالية هي العقبة الأولى في طريق بناء البيوت، وتحصين النفوس. والإسلام نظام متكامل، فهو لا يفرض العفة إلا وقد هيأ لها أسبابها. وجعلها ميسورة للأفراد الأسوياء. فلا يلجأ إلى الفاحشة حينئذ إلا الذي يعدل عن الطريق النظيف الميسور عامداً غير مضطر. لذلك يأمر الله الجماعة المسلمة أن تعين من يقف المال في طريقهم إلى النكاح الحلال. فقال (ﷻ):

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1]

وهكذا يواجه الإسلام المشكلة مواجهة عملية، فيهيئ لكل فرد صالح للزواج أن يتزوج. ولو كان عاجزاً من ناحية المال، والمال هو العقبة الكؤود غالباً في طريق الإحصان.

---

(١) سورة النور: الآية (٣٢).

www.iqra.ahlamontada.com

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1].

لا يكون الفقر عائقاً عن التزويج ـ متى كانوا صالحين للزواج راغبين فيه رجالاً ونساء– فالرزق بيد الله، وقد تكفل الله بإغنائهم، إن هم اختاروا طريق العفة النظيف.

إن في التفكير على هذا النحو قلباً للأسباب والنتائج. والميل الجنسي يجب أن يظل نظيفاً بريئاً موجهاً إلى إمداد الحياة بالأجيال الجديدة. وعلى الجماعات أن تصلح نظمها الاقتصادية بحيث يكون كل فرد فيها في مستوى يسمح له بالحياة المعقولة وبالزواج.

فإن وجدت بعد ذلك حالات شاذة عولجت هذه الحالات علاجاً خاصاً... وبذلك لا تحتاج البشرية إلى مقاذر إنسانية، يمر بها كل من يريد أن يتخفف من أعباء الجنس، ويتلقى منها الفضلات، تحت سمع الجماعة وبصرها !.

إن النظم الاقتصادية الإسلامية هي التي يجب أن تعالج بحيث لا تخرج مثل هذا النتن. ولا يكون فسادها حجة على ضرورة وجود المقاذر العامة. في صور أدبية ذليلة.هذا ما يصفه الإسلام بنظامه المتكامل النظيف العفيف[2].

ثم نمضي خطوة أخرى مع التنظيم التربوي في محيط الأسرة ـ في هذا المجتمع الذي كان الإسلام ينشئه ومازال ـ بمنهج الله المنزل من الملأ الأعلى، لا بعوامل التغير الأرضية في عالم المادة أو دنيا الإنتاج:

وعندما تقول الأسرة المسلمة فمن المعروف أننا نعني الأسرة التي التقى قطباها على تحقيق الهدف الذي شرع من أجله تكوين الأسرة، ولو تأملنا بعض آيات الكتاب، وتمعنا في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المجال لظهر أن أهم الأمور التي ترعاها الأسرة المسلمة وتشرف عليها هي:

---

(١) سورة ال: الآية (٣٢).

(٢) فائز، أحمد: دستور الأسرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م ص ١٧٣ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

١- إقامة حدود الله (طاعة الله):

لتحقيق ما أمر الله به وبما فيه مرضاته في كل شؤون الحياة الأسرية، وهذا معناه إمامة الأسرة المسلمة الذي يبني حياته على تحقيق عبادة الله، ليظهر الهدف الأسمى للتربية الإسلامية. وهكذا ينشأ الفرد ويترعرع في أسرة أقيمت على تقوى من الله ورغبته في طاعته، وتحكيم شريعته، فيتعلم، ثم يقتدي، بذلك من غير كبير عناء وجهد، إذ يمتص ما اعتاد عليه الأبوان بالتقليد والمحاكاة، ثم تكون القناعة حين يصبح يافعاً واعياً.

٢- تحقيق الطمأنينة والسكون:

إذا كان اجتماع الأفراد في أسرته على أساس من الرحمة والاطمئنان النفسي المتبادل فحينئذ يتربى الفرد فيها في جو سعيد يهبه الثقة والاطمئنان والعطف والمودة، ويملأ عليه فراغه بعيداً عن القلق وعن العقد والأمراض النفسية التي تضعف شخصيته وتفرغها.

٣- تحقيق أمر الإسلام بإنجاب النسل المؤمن الصالح:

وهذا الأمر واضح من أن الإسلام أوجب على أتباعه أن يربوا أبناءهم تربية تحقق هدفه من خلال إنشاء الأبناء على الإسلام وأركانه وإيمانه في نفوسهم وسلوكهم، لأن المباهاة إنما تكون بكثرة النسل الصالح.

٤- ملأ الفراغ الأسروي:

الرعاية والرحمة بالأبناء من أهم الغرائز التي فطر عليها الإنسان والحيوان وجعلها خالقها أساساً من أسس الحياة النفسية والاجتماعية والطبيعية من الكائنات الحية. وتتحمل الأسرة، مسؤولية الرعاية والرحمة والمحبة والعطف على أفرادها وحاجتهم للانتماء. لأن هذا من أهم أسس نشأتهم ومقومات نموهم النفسي والاجتماعي، نمواً قويماً سوياً. إذا لم يتحقق ذلك، نشأ الفرد منحرفاً فارغاً في مجتمعه، لا يحسن التآلف مع الآخرين.

www.iqra.ahlamontada.com

ولا يستطيع التعاون معهم أو تقديم التضحيات والخدمات، وقد يكبر ويطول عمره فلا يستطيع أن يكون أباً رحيماً أو زوجاً متزناً حسن المعشر، ولا جاراً مستقيماً لا يؤذي جيرانه، وهكذا.....

٥- صون فطرة وفكرة الفرد عن الزلل والانحراف:

الإسلام يعتبر الأسرة مسؤولة عن فطرة وفكرة الفرد فيها، واعتبر كل انحراف يصيبها مصدره الأول هما الأبوان، أو من يقوم مكانهما من المسؤولين. لذلك يجب على الأبوين والمربين:

أ- تعويد الفرد على تذكر عظمة الله ونعمه.

ب- إظهار الاستياء من معصية العاصين وانحراف الضالين وصفات المغضوب عليهم أمام الأفراد.

وبهذا يبتعد الفرد عما يظهر من فراغ الحياة الأسرية مما يفعله غير المؤمنين والمسلمين في حياتهم الأسرية(١).

ج- التعلم المستمر:

إن التعلم المستمر هو الحل الناجع لعلاج (الفراغ) الذي يعاني منه كثير من الناس. من الواضح أن الإحساس بالوقت، والإحساس بالفراغ من جملة المنتجات الحضارية. وقد ساعد التقدم العلمي والتقني الباهر على إنجاز الأعمال الكبيرة بأيدي عاملة قليلة، وأوقات قصيرة، أضف إلى هذا أن تنظيم أوقات العمل لدى الحكومات، وفي المصانع والشركات، أدى إلى تنظيم مساحات الفراغ في يوم كل موظف وعالم، وهذا كله لم يكن موجوداً من قبل.

---

(١) النحلاوي، عبد الرحمن: أصول التربية الإسلامية، دار الفكر دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص (١٣٥- ١٤٠) (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

الفراغ يضع الفرد في مواجهة نفسه، وهذه حالة صعبة للغاية، كما أنه يجعل المرء، يشعر بانعدام وجود مسوغ لوجوده، وهذا دفع أعداداً كبيرة من الشباب إلى القيام بأعمال وتصرفات شائنة وضارة بهم وبالمصالح العامة. وقد أدرك الفرنسيون قبل غيرهم خطورة ذلك. فأنشأت (الجبهة الشعبية) في فرنسا سنة ١٩٣٦م/ وزارة أوقات الفراغ، وشغلت الثقافة منزلة فيها[1].

التعلم المستمر والتثقف الذاتي، يحول (الفراغ) من نقمة إلى نعمة، ومن أداة هدم إلى وسيلة بناء، لكن ذلك يحتاج إلى ما سبق من أسرة واعية ومجد محرض ليتهيء الجو الثقافي، ليحاصر ذوي الكسل الذهني والفوضويين، ويشعر أولئك الذين يبطنون نوعاً من العداء للمعرفة بتفاهتهم وتصورهم.

ما المقصود بالتعلم المستمر؟.التعلم المستمر عبارة عن أنشطة ذات بعدين:

١- بعد رأسي يستغرق حياة الفرد كلها إلى آخر حياته.

٢- بعد أفقي يتمثل في تنمية الكينونة البشرية في كل أبعادها ووظائفها في الحياة.

من أجل الدنو من الكمال المنشودة، وملأ الفراغ الإنساني والمسلم خاصة، مع القيام بالمسؤوليات وأداء الواجبات الفردية والحضارية على أفضل وجه ممكن.

---

(١) بكار، عبد الكريم: حول التربية والتعليم، مرجع سابق، ص ١٤٢.

www.iqra.ahlamontada.com

الفصل السابع

نداء إلى من يهمة الأمر

يشتمل على :

١- خطة عمل للعلماء والدعاة.

٢- إعداد القائمين على العمل في المساجد.

٣- التوبة وظيفة العمر.

www.iqra.ahlamontada.com

أولاً – خطة عمل للعلماء والدعاة

ذلكم واقع الأمة الإسلامية وحاضر العالم الإسلامي في عصور الانتكاس والضلال والفراغ.

فتبدلت المفاهيم والمعايير حتى أضحى الغرب في مظاهره وألوانه منهجاً وقدوةً، وتغيرت المقاييس الفكرية حتى غدت مادية في تضليلها وتهجمها... وأصبح حالنا اليوم كحال الضواري الأوابد تتباعد وتتدانى، وكحال الأمم البدائية الأولى تتدابر وتتخاصم، وكحال الشعوب المستبدة في أدوار سقوطها وانحلالها.

إذا الإيمان ضاع فلا أمان	ولا دنيا لمن لم يُحيي دينا
ومن رضي الحياة بغير دين	فقد جعل الفناء له قريناً

ولكن ! أليس بعد هذا من نهضة إسلامية مباركة، ودعوة إصلاحية شاملة ؟

لقد طال ليل الظلام البهيم، واتسع الفراغ علينا، وطال ارتقابنا للفجر الجديد، ثم ها هو ذا الفجر الوضاء ـ إن شاء الله ـ يشرق، وخيوط النور تملأ الآفاق والأرجاء، وقد صحت الأجيال الصاعدة من غفوتها العميقة، وهبت الشعوب الإسلامية من رقدتها الطويلة.

وهاهم المسلمون ينتظرون الوارث النبوي، ويترقبون الداعية المصلح، ويعقدون الأمل الكريم على الفئة المختارة من دعاة الإسلام، وورثة الأنبياء العاملين.

يا ورثة الأنبياء الصادقين المخلصين:

أيرضيكم أن يطفي العصاة الفجرة من أسرار هذه الأمة، الذين لا يسلمون وجوههم لله، ولا يؤمنون بما جاء من عند الله، والذين مردوا على التكبر الفاجر، والإلحاد السافر، والتحلل الوضيع؟.

أيرضيكم أن يخبو نور الإسلام الذي هو شعلة من نور الله، وتخفت أضواء القرآن وأضواء هدي رسول الله محمد (ﷺ)؟.

www.iqra.ahlamontada.com

أيرضيكم أن تمحى معالم الهداية الإسلامية في الآفاق، وفرغت _وتفرقت_ أحكام الله في الأرض؟

أيرضيكم أن تبقى الأمة الإسلامية في ذيل القافلة، ومؤخرة الركاب، تعمل بها الأحداث، وتنتابها العواصف والأعاصير؟.

أيرضيكم أن ينشأ الجيل في هذا العصر على الإلحاد والانحلال والإباحية، ويتربى على الكفر والضلال والفسوق؟.

أترضيكم هذه الآثام القائمة، والمنكرات السافرة، والتكشف الممقوت؟.

أيرضيكم أن تقترب منا الصهيونية العالمية والعولمة وأصحابها والحملات الصليبية الجديدة، لتستحل أرضنا وأفكارنا وعقولنا وبلادنا؟.

اسمعوها صرخة مدوية يسمع صداها كل من كان في قلبه ذرة من إيمان، أو شعور من ضمير، أو حاسة من وجدان:

من الذي يقود ويوجه الأمة الإسلامية نحو الفضيلة وآفاق النور، ويبين لها الطريق السوي، وسبل الهداية غير العلماء؟.

ومن الذي يأمر الناس بالمعروف، وينهاهم عن المنكر ، ويدعوهم إلى الله غير العلماء ؟.

ومن للمساجد يقوم بالتعليم والتوجيه بها غير العلماء؟.

ومن الذي يقف في وجه الفارغين المعطلين الكسالى والبطالين غير العلماء؟.

ومن الذي ينهي الظالم عن ظلمه، ويكف المستبد عن استبداده غير العلماء ؟.

والله (ﷻ) يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية (٣٩).

www.iqra.ahlamontada.com

وقال عبادة بن الصامت (ﷺ): «**بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله ، قال: إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم**»[1].

وإذا أردنا أن نتصفح سر علمائنا الأعلام في التاريخ لرأيناه سفراً حافلاً بالأمجاد والبطولات، ذاخراً بالتضحيات الغاليات.. في سبيل الحق والإسلام، وتقويم المنكر المعوج.

يا ورثة الأنبياء والمرسلين:

الأمة لا تشكوا القلة في العلماء والفقهاء والمفكرين فعندنا ـ والحمد لله ـ علماء مبرزون في الفقه والتشريع وعندنا كذلك شعراء وأدباء مشاهير، وخطباء مصاقع ودهاقنة في السياسة، والثقافة، والتاريخ...

لكن نشك قلة الدعاة المخلصين، والموجهين المرشدين، والفقهاء الجريئين، والعلماء الأبطال، ونشكو ندرة الرجال الذي لا تأخذهم في الحق لومة لائم، ولا يستسلمون للخزي والهوان، أو يخضعون للقوة والجبروت... أليس من المحزن والمؤسف ـ يا ورثة المرسلين ـ أن ننقسم إلى فرق وجماعات، ونتفرق إلى كتل وأشياع كل جماعة بما لديهم فرحون، ونحن نظن أننا ننصر الإسلام ونحقق في المجتمع وحدة المسلمين، وعزتهم المنيعة ؟.فما حال تفرقنا وتنافرنا (أليس هذا هو الفراغ الكبير) إلا كحال من قال الشاعر في حقهم:

وما شكواي أو شكواك إلا	لفوضى في المجامع وانقسام
ترى كُلا له أملٌ وسعيٌ	وما لاثنين حولك من وئام
لكل جماعة فينا إمام	ولكن الجميع بلا إمام

(١) النسائي، أحمد بن شعيب: سنن النسائي، م ٤ ج٧، مصدر سابق، ص ١٣٩.

www.iqra.ahlamontada.com

إن الوصول إلى الحق لا يتحقق إلا بوحدة قوية تضم أكبر عدد ممكن من العلماء العاملين، والدعاة الصادقين حيث ينضوي الجميع تحت رعاية العلماء الأجلاء، المشهود لهم بالإخلاص والكياس، والجرأة في الحق، وحسن السياسة والتدبير، والحرص البالغ على وحدة كلمة العلماء، و الاهتمام بقضايا الإسلام، وشؤون المسلمين ومن السهل أن نصل إلى وحدة الصف وجمع الكلمة إن نحن تجردنا لله وأخلصنا له، وجعلنا قضية الإسلام فوق المصالح الشخصية، والزعامات الفانية، ومتاع الدنيا الزائل.

إذن! أما آن لنا ـ يا علماء الإسلام العاملين ـ أن نعد العدّة، ونرسم المناهج، في إحياء دعوتنا، والعمل لأجل عقيدتنا، ليتكون الفرد والجماعة الصالحة المسلمة، بعد أن اجتمعت علينا قوى البغي والعدوان، واجتاحت مجتمعاتنا جيوش الضلال والفساد والإلحاد؟.

أما آن لنا أن ننسى خلافاتنا، واختلاف وجهات نظرنا، وأن نتجرد من أنانيات نفوسنا، وأن نجعل مصلحة الدعوة والإسلام فوق الأهواء الشخصية، والمصالح الذاتية.؟

أما آن لنا أن ننفض عن أنفسنا غبار الإستكانة والهوان، وعن كواهلنا عناكب التقاعس والخذلان، ثم نمضي قدماً، موفوري الكرامة، تباهي الجباه نحو معالم المجد والسؤدد، وميادين العمل والكفاح والجهاد؟.

أما آن لنا أن نرسلها صيحات مدوية تملأ فراغ الأرض صدى ودوياً، وآفاق الزمن نداء شجياً، عسانا نحرك هذه النفوس الفارغة عسانا؟.

أما آن لنا أن نقفو ركب رسول الله، ولو لقينا في سبيل دعوتنا الصعاب، ولو شربنا في سبيل إسلامنا كؤوس الحتوف، ولو قدّمنا في سبيل رسالتنا الأرواح قرابين.

إن الذين يعتذرون عن تحمل الواجبات والمسؤولية بكلمات مقنعة يرضون بها أنفسهم وضمائرهم ويعتذرون بالضعف والكسل ويعتذرون بالأذى في مجابهة الظلم والأحداث.

www.iqra.ahlamontada.com

يا ورثة الأنبياء ويا دعاة الإسلام:

إنما يتطلب منكم واجب الدعوة إلى الله، ومسؤولية الإسلام أن تثابروا على العمل، وتتخطوا كل عقبة كؤود، وفراغ واسع كبير، وتتأسوا بسيد الأنبياء والسلف الصالح..

فتضحوا كما ضحوا، وتجاهدوا كما جاهدوا، وتتحملوا كما تحملوا...

لتحشروا معهم في معقد صدق عند مليك مقتدر في مجمع من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ويتلخص الأمر أن الإصلاح لا يأتي بالدعاء والإخلاد إلى الراحة.

(الفراغ) والتمتع بزهرة الحياة الدنيا، والرضا بالواقع وإنما يتحقق الإصلاح بالجهاد والعمل المستمر، والحركة الدائبة، وتحمل المشاق والأذى في سبيل الله، ومن ظن غير ذلك فإنما يرقم على ماء، ويصرخ في واد من غير فائدة ولا جدوى.

وبعد... فإن الواجب المحتم علينا أن نتقدم لنصلح سريرتنا، ونطهر أنفسنا، ونوحد صفوفنا، ونعاهد الله تعالى على أن نمضي في طريق الدعوة والعلم والتوعية والإصلاح... وعلينا أن لا نحتقر أنفسنا، وأن لا نستهين بقدرتنا وقوتنا، فحسب الذين يحملون بأيديهم لواء الهداية الإسلامية، وراية الدعوة المحمدية أن يكونوا بها مؤمنين، وفي سبيلها مكافحين ومجاهدين.

وبعد عقد الهمة والعزيمة والاتكال على الله العلي القدير، وطرد الفراغ من حياتنا وبعد أخذ العهد والمواثيق من أنفسنا يجب مراعاة الأمور التالية:

١- عملنا هو الهداية للإسلام، ومبادؤنا هي مبادئ القرآن، أسوتنا وقدوتنا في الحياة سيدنا محمد رسول الله (ﷺ).

٢- عملنا هو إصلاح شامل فيما يتعلق بالفرد والأسرة والجماعة، والمجتمع والدولة والأخلاق، وكل ماله صلة بالإنسان والحياة.

www.iqra.ahlamontada.com

٣- المسلمون في خير ولكن... لهذا يجب أن تنبثق من العلماء العاملين همة وعمل للم الشعث وتوحيد الكلمة، وتجميع الأمر.

٤- علينا أن ننطلق في عملنا وطاعتنا إلى الله بكليتنا، وأن نبذل لها كل ما في وسعنا، وأن يظهر واقعنا في كل مكان نحل فيه، ونرحل إليه من غير توان ولا تواكل.

٥- أن نختار أحدث الأساليب في تبليغ وهداية الناس، وأفضل الوسائل في عرض الإسلام الصحيح، والتحبيب به، عسى أن يهتدي إلى الحق الشباب الفائن الفارغ، وتعتصم بحبل الله الأمة الحيرى.

٦- مؤتمر للفقهاء المسلمين:يمثل المستويات العلمية الفائقة في كل البلاد حيث تبحث فيه مشاكل المسلمين الحاضرة، وتعرض عليه جميع المسائل الفقهية المستجدة للتداول بها، وبيان رأي العلماء الراسخين فيها، وموقف الشريعة الإسلامية منها.

٧- الاهتمام بالريف والقرى:من ناحية التوجيه الإسلامي والمعرفة الإسلامية والتعليم الشرعي. حتى يتربى جميع أبناء الأمة على اختلاف عناصرهم ومستوياتهم على الإسلام الصحيح والتدين الواعي .

٨- الاهتمام بالمرأة المسلمة:من ناحية التوجيه والإعداد والتكوين.. لتقوم بدورها في تربية الأبناء، وتربية الأجيال على أساس الإسلام والإيمان، عسى أن تنجب للدنيا طلائع الفتح من كتائب الأبطال والعظماء، كما أنجبت أمهاتنا في الماضي سعداً وأسامة وخالداً....

٩- تلقين هذا النشء التاريخ الإسلامي المشرق: لتنشئ الأمة على حب أبطالها وقادتها وعظمائها الذين كان لهم في التاريخ ذكر وفي الأجيال المتعاقبة قدوة... ويضاف إليها رقابة صارمة على الكتب غير الإسلامية الموجهة من الغرب والشرق مع إصدار نشرات تعليمية وتوجيهية وفكرية. لإزالة الشبكة، وتوضيح الحلال، وتبيان الحرام مع الرد على المبشرين والمغرضين.

www.iqra.ahlamontada.com

هذه هي أهم النقاط الرئيسية، والوسائل الايجابية التي يجب أن نهتم بها، ونكرس عملنا وجهودنا لها، ونتوجه بكليتنا إليها، ولا يمكن للدعوة والإصلاح أن يقوما على أرجلهما، ونلمس آثارها، ونقطف ثمراتها إلا أن يعقد علماء الإسلام وطلاب العلم الصدق في الطلب والعزم في الجهد، مع تجديد العهد، وبذل الهمة، للوصول إلى تحقيق عودة الإسلام وقيام كيان المسلمين.

فيا علماءنا العاملين ويا دعاتنا المخلصين:

أبناء الإسلام يستصرخونكم، القرآن يناديكم، والإصلاح بأمس الحاجة إلى عزمات إيمانكم، ومضاعفة جهودكم، وتضحيات نفوسكم واستمرار كفاحكم وجهادكم !.. وتضحيات نفوسكم ؟ فهل من سامع وهل من مجيب... ؟.

ثانياً- إعداد القائمين على العمل في المساجد: [1]

أود - في هذه الفصل من البحث - أن تزول الصورة التقليدية الحالية الراهنة للإشراف على المساجد ورعاية أمورها، فليست هذه الرعاية برعاية على وجه الحقيقة بل لا أبالغ إن قلت إنه من الصعب أن تتصور المساجد الصورة التي نأمل في ظل هذا الإشراف، إذ لابد أن يتحول هذا الإشراف إلى هيئة تقوم على العمل في المسجد متحملة المسؤولية الملائمة لمتطلباته، ويقوم المسجد بدوره الكبير في لم شعث الفراغ وأشغاله بما يلائم مؤيديه وعواده، أي نريد أن يكون للمسجد كل مسجد مجلس لإدارته يتكون على النحو الذي سنتحدث عنه، أما ترك المسجد هكذا ليشرف عليه متبرع بالعمل أو مؤذن، أو أحد الخدم، أو مجموعة غير واعية لدور المسجد في حياة الفرد والمجتمع، فإن النتيجة المتوقعة لذلك هي أن يظل المسجد على تلك الصورة من الإهمال التي هي أقرب إلى تنفير الناس وصرفهم عن المساجد.

---

(١) من خلال لقاءات بعض الأخوة الدعاة والخطباء والقائمين على المساجد وبعض الكتب في هذا المجال خرجت بمعالجة فراغ المساجد الذي يؤدي إلى الفراغ الديني.

www.iqra.ahlamontada.com

ويمكن أن نحدد القائمين على العمل في المسجد أو مجلس إدارته بحسب أعمالهم التي يقومون بها على النحو التالي:

١- خطيب المسجد وإمامه.

١- المدرس الديني، مهمته:

أ – إلقاء المحاضرات والدروس الدينية

ب- يشرف على تنظيم الدروس في فصول الدراسة بالمسجد:

١- تحفيظ القرآن الكريم

٢- تقوية الطلاب في بعض المواد الدراسية

٣- أمين مكتبة المسجد.

٤- المؤذن، ومحفظ القرآن الكريم.

٥- رائد الشباب في المسجد.

٦- المختص الاجتماعي الذي يشرف على المركز الاجتماعي بالمسجد، ويتعاون معه بعض المرشدين سواء على المستوى الصناعي والزراعي والتجاري حسب ظروف المنطقة التي يقع فيها المسجد.

٧- المشرف الصحي في المسجد.

٨- المشرف الزراعي في المسجد /حدائق ومزروعات المسجد/.

٩- العمال اللازمون /الخدم/ للعناية بالمسجد ومرافقه وإعداد قاعاته.

١٠- بعض العمال المهرة القادرين على تعليم غيرهم على بعض الحرف والصناعات.

١١- عدد من أصحاب الخبرة والمكانة العملية أو الاجتماعية من أهل الحي.

١٢- ممثل لأبرز المؤسسات الموجودة في الحي الذي يقع فيه المسجد.

مجلس إدارة المسجد (لجنة المسجد).

وإذا كان هؤلاء هم القائمون على العمل في المسجد، فليس بلازم أن يكونوا جميعاً أعضاء في إدارة المسجد، وإنما يمكن أن يتم تشكيل مجلس إدارته على النحو التالي:

www.iqra.ahlamontada.com

١- ممثل - أو معين - للوزارة التي يتبعها المسجد - سواء أكانت وزارة الأوقاف أو الإفتاء أو غيرهما.

٢- إمام المسجد وخطيبه.

٣- مدرس المسجد والمشرف على التعليم فيه.

٤- الأخصائي الاجتماعي.

٥- رائد الشباب (ممثل عنهم).

٦- أمين المكتبة.

٧- خادم من خدام المسجد يختار من بين زملائه بالانتخاب.

٨- ثلاثة أعضاء من أهل الخبرة والمكانة العلمية والاجتماعية والاقتصادية ممن يترددون على المسجد من أهل الحي.

ويرأس هذا المجلس رئيس ينتخب من أعضائه. وتكون قرارات المسجد نافذة المفعول إذا نال القرار أغلبية الأصوات أغلبية مطلقة.

ميزانية المسجد:

من الضروري أن يكون للمسجد ميزانية مستقلة لها مصادر وموارد يتولى المجلس الإنفاق منها على المسجد وعلى إحداث بعض المنشآت التي يقرها مجلس إدارته.

الموارد الخاصة بهذه الميزانية هي:

١- الأوقاف التي وقفت أو توقف على المسجد.

٢- تبرعات بعض أهل الخير.

٣- المبالغ التي تعتمدها الوزارة التي يتبعها المسجد – أو جمع التبرعات.

٤- الرسوم الرمزية التي يحصلها المسجد من الذين يستخدمون قاعات المسجد في بعض المناسبات كعقد الزواج والأعراس والموالد.....

٥- نسبة الأرباح الناتجة عن بيع بعض المعروضات مما أنتجه المسجد في القاعة الملحقة بالمسجد.

www.iqra.ahlamontada.com

أما أوجه إنفاق هذه الميزانية فهي:

١- إنشاء بعض المرافق اللازمة للمسجد مع بنائه. قاعات – محلات – مرآب.. الخ.

٢- إصلاح ما يطرأ على أي مرفق من مرافق المسجد من خلل أو تعطل.

٣- شراء بعض الكتب.

٤- مكافأة بعض العاملين الممتازين في المسجد بناء على توجيه من الإدارة.

٥- شراء بعض الأجهزة الرياضية البسيطة التي تلزم المترددين– أطفال وشباب– وغيرهم على المسجد

٦- توزيع بعض المعونات المالية التي يرى المجلس توزيعها على أهل الحاجة من المسلمين، على أن تدرس حالتهم مسبقاً عن طريق الأخصائي الاجتماعي.

ولننتقل الآن إلى الحديث عن إعداد كوادر العمل في المسجد، إعداداً يمكنهم من القيام بوظيفتهم على الوجه المرضي.

- إعداد خطيب المسجد:

خطيب المسجد وإمامه ينبغي أن يتمتع بين الناس بأعلى مكانة بحكم عمله الجليل الذي يقوم به، من وعظ الناس وتوجيههم وإفتائهم فيما يتصل بأمور دينهم، ومادام هذا الخطيب يحدث الناس بكتاب الله وسنة رسول الله (ﷺ)، وذلك هو صميم عمله فلابد أن تظل له في نفوس المسلمين المكانة التي تحمل الناس على احترامه وتقديره والاستجابة إلى كل ما يدعوهم إليه، وإن أي مساس بهذه المكانة في نفوس الناس ينعكس على الناس تمرداً على الحق ومروقاً من الآداب والأخلاق التي يدعو إليها الدين الحنيف.

وخطيب المسجد يمارس الوعظ والحديث إلى المسلمين مرة مفروضة في كل أسبوع في خطبة الجمعة التي هي جزء من الصلاة، ومن هنا يكون لهذه الخطبة خطرها، فلها بنيت المنابر وعليها يجتمع المسلمون مرة في الأسبوع، ومن أجلها

www.iqra.ahlamontada.com

وجب على المؤمنين أن يتركوا كل ما يشغلهم عن صلاة الجمعة وخطبتها، وأن يتجهوا إلى المسجد بكل مشاعرهم واهتمامهم، حيث يستمعون إلى كلام الله وإلى هدي رسول الله (ﷺ) من هذا المكان الأمين على المسلمين الحريص على وعظهم وتذكيرهم. ولهذا كان ضرورياً أن تكون خطبة الجمعة تذكيراً وتبصيراً ودعوة إلى تقوى الله (ﷻ)، وحديثاً صريحاً إلى المسلمين عن مشكلاتهم، وما يحيط بهم أو بإخوانهم المؤمنين من أمور، حيث يتعمد الخطيب أن يعرض على الناس وجهة نظر الدين في كل تلك الأمور، ومادام العالم الإسلامي كله أمة واحدة مهما تباعدت دياره، ومادامت قبلة المسلمين واحدة، فإن خطيب المسجد بما أتاح الله له من علم بكتابه وسنة رسوله (ﷺ) أمين على أن ينقل إلى المسلمين صورة عما يجري في أي بلد إسلامي، وأن يثير في نفوس الناس التعاطف نحو إخوانهم من العالم - وهذا العالم الإسلامي كان وما يزال وسيظل له من الأعداء والمشكلات والمعضلات في طريقهم، وليس بين المسلمين من هو أولى من خطيب المسجد في تبصيرهم بأعدائهم وبوسائل هؤلاء الأعداء في حرب الإسلام والمسلمين وليست هناك فرصة أحسن ولا أقرب من هذه الكلمة والموعظة الأسبوعية (خطبة الجمعة).

وإذا كنا اليوم نستطيع أن نحصي من أعداء الفكر الإسلامي:

الصهيونية وأذنابها وحلفائها عن رغبة أو رهبة.

والصليبية وأنصارها وحيلها وأحقادها.

والصهيونية المسيحية ومعتنقيها وأساليبهم ومؤامراتهم.

والعولمة وصنائعها والمنتفعين من ورائها.

والتبشير ومكره وحيله ووسائله الخبيثة في تشويه الإسلام.

والاستشراق وما تروى فيه من حيف وأفتيات على ألسنة كثيرين ممن يعملون في مجاله.

www.iqra.ahlamontada.com

الإباحية وما تضمره من حقد للأديان كلها وللإسلام على وجه الخصوص.

والنعرات القومية والعرقية والجنسية والإقليمية وما تستهدفه من إقصاء الإسلام عن حياة المسلمين.

إذا كنا استطعنا أن نحصي هؤلاء الأعداء، فإن ما لا نستطيع إحصاءه منهم كثير بل كثير جداً، ولا يقوم لهذا العمل وهذا التتبع للأعداء ولحيلهم وأحابيلهم إلا خطباء المساجد وأمناء المسلمين على الدين والمطالبون قبل غيرهم بكشف هؤلاء الأعداء، فإن حياة خطيب المسجد يجب أن تكون مفرغة لمثل هذا العمل، يقضي حياته قارئاً عن الإسلام وعن كل ما يتصل به وما يحيط بأهله من قضايا ومشكلات، وما لم يكن خطيب المسجد كذلك فقد انعزل عن كل ما يهم المسلمين وحكم على نفسه بالتخلف والانغلاق وحكم على كلامه بالبعد عما يهم السامعين، إذ أن الناس الآن ـ وبخاصة بعد هذا التوسع في التعليم والتثقيف والتقدم الهائل في وسائل الإعلام والاتصال المعروفة الشائعة ـ لا يستطيعون بحال أن يتقبلوا كلاماً من خطيب المسجد وهو خال مما يهمهم ويشغل بالهم، وكيف يستسيغ الناس من خطيب المسجد أن يتجاهل المشكلات الطاحنة التي ترمي إلى تمزيق جسد العالم الإسلامي، ويحدثهم فيمالا يتصل بأمتهم الإسلامية في واقعها المرير.ولم يعد من المقبول بحال – مع هذا التطور الهائل في نقل الأخبار بتلك السرعة المذهلة ـ من خطيب المسجد أن يدع ما يدور في أذهان المسلمين مما يشغلهم من أمور إخوانهم المسلمين في العالم الإسلامي كله ثم يحدثهم في أوليّات من أمور الدين أصبحت معلومة للناس بالضرورة من بيوتهم وممن يحيطون بهم، ومن المدارس ومن كل مصدر يحملها إليهم مع كثرة هذه المصادر وتنوعها. كيف يقرأ المسلمون ويسمعون ويشاهدون عن مأساة لبعض أخوة لهم في الإسلام في بلد ما من بلدان العالم الإسلامي وغيره، وتصور لهم وسائل الإعلام ضراوة ما يعانيه إخوانهم من أعدائهم، ثم يذهبون إلى المسجد وهم ينتظرون رأي

www.iqra.ahlamontada.com

الإسلام في هذه المأساة فإذا خطيب الجمعة يحدثهم عما لا يتصل بهذه القضية من قريب ولا من بعيد، كأنه لا يعنيه ما يعنيهم، متناسياً أن من لم يُعنَ بأمر المسلمين، فهو بذلك قد عزل نفسه عنهم وعن أمورهم وعاش بعيداً عن حياتهم، وهل يليق هذا بخطيب المسجد....؟

إن خطيب المسجد ما لم يهتم بأمور المسلمين القريبة والبعيدة فإنه لا يرتكب خطأ في حق نفسه فحسب، بل في حق المسجد الذي يعتلي منبره، ويملك به حق توجيه ووعظة المسلمين وهو بذلك يفرغ المسجد عن دوره في حياة المسلمين ويدعو المسلمين بصورة ما إلى أن ينصرفوا عنه ولا ينتظروا منه رأياً في قضايا المسلمين ويبتعدون عن حياة المسلمين وينصرفون عنها. ومن أي مصدر يستطيع المسلمون أن يأخذوا معلوماتهم الصادقة الدقيقة عن البلاد الإسلامية والمسلمين فيها، إذا لم يكن هذا المصدر خطيب المسجد وإمامه؟

وماذا يبقى للمسجد بعد ذهاب حيوية خطبة الجمعة وفاعليتها؟ ولماذا المنابر والخطب التي هي جزء من الصلاة؟

إن تكرر خطبة الجمعة كل أسبوع معناه أن هذا الأسبوع قد حمل إلى المسلمين تغيرات وتطورات وهزائم وانتصارات، لا يستطيع خطيب المسجد أن يتجاهل الحديث عنها، أو يسكت عن تبليغها للناس في أمانة الداعي المخلص وصدق العالم التقي.

تلك أهمية خطبة الجمعة أو خطبة العيدين، ومن هنا فلا يستطيع خطيب المسجد إلا أن يكون على هذا المستوى من الاهتمام، ومن هنا كذلك ننادي بأن يعد خطباء المسجد إعداداً يمكنهم من أداء العمل العظيم الجليل.

وإن نظرة إلى الواقع الذي يعيشه خطباء المساجد اليوم والذي يعاني من أجله رواد المساجد لهي ضرورية بكل تأكيد، وإن التعرف على هذا الواقع بغير خجل أمر حيوي يجب أن يسبق أي اقتراح لتعديل هذا الواقع المريض.

www.iqra.ahlamontada.com

إن هذه النظرة لتدلنا على أن خطيب المسجد اليوم رجل من هؤلاء الرجال الذين سنقف معهم الآن: فخطيب المسجد اليوم:

إما رجل لم يستعد لهذا العمل الجليل الذي يقوم به، ولا حصل شيئاً من وسائله وأدواته. فأخذ يتخبط فيما يقول أو يغطي الجهل باللجوء إلى الحديث عما هو معروف لجمهور المسلمين، فأصبح في نظر الناس رمزاً للتخلف والجهل فانصرف الناس عنه، أو بالأحرى انصرفوا بسببه عن المسجد وعن الكلمة التي تقال فيه.

وإما رجل استعد هو بنفسه لعمله واجتهد ما وسعته الحيلة وحصل من الأدوات والوسائل ما رآه ملائماً لعمله - بغض النظر عن القدر الحقيقي المطلوب لهذا العمل - ثم انطلق يحدث الناس بما يعرف متوهماً أنه بلغ فيهم مبلغ العلم والثقة والقيام بالواجب، في حين هو بعيد عن الوصول إلى ذلك أيما بعد، وهذا النوع من خطباء المساجد كثير.

وإما رجل استعد لعمله الاستعداد الحقيقي الذي تتطلبه وظيفته الجليلة، واستعان على هذا الاستعداد بكل ما استطاع من نصائح الآخرين وتوجيهاتهم، ونال مع ذلك حظاً من العلم والمعرفة من إحدى الجامعات فأصبح قادراً على أن يحدث الناس بما يجب أن يحدثهم فيه العالم المستنير الواعي، وهذا الرجل على قلة وجوده في المساجد لا يخلو أمره من أن يتخذ موقفاً من المواقف الآتية.

- أن يحدث الناس في خطبته عما يعلم علم اليقين أنه لا يعني الناس ولا يثير عندهم اهتماماً، كاتماً عنهم ما يعرف خوفاً من شر يتوقف أو أذى ربما يناله.
- أن يحدث الناس ببعض ما يعلم ويكتم عنهم بعضه، مؤثراً بذلك السلامة والأمن.
- أن يكون أميناً على ما علمه الله من علم، صادقاً مع نفسه ومع الناس يؤثر أن يقول كلمة الحق ويصدع بها في كل حين متخذاً من تحديه للساكتين عن الحق فرصة يظهر بها نوعاً من البطولة، وهذا النوع متهور غالباً ثائر الأعصاب يتخذ من المنبر والمسجد بطولة زائفة، إذ يخلط بين الحق والباطل.

www.iqra.ahlamontada.com

والنقد البناء الذي يستهدف مصلحة المسلمين وبين النقد الهدام الذي يستهدف إثارة المشاكل وزرع الأحقاد في النفوس، وهؤلاء يجبرون الحكام في كثير من الأحيان على تحديهم والتصدي لهم، وهم بهذا يتسببون في صرف كثير من الدعاة عن التصدي لخطبة الجمعة أو توجيه المسلمين.

أن يكون هذا الخطيب من أولئك الذين هداهم الله وأنار لهم طريق هداية الناس بكلماتهم الهادفة، في هدوء واتزان ورغبة جادة في البناء والتوجيه، وحرص على النصيحة لا الفضيحة، وهؤلاء أقل من القليل بين خطباء المساجد والقائمين على التوجيه فيها - وهم البناة الحقيقيون للمجتمعات الإسلامية، وهم أصحاب النفوذ الحقيقي إلى عقول المسلمين وقلوبهم، وهم الدعاة الأصلاء إلى الله ولكن قليل ما هم إن واقع الخطباء في المساجد بناء على هذا التحليل والتصور واقع مريض، وهو لهذا يحتاج إلى جهود ضخمة وإصلاحات كثيرة، ويحتاج إلى إعداد جديد يلائم أحوال المسلمين ويلائم وظيفة المسجد وما هي عليه من جلال وخطورة وإيجابية لخروج الفرد والجماعة من فراغهم العام وما للمسجد من دور عظيم في ذلك.

- فكيف نعد خطيب المسجد ؟

لا أدعي أن بهذا أقدم التحليل الأخير في إعداد خطيب المسجد، لأن ذلك أجدر أن يكون عمل مجموعة كبيرة من العلماء المتخصصين، ولكني أقدم تصوراً خاصاً ربما يحوي بعض ما يجب وربما يصيب كثيراً منه، وربما لا يصيب إلا القليل، وفي كل الأحوال فإن هذا التصور والانشغال بالموضوع أولى من إهماله وتركه على صورته الراهنة، لما وجدت كثيراً من الفراغات يمكن أن تتدارك من خلال ذلك، ومن يدري لعل هذا التصور - بما يشتمل عليه من خطأ محتمل - يثير اهتمام من هم أكثر مني علماً وأعمق مني إدراكاً لأبعاد قضية إعداد خطباء المساجد، وعندئذٍ يكون لكلامي في هذا فضل إثارة الموضوع على الصعيد العلمي المنشود، وذلك حسبي، بل أعده من توفيق الله سبحانه وقبوله.

www.iqra.ahlamontada.com

وأحب أن أقدم بين يدي تصوري هذا، كلمة أعرب فيها عن رأيي في الإعداد الذي يتلقاه خطباء المساجد وأئمتها في بعض المدارس والجامعات الإسلامية.

فأقول: إنه إعداد قاصر، بل ربما كان إعداداً غير مقصود به الخطيب بذاته وبحكم عمله بمقدار ما هو مقصود به من إعداد واحد من علماء المسلمين بصورة عامة، بغض النظر عن أن يقوم بخطبة الناس وتوجيههم، ولا أقدم على رأيي هذا دليلاً أقوى من المشاهدة والمعاينة لهذا الواقع.

فمن الملاحظ الذي لا يماري فيه منصف من الناس، أن المسلمين في مجموعهم منصرفون عن المساجد وعن الخطب التي تقال فيها، وهم عند استماعهم إليها لا تبلغ إليها عندهم مبلغ الثقة ولا تحل في نفوسهم محل الاحترام، إلا في القليل النادر المرتبط ببعض الأفذاذ من الخطباء الذين يؤدون عملهم في أمانة وصدق ووعي وإدراك، لكن هؤلاء قلة قليلة، أما الغالبية منهم فليسوا على المستوى المطلوب والمأمول فيه، ولست أقصد بذلك خطباء المساجد في بلد إسلامي بعينه وإنما كل البلاد الإسلامية في ذلك سواء، ولا أقول ذلك حدساً أو تخميناً وإنما أقوله عن مشاهدة لعدد من البلاد الإسلامية. وعن قراءة واهتمام بكثير من المساجد في بعضها، وإذا اختلف بلد إسلامي عن آخر في إعداد الخطباء فإنما هو اختلاف شكلي لا جوهري.وهو لا يميز بلداً عن آخر تمييزاً حاداً، بل التقارب موجود في التصور الذي نتحدث عنه في إعداد خطيب المسجد وبعد فما تصوري لإعداد خطيب المسجد على الصورة التي أراها ملائمة ؟.

إن إعداد خطيب المسجد يتطلب الخطوات التالية:

أولاً: اختيار خطيب المسجد وإمامه من بين طلاب العلوم الإسلامية المشهود لهم بالتقوى والاستقامة والتفوق العلمي، وما يتطلبه هذا الاختيار من عقل راجح وقلب عامر بالإيمان والجرأة في الحق واللسان المبين والرغبة الصادقة في الدعوة إلى الله سبحانه.

www.iqra.ahlamontada.com

ثانياً: وضع المناهج الدراسية الملائمة لهؤلاء المختارين، بحيث تمكنهم هذه المناهج من ممارسة عملهم على أحسن وجه وفي تصوري أن هذه المناهج لابد أن تشتمل على الآتي:

١- حفظ كتاب الله ومعرفة ما يلزم من عموم القرآن الكريم، وفي مقدمة ذلك تفسير القرآن الكريم.

٢- التعرف الدقيق على سنة وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع حفظ كثير من الأحاديث النبوية ودراسة علوم دراية الحديث وروايته.

٣- الدراسة الفقهية اللازمة التي تمكن الخطيب من إفتاء المسلمين في أمور دينهم ودنياهم.

٤- دراسة تاريخ العالم الإسلامي قديماً وحديثاً، مع تحليل واف وتعليل لكافة الظروف والملابسات.

٥- دراسة دقيقة لتاريخ الفكر الإسلامي، وتاريخ الأديان والفرق مع الاهتمام في هذه الدراسة ببيان وجه الصواب في مذهب كل فرقة عن طريق عرضه على الأصول العامة للإسلام.

٦- دراسة المذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية المعاصرة، والتعرف على محاور ارتكازها الفكرية والسلوكية ومناقشة مافيها من خلل واضطراب .

٧- دراسة المذاهب والنظريات والأفكار المعادية للإسلام قديماً وحديثاً، مع التعرف الدقيق على أصول هذه المذاهب ومناقشتها فيما ذهبت إليه. (دون الوقوف على نعراتها).

٨- دراسة موسعة لجغرافية العالم الإسلامي قديماً وحديثاً.

٩- دراسة أحوال الأقليات المسلمة في العالم المعاصر.

١٠- دراسة موسعة لأبرز المشكلات التي تتصل ببعض بلدان العالم الإسلامي.

www.iqra.ahlamontada.com

ثالثاً: وضع مناهج تطبيقية عملية لهؤلاء المختارين تتناول فن الخطابة والتأثير في الجماهير، مع ضرورة التدريب العملي على ذلك قبل أن يسمح للخطيب بأن يمارس عمله في المسجد.

رابعاً: تحصيل قدر كاف من العلوم الحديثة المتصلة بالمكتشفات والمخترعات التي دخلت على الناس بيوتهم، مع التعمق في بعض العلوم الكونية كعلم الفلك وعلم الفضاء وعلم الاتصال وعلم الإعلام وما يشبهما من علوم، لأن جهل الخطيب لمثل هذه العلوم يجعله بمعزل عن اهتمامات الناس، إلى غير ذلك من العلوم التي يرى بعض المختصين إضافتها إلى حصيلة خطيب المسجد.

فإذا توافرت هذه الاعتبارات كلها في المنهج المعد لخطباء المساجد وأئمتها فلابد كذلك من أن تتوفر لهم الرعاية الاجتماعية من الدولة إلى الحد الذي يكفل لهم حياة كريمة وظروفاً تمكنهم من أن يظهروا بالمظهر الذي يلائم واعظ الناس وموجههم وإمامهم، والذي يمكنهم كذلك من متابعة أحدث ما تنشره المكتبات ودور النشر من بحوث ودراسات تربطهم دائماً بالعالم الذي يعيشون فيه، دون أن يحدث لهم شيء من الإرهاق المادي، وما لم تتم لخطيب المسجد هذه الضمانات الاجتماعية فإن إعداده يظل ناقصاً وعمله يظل قاصراً وقدرته على ممارسة عمله تظل ضعيفة.

هذا ما تصورته في إعداد خطيب المسجد وإمامه، وأرجوا أن أكون قد بلغت فيه بعض ما يرضي وما يحقق الآمال ويسد الفراغ.

- إعداد مدرس المسجد:(المفرّغ للتعليم)

مدرس المسجد هو الشخصية التالية لخطيب المسجد وإمامه في المنزلة وفي أهمية العمل الذي يقوم به. فمن هو مدرس المسجد وما العمل الذي يقوم به.

مدرس المسجد هو أحد علماء المسلمين المشاركين في القيام على العمل في المسجد وهو ركن أساسي في كل مسجد.

www.iqra.ahlamontada.com

حيث لا يستطيع المسجد أن يؤدي وظيفته على وجهها الصحيح إلا إذا كان مدرس المسجد أحد أعضاء الهيئة القائمة عليه، وعمل مدرس المسجد امتداد لعمل خطيبه وتكميل طبيعي له.

ومدرس المسجد يلتقي بجمهور المصلين يومياً ويقدم من الدروس اليومية ما يكمل ثقافتهم الإسلامية، وما يتعلمون من أمور دينهم وأمور دنياهم وما يصلهم بأهم الأحداث بهم أو بإخوانهم المؤمنين على مستوى العالم كله.

ولما كان المسجد مشغولاً بالمصلين خمس مرات في اليوم والليلة وهو مفتح الأبواب معظم النهار وجزءاً من الليل ـ كما نأمل ونرجو ـ فليس من الحكمة ترك رواد المسجد دون إفادة يومية متكررة، فمدرس المسجد إذن هو صاحب الواجب الكبير الضخم المتكرر، الذي هو بحق أكبر من واجب خطيب المسجد إلى حد كبير، فإذا كانت الخطبة في الجمعة أو في العيدين لا تسمح للسامع أن يناقش الخطيب، فإن دروس المسجد تسمح بذلك، بل إن الحوار والمناقشة هما أساس الدروس التي تلقى في المسجد، وبالمناقشة والحوار يعمق الفكر وتتعمق الثقافة وتصبح المرئيات أكثر وضوحاً من التساؤلات التي تدور في أذهان الناس ولا يجدون لها جواباً شافياً قد يجدون لها هذا الجواب عند مدرس المسجد الأمين على أبنائه وإخوانه من المصلين بل ربما جر ذلك الحوار بين المدرس والسامعين إليه إلى كثير من المسائل التي ما كانت تخطر للمدرس على بال وعندئذٍ يكون النفع أعم والتوقي أشمل.

ومن صميم عمل مدرس المسجد أن يشرف على فصل دراسي أو أكثر لتحفيظ القرآن الكريم، وعلى فصل دراسي أو أكثر لمذاكرة سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وهو المسؤول عن كل ما يتم داخل المسجد من تعليم أو تثقيف فهو المختص المستوعب لأبعاد هذه العمليات التعليمية.

ومن صميم عمله أن ينظم للمصلين مواعيد ثابتة وموضوعات محددة للدروس التي يلقيها عليهم بنفسه أو يلقيها آخرون ممن يطلب منهم هذا العمل من العاملين في

www.iqra.ahlamontada.com

المسجد كأمين المكتبة والأخصائي الاجتماعي وغيرهما، أو من خارج المسجد ممن يتوسم فيهم القدرة على ذلك من المصلين الراغبين في تثقيف المسلمين وتعليمهم.ومن صميم عمل مدرس المسجد أن ينظم في المسجد مواعيد لمحاضرات عامة يدعو إلى إلقائها المختصين من أهل العلم والمعرفة، وما ينبغي أن يخلو مسجد من محاضرة عامة في كل أسبوع على الأقل. وفي كل ما يقوم به مدرس المسجد من عمل، وفي كل ما يقوم الآخرون من عمل تعليمي أو تثقيفي في المسجد فلا بد من ربط الإسلام بالحياة في كافة مرافقها وعلى كل مستوى من متطلباتها، فالدين الإسلامي تميز من بين الأديان بأنه دين الحياة بكل أبعادها ما ترك شيئاً في حياة الفرد إلا نظمه وحدد صلته بكل ما يحيط به، وإذا لم تربط هذه الدروس والمحاضرات بين الدين والحياة، فقد عزلت الدين عن الحياة، وذلك امتياز على جوهر الدين نفسه.

ولا بأس في أن أقدم هنا مقترحاً بجدول ثابت في المسجد لموضوعات محددة في الدروس والمحاضرات التي تلقى فيه، وهو مقترح قابل للتغيير والتعديل تبعاً للبيئة التي يوجد فيها المسجد ـ وهذا المقترح على سبيل المثال هو:

يوم السبت: درس أو محاضرة في: تفسير القرآن الكريم.

يوم الأحد: درس أو محاضرة في: الحديث النبوي.

يوم الاثنين: درس أو محاضرة في: الفقه الإسلامي الحنيف.

يوم الثلاثاء: درس أو محاضرة في: السيرة النبوية الشريفة أو التاريخ الإسلامي.ـ أو تحليل موقف نبوي محدد من حدث أو قضية تتصل بحياة المسلم.

يوم الأربعاء: درس أو محاضرة في: الأخلاق الإسلامية ـ إحدى المشكلات التي يعاني منها المسجد وحَيِّهُ.

يوم الخميس: درس أو محاضرة في: مستحدثات الأمور العلمية والصناعية والمخترعات الحديثة.

www.iqra.ahlamontada.com

علماً أن تكون في كل أسبوع ما بين صلاتي المغرب والعشاء.

يـوم الجمعـة: قبـل الصـلاة أو بعـدها: درس أو محاضـرة في واقـع الأمـة الإسـلامية المعاصرة. أو في قضايا الساعة العامة أو في مشكلة وقضية عامة أو تعرف علـى بلـد من بلاد المسلمين.

ويمكن أن يشتمل اليوم الواحد على أكثر من درس أو محاضرة ويمكـن كـذلك أن تخضع مواعيد الـدروس أو المحاضـرات للظـروف البيئيـة للمسـجد ولا ننسـى حـض النساء في ذلك من جعل لهـن دروس مـا بعـد العصـر إن أمكـن ذلـك هـذا هـو عمـل مدرس المسـجد كمـا أراه، وهـو عمـل جليـل يسـتدعي أن يعـد هـذا المـدرس إعـداداً متكاملاً يمكنه من أداء وظيفته على أحسن وجه ممكن. فكيـف نعـد مـدرس المسـجد فنمكنه بذلك من أداء رسالته؟.

إن المنهج الذي يعد مدرس المسجد على أساسه يجـب أن يشـتمل علـى الخطـوات التالية:

أولاً: يجب أن يختار مدرس المسجد من بين طـلاب الدراسـات الإسـلامية النـابهين المشهود لهم بالتقوى والاستقامة، وأن يراعى استعداده وميله للقيام بعمله ذاك.

ثانياً: يوضع لهؤلاء النخبة بالعمل بالتدريس الديني منهج دراسـي يتنـاول سـائر مـا اقترحناه لخطيب المسجد وإمامه دون نقص.

ثالثاً: تعد لهؤلاء المختارين دراسـات تربويـة متعمقـة، تمكـنهم مـن الوقـوف علـى الطرق المؤدية إلى إتمام عملية التعليم للصـغار والكبـار علـى أحسـن صـورة ممكنـة، ولابد لهم من تطبيق عملي علـى هـذه الدراسـة النظريـة قبـل أن يمـار سـوا العمـل في المسجد.

رابعاً: تحصيل قسط وافٍ من الثقافة المعاصرة، مع قسط مناسب من العلوم الحديثـة حتى لا يكون بمعزل عن الحياة التي تحيط به وبالناس في المسجد.

www.iqra.ahlamontada.com

إذا أُعد مدرس المسجد هذا الإعداد فلا يستطيع بهذا وحده أن يؤدي عمله على الصورة المتكاملة إلا إذا دعمت وساندت الدولة هذا المدرس دعماً اجتماعياً يحافظ على مكانته بين الناس.

كما بينا ذلك في خطيب المسجد وكما يجب أن يكون عليه الحال بالنسبة لجميع العاملين في المسجد.

إعداد رائد الشباب في المسجد:

وإذا كانت هذه هي الصورة التي نرى أن يكون عليها خطيب المسجد ومدرسه من الإعداد والرعاية الاجتماعية من الدولة، فإن هناك شخصية لا تقل أثراً في شباب المصلين عنهما تلك هي شخصية رائد الشباب في المسجد. ورائد الشباب في المسجد يتجمع حوله الفتيان والشباب، ويجدون فيه وفي عمله ما يرضي رغباتهم، ويحقق حاجاتهم في ترويض البدن وتقوية الجسم وإعداده، ليكون المؤمن القوى، ويواجه الحياة ومتاعبها بجسم سليم. وهذا الموجه الرياضي للشباب.

- رائد الشباب لا يفترض أن يكون موجهاً رياضياً أو مختصاً رياضياً فحسب، لأن الرائد في علم الاجتماع الإسلامي موجه ومشرف في الأنشطة، الاجتماعية، الرياضية، الصحية، الخدمات العامة، الإعلام... - ينبغي أن يكون أبرز ما فيه من صفات يتطلبها عمله هو إسلامه وخلقه، إذ غالباً ما تطغى على المدرسين الرياضيين صفتهم الرياضية فتغطي على كثير من المعايير والقيم الأخلاقية - هذا ما تشاهده من رياضيي هذه الأيام

- وغير أن موجه الشباب الرياضي في المسجد لابد أن تكون أخلاقه ودينه قبل رياضته وتفوقه البدني، وبخاصة إذا لوحظ أنه يعد الشباب ليكونوا أقوياء على الجهاد في سبيل الله، ونود أن ينشأ هذا الوعي الرياضي الذي يجعل قوة البدن وسيلة لا غاية، فقد عانينا من تلك الرياضة التي تستهدف القوة في ذاتها دون غاية نبيلة تسعى إلى تحقيقها، وليس كالمسجد مكان يحدد أنبل الغايات وأسمى المقاصد، وهل هناك

www.iqra.ahlamontada.com

أسمى من أن يعد الجسم لتكون قوته إعلاء لكلمة الله، وفي المسجد تتم تنمية الجسم مع الروح والخلق والعقل الأمر الذي لا تستطيع الرياضة في النوادي أن تحققه إلا في القليل النادر.

ومن الجدير بالملاحظة في هذا المجال أن ننبه إلى أن كثيراً من الناس يتصورون الصحة مجرد الخلو من الأمراض، مع أن هذا الاعتبار يتجاهل حقيقة كبرى في ديننا هي أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، والقوة أن تكون بترويض الأجسام وإحسان بنائها وإعدادها، وخاصة إذا تذكرنا دائماً أن للأمة الإسلامية أعداء يتربصون بها ويكيدون لها، وإن الله (ﷻ) يقول:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

والمسجد قادر ـ إذا أحسن إعداده وإعداد القائمين عليه ـ على أن يوجه الشباب المسلم إلى الأخذ بأساليب القوة البدنية والنفسية والخلقية لخدمة عقيدتهم، ويزودهم بالقدرة على حمل أعباء الحياة والوقوف في وجه أعدائهم. ولست أدعي هنا أن المسجد يغني عن النوادي الرياضية كلها، وإنما الذي نقول به. إن المسجد يحسن توجيه الشباب في صورة متكاملة أكثر من النوادي الرياضية على صورتها الراهنة، فلو استطعنا أن ننقل روح المسجد إلى الأندية الرياضية لكان ذلك رائعاً وفي خدمة الدين الإسلامي.

فالمسجد عليه أن يقف بجانب الأندية الرياضية، ويسهم في توجيه هذه الأندية نحو ما يتطلب الإسلام من أبنائه الأصحاء الأقوياء.

لهذا كان لموجه الشباب ورائدهم في المسجد عمل جليل وخطير، وكان من الضروري أن يعد هذا الموجه إعداداً يلائم هذا العمل الجميل، وكان من الضروري

---

(١) سورة الأنفال: الآية (٦٠).

www.iqra.ahlamontada.com

كذلك أن يكون الجانب الإسلامي في شخصية هذا الموجه هو الأساس الذي تبنى عليه سائر أوجه الإعداد الأخرى، أو بمعنى آخر، لابد من إعداد هذا الموجه الرياضي إعداداً يخضع لمنهج إسلامي. - فما هو هذا المنهج المقترح ؟.

إن أبرز خطوات هذا المنهج كما ظهر لي هي:

أولاً: يجب أن يختار هذا الموجه من بين طلاب العلوم الإسلامية، ممن يشهد له القائمون على تعليمه بالتقوى والاستقامة والتفوق العلمي، والاستعداد البدني، ثم يخضع هذا المختار لعدة اختيارات مهنية تكشف عن استعداده للقيام بهذا العمل.

ثانياً: يوضع لهؤلاء المختارين منهج إسلامي متكامل يستطيع أن يصقل شخصياتهم ويصبغها صبغة إسلامية، ولعل هذا المنهج يكون أفضل إن اشتمل على النقاط التالية:

١- دراسة مناسبة للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مع قدر كاف من حفظ القرآن والسنة.

٢- دراسة مناسبة للفقه الإسلامي.

٣- دراسة موسعة لسيرة الرسول (ﷺ)، ولتاريخ المسلمين وبخاصة سير الشخصيات الإسلامية البارزة في مجال العمل الإسلامي.

٤- دراسة موسعة للمذاهب والنظم المعادية للإسلام قديماً وحديثاً.

٥- دراسة موسعة لجغرافية العالم الإسلامي المعاصر، ولتاريخه.

٦- دراسة ملائمة لمشكلات العالم الإسلامي المعاصر.

ثالثاً: توضع لهؤلاء المختارين دراسة منهجية في مجال تخصصهم الرياضي بحيث تستهدف هذه الدراسة إلى تكوينهم موجهين رياضيين، ويضع أهل الاختصاص لهذا المنهج ما يجب أن يشتمل عليه من معارف ودراسات.على أن تشتمل على مزيد من العلوم الاجتماعية والنفسية والتطبيقية والميدانية. وعلى أن تكون دراسة التربية البدنية

www.iqra.ahlamontada.com

من التعمق والتوسع بحيث تمكنهم من أداء عملهم على الوجه الأحسن، الذي ينمي فيهم روح القيادة والإدارة والتوجيه.

رابعاً: تحصيل قدر كاف من الدراسات التي تتصل بالعلوم الحديثة والمكتشفات الجديدة في مجال تخصصهم بالذات وفي سائر المجالات بعد ذلك.

وبعد: فإذا أعد موجه الشباب هذا الإعداد ثم مارس عمله في المسجد فإن الشباب يجدون في المسجد المكان الأمين الذي يربون فيه عقولهم وأرواحهم وأجسامهم التربية الإسلامية التي تجعل منهم جنوداً أقوياء لدينهم ولدعوتهم وللتبشير بهذا الدين في الآفاق.

والمسجد هو المكان الذي يأمن الناس فيه على أبنائهم من أي انحرافات قد توجد في الأندية الرياضية، لأن وجود المسجد وروحه تقضي على أي انحراف يمكن أن يحدث نتيجة لأي عامل من العوامل، وأي انضباط أروع من أن يكف الموجه الرياضي عن ممارسة الرياضة هو ومن معه من الشباب حين يسمعون الآذان ثم يتوجهون إلى الاستعداد للصلاة والوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى خاشعين محتسبين ما قاموا به من عمل في سبيل الله.

ولقد علمتنا مشاهدتنا الآن أن التفوق الرياضي وحده دون عاصم من دين وخلق لا يقدم لصاحبه شيئاً فضلاً عن أن يقدم فائدة للمجتمع أو الدولة، إلا إذا اعتبرنا التفوق الرياضي هدفاً في ذاته، وهو مالا يقبله العقلاء والمصلحون.

أما في رحاب المسجد فإن المسلم يعد بعبادة الله **أولاً**.

ثم للعمل وفق ما يطلبه منه دينه **ثانياً**.

وعبادة الله ومتطلبات الدين الإسلامي تحتاج في كل حين إلى الجسم القوى والعقل الناضج والخلق المستقيم على صراط الله.

والمسجد بتربيته للشباب هذه التربية المتكاملة إنما يعدهم لتحمل أعباء الدعوة الإسلامية والانطلاق بها في أي مكان من الأرض، ومن هذا المسجد انطلق أسلافنا

www.iqra.ahlamontada.com

ـ رضوان الله عليهم ـ بهذا الدين يملؤون به الدنيا ويحققون للبشرية عن طريقه العدالة الحقيقية والأمن الحقيقي والطمأنينة الحقيقية مجاهدين في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين لله.

أما بقية العاملين في المسجد: مثل الأخصائي الاجتماعي وأمين المكتبة والمرشدون والمشرف الصحي، محفظ القرآن والخدم...

هؤلاء جميعاً لابد أن تعد لهم المناهج التي تؤهلهم للقيام بأعمالهم على الوجه الأكمل، وكل تقصير في إعداد القائمين على العمل في المسجد إنما هو تقصير في حق المسجد نفسه وفي حق المجتمع المسلم كله.

ثم إن الإعداد وحده قد لا يكفي، فلابد أن تعقد للقائمين على العمل في المساجد دورات تدريبية وأخرى دراسية مابين كل حين وآخر، حتى يكونوا دائماً على صلة بالتغيرات الاجتماعية التي تحيط بالعالم الإسلامي.

ومن البديهي أن يكون جميع العاملين في المسجد على صلة وثيقة بالعلوم الإسلامية قبل أن يمارسوا عملهم فيه، وأن تجدد لهم هذه المعلومات والمعارف الإسلامية كل فترة من الزمان، إذ ليس من المقبول أن يكف بالعمل في المسجد من لم يكن على علم بطبيعة المسجد وحقيقة وظيفته في المجتمع، ومن لم يكن قد تشرب روح المسجد في خلقه وسلوكه، ومن لم يكن على صلة دائمة بظروف العالم الإسلامي.

هذه صورة المسجد كما تصورتها، في المجتمع الإسلامي المعاصرة خلية حية من جسم الأمة الإسلامية لا تنى عن العمل ولا تكف عن النشاط ولا تنقطع عن التوجيه والتربية والإرشاد.

ولا ننسى ـ علاج الفراغ من خلال المسجد ـ أن المسجد في المجتمع المسلم مكان أساسي ورئيسي في صنع الأفراد القادة الواعية وبناء المجتمع المثالي من المسلمين.

www.iqra.ahlamontada.com

ثالثاً - التوبة وظيفة العمر

قال الله (ﷻ): ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

وعمل السوء إذا انفرد يدخل جميع السيئات صغيرها وكبيرها، والمراد بالجهالة الإقدام على السوء وإن علم صاحبه أنه سوء فإن كل من عصى الله وغفل عنه فهو جاهل وكل من أطاعه فهو عالم وعارف.

وبيان من وجهين:

أحدهما: أن من كان عالماً بالله وعظمته وكبريائه وجلاله فإنه يهابُه ويخشاه، فلا يقع منه مع استحضار ذلك عصيانُه كما قال بعضهم: لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى ما عصوه.وقال آخر: كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً.

ثانيهما. إن من آثر المعصية على الطاعة فإنما حمله على ذلك جهله وظنه أنها تنفعه عاجلاً باستعجال لذاتها، وإن كان عنده إيمان فهو يرجو التخلص من سوء عاقبتها بالتوبة في آخر عمره، وهذا جهل محض، فإنه يتعجل الإثم والخزي، ويفوته عز التقوى وثوابُها ولذة الطاعة، وقد يتمكن من التوبة بعد ذلك، وقد يعاجله الموت بغتة، فهو كجائع أكل طعاماً مسموماً لدفع جوعه الحاضر ورجا أن يتخلص من ضرره بشرب الترياق بعده. وهذا لا يفعله إلا جاهل. وقد قال (ﷻ):

﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۝١٠٢ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[2].

---

(١) سورة النساء: الآية، (١٧).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٠٢-١٠٣).

www.iqra.ahlamontada.com

والمراد هنا آثروا الضار من المخالفة والمعصية على النافع من التقوى والإيمان لما رجوا فيه من منافع الدنيا المعجلة مع علمهم أنهم يفوتهم بذلك ثواب الآخرة، وهذا جهل منهم فإنهم لو علموا لآثروا الطاعة والإيمان والعمل الصالح ـ على ماعدا هما فكانوا يحرزون أجر الآخرة ويأمنون عقابها ويتعجلون عز التقوى في الدنيا مع طمأنينة الذكر والإيمان، وربما وصلوا إلى ما يأملون في الدنيا أو إلى خير منه وأنفع. فإن أكثر ما يطلب بالفراغ حوائج محرمة أو مكروهة عند الله عز وجل والمؤمن المتقي يعوضه الله في الدنيا خيراً مما يطلبه الفارغون ويؤثرون مع تعجيله عز التقوى وشرفها وثواب الآخرة وعلو درجاتها.

فتبين بهذا أن إيثار المعصية ـ من خلال الفراغ ـ على الطاعة ـ من خلال العمل فيه ـ إنما يحمل عليه الجهل، ولذلك كان من عصى الله جاهلاً وكل من أطاعه عالماً وكفى بخشية الله علماً وبالاغترار به جهلاً وفراغاً.إن الإنسان مادام يأمل الحياة فإنه لا ينقطع أمله من الدنيا وقلما لا تسمح نفسه بالإقلاع عن لذاتها وشهواتها وفراغها من المعاصي وغيرها ويرجيه الشيطان بالتوبة في آخر عمره، فإذا تيقن الموت وآيس من الحياة أفاق من سكرته بشهوات الدنيا فندم حينئذ على تفريطه ندامة يكاد يقتل نفسه وطلب الرجعة إلى الدنيا ليتوب ويعمل صالحاً فلا يجاب إلى شيء من ذلك فيجتمع عليه سكرة الموت مع حسرة الفوت وقد حذر الله في كتابه عباده من ذلك ليستعدوا للموت قبل نزوله بالتوبة والعمل الصالح قال الله (ﷻ):

﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾[1].

---

(١) سورة الزمر: الآية (٥٤-٥٦).

www.iqra.ahlamontada.com

والناس في التوبة على أقسام:

- فمنهم من لا يوفق لتوبة بل ييسر له عمل المعاصي من أول عمره إلى آخره حتى يموت مصراً عليها وهذه حالة الأشقياء.
- من يسر له في أول عمره عمل الطاعات ثم ختم له بعمل المعاصي والسيئات حتى مات عليه.

ما أصعب الانتقال من البصر إلى العمى وأصعب منه الضلالة بعد الهدى، والمعصية بعد التقى.

- وقسم يفني عمره في الغفلة والبطالة والفراغ ثم يوفق لعمل صالح فيموت عليه، وهذه حالة من عمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها[1].

إلى الله تب قبل انقضاء من العمر	أُخيَّ ولا تأمَنْ مفاجأةَ الأمر
ولا تستحن عن دعائي فإنما	دعوتُك إشفاقاً عليك من الوزر
فقد حذرتك الحادثات نزولها	وناديتك إلا أن سمعك ذو وقر
تنوح وتبكي للأحبة إن مضوا	ونفسك لا تبكي وأنت على الإِثرِ[2]

التوبة ـ التوبة ـ العمل ـ العمل ـ قبل أن يصل إليكم من الموت النوبة ، فيحصل الفارغ على الندم والخيبة.. الإنابة الإنابة قبل غلق باب الإجابة، الإفاقة الإفاقة فقد قرب وقت الفاقة، ما أحسن قلق التواب، ما أحلى قدوم الغياب! ما أجمل وقوفهم بالباب!

أسأت ولم أحسن وجئتك تائباً	وإني لعبد من مواليه مهرب
يؤمل غفراناً فإن خاب ظنه	فما أحد منه على الأرض أخيب

---

(١) الحنبلي، ابن رجب: لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم رمضان مصدر سابق، ص ٣٩١ (بتصرف).

(٢) المصدر نفسه، ص٣٩١.

www.iqra.ahlamontada.com

كان بعض الصالحين يقول:

إن الملــوك إذا شــابت عبيــدهم　　في رقهــم عتقــوهم عــتق أبــرار
وأنــت يــا خــالقي أولى بــذا كرمــاً　　قد شبت في الرق فاعتقني من النــار

أيها الغافل الفارغ: ما يقطع من صلاحك الطمع، ما نصبنا اليوم شـرك المـواعظ إلا لتقع، إذا خرجت مما قرأت وأنت عازم على الإفاقة والعمل والتوبة قالـت لـك ملائكـة الرحمة:مرحباً وسهلاً، فإن قال لك رفقاؤك في الغفلة والفراغ والمعصية: هلم إلينا فقل لهم:كلا ذاك الفراغ خمر الغفلة الـذي عهـدتموه قـد اسـتحال خـلاً.يـا مـن سـود كتابـه بالغفلات والسيئات قد آن لك بالذكر والتوبة أن تمحو، يا سكران القلب بالشهوات أما آن لفؤادك أن يصحو.

يــا نــدماي صــحا القلــب صــحا　　فــاطردوا عنــي الصــبا والمرحــا
زجــر الــوعظ فــؤادي فــارعو　　وأفــاق القلــب مــني وصــحا
هــزم العــزم جنــوداً للهــوى　　فاســدي لا تعجبــوا إن صــلحا
بــادروا بالتوبــة مــن قبــل الــردى　　فمناديــه ينادينــا الوحــا[1]

---

(١) لحنبلي، ابن رجب: لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم رمضان مصدر سابق، المصدر سابق: ص٣٩٥.

www.iqra.ahlamontada.com

خـاتمـــة

١- الدراسة الميدانية.

٢- خلاصة.

٣- توصيات.

www.iqra.ahlamontada.com

أولاً: الدراسة الميدانية

فروض الدراسة:

بناء على ما سبق من الدراسة، ولتحقيق أهداف الدراسة وضِعَتْ الفروض التالية:

١- يتسم إدراك الأفراد والجماعات لفوائد نعمة الفراغ بشكل عام بالإيجابية.

٢- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد سكان المدينة وبين أفراد سكان الريف في تحديد فوائد استثمار نعمة الفراغ.

٣- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الأفراد المتدينين والأفراد غير المتدينين. في تحديد الفراغ الديني

٤- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الأفراد في الشعور في الفراغ بشكل عام.

٥- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الرغبة عند الأفراد لمعالجة الفراغ.

٦- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الرغبة في تحقيق نتائج البحث على أرض الواقع.

- استمارة الاستبيان

- تسلسل الاستبيان (   )   - مكان إجراء المقابلة والاستبيان (   )
- تاريخ: - البحث:

ملاحظة: ١- وجهة الاستبيان إلى (   )

علماً إن هذه الاستمارة هدفها علاج مشكلة الفراغ الذي يعاني منها الجيل الإسلامي المعاصر لتحديد بعض النقاط التي نقف عندها في البحث الموجه إلى كلية الإمام الأوزاعي للدراسات العليا من أجل الحصول على درجة الدكتوراه ولا يوجد لأي جهة أية علاقة بالإجابة والاستفسارات.

ويشتمل الاستبيان على الأسئلة التالية:

أ- على البيانات العامة (ستة أسئلة).

www.iqra.ahlamontada.com

ب- على أسئلة الفراغ (إحدى وأربعون) وهي على الشكل التالي:

١- النوع: (ذكر / أنثى)

٢- السن:

٣- الحالة الاجتماعية (أعزب / متزوج / مطلق / أرمل)

٤- المدرسة أو الكلية أو العمل.

٥- المستوى التعليمي.

٦- محل الإقامة (حضرية / ريفية).

أ- الفراغ: تشمل أسئلة الفراغ على (٤١) مع تقديم بعض الاستجابات المحتملة ورعي فيها أن تكون الاستجابات ممثلة للاستجابات الممكنة بقدر الإمكان ولم تنصب الدراسة الحالية على كل الأسئلة وإنما أعضمها (   ) وهذه هي الأسئلة:

١- إذا كان وقت الفراغ هو الوقت الحر الذي يتبقى من ساعات اليوم بعد طرح ساعات العمل والنوم والالتزامات فما هو متوسط عدد ساعات الفراغ لديك يومياً؟

٢- كيف تقضي وقت فراغك في إجازة الأسبوع (الخميس والجمعة أو الجمعة والسبت)

- رحلات استجمام - رحلات خلوية (البر) ـ مشاهدة التلفزيون - زيارات أسرية وعائلية.

- استذكار الدروس - إنجاز الأعباء المنزلية الأسبوعية ـ في أحد النوادي أو مركز الشباب.

- في المسجد - في الأسواق والمحلات - لا أعرف كيف أقضي وقت فراغي.

٣- مع من تقضي وقت الفراغ غالباً ؟ - مع أفراد أسرتي - مع زملاء الدراسة - مع بعض الجيران - مع أقربائي - مع أصدقاء من غير الأقارب - بمفردي.

www.iqra.ahlamontada.com

٤- ما هي الأنشطة التي تزاولها في وقت فراغك ؟

ـ أنشطة رياضية ـ أنشطة اجتماعية ـ أنشطة دينية ـ أنشطة فنية ـ أنشطة ثقافية ـ أنشطة علمية ـ أنشطة ترفيهية.

٥- أين تقضي وقت فراغك؟ ـ داخل البيت ـ المكتبات العامة ـ البرية ـ مكان خاص بك ـ النادي ـ مركز الشباب ـ الزيارات ـ مكان خاص بالأسرة ـ مكان آخر.

٦- إذا كنت تقضي وقت فراغك في البيت فأي الأنشطة تفضل أكثر من غيرها ؟

رتب هذه الأنشطة حسب درجة التفضيل على أساس وضع رقم (١) أمام أفضل الأنشطة ورقم (١٠) أمام أقل الأنشطة مما يلي: ـ سماع الإذاعة أو مسجلة ـ مشاهدة التلفاز ـ رسم وتصوير ـ استقبال ضيوف ـ أعمال منزلية ـ ألعاب مسلية ـ أشغال نسوية ـ هوايات موسيقية ـ مطالعة.

٧- إذا كنت تقضي وقت الفراغ خارج البيت فأي الأنشطة تفضل أكثر من غيرها ؟

رتب هذه الأنشطة حسب درجة التفضيل على أساس وضع رقم (١) أمام أفضل الأنشطة ورقم (١٠) أمام أقل الأنشطة مما يلي: ـ أحد الهيئات أو الأندية الشبابية ـ أنشطة فنية ـ رحلات ـ التنزه والسباق ـ تناول كحوليات ومهدئات ـ مكتبات عامة ـ حدائق عامة ـ زيارات مسجد ـ لعب ـ وقوف في الشارع.

٨- هل تشعر بأنك تقضي وقت الفراغ كما تحب وتتمنى؟- نعم (   ) لا (   )

٩- هل هناك من يواجهك لملئ وقت الفراغ عندك؟ (والدك، أخوك، زوجتك، أستاذك، المرشد الديني، شخص آخر).

١٠- ما الذي تود أن تعمله لسد الفراغ ؟ المطالعة ـ تلاوة قرآن ـ عمل ـ نزهة ـ شيء آخر.

١١- هل أنت مقتنع وراض بنشاطات الفراغ التي تمارسها ؟ مقتنع () غير مقتنع () لا أعرف().

www.iqra.ahlamontada.com

١٢- ما معنى نشاط الفراغ بالنسبة إليك ؟عمل وهدف () ملئ فراغ () قضاء وقتل وقت ().

(العرف، الدين، العلم (المعرفة)، قوى خارجية، المدرسة، المسجد).

١٣- ما هي الأسباب أو العوامل التي يمكن أن تمنع الفرد عن قضاء وقت فراغه كما يتمنى؟

عدم وجود إمكانيات مادية ـ عدم توافر وسائل الترويح ـ النفور من التعامل مع الآخرين ـ ممانعة الأسرة عدم وجود ميول واستعدادات وجود موانع دينية_ أسباب أخرى (تُذكر).

١٤- أي المؤسسات تنتسب إليها لقضاء وقت فراغك ؟

ـ مركز الشباب ـ جمعيات فنية ـ فرق مسرحية ـ جمعيات ثقافية واجتماعية ـ أندية رياضية.

في المسجد ـ غير منتسب لأي جمعية أو مؤسسة

١٥- ضع علامة (صح) أمام المشكلة التي تعتقد أنها يمكن أن تترتب على عدم معرفة قضاء وقت الفراغ!

ـ مشاحنات مع أفراد الأسرة ـ مشكلات جنسية ـ العزلة عن الناس ـ مشكلات صحية وبدنية ـ مشكلات تكيف في العمل ـ أحلام يقظة ـ مشكلات دراسية ـ إسراف وتبديد المال_ تعاطي مخدرات أو مسكرات أو دخان، ـ مشكلات أخرى (تذكر).

١٦- حدد درجة إحساسك بمشكلة قضاء الفراغ بوضع دائرة حول الرقم الذي يحدد درجة إحساسك علماً بأن الرقم الأعلى يمثل شدة الإحساس بالمشكلة (١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩).

١٧- على من تقع مسؤولية حل مشكلة وقت الفراغ على الوجه الأمثل؟

www.iqra.ahlamontada.com

(حدد جهة واحدة) ـ الدولة بأجهزتها المختلفة ـ الأسرة ـ الفرد نفسه

١٨- هل تجد فراغاً غير الوقت والزمن ؟ (روحياً، فكرياً، عقلياً، قلبياً)

١٩- هل يوجد قلق عندك ؟ نعم ( ) لا ( )

٢٠- ما هي أسباب القلق عندك ؟ لا يوجد ( ) الفراغ ( ) الخوف من مجهول ( )

٢١- هل للمسجد دور في حياتك ؟ نعم ( ) لا ( )

٢٢- كيف تختار أفكارك ومبادئك ؟ ١-العرف ٢-الأسرة (العادة) ٣-الدين ٤-لا أعرف.

٢٣- كيف تحب أن ترى جيل اليوم ؟

١- عصري بغير قيد ٢-متدين (يعيش في وسطية الإسلام)٣-شباب متحرر ٤-لا أدري

٢٤- هل نحن صناع لثوابتنا ؟ نعم ( ) لا ( )

٢٥- هل نحن شركاء في شقائنا ؟ نعم ( ) لا ( )

٢٦- أين تجد سعادتك ؟ ١- في الإيمان ٢- في الأبناء ٣- في المال ٤- لا توجد ٥- في شيء آخر

٢٧- هل الدين مسؤول عن التخلف ؟ نعم ( ) لا ( )

٢٨- ما سر الخمول والفتور في الفرد والجماعة ؟

١- الإحباط ٢- العجز ٣- الخوف من المستقبل ٤- الشعور بالتخلف ٥- ضعف الدين ٦- شيء آخر.

٢٩- ما أسباب الفراغ الذي نعيشه ؟ ١- ..... ٢-... ... ٣- .....

٣٠- هل تفضل التعاون مع الآخرين في عمل ينفع الناس ؟ نعم ( ) لا ( )

٣١- هل المسلمون يشغلون فراغهم بشكل صحيح ؟ نعم ( ) لا ( )

www.iqra.ahlamontada.com

٣٢- هل ترى بوادر نشاط حضاري لدى المجتمع المسلم ؟ ـ الفرد ـ الأسرة ـ المسجد ـ المدرسة ـ أو مكان آخر

٣٣- هل ينفع تقليد الآخرين في ملئ الفراغ ؟ نعم ( ) لا ( ) إلى حد ما ( )

٣٤- ما مدى أهمية الدين في حياة الفرد والجماعة ؟

٣٥- ما هي طبيعة اتجاهات الأفراد نحو القضايا والأفكار المرتبطة بالدين ؟

٣٦- هل تختلف اتجاهات الأفراد الذكور عن اتجاهات الأفراد الإناث ؟

٣٧- هل لنوع الدراسة أو العمل والتخصص تأثير على اتجاهات الأفراد نحو الدين ؟

٣٨- ما هي مظاهر السلوك ؟

٣٩- ما هي العوامل المدّعمة للاتجاه الديني للأفراد ؟

٤٠- ما هي العوامل المثبطة للاتجاه الديني للأفراد ؟

ب- الفراغ الديني

١- ما هي أهمية الدين للفرد والجماعة عندك. نعم ( ) لا ( )

٢- هل الإيمان يجعلك سعيداً. نعم ( ) لا ( )

٣- هل يكون ضعف الإيمان سبب للشقاء. نعم ( ) لا ( )

٤- هل إيمانك يهتز عندما تمر بشقاء. نعم ( ) لا ( )

٥- هل تزداد نشاطاً وإنتاجاً كلما زاد إيمانك. نعم ( ) لا ( )

٦- هل يوجد اتجاه ديني عندك. نعم ( ) لا ( )

٧- هل تنتمي إلى جماعة دينية نعم ( ) لا ( )

٨- هل الدين يملأ عليك فراغك. نعم ( ) لا ( )

٩- ما هو أساس بناء الإيمان عندك. ديني ( ) فكري ( )

١٠-هل تواظب على الصلاة – (بشكل منتظم، أو غير منتظم، ممتنع عنها)

١١- هل تصوم رمضان. نعم ( ) لا ( ) غالباً ( )

www.iqra.ahlamontada.com

١٢- هل تحفظ القرآن الكريم – (كله، أجزاء، شيء قليل، لا أحفظ شيء)

١٣- هل تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. نعم ( ) لا ( ) لا علاقة لي ( )

١٤- هل تلتزم بالمظهر الإسلامي. نعم ( ) لا ( ) ربما ( )

١٥- هل تعبر عن رأيك بحرية. نعم ( ) لا ( ) أحياناً ( )

١٦- هل تلتزم في معاملاتك بالأخلاق الإسلامية ـ صدق، قول، عمل نعم ( ) لا ( ) ربما ( ).

- الإقدام على الغش والرشوة. نعم ( ) لا ( ) ربما ( )

- الندم عند إهمال الدين أو المعصية. نعم ( ) لا ( )

١٧- هل تتقن عملك. نعم ( ) لا ( ) إلى حد ما ( )

١٨- هل المسجد يقوم بدوره الريادي. نعم ( ) لا ( ) إلى حد ما ( )

١٩- هل أنت ملتزم دينياً. نعم ( ) لا ( )

٢٠- هل تشارك في عمل إسلامي. نعم ( ) لا ( )

٢١- ما الذي دفعك للمشاركة.

٢٢- هل أنت راض عن أداء المسجد وعلماء الدين برسالتهم. نعم ( ) لا ( ) إلى حد ما ( )

هل أنت راض عن فاعلية خطبة الجمعة. نعم ( ) لا ( ) نوعاً ما ( )

٢٤- هل دراستك تجعلك تتمسك بالدين. نعم ( ) لا ( )

٢٥- هل أساتذتك قدوة لك. كلهم ( ) بعضهم ( ) لا يوجد ( )

- **العينة:**

تألف مجتمع الدراسة من شرائح من المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، وقد اختيرت في هذه العينة " العشوائية الطبقية على أساس مستوى ثقة ملائم بلغ ٩٥٪ وللتأكد من

www.iqra.ahlamontada.com

سلامة اختيار العينة فقد تجنب الباحث مصادر الخطأ في اختيارها وهي خطأ الصدفة، وخطأ التحيز.

بناء على ذلك بلغ حجم عينة البحث (١٠٠٠) شخص يمثلون شرائح المجتمع من طلاب ومثقفين وفلاحين وعمال من رجال ونساء، وقد اختير من العينة (٣٠٠) الفئة المستجيبة للإستبانة والمقابلة والصادقة في التعامل مع البحث.

- **أداة الدراسة:**

أ- **المنهج:** المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي القائم على التعليل بربط الظواهر بأسبابها وعللها أما أداة الدراسة فهي:

١- الاستبيان:

وقد حصرت العناصر الرئيسة التي رئي أن تحتوي عليها الاستبيان بمساعدة عدد من أساتذة علم الاجتماع والمهتمين بالبحوث الاجتماعية، ثم ترجمت هذه العناصر إلى أسئلة وعبارات قابلة للاستجابة. فأصبحت تمثل الاستبيان في صورته الأولية، وللتحقق من صلاحية الاستبيان، فقد عرضت على مجموعة من المحكمين الذين أبدوا ملاحظات قيمة، أفادت في إدخال تعديلات على الاستبيان في المضمون والشكل. ثم اختبرت الاستبيان اختباراً قبلياً ثلاث مرات قبل تطبيقها على مجتمع البحث، وذلك على ٧٥ فرداً من رجال ونساء، من مجتمع **مدينة منبج** لحساب ثبات الاستبيان، يفصل بين الاختيار والآخر خمسة عشر يوماً.

وقد أدخلت نتيجة ذلك بعض التعديلات، وتم التعرف إلى مدى قابلية أسئلة الاستبيان للفهم والاستجابة، واستبعدت الأسئلة التي لم تعط ثباتاً في كل مرة يصل ٨٠٪ فأكثر من استجابات المبحوثين، وكانت هذه المجموعة من الكبر والتنوع،

www.iqra.ahlamontada.com

وتمثيل خصائص مجتمع البحث، بحيث سمحت بإجراء تحليلات إحصائية على الاستجابات لتقدير معدلات الصدق والثبات بأنواعهما المختلفة.

وقد أظهر الاختيار في المرة الثالثة أن التعديلات المطلوبة محدودة للغاية وشكلية، وبذلك أمكن الاطمئنان إلى الصدق الظاهري والثبات لأسئلة الاستبيان قبل تعميمها على المبحوثين وجمع البيانات عن مشكلة الدراسة، وبالتالي تقرر صياغة الاستبيان في صورتها النهائية وتغطي أداة جمع البيانات هذه أهداف الدراسة الوصفية، ومتطلبات التحليل الكمي.

٢- **المقابلة:** أما متطلبات الكيفي فيتمثل في استخدام الأداتين:

أ- المقابلات الحرة:

وهي مقابلات فردية يتم فيها طرح الأفكار الأساسية على الفرد. وواضح أن هذه الأداة تعطينا معلومات كيفية يمكن أن تكمل التصور الذي تقدمه لنا البيانات الكمية، بحيث تشكل الشواهد الكمية والكيفية رصيد المعلومات الذي يعتمد عليه البحث و التحليل والتفسير واستخلاص النتائج وبلغ مجموع الحالات الفردية (٩٠) حالة أجريت معها مقابلات.

ب- المقابلات الجماعية:

أجريت مجموعة من المقابلات الجماعية عددها عشر مقابلات مع المبحوثين من طلاب وأفراد في مدرسة ومسجد وسجن ومنزل، وكانت طريقة المناقشة الجماعية هي الأسلوب المتبع في هذه المقابلات، حيث أثيرت القضايا التي نوقشت في المقابلات الفردية، وترك للحضور مناقشة ذلك مع حرية التعبير عن وجهات النظر.لقد استخدمت هذه الدراسة خطة منهجية تضمنت عدداً من أدوات البحث الكمي والكيفي، وقد قام بعض الأخوة الزملاء، بإلقاء الأسئلة الواردة في الاستبيان على المبحوثين،

www.iqra.ahlamontada.com

وتسجيل إجاباتهم على الاستبيان جميعها، كذلك قام بعض أخوتنا الطلبة بإجراء المقابلات الفردية الحرة. وأشرف الباحث على المقابلات الجماعية.

الأساليب الإحصائية المستخدمة:

لاختيار صحة فروض الدراسة استخدم الباحث الأساليب الإحصائية التالية:

- اختيار النسب ومستوى دلالة الاختيار الملاحظ.
- معامل الاقتران [1]:

١- مقارنة بين نفسية كثير من المتدينين وكثير من غير المتدينين:

عند المتدينين	عند غير المتدينين
٧٪ من الفراغ تدين	١٪ من الفراغ تدين
٧٥٪ الأعمال الدنيوية	٦٠٪ للأعمال الدنيوية
٢٣٪ فراغ وغفلة	٢٩٪ للفراغ والغفلة

٢- مقارنة بين نفسية كثير من المسلمين وكثير من غير المسلمين:

عند المسلمين	عند غير المسلمين
١٪ تدين	½٪ تدين
٨٥٪ فراغ وغفلة	٨٠٪ للأعمال الدنيوية
١٤٪ الأعمال الدنيوية	½ ١٩٪ للفراغ والغفلة

(١) هو تثبت ومعرفة الصفة التي يتميز بها الفرد ومقارنتها عددياً بنفس الصفة التي يتميز بها الأفراد الأخرين في المجتمع. (القياسات الاجتماعية).

- العبيدي، غانم سعيد: التقدم والقياس في التربية والتعليم، بغداد، ١٩٧٠م، ص١٨.

www.iqra.ahlamontada.com

نتائج الدراسة:

أولاً: فيما يختص بالفرض الأول الذي ينص على أنه "يتسم إدراك المبحوثين لفوائد نعمة الفراغ بشكل عام بالإيجابية".

وفي سبيل التحقق من هذا الفرض، قـام الباحـث بتحليـل البيانـات الـتي كشـفت أن المبحوثين يدركون أن الفراغ يعود عليهم بفوائد متعددة وقد رتبوها كما يلي:

أ- المرتبة الأولى، وهي فائـدة "الطاعـة" بلغـت نسـبة الـذين وافقـوا علـى هـذه الفائـدة (٤٥,٤٪) من أفراد العينة.

ب- المرتبة الثانية، وهي فائدة "تحقيق التوازن النفسي والانفعـالي والعقلـي والروحـي" بلغت نسبة الذين وافقوا على هذه الفائدة (٤٢,٨٪) من أفراد العينة.

ج- المرتبة الثالثة، وهي فائدة "بناء شخصية الفرد" بلغت نسبة الذين وافقـوا علـى هـذه الفائدة (٤٢,٢٪) من أفراد العينة.

د- المرتبة الرابعة، وهي فائدة "الكشف عن قدرات الفرد" بلغت نسبة الذين وافقوا علـى هذه الفائدة (٤٢,٢٪) من أفراد العينة.

هـ- المرتبة الخامسة، وهي فائدة " تجديد طاقـة الفـرد الإنتاجيـة " بلغـت نسـبة الـذين وافقوا على هذه الفائدة (٢٩٪) من أفراد العينة.

وبشكل عام تبين من جدول (١) أن المستوى العام لإدراك أفراد العينة فوائد استثمار الفراغ يتسم بالإيجابية، وهذا يعني قبول صحة الفرض الأول.

ثانيـاً: بالنسـبة إلى الفـرض الثـاني الـذي يـنص علـى أنـه توجـد فـروق ذات دلالـة إحصائية بين الأفراد سكان المدينة وعن سكان الريف في تحديد فوائـد اسـتثمار نعمـة الفراغ بصالح أفراد المدينة.

بنيت الدراسة الميدانية أن فوائد استثمار الفراغ التي حددها المبحوثون متباينة بتباين مكان السكن.

www.iqra.ahlamontada.com

جدول /١/

فوائد استثمار الفراغ بحسب متغيرات الدراسة:

الفوائد	الإقبال على الطاعة		التوازن النفسي والروحي		بناء الشخصية		كشف القدرات	
المتغيرات	المرتبة	النسبة	المرتبة	النسبة	المرتبة	النسبة	المرتبة	النسبة
مدينة	١	٤٨	٢	٤٥,٦	٤	٤٠,٣	٣	٤٢,٨
ريف	٣	٤٣,١	٢	٤٥	١	٤٩,٣	٤	٤٠,٧
ذكر	١	٤٥,٩	٤	٤٣,٢	٢	٤٥,٥	٣	٤٥,٢
أنثى	٢	٤٧,٢	٢	٤٨,١	٤	٣٨,٦	٤	٣٧,٦
العمر الأصغر	١	٤٧,٨	٢	٤٥,١	٤	٣٩,٥	٣	٤٢,٣
العمر الأكبر	٣	٤٣,٥	٢	٤٦	١	٤٩,٧	٤	٤٢,٢

يلاحظ من جدول [١] ما يلي:

١- تتكافأ مراتب فائدتين من فوائد استثمار الفراغ عند أفراد المدينة والريف هما:

- تحقيق التوازن النفسي والانفعالي والعقلي والروحي وهذه الفائدة احتلت المرتبة الثانية بفارق ٥,٦٪ لصالح أفراد المدينة.
- "تجديد طاقة الفرد العملية والإنتاجية" وقد احتلت المرتبة الأخيرة بفارق ٤,٧٪ لصالح طلبة الريف

٢- تختلف مراتب الفوائد الأخرى الباقية كما يلي:

- فائدة الطاعة: احتلت هذه الفائدة المرتبة الأولى عند أفراد المدينة، والمرتبة الثالثة عند أفراد الريف بفارق ٥,٩٪ لصالح أفراد المدينة.

www.iqra.ahlamontada.com

- الكشف عن قدرات الفرد، احتلت هذه الفائدة المرتبة الثالثة عند أفراد المدينة والمرتبة الرابعة عند أفراد الريف بفارق ٢,٧٪ لصالح أفراد المدينة.
- بناء شخصية الفرد " احتلت هذه الفائدة المرتبة الرابعة عند أفراد المدينة، والمرتبة الأولى عند أفراد الريف ٪ لصالح أفراد الريف.

ثانياً: تشير نتائج الإحصائية إلى تحديد فوائد استثمار نعمة الفراغ. لصالح سكان المدينة بنسبة ١,٨ مما يعني قبول صحة الفرض الثاني.

ثالثاً: بالنسبة إلى الفرض الثالث الذي ينص على أنه تحديد نعمة الفراغ، يبين جدول /٣/ أن هناك تبايناً في إجابات المتدينين وغيرهم عن تحديد مفهوم نعمة الفراغ.

حيث يلاحظ ما يلي:

١- تتكافأ مرتبة فائدة معرفة مفهوم نعمة الفراغ عند المتدينين وغيرهم هي:

- تجديد طاقة الفرد العملية والإنتاجية، حيث احتلت هذه الفائدة المرتبة الأخيرة لدى غير المتدينين بفارق ٠,١ ٪ لصالح المتدينين.

٢- تختلف مراتب الفوائد الأخرى كما يلي:

- (فائدة الطاعة) احتلت هذه الفائدة المرتبة الأولى عند المتدينين، والمرتبة الثانية عند غير المتدينين بفارق ١,٣ ٪ لصالح المتدينين.
- (بناء شخصية الفرد) احتلت هذه الفائدة المرتبة الأولى عند المتدينين، والمرتبة الثانية عند غير المتدينين بفارق ٦,٩٪ لصالح المتدينين.
- (تحقيق التوازن النفسي والانفعالي) احتلت هذه الفائدة المرتبة الرابعة عند المتدينين والمرتبة الأولى عند غير المتدينين، بفارق ٥,٥٪ لصالح غير المتدينين.

www.iqra.ahlamontada.com

وتشير نتائج الإحصاءات إلى أن الفروق بين النوعين دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠١) مما يبين وجود فروق دالة إحصائياً بين المبحوثين من المتدينين الذين كانت نسبتهم (٤٧,٩٪) وغير المتدينين الذين نسبتهم (٥٩,٨٪) ـ لصالح غير المتدينين مما يعني عدم صحة الفرض الثالث.

رابعاً: بالنسبة إلي الفرض الرابع الذي ينص على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المبحوثين وفقاً لأعمارهم في تحديد الشعور في الفراغ بشكل عام.

كشفت بيانات جدول /٣/ عن تباين في إجابات المبحوثين حول الشعور في الفراغ تبعاً لاختلاف الأعمار حيث يلاحظ ما يلي:

١- تتكافأ مراتب فائدتين عند الفئتين العمريتين هما:

- تحقيق التوازن النفسي والانفعالي "حيث احتلت هذه الفائدة المرتبة الثانية بفارق ٦,٧٪ لصالح الفئة الأكبر عمراً.

٢- تختلف مراتب الفوائد الأخرى كما يلي:

- "الطاعة والراحة بها" احتلت هذه الفائدة المرتبة الأولى عند الفئة الأصغر عمراً والمرتبة الثالثة عند الفئة الأكبر عمراً بفارق ٤,٣٪ لصالح فئة الأصغر عمراً.
- "الكشف عن قدرات الفرد " احتلت هذه الفائدة المرتبة الثالثة عند الفئة الأصغر عمراً والمرتبة الرابعة عند الفئة الأكبر دون فارق بينهما. وتشير نتائج الإحصائيات إلى أن متغير العمر دال إحصائياً عن مستوى (٠,٠١) مما يبين وجود فروق دالة إحصائياً بين الفئة الأصغر عمراً التي كانت نسبتها (٤٩,٦٪) وفئة الأعمار الأكبر عمراً التي كانت نسبتها (٤٦,٥٪) ـ كما يبين ذلك الإحصاءات، لصالح الفئة الأصغر عمراً، مما يعني عدم صحة الفرض الرابع.

خامساً: بالنسبة إلى الفرض الخامس الذي ينص على أنه " يمكن للأفراد معالجة الفراغ.

www.iqra.ahlamontada.com

ذات دلالة إحصائية بين المبحوثين المهتمين وغير المهتمين في تحديد مفهوم الفراغ.

يبين جدول /٣/ تبايناً في آراء المبحوثين نحو معرفة الفراغ حسب الثقافة التي يمتلكها الفرد في نسب فوائد استثمار الفراغ جميعها، كما تبين الملاحظات التالية:

١- تتكافأ مراتب ثلاث معالجات للفراغ عند المبحوثين وهي:

- بناء شخصية الفرد، احتلت هذه المسألة المرتبة الثالثة بفارق ٢,٣٪ لصالح المبحوثين المثقفين.
- الكشف عن قدرات الفرد احتلت هذه الفائدة المرتبة الرابعة فارق (٣٪) لصالح المبحوثين المثقفين
- تجديد طاقة الفرد العملية الإنتاجية، احتلت هذه الفائدة المرتبة الأخيرة بفارق٣,٢٪ لصالح المبحوثين المثقفين .

٢- تختلف مراتب فائدتين من فوائد معالجة الفراغ عند المبحوثين وهي:

- تحقيق التوازن النفسي والانفعالي: احتلت هذه الفائدة المرتبة الأولى عند المبحوثين العاديين والمرتبة الثانية عند المبحوثين المثقفين بفارق ٢,٥٪ لصالح المبحوثين المثقفين.
- "الرغبة في الطاعة وراحتها" احتلت هذه الفائدة المرتبة الأولى عند المبحوثين المثقفين، والمرتبة الثانية عند المبحوثين العاديين بفارق ١٣,٩٪ لصالح المبحوثين المثقفين.وتشير الإحصائيات إلى أن قيمة مستوى الدلالة لمتغير الثقافة دالة إحصائياً عند مستوى (٠,٠١)مما يبين وجود فروق دالة إحصائياً بين غير المثقفين. المبحوثين التي كانت نسبتهم (٥٠,٣٪) والمثقفين الذين كانت نسبتهم (٤٤,٧٪) لصالح المبحوثين غير المثقفين، مما يعني عدم صحة الفرض الخامس.

www.iqra.ahlamontada.com

سادساً: كذلك يبين وجود علاقة اقتران ذات دلالة إحصائية بين تحديد مفهوم الفراغ عند المبحوثين وبين متغيرات الدراسة.ويمكن على أساس قوة علاقة الاقتران تفسير هذا التباين في إجابات المبحوثين في المقام الأول على أساس متغير الثقافة والمعرفة الذي يكمن وراء ١٦٪ من حجم التباين في آراء المبحوثين، وفي المقام الثاني على أساس متغير مكان وفئات الأعمار اللذين يفسران ٩٪ من هذا التباين، وفي المقام الثالث على أساس متغير الجنس الذي يفسر ٨٪ من هذا التباين. وعلى أساس متغير المستوى الاقتصادي الذي يفسر ٦٪ من هذه التبيانات.

المتغير		النسبة	الانحراف المعياري
الثقافة	عالية	٥٠,٣	٠,٠٠٨٦
	متوسطة	٤٤,٧	
الإقامة	ريف	٤٧,٣	٠,٠٠٩
	مدينة	٤٩,١	
العمر	أصغر	٤٩,١	٠,٠٠٨٥
	أكبر	٤٦,٥	
الجنس	ذكر	٤٧,٩	٠,٠٠٨٦
	أنثى	٥٩,٨	
المستوى الاقتصادي	منخفض	% ٥٢,٣	٠,٠١٦
	متوسط	٤٨,٠٧	
	مرتفع	٥٢,٧	

www.iqra.ahlamontada.com

ثانياً: خلاصة

في هذه الخلاصة نوجز أهم النتائج التي انتهى إليها البحث.

مع إيراد التوصيات التي تترتب على هذه النتائج[1].

١- عدد ساعات وقت الفراغ اليومي عند الإناث أكثر مما هي عند الذكور. فقد تراوحت هذه الساعات عند الذكور من ١-٤ ساعات يومياً، بينما تراوحت عند الإناث ٣-٧ ساعات يومياً.

٢ - قرر أصحاب الوجهة الداخلية في الضبط أن لديهم ساعات فراغ يومياً أكثر مما قرره أصحاب الوجهة الخارجية، سواء عند الذكور أو عند الإناث.

٣- كانت ساعات الفراغ اليومية عند الإنطوائيين أكثر مما هي عند الإنبساطيين وكان ذلك عند الذكور والإناث على السواء.

٤- كانت ساعات الفراغ اليومية عند العُصابين[2] أكثر مما هي عند الأسوياء. وانطبق ذلك على الذكور والإناث في نفس الوقت.

٥- مشاهدة التلفاز (القنوات الفضائية والأرضية)من أكثر أنواع الأنشطة التي تمارس في وقت الفراغ سواء عند الذكور أو عند الإناث.

٦- تظهر الفروق الجنسية في اختيار بعض الأنشطة مثل زيادة نسبة (إنجاز الأعمال المنزلية) عند الإناث عما هي عند الذكور، في مقابل زيادة نسبة اختيار الذكور لاستجابة النوادي ومراكز الشباب عند الإناث.

---

(١) لم أضع أو أشير إلى برامج إسلامية خاصة بالإناث وركز الباحث في دراسته على الذكور وهذا ليس مأخذ يؤخذ عليه لأن المجتمع الإسلامي مجتمع إنساني متكامل، وأن ما يصلح للذكور من نشاطات يصلح للإناث – مع مراعاة الحدود الشرعية-.

(٢) عصاب: اسم مشترك لعدد من الاضطرابات النفسية التي لم تحدد أسبابها الجسمية بوضوح مثل الأفكار الثابتة والمخاوف والشكوك والحذر والنسيان واضطراب الكلام.

- الحلو، عبده: معجم المصطلحات الفلسفية، مرجع سابق، ص ١١٣ (بتصرف)

www.iqra.ahlamontada.com

٧- كان الإنطوائيون[1] يميلون بدرجة أكبر إلى الأنشطة الداخلية، التي تمارس داخل المنزل، بينما الإنبساطيون يميلون إلى الأنشطة الخارجية التي تمارس خارج المنزل، وتمارس في جماعة غالباً، وانطبق ذلك على الذكور والإناث على السواء.

٨-كانت استجابة (لا أعرف) أكثر تكراراً عند أصحاب الميول العصابية منها عند الأسوياء من الذكور والإناث.

٩- كانت هناك بعض الأنشطة التي كانت ممارستها فارقة بين الفئات في علم النفس (سيكولوجية)عند الذكور، ولكنها لم تكن كذلك عند الإناث، مثل النشاط الخلوي (رحلات) حيث كانت نسبة اختيار الإنبساطيين له أكثر من اختيارات الإنطوائيين، ولكن الفروق بين اختيارات لم تكن دالة.

١٠- كان أفراد الأسرة هم المفضلون لدى الفرد لقضاء وقت الفراغ بينهم عند أصحاب الوجهة الداخلية، بينما الأصدقاء هم المفضلون لدى الفرد ليقضي وقت الفراغ بينهم عند أصحاب الوجهة الخارجية، كما كان أصحاب الوجهة الداخلية يفضلون قضاء وقت الفراغ مع الأقارب والجيران، بينما كان الخارجيون يفضلون قضاءه مع الأصدقاء من غير الأقارب.

١١- كان اختيار الإناث لاستجابة (أقضي وقت فراغي بمفردي)أكثر تكرار عندهن ولكن تراه عند الذكور شيء ملفت وإن كان أقل.

١٢- تظهر الفروق الجنسية في اختيار أنشطة وقت الفراغ، مثل اقتصار اختيار استجابة (الأعمال التجارية ـ لصناعية على البنين تقريباً، وارتفاع نسبة اختيار استجابة ـ النوادي ومراكز الشباب ـ عند البنين عنها عند البنات.

---

(١) الإنطوائيون:مفرده، إنطوائي: فهو المقبض في الحالة النفسية نتيجة الفراغ النفسي الذي ينشأ عنه أن تنطوي الحركات الخارجية، أو نمط من الطباع يجعل المرء منكفئاً على ذاته، غارقاً في أحلامه، قليل التفاعل مع غيره، عاجزاً عن التكيف مع بيئته – الحلو، عبده: معجم المصطلحات الفلسفية، مرجع سابق، ص ٩٠ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

١٣- يفضل الذكور الأنشطة الرياضية تفضيلاً عالياً بالنسبة لأي نشاط آخر، ويلي الأنشطة الرياضية الأنشطة الترفيهية، ثم الأنشطة الدينية ثم الثقافية ثم الاجتماعية، بينما تصدرت الأنشطة الثقافية والترفيهية والدينية اختيارات الإناث، وتأخرت الأنشطة الرياضية لديهن عما هي عند البنين - وتأخرت الأنشطة الدينية عندهما سواء.

١٤- جاء في القائمة الاختيارات العلمية والدينية والفنية سواء عند الذكور أو عند الإناث.

١٥- تقضي الإناث معظم أوقات فراغهن في المنزل وذلك بنسبة مرتفعة جداً أما الذكور فقد نافست استجابات أخرى استجابة المنزل مثل الزيارات والبر والصلة أو مكان خاص بالفرد.

١٦- كانت الإناث من أصحاب الوجهة الداخلية أكثر رضاءً عن الكيفية التي يقضين بها وقت فراغهن من صاحبات الوجهة الخارجية، ولم تكن هناك فروق في هذه الناحية عند الذكور.

١٧- كانت الإناث الإنبساطيات[1] أكثر رضاءً عن الكيفية التي يقضين بها وقت فراغهن من الإناث الإنطوائيات، ولم يكن هذا الفرق واضحاً أيضاً عند الذكور.

١٨- كان الأسوياء من الذكور أكثر رضاءً عن الكيفية التي يقضي بها الفرد وقت فراغه من أصحاب الميول العصابية، وقد وجد هذا الفرق أيضاً عند الإناث ولكن لم يكن فرقاً دالاً.

١٩-اعتبرت الإناث أن ممانعة الأسرة أحد العوامل الأساسية في عدم تمكن المرأة من قضاء وقت فراغها بطريقة صحيحة، ولم يظهر هذا العامل عند البنين.

---

(١) الانبساط، بمعنى انبساطي: وهو المفرد الذي لا تعقيد فيه وغير مركب، سريع الاستجابة للمتغيرات والتكيف معها في بساطة الانعزال أو الانكفاء على الذات - اتجاه فكري وعاطفي - سلوكي - إلى كل ما هو خارج الذات - الحلو، عبده: معجم المصطلحات الفلسفية، مرجع سابق، ص ٦٣ (بتصرف).

www.iqra.ahlamontada.com

٢٠- أرجعت الإناث الإنطوائيات عدم تمكنهن من قضاء وقت الفراغ بطريقة صحية وصحيحة إلى عدم وجود إمكانيات مادية وعدم توافر وسائل الترويح وملء الفراغ بدرجة كافية.

٢١- ارجع الذكور ذوي الميول العصابية عدم تمكنهم من قضاء وقت الفراغ كما يحبون إلى عدم توافر وسائل الترويح والجذب المعنوي بدرجة كافية، بينما أرجعت الإناث ذوات الميول العصابية هذا الأمر إلى عدم وجود الميل لديهن لممارسة أي نشاط.

٢٢- أظهرت الدراسة أن عدداً كبيراً من الذكور أكثر من النصف لا ينتسبون إلى أي مؤسسة يمارسون من خلالها نشاطات وقت الفراغ، وقد ارتفعت هذه النسبة (نسبة عدم الانتساب إلى أي مؤسسة) إلى أكثر من٩٠٪ عند الإناث.

٢٣- يمارس الذكور الذين ينتسبون إلى مؤسسات معينة نشاطهم من خلال هذه المؤسسة وعلى رأسها المراكز الثقافية والجمعيات الاجتماعية ويليها النوادي الرياضية أو التجمعات الرياضية.

٢٤- اعتبر الذكور أن على رأس المشكلات التي تترتب على فشل الفرد في قضاء وقت فراغه بطريقة صحيحة (المشكلات المادية) ـ (المشكلات الاجتماعية) ـ (المشاحنات مع أفراد الأسرة، والعزلة عن الناس) ـ (المشكلات الصحية والبدنية) وقد اختارت الإناث نفس المشكلات وإن أضفنا إليها مشكلات العادات.

٢٥- أقرت الإناث من ذوات الوجهة الداخلية أن (المشكلات الجنسية)، (ومشكلات العزلة عن الناس)، (والمشكلات العرفية الدينية، والمشكلات الصحية والبدنية) تترتب على الفشل في قضاء وقت الفراغ أكثر مما فعلت ذوات الوجهة الخارجية.

٢٦- لم يختلف الإنطوائيون عن الإنبساطيين اختلافات جوهرية فيما يتعلق بإقرارهم للمشكلات التي تترتب على الفشل في قضاء وقت الفراغ.

www.iqra.ahlamontada.com

٢٧- اعتبر الأسوياء من الذكور أن مشكلات التكيف في العمل، الإسراف وتبديد المال، ومشكلات التعاطي والإدمان• تترتب على الفشل في قضاء وقت الفراغ أكثر مما يعتقد ذوي الميول العصابية.

٢٨- تعتقد الإناث السويات أن(المشاحنات مع أفراد الأسرة، مشكلات التكيف في العمل، مشكلات اجتماعية دينية هي المشكلات التي تترتب على الفشل في قضاء وقت الفراغ أكثر مما تعتقد العصابيات.

٢٩-كان أصحاب الوجهة الخارجية أكثر عرضة للإحساس بمشكلة الفراغ الوقتي من أصحاب الوجهة الداخلية في الضبط، وكان هذا الفرق واضحاً عند الإناث أكثر مما هو عند الذكور.

٣٠- لم تظهر فروق دالة بين الإنطوائيين والإنبساطيين في الإحساس بحدة مشكلة وقت الفراغ. ولكن الإنبساطيات شعرن بها أكثر مما شعرن الإنطوائيات وكان الفرق دالاً في حالة البنات.

٣١- كان ذوي الميول العصابية يشعرون بحدة مشكلة الفراغ بدرجة أكبر مما يشعر بها الأسوياء من البنين. وكان هذا الفرق شاملاً للذكور والإناث على السواء.

٣٢- يعتقد الذكور، وبنسبة عالية أن الدولة هي المسؤولة عن مواجهة مشكلة الفراغ ولم يشارك الإناث في الاعتقاد في ذلك بنفس النسبة.

٣٣- كانت الإناث ذوات الوجهة الداخلية أكثر تحميلاً للفرد لمسؤولية قضاء وقت الفراغ مما فعلت الإناث ذوات الوجهة الخارجية. وفي المقابل حملت الخارجيات الأسرة والدولة العبء الأكبر في مواجهة هذه المشكلة.

٣٤- كانت العصابيات أكثر اختياراً للأسرة باعتبارها الجهة المسؤولة عن مواجهة المسؤولية عن مواجهة مشكلة قضاء وقت الفراغ للإناث، مما فعلن الأسوياء.

www.iqra.ahlamontada.com

ثالثاً: توصيات الدراسة

أ- التوصيات العامة:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على تصورات عينة من المجتمع الشامي(محافظة حلب وريفها) نحو فوائد نعمة الفراغ واستثماره ومدى تأثير هذه التطورات بمتغيرات العامة.

وقد أوضحت نتائج الدراسة أن إدراك المجتمع الإسلامي يتسم بصورة عامة بالإيجابية نحو معرفة الفراغ واستثماره، إضافة إلى أهمية متغيرات الدراسة في تكوين تصورات أفراد العينة.

واستناداً إلى النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يوصي الباحث بما يلي:

١- إقامة الندوات العلمية في (المساجد، والمدارس، والجامعات) حول أهمية الفراغ وكيفية استثماره في أنشطة العمل الجاد وفي أنشطة الترويح ذات الفائدة المناسبة والبحث عن أفضل الأساليب التي يستطيع الأفراد والجماعات عن طريقها القضاء على الفراغ بشكل إيجابي.

٢- توفير مستلزمات علاج الفراغ الإيجابية في المدينة والريف المتمثلة: في بناء المساجد، والمكتبات العامة، وبيوت الشباب، والملاعب الرياضية، ...

٣- تقوية الوازع الديني لدى الأفراد عامة والشباب خاصة باعتباره خطاً دفاعياً أولياً يحصن الأبناء من الوقوع في أنشطة سلبية.

٤- الارتفاع بمستوى البرامج التلفازية والإذاعية التي تستطيع تعليم الأفراد بعض المهارات اليدوية أو الهوايات، بحيث تسهم بشكل فعلي في تنمية شخصيات الأفراد.

٥- إعادة النظر في بعض المناهج التعليمية، بحيث تستطيع المناهج تزويد الطلاب بالخبرات العملية، وتنمية المهارات الفكرية والعقلية والدعوية واليدوية.

www.iqra.ahlamontada.com

٦- توجيه برامج خاصة تشارك فيها المؤسسات الإسلامية والأسرة المسلمة لحث أبنائها على تحقيق التوازن بين العمل والفراغ، وتثمين الوقت وعدم هدره واستثماره بأنشطة ترويحية إسلامية إيجابية.

نحن نعلم أن لطرائق إنتاج الحاجات وتحصيل الرزق دوراً كبيراً في تحديد سمة المعاش والحياة وبالتالي في تحديد الاتجاهات النفسية.

جدول لقياس متغير العمل.

الفئة		الشعور بالفراغ	ضرورة استثماره
الفلاح		٨٢,٤٠%	١٠%
العامل		١٦,٦٠%	٤١,٦٦%
الأجير		١٦,٦٠%	٤١,٦٦%
التاجر	مدينة	٢٤,٥٠%	٢٠,٨٣%
	ريف	٣٣,٣٠%	٢٩,١٦%
الموظف الإداري		٧٥%	٤,١٦%
الموظف التقليدي		٦٠%	١٠,١٠%
الموظف العامل		١٩,٦%	٤٦,١٠%

٧- حث المدارس والمعاهد والجامعات بشكل عام والإسلامية بشكل خاص. على القيام بالأنشطة الطلابية الإسلامية والثقافية والعلمية والأجتماعية والسياسية، وإشراك معظم الطلاب فيها واعتبار ذلك جزءاً من عملها.

٨- تقوم المدرسة والأسرة والمنظمات المعنية، بتشجيع الأطفال على ممارسة هوايات مفيدة وتنميتها وترسيخها في نفوسهم، بحيث تسد فراغهم العقدي والوقتي، وتنمي قدراتهم الإبداعية، وتطور شخصياتهم.

www.iqra.ahlamontada.com

٩- تشجيع العمل الطوعي (الدعوي من خاصته) في الجمعيات الخيرية بتخصيص أعمال صباحية أو مسائية تتناسب وإشباع حاجات الأفراد النفسية والثقافية والاجتماعية، وإجراء الدعاية اللازمة لها في وسائل الإعلام ومجلات الحائط المدرسية والجامعية وغيرها.

١٠- قيام علماء الإسلام بإقناع الجيل الجديد بخلود الحقائق الدينية وأهميتها في حياة الفرد والجماعة. وتفوق الإسلام برسالته الخالدة الموجهة لكل الإنسانية عن طريق المعرفة والنقد العلمي المتزن والتحليل العميق والدراسات المقارنة، وتثقيف عقلية الشباب بثقافة الإسلام وتفجير طاقات الإيمان التي لازالت كامنة في نفوسهم.

١١- أن يصاغ النظام التربوي والتعليمي صوغاً جديداً يلائم عقائد الأمة المسلمة ومقومات حياتها وأهدافها وحاجاتها ويؤكد قيم ومبادئ الإسلام ويربط بين ماضي المسلمين وحاضرهم ومستقبلهم.

١٢- أن يتولى علماء الإسلام وضع معجم إسلامي أو دائرة معارف إسلامية لتعريف الطبقة المثقفة الجديدة بذخائر الإسلام العلمية وتراثه المجيد وإبراز القيمة الخالدة للفقه الإسلامي ومسايرته للحياة الإنسانية في كل مكان وزمان وحال، ووضع تفسير ميسر للقرآن الكريم وجمع الأحاديث النبوية وتبويبها.

١٣- الإكثار من الدراسات المماثلة لمعرفة مدى تأثير السلوكيات الأخرى على الاتجاه والوعي لدى الأفراد والجماعة.

١٤- محاربة مظاهر الانحراف في المجتمع والإثراء المفاجئ وضرورة الإسراع بتنفيذ الثواب والعقاب حتى يطمئن الأفراد على وجود العدالة الاجتماعية في المجتمع الذي يعيشون فيه ولا تهتز قيمه ومثله أو يتزعزع إيمانه.

١٥- تحقيق الالتزام الديني في كل موقع ومجالات النشاط في المجتمع المسلم واختيار القيادات الصالحة في كل موقع.

www.iqra.ahlamontada.com

١٦- القضاء على الجهل والأمية ومشاركة أجهزة الدولة في تحقيق هذا الهدف.

١٧- الإسراع بتطبيق الشريعة الإسلامية في جميع مجالات الحياة المختلفة وتقنيتها حيث أنها أصبحت مطلباً عاماً وملحاً.

١٨- (استشارة البنتاغون) ؟؟!!

ب - توصيات خاصة

١- الفرد:

أ- بدأ الباحث بالتوصيات الخاصة بالفرد، لأن الدراسة كشفت عن أن عدداً من الذكور يحملون الدولة مسؤولية مواجهة الفراغ، وهذا يعني أنهم لا ينتبهون إلى مسئوليتهم الفردية.

والمعروف في حالة المجتمع الإسلامي أن الدولة لم تبخل في هذا الصدد، فقد أقامت المؤسسات وأنشأت الخدمات التي يمكن أن يقضي فيها الأفراد أوقات فراغهم، وتبقى مسؤولية الأفراد. ولذا فإن الأفراد في حاجة إلى التوعية بدورهم في الاستفادة من الفرص المتاحة لهم لممارسة أنشطة صحية في وقت الفراغ.

ب- وقد أظهرت الدراسات أن أكثر من نصف الشباب لا ينتسبون إلى أي مؤسسة، أي أنهم يمارسون أنشطتهم بطريقة عشوائية، ولا يقبلون على المؤسسات التي أنشأتها الدولة. وقد أظهرت الدراسة في بعض جوانبها أن الأفراد من ذوي التوجه الداخلي أكثر إدراكاً لمسئوليتهم الفردية في مواجهة مشكلة الفراغ وقضاء وقته من ذوي الوجهة الخارجية، مما يبين أنه يمكن التأثير في الاتجاهات السلبية عند الأفراد وخلق اتجاهات إيجابية نحو مؤسسات الفراغ.خاصةً وأنها موجودة بصورة مناسبة لكل الشباب.

وعليهم أن يحملوا مسؤليتهم في هذا الصدد. وعلى ذلك فإن التوصيات التالية التي سنوردها وتخص جهات معينة في الدولة لا تعني إعفاء الأفراد أنفسهم من المسؤولية

www.iqra.ahlamontada.com

فالمتاح أمام الأفراد من الفرص لم يستغل بالكامل ـ حسب إقرار الأفراد أنفسهم ـ والدولة قد قامت بدور لابأس به في هذا المجال، وإن كنا دائماً نطلب المزيد من تحسين الخدمات.

٢- توصيات خاصة بوزارة الإعلام:

كشفت الدراسة أن (مشاهدة التلفاز (والفيديو) (والسي دي) على رأس الأنشطة التي يمارسها الأفراد ذكوراً وإناثاً من جميع الفئات السلوكية (السيكو لوجية): الداخليون والخارجيون، الإنطوائيون والإنبساطيون، الأسوياء وذوي الميول العصا بية، وهنا يرتب مسؤولية كبيرة على هذا الجهاز الخطير. فإذا كان هناك إقبال شديد من قبل الشباب على مشاهدة التلفاز فإنه يمكن الاستفادة من ناحية ومحاولة الارتفاع بمستوى برامجه من ناحية أخرى.

ومما لاشك فيه أن التلفاز يملك إمكانيات هائلة تجعله في مقدمة أدوات استثمار وقت الفراغ لأنه لا يكلف الفرد مشقة الانتقال إلى مكان معين، بل إنه ينقل المادة المذاعة إلى الفرد حيث هو في منزله وفي محله وفي لحظات استرخائه، وهو مالا يتاح للأجهزة والمؤسسات الأخرى.

ومع الاعتراف بالجهود الكبيرة التي تبذل من جهازي الإذاعة والتلفاز مما يستوجب التقدير

ـ التي كشف عنها البحث ـ لا بد وأن نطلب المزيد من هذا الأجهزة مثل:

أ - الاستفادة من التلفاز في إثارة الوعي لدى الأفراد بإعداد مشكلة الفراغ وبضرورة تحمل مسئوليتهم الخاصة إزاء هذه القضية وبضرورة الاستفادة من الإمكانيات التي أتاحتها الدولة والمجتمع

www.iqra.ahlamontada.com

ب- أن تشمل رقعة البرامج الدينيـة أكثـر ممـا هـي حتـى تسـهم في الرقـي بالمسـتوى الأخلاقـي والسـلوكي للمشـاهدين. وكـذلك زيـادة السـاعات المخصصـة للـبرامج الدينية التعليمية منها والتطبيقية.المهم توقيت البرامج بحيث تكون الأسرة متهيئة.

ج- أن تشـمل رقعـة الـبرامج الثقافيـة أكثـر ممـا هـي حتـى تسـاعد في الارتفـاع في المستوى الثقافي للمشاهدين، وكذلك زيادة الساعات المخصصة للـبرامج الثقافيـة الاجتماعية منها والتربوية والسياسية.

د - أن تشمل برامج التلفاز برامج متنوعة مثل تعليم الأفراد بعـض المهـارات الصـناعية التي تفيدهم في حياتهم المنزلية أو تصلح لاتخاذها كهاويات.

هـ- أن يقوم إعداد البرامج على حاجات واتجاهات الأفراد الحقيقيـة واحـترام عقـولهم وعدم الاقتصار على ما تحب حب السلطة مـن خلقـه مـن اتجاهـات عنـد الأفـراد. بحيث يكون هناك توازن بـين اتجاهـات الفـرد وتوجيهـات سياسـة المجتمـع، لأن ضمان تحقيق الهدف الثاني المرور بالهدف الأول.

و- إيكال إعداد البرامج وتنفيذها إلى أخصائيين يسترشدون بمعارف وحقائق مثبتة في علم النفس فالخبرة الفنية لا تكفي دون معرفة بحقـائق السـلوك الإنسـاني ودوافعـه وتوجيهاته.

٣- توصيات للأسرة المسلمة:

أ- علاج رواسب الأسرة في المجتمع المعاصـر. فيمـا يخـتص بـالمرأة والأسـرة. لأنهـا وأسرتها بحاجة إلى معرفة أحكام دينها، لأن الأسرة المسـلمة تكـون نظـام الأسـرة الجديدة. ولابد أن، تكون بها حرارة لهذه المعرفـة، لأن الغـرض منهـا هـو إ يجـاد التطابق بين واقع حياتهم وأحكـام دينـهم.لابـد مـن انخـلاع مـن عـادات الجاهليـة، وإشفاق من كل ما كان من تقاليد وعادات وأوضاع وأحكـام.مـع شـدة إحساسـهم بقيمة هذا التغير الذي ينشؤه الإسلام في حياة الفرد والأسرة.

www.iqra.ahlamontada.com

ب- تنقية الأسرة المسلمة من الرواسب. إن تناول تصوير الواقع المترسب في الأسرة المسلمة من الجاهلية، بالإضافة للتقاليد الشائنة البدائية، هي التي أخذ الإسلام يبدلها، وينشئ مكانها مكارم وأخلاق إنسانية راقية لا تعد ـ وهي نشأة جديد، وميلاد جديد، وحقيقة أخرى لهذه الأسرة المسلمة.

ج- إقامة البيت المسلم على أساس من كرامة شطري النفس الواحدة، ورعية مصالحهما معاً، وتقوية روابط الأسرة وإصلاح ما يحدث في جوها من خلاف، قبل أن يستفحل، فيؤدي إلى تقطيع هذه الروابط، وتحطيم البيوت على من فيها.

د- الأسرة خلية إذا صلحت صلحت الأمة كلها، وإذا فسدت فسدت كلها. لذلك لابد من أن يتوجه دعاة الأسر لإصلاحها. فما أجدرنا نحن المسلمين بالعناية في البحث عن علاتها وعلاج ما فيها من عيوب وما يرتكب فيها من أخطاء بغية الإصلاح السريع والمنتج

هـ- احترام شخصية المرأة، المرأة ربة البيت، ومن كان هذا شأنه كان جديراً بالاحترام ومنحه السلطة اللازمة لتنفيذ أوامره حتى يستطيع تأدية مهمته، فعلى الأب (الزوج) ألا يغفل عن هذه الناحية الخطيرة وعليه أن يحترم امرأته ولا يهينها، وخاصةً أمام أولادها كي لا تصغر تجاههم وتضعف شخصيتها فلا تقدر على تنفيذ ما ينبغي تنفيذه لتأمين نظام البيت ومصالحه.

و- تعلم من الأمومة. إن القضية المادية من الحياة قد أتقنتها الأنثى من الحيوان أكثر من المرأة في غالب الأحيان، فهي تقوم بإطعام أولادها والعناية بهم وتدريبهم على الحياة بصورة تدريجية ؟إن الأمومة فن تتضاءل أمامه بقية الفنون بسبب خطورته وصعوبته. ليت المرأة في بلادنا تضيع من الوقت على دراسة فن الأمومة بقدر ما تضيعه على العناية بالزينة والزيارة، لتخرج لنا جيلاً عظيماً نفخر به ونعتمد عليه في تسلم أعباء البلاد ورسالة الحياة.

www.iqra.ahlamontada.com

ز- تعلم الأبوين مبادئ التربية وعلم النفس، إن دراسة الطفل ومعرفة ميوله وغرائزه وطريقة تنمية الصالح منها وتعديل الطالح ووسائل تربيته، كل ذلك من القضايا التي ينبغي أن يتعلمها الأبوان. فإن تربية الأطفال في بلادنا عمل هين لين في عرف كثيرين أسهل من صنع الحساء!.

يقدم عليه الأبوان دون خشية عواقب الجهل به، إن دراسة مبادئ مبسطة لفن التربية من أهم واجبات الفتى والفتاة، فعليهما دراسة ذلك بصورة عملية والاستعداد لهما قبل الاستعداد لأدوات (الجهاز) والتفتيش عنها في كل مكان.

لقد كان واضحاً جهل الأبوين بمبادئ التربية وعلم النفس مما سبب عواقب سيئة ونتائج ضارة في فساد الجيل الجديد وميوعه وتشريده وفراغه.

ح- الأباء والمعلمون لابد من تعاونهم ليكونوا على اتصال ليتعاونوا معاً على تربية وإصلاح أولادهم بعكس الحال عندنا، فإن أكثر الآباء يجهلون معلمي أبنائهم، وربما يتعرفون إليهم ولو مرة واحدة خلال التحصيل الابتدائي والإعدادي والثانوي، مما أدى إلى اختلاف سياسة التربية وضلال الناشئة خلال هذا البعاد وتشريد كثير منهم واحتيالهم على أوليائهم والمدرسة معاً بالتزيف واختلاق الأعذار!.

هذه بعض التوصيات، آمل من الآباء والأمهات مراعاتها والاهتمام بها لإعداد مواطنين صالحين فإن في إهمالها شراً كثيراً وإن الولد أمانة والأسرة أمانة وهما كنز ثمين بل ذخر عظيم في الدنيا والآخرة وأثر خالد.

ح _ توصيات للاتحاد العام الرياضي ووزارة الثقافة:

الاتحاد هو هيئة عليا تهيمن على المؤسسات الشبابية في الدولة كالنوادي والملاعب، ووزارة الثقافة تهيمن على مراكز رعاية الشباب والمكتبات الكبرى والمراكز الثقافية، وهما الجهتان المسؤولتان عن تخطيط الخدمات الخاصة بالشباب، وعلى هاتين الهيئتين:

www.iqra.ahlamontada.com

١- أن تدرسا أسباب عدم إقبال الشباب على النوادي ومراكز الثقافة ورعاية الشباب والمؤسسات الأخرى، خاصة وأن الدراسة كشفت أن عدداً كبيراً منهم لا يتردد على هذه المؤسسات في الوقت الذي تعلن نسبة غير قليلة منهم أنهم لا يعرفون كيف يقضون وقت فراغهم أو يملؤن فراغهم الحياتي بشكل عام.

٢- يجب أن يكون تخطيط النشاط الذي يمكن أن يجذب الشباب ليمارسه في وقت فراغه متفقاً مع ميول الشباب واتجاهاتهم الإيجابية، ويمكن أن ندرس اتجاهات الشباب وميوله ووضع خطط وقت الفراغ بناءً على ما تنتهي إليه هذه الدراسة. لأنه يجب أن يؤخذ رأي الأفراد في الأنشطة التي تقدم له أو تتاح أمامه حتى نضمن إقباله عليها.

٣- يجب أن تتأكد الهيئتان من أن الأندية تقدم الأنشطة المتنوعة التي توجه الميول المختلفة للشباب، والتي يوجد فيها فروق فردية كبيرة بين الأفراد حتى تكون النوادي والمراكز الثقافية ورعاية الشباب مناطق جذب للأفراد.

٤- يمكن للاتحاد أن يخطط لإقامة معسكرات عمل ويكون لهذه المعسكرات فوائد جمة، فهي تشبع حاجات الفرد إلى النشاط الحيوي وإلى استعدادهم للخدمة العامة والمشاركة في المشروعات الدينية والاجتماعية. كذلك فإن الهيئة تكون قد أسهمت في تنمية المجتمع وخدمة البيئة وعملت على غرس اتجاهات عقلية وفكرية واجتماعية، طيبة في نفوس الأفراد، حيث تستطيع معسكرات العمل تحقيق أهداف عملية واجتماعية بجانب أهداف الترفيه.

د - توصيات لوزارة التربية والتعليم:

على وزارة التربية والتعليم جزء من المسؤولية باعتبارها الجهة التربوية المسؤولة عن تنشئة الأفراد خاصة في المراحل الحاسمة من التعليم، وعلى وزارة التربية:

www.iqra.ahlamontada.com

١- محاولة مراجعة المناهج بحيث تحوي بعض الخبرات التي يتعلمها التلاميذ في المدارس وتنمي لديهم المهارات بشتى أنواعها اليدوية منها و الفكرية وألا تقتصر الدراسة على الجانب النظري فقط.

٢- أن تتضمن برامج الدراسة ساعات مخصصة للهوايات كالخطابة أو الأشغال اليدوية والتدابير المنزلية والفنون الجميلة. ويمكن لهذه البرامج أن تعود الطلبة على ممارسة هذه الأنشطة، ويمكن أن يدخل مدى مساهمة الطالب في هذه الأنشطة في تقويمه دراسياً.

٣- تشجيع الأنشطة الطلابية في المدارس سواء الأنشطة الثقافية أو الكشافة، أو الدعوية أو الاجتماعية أو الرياضية وغيرها.

٤- أن تحاول المدرسة أن تشرك كل الطلاب والطالبات في هذه الأنشطة كل قدر إمكانيته واستعداد ته، حتى يشارك الجميع.

فالملاحظ أن كثيراً من الأنشطة التي قررها الطلبة والطالبات في الدراسة يغلب عليها الطابع السلبي. ونحن نريد أن نحول الطالب ـ والطالبة ـ من كونهما مشاهداً أو متفرجاً إلى ممارس. فكثير من الطلبة يشاهدون المباريات الثقافية والرياضية ولكنهم لا يمارسونها.

وكثير من المهارات يراها ويسمع بها ولكن لا يعرفها ولا يعرف كيف تؤدى. وهي مسؤولية الجهات التي تشرف على تنشئة الطالب في المراحل التعليمية الأولى.

٥- أن تزيد وزارة التربية من إنشاء مكتبات في المدارس وأن تزودها بالكتب التي تتناسب مع اتجاهات الشباب في القراءة مثل الكتب العلمية المبسطة والكتب التاريخية والكتب الأدبية والدراسات الإسلامية التي تتناول المشكلات الحياتية وأساليب مواجهتها حتى يكون الشاب على وعي فيما يجري في مجتمعه،

www.iqra.ahlamontada.com

والجهود التي تبذل لمواجهة ما يكتنف مجتمعه من مشكلات، وحتى يزيد انتماؤه إلى دينه وبلاده، وتخصيص حصة مطالعة ونقد وتقديم الخبرات.

٦- أن تعملا وزارتا التربية والتعليم وحدهما أو بالاشتراك مع مؤسسة أخرى قد يكون الاتحادات العامة على إنشاء نوادي العلوم ـ يتعلم فيها الأفراد كيف يطبقون المعارف العلمية على جوانب الحياة المختلفة، لأن البحث الحالي قد كشف عن تأخر اختيار الأنشطة العلمية وتضاؤل اختيارها بصورة كبيرة مع أهميتها الحيوية.

هـ - توصيات للجامعات:

الجامعة إحدى المؤسسات العلمية والثقافية المرموقة في المجتمع الإسلامي، وعليها مسؤولية كبيرة في كل المشكلات التي تواجه المجتمع، باعتبارها مركز الإشعاع الثقافي والعلمي الأول في البلاد، وعلى ذلك نوصي:

١- دراسة الأسباب التي تجعل كثيراً من الطلبة يحجمون عن الاشتراك في الأنشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية التي تتيحها الجامعة داخل أسوارها أو خارجها.

٢- على الجامعة دور في توعية الشباب وتبصيرهم بمسؤولياتهم الشخصية في الاستفادة من الإمكانيات المتاحة في البيئة لقضاء وقت الفراغ بطريقة صحيحة.

٣- يمكن للجامعة بالاشتراك مع الوزارات المعنية عقد ندوة حول مشكلة الفراغ وكيفية مواجهتها بشتى الأساليب، وتوضع فيها الأسس التي تكفل أفضل الأساليب التي تتبع لجعل الشباب على المستوى المطلوب منهم في تحمل مسؤولية الحياة.

٤- يمكن أن تعقد بعض الدورات التدريبية بالتعاون مع وزارة التربية، والاتحادات الراضية والعمالية والفلاحية للمشرفين الاجتماعيين والإداريين في النوادي والمراكز الثقافية حول أفضل الخدمات والأساليب التي من شأنها أن تجذب الشباب إلى هذه المؤسسات.

www.iqra.ahlamontada.com

٥- أن تقوم إدارة الجامعات والمدارس والمعاهد بتخصيص موجه ديني في كل كلية وأن ينشأ لذلك مكتب للإشراف العام على الرعاية الدينية في كل جامعة أو مركز أو مدرسة أو مسجد.

مع استعداد وزارة الأوقاف وكلية الشريعة والكليات الإسلامية والمعاهد الشرعية لترشيح العناصر القادرة من العلماء للقيام بهذه الرسالة ويتركز دورهم على تثقيف الشباب والرد على الشبهات ومقاومة التيارات الفكرية المنحرفة دينياً أو المتطرفة سلوكياً وضرورة قيام نوع من التنسيق والتنظيم بين هيئات التدريس الديني والإفتاء والأوقاف وبين المسؤولين في المدارس والجامعات والقيادات الطلابية فيها وهذا يتأتى بوسائل روحية تربوية مختلفة.

تصور حال الفرد ـ عالميًا ـ محليًا:

يصور حال الفرد في القرن الماضي وبداية القرن الحالي (في النصف الأخير من القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين).

١- يعاني من فراغ معنوي ورثه عن آبائه الذين خاب أملهم في الحضارة المادية الحديثة.

٢- يعاني من القلق الذي وقع الفرد فريسة له، بسبب سيطرة رأس المال والفردية.

٣- يعاني منت سيطرة الجاه الذي يبذل قصارى جهده لينال حظوة منه.

٤- يعاني ما يسمى بالعلوم (بالجمع) كالكيمياء والفيزياء والعلوم الصناعية التي أدت بالفرد إلى نوع من القوة أغتر بها وظن أن هذه القوة وهذه العلوم تحل محل العرفان الذوقي والروحي...

٥- تمرد الفرد وعندها تمزق باطنه وأصبح يشعر بالشقاء لأنه أشرك، فالجيل السابق فرغ فأشرك، ولم يترك إلا الشقاء المعنوي للخلف ـ وليس بعموم ذلك ـ

www.iqra.ahlamontada.com

٦- أصبح الفرد بصفة عامة غريبًا على وجه الأرض، وأصبح الفرد يتمرد ويتمرد وهو في هذا الفراغ فيخرج من دور وتسلسل إلى دور وتسلسل، ومن فراغ إلى فراغ نظرًا لكونه لم يهتد إلى شيء، وكما تنفر الطبيعة من الفراغ. هذا الرأي يبرز أهمية التوازن بين الجانب المادي والجانب المعنوي في حياة الفرد، وخطورة طغيان المادة على الكيان الروحي للإنسان، كما يشير إلى ضيق الفرد من حالة عدم التوازن، وسعيه الدائم إلى إشباع الجانب المعنوي الروحي من شخصيته.

١- أزمة الشباب والأفراد في العالم:

أزمة عالمية	أزمة محلية
١- الصهيونية الصليبية العالمية وراء أزمة الشباب في العالم بسعيها لتحطيم القيم الإنسانية العليا، قيم الدين والوطن، لتحيى هي ولتهدم ما عداها لتبقى في مأمن من خطر الغير عليها.	أزمة سلوك.
٢- قد تغلغل نفوذها في الأنظمة العالمية وانتصرت اليهودية في سعيها لتقويض أركان المجتمعات الغربية والشرقية المعاصرة على السواء.	١- أزمة فكر.
٣- انعكس ذلك على الشباب في صورة ثورات متعددة كثورة الجنس وثورة المرأة والثورة الثقافية الفوضوية غير المسؤولة.	٢- أزمة توجيه. إنه يوجد في متاهة الاتجاهات المختلفة إنه مشدود ومنجذب ومدفوع دائمًا إلى ما يعارض بعضه بعضًا ويُكذبُ بعضه بعضًا، ويخاصم بعضه بعضًا.

www.iqra.ahlamontada.com

٢- أزمة الشباب والأفراد في العالم الإسلامي:

إسلاميًا	عربيًا (سوريًا)
١- حيرة فكرية بين إسلاميته التي يؤمن بها وبصحتها وأحقيتها، وصلاحها كأساس لحضارته المستقبلية، وبين المذاهب والتيارات الغازية التي تسود العالم.	١- الشباب في البلاد العربية (سورية) مثلاً لا يختلف كثيراً عن صورة الشباب في المجتمعات الإسلامية الأخرى.
٢- افتقار الشباب المسلم والأفراد إلى المعرفة والعلم بأمور دينهم بعمق ودراسة كافيين لمجابهة المذاهب السائدة مما جعله عاجزاً عن مناظرة غيره من أنصار هذه المذاهب.	٢- يبحث عن ذاته.
٣- الشباب والأفراد يعيشون فراغ ديني، فذهنهم خالاً من المفاهيم الدينية التي تنير لهم الطريق في جميع شؤون الحياة الفردية ــ الشخصية ــ والعامة.	٣- يبحث عن معنى وجوده.
٤- الشباب والأفراد عرضة للوقوع في براثن الانتماءات الفكرية الغربية التي نشاهدها.	٤- يقف حائراً أمام المتناقضات والتغيرات المتلاحقة والسريعة في مجالات الحياة المختلفة.
٥- ظهور بعض الشباب والفئات المتعطشة للإيمان الصحيح المتحمسة لدينها	٥- يحتاج إلى قيادة تربوية مدنية خبيرة غير مُسيَّسة.

www.iqra.ahlamontada.com

٢- تصنيف الشباب من خلال موقفهم من الدين:

التبعية	العادة	المتدين
١-فئة تأخذ الإسلام بالتبعية للوالدين، وتقليداً بما يراه في المجتمع فيعتنق الإسلام ديناً، ولكنه لا يعرفه، وأحياناً لا يعرفه ولا يؤدي فرائضه وواجباته كما ينبغي. أ – هؤلاء لا هم متحمسون للدين ولا هم ثائرون عليه. ب- المهم أنهم مسلمون بحكم المولد والنشأة. ج – قد يكون بينهم من يحرص على العبادة ويطابق سلوكه وعمله قوله د –وقد يكون بينهم من لا يقيم هذه العبادات أو يؤديها بأي صورة كانت، يخلط بين الحلال والحرام هـ- يرتكب من الأعمال ما يتنافى مع مبادئ الإسلام الذي يدين به.	٢- فئة تضم شباباً وأفراداً اضطربت موازين فكرهم وألحت عليهم الشكوك وأصبح التدين عندهم عادة عفا عليها الزمن، وتقليداً لا يناسب العصر، ولا يساير المدنية الحديثة ولا يتفق مع الحضارة والتقدم الذي يفرضه عليها الغرب الملحد المتفلت- المتحرر- ومن هذه الفئة نجد البعض: أ- يتخذ موقف الإنكار-الإلحاد – الصريح.من خلال انتمائه إلى تنظيمات وأحزاب أو غيرها.	٣-فئة ترى ضرورة التمسك بالدين ويتحمسون له ويدافعون عن مبادئه وقيمه أمام هجمات الملحدين والمنكرين للحق، وهم شديدو الغيرة على دينهم مخلصون في دعوتهم، متعطشون إلى المزيد من المعلومات عن دينهم وتاريخهم وتراثهم وحضارتهم وأمجادهم الإسلامية.تلك المعلومات التي تتيح لهم فهم ظروف ضعف بلادهم والسبل الكفيلة لإخراجهم من محنهاومشاكلها: أ- منهم من ينتمون إلى تنظيمات أو جماعات دينية. ب – يعي بمفرده إلى ما يعتقد أنه الصواب والحق. ج – فريق يدعو إلى ربه ويتحمس لدينه بأسلوب يتسم الهدوء والإقناع.

www.iqra.ahlamontada.com

		د- فريق يتخذ من الجهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أسلوباً للتغير عن عدم رضاه عما يراه من انحراف في المجتمع وسلاحاً للتغير وفرض الرأي بالقوة.

ويمكن أن نقرر هنا أن النوعيات أو الفئات الثلاث من الشباب والأفراد على ما بينها من فروق وتفاوت تعاني جميعها من صورة أو أخرى من الفراغ الديني.

يواجه الشباب المسلم أخطر التحديات:

١- تحديات التبعية.

٢- فقدان الذاتية.

فعليه أن يواجهها بمشاركة غيره من شباب المجتمعات الإسلامية في تجاوز هذه المناهج الوافدة إليهم من الغرب وسواهم، التي عاشوا أسرى لها خلال فترة السيطرة الغربية الاستعمارية الأجنبية عليهم.

أسباب الفراغ الديني لدى الشباب:

أهمها وأكثرها أثراً ــ القصور في التوعية الدينية للشباب، لأسباب:

١- التوجيه الصحيح عزيزاً أو مفقوداً.

٢- الوقوع تحت تأثير فلسفات واتجاهات لا تمت إلى جذور ثقافتنا وتاريخنا وديننا ومقومات حياتنا الدينية. (فلسفات متعارضة ضمناً ومختلفة الأدوات في توصيل الرسالة الدينية).

٣- قيام بعض الفئات ممن لم يحصلوا الثقافة الدينية التي يوجهها الدور القيادي الواعي الدعوي الذي يهدف إلى الخير حقاً، باغتصاب حق توجيه الشباب وأدى هذا الانحراف إلى ظهور جماعات منحرفة باسم الدين.

www.iqra.ahlamontada.com

٤- عدم ثقة الكثيرين من القائمين على الإرشاد الديني لكون عالم الدين أصبح عاملاً وليس مرشداً.

٥- وقد أسفرت الحوارات والمناقشات والاستفسارات عن هذا الفراغ الممتد من المنزل إلى الشارع إلى المدرسة ووسائل الإعلام، ثم الأجهزة المسؤولة عن الدعوة في المجتمع وعلى رأسها المسجد.

أ- المنزل (البيت): نجد أن الغالب على اتجاهات الأسرة السورية (المسلمة) المعاصرة هو الاهتمام بتربية أبنائها جسمياً وصحياً ووظيفياً، بينما لا يحظى الإعداد والتوجيه الديني إلا بالقدر بسيط من اهتمام الآباء إن لم يغفل تماماً في الأغلب. أو يكاد يقتصر على الاحتفال بالمناسبات الدينية، فضلاً عن فشل بعض الآباء في تحقيق دورهم ورسالتهم كقدوة ومثل أعلى لأبنائهم.

ب - الشارع: يلتقي الشباب بمجموعات غير متجانسة أو متآلفة من أقرانهم، ويقع نظره على نماذج متعددة مشوهة السلوك الأخلاق، من فوضى وعبث وتهريج ونفاق وغش وأنانية وألفاظ نابية وتمجيد للقوة والبطش وغيرها مما نشاهد ونسمع عن مهازل وجرائم.

ج - المدرسة: نجد الكثير من العقبات التي حالت دون انتفاع الشباب بالتوجيه الديني في العقيدة والسلوك على حد سواء، كالقصور في المناهج الدينية والقصور في الأداء، والافتقار إلى مدرس التربية الكفء ومجافاة سلوك بعض المدرسين للأخلاق مما جعل البعض منهم قدوة سيئة في مظهرهم وقولهم وفعلهم. وقد انتقد كثير من التربويين الإسلاميين من خلال اللقاء بهم، مناهج التربية الدينية من حيث كونها تلقيناً وليست تربية، ومن ثم لا يتعدى تأثيرها وقت التلقين أو السماع وقدموا مقترحات إيجابية لتطوير المناهج الدينية في مختلف مراحل التعليم

هـ - وسائل الإعلام: وتشمل الإذاعة والتلفاز والصحافة ودور النشر، والمسرح والسينما، وكلها تساهم بصورة أو أخرى في تكوين عقلية الشباب وتشكيل شخصيته

www.iqra.ahlamontada.com

في الطريق السوي أو غير السوي، والمعروف أن مرحلة الشباب مرحلة حرجة في النمو الروحي والديني للفرد، ينتاب الشاب فيها حالة تدين ليس مبعثها الإقناع العميق بالدين، أو الإيمان الواصل إلى حد التصوف، ولكي يصل الشاب إلى حالة التوازن النفسي والنمو الروحي السليم لابد وأن يتوافر له المناخ والبيئة الصالحة التي تدفع هذا الاستعداد إلى طريق الإيمان الواعي الراسخ القائم على الاقتناع والتدبر. ووسائل الإعلام بكل ما تقدمه للشباب من فن وفكر وأدب، وآراء وكتابات ونقد ذات أثر فعال في توجيه الشباب وترشيده وإنقاذه من الشك والانحراف الخلقي والديني فهل نجحت وسائل الإعلام في مجتمعنا في تحقيق هذه الغاية ؟ يتفق الكثيرون على الشكوى من ضعف وسوء ما تقدمه هذه الوسائل للشباب، مما يجعلها مسؤولية مباشرة عن إقصاء الدين عن الشباب وإقصاء الشباب عن الدين.فالبرامج والمواد التي تقدم في الإذاعة والتلفاز يهدم بعضها بعضاً، فإلى جانب البرامج الهادفة توجد البرامج الهادمة وفي مقابل القيم الرفيعة توجد القيم الوضيعة مما يزيد حدة الاختلال والاضطراب في نفوس الشباب ومن ثم عدم الثقة فيما يقدم لهم، وفقدان القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب، بين الحق والباطل. أضف إلى ذلك قصر الزمن وضيق المساحة المخصصة لكل المعارف الدينية.

٥- أجهزة الدعوة الإسلامية:

ليس غريباً أن تكون الدعوة سبباً من أسباب إعراض الشباب عن الدين وضعف عقيدتهم وانجذابهم إلى قيم أخرى هزيلة وانبهارهم بالمناهب الهدامة والدعوات الفارغة الجوفاء، وذلك لما أصابها من آفات ضارة سلطت عليها من خارجها ومن عيوب نشأت من داخلها فلم يسلم منها الداعية ولا المادة المعروضة ولا طريقة الأداء قولاً وكتابة... وهي لهذه الاعتبارات تعد سبباً أصيلا من الأسباب التي زهدت الشباب في الدين وعجزت عن مواجهة الإلحاد والتشكيك والإباحية والتيارات الأخرى ويرجع سبب ذلك إلى:

www.iqra.ahlamontada.com

١- قلة الإمكانات التي تمكن الأجهزة المسؤولة عن الدعوة من أداء رسالتها، وعدم تحمس الداعي للقيام بدعوته فما زال أمر الدعوة عندنا تقليديًا بحيث إن أشبعت الرجل الأمي لا تشبع من عنده طموح ثقافي

٢- بعد الهوة بين رجال الدولة وعلماء الدين، وقد كان المسلمون في صدر الإسلام نموذجاً رائعاً للجمع بين الحكم والدعوة، تطابق أفعالهم وأقوالهم يخافون الله في أنفسهم وفي حكمهم وسيادتهم.

٦- المسجد:

ترتبط الدعوة ارتباطاً وثيقاً بمسؤولية المسجد، فرسالة المسجد متوقفة أساسًا على توافر الداعية الكفء. وهذا ما يدعونا إلى تقييم رسالة المسجد وتحديد دوره في أزمة التدين عند الشباب.

فكيف يكون المسجد سبباً من أسباب الفراغ الديني والتخبط بين الشباب ونحن نرى المساجد مكتظة بالمصلين من الشباب، الحريص على أداء الصلاة في أوقاتها وفي المناسبات الدينية.؟

إن العبرة ليست بكثرة عدد المصلين أو الذين يواظبون على الصلاة بالمساجد وإنما يجب أن ننظر في نوعية الخدمات التي يقدمها المسجد لهؤلاء الشباب.

ومستوى التوعية الدينية التي ينالونها من خلال ما يلقى عليهم من أحاديث وخطب ووعظ.

ففي المساجد الأهلية نجد أن الكثير من المنابر يمتلئ بأشخاص ليسوا على درجة من الكفاءة في أمور الدعوة والوعظ تؤهلهم لقيادة الشباب وتوعيته الدينية، كما ينبغي أن تكون القيادة السليمة والدعوة الصحيحة في هذه المساجد لتفوقها في العدد على المساجد الرسمية.

وفي المساجد الرسمية يلاحظ بشكل واضح أن قطاعاً من خطباء هذه المساجد قد فقد الشعور بحركة الزمن، فهم مازالوا يعيشون فكراً وأسلوباً ـ على تراث القرن

www.iqra.ahlamontada.com

الماضي أو الذي قبله ـ وليته كان خير ما في هذا التراث، وإنما اعتماده على الأنماط التقليدية من هذا التراث. وهؤلاء بدورهم يسلمون الشباب إلى الفراغ الديني لعجزهم عن تقديم الإجابات لما يدور في أذهان الشباب من تساؤلات، وإن وجدوها فهي إجابات سطحية غير مقنعة لشباب يعيش حياة تزخر بالتيارات الفكرية المتناقضة، وهذا لا يعني أن المساجد سواء كانت أهلية أو رسمية هي المسؤولة وحدها عن التخبط الديني لدى الشباب ولكن خطورة وأهمية دورها إنما يرجع إلى كونها المصدر القوي والطبيعي للإشعاع الديني.

آثار ترك العقيدة وآثار اعتناقها

آثار ترك العقيدة (الدين) على الفرد والمجتمع	آثار اعتناق العقيدة (الدين) على الفرد	آثار اعتناق العقيدة (الدين) على المجتمع
١- سوء في التوزيع، ثراء فاحشاً من ناحية وفقراً مدقعاً من ناحية، ترفًا من ناحية ومن ناحية تقابله حقد وغيظ في قلب الفقر مما يجعل المجتمع على شفا بركان مهدد بإنقضاض طبقة على طبقة. ٢- الكبت والقمع والخوف التي ادعى بعض حكامها أنهم يريدون عدالة التوزيع. ٣- الانحلال النفسي والخلقي الذي يؤدي إلى تدمير الحياة المادية ذاتها، لأن الحضارة لابد لها من ضمان يحميها، ومؤيدات تحفظها، فإذا غرقت الأمة في الجنس وعفن النزوات الحيوانية، فإنها تزول.	١-ليس هناك أسئلة في الكون تحيره. ٢-إنه يعلم أن هذه الدنيا ليست النهاية والجزاء ليس في هذه الأرض. ٣-هو مطمئن لأنه يعلم أن الرزق محدود والأجل مقدر.	إنه مجتمع يعز على الخيال أن يتمناه. ١- مجتمع أمن كل فرد من أفراده على نفسه وعرضه وماله ومعتقده. ٢- مجتمع متحاب: أفراده كالجسد الواحد، ومجتمع نظيف ليس فيه من الزبد ما يطفو على وجهه، ومجتمع ذا غنى متراص متضامن لا خلل فيه ولا جيوب، ولا

www.iqra.ahlamontada.com

٤- القلق العصبي، والتمزق النفسي، والأمراض النفسية والعصبية والجسدية والقرح المعدية والشذوذ الجنسي، وانفصام الشخصية، والانتحار والأمراض الجنسية. ٥-الخوف العالمي من الدمار الشامل في هذا العالم المضطرب، وشبح الحرب الرهيب يضغط على أعصاب الكثيرين ويقظ مضاجعهم. ٦- بعض المظاهر التي تعبر عما يعانيه البشر من حيرة وقلق وتعب(مظاهر البانكي والهبيين المخنثين) اصبحوا خطر على مجتمعاتهم (أكلهم وشربهم وبرازهم ونكاحهم في مكان واحد)- ظاهرة الحيوانية.		يستطيع أي جسم غريب أن يتحلل فيه أو أن يعيث فساداً. ٣- مجتمع يشعر بهويته الثقافية والسلوكية ومتحفز للدفاع عنها والاعتزاز بها.

الخطوات لرد الفراغ الفكري والثقافي

على مستوى الجماعة والمجتمع	على مستوى الفرد
١- إنشاء مركز علمي للدراسات الاستشراقية لدراسة الكم الهائل الذي أنتجته المؤسسة الاستشراقية عن ديننا وحضارتنا. ٢-إنشاء مركز علمي لدراسة التيارات المعاصرة، ومواجهة هذه التيارات الفكرية مواجهة حاسمة لا تكون إلا بدراستها دراسة واعية	١- المطالعة. ٢- البحث والتابعة. ٣- نشر الجامعات والمعاهد ودور العلم بأقساط ميسرة وربما مجانية. ٤- وسائل الإعلام. ٥- إنشاء المكتبات العامة.

www.iqra.ahlamontada.com

٣-إنشاء موسوعة إسلامية عالمية، هناك ضرورة ملحة على مستوى العالم الإسلامي، وكذلك على المستوى الفكري العالمي لإخراج موسوعة إسلامية عالمية باللغة العربية وثلاث لغات عالمية على الأقل تعرض الإسلام عرضاً علمياً وبطريقة موضوعية تنأى عن الخلافات المذهبية الضيقة وترد على المزاعم التي تثار ضد الإسلام. ٥- إنشاء جهاز عالمي للدعوة الإسلامية في الداخل والخارج، وهذا يتطلب المراكز التي تقوم بالدعوة إلى الإسلام من ناحية ويحمي المسلمين بالوراثة من ناحية ثانية ويرعى المسلمين الجدد من ناحية ثالثة . ٦- تشجيع الكتابة والكتاب وتسهيل عملية النشر والتوزيع وزيادة كافة المنتجات الثقافية.	٦-مساعدة الفرد على الاستفادة العادلة من جهوده.

يلاحظ:

أن الموقف الإعلامي الإسلامي من الهجمات المتتالية المعادية إنما هو موقف من يرد التهمة فقط... وهذا منهج غير منجز وغير مجد.

تم كتابة البحث بحمد الله وعونه، وحسن توفيقه وكان الفراغ منه في يوم الجمعة السادس من جمادى الأولى سنة الرابع وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة الموافق لليوم الخامس من تموز لسنة ثلاث وألفين للميلاد على يد...محمد ياسر محمد الحسين...بمدينة منبج من بلاد الشام حماها الله تعالى وسائر بلاد المسلمين بمنه وكرمه.... آمين ... آمين.

www.iqra.ahlamontada.com

المحتــــــــوى

الموضـــوع	الصفحة

www.iqra.ahlamontada.com

www.iqra.ahlamontada.com

www.iqra.ahlamontada.com

www.iqra.ahlamontada.com

لمحة عن الأطروحة :

الفراغ ... ذلك الغول المخيف الذي يفترس الإنسان العاطل ، وهو من أقوى أسلحة الشيطان ضد الفرد ، والمجتمعات التي لا تستثمر شبابها بل تنتحر انتحاراً بطيئاً .

في ضوء ما تمر به الأمة الإسلامية من فراغ وضعف وما تشهده أرضها من انتهاك وخيراتها من نهب وسلب ، وشعوبها من إهانة وقهر ، وسياستها من خزي وعار ، والحريات من خنق وكبت ، والعلوم والآداب والأخلاق من تخلف ، والتاريخ من تشويه ، والعقول من عطالة ، والأفكار من بعثرة ، والنفوس من أزمات ، ومع كثرة الفراغات يكثر السؤال والتساؤل عن الخروج من هذا النفق المظلم الذي وقعت به الأمة الإسلامية .

هل نستكين ونعتبر ذلك قدراً محتوماً يجب الجلوس والرضوخ إليه؟

أم هل نعيد التجارب الفاشلة التي لم تزد في بؤسنا إلى بؤساً وفي فراغنا إلا اتساعاً ، وفي ضعفنا إلا وهناً ؟

ما العلاج الأمثل الذي نستعيد به مكانتنا وعليه نتكل في تجديد روح أمتنا وثقافتها ، وبه نملأ حياضنا من خيراتنا ونزيد في قوتنا ونتحرر من تبعتنا ؟

عسى أن يكون في هذه الأطروحة ما يساعد على كشف اللثام عن تحقيق الأفكار التي ترنو إليها الأبصار ، وتشرئب نحوها الأعناق ، وتتعلق بها القلوب .



دمشق - سوريا - حلبوني - شارع مسلم البارودي - بناء فندق سلطان

تلفاكس:٢٢٣٩٠٣١ - ص.ب.٥٩٥٧

www.iqra.ahlamontada.com

يطلب من مكتبة استانبولي حلب - هاتف ٣٢٢٥٩٢٩